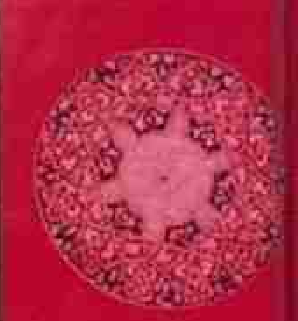






مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس

للتراث الأدبي - الكويت

٣٤

مقالات السير والتراجم والمناقب ومقدمات الكتب والتقاريظ لها

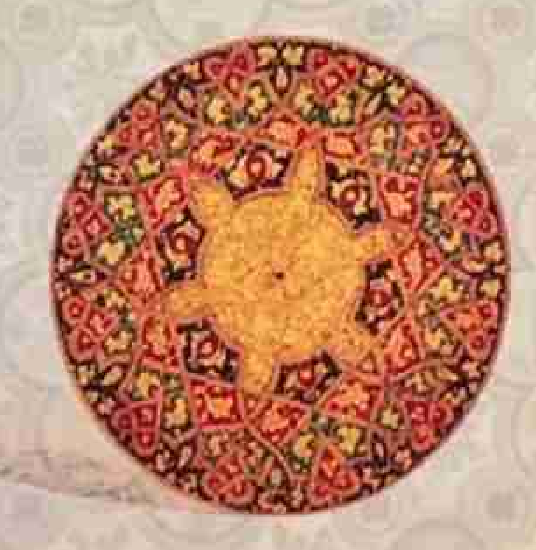
للعلامة

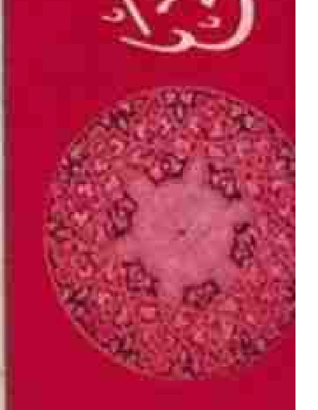
تقي الدين الهلالي

رحمه الله

تحقيق

أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان





دار المقتبس

مَقالاتُ السِّيَرِ والتَّراجِمِ والمَناقِبِ
ومُقدِّماتُ الكُتُبِ والتَّقاريظُ لَها

لِلعَلَّامَةِ

تَقِيِّ الدِّينِ الهِلالِيِّ

رَحِمَهُ اللهُ

دار المقتبس

مؤسسة ثقافية
تُعنى بالنشر والطباعة والتوزيع للكتاب العربي
أسسها نور الدين طالب سنة ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٤م.

- سوريا - دمشق - الحلبوني
(ص. ب: 34306)
00963933093781
00963933093782

- لبنان - بيروت - كورنيش المزرعة:
(ص. ب: 14/6759)
00961 70 81 33 77
00961 70 81 44 77

moqtabas
t.almoqtabas.com
f.almoqtabas.com
y.almoqtabas.com
i.almoqtabas.com
l.moqtabas.com

E_mail: info@almoqtabas.com
Website:/http://almoqtabas.com



مكتبة ومركز
فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

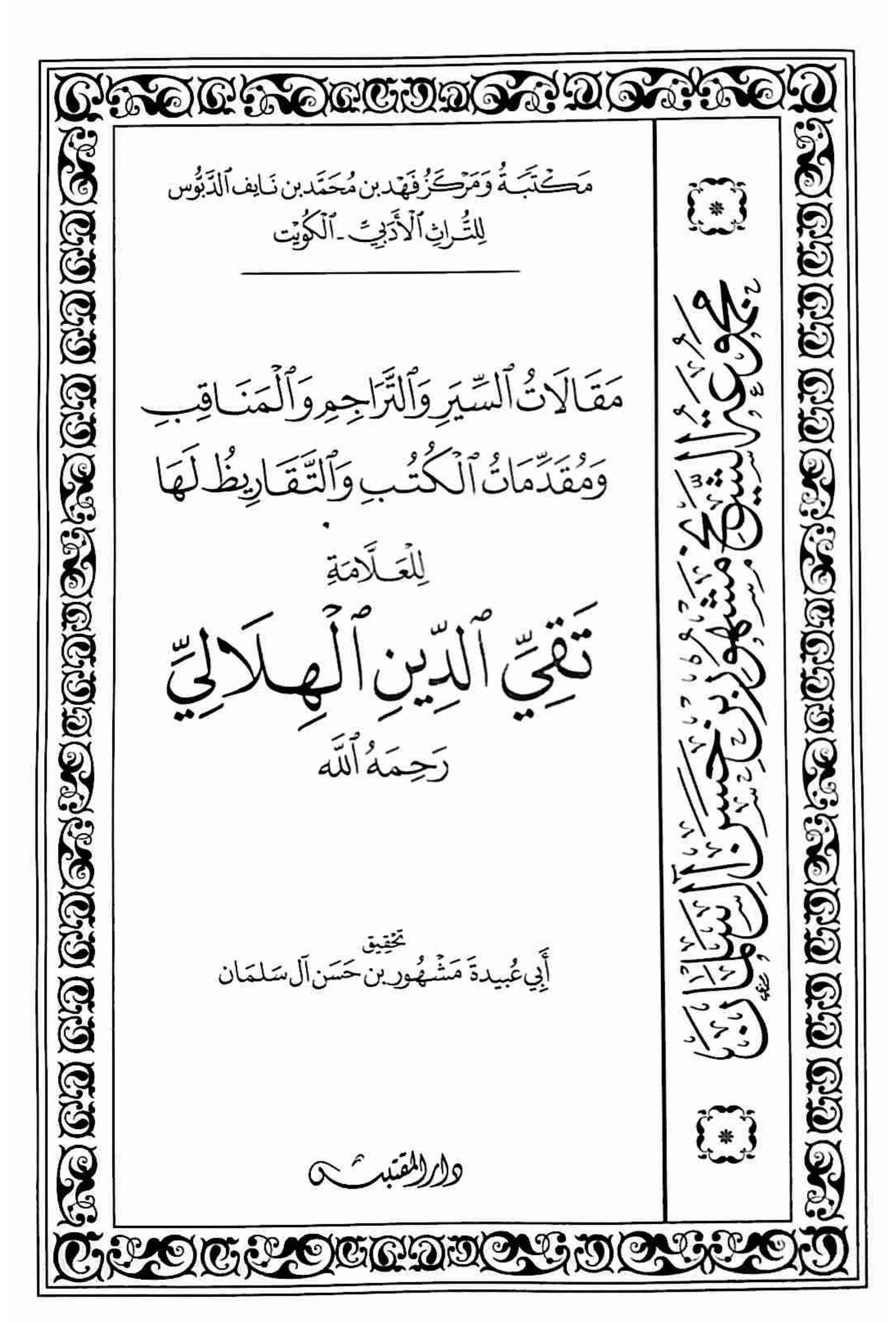
للمراسلة: الكويت - حولي - ص.ب: ٦٠٠٥ حولي
Email: fahad_aldabous@hotmail.com



ISBN 978-9933-565-59-6



الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م



مكتبة ومركز فهد بن محمد بن نايف الدبوس
للتراث الأدبي - الكويت

مقالات السير والتراجم والمناقب ومقدمات الكتب والتقاريظ لها

للعلامة

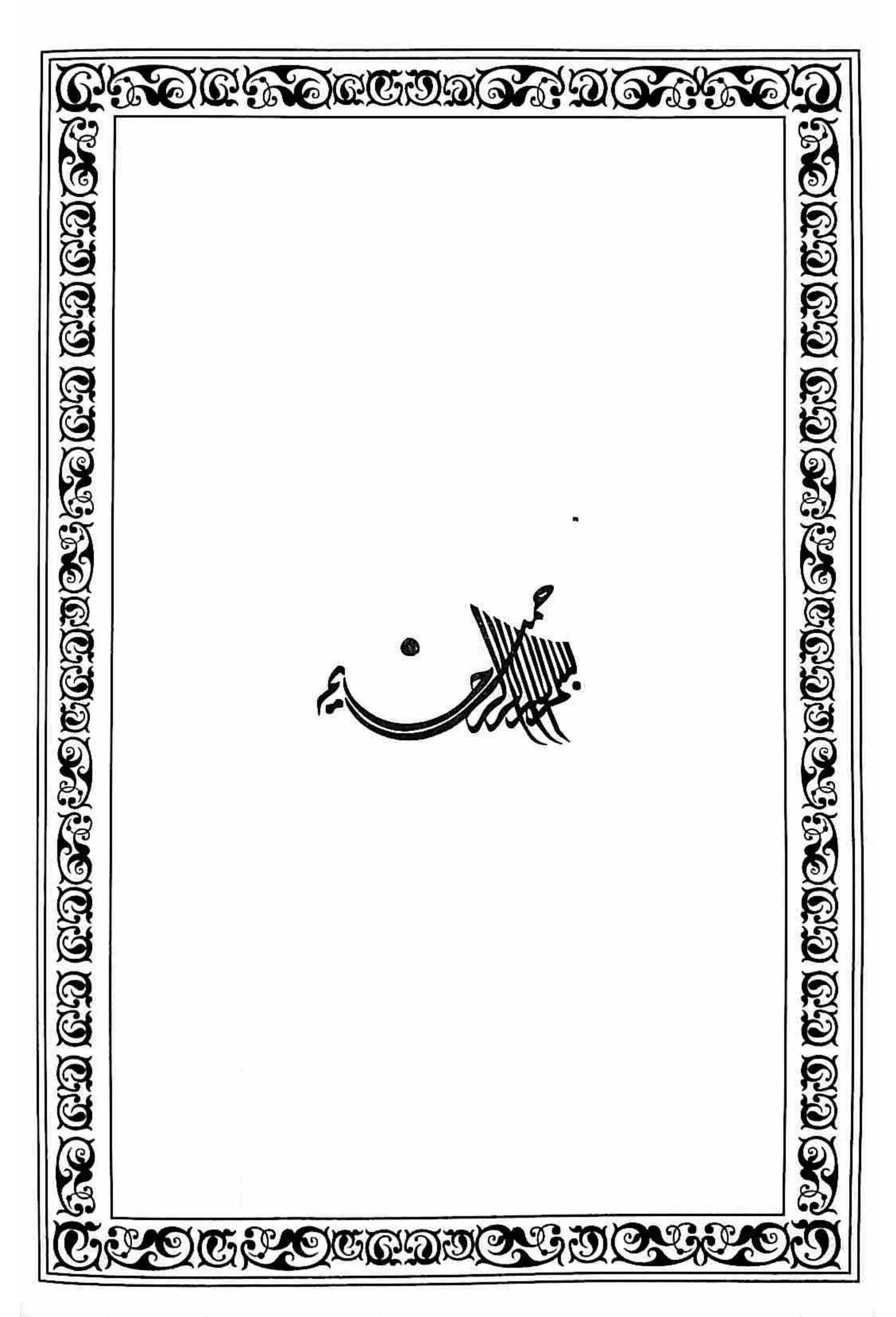
تقي الدين الهلالي

رحمه الله

تحقيق
أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

دار المقتبس

مجموعة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان


بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذا ما يسَّر الله ﷻ لي الوقوف عليه من «مقالات العلامة السلفي تقي الدين محمد بن عبد القادر الهلالي» (١٣١٢ ـ ١٤٠٧هـ) فيما يخص السير والتراجم وتقاريظه للكتب.

وهذه «المقالات» من ضمن مشروع ضخم لي في جمع جميع «مقالاته»، ونشرها مرتبة على الأبواب العلمية، وقد اجتمع عندي ـ ولله الحمد ـ الكثير منها، وقد أتعبت نفسي بحسن الاستقصاء، وكثرة التطلب لها، في مدة تزيد عن العشرين عامًا.

ابتدأتُ هذه «المقالات» بقصيدة بعنوان: (المنقذ الأعظم)، وهي قصيدة في مدح النبي ﷺ، نشرها الهلالي في مجلته «لسان الدين»، ونصيبه منها الإشادة والتقديم، وهي للشاعر المجيد السيد عبد الهادي الغواص.

ثم قسَّمت من ترجمهم في هذه المقالات إلى ستة أقسام؛ وهي:

القسم الأول: الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ وترجم الهلالي: لأبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وسعيد بن زيد، وسلمان الفارسي.

القسم الثاني: العلماء والأدباء.

وترجم فيه: الإمام بقي بن مخلد الأندلسي، والقاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي، وحافظ المغرب أبا عمر يوسف بن عبد البر النمري، ولسان الدين ابن الخطيب، ومنذر بن سعيد البلوطي، وابن خلدون؛ وخصَّه بمقالة: (هل كان متحاملًا على العرب؟)، وزيَّف هذه الأكذوبة من عدة وجوه، ثم ذكر (الهجاء اللاذع لعبدان الأصبهاني يهجو بخيلًا)، وأبا العتاهية، وبحث مسألة مهمة: (هل كان أبو العتاهية زنديقًا أم مسلمًا؟).

القسم الثالث: تراجم معاصرة.

وافتتحه بترجمة حموّه العلامة المصلح محمد الأمين الشنقيطي، ثم بشيخه عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، وعبدالله النعمة البكري الصِّدِّيقي الموصلي، وعبد الظاهر أبي السمح إمام الحرم المكي، ثم إسماعيل بن محمد الصيفي الريموني بعنوان: (مصاب أليم بوفاة أخٍ كريم)، ومحمد بن عبد الكريم الريفي، وشكيب أرسلان، ثم كتب مقالتين عند وفاة صديقه شكيب أرسلان؛ هما:

الأول: انهدَّ ركنٌ من أركان العروبة، واحزناه على الأمير شكيب أرسلان.

الآخر: دمعة على فقيد العروبة والإسلام شكيب أرسلان ـ رحمه الله ـ.

ثم كتب ترجمة للسيد سليمان النَّدوي، و«مسعود الندوي أفضل تلامذتي الهنديين».

ثم كتب مدحًا لعلي الطنطاوي بين يدي مقالة له نشرها في مجلته «لسان الدين»، واقتصرنا عليها، إذ هي موضوع بحثنا.

ثم ترجم لمحمد إقبال، ولعبد الحميد الفراهي.

ولم ينس الملوك المعاصرين؛ فقد خصَّ الملك فيصل بمقال، ذكر فيه منقبة له، وفصَّل أنه كان سببًا في إسلام موريس بوكاي، وقصَّ خبر إسلامه.

ثم طوَّل في تراجم ملوك المغرب؛ فكتب الآتي:

١ ـ ما هي الدواعي التي تدعو أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحمايتها.

٢ ـ حرص ملوك المغرب على اتِّباع الكتاب والسنة: جلالة الملك الحسن الثاني جدير بأن يبني كما بنوا، ويفعل فوق ما فعلوا.

٣ ـ من مناقب عالم الملوك وملك العلماء في زمانه سيدي محمد بن عبدالله العلوي ـ رحمه الله ـ تجديد الدعوة إلى عقيدة السلف.

٤ ـ ملك من ملوك الدولة العلوية المجيدة وموقفه من الأشعرية.

٥ ـ من رجال الدولة العلوية المجيدة: الملك الجليل مولاي سليمان بن محمد ابن عبدالله.

٦ ـ منقبة المجاهد الأكبر محمد الخامس ـ طيب الله ثراه ـ.

٧ ـ السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي ـ رحمه الله ـ.

٨ ـ نبذة من سيرة فقيد الأمة العزيز السلطان مولاي عبد العزيز ـ قدس الله روحه ـ.

٩ ـ نبذة أخرى من سيرة فقيد المغرب السلطان مولاي عبد العزيز.

ولم تقتصر ترجمته عليهم؛ وإنما ترجم لملك العراق، فكتب:

١٠ ـ «الفقيد العظيم»، وهي موت صاحب الجلالة فيصل بن الحسين.

وممَّن ترجم لهم بعد وفاتهم جمعٌ من العلماء والزعماء؛ مثل:

١ ـ كلمة في الذكرى التأبينية لفقيد الأمة الزعيم المجتهد الراحل علال الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ.

٢ ـ محمد علي جناح أو منقذ (باكستان) الإسلامية.

ومدح الهلالي في مقالاته هذه جمعًا من العلماء والأفاضل؛ فكتب:

٣ ـ «سفير شرقي يؤدي واجبه مضاعفًا»، وهو في ترجمة السفير إبراهيم بن معمَّر (سفير المملكة العربية السعودية في العراق).

٤ ـ «هنيئًا للمغرب بقادة جهاده»، وهو في رجوع مجموعة من المجاهدين للمغرب، مثل: محمد بن الحسن الوزاني، وعلال الفاسي، وأحمد بلا فريج.

٥ ـ «وضوح حال الجهاد المغربي»، وهو في مدح جهاد الصوفي الشيخ مر بيه ربه ابن الشيخ ماء العينين.

٦ ـ «الكرامات الحقيقية»، وهو في مدح المجاهد البطل الفلسطيني السيد محمد أمين الحسيني.

٧ ـ المجاهد الفذ أبو الحسن محمد علي طاهر في العراق نعمة غير مرتقبة.

٨ ـ السيد عارف قفطان: شهامة سامية، ومروءة نادرة.

٩ ـ «منصفان»، وفيه مدح الأستاذ الأديب خيل بن أمية، وهو إسباني، منصف للعرب، وذكر منصفًا آخر، لم يذكر اسمه.

١٠ ـ إعجاب رجل عظيم برجال «الفتح»، وهو في مدح سعادة الوجيه السيد عبد المنعم بن السيد يوسف الزواوي، وكذا في مدح الأستاذ مصطفى أحمد الرفاعي اللبان.

١١ ـ «ضيف مصري كريم»، وهو في مدح الدكتور المصري فؤاد حسنين علي.

١٢ ـ «هنيئًا هنيئًا»، بمناسبة تعيين المكرم السيد محمد بن زبان الصغوني أميرًا لبلد أبي صغوني.

١٣ ـ «نفي تهمة ودفاع عن النفس»، في مناقشة العلامة عبد العزيز بن باز عند مدح الهلالي له.

١٤ ـ نابغة المغرب أحمد بن عبد العزيز الهلالي.

١٥ ـ على أيِّ جسر عبر الشيخ عبد الحي الكتاني إلى مشيخة الطريقة؟

القسم الرابع: من ردَّ عليهم الهلالي.

لم تقتصر في هذه المقالات على من مدحهم تقي الدين الهلالي؛ وإنما ذكرت من تعرض إليهم بالرد والنقد، ووجه إليهم أصابع الاتهام في قضايا مصيرية مهمة، وافتتحتُ القسم بـ:

١ ـ رده على القصيمي، وسقت (مقدمة رد الشيخ تقي الدين الهلالي على كتابه «الأغلال»)، وهي مفيدة، مع أنه ـ رحمه الله تعالى ـ ما أكملها.

ثم سُقتُ عدة حلقات في (السعيد الزاهري يفتري الكذب على المجاهدين،

ويخلع العذار في خدمة الاستعمار، ما هو الزاهري؟)، وترجمه في أربع حلقات، كشف زيفه، وأظهر فساده وإفساده، ووضعتُ بعدها مقالة بعنوان: (اعتداء فظيع على الشيخ الزاهري محرر «الشريعة») قبل أن يكتشف حقيقته بخمس سنوات.

٢ ـ «اشهدوا أيها المسلمون على عداوة بعض الدجالين للإسلام»، وترجم فيه لشيخ الطريقة الدرقاوية المسمى (محمد بن عبد الرحمن)، وكتب مقاله لما زار الطاغوت الفرنسي السفّاح نوكيس (تونت) من بلاد الريف القسم الواقع تحت عذاب الفرنسيين، وقلّد شيخ الطريقة وسام جوقة الشرف!

٣ ـ «عصا موسى على رأس فرعون»، في ثلاث حلقات، رد فيه الهلالي على طه حسين، ولم يسمِّه، وهو يتضمن الدفاع عن العلامة عبد الرحمن عزام.

القسم الخامس: تراجم شخصيات غير عربية.

للهلالي علاقات ممتدة في سائر أرجاء الدنيا، بسبب كثرة أسفاره، وشدة متابعته وعنايته بأخبار المسلمين في العالم، فكتب في مناسبات عديدة في التعريف بعدد من الشخصيات، نصرةً للإسلام وأهله.

افتتحتُ هذا القسم بمقالته:

١ ـ عبدالله دَي أخ مسلم إنكليزي يسقط من صفوف المجاهدين.

٢ ـ خالد شلدريك في الهند، حديث له مهم عن الشؤون الإسلامية.

٣ ـ «إسلام أحد النبلاء العظام، الإسلام يجيب على هراء القسيسين بالفعل دون القول»، وهو في إسلام المسترك. ل. كوبا، من سكان لاهور، من آل هاركيش، من أعرق بيوتات هندو في الحسب والنسب.

٤ ـ إسلام السر توماس لودر برنتن.

٥ ـ خطبة إسلام الدكتور إسلام الدكتور جوليس جرمانوس.

٦ ـ «البارون عمر رولف النمسوي أسلم إسلامًا قاديانيًّا»، ثم ذكر مقترحات مهمة في التحذير من القاديانية.

٧ ـ «احتفال إسلامي في لندن»، وذكر الخطباء في هذا الاحتفال، وبيان ما اشتملت عليه كلماتهم.

ثم ذبَّ الهلالي عن جمع ممن يعرفهم اتهامات باطلة تعرضوا لها؛ لأنه يعرفهم، وله مع بعضهم علاقات شخصية، وهم كفَّار؛ مثل:

١ ـ ريكارد هارثمن[1] أستاذ اللغة العربية في جامعة برلين بريء من الطعن في العرب، وهو عالم حر.

٢ ـ «هل كان نابليون مسلمًا عندما كان في مصر؟»، وترجم مقالة لخالد شيلدريك يزعم فيها إسلام نابليون، وسكت الهلالي عنه، ولم يتعقبه.

٣ ـ «ترجمة الأستاذ جوزيف ماك كيب»، وذكر عددًا من أعماله العلمية.

٤ ـ «هل كان إمام طائفة (سيك) مسلمًا؟»، وطولتُ في التعريف بها، وبيان المراحل التي مرت بها.

القسم السادس: مقدمات الكتب والتقاريظ لها، وما نشر منها في بطون المجلات.

وذكرتُ تحته جملة من تعريف الهلالي بالكتب وتقديمه لها، أو تقريظه لأصحابها، ونقلت ذلك من مقدماتها، أو مما نشره الهلالي في بطون المجلات عنها.

---

(١) هو الذي أشرف عليه في رسالة الدكتوراه.

هذه هي خطتي في هذه المقالات، وقد جمعتها من عدد كبير من المجلات.

* مصادري في الجمع:

تتبَّعت مقالات الهلالي من خلال إشاراته في كتبه، وإحالاته في مقالاته، ووجدتها كثيرةً جدًّا، ومكثت ما يزيد على العشرين سنة وأنا أتطلَّبها، وحصلت منها على عدد كبير، وقسَّمتها على المواضيع، وكانت هذه فيما يخص السير والتراجم منها.

ذكرتُ في حاشية كل مقالة اسم المجلة أو الجريدة التي نُشرت فيها، وهذه هي أسماء المجلات والجرائد على حسب البلدان التي كانت تصدر فيها:

- **المغرب**: «الإرشاد»، «لسان الدين»، «الأخبار»، «الميثاق»، «الحرية»، «دعوة الحق»، «الوحدة المغربية».

- **الجزائر**: «الصراط السوي».

- **العراق**: «التربية الإسلامية»، «السِّجل»، «كلية الآداب والعلوم».

- **الهند**: «الضياء»، «صوت الجامعة»، «الجامعة السلفية».

- **الكويت**: «الوعي الإسلامي».

- **مصر**: «المنار»، «الفتح».

- **السعودية**: «البحوث الإسلامية».

- **سوريا**: «التمدن الإسلامي».

- **القدس**: «العرب» المقدسية.

واستعنتُ بعدد من الكتب التي نشر فيها الهلالي تقاريظ لها؛ مثل: «الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا، «خطب الشيخ عبدالله النعمة»، «السيد رشيد رضا

أو إخاء أربعين سنة» لشكيب أرسلان، «ذكرى الأمير شكيب أرسلان، المراثي، وحفلات التأبين، وأقوال الجرائد»، «علال الفاسي في ذكراه الأربعين»، «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير»، «خطبة السلطان المقدس مولانا سليمان العلوي»، «مختصر هدي الخليل»، «إزالة الوطر برفع الحرج وإزالة الخطر على من جمع بين الصلاتين في الحضر من غير مرض ولا مطر»، «تنزيه الدين مما افتراه القصيمي في أغلاله»، «عبدالله القصيمي: وجهة نظر أخرى»، «مدنية العرب في إسبانيا»، «ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة»، «إزاحة القناع عن مكر أهل الشرك والابتداع»، «مختارات للمطالعة الحرة»، «محمد بن عبد الوهاب، مصلح مظلوم ومفترى عليه» لمسعود الندوي، «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي»، «الإعلام في تاريخ الهند من الأعلام»، «الفتوة» لابن المعمار.

*** طريقتي في الكتاب:**

أُلَخِّص عملي في الكتاب بالأمور الآتية:

أولًا: مرَرتُ بمقالات الهلالي، وقسَّمتها على المواضيع.

ثانيًا: لم أذكر في هذا الكتاب إلا المقالات التي تخص السير والتراجم[1] وتقريظات الكتب.

ثالثًا: قسَّمتها إلى خمسة أقسام، على النحو الذي بيَّنته آنفًا.

رابعًا: إذا نشرتُ المقالة في أكثر من مجلة أو جريدة؛ ذكرتُ ذلك، وقابلتُ المقالة على مصادرها، وبيَّنتُ الفروق بينها في الهوامش، وأثبتُّ الأكمل والأوفى في الصُّلب.

---

(١) أما ما يخص سيرة النبي ﷺ؛ فهي مجموعة في مجلدة خاصة.

خامسًا: هكذا صنعت بين ما نُشر في مجلة وكتاب.

سادسًا: وثَّقتُ الآيات الكريمة، واعتمدتُ الرسم القرآني، وجعلت تخريج الآيات على إثرها.

سابعًا: خرَّجتُ الأحاديث والآثار في الحواشي باختصار، وذكرتُ درجة الحديث، وأحلتُ على تحقيقاتي للكتب التي فيها التخريج مُطوَّلًا ومُسهبًا.

ثامنًا: وثَّقتُ النقولات من المصادر.

تاسعًا: علَّقتُ على ما رأيت الحاجة إليه مُلِحَّة.

عاشرًا: خرَّجتُ الأشعار، وذكرتُ اسم القائل، وبيَّنتُ الفروق بين الشِّعر مع ما في المصادر.

وأخيرًا؛ لا يفوتني أن أشكر الأستاذ الأديب فهد محمد نايف الدبوس لتحمُّسه في نشر هذا الكتاب، وتحفيز الهمَّة لتجهيزه، فهو ـ حفظه الله ورعاه ـ سبب لنشر هذه النفائس، كعادته في نشر النافع المفيد، فجزاه الله خيرًا.

أرجو الله ﷻ أن ينفع بكتابنا هذا، وأن يضع له القبول، إنه ولي ذلك، والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب

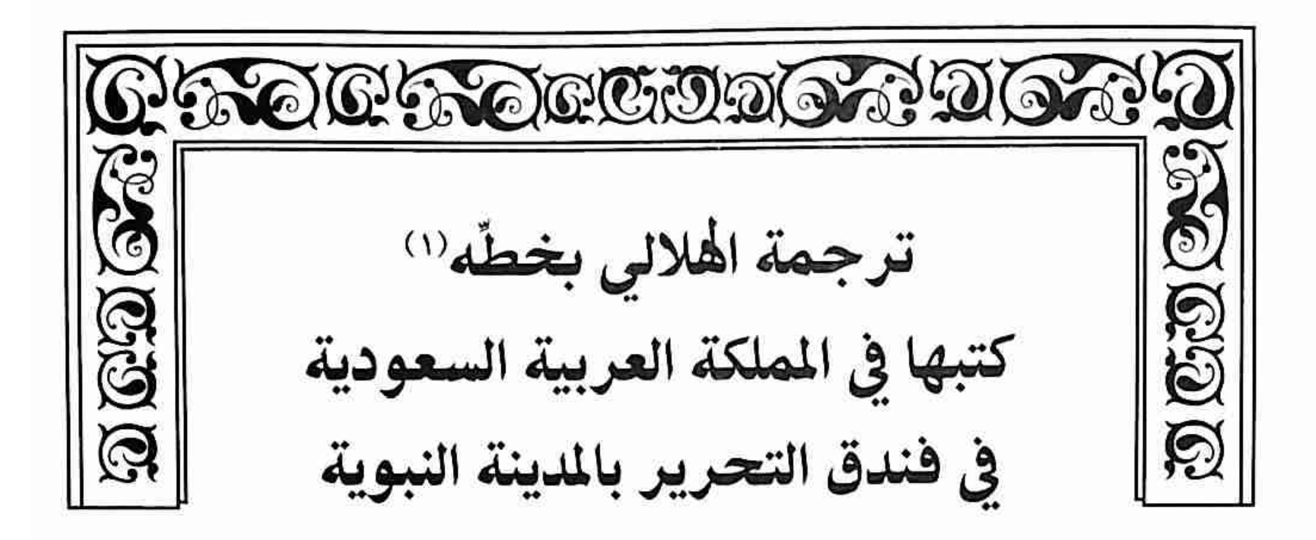
أبو عبيدة

مشهور بن حسن آل سلمان

٩ ربيع الآخر ١٤٤٠هـ

الأردن ـ عمان

❑❑❑



ترجمة الهلالي بخطِّه[1]
كتبها في المملكة العربية السعودية
في فندق التحرير بالمدينة النبوية

«يقول تقي الدين[2] محمد بن عبد القادر الهلالي الحسيني المغربي:

ولدت سنة ١٣١٢ تقديرًا من الهجرة في قرية تسمى (الفيضة القديمة) من وادي يغل بسجلماسة، وقرأتُ القرآن برسمه وتجويده؛ فحفظته وعمري اثنتا عشرة سنة.

---

(١) أرسلها لي أول مرة الأخ الفاضل والباحث النابه عبد الإلـه الـشايع، جـزاه الله خـيرًا، وكان ذلك في ٢٤/ ٧/ ١٤٢٦هـ، وهي من محفوظات مكتبـة جامعـة الملـك سـعود، واستُخرجت منها قبل الفهرسة، وهي محفوظة ضمن مجموعة الشيخ سليمان الـصَّنيع، تحت رقم (٨١٠٩)، ثم رأيتُ مصوَّرتها منشورة في كتاب «الثمر الينيع في إجـازات الـصَّنيع» (ص٥٢٢ ـ ٥٢٥) تأليف أبي زكريا صالح بن سليمان الحِجِّي.

(٢) كان الإمام النووي يُلقَّب بـ (محيي الدِّين)، وكان يكره هذا اللَّقب تواضعًا لله ـ تعالى ـ وخوفًا من الدخول في قولـه ـ تعالى ـ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾[النجم: ٣٢]، وصحَّ عنه أنه قال: «لا أجعل في حِلٍّ من لقَّبني (محيي الدِّين)». انظر: «المنهل العذب الروي في ترجمة الإمام النووي» (ص٤)، و«الإمام النووي» للدَّقر (ص١٩)، و«الإمام النووي وجهوده في التفسير» (ص٢٤).

ونحوها: (عز الدين) و(ناصر الدين). انظر: «الصحيحة» (١/ ٤٢٧) لشيخنا الألباني ـ رحمه الله ـ.

وفي نحو العشرين أخذتُ في طلب العلم في القرى والبادية، ثم دخلتُ مدينة فاس، وقد حصَّلتُ علوم العربية والدينيَّة، وتخرَّجتُ من كلية القرويين ـ وكانت تسمى (جامعًا) ـ سنة ١٣٤٠هـ.

ثم رحلتُ إلى مصر، وأقمتُ فيها سنة، لقِيتُ السيِّد رشيد رضا وجماعة من أصحابنا السلفيين، واستفدتُ بمذاكرتهم ومجالستهم.

وحججتُ لأول مرة سنة ١٣٤١هـ.

ثم سافرتُ إلى الهند ولقيتُ أستاذي عبد الرحمن المبارك فوري، وقرأتُ عليه ما تيسَّر من كتب الحديث من الكتب الستة وغيرها، وكان يأبى إلا أن يطعمني من طعامه، وكان يقدِّمني في الصلاة لتجويد القرآن، وحين أردتُ فراقه؛ وضع في يدي ورقة نقدية قيمتها عشرين، فردَدتُها عليه؛ فبكى بكاءً شديدًا، وأخذ يقول ـ ودموعه تسيل على لحيته ـ: (اِقبلْ مني، اِقبلْ مني)، فندمتُ على ردِّها، وكان زاهدًا لا يعيش إلا بما يأخذه من علاج المرضى، وكان يجلس في عيادته من العصر إلى المغرب فقط، وسائر أوقاته يقضيها في التأليف والتعليم، رحمة الله عليه، فما رأيتُ في علماء الشرق مثله.

ثم رجعتُ من الهند إلى العراق سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة وألف.

وفي أواخر سنة ١٣٤٥هـ حججتُ للمرة الثانية، ثم عُيِّنتُ مدرِّسًا ومراقبًا للمدرِّسين في المسجد النبوي، وبقيتُ سنتين، ثم انتقلتُ إلى مكة، وأقمتُ فيها سنة؛ كنتُ مدرِّسًا في المسجد الحرام وفي المعهد السعودي.

ثم انتقلتُ إلى الهند؛ فدعاني السيد سليمان الندوي لأن أكون رئيسًا لأساتذة اللغة العربية في (النَّدوة)، وكان ذلك في أول سنة تسع وأربعين وثلاث مئة وألف.

وفي سنة ١٣٥٢هـ تركتُ الهند بسبب توالي المرض، وأقمتُ في الزُّبير، وكنتُ معلِّمًا في مدرسة ابتدائية هي (مدرسة النجاة).

وفي سنة ١٣٥٥هـ سافرتُ إلى أوروبا، وهي توافق سنة ١٩٣٤م، وسأُأَرِّخ منذ الآن - على كُره مني - بتأريخ النصارى، فتولَّيتُ تدريس الأدب العربي والعلوم الإسلامية في القسم الشرقي من الجامعة في (بُن)، وأخذتُ أتعلَّم اللغة الجرمانية، ودخلتُ الامتحان فيها؛ فنجحتُ في أقل من سنة، ثم دخلتُ طالبًا في الجامعة بإذن من وزير المعارف في برلين، وبموافقة جماعة من العلماء وشهادة بُعثت إليَّ من المغرب.

وفي سنة ١٩٣٩م انتقلتُ إلى برلين طالبًا ومدرِّسًا ومرجعًا لُغويًّا للإذاعة العربية هناك، ولم أجد وقتًا للتدريس؛ لاشتغالي بالتعليم والإذاعة.

وفي السادس عشر من مايو سنة ١٩٤٠ قدَّمتُ رسالة الدكتوراه باللغة الجرمانية؛ وهي ترجمة مقدِّمة كتاب «الجماهر في الجواهر»، مع تعليقات ردَدتُ فيها على أكبر العلماء الجرمانيين؛ وهما: Pr. Sachou وA. Prockel Man (الأستاذ سخاو والأستاذ بروكيلمان) في زعمهما أن البيروني كان علمه وعقله أعظم من أن يتقيَّد بالإسلام، ومفتريات أخرى، وناقش الرسالة عشرة من العلماء الجرمانيين، فسلَّموا ذلك بالإجماع، ودخلتُ الامتحان الشفهي في الوقت نفسه، فنجحتُ فيه بدرجة عالية.

وفي سنة ١٩٤٢م انتقلتُ إلى تطوان شمال المغرب بطريق فرنسة وإسبانية، وأقمتُ هناك خمس سنين، وعلمتُ أن الفرنسيين نفوني نفيًا رسميًّا، وأمروا بالقبض عليَّ إنْ تجاوزتُ الحدود بين المنطقتين التي كانت تسمى (إسبانية) والمنطقة التي

كانت تسمى (فرنسية).

وفي سنة ١٩٤٧م ـ بعد جهود كبيرة شارك فيها عبد الرحمن عزام والحبيب أبو رقيبة ومحمد علي الطاهر ـ رجعتُ إلى العراق وعُيِّنتُ مدرِّسًا في كلية الملكة عاليـة، ومحاضِرًا في كليـة الآداب، ثم أعطيـتُ لقب (أستاذ معاون)، ثم أعطيتُ لقب (أستاذ).

وفي سنة ١٩٥٣م جاء طلب من وزارة المعارف الجرمانية إلى وزارة المعارف العراقية بإفادتي إلى جامعة (بُن) للتدريس فيها سنة، فتوَجَّهتُ إلى (بُن) ودرَّستُ في الجامعة سنة.

وفي أواخر سنة ١٩٥٤م رجعتُ إلى بغداد.

وفي سنة ١٩٥٥م نُقلتُ إلى دار المعلِّمين العالية؛ وهـي من كبريات كليات بغداد، عدد طلبتها ٩٠٠، ولا أزال فيها إلى الآن، وأسأل الله أن يختم لي بالحسنى.

وصلَّى الله على محمد خاتم النبيين، وآله وصحبه أجمعين».





المنقذ الأعظم[1]

زارني بفندق العاصمةِ الحديثِ الشابُّ المهذبُ الشاعر المجيد السيد عبد الهادي الغواص[2]، وأنشدني بعض شعره؛ فأعجبت به كثيرًا، ومن بديع ما أنشدني قصيدة في مدح النبي ﷺ، فالتمست منه نسخة لمجلتنا «لسان الدين» فتفضل بها.

وهذا الشاعر راوية شاعر العرب الأكبر في القرن الرابع عشر الهجري:

---

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الثانية، الجزء الثامن، ربيع الثاني ١٣٦٧هـ ـ فبراير ١٩٤٨م، (ص٨ ـ ١٠).

(٢) عبد الهادي بن عبدالله بن قاسم الغواص السنبي الطائي البغدادي، ولقب جده بـ (الغواص) لغوصه على نوادر المعاني، ولد بمحلة بني سعيد برصافة بغداد سنة (١٣٣٣هـ ـ ١٩١٤م)، له قصائد منشورة في صحف ومجلات عصره، وله «ديوان» مخطوط بحوزة ابنه، وكثير من شعره ارتبط بالمناسبات، كما نظم في عديد من أغراض الشعر، ونال إجازة علمية من شيخه قاسم القيسي مفتي بغداد، توفي ببغداد سنة (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م).

ترجمته في: «معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين» (٢/ ٧٣٤)، «معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين» على موقعهم على الشبكة العنكبوتية:

http:// www. almoajam. org/ poet_details. php?id=4504

معروف الرصافي[1]، روى عنه شعره كله وانتفع بذلك، وأخذ ينسج على منواله، وهذه قصيدته تتكلم عن نفسها؛ برهانها فيها.

الدكتور تقي الدين الهلالي

تَبَلَّجَ إِصْبَاحُ الْهُدَى بِمُحَمَّدِ ... وَلَاحَتْ بِأُفْقِ الْحَقِّ شَمْسُ التَّوَحُّدِ

فَوَلَّتْ دَيَاجِيرُ الضَّلَالِ كَأَنَّهَا ... فُلُوْلُ خَمِيْسٍ بِالْعَرَاءِ مُبَدَّدِ

أَطَلَّتْ عَلَى أُمِّ الْقُرَى بِجَلَالِهَا ... فَأُلْبِسَتِ الْأَكْوَانُ حُلَّةَ عَسْجَدِ

وَمَا هِيَ إِلَّا آيَةٌ سَرْمَدِيَّةٌ ... تَكَسَّبَ مِنْهَا نُوْرَهُ كُلُّ فَرْقَدِ

حَبَاهَا إِلَهُ الْعَرْشِ أَنْوَارَ عِزَّةٍ ... مُمَنَّعَةً مِنْ نُوْرِهِ الْمُتَوَقِّدِ

وَقَدْ أَخَذَتْ عَهْدًا مِنَ اللهِ أَنَّهَا ... بِغَيْمِ ذَوِيْ الْإِلْحَادِ لَمْ تَتَوَقَّدِ

وَلَمَّا تَزَلْ فِي أُفْقِهَا مُسْتَدِيْمَةً ... وَمِنْ نُوْرِهِ الْوَقَّادِ لَمْ تَتَجَرَّدِ

أَنَارَ قُلُوْبَ الْمُؤْمِنِيْنَ شُعَاعُهَا ... وَطَهَّرَهَا مِنْ كُفْرِهَا الْمُتَمَرِّدِ

فَلِلَّهِ مِنْ شَمْسٍ جَلَتْ رَوْنَقَ الْهُدَى ... وَلَمْ يَحْكِهَا إِلَّا جَبِيْنُ مُحَمَّدِ

رَسُوْلُ الْهُدَى بِالْعَبْقَرِيَّةِ مُفْرَدٌ ... تَحَدَّرَ مِنْ أَزْكَى وَأَشْرَفِ مُحْتَدِ

نَبِيٌّ دَعَا الدُّنْيَا إِلَى الْحَقِّ وَالْعُلَى ... أَنِ اسْعُوْا إِلَى تَشْيِيْدِ مَجْدٍ مُوَطَّدِ

دَعَاهُمْ إِلَى الْإِيْمَانِ حَتَّى غَزَا بِهِ ... وَبِالتَّابِعِيْهِ قَلْبَ كُلِّ مُوَحِّدِ

---

(1) معروف بن عبد الغني بن محمد الكردي الملقب بـ(الرصافي)، ولد سنة ١٢٩٢هـ-١٨٧٥م في مدينة بغداد، وتوفي سنة ١٣٦٤هـ-١٩٤٥م في بغداد، انظر ترجمته في: «الأعلام الشرقية» (٤/ ٣١٢ ـ بتحقيقي) وهناك مصادر ترجمته، وتجدر الإشارة إلى أن الرصافي انقلب على عقبيه بعد أن ألَّف كتابه «الشخصيَّة المحمدية» المنشور عن دار الجمل، فنعوذ بالله من الحور بعد الكور.

وَأَيقَظَهُــمْ مِــنْ رَقْــدَةٍ جَاهِلِيَّــةٍ وَهُـمْ لَـمْ يَكُونُـوْا قَبْلَـهُ غَـيْرَ هُجَّـدِ

وَأَلْبَـسَهُمْ ثَـوْبَ اعْتِــزَازٍ مُطَــرَّزًا بِمَجْـدٍ لَـهُ تَعْنُـوا الْعِـدَاةُ وَسُـؤْدُدِ

وَأَوْجَـدَ فِـيْهِمْ نَهْـضَةً عَالَــمِيَّةً فَكَـانَ صَـدَاهَا ذَا دَوِيٍّ مُـرَدَّدِ

وَقَـدْ مَـلأَتْ سَـمْعَ الزَّمَـانِ مَفَـاخِرًا بِفَـتْحٍ عَظِـيْمٍ بِالثَّنَـاءِ مُخَلَّـدِ

هُـوَ الْقَائِـدُ الأَعْـلَى إِلَى نَيْـلِ عِـزِّهِمْ فَـأَعْظِمْ بِـهِ مِـنْ قَائِـدٍ مُتَفَـرِّدِ

بَنَـى لِبَنِـي الإِيْمَـانِ مَجْـدًا مُـؤَثَّلا بِكُـلِّ شُـجَاعٍ أَزْهَـرَ الْوَجْـهِ أَصْـيَدِ

وَأَكْرَمُ مَثْـوًى كُـلُّ مَـنْ جَـاءَ مُؤْمِنًـا وَأَلْحَـدُ فِي لَحْـدِ الـرَّدَى كُـلُّ مُلْحِـدِ

وَقَالَ اجْعَلُوا الْقُرْآنَ دُسْتُوْرَ حُكْمِكُمْ فَفِيْـهِ أُولُـوا الأَلْبَـابِ لِلْحَـقِّ تَهْتَـدِي

كِتَـابٌ لِأَرْبَـابِ الْبَلاغَـةِ مُخْـرِسٌ وَسَـهْلٌ فَـصِيْحٌ لَمْ يَكُـنْ بِالْــمُعَقَّدِ

وَهَـلْ بِقَـوَانِيْنِ الَّـذِيْنَ ارْتَقَـوْا إِلَى سِمَـاكِ الْـمَعَالِي مِثْـلَ قَـانُوْنِ أَحْمَـدِ؟

وَهَـلْ جَـاءَ طَـهَ مَانِعًـا عَـنْ تَقَـدُّمٍ بِــدِيْنٍ عَــلَى أُسِّ الرُّقِــيِّ مُـشَيَّدِ

هُــوَ الــدِّيْنُ أَوْصَى بِالتَّقَــدُّمِ أَهْلَــهُ وَحَــذَّرَهُمْ مِــنْ جَهْلِهِـمْ وَالتَّـشَدُّدِ

تَزَيَّنَ بِـالأَخْلَاقِ وَالْعِلْـمِ وَالـحِجَى وَبِالْعَــدْلِ فِي أَحْكَامِــهِ وَالتَّمَجُّــدِ

أَتَــى بِرُقِــيٍّ وَانْتِفَــاعٍ وَحِكْمَــةٍ وَجُنْـدٍ بِحُـبِّ الْـمَكْرُمَاتِ مُجَنَّـدِ

فَــأَيُّ انْتِفَــاعٍ مَــانِعٌ عَنْــهُ دِيْــنُكُمْ أَجِيْبُـوْا سُـؤَالِي يَـا شَـبَابَ التَّجَـدُّدِ

أَضَـعْتُمْ بِتَقْلِيْـدِ الأَجَانِـبِ رُشْـدَكُمْ كَأَنْ لَمْ يُقَرَّ[1] فِي الدَّهْرِ غَـيْرُ الْـمُقَلِّدِ

رَضِـيْتُمْ بِتَحْـصِيْلِ الْقُـشُوْرِ وَفَـاتَكُمْ لُبَـابُ الْعُـلَى عِنْـدَ الْعَـدُوِّ الْـمُجَدِّدِ

---

(١) في الأصل: «يفر».

شُــــغِفْتُمْ لَعَمْـــرُ اللهِ فِي مَدَنِيَّـــةٍ مُنَمَّقَـــةٍ فِي زُخْـــرُفِ الـــمُتَوَدِّدِ

وَهُمْــتُمْ بِقَــصْفٍ وَابْتِــذَالِ كَرَامَــةٍ وَظُلْــمٍ وَتَثْرِيْـــبٍ وَقَــوْلٍ مُجَــرَّدِ

إِذَا كَــانَ عَــصْرُ النُّــورِ هَــذَا فَإِنَّــهُ أَتَـــى بِظَـــلَامٍ حَالِـــكٍ مُتَلَبِّـــدِ

فَكَانَ كَعَكْسِ الرَّسْمِ إِذْ كُـلُّ أَبْيَضٍ تَقَمَّــصَ فِيْــهِ عَكْــسُهُ لَــوْنُ أَسْــوَدِ

تَقُوْلُــوْنَ أَنَّ الــدِّيْنَ كَــانَ مُــسَبِّبًا لِتَأْخِيرِ أَهْـلِ الْحَـقِّ عَـنْ كُـلِّ مَقْـصِدِ

كَذَبْتُمْ فَإِنَّ الدِّيْنَ حِـصْنُ أُولِي النُّهَـى وَلَلْعَدْلُ بَـيْنَ النَّـاسِ أَحْـسَنُ مُرْشِـدِ

بِـهِ قَـدْ بَـدَا ثَغْـرُ الْحَـضَارَةِ بَاسِمًـا وَأَوْرَدَهَــا مِــنْ حَوْضِــهِ خَــيْرَ مُــوْرَدِ

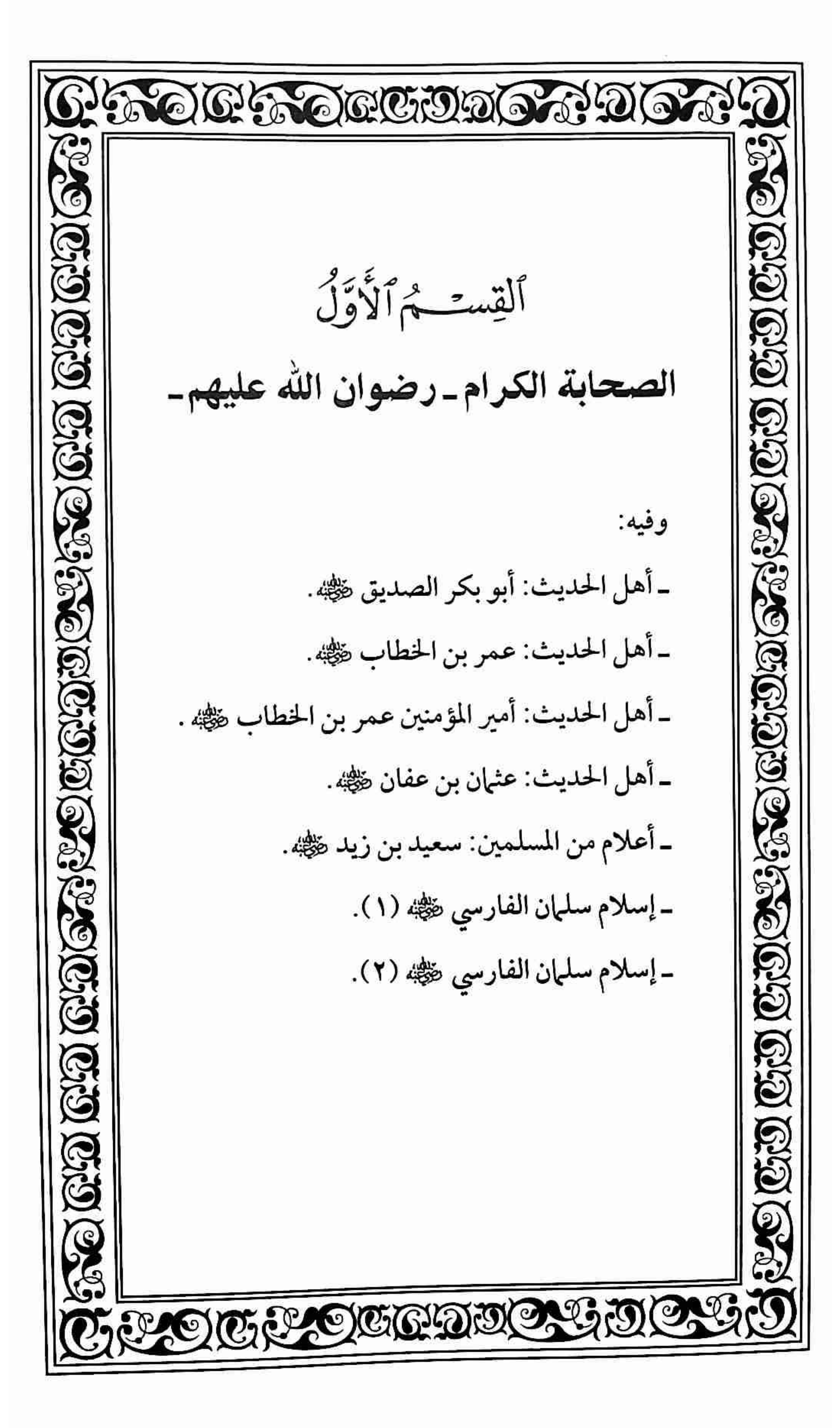
وَأَوْصَى بَنِيْـــهِ بِالتَّعَـــاوُنِ إِنَّـــهُ لَهُـمْ خَـيْرَ عَـوْنٍ فِي الْحَيَـاةِ وَمُنْجِـدِ

وَقَـــالَ لَهُـــمْ إِنَّ التَّخَـــاذُلَ هَـــادِمٌ مَنَـــارَ عُلَاكُـــمْ بَاعِـــثٌ لِلتَّبَـــدُّدِ

أَلَا وَانْفُخُـوا رُوْحَ التَّفَـادِيْ بِقَـوْمِكُمْ تَفُـوْزُوا وَتَـسْتَعْلُوا عَـلَى كُـلِّ مُعْتَـدِ

وَعَــنْ رَدِّ أَهْـلِ الْبَغْـيِ لَا تَـتَرَدَّدُوا فَمَـــا أَخَّــرَ الْأَقْــوَامَ غَــيْرُ الــتَّرَدُّدِ

❒ ❒ ❒



ٱلقِسۡمُ ٱلأَوَّلُ

الصحابة الكرام ـ رضوان الله عليهم ـ

وفيه:

ـ أهل الحديث: أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

ـ أهل الحديث: عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ـ أهل الحديث: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ـ أهل الحديث: عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ـ أعلام من المسلمين: سعيد بن زيد رضي الله عنه.

ـ إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه (١).

ـ إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه (٢).

* أهل الحديث: أبو بكر الصديق رضي الله عنه[1]

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

قال الحافظ أبو عبدالله شمس الدين الذهبي في كتابه «تذكرة الحفاظ»[2] ما نصه:

«أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أفضل الأمة وخليفة رسول الله ﷺ، مؤنسه في الغار، وصديقه الأكبر، وصديقه الأشفق، ووزيره الأحزم؛ عبدالله بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي، قد أفردت سيرته في مجلد وسط، وكان أول من احتاط في قبول الأخبار؛ فروى ابن شهاب عن قَبِيصة بن ذُؤيب: أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث، فقال: ما أجد لك في كتاب الله شيئًا، وما علمت أن رسول الله ﷺ ذكر لك شيئًا. ثم سأل الناس؛ فقام المغيرة فقال: حضرت رسول الله ﷺ يعطيها السدس. فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه»[3].

---

(١) نشرت في مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، السنة السابعة، العدد (٨٠)، شعبان ١٣٩١هـ ـ ٢١ سبتمبر (أيلول) ١٩٧١م، (ص٥١ ـ ٥٧)، ثم رأيتها في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة السادسة، العدد الثالث، صفر ١٣٩٥هـ ـ مارس ١٩٧٥م، (ص١٥ ـ ٢٥) بعنوان: (أهل الحديث) (٣).

(٢) (١/ ٩ ـ ط العلمية).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٢٧٤) ـ وعنه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٥) ـ عن معمر، وابن ماجه (٢٧٢٤) من طريق يونس ـ وهو الأيلي ـ، والنسائي في «الكبرى» (٦٣٠٥) من طريق صالح ـ وهو ابن كيسان ـ و(٦٣٠٦) من طريق الأوزاعي و(٦٣٠٧ و٦٣٠٨) من طريق إسحاق بن راشد و(٦٣٠٩) من طريق شعيب ـ وهو ابن أبي حمزة ـ؛ كلهم عن ابن شهاب الزهري عن قبيصة بن ذؤيب به. =

ومن مراسيل ابن أبي مُلَيكة: أن الصِّدِّيق جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافًا؛ فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئًا، فمَن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله؛ فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه[1].

فهذا المرسل يدلُّك أن مراد الصِّدِّيق التثبت في الأخبار والتحري، لا سد باب الرواية، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب؛ كيف سأل عنه في السنة، فلما أخبره الثقة، ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر، ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج؟

وحدث يونس عن الزهري: أن أبا بكر حدث رجلًا حديثًا فاستفهمه الرجل إياه، فقال أبو بكر: هو كما حدثتك؛ أي أرض تقلني إذا أنا قلت ما لم أعلم؟![2]

وصحَّ أن الصِّدِّيق خطبهم فقال: إياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار[3].

= واختلف فيه على الزهري:

فأخرجه مالك في «الموطأ» (١٤٦١) عن ابن شهاب عن عثمان بن إسحاق بن خرشة عن قبيصة به. **وهذا أصح**؛ فقد رواه سفيان بن عيينة عن الزهري عن رجل عن قبيصة به. أخرجه الترمذي (٢١٠٠) والنسائي في «الكبرى» (٦٣١١).

وفي رواية الترمذي عن سفيان قال: حدثنا الزهري - قال مرة: قال قبيصة، وقال مرة: عن رجل - عن قبيصة بن ذؤيب.

(١) ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/ ٩)، ولم أقف عليه مسندًا.

(٢) أخرجه البيهقي في «المدخل» (٧٩١)، **وإسناده منقطع**.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٥) بلفظ: «**...فإن الكذب مجانب للإيمان**»، **وإسناده** =

وقال علي بن عاصم ـ وهو من أوعية العلم لكنه سيء الحفظ ـ: أنا[1] إسماعيل ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت أبا بكر الصديق يقول: إياكم والكذب؛ فإن الكذب مجانب الإيمان[2].

قلت: صدق الصديق، فإن الكذب رأس النفاق، وآية المنافق[3]، والمؤمن يطبع على المعاصي والذنوب الشهوانية لا على الخيانة والكذب [على الناس][4]، فما الظن بالكذب على الصادق الأمين ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ وهو القائل: «**إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيسَ كَكَذِبٍ عَلَى غَيرِي، مَن يَكذِب عَلَى نَبِيٍّ لَهُ بَيتٌ فِي النَّارِ**»[5]، وقال: «**مَن يَقُل عَلَيَّ مَا لَم أَقُل...**»[6] الحديث؛ فهذا[7] وعيد لمن نقل عن نبيه ما لم يقله مع غلبة الظن أنه ما قاله؛ فكيف حال مَن تهجم على رسول الله ﷺ وتعمد عليه الكذب وقوَّله ما لم يقل؛ وقد قال ﷺ: «**مَن رَوَى عَنِّي حَدِيثًا يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ؛ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ**»[8]، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ما ذي إلا بلية عظيمة وخطر شديد ممن

= **صحيح**، ويروى مرفوعًا؛ وهو وهم. انظر: تعليقي على «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٣٠).

(١) من «التذكرة»، وفي الأصل: «أن».

(٢) انظر: التخريج السابق.

(٣) في «صوت الجامعة»: «النفاق».

(٤) ما بين المعقوفتين من مجلة «صوت الجامعة».

(٥) أخرجه البخاري (١٢٩١) ومسلم (٩٣٣).

(٦) أخرجه البخاري (١٠٩).

(٧) في «صوت الجامعة»: «فهو».

(٨) خرجته بتطويل في كتابي «معجم شيوخ شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني» (٢/ ٧٦١). **والحديث ثابت من طرق كثيرة**؛ وخرَّجتُ اثنين منها (حديثَيْ علي وسمرة) في =

يروي الأباطيل والأحاديث الساقطة المتهم نقلتها بالكذب، فحق على المحدث أن يتـورع في ما يؤديه، وأن يسأل أهل المعرفـة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يزكي نقلة الأخبار ويجرحهم جهبذًا إلا بإدمان الطلب والفحص عن هذا الشأن، وكثرة المذاكرة والسـهر والتيقظ[1] والفهـم، مع التقوى والدين المتين والإنصاف والتردد إلى مجالس العلماء والتحري والإتقان، وإلا تفعل:

فــدع عنــك الكتابــة لــست منهــا ... ولــو ســودت وجهــك بالمــداد[2]

قال الله ـ تعالى[3] ﷻ ـ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣].

فإن آنست يا هذا من نفسك فهمًا وصدقًا ودينًـا وورعًـا؛ وإلا فـلا تـتعن، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب؛ فبالله! لا تتعب، وإن عرفت أنـك مخلط مخبط[4] مهمل لحدود الله؛ فأرحنا منك، فبعد قليل ينكشف البهرج وينكـب الزغل ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر: ٤٣] فقد نصحتك، فعلم الحديث

= تعليقي على «جزء الجويباري» (رقم ٨).

(١) من «التذكرة»، وفي الأصل: «التقيظ».

(٢) البيت في: «مرآة الزمان» (٧/ ٢٩٣).

والبيت في: «العقد الفريد» (٤/ ٢٥٣) و«أدب الكتاب» للصولي (١٧١) و«زهر الأكم» (٢/ ٢٢٣) وفيها: «ولو غرقت ثوبك في المداد».

والبيت في: «صبح الأعشى» (٢/ ٥٠٢) و«مجاني الأدب» (٢/ ١٥٩) و«شرح مقامات الحريري» (١٧١) وفيها: «ولو لطخت وجهك بالمداد».

(٣) ليست في مجلة «صوت الجامعة».

(٤) في «صوت الجامعة»: «متخبط».

صلف، فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت ألا أراهـم إلا في كتـاب أو تحـت تراب.

نعم؛ فرأس الصادقين في الأمة الصدِّيق، وإليه المنتهى في التحري في القول وفي القبول.

توفي الصديق ﷺ لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة (٦٣)».

ـ توضيحات وشروح لما تقدم:

١ ـ قوله: (مؤنسه[1] في الغار) هذه فضيلة من فضائل الصديق، خصه الله بها وذكرها في كتابه العزيز؛ قال ـ تعالى ـ في سورة التوبة (آية ٤٠): ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

قال الإمام ابن كثير في «تفسيره»[2]: يقول ـ تعالى ـ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾ أي: تنصروا رسوله؛ فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه كما تولى نصره ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ﴾ أي: عام الهجرة لـمّا همَّ المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هاربًا صحبة[3] صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة، فلجآ إلى غار ثور ثلاثـة أيام حتى يرجع الطلب الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيروا نحو

---

(١) في الأصل: «مؤنس».

(٢) (٧/ ٢٠٥ ط عالم الكتب).

(٣) في «صوت الجامعة»: «بصحبة».

المدينة، فجعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه يجزع أن يطلع عليهم أحد، فيخلص إلى الرسول ـ عليه الصلاة والسلام[1] ـ منهم أذى؛ فجعل النبي ﷺ يسكنه ويثبته، ويقول: «يَا أَبَا بَكرٍ! مَا ظَنُّكَ بِاثنَينِ الله ثَالِثُهُمَا»[2]. اهـ.

فهذه المزية مع شهادة الله له بالصحبة؛ من المناقب التي خصه الله بها.

٢ ـ قوله: (وكان أول مَن احتاط في قبول الأخبار) من المعلوم[3] أن أعداء الإسلام الأولين والآخرين حاربوا الإسلام وكادوا له، فبعضهم حاربه بوضع الأحاديث، وبعضهم حاربه بردها وعدم قبولها، وكلا الطرفين مذموم، وخير الأمور الوسط، فأهل الحق يتثبتون[4] في الرواية عن رسول الله ﷺ، ومتى صح لهم حديث عضوا عليه بالنواجذ وتلقوه بالقبول، واعتقدوه وعملوا به، وإمامهم في ذلك الصديق الأكبر، فلما جاءته الجدة تلتمس نصيبها من الميراث؛ أخبرها أن كتاب الله لم ينص على شيء من الحق لها في الميراث، ولم ينف عن النبي ﷺ أنه جعل لها حقًّا، ولكن نفى علمه بذلك وهذا شأن الأئمة المحققين المتثبتين[5]، ثم سأل أصحاب رسول الله: هل عندهم علم بأن النبي ﷺ جعل لها شيئًا؟ فلما ثبت عنده الحديث برواية عدلين؛ أعطاها حقها وهو السدس.

٣ ـ قوله: (ما ذي إلا بلية ...إلخ) إذا استمعنا إلى الخطباء في المساجد والوعاظ

---

(١) في «صوت الجامعة»: «عليه السلام».

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٥٣ و٤٦٦٣) ومسلم (٢٣٨١).

(٣) في «صوت الجامعة»: «العلوم».

(٤) في «صوت الجامعة»: «يثبتون».

(٥) في «صوت الجامعة»: «المثبين».

وما يذكرونه من الأحاديث وينسبونها إلى النبي ﷺ بدون عزو إلى مخرج[1]، ولا معرفة لصحيح أو ضعيف أو موضوع؛ رأينا العجب العجاب! هذا مع أن كتب الحديث الصحيحة ـ التي خدمها الأئمة بالشرح، وبينوا صحيحها ومعانيها ـ ميسورة، فلم يُرد الخطباء والوعاظ؛ بل والمدرسون في المعاهد الدينية أن يكلفوا أنفسهم دراسة تلك الكتب وأخذها من أهلها العارفين بها، ونقل الأحاديث منها على نور وبصيرة؛ بل أقبلوا على دواوين الخطب التي تجمع كل غث وسقيم من فضائل الأيام والشهور، فتجد عندهم لكل شهر خطبة خاصة يجمعون فيها أحاديث واهية أو موضوعة في فضل ذلك الشهر، أو يوم مخصوص منه، ولا يهمهم من شؤون الناس الذين يستمعون خطبهم إلا ذلك، وقد يذكرون خرافات وأباطيل يقطع كل من يسمعها ببطلانها، وقد اشتكى الإمام الذهبي من أهل زمانه؛ فلو عاش إلى هذا الزمان لرأى ما لم يخطر له ببال، فإلى الله المشتكى.

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم ... بعضًا ليسكت معور عن معور[2]

٤ ـ قوله: (وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأي ولمذهب؛ فبالله! لا تتعب ...إلخ) ما أصدق هذا الكلام وأحسنه؛ فإن طالب علم الحديث لا ينتفع به ويكون مع أهله إلا إذا عقد العزم على اتباع الرسول ﷺ في كل ما صح عنه،

---

(١) المهم أن يتثبت الخطيب أو المدرس من صحة الحديث، ولو لم يعزُه حال الخطابة وكان شيخنا الألباني يرى هذا، والله أعلم.

(٢) البيتان في: «ديوان علي» (ص٥٠) و«تاريخ دمشق» (١٠/ ٢١٥) و«التدوين في أخبار قزوين» (٤/ ٨٣) و«الوافي بالوفيات» (١٢/ ٥٥) و«طبقات الأولياء» (١١٨) و«بغية الوعاة» (١/ ٥٠٩) و«الكشكول» (١/ ١٥٤).

لا يمنعه من ذلك رأي كان من قبل يراه[1] أو كان يراه أستاذه، ولا مذهب ينتسب إليه؛ بل ينشد دائمًا قول القائل:

دعُوا كلَّ قولٍ غير قولِ محمد   فما آمن في دينه كمخاطر[2]

بل يجعل نصب عينيه قول الله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١].

٥ ـ قوله: (أين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدت ألا أراهم ...إلخ) هكذا يقول الإمام الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ، وكان عصره مشرقًا عامرًا بحفاظ الحديث ونقاده؛ فقد ألف الحافظ ابن حجر العسقلاني كتاب «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة»، وذكر فيه جمًّا غفيرًا من الحفاظ المحدثين، وهو أحد أئمتهم؛ فكيف بزماننا[3] هذا؟! وماذا نقول فيه أكثر من: لا حول ولا قوة إلا بالله؟!

ـ فوائد من سيرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

الأولى: ولد أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد عام[4] الفيل بسنتين وستة أشهر، وفي «الإصابة»[5] للحافظ ابن حجر أن عائشة رضي الله عنها قالت: تذاكر رسول الله ﷺ وأبو بكر ميلادهما عندي؛ فكان النبي ﷺ أكبر[6]. اهـ.

---

(١) في «صوت الجامعة»: «يراه من قبل».

(٢) البيت في: «العقد الثمين» (٢/ ٢٩٨).

(٣) في «صوت الجامعة»: «بزمننا».

(٤) سقطت من «صوت الجامعة».

(٥) (٦/ ٢٧٢ ط هجر).

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ٥٨ رقم ٢٨)، وإسناده ضعيف.

[قال محمد تقي الدين كاتب هذا المقال:] (١) ومن المعلوم أن النبي ﷺ وُلِدَ عام الفيل؛ أي: في العام الذي غزا فيه الحبش (٢) [القادمون من اليمن] (٣) مكة بالفيلة، فردَّهم الله على أعقابهم خاسرين (انظر: تفسير سورة الفيل).

الثانية: صحب النبي ﷺ قبل البعثة، وكان أول من آمن به من الرجال على الصحيح، واستمر معه طول إقامته بمكة، ورافقه في الهجرة وفي الغار، وفي المشاهد كلها إلى وفاته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكانت الراية معه يوم تبوك، وحج في الناس في حياة رسول الله ﷺ سنة تسع، واستقر خليفة بعده، ولقبه المسلمون (خليفة رسول الله ﷺ (٤))، فمن يتنقصه يريد أن يستر الشمس بالغربال؛ فهو:

كناطحٍ صخرةً يومًا ليوهنها ... فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل (٥)

وفي مثله ينشد ـ أيضًا ـ:

يا ناطح الجبل الراسي بهامته ... أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل (٦)

وما أحسن قول المتنبي:

---

(١) ما بين المعقوفتين من «صوت الجامعة».

(٢) في «صوت الجامعة»: «الحبشة».

(٣) ما بين المعقوفتين من «صوت الجامعة».

(٤) من مجلة «صوت الجامعة» فقط.

(٥) البيت للأعشى في: «ديوانه» (١٧٨).

والبيت في: «الكامل في اللغة» (٢/ ١٩٨) و«الذخيرة في محاسن الجزيرة» (٦/ ٥٥٩) و«الدر الفريد» (٤/ ١٠١) و«الجواهر والدرر» (٣/ ٩٩١) وفيها: «ليفلقها» بدل «ليوهنها».

(٦) البيت للحسين بن حميد في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١١٣).

وفي تعب من يحسد الشمس ضوءها   ويجهد أن يأتي لها بضريب[1]

الثالثة: روى أبو بكر عن النبي ﷺ، وروى عنه الجم الغفير من الصحابة والتابعين؛ منهم: عمر وعثمان وعلي ـ وهم الخلفاء بعده ـ، وعبد الرحمن بن عوف وابن مسعود وابن عمر وحذيفة وزيد بن ثابت، وخلق لا يتسع المقام لذكرهم.

الرابعة: روى سعيد بن منصور بسنده إلى[2] عائشة قالت: اسم أبي بكر الذي سماه به أهله: عبدالله، ولكن غلب عليه اسم (عتيق)[3].

الخامسة: كان أبو بكر رضي الله عنه أبيض، نحيفًا، خفيف العارضين، معروق الوجه، ناتئ الجبهة، يخضب بالحناء والكتم، والخضاب بالحناء والكتم قريب من السواد، وهو إلى السواد أقرب منه إلى الحمرة التي تنشأ عن الخضاب بالحناء، وقد صح عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بالحناء والكتم[4]، والكتم هو الذي يسمى بـ (الوسمة)، وقد قلت في ذلك شعرًا:

إِنِّي لَأَخْضِبُ بِالْحِنَّاءِ وَالْكَتَمِ   أَقْفُو بِذَلِكَ خَيْرَ الْعُرْبِ وَالْعَجَمِ
مُحَمَّدًا وَأُنَاسًا مِنْ صَحَابَتِهِ   كَانُوا مَصَابِيحَ تَجْلُو دَاجِيَ الظُّلَمِ[5]

---

(١) البيت في: «ديوان المتنبي» (ص٣١٧).

(٢) في «صوت الجامعة»: «عن».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٧٩)، وهو صحيح، وينظر تعليقي على: «الطبقات» (١/ ١٤٣) للإمام مسلم و«الأربعين المغنية» (ص٣٢٥) للعلائي.

(٤) من مجلة «صوت الجامعة» فقط.

(٥) البيتان في ديوانه المسمى «منحة الكبير المتعالي» (ص٥٣١ بتحقيقي)، وانظر هناك سبب قوله للبيتين.

السادسة: قال الحافظ في «الإصابة»[1]: وأخرج أبو يعلى بسنده إلى عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ[2] وأصحابه بفناء البيت؛ إذ جاء أبو بكر فقال النبي ﷺ: «**مَن سَرَّهُ أَن يَنظُرَ إِلَى عَتِيقٍ مِنَ النَّارِ؛ فَلْيَنظُرْ إِلَى أَبِي بَكرٍ**»[3].

---

(١) (٦/ ٢٧٣ ط هجر).

(٢) ليست في مجلة «صوت الجامعة».

(٣) أخرجه: مسلم بن الحجاج في «الطبقات» (١/ ٩٢ ـ بتحقيقي) وسعيد بن منصور ـ كما في «التبيين في أنساب القرشيين» (ص٣٠٥) لابن قدامة، ومن طريقه قاسم بن أصبغ في «مصنفه»، ومن طريقه أبو علي الجياني في «تقييد المهمل» (٣/ ١١٢٤ ـ ١١٢٥) وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/ ٢٤٤) ـ وابن جرير في «التاريخ» (٣/ ٤٢٥) وأبو يعلى في «مسنده» (٨/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ رقم ٤٨٩٩) والطبراني في «الكبير» (١/ ٥٤ رقم ١٠) وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ٩٦٤) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦١) وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ١٥٠ رقم ٥٩) من طريق صالح بن موسى الطلحي عن معاوية بن إسحاق عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين رفعته.

وإسناده ضعيف جدًّا؛ إسناد أبي يعلى فيه سويد بن سعيد وهو ضعيف، وشيخه صالح بن موسى متروك الحديث.

ولهذا قال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٤٠) بعد عزوه لأبي يعلى: «وفيه صالح بن موسى بن طلحة؛ وهو ضعيف».

وضعَّفه البوصيري ـ أيضًا ـ كما في «المطالب العالية» (٤/ ٣٦ رقم ٣٨٩٦).

وصحَّحه الحاكم، وتعقَّبه الذهبي بقوله: «قلت: صالح ضعَّفوه، والسند مظلم».

ونحو الحديث عند: الترمذي (٣٦٧٩) والطبراني في «الكبير» (١/ ٥٣ رقم ٩) والحاكم (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٦) والبلاذري في «أنساب الأشراف» (ص١٧ ـ أخبار الشيخين) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٦٩ ـ ١٧٠) من طريقين عن إسحاق بن يحيى ابن طلحة عن عمه إسحاق بن طلحة عن عائشة به. =

السابعة: قال الحافظ[1]: وقال ابن إسحاق[2]: كان أبو بكر مؤلفًا لقومه، محببًا سهلًا، وكان تاجرًا ذا خلق ومعروف، وكانوا يألفونه لعلمه وتجاربه، وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به، فأسلم على يديه عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف. اهـ.

قال الحافظ[3]: وأخرج أبو داود في «الزهد»[4] **بسند صحيح** عن هشام بن عروة: أخبرني أبي قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألف درهم، وأخبرتني عائشة أنه مات وما ترك دينارًا ولا درهمًا.

= وقال عقبه: «هذا حديث غريب [وقد روى بعضهم هذا الحديث عن معن؛ فقال: عن موسى بن طلحة عن عائشة]».

وسقط ما بين المعقوفتين من نسخة «الترمذي» بتحقيق عطوة عوض، واستدركته من «تحفة الأشراف» (١١/ ٣٤٩ـ ٣٥٠).

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٧٦) من طريق عبدالله بن وهب قال: أخبرني إسحاق بن يحيى عن عيسى بن طلحة بن عبيدالله قال: دخلتُ على عائشة... وذكر نحوه، وقال: «صحيح على شرط مسلم»!

وأشار الذهبي إلى ردِّه عليه بقوله: «كذا قال»!

وردُّه ظاهر؛ لأن إسحاق بن يحيى ـ مع ضعفه ـ ليس من رجال مسلم!

قلت: واضطرب فيه، ورواه مرة أخرى عن عمه إسحاق بن طلحة، وأخرجه أبو علي الجياني في «تقييد المهمل» (٣/ ١١٢٥ ـ ١١٢٦).

(١) في «الإصابة» (٦/ ٢٧٥).

(٢) في «السيرة» (١٢٠ ـ ١٢١).

(٣) في «الإصابة» (٦/ ٢٧٥).

(٤) برقم (٣٥)، والشطر الأول إسناده منقطع، وشطره الثاني صحيح.

الثامنة: قال الحافظ[1]: وأخرج يعقوب بن سفيان في «تاريخه»[2] بسنده إلى هشام عن أبيه قال: أسلم أبو بكر وله أربعون ألفًا؛ فأنفقها في سبيل الله، وأعتق سبعة كلهم يعذب في الله: أعتق بلالًا، وعامر بن فهيرة، ونذيرة، والنهدية وابنتها، وجارية بني المؤمل، وأم عبيس.

التاسعة: قال الحافظ[3]: وأخرج الدارقطني في «الأفراد»[4] من طريق أبي

---

(١) في «الإصابة» (٦/ ٢٧٦).

(٢) كما في «الإصابة» (٦/ ٢٧٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٦٧)، **وإسناده منقطع**؛ فوالد هشام هو عروة بن الزبير لم يدرك أبا بكر.

(٣) في «الإصابة» (٦/ ٢٧٦).

(٤) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٧٥) من طريق عمر بن يزيد عن أبي إسحاق به.

قال الدارقطني: «هذا حديث غريب من حديث أبي إسحاق السبيعي عن أبي يحيى حكيم بن سعد ـ في المطبوع: سعيد ـ، تفرَّد به عمر بن يزيد».

قلت: وعمر بن يزيد المدائني متروك، و«أفراد الدارقطني» ناقص، ومنه قطع، ويوجد في مكتبة البساطي كاملًا بترتيب نور الدين الهيثمي، وسجل لنيل الدكتوراه في الجامعة الإسلامية.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ٥٥ رقم ١٤) من طريق محمد بن سليمان العبدي عن هارون بن سعد عن عمران بن ظبيان عن أبي يحيى حكيم بن سعد به نحوه. **وإسناده مظلم**.

محمد بن سليمان وهارون بن سعد مجهولان، وعمران بن ظبيان الكوفي ضعيف.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٢) من وجه آخر عن علي، **وإسناده واهٍ؛ فيه العلاء** ابن هلال الرقي منكر الحديث، روى أحاديث موضوعة.

إسحاق عن أبي يحيى قال: لا أحصي كم سمعت عليًا يقول على المنبر: إن الله ﷻ سمَّى أبا بكر على لسان نبيه ﷺ صدِّيقًا.

انتهى مستفادًا من «الإصابة».

ـ فوائد أخرى من «الاستيعاب»[1] للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر ـ رحمه الله ـ:

الأولى: كان اسمه في الجاهلية: عبد الكعبة، فسماه رسول الله ﷺ عبدالله[2]،

---

(١) (٣/ ٩٦٣ ط البجاوي).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (رقم ٢١٧١ ـ «موارد») وابن الأعرابي في «المعجم» (٢/ ٤١) والدولابي في «الكنى والأسماء» (١/ ٧) ومن طريقه أبو علي الجياني في «تقييد المهمل» (٣/ ١١٢٣) والطبراني في «الكبير» (١/ ٥٣ رقم ٧) والبزار ـ كما في «المجمع» (٩/ ٤٠) ـ وأبو الخطاب نصر القاري في «حديث أبي بكر بن طلحة» (ورقة ١٦٥/ أ) وهبة الله الطبري في «الفوائد الصحاح» (١/ ١٣٤/ ١ ـ ٢) وابن عساكر في «حديث عبد الخلاق الهروي وغيره» (ورقة ٢٣٥/ ١) وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١/ ١٥٢ ـ ١٥٣ رقم ٦١) من طرق عن حامد بن يحيى: حدثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن سعد عن عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه.

وقال الطبري: «حديث غريب من حديث سفيان مسندًا، لا أعلم رواه عنه غير حامد بن يحيى البلخي».

وهو صدوق. قاله أبو حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٢/ ٣٠١)، وروى عنه أبو زرعة، وهو لا يروي إلا عن ثقة.

فالسند جيد؛ لأن من فوقه كلهم من رجال الشيخين، قاله شيخنا الألباني في «الصحيحة» (١٥٧٤).

قال أبو عبيدة: ثم تبيَّن لي أن أبا زرعة هو الدمشقي، صرح به أبو علي الجياني في «تقييد المهمل» (٣/ ١١٢٤) وقبله ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/ ٢٤٤) والذي =

هذا قول أهل النسب: الزبيري وغيره.

الثانية: قال فيه حسان بن ثابت[1] يمدحه:

إِذَا تَـذَكَّرْتَ شَـجْوًا مِـنْ أَخِـيْ ثِقَـةٍ ... فَـاذْكُرْ أَخَـاكَ أَبَـا بَكْـرٍ بِمَـا فَعَـلَا

خَـيْرُ الْبَرِيَّـةِ أَتْقَاهَـا وَأَعْـدَلُهَا ... بَعْـدَ النَّبِـيِّ وَأَوْفَاهَـا بِمَـا حَمَـلَا

وَالثَّـانِيَ التَّـالِيَ الْـمَحْمُوْدُ مَـشْهَدُهُ ... وَأَوَّلَ النَّاسِ طُـرًّا[2] صَـدَّقَ الرُّسُـلَا

وَثَانِيَ اثْنَـيْنِ فِي الْغَـارِ الْـمُنِيْفِ وَقَـدْ ... طَـافَ الْعَـدُوُّ بِـهِ إِذْ صَـعَّدُوا الْجَـبَلَا

وَكَـانَ حِـبَّ رَسُـوْلِ اللهِ قَـدْ عَلِمُـوْا ... خَـيْرُ الْبَرِيَّـةِ لَمْ يَعْـدِلْ بِـهِ رَجُـلَا

وقال فيه أبو محجن الثقفي:

وَسُـمِّيْتَ صِـدِّيْقًا وَكُـلُّ مُهَـاجِرٍ ... سِـوَاكَ يُـسَمَّى بِاسْـمِهِ غَـيْرَ مُنْكِـرِ

سَـبَقْتَ إِلَى الْإِسْـلَامِ وَاللهُ شَـاهِدٌ ... وَكُنْـتَ جَلِيْـسًا بِـالْعَرِيْشِ الْـمُـشْهَرِ

وَبِالْغَـارِ إِذْ سُـمِّيْتَ بِالْغَـارِ صَـاحِبًا ... وَكُنْـتَ رَفِيْقًـا لِلنَّبِـيِّ الْـمُطَهَّرِ[3]

قولـه: (وكنـت جليسًـا بالعريـش المشهر) يعنـي: أن أبـا بكر كان يحرس النبـي ﷺ في العريـش الذي جعـل لـه في غـزوة بدر[4]، فرافقـه في العريش كما

= لا يروي إلا عن ثقة هو الرازي، انظر: كتابي «البيان والإيضاح شرح نظم العراقي للاقتراح» (١٩٦).

(١) «ديوانه» (١٧٩).

(٢) في «الوعي الإسلامي»: «من»، وفي «صوت الجامعة»: «ممن»، والمثبت من «الديوان».

(٣) «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤١٧)، «الوافي بالوفيات» (١٧/ ١٦٤).

(٤) أخرجـه الأموي ـ صـاحب «المغازي» ـ كما في «البدايـة والنهايـة» (٥/ ١٢٦) من =

رافقه في الغار.

[الثالثة: سُمِّيَ الصدِّيق (صدِّيقًا) لمبادرته لتصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به.][1].

الرابعة[2]: قال أبو عمر: قال ﷺ: «**مَا نَفَعَنِي مَالٌ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكرٍ**»[3] معناه: ما نفعني مال مثل ما نفعني مال أبي بكر؛ لأن (ما) الأولى نافية، والثانية مصدرية.

الخامسة[4]: قال أبو عمر: قال رسول الله ﷺ: «**دَعُوا لِي صَاحِبِي** ـ أي: أبا بكرٍ ـ؛ **فَإِنَّكُم قُلْتُم لِي: كَذَبتَ! وَقَالَ: صَدَقتَ!**»[5].

وقال رسول الله ﷺ في كلام البقرة والذئب: «**آمَنتُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ**»[6].

[**قال كاتب هذا المقال:**][7] ومعنى ذلك: أن النبي ﷺ أخبر أصحابه أن بقرة تكلمَتْ، وأن ذئبًا تكلم، ثم قال لهم: «**آمَنتُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ**»؛ فشهد لهما

= حديث عبدالله بن ثعلبة بن صُعير، وإسناده حسن.

(١) ما بين المعقوفتين من «صوت الجامعة» فقط.

(٢) في «الوعي الإسلامي»: «الثالثة».

(٣) خرجته بتطويل في تعليقي على «المجالسة» (١/ ٤٦٩)، وهو صحيح.

(٤) في «الوعي الإسلامي»: «الرابعة».

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٦١ و٤٦٤٠) من حديث أبي الدرداء.

(٦) أخرجه البخاري (٣٤٧١ و٣٦٦٣ و٣٦٩٠)، وانظر: كتابي «من قصص الماضين في حديث سيد المرسلين» (ص٣٥٢).

(٧) ما بين المعقوفتين من «صوت الجامعة» فقط.

بتصديقه في ما أخبر به من هذا الأمر الخارق للعادة، وهذه منقبة لهما، فويل لمن يعاديهما ويجحد فضلهما؛ إنه من[1] الخاسرين.

السادسة[2]: قال أبو عمر: قال عمرو بن العاص: يا رسول الله! مَن أحب الناس إليك؟ قال: «**عائشة**»، قلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**»[3].

وروى مالك: عن سالم بن أبي النضر، عن عبيد بن حنين، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِن أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكرٍ، وَلَو كُنتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذتُ أَبَا بَكرٍ خَلِيلًا، وَلَكِن أُخُوَّةُ الإِسلَامِ، لَا تَبقَيَنَّ فِي المَسجِدِ خَوخَةٌ إِلَّا خَوخَةُ أَبِي بَكرٍ**»[4].

السابعة[5]: قال أبو عمر: روى سفيان بسنده إلى أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنهم قالوا لها: ما أشد ما رأيت المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان المشركون قعودًا في المسجد الحرام، فتذاكروا رسول الله ﷺ وما يقول في آلهتهم، فبينما هم كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ المسجد؛ فقاموا إليه، وكانوا إذا سألوه عن شيء صدقهم، فقالوا: ألستَ تقول في آلهتنا كذا وكذا؟ قال: «**بَلَى**»، قال: فتشبثوا به بأجمعهم، فأتى الصريخ إلى أبي بكر، فقيل له: أدرك صاحبك! فخرج أبو بكر حتى دخل المسجد؛ فوجد رسول الله ﷺ والناس مجتمعون

---

(١) في «صوت الجامعة»: «لمن».

(٢) في «الوعي الإسلامي»: «الرابعة».

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٢ و٤٣٥٨) ومسلم (٢٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٤).

(٥) في «الوعي الإسلامي»: «الخامسة».

عليه؛ فقال: ويلكم! ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[غافر: ٢٨].

قال: فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر يضربونه! قالت: فرجع إلينا، فجعل لا يمس شيئًا من غدائره إلا جاء معه وهو يقول: تباركت يا ذا الجلال والإكرام[١].

الثامنة[٢]: قال أبو عمر: وروينا من وجوه عن أبي أمامة الباهلي قال: حدثنا عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو نازل بعكاظ؛ فقلت: يا رسول الله! مَن اتبعك على هذا الأمر؟ قال: «**حُرٌّ وَعَبدٌ: أَبُو بَكرٍ وَبِلَالٌ**»، قال: فأسلمت عند ذلك[٣]. اهـ.

التاسعة[٤]: أجمع أصحاب رسول الله ﷺ على مبايعته بالخلافة لما ظهر لهم من أمارات تدل دلالة قاطعة على أن النبي ﷺ ارتضاه للخلافة بما تقدم من كونه أحب الناس إليه، وتقديمه للصلاة بالناس.

وروى أبو عمر بسنده إلى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أَتَتِ امرأةٌ

---

(١) أخرجه الحميدي (٣٢٦) وأبو يعلى (٥٢) وسعيد بن منصور (٢٨٩٩) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١)، وانظر: «المطالب العالية» (٤٢٢٨) و«إتحاف الخيرة المهرة» (٦٣٤٧).

وأخرجه البخاري (٣٦٧٨ و٣٨٥٦ و٤٨١٥) عن عبدالله بن عمرو، وفي الباب عن غيره.

(٢) في «الوعي الإسلامي»: «السادسة».

(٣) أخرجه مسلم (٨٣٢)، وانظر: تعليقي على «الخلافيات» للبيهقي (١/ ٤٨٢).

(٤) في «الوعي الإسلامي»: «السابعة».

إلى رسول الله ﷺ فسألته عن شيء؛ فأمرهـا أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله! أرأيـت إنْ جئـت فلم أجـدك ـ تعنـي: الموت ـ؟ فقال لهـا رسول الله ﷺ: «**إِن لَمْ تَجِدِينِي؛ فَأْتِي أَبَـا بَكرٍ**»[1]، قال الشافعي: في هذا الحديث دليل على أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر.

العاشرة[2]: قال أبو عمر بسنده ـ ذكره ـ عن عبدالله بن زمعة بن الأسود قال: كنت عند رسول الله ﷺ وهـو عليل، فدعاه بلال إلى الصلاة فقال لنا: «**مُرُوا مَن يُصَلِّي بِالنَّاسِ**»، قال[3]: فخرجت فإذا عمر في الناس، وكان أبو بكر غائبًا؛ فقلت: قُمْ يا عمر فصلِّ بالناس. فقام عمر، فلما كبَّر سـمع رسول الله ﷺ صوته ـ وكان مجهرًا ـ، فقال رسول الله ﷺ: «**فَأَيْنَ أَبُو بَكرٍ؟! يَأْبَى الله ذَلِكَ وَالـمُسلِمُونَ**»، فبعث إلى أبي بكر، فجاء بعـد أن صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس طول علته حتى قُبِضَ رسول الله ﷺ[4]، وهذا ـ أيضًا ـ واضح في ذلك.

[**قال محمد تقي الدين:**][5] ومناقب أبي بكر رضي الله عنه أكثر من أن يتسع لها هـذا المقال، والمقصود هنا أنه رضي الله عنه هو أول أهل الحديث بعد رسول الله ﷺ، نسأل الله أن يجعلنا منهم، وينفعنا بمحبتهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري (٣٦٥٩ و٧٢٢٠ و٧٣٦٠).

(٢) في «الوعي الإسلامي»: «الثامنة».

(٣) ليست في مجلة «صوت الجامعة».

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٦١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١١٩٤) والآجري في «الشريعة» (١٢٩٤).

(٥) ما بين المعقوفتين من «صوت الجامعة» فقط.

* أهل الحديث: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[1]

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

ـ مولده ونسبه:

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتاب «الاستيعاب»[2]: «ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة»، وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»[3]: «إنه ولد بعد الفجار الأعظم بأربع سنين، وذلك قبل المبعث النبوي بثلاثين سنة»، ورواية ابن عبد البر أوضح، وعليها يكون النبي ﷺ أسن من عمر بن الخطاب بثلاث عشرة سنة.

فأما نسبه: فهو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي، أبو حفص، وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية؛ قاله الحافظان ابن عبد البر وابن حجر، وقال ابن هشام: «وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة، وعلى هذا تكون أمه أخت أبي جهل بن هشام بن المغيرة».

وقال أبو عمر بن عبد البر: «وقالت طائفة في أم عمر: حنتمة بنت هشام ابن المغيرة، ومَن قال ذلك فقد أخطأ، ولو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل ابن هشام بن المغيرة؛ وليس كذلك، وإنما هي ابنة عمه؛ فإن هاشم بن المغيرة وهشام بن المغيرة أخوَان، فهاشم والد حنتمة أم عمر، وهشام والد الحارث وأبي

(١) نشرت في مجلة «الوعي الإسلامي» الكويتية، السنة السابعة، العدد (٨٣)، ذو القعدة ١٣٩١هـ ـ ديسمبر ١٩٧١م، (ص٥٢ ـ ٦٣).

(٢) (٣/ ١١٤٥).

(٣) (٧/ ٣١٢).

جهل، وهاشم بن المغيرة هذا جد عمر لأمه، كان يقال له: ذو الرمحين».

ـ صفته الخلقية:

قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»[1]: «وأخرج ابن أبي الدنيا **بسند صحيح** عن أبي رجاء العطاردي قال: كان عمر طويلًا جسيمًا، أصلع أشعر، شديد الحمرة، كثير السبلة في أطرافها صهوبة، وفي عارضيه خفة»[2].

وروى يعقوب بن سفيان في «تاريخه»[3] **بسند جيد** إلى زر بن حبيش قال: رأيت عمر أعسر أصلع آدم، قد فرع الناس كأنه على دابة. قال: فذكرت هذه القصة لبعض ولد عمر؛ فقال: سمعنا أشياخنا يذكرون أن عمر كان أبيض، فلما كان عام الرمادة ـ وهي سنة المجاعة ـ ترك أكل اللحم والسمن، وأدمن أكل الزيت حتى تغير لونه، وكان قد احمر فشحب لونه.

وروى الدينوري في «المجالسة»[4] عن الأصمعي عن شعبة عن سماك: كان عمر أروح كأنه راكب والناس يمشون، والأروح: الذي يتدانى عقباه إذا مشى.

وأخرج ابن[5] سعد[6] بسند فيه الواقدي: كان عمر يأخذ أذنه اليسرى

---

(١) (٧/ ٣١٣ـ٣١٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٧٠) **بسند صحيح**.

ولم أجده في «مصنَّفات ابن أبي الدنيا» المطبوعة.

(٣) (٣/ ٣٨٨ ط مكتبة الدار).

(٤) (٢/ ٥٠ ـ بتحقيقي)، وانظر تخريجي له هناك.

(٥) سقطت من الأصل.

(٦) في «طبقاته» (٣/ ٢٩٣ ط صادر).

بيده اليمنى ويجمع جراميزه ويثب على فرسه فكأنما خلق على ظهره[1]».

وقال الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب»[2]: «وكان آدم شديد الأدمة، طوالًا، كثَّ اللحية، أعسر أيسر، يخضب بالحناء والكتم».

نكتفي بهذا القدر من صفة خلقه ـ بفتح الخاء ـ وفيها ألفاظ تحتاج إلى توضيح ليعم النفع القراء كلهم قويهم وضعيفهم:

الفجار: قال في «اللسان»[3]: «قال الجوهري: الفجار يوم من أيام العرب، وهي أربعة أفجرة كانت بين قريش ومن معها من كنانة، وبين قيس عيلان في الجاهلية، وكانت الدبرة على قيس، وإنما سمت قريش هذه الحرب (فجارًا)؛ لأنها كانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيها قالوا: قد فجرنا. فسميت (فجارًا)».

والصهوبة: حمرة شعر الرأس واللحية.

والأعسر: هو الذي يشتغل بيده اليسرى، والأعسر اليسر: هو الذي يشتغل بيديه جميعًا، وقد روي أن عمر كان كذلك.

والأدمة: الحمرة، وهي حمرة ناشئة عن بياض؛ لأنه جاء في وصف عمر أنه كان أبيض.

وقوله: (**فرع الناس**) أي: كان أطول منهم.

وقوله: (**كأنه على دابة**) أي: إذا مشى مع القوم فكأنه راكب لطول قامته.

---

(١) انظر تخريجي له في: «المجالسة» (٣/ ١٩٢ ـ ١٩٣)، وأوردتُ له شواهد.

(٢) (٣/ ١١٤٦).

(٣) (٥/ ٤٨).

شحب لونه: شحُب اللون كـ (كرُم)، وشحَب كـ (منع): تغير لونه من هزال أو عمل أو جوع أو سفر.

وهذا من مناقب عمر التي لا يتصف بها إلا خليفة نبي؛ لأن المجاعة في العادة لا تصيب إلا عامة الناس، أما الرؤساء فلا يجوعون، وعمر ﷺ فضل الجوع وترك الطيبات من الطعام عند قلته إيثارًا للعامة على نفسه، رحمه الله ورضي عنه، فويل لـمَن يتنقصه من المبتدعين الضالين.

قوله: **(سعد)** لعل الصواب: ابن سعد.

وجراميزه: ثيابه، ويدل ذلك على أن عمر كان رياضيًّا، قوي الجسم؛ لأن ركوب الخيل بالصفة المذكورة لا يتأتى إلا لقليل من مهرة الرياضيين، وفي ذلك دليل على أن المسلم ينبغي له أن يكون قوي البدن مرتاضًا، قال الله ـ تعالى ـ في سورة البقرة في قصة طالوت حين قال بنو إسرائيل لنبي لهم: ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾، فأخبرهم أن الله ـ سبحانه ـ بعث لهم طالوت ملكًا، فقالوا: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ﴾، فظنوا لجهلهم أن الملك خاص بالأغنياء، فرد عليهم نبيهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[البقرة: ٢٤٧].

فالملك لا يكون أهلًا للملك بسبب ثروته وكثرة ماله، ولكن لقوة جسمه وعلمه وتقواه؛ فإن مال الدولة يكون بيده وهو الذي يقسمه طبقًا لما أمر الله به أن يقسم، فما حاجته إلى المال؟ وهكذا قال العرب أهل مكة: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾[الزخرف: ٣١]؛ فرد الله عليهم بقوله: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ﴾[الزخرف: ٣٢]، فظنوا لجهلهم أن النبوة لما كانت الرئاسة ملازمة لها لا تكون

إلا لمن كان غنيًّا كثير المال.

وقوة الجسم والرياضة البدنية من السنة التي اتصف بها الأنبياء، ولنبينا محمد ﷺ الحظ الأوفر من ذلك؛ فقد ثبت في «صحيح البخاري» أنه سابق عائشة أم المؤمنين فسبقته، فلما ثقل جسمها باللحم سابقها مرة أخرى فسبقها وقال لها: «**هَذِهِ بِتِلْكَ**»[1].

وقوله: (**يخضب بالحناء والكتم**) ذكر الحافظ في «الفتح»[2] عن جماعة من الصحابة أنهم كانوا يخضبون بهما[3]، وقد جاء مثل ذلك عن النبي[4]، وقلتُ في ذلك شعرًا:

إني لأخْضِبُ بالحِنَّاء والكَتَمِ	**أقْفُو بذَلِكَ خيرَ العُرْبِ والعَجَمِ**
مُحَمَّدًا وأناسًا من صَحَابَتِهِ	**كَانُوا مصابيحَ تَجْلُو دَاجِيَ الظُّلَمِ**[5]

والكتم: يسمى بالعامية العراقية: (الوسمة)، وهو نبات شديد الخضرة، وصفة الخضاب بها: أن يخضب الرأس أو اللحية أو هما معًا بالحناء، ويبقى ثلاث ساعات، ثم يغسل الشعر غسلًا جيدًا، ويخضب بالكتم، وبعد ساعة يغسل الشعر؛ فيصير أسود.

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٥٧٨) والنسائي (٨٩٤٥) وأحمد (٢٦/ ١٧٧) وغيرهم، وإسناده صحيح.

(٢) (١٠/ ٣٥٢).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٥٤) من قول أنس: «أنَّ أبا بكر خضب لحيته بالحناء والكتم، وأنَّ عمر خضب لحيته بالحناء فردًا».

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٩٦) من حديث أم سلمة؛ وإسناده صحيح.

(٥) سبق توثيقه.

ـ صفته الخلقية:

قال الحافظ الذهبي في «تذكرة الحفاظ»[1]: «أبو حفص العدوي الفاروق وزير رسول الله ﷺ ومن أيد الله به الإسلام وفتح به الأمصار، وهو الصادق المحدث الملهم الذي جاء عن المصطفى ﷺ أنه قال: «**لَو كَانَ بَعدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرَ**»[2]، الذي فر منه الشيطان[3] وأعلى به الإيمان[4] وأعلن الأذان[5].

قال نافع بن أبي نعيم: عن نافع عن ابن عمر قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلبِهِ...**»[6].

وأين مِثل أبي حفص؟ فما دار الفلك على مثل شكل عمر، هو الذي سنَّ للمحدثين التثبت». انتهى.

---

(١) (١/ ١١ ط العلمية).

(٢) خرجته بتطويل في تعليقي على «المجالسة» (٢/ ٨٦ ـ ٩٠)، وانظر: «إعلام الموقعين» (٦/ ١٠ ـ بتحقيقي) و«الأربعين المغنية» (ص٣٣٨ ـ بتحقيقي)، وهو حسن.

(٣) يريد: حديث النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ! مَا لَقِيَكَ الشَّيطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيرَ فَجِّكَ**».

أخرجه البخاري (٣٢٩٤ و٣٦٨٣ و٦٠٨٥) ومسلم (٢٣٩٦).

(٤) كقول ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زلنا أعزَّة منذ أسلم عمر».

أخرجه البخاري (٣٦٨٤ و٣٨٦٣)، وسيأتي عند المصنِّف.

(٥) يريد قول عمر رضي الله عنه: «أوَلَا تبعثون رجلًا ينادي بالصلاة؟». فقال رسول الله ﷺ: «**يا بلال! قم فنادِ بالأذان**». وذلك وقت الاختلاف في كيفية المناداة بالأذان.

أخرجه البخاري (٦٠٤) ومسلم (٣٧٧) من حديث ابن عمر.

(٦) خرجته بتطويل في تعليقي على «المجالسة» (٢/ ٥٦ ـ ٦٨)، وانظر: «إعلام الموقعين» (٦/ ٨ ـ بتحقيقي) و«الأربعين المغنية» (ص٣٣٨ ـ بتحقيقي)، وهو صحيح.

وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب»[1] ما نصه:

«قال الزبير: وكان عمر بن الخطاب ﷺ من أشراف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وذلك أن قريشًا كانت إذا وقعت بينهم حرب، أو بينهم وبين غيرهم؛ بعثوا سفيرًا، وإن نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر؛ رضوا به ولقبوه منافرًا أو مفاخرًا».

- إسلامه:

قال ابن إسحاق[2]: «وكان إسلام عمر - فيما بلغني - أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قد أسلمت، وأسلم زوجها سعيد بن زيد، وهما مستخفيان بإسلامهما خوفًا من عمر، وكان نعيم بن عبدالله النحام - رجل من قومه من بني عدي بن كعب - قد أسلم، وكان - أيضًا - يستخفي بإسلامه فرقًا من قومه، وكان خباب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن، فخرج عمر يومًا متوشحًا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطًا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، وكان مع رسول الله ﷺ عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين ﷺ فيمن أقام مع رسول الله ﷺ بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى أرض الحبشة، فلقيه نعيم بن عبدالله فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدًا هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله.

فقال له نعيم: والله! لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر! أترى بني عبد

---

(١) (٣/ ١١٤٥).

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٦٧ ط البابي الحلبي).

مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدًا؟ أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأي أهـل بيتي؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو، وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد ـ والله! ـ أسلما وتابعا محمدًا على دينـه، فعليك بهما.

قال: فرجع عمر عامدًا إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت معه صـحيفة فيها سورة طه يقرئهما إيَّاها؛ فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم، أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخـذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما، فلما دخل قـال: مـا هـذه الهيمنة التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئًا، قال: بلى والله! لقد أخبرت أنكـما تابعتما محمدًا على دينه. وبطش بختنه سعيد بن زيد، فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها؛ فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنـه: نعم قد أسلمنا، وآمنا بالله ورسوله، فاصنع ما بدا لك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع؛ فارعوى، وقال لأختـه: أعطني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤون آنفًا أنظر ما هذا الذي جاء به محمـد. وكان عمر كاتبًا، فلما قال ذلك؛ قالت له أخته: إنا نخشاك عليها. قال لهـا: لا تخـافي. وحلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها، فلما قال طَمِعَتْ في إسلامه وأعطته الـصحيفة وفيها ﴿طه﴾ فقرأها، فلما قرأ منها صدرًا قال: ما أحسن هذا الكلام! «فلما سـمع ذلك خباب خرج إليه فقال له: يا عمر! والله! إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه؛ فإني سمعته أمس وهو يقول: «**اللَّهُمَّ أَيِّدِ الإِسلاَمَ بِأَبِي الـحَكَمِ بنِ هِـشَامٍ أَو بِعُمَرَ بنِ الـخَطَّابِ**»؛ فالله الله يا عمر! فقال له عند ذلك عمر: فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه؛ فأسلم. فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا معه فيـه نفـر

من أصحابه. فأخذ عمر سيفه، فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فنظر من خلل الباب، فرآه متوشحًا السيف، فرجع إلى رسول الله ﷺ وهو فزع فقال: يا رسول الله! هذا عمر بن الخطاب متوشحًا السيف. فقال حمزة بن عبد المطلب: فَأْذَن له؛ فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له، وإن كان جاء يريد شرًّا قتلناه بسيفه. فقال رسول الله ﷺ: «**ائْذَن لَهُ**»؛ فأذن له الرجل، ونهض إليه رسول الله ﷺ حتى لقيه في الحجرة، فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه، ثم جبذه به جبذة شديدة، وقال: «**مَا جَاءَ بِكَ يَا ابنَ الخَطَّابِ؟! فَوَاللهِ! مَا أَرَى أَن تَنتَهِي حَتَّى يُنزِلَ الله بِكَ قَارِعَةً**»، فقال عمر: يا رسول الله! جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله. قال: فكبَّر رسول الله ﷺ تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله ﷺ أن عمر قد أسلم؛ فتفرق أصحاب رسول الله ﷺ من مكانهم، وقد عزُّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم[1]».

وذكر ابن هشام[2] عن ابن إسحاق في سبب إسلام عمر قصةً أُخرى أختصرها فيما يلي:

قال عمر: كنت أحب الخمر وأشربها في الجاهلية، وكان لي رفقاء ينادمونني على شرب الخمر، وكان لنا مجلس معلوم نجلس فيه كل ليلة نشرب الخمر، فذهبت ليلة إلى المجلس فلم أجد منهم أحدًا، فقصدت حانة لخمار مكة لأشرب فلم

---

(١) أخرجه عبدالله في «زوائد فضائل الصحابة» (٣٧١) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٨) من حديث أم عبدالله بنت أبي حثمة؛ وإسناده ضعيف.

(٢) في «سيرته» (١/ ٣٧١).

أجده، فقصدت الكعبة لأطوف بها سبعًا أو سبعين، فرأيت رسول الله ﷺ قائمًا يصلي بين الركنين ركن الحجر الأسود والركن اليماني، مستقبلًا الشام جاعلًا البيت بينه وبين قبلته، فأردت أن أستمع لقراءته دون أن يعلم بمكاني، فجئت الكعبة من قبل الحجر، فدخلت تحت كسوتها، وأخذت أمشي بين جدارها وثوبها حتى قمت في قبلته مستقبلًا له وهو لا يراني ولا يعلم بوجودي.

فلما سمعت القرآن رقَّ قلبي له حتى بكيت، فلما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته انصرف إلى بيته فتبعته حتى أدركته في الطريق، فلما سمع رسول الله ﷺ حسي عرفني، فظن أني تبعته لأوذيه؛ فنهمني ـ أي: زجرني ـ، ثم قال: «**مَا جَاءَ بِكَ يَا ابنَ الخَطَّابِ هَذِهِ السَّاعَةَ؟!**»، فقلت: جئت لأومن بالله وبرسوله ﷺ. ومسح صدري ودعا لي بالثبات.

وإذا أردنا أن نجمع بين القصتين نقول: إن القصة الأولى سابقة للثانية، وأن عمر حين قرأ الصحيفة في بيت أخته مال قلبه إلى الإسلام، ولكن أراد أن يسمع من النبي ﷺ القرآن؛ فاحتال لذلك حتى سمعه منه فازداد يقينًا وأسلم في تلك الليلة، ثم قصد بعد ذلك دار الأرقم التي عند الصفا وأعلن إسلامه.

ويؤيد ذلك ما روى ابن إسحاق في «السيرة»[(1)]: «عن أم عبدالله بن عامر بن ربيعة بنت أبي حثمة قالت: والله! إنا لنرحل إلى أرض الحبشة وقد ذهب عامر ـ أي: زوجها ـ في بعض حاجاتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف عليَّ وهو على شركه. قالت: وكنا نلقى منه البلاء؛ أذى لنا، وشدة علينا. قالت: فقال: إنه للانطلاق يا أم عبدالله؟ قالت: فقلت: نعم والله! لنخرجن في أرض الله ـ آذيتمونا وقهرتمونا ـ حتى يجعل الله لنا فرجًا. قالت: فقال: صحبكم الله. ورأيت له رقَّةً لم أكن أراها، ثم

---

(١) (ص١٨١).

انصرف وقد أحزنه ـ فيما أرى ـ خروجنا، قالت: فجاء عامر بحاجته تلك، فقلت له: يا أبا عبدالله! لو رأيتَ عمر آنفًا ورقته وحزنه علينا. قال: أَطمعتِ في إسلامه؟ قالت: نعم. قال: فلا يسلم الذي رأيتِ حتى يسلم حمار الخطاب! قالت: يأسًا منه لِـمَا كان يرى من غلظته وقسوته على أهل الإسلام».

ومن ذلك يظهر لنا أن إسلام عمر لم يكن فجأة؛ فإنه من المستبعد في طباع البشر أن يكون الرجل على دين متعصبًا له أشد التعصب، ويرى دينًا جديدًا فيحاربه أشد المحاربة، ثم ينتقل من الدين الأول إلى الثاني فجأةً بدون أن يتقدم انتقاله فترة تردد وتأمل، وهذا مشاهد معروف عند مَن خبر أحوال المنتقلين من دين إلى دين.

ومما يناسب ذلك: أني كنت في برلين الغربية سنة أربع وخمسين وتسع مئة وألف بتأريخ النصارى؛ فقصدت الجامع لصلاة الجمعة وهو في القسم الغربي، وكنت أعرفه وأصلي فيه حين كنت طالبًا ومدرسًا هناك من سنة تسع وثلاثين إلى سنة اثنتين وأربعين بالتأريخ المذكور، فلما رآني الإمام دعاني لأصلي بهم الجمعة، وبعد الفراغ من الصلاة قام وخطبهم هو باللغة الجرمانية، ثم أخذنا نتجاذب أطراف الأحاديث، فرأيت رجلًا حسن الإصغاء لكل حديث يدور، حسن السمت، تظهر عليه الرغبة في الازدياد من علوم الإسلام ويكثر الأسئلة؛ فقلت له: يا أخي! تسمح لي أن أسألك: منذ كم سنة أسلمتَ؟ فقال لي: لم أسلم بعد! فقلت: ولماذا جئت إلى هنا وحضرت الصلاة؟ فقال: حضرت الصلاة ولم أصلِّ؛ ولكن استمعت إلى الخطبة التي ألقيت باللغة الجرمانية. فقلت: هل زرت المسجد قبل هذه المرة؟ فقال لي: منذ سنة لم تفتني ولا جمعة واحدة، ومسكني بعيد من المسجد؛ أركب ساعة في القطار لأصل إليه. فقلت له: وإلى الآن ما تبين لك أن

الإسلام حق؟ فقال لي: أريد أن أزداد يقينًا حتى يكون إسلامي مبنيًّا على أساس متين.

فإن قلتَ: هذا الألماني بقي سنةً يدرس الإسلام، وعمر - فيما ذكرت - لم يبقَ إلا مدة قصيرة؛ فهل كان الألماني أكثر تثبتًا منه؟

فالجواب: إن بين الألماني وعمر فرقًا شاسعًا؛ لأن الألماني لا يعرف لسان القرآن والرسول ﷺ، ولا يستطيع أن يقرأ القرآن أو يسمعه فيفهمه، وإنما يعتمد على ترجمة المترجمين.

ومن الفروق: أن عمر يعرف رسول الله ﷺ من صباه، ويعرف صدقه وأخلاقه، ويعرف مَن آمن به قبله وهم أربعون رجلًا وإحدى عشرة امرأة، وكيف ثبتوا على دينهم واستعذبوا العذاب فيه، وصبروا على مفارقة الوطن؛ بل كان عمر يشاهد نور رسول الله ﷺ ولا يحجب إلا عن شقي.

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر[1] بسند ذكره من طريق ابن معين عن هلال بن يساف قال: أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد أربعين رجلًا وإحدى عشرة امرأة[2].

قال أبو عمر: فكان إسلامه عزًّا ظهر به الإسلام بدعوة النبي ﷺ.

وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»[3] بسند ذكره عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسلَامَ بِأَبِي جَهلِ بنِ هِشَامٍ أَو بِعُمَرَ بنِ**

---

(١) في «الاستيعاب» (٣/ ١١٤٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٤٧ و١٤/ ٣١٩) **وإسناده صحيح**.

وهلال بن يساف لم يدرك عمر بن الخطاب.

(٣) (٧/ ٣١٤).

الـخَطَّابِ»[1]، فأصبح عمر؛ فغدا إلى رسول الله ﷺ.

وأخرج أبو يعلى[2] وذكر سنده إلى ابن عمر قال: إن رسـول الله ﷺ قـال: **«اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَينِ إِلَيكَ؛ بِعُمَرَ بنِ الـخَطَّابِ أَو بِأَبِي جَهـلِ بـنِ هِشَامٍ»**[3]، وكان أحبهما إلى الله عمر بن الخطاب.

و(أحب) هنا أفعل تفضيل، من (حُب) بضم الحاء مبنيًّا لما لم يسم فاعله، وقد منعه ابن مالك، ولكنه كثير من كلام العرب، وهو من جريان أفعل التفضيل على غير بابه، فـ (أحب) هنا بمعنى: محبوب؛ لأن أحدهما ـ وهو أبو جهل ـ لا يشارك الآخر في محبة الله حتى يفضل عليه، فهو كقولهم: الأشج والناقص أعدلا ملوك بني مروان؛ أي: عادلا ملوك بني مروان؛ إذ لا عادل فيهم غيرهما.

ثم ذكر الحافظ روايات متعددة لهذا الحديث عن جماعة من الصحابة تختلف ألفاظها ويتفق معناها.

ـ بعض مناقبه:

١ ـ منها ما تقدم أن النبي ﷺ دعا أن يعز الله الإسلام ويشده برجل يحبه الله ـ تعالى ـ؛ فكان ذلك الرجل، فثبتت له محبة الله ـ تعالى ـ.

---

(١) أخرجه ابن سعد (٣/ ٢٦٧) وعبدالله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٦٢٥) والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٥٥ رقم ١١٦٥٧) عن ابن عباس، وله أسانيد تصل إلى درجة الحسن.

(٢) ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٢٤).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٩٥) والترمذي (٣٦٨١)، وفيه خارجة بن عبدالله الأنصاري مختلف فيه.

٢ ـ ومنها ما رواه البخاري في «صحيحه»[١] في (باب مناقب عمر) بسنده إلى جابر بن عبدالله قال: قال النبي ﷺ: «**رَأَيتُنِي دَخَلتُ الـجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيصَاء امرَأَةِ أَبِي طَلحَةَ، وَسَمِعتُ خَشَفَةً فَقُلتُ: مَن هَذَا؟ فَقَالَ: هَذَا بِلَالٌ، وَرَأَيتُ قَصرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ؛ فَقُلتُ: لِـمَن هَذَا؟ قَالَ: لِعُمَرَ، فَأَرَدتُ أَن أَدخُلَهُ فَأَنظُر إِلَيهِ، فَذَكَرتُ غَيرَتَكَ**»؛ **فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله! أعليك أغار؟!** انتهى.

والخشفة ـ بفتح أوله وثانيه ـ؛ أي: حركة وقع الأقدام، وفي رواية أبي هريرة: «أن النبي ﷺ رأى إلى جانب قصر عمر امرأة تتوضأ»[٢]، والباقي مثل ما تقدم، وفيها زيادة: أن عمر حين سمع ذلك بكى وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟!

٣ ـ ومنها ما أخرجه البخاري[٣] بسنده إلى حمزة عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ شَرِبتُ** ـ يَعنِي: اللَّبَنَ ـ **حَتَّى أَنظُرَ إِلَى الرِّيِّ يَجرِي فِي ظُفرِي** ـ أَو فِي أَظفَارِي ـ، **ثُمَّ نَاوَلتُ عُمَرَ**»، قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «**العِلم**».

فهذه شهادة من النبي ﷺ لعمر بالعلم النافع الذي أخذه عنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٤ ـ ومنها ما أخرجه البخاري[٤] في مناقبه عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**رَأَيتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَنزِعُ بِدَلوِ بَكَرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَو ذَنُوبَينِ نَزعًا ضَعِيفًا وَاللهُ يَغفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بنُ الـخَطَّابِ فَاستَحَالَت غربًا؛ فَلَم أَرَ عَبقَرِيًّا يَفرِي فَرِيَهُ حَتَّى رَوَى النَّاسَ وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ...**».

---

(١) برقم (٣٦٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٨٠).

(٣) برقم (٣٦٨١).

(٤) برقم (٣٦٨٢).

قال ابن جبير: العبقري: عتاق الزرابي[1]. وقال يحيى: الـزرابي: الطنـافس لها خمل رقيق مبثوثة كثيرة[2].

- **شرح بعض ما يعسر فهمه على بعض القراء من هذا الحديث:**

على دلو بكرة: البكر - بفتح الباء والكاف -: خشبة مستديرة يعلق عليها الدلو لتسهيل نزعه من البئر.

والقليب: البئر.

الذنوب: الدلو الممتلئة ماء.

الغرب: الدلو العظيمة تتخذ من جلد ثور؛ يعني: أن عمر لما أخـذ الـدلو عظمت في يده وكبرت، وذلك إشارة إلى كثرة الفتوحات التـي أجراهـا الله عـلى يديه واتساع حوزة الإسلام، ولم يقع مثل ذلك في خلافة أبي بكر الصديق، ولكن له مناقب أخرى كثيرة لا يشاركه فيها عمر.

والعبقري: قال أبو عمر: وعبقري القوم: سيدهم وقيمهم وكبيرهم.

حتى روى الناس وضربوا العطـن: قـال في «اللـسان»[3]: العطـن للإبـل كالوطن للناس؛ يعني: حتى رويت الإبل وبركت بمعاطنها، كناية عما تقدم مـن كثرة الفتوحات والأرزاق، وانتشار العدالـة والأمـن، ورغـد العـيش وصـلاح الأحوال.

٥ - وأخرج البخاري[4] عن سعد بن أبي وقاص قـال: اسـتأذن عمـر بـن

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٢٢/ ٢٧٦ ط هجر).

(٢) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٥٨).

(٣) (١٣/ ٢٨٦).

(٤) بالأرقام (٣٢٩٤ و٣٦٨٣ و٦٠٨٥).

الخطاب على رسول الله ﷺ وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه[1]، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله! فقال النبي ﷺ: «**عَجِبتُ مِن هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِندِي فَلَمَّا سَمِعنَ صَوتَكَ ابتَدَرنَ الحِجَابَ!**»، فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله! ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن! أتهبنني ولا تهبن رسول الله؟! فقلن: نعم؛ أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**إِيهٍ يَا ابنَ الخَطَّابِ! وَالَّذِي نَفسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيرَ فَجِّكَ**».

قولهن: (أنت أفظ وأغلظ) جرى أفعل التفضيل ـ أيضًا ـ على غير بابه، فإن النبي ﷺ ليس عنده شيء من الفظاظة ولا من الغلظة حتى يشارك عمر فيهما، ويكون عمر أشد منه في ذلك، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[آل عمران: ١٥٩] معناه: برحمة الله وفضله لنت يا محمد لأصحابك فأحبوك، ولو كنت فظًّا غليظ القلب لتفرقوا عنك.

قال الجمل في «حاشيته على الجلالين»[2]: الفظاظة: الجفوة في المعاشرة قولًا وفعلًا، والغلظة: التكبر، ثم تجوز فيه عن عدم الشفقة وكثرة القسوة في القلب.

٦ ـ ومنها: أن الله أعز به المسلمين؛ فأخرج البخاري[3] بسنده عن عبدالله ـ يعني: ابن مسعود ـ، قال عبدالله: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

---

(١) في الأصل: «ويستشرن».

(٢) (١/ ٣٤٩).

(٣) سبق تخريجه قريبًا.

٧ ـ منها: ثناء علي رضي الله عنه على عمر؛ أخرج البخاري[١] عن ابن أبي مليكة، أنه سمع ابن عباس يقول: وُضِعَ عمر على سريره؛ فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يُرفع ـ وأنا فيهم ـ، فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي؛ فإذا علي بن أبي طالب، فترحم على عمر، وقال: ما خلفت أحدًا أحب إليَّ أن ألقى بمثل عمله منك، وأيم الله! إن كنت لأظن أن يجعلك مع صاحبيك، وحسبت أني كثيرًا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**ذَهَبتُ أَنَا وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرَ، وَدَخَلتُ أَنَا وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرَ، وَخَرَجتُ أَنَا وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرَ**».

٨ ـ ومنها: بشارة النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة؛ أخرج البخاري[٢] عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: صعد النبي صلى الله عليه وسلم أُحُدًا ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم؛ فضربه برجله وقال: «**اُثْبُت! فَمَا عَلَيكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَو صِدِّيقٌ أَو شَهِيدَانِ**».

٩ ـ منقبة التحديث والتكليم؛ ومنها ما أخرجه البخاري[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَقَد كَانَ فِيمَا قَبلَكُم مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِن يَكُن مِن أُمَّتِي أَحَدٌ؛ فَإِنَّهُ عُمَرُ**»، زاد زكرياء بن زائدة عن سعد عن أبي هريرة قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لَقَد كَانَ فِي مَن كَانَ قَبلَكُمْ مِن بَنِي إِسرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِن غَيرِ أَن يَكُونُوا أَنبِيَاءَ، فَإِن يَكُن فِي أُمَّتِي مِنهُم أَحَدٌ فَعُمَرُ**».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[٤]: والسبب في تخصيص عمر بالذكر لكثرة ما وقع له في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من الموافقات التي نزل القرآن مطابقًا لها، ووقع له بعد

---

(١) برقم (٣٦٨٥).

(٢) بالأرقام (٣٦٧٥ و٣٦٨٦).

(٣) برقم (٣٦٨٩).

(٤) (٧/ ٥١).

النبي ﷺ عدة إصابات.

١٠ ـ شهادة النبي ﷺ بقوة إيمان عمر؛ ومنها ما أخرجه البخاري بسنده في «صحيحه»[1] عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن، قالا: سمعنا أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: **«بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنهَا شَاةً؛ فَطَلَبَهَا حَتَّى استَنقَذَهَا، فَالتَفَتَ إِلَيهِ الذِّئْبُ فَقَالَ لَهُ: مَن لَهَا يَومَ السَّبُعِ لَيسَ لَهَا رَاعٍ غَيرِي؟!»**، فقال الناس: سبحان الله! فقال النبي ﷺ: **«فَإِنِّي أُؤمِنُ بِهِ وَأَبُو بَكرٍ وَعُمَرَ»**، ومَا ثَمَّ أبو بكر وعمر. انتهى.

يعني: أن النبي ﷺ بالإيمان أخبر لهذا الأمر المغيب.

١١ ـ كمال دين عمر؛ وأخرج البخاري[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«بَينَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيتُ النَّاسَ عُرِضُوا عَلَيَّ وَعَلَيهِمْ قُمُصٌ؛ فَمِنهَا مَا يَبلُغُ الثَّدي، وَمِنهَا مَا يَبلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ وَعَلَيهِ قَمِيصٌ اجتَرَّهُ»**، قالوا: فما أوَّلته يا رسول الله؟ قال: **«الدِّين»**.

١٢ ـ بشارة النبي ﷺ لعمر بالجنة؛ أخرج البخاري في «صحيحه»[3] عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: **«افتَح لَهُ وَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ»**، ففتحت له فإذا هو أبو بكر؛ فبشرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: **«افتَح لَهُ وَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ»**، ففتحت له فإذا هو عمر؛ فأخبرته بما قال النبي ﷺ فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال له: **«افتَح لَهُ وَبَشِّرهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلوَى تُصِيبُهُ»**،

---

(١) بالأرقام (٣٤٧١ و٣٦٦٣ و٣٦٩٠).

(٢) بالأرقام (٢٣ و٣٦٩١ و٧٠٠٨ و٧٠٠٩).

(٣) بالأرقام (٣٦٩٣ و٦٢١٦).

فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله، ثم قال: الله المستعان.

١٣ ـ ومنها قوله: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ**»[١]، أخرجه الترمذي وأحمد وصححه الحاكم.

وهذا الحديث يدل على فضل عمر رضي الله عنه وتوفيق الله له لإصابة الحق، وكذلك حديث التحديث[٢] والتكليم[٣]، وأحاديث أخرى في هذا الباب، ولا يدل شيء من ذلك على أنه معصوم من الخطأ؛ فلا عصمة إلا للأنبياء.

وأقتصر على هذا القدر من مناقب الإمام رضي الله عنه؛ فإنها لا تحصى إلا بكلفة ولا يتسع لها المقام.

ـ خلافته:

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب»[٤]: «وولي الخلافة بعد أبي بكر، بويع له يوم مات أبو بكر رضي الله عنه باستخلافه له سنة ثلاث عشرة، فسار بأحسن سيرة، وأنزل نفسه من مال الله بمنزلة رجل من الناس، وفتح الله الفتوح بالشام والعراق ومصر، ودوَّن الدواوين في العطاء، ورتب الناس فيه على سوابقهم، وكان لا يخاف في الله لومة لائم[٥]، وأرَّخ التاريخ من الهجرة الذي بأيدي الناس اليوم، وهو أول مَن تسمى بـ (أمير المؤمنين) لقصة نذكرها هنا ـ إن شاء الله ـ تعالى ـ، وهو

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) يريد حديث: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُم مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِن يَكُن مِن أُمَّتِي أَحَدٌ؛ فَإِنَّهُ عُمَرُ**»، وسبق تخريجه.

(٣) يريد: حديث البقرة والذئب اللذين تكلما، وسبق تخريجه.

(٤) (٣/ ١١٤٥ ـ ١١٤٦).

(٥) بعدها في «الاستيعاب»: «وهو الذي نور شهر الصوم بصلاة الإشفاع فيه».

أول مَن اتَّخذ الدِّرة، وكان نَقْشُ خاتمه: كفى بالموت واعظًا يا عمر!».

ثـم قال أبو عمر[1]: «وأما القصـة التـي ذكرتُ في تسمية عمر نفسه بأمير المؤمنـين؛ فذكـر الزبير قـال: قـال عمـر لما ولي: كـان أبـو بكر يقال لـه: خليفـة رسول الله ﷺ؛ فكيف يقال: خليفة خليفة؟! يطول هذا! قال: فقال له المغيرة بن شعبة: أنت أمير المؤمنين[2]، ونحن المؤمنون؛ فأنت أمير المؤمنين. قال: فذاك إذن».

ـ استشهاد عمر وسبب قتله:

سبب قتله: المحافظة على إقامة العدل بين الناس.

قال ابن عبد البر[3] عن الواقدي بسنده إلى الزبير بن العوام قال: غـدوت مع عمر رضي الله عنه إلى السوق وهو متكئ على يدي، فلقيه أبو لؤلؤة غـلام المغـيرة بـن شعبة: ألا تكلم مولاي يضع عني من خراجي؟ قال: كم خراجك؟ قال: دينار. قال: ما أرى أن أفعل؛ إنك عامل محسن، وما هذا بكثير.

ثم قال له عمر: ألا تعمل لي رحًى؟ قال: بلى. فلما ولَّى قال أبو لؤلؤة: لأعملن لك رحًى يتحدث بها ما بين المشرق والمغرب. قال: فوقع في نفسي قوله. قال: فلما كان في النداء لصلاة الصبح خرج عمر إلى الناس يؤذنهم للصلاة، قال ابن الزبير ـ راوي هذا الخبر عن أبيه ـ: وأنا في مصلاي، وقد اضطجع له ـ عدو الله ـ أبو لؤلؤة؛ فضربه بالسكين ست طعنات، إحداها من تحت سرته هي قتلته، فصاح عمر: أين عبد الرحمن بن عوف؟ فقالوا: هـو ذا يا أمير المؤمنين! فقال: تقدم فصل بالناس.

(١) في «الاستيعاب» (٣/ ١١٥٠).

(٢) في «الاستيعاب»: «أنت أميرنا».

(٣) في «الاستيعاب» (٣/ ١١٥٤).

فتقدم عبد الرحمن فصلى بالناس، وقرأ في الركعتين: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

واحتملوا عمر؛ فأدخلوه منزله، فقال لابنه عبدالله: اخرج فانظر مَن قتلني. قال: فخرج عبدالله بن عمر فقال: مَن قتل أمير المؤمنين؟ فقالوا: أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة. فرجع فأخبر، فقال: الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يحاجني بـ (لا إله إلا الله).

وقد روى أبو عمر وغيره في قصة استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ أخبارًا كثيرة بأسانيدها، وهي لا تخرج عن معنى ما تقدم.

ـ تثبته في رواية الحديث عن النبي ﷺ:

كان عمر ﷺ متثبتًا في رواية الحديث عن النبي ﷺ؛ إذا سمع أحدًا يروي حديثًا عن النبي ﷺ من أصحاب رسول الله يتردد في قبوله منه حتى يتيقن، وهذا مشهور عنه؛ فمن ذلك ما ذكره الحافظ الذهبي في «التذكرة»[1] ـ وهو مروي في كتب الحديث ـ أن أبا موسى الأشعري ﷺ سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن؛ فرجع، فأرسل عمر في إثره فقال: لِمَ رجعت؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُم ثَلَاثًا فَلَم يُجَب؛ فَلَيَرجِع**»[2]، قال: لتأتينني على ذلك ببينة أو لأفعلن بك. فجاءنا أبو موسى منتقعًا لونه ونحن جلوس، فقلنا: ما شأنك؟ فأخبرنا وقال: هل سمع أحد منكم؟ فقلنا: نعم؛ كلنا سمعه. فأَرْسَلُوا معه رجلًا منهم حتى أتى عمر فأخبره[3].

---

(١) (١/ ١١).

(٢) ينظر الذي بعده.

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٦٢، ٧٣٥٣) ومسلم (٥٦٨٢، ٥٦٨٣) وأبو داود (٥١٨٢) =

أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبي موسى بقول صاحب آخر؛ ففي هذا دليل على أن الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد.

ولا يلزم من كلام الذهبي ـ رحمه الله ـ أن يكون الخبر الواحد ليس بحجة أو أنه لا يفيد العلم، وإن كان أكثر العلماء من المتأخرين يقولون إن الخبر الواحد يفيد الظن فقط، ولا يفيد العلم إلا خبر التواتر.

قال المحققون: إن خبر الواحد قد يحتف به من القرائن ما يجعله يفيد العلم، وقد عقد البخاري ـ رحمه الله ـ لذلك بابًا في «صحيحه»[1]، وأورد حججًا كثيرة؛ فليراجع.

ولا يفهم من تثبت عمر ﷺ أنه كان لا يقول بأن خبر الواحد حجة؛ فإنه ﷺ هو نفسه حدث بأحاديث كثيرة انفرد بها، وقبل خبر الواحد، وجعله[2] حجة حين كان يفتي بأن مَن أجنب ولم يجد ماء ألا يتيمم، بل يترك الصلاة حتى يجد الماء، فجاءه عمار بن ياسر وذكر أنه كان معه في سرية فأجنبا جميعًا، فأما عمر فترك الصلاة، وأما عمار فتمعك كما تتمعك الدابة في الصعيد، فلما رجعا أخبرا النبي ﷺ؛ فقال لعمار: «**إِنَّمَا يَكفِيكَ أَنْ تَفعَلَ هَكَذَا**» وضرب بيده الأرض ضربة واحدة؛ فمسح بها وجهه وظاهر كفيه ﷺ، فعند ذلك قال عمر لعمار: أبصر ما تقول يا عمار! فقال: إن شئت لم أحدث به. فقال: لا؛ بل نحملك ما تحملت[3]، والقصة

= وأحمد (٤/ ٤٠٠) والبزار (٣٠٢٤) وابن حبان (٥٨٠٧).

(١) وهو (كتاب أخبار الآحاد).

(٢) في الأصل: «وجعل».

(٣) أخرجه عبد الرزاق (٩١٥) وابن أبي شيبة (١٦٩٠، ٣٧٤٤٥) وأحمد (٤/ ٢٦٥، ٣١٩، ٣٢٠) والبخاري (٣٣٨ و٣٣٩ و٣٤٠ و٣٤١ و٣٤٢ و٣٤٣) ومسلم =

مشهورة في كتب الحديث.

ـ بعض مروياته:

لا يتسع المقام لذكر كثير من مرويات هذا الإمام، وهي سهلة التناول في كتب الحديث، ولا سيما كتاب «المسند» للإمام أحمد بن حنبل؛ فقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٣١٠) أحاديث، ولكني أردت أن أنتخب بعض مروياته لأختم بها هذا المقال تبركًا ليكون ختامه مسكًا، وسأذكره بترتيب المحقق أحمد شاكر ـ رحمه الله ـ:

(٨٩) قال الإمام أحمد بسنده عن معمر[1] بن أبي طلحة اليعمري: إن عمر ابن الخطاب قام على المنبر يوم الجمعة؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر رسول الله ﷺ، وذكر أبا بكر، ثم قال: رأيتُ رؤيا لا أراها إلَّا لحضور أجلي، رأيتُ كأن ديكًا نقرني نقرتين. قال: وذكر لي أنه ديك أحمر. فقصصتها على أسماء بنت عميس امرأة أبي بكر. فقالت: يقتلك رجل من العجم. قال: وإن الناس يأمرونني أن أستخلف، وإن الله لم يكن ليضيع دينه وخلافته التي بعث بها رسول الله ﷺ، وإنْ يعجل لي أمر؛ فإن الشورى في هؤلاء الستة الذين مات نبي الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فمَن بايعتم[2] منهم؛ فاسمعوا له وأطيعوا، وإني أعلم أُناسًا سيطعنون في هذا الأمر، أنا قاتلتهم بيدي هذه على الإسلام؛ أولئك أعداء الله الكفار والضلال! وأيم الله! ما أترك فيما عهد إليَّ ربي فاستخلفني شيئًا أهم إليَّ من الكلالة، وأيم الله! ما أغلظ

= (٧٤٨ و٧٤٩ و٧٥٠) وغيرهم.

(١) كذا في الأصل! وصوابه: «معدان».

(٢) في الأصل: «بايعه».

إليَّ نبي الله ﷺ في شيء منذ صحبته أشد مما أغلظ لي في شأن الكلالة، حتى طعن بأصبعه في صدري وقال: «**تَكفِيكَ آيَةُ الصَّيفِ الَّتِي نَزَلَت فِي آخِرِ سُورَةِ النِّسَاءِ**»، وإني إن أعش؛ فسأقضي فيها بقضاء يعلمه مَن يقرأ ومَن لا يقرأ، وإني أُشهد الله على أمراء الأمصار، وإني إنما بعثتهم ليعلموا الناس، ويبينوا لهم سنة نبيهم ﷺ، ويرفعوا إليَّ ما عَمِيَ عليهم، ثم إنكم أيها الناس تأكلون من شجرتين لا أراهما إلَّا خبيثتين؛ هذا الثوم والبصل، وأيم الله! لقد كنت أرى نبي الله ﷺ يجد ريحهما من الرجل؛ فيأمر به فيأخذ[1] بيده فيخرج به من المسجد حتى يؤتى به البقيع، فمَن أكلهما لابد فليمتهما طبخًا. قال: فخطب الناس يوم الجمعة وأصيب يوم الأربعاء[2]. رواه مسلم[3] ـ أيضًا ـ.

(٩٠) قال الإمام أحمد بسنده عن عبدالله بن عمر قال: خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها، فلما قدمناها تفرقنا في أموالنا. قال: فعُدِي عليَّ تحت الليل وأنا نائم على فراشي؛ ففُدِعَتُ[4] يداي من مرفَقَيَّ، فلما أصبحتُ استُصرخ علي صاحباي؛ فأتياني فسألاني عمَّن صنع هذا بك؟ قلت: لا أدري! قال: فأصلحا من يديَّ، ثم قدما بي على عمر، فقال: هذا عمل يهود. ثم قام في الناس خطيبًا، قال: أيها الناس! إن رسول الله ﷺ كان عامل يهودَ خيبر على

(١) في الأصل: «فيأخذه».

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٥) وابن سعد (٣/ ٣٣٥) والحميدي (١٠ و٢٩) والبزار (٣١٥) وأبو يعلى (٢٥٦) وغيرهم **بإسناد صحيح**.

(٣) بالأرقام (٥٦٧ و١٦٢٧) والنسائي (٢/ ٤٣) وغيرهما.

(٤) فُدِعْت: مِن فَدَع ـ بالتحريك ـ: زيغ بين القدم وبين عظمة الساق، وكذلك في اليد، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها.

أنا نخرجُهم إذا شئنا، وقد عَدُوا على عبدالله بن عمر؛ فَفَدعوا يديه كما بلغكم، مع[1] عدوتهم على الأنصاري[2] قبله، لا نشك أنهم أصحابهم، ليس لنا هناك عدوٌّ غيرهم، فمن كان له مال بخيبر فليلحق[3] به فإني مخرج اليهود. فأخرجهم[4].

(١١١)[5] قال الإمام أحمد بسنده عن الحارث بن معاوية الكندي أنه ركب إلى عمر بن الخطاب يسأله عن ثلاث خِلال. قال: فقدم المدينة، فسأله عمر ما أقدمك؟ قال: لأسألك عن ثلاث خلال. قال: وما هن؟ قال: ربما كنتُ أنا والمرأةُ في بناء ضيِّق، فتحضر الصلاة؛ فإنْ صليتُ أنا وهي كانت بحذائي، وإنْ صلَّتْ خلفي خرجَتْ من البناء؟ فقال عمر: تستر بينك وبينها بثوب ثم تصلي بحذائك إنْ شئت.

وعن الركعتين بعد العصر؟ فقال: نهاني عنهما رسول الله ﷺ.

قال: وعن القَصَص؛ فإنهم أرادوني على القصص؟ قال: ما شئتَ. كأنه كره أن يمنعه، قال: إنما أردتُ أن أنتهي إلى قولك. قال: أخشى عليك أَنْ تقص فترتفع عليهم في نفسك، ثم تقصَّ فترتفع، حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا؛ فيضعك اللهُ تحت أَقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك[6].

---

(١) في الأصل: «من».

(٢) في الأصل: «الأنصار».

(٣) في الأصل: «فليلحقه».

(٤) أخرجه أحمد (١/ ١٥)، ومختصرًا أبو داود (٣٠٠٧) والبزار (١٥٤)، وأخرجه البخاري (٢٧٣٠) من طريق آخر.

(٥) في الأصل بدون ترقيم.

(٦) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٨)، وإسناده حسن.

- في هذا الحديث فوائد أذكر بعضها:

الأولى: علو همة السلف وجدهم وصدقهم في طلب العلم؛ فإن الحارث ابن معاوية سافر إلى عمر ليسأله عن هذه المسائل الثلاث، وكان في إمكانه أن يكتب إليه أو أن يكلف أحد المسافرين أن يسأله ويأتيه الجواب.

الثانية: فقه عمر ﷺ؛ إذ أفتاه أن يجعل ثوبًا يحول بينه وبين المرأة وتصلي إلى جانبه؛ فكأنه فَهِمَ أن الحكمة في تأخر الزوجة إذا اقتدت بزوجها منع الملامسة وما أشبهها من الاستمتاع كالنظر، فأباح صلاتها إلى جانبه للضرورة.

الثالثة: كان عمر ﷺ شديدًا على مَن يصلي ركعتين بعد العصر، حتى أنه تغيظ على علي بن أبي طالب حين صلاهما.

والذي نختاره وندين الله به: أن النافلة بعد العصر لا تجوز حتى تغرب الشمس، سواء أكان لها سبب أم لا.

الرابعة: اللغة، وما أعظمها من فائدة وأجدرها بالاعتبار؛ وهي القصص، ومعنى القصص في لغة ذلك الزمان: الوعظ والتعليم، فقد خاف عمر ﷺ على سائله - مع فضله وتقواه وورعه - إذا انتصب للوعظ والإرشاد أن يشعر بالتعاظم والكبر؛ فيخسر خسرانًا مبينًا، فنهاه عن ذلك.

ومحل ذلك: إذا كان هناك من العلماء مَن يقوم لهذا الواجب ولم يتعين عليه، وإلَّا وَجَبَ عليه أَنْ يستعين بالله - تعالى - على النفس الإمارة، ويعظ ويعلم ويرشد، ولا يترك الوعظ خوفًا من ذلك.

***

❊ أهل الحديث: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1]

لفضيلة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

مكناس ـ المغرب

ـ مولده:

عمر بن الخطاب بن نفيل أبو حفص العدوي القريشي، واسم أمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومية، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، كان من أشراف قريش، أسلم بعد أربعين رجلًا وإحدى عشرة امرأة.

قال ابن الجوزي: أسلم في السنة السادسة بعد البعثة وعمره ست وعشرون سنة[2].

قال محمد تقي الدين: وهذا لا يتفق مع ما ذكره في تاريخ مولده؛ فتأمل! وقد اجتهدتُ أن أحدِّد تاريخ إسلامه فلم أستطع، ويظهر لي أنه أسلم بعد البعثة بقليل.

ـ **صفته وهيأته:**

عن ابن عمر أنه وصف أباه فقال: رجل أبيض، تعلوه حمرة، طِوال، أصلع، أشيب[3].

---

(١) نشرت في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة السابعة، العدد الأول، شعبان ١٣٩٥هـ- أغسطس ١٩٧٥م، (ص٢٧ ـ ٤٣).

(٢) انظر: «طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٦٩، ٢٧٠)، ولم تصح رواية في تحديد وقت إسلام عمر، انظر: «السيرة النبوية الصحيحة» (١/ ١٧٧)، وكلام ابن الجوزي في كتابه «مناقب عمر ابن الخطاب» (٢١).

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٢٤) وابن جرير في «التاريخ» (٤/ ١٩٦) =

وقال غيره: إنه كان خفيف العارضين، سبلته كثيرة الشعر من أطرافها صهوبة[1].

والسبلة: ما على الذقن من الشعر إلى طرف اللحية، والعارضان: ما نبت[2] في جانبي الوجه من الشعر.

وكان قليل الضحك، لا يمازح أحدًا، مقبلًا على شأنه.

وقال أنس بن مالك: خضب عمر بالحناء والكتم[3].

ـ دعاء النبي ﷺ له

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ! أَعِنِ[4] الإِسلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيكَ؛ بِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ أَو بِأَبِي جَهلِ بنِ هِشَامٍ**»[5]، وكان أحبَّهما إليه: عمر بن الخطاب.

قال محمد تقي الدين: (أفعل التفضيل) هنا جارٍ على غير بابه؛ فهو كقولهم: (الأشج والناقص أعدلا ملوك بني مروان) أي: العادلان من ملوك بني مروان، إذ لا عادل فيهم غيرهما، وفيه مخالفة بما شرطه ابن مالك أن (أفعل التفضيل) لا يصاغ

= وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢/ ق ٧١٤)، وفي إسناده الواقدي، والخبر في «مناقب عمر» لابن الجوزي (ص١٠).

(١) سبق تخريجه.

(٢) في الأصل: «نبتا» وبدون «ما».

(٣) بالحناء فقط، وسبق تخريجه.

(٤) كذا في الأصل: «أعن»، وكررها المصنِّف، وفي مصادر التخريج: «أعز».

(٥) سبق تخريجه.

من الفعل المبنـي للنائب، والظاهر أن هذا الشرط غير صحيح؛ لكثرة ما ورد من كلام العرب بخلافه، وبيان ذلك: أن أبا جهل لا يحبه الله أصلًا، فالمعنى: اللهم! أعن الإسـلام بالمحبوب من هذيـن الرجلين. ومن حديث ابن عمر ـ أيضًا ـ أن رسول الله ﷺ ضرب صـدر عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أسلم ثلاث مرات وهو يقول: «**لا اللهم! أخرج مـا في صدره من غِلٍّ وأبدله إيمانًا**» يقولها ثلاثًا[١]، ومن حديـث ابن عمر ـ أيضًا ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه**»[٢]، ونزل القرآن بموافقته[٣] في أسرى بدر[٤]، وفي الحجاب[٥]، وفي تحريم الخمر[٦]، وفي مقام إبراهيم[٧]، وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**قد كان**

---

(١) أخرجه ابن المقرئ في «المعجم» (١٢٤٤) والطبراني في «الأوسط» (١٠٩٦) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٨٤)، وإسناده منكر.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٢) عن أنس بن مالك قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وافقت ربي في ثلاث: فقلت يا رسول الله! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[البقرة: ١٢٥] وآيـة الحجاب، قلت: يا رسول الله! لو أمرت نساءك أن يحتجبـن، فإنه يكلِّمهن البَر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن)، فنزلت هذه الآية.

(٤) أخرجه البخاري (٤٣٩٣) ومسلم (٢٤٠٠).

(٥) أخرجه البخاري (٥٨٨٦) ومسلم (٢١٧٠).

(٦) ذكرها ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١١٤٧).

(٧) أخرجه البخاري (٤٢١٣).

في الأمم قبلكم مُحَدَّثون، فإن يكن في هذه الأمة أحد؛ فعمر بن الخطاب»[1].

قال محمد تقي الدين: معنى موافقة القرآن لعمر في هذه الأمور أنه اقترح على النبي ﷺ أن لا يأخذ الفداء من أسرى بدر بل يقتلهم، وأن يحجب نساءه، وأن ينهى عن شرب الخمر ويحرِّمها، وأن يتخذ المسلمون مقام إبراهيم مصلًّى يصلون فيه ركعتي الطواف وغيرها، فنزل القرآن موافقًا لرأي عمر، ومعنى (مُحَدَّثين) أي: ملهمين، يلقي الله ـ تعالى ـ الحق في قلوبهم والرأي السديد، فقد كان عمر ملهمًا، ولكنه غير معصوم من الخطأ في الأحكام الشرعية كما سيأتي تفصيله ـ إن شاء الله ـ.

ـ ظهور الإسلام بإسلامه:

عن ابن مسعود قال: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر[2].

أخرج[3] البخاري[4] عن أبي سعيد الخدري[5] قال: قال رسول الله ﷺ: **«بَينَمَا أَنَا نَائِمٌ؛ رَأَيتُ النَّاسَ يُعرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيهِم قُمُصٌ، مِنهَا مَا يَبلُغُ الثُّدِيَ، وَمِنهَا مَا يَبلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عَلَيَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وَعَلَيهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ»**[6]،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٩٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) في الأصل: «أخرجه».

(٤) بالأرقام (٢٣ و٣٦٩١ و٧٠٠٨ و٧٠٠٩).

(٥) في الأصل: «أبي هريرة».

(٦) في الأصل: «رأيتني في المنام والناس يعرضون علي وعليهم قمص؛ منها إلى كذا ومنه إلى كذا، ومر علي عمر بن الخطاب يجر قميصه».

فقيل: يا رسول الله! ما أَوَّلتَ ذلك؟ قال: «**الدِّين**».

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: خير الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر ثم عمر ﷺ[1].

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: ما كنا نبعد أن السكينة تنطق على لسان عمر[2].

وروى البخاري[3] في (كتاب المناقب) بسنده عن عبدالله بن عمر أن النبي ﷺ قال: «**أُرِيتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أَنزِعُ بِدَلْوِ بَكْرَةٍ عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَو ذَنُوبَينِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللهُ يَغفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَم أَرَ عَبقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ، حَتَّى رَوِيَ النَّاسُ، وَضَرَبُوا بِعَطَنٍ**» قَالَ ابنُ جُبَيرٍ: العَبقَرِيُّ: عِتَاقُ الزَّرَابِيِّ.

قال الكرماني[4]: هذا بحسب أصل[5] اللغة، لكن المراد ههنا: سيد القوم.

قال محمد تقي الدين: المراد بـ (العبقري): أفضل الناس في زمانه، وعمر بلا شك أفضل أهل زمانه، وتقدم كلام علي بن أبي طالب، وأجمع أهل السنة والجماعة على أن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وأفضل الناس بعد

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٨) **وهو متواتر عنه**، انظر: «المجالسة» (١٥٠) و«محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤٥).

(٢) روي من طرق عن علي ﷺ، **بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها جيد**، وخرجتها في تعليقي على «إعلام الموقعين» (٦/ ١١ ـ ١٢).

(٣) بالأرقام (٣٦٣٣ و٣٦٧٦ و٣٦٨٢ و٧٠١٩ و٧٠٢٠).

(٤) في «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٢٢٢).

(٥) سقطت من الأصل.

أبي بكر: عمر، وفي هذا الحديث دليل وعَلَم من أعلام النبوّة على ما خصَّ الله به عمر من القوة، والفتوحات، وانتشار الإسلام، والعدل في زمانه.

وأخرج البخاري[١] - أيضًا - بسنده عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَما أَنَا نَائِمٌ شَرِبتُ** - يَعنِي: اللَّبَنَ - **حَتَّى أَنظُرَ إِلَى الرِّيِّ**[٢] **يَجرِي فِي ظُفرِي** - أَو: **فِي أَظفَارِي - ثُمَّ نَاوَلتُ عُمَرَ**»، قالوا: فما أوَّلتَه يا رسول الله؟ قال: «**العِلم**».

- عدله في رعيته:

عن أبي فراس قال: خطب عمر بن الخطاب فقال: «يا أيها الناس! ألا إنما كنا نعرفكم إذ بين[٣] أظهرنا النبي ﷺ، وإذ[٤] ينزل الوحي، وإذ[٥] ينبئنا الله من أخباركم، ألا وإنَّ النبي ﷺ قد انطلق وانقطع الوحي، وإنما نعرفكم بما نقول لكم، من أظهر منكم خيرًا؛ ظننَّا به خيرًا وأحببناه عليه، ومن أظهر لنا شرًّا؛ ظننَّا به شرًّا وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين ربكم، ألا وإنه قد أتى عليَّ زمان وأنا أحسب أن من قرأ القرآن يريد الله وما عنده، فقد خيِّل لي بأخرة أن رجالًا قد قرؤوه يريدون ما عند الناس، فأَريدوا الله بقراءتكم، وأَريدوه بأعمالكم، ألا وإني - والله! - ما أرسل عمّالي إليكم ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أرسلتهم إليكم ليعلِّموكم دينكم وسُننكم، فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه إليَّ،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) في الأصل: «الذي».

(٣) في الأصل: «بينا».

(٤) في الأصل: «إذا».

(٥) في الأصل: «إذا».

فو الذي نفسي بيده! إذن لأُقِصَّنه.

فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين! أفرأيت إن كان رجل من المسلمين على رعيَّته فأدَّب بعض رعيَّته؛ إنك لمُقِصَّه منه؟

قال: إي والذي نفس عمر بيده! إذن لأُقِصَّنه، وكيف لا أُقِصُّ منه وقد رأيت رسول الله ﷺ يُقِصُّ من نفسه؟! ألا لا تضربوا المسلمين فتُذلُّوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تُنزلوهم الغِيَاض فتُضيِّعوهم»[١].

قال ابن منظور في «لسان العرب»[٢]: وفي حديث عمر: «لا تنزلوا المسلمين الغياض»، الغياض: جمع غيضة وهي الشجر الملتف؛ لأنهم إذا نزلوها تفرَّقوا فيها فتمكَّن منهم العدوُّ.

ـ إنصافه ورجوعه عن رأيه إذا تبيَّن له أنه خطأ:

قال ابن كثير[٣]: قال الإمام أحمد[٤] بسنده عن أبي العَجْفَاء السُّلَمي قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: «ألا لا تُغْلُوا في صَداق النساء، فإنها لو كانت مَكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله؛ كان أولاكم بها النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥) وأبو داود (٤٥٣٧) والنسائي (٨/ ٣٤) والطيالسي (٥٤) وابن أبي شيبة (٣٣٥٩٢) وهناد في «الزهد» (٨٧٧) وأبو يعلى (١٩٦) والحاكم (٤/ ٤٣٩) والبيهقي (٩/ ٢٩، ٤٢)، ورجاله ثقات وفيه أبو فراس النهدي؛ لم يرو عنه غير أبي نضرة المنذر بن مالك، ولم يوثقه غير ابن حبان (٥/ ٥٨٥).

(٢) (٧/ ٢٠٢).

(٣) (٢/ ٢٤٣).

(٤) (١/ ٣٨٢ـ٣٨٣)، وفيه: «لَا تُغْلُوا صُدُقَ النِّسَاء».

امرأة من نسائـه ولا أُصدِقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، وإن كان الرجل ليُبتلى بصَدُقة امرأتـه حتى تكون لها عداوة في نفسه، وحتى يقول: كُلِّفتُ إليك عَلَقَ القِرْبَـة[1]»، ورواه أهـل «السنن»[2]، وقـال الترمـذي: حديث حسن صحيح.

وأخرج أبو يعلى بسند جيد قوي عن مسروق قال: ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس! ما إكثاركم في صداق النسـاء وقـد كـان الرسول ﷺ وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربع مائة درهـم؟! قـال: ثـم نـزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين! نَهيـتَ النـاس أن يزيـدوا في مهور النساء على أربع مائة درهم. قال: نعم. فقالت: أما سمعت ما أنـزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلـك؟ فقالـت: أمـا سـمعت الله يقـول: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[النساء: ٢٠]. قال: فقال: اللهم غفرًا! كل الناس أفقه من عمر. ثم رجع فركب المنبر فقال: أيها الناس! إني كنت نهيـتكم أن تزيـدوا النسـاء في صـدقاتهم على أربع مائة، فمن شاء أن يعطي من مالِه ما أحب.

قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه[3].

قال محمد تقي الدين: وهذه القصة من هذا الإمام تَكِرٌّ على التقليد والتمذهب والتفرُّق والتعصُّـب؛ فتأتي بنيانهـا من القواعد، فيَخِر عليهم السقف من فوقهم،

---

(١) في الأصل: «الفرية»، والمعنى: تكلَّفت إليك وتحمَّلت حتى الحبل الذي تُعلَّق به القِربة.

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ١٧) وأبو داود (٢١٠٦) والترمذي (١١١٤) وابن ماجه (١٨٨٧) والطيالسي (٦٤) وعبد الرزاق (١٠٤٠٠) و(١٠٤٠١) وابن أبي شيبة (٤/ ١٨٧، ١٨٨) والدارمي (٢٢٠٠)، **وهو صحيح.**

(٣) **القصة لم تثبت**، وخرَّجتُها في تعليقي على «إعلام الموقعين» (٤/ ٢٥).

ويأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون، ثم يوم القيامة يخزيهم الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، ويقول: أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم.

فإن قيل: يا هذا! قد أسرفتَ؛ فإن المقلِّدين والمتمذهبين المتعصِّبين لم يجعلوا لله شريكًا؛ فإنهم يعبدون الله وحده ويتبرَّؤون من الشِّرك.

أقول: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[الأنعام: ٥٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[الشورى: ١٠]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[النساء: ٥٩]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى: ٢١].

وروى الإمام أحمد(١) والترمذي(٢) وابن جرير(٣) من طرق عن عدِي بن حاتم أنه لما بلغته دعوة رسول الله ﷺ فرَّ إلى الشام، وكان قد تنصَّر في الجاهلية، فأُسِرت أخته وجماعة من قومه، ثم منَّ رسول الله ﷺ على أخته وأعطاها، فرجعت إلى أخيها فرغَّبته في الإسلام، وفي القدوم على رسول الله ﷺ، فقدم عدِي إلى المدينة وكان رئيسًا في قومه طيِّء، وأبوه حاتم الطائي المشهور بالكرم، فتحدَّث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي عنق عدِي صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣١]

---

(١) عزاه ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٣٤٨) للإمام أحمد، وهو ليس في «مسنده» (مسند عدي ٤/ ٢٥٦، ٣٧٧) ولا في «أطراف المسند» (٤/ ٣٢٦ ـ ٣٣٢)، ووجدت الشيخ أحمد شاكر يقول في تعليقه على «الإحكام» (٦/ ١٣٢ ـ ١٣٣): «وهذا الحديث لم يروه أحمد في «مسنده» على سعته»، وعزاه له ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٣/ ٤٥١).

(٢) رقم (٣٠٩٥).

(٣) (١٠/ ٨١) وهو حسن بتعدد طرقه، وخرجه في تعليقي على «إعلام الموقعين» (٣/ ٤٥١).

قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم! فقال: «**بلى! إنَّهم حرَّموا عليهم الحلال وأحلُّوا لهم الحرام؛ فاتَّبعوهم، فذلك عبادتهم**». قال رسول الله ﷺ: **يا عدِي! ما تقول؟ أيضرُّك أن يقال: الله أكبر؟ فهل تعلم شيئًا أكبر من الله؟ ما يضرُّك أن يُقال: لا إله إلا الله؟ فهل تعلم إلهًا غير الله؟** ثم دعاه إلى الإسلام؛ فأسلم وشهد شهادة الحق، قال: فلقد رأيت وجهه استبشر. ثم قال: «**إنَ اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالُّون**»، وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبدالله بن عباس وغيرهما في تفسير ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾: إنهم اتبعوهم فيما حلَّلوا وحرَّموا، وقال السُّدِّي: استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ﴾ أي: الذي إذا حرَّم شيئًا فهو حرام، وما حلَّله فهو الحلال، وما شرعه اتُّبع، وما حكم به نفذ ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي: تعالى وتقدَّس وتنزَّه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد، لا إله إلا هو، ولا ربَّ سواه.

ـ مناظرة بين أبي موسى الأشعري وعبدالله بن مسعود في مسألة تَيمُّم الـجُنُب:

عن شقيق قال: كنت جالسًا بين عبدالله وأبي موسى، فقال أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن! أرأيت لو أن رجلًا أجنب فلم يجد الماء شهرًا؛ أما كان يتيمَّم؟ قال: لا؛ وإن لم يجد الماء شهرًا. فقال أبو موسى: فكيف تصنعون بهذه الآية التي في سورة المائدة [٦]: ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا﴾. فقال عبدالله: لو رخَّص لهم في هذا لأوشكوا إذا برد عليهم الماء أن يتمَّموا بالصعيد. فقال له أبو موسى: وإنما كرهتم هذا لهذا؟ قال: نعم. فقال له أبو موسى: ألم تسمع قول عمَّار لعمر: بعثني رسول الله ﷺ في حاجة فأجنبتُ فلم أجد الماء؛ فتمرَّغت في الصعيد كما تتمرَّغ الدابة، ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له. فقال: «**إنَّما كان يكفيك أن تصنع هذا**» وضرب

بيده الأرض فنفضها، ثم ضرب بشماله على يمينه وبيمينه على شماله على الكتفين، ثم مسح وجهه؟ فقال له عبدالله: أفلم ترَ عمر لم يقنع بقول عمار.

أخرجه البخاري[(١)] ومسلم[(٢)] وأبو داود[(٣)] والنسائي[(٤)].

وعن [سعيد بن][(٥)] عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه أن رجلًا أتى عمر فقال: إني أجنبتُ فلم أجد ماء. فقال: لا تُصَلِّ. فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرِيَّة فأجنبنا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تُصلِّ، وأما أنا فتمعَّكتُ في التراب وصلَّيتُ، فقال النبي ﷺ: «**إنَّما كان يكفيك أن تضرب بيديك الأرض، ثم تنفخ، ثم تمسح بهما وجهك وكفَّيك**». فقال عمر: اتق الله يا عمار! قال: إن شئت لم أحدِّث به[(٦)].

قال الحكم: وحدثنيه ابن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه مثل حديث ذر[(٧)].

قال: حدثني سلمة عن ذر في هذا الإسناد الذي ذكر الحكم: فقال عمر: نولِّيك ما توليت[(٨)].

---

(١) بالأرقام (٣٤٦ و٣٤٧).

(٢) برقم (٣٦٨).

(٣) برقم (٣٢١).

(٤) برقم (٣٢٠).

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبتُّه من مصادر التخريج.

(٦) أخرجه البخاري (٣٣٨ ـ ٣٤٣) ومسلم (٣٦٨).

(٧) أخرجه البخاري (٣٣٨) ومسلم (٣٦٨).

(٨) أخرجه مسلم (٣٦٨).

قال ابن الأثير[1]: أي: نكِل إليك ما قلت، ونرد إليك ما ولَّيته نفسك ورضيت لها به.

قال محمد تقي الدين: نظرت في مناظرة أبي موسى الأشعري وعبدالله بن مسعود فظهر لي أن الصواب مع أبي موسى؛ لأن الله ـ تعالى ـ قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَآءً﴾[المائدة: ٦] ولم يقل: (فبرد عليكم الماء)، ولأن عمار بن ياسر ثقة عدل، وقد حفظ، ونسي عمر، ومن حفظ حجة على من لم يحفظه، ولم يشك عمر في صدقه؛ وإنما تشبَّث في قبول حديثه خوفًا عليه من النسيان، فلما رآه جازمًا؛ رجع عن قوله وقال له: (نولِّيك ما تولَّيت) أي: نحملِّك ما تحملَّت من الرواية عن النبي ﷺ، فحدَّث به عمار، وأخذ به الأئمة، ويؤيِّده حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«الصعيد وَضوء المؤمن وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليتَّق الله وليمَّسه بَشَرَتَه»**[2]، رواه البزار وصححه ابن القطان، وقال الدارقطني: (إرساله أصح)، وروى الترمذي عن أبي ذر نحوه وصححه[3].

و(وضوء) هنا بفتح الواو، وهو الماء الذي يُتوضَّأ به، والمعنى: أن التيمم عند فقدان الماء كالوضوء والغسل، فهو نائب عنهما ما دام الماء مفقودًا، ولو طالت المدة.

---

(١) في «النهاية» (٥/ ٢٣٠).

(٢) أخرجه البزار (رقم ٣١٠ ـ «زوائده»)، وصححه ابن القطان، قاله ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١/ ١٥٤)، لكنه استدرك فقال: «لكن قال الدارقطني: إنَّ إرساله أصح»، وانظر: «العلل» (٨/ ٩٣/ ١٤٢٣) للدارقطني و«نصب الراية» (١/ ١٤٩ ـ ١٥٠).

(٣) أخرجه الترمذي (١٢٤) وأبو داود (٣٣٢) وغيرهما، وخرجته بتفصيل في «الخلافيات» (١٧)، وهو صحيح.

وفي هذه الحادثة ـ أيضًا ـ رجع عمر عن رأيه وأخذ بقول النبي ﷺ، وهذا يُبطل التقليد والتمذهب، ويوجب على جميع المسلمين أن يقتدوا بعمر[1] بن الخطاب في اتِّباع سُنة النبي ﷺ أينما سارت ركابها، وعدم الالتفات إلى رأي يخالفها وإن جلَّ قائله، والكمال لله والعصمة للنبي ﷺ.

وعن سعيد بن المسيب قال: قضى عمر بن الخطاب في الأصابع بقضاء، ثم أُخبر بكتاب كتبه النبي ﷺ لابن حزم؛ فأخذ به وترك أمره الأول[2].

قال محمد تقي الدين: هذا سبيل المؤمنين وسُنة الخلفاء الراشدين، إذا ظهر حديث النبي ﷺ وسُنته؛ يترك كل قول يخالفها، ومن تمسَّك بالقول المخالف وترك سُنة النبي ﷺ فهو من المُشاقِّين للرسول بعدما تبيَّن لهم الهدى، المتَّبعين غير سبيل المؤمنين، فإن ماتوا على ذلك ولم يتوبوا؛ يولِّيهم الله ما تولَّوا ويصليهم جهنم، وهو من المحادِّين لله ورسوله، الذين يكبتهم الله ويكونون دائمًا في الأذلِّين.

عن عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه عن جده قال: قال عمر بن الخطاب على المنبر: «ألا إن أصحاب الرأي أعداء السُّنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها؛ فأفتَوا برأيهم، فضلُّوا وأضلُّوا، ألا وإنا نقتدي ولا نبتدع، ونتبع ولا نبتدع»[3].

---

(١) في الأصل: «يقتد والعمر».

(٢) أخرجه عبد الرزاق (١٧٦٩٨) والشافعي في «الرسالة» (٤٢٢/ رقم ـ ١١٦٠) وابن أبي شيبة (٦/ ٣٠٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٩٣)، وإسناده حسن، وانظر: تعليقي على «إعلام الموقعين» (٤/ ٢١ ـ ٢٢).

(٣) قال ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٥٤ ـ ٥٥ بتحقيقي) وذكر هذا الأثر وغيره في «ذم الرأي عن عمر: «وأسانيد هذه الآثار عن عمر في غاية الصحة»، وخرجته في =

وعن الحسن: أن عمران بن الحصين أحرم من البصرة، فقدم على عمر بن الخطاب؛ فأغلظ له، ونهاه عن ذلك وقال: يتحدَّث الناس أن رجلًا من أصحاب محمد أحرم من مصر من الأمصار[1].

قال محمد تقي الدين: وإنما أنكر عمر على عمران بن حصين إحرامه من البصرة مع أنه ما أراد بذلك إلا خيرًا ظانًّا أن الأجر على قدر المشقة؛ لأن الإحرام قبل الميقات مخالف لهدي النبي ﷺ، وميقات أهل العراق ذات عرق، ولا يجوز لأحد أن يحرم قبل الميقات.

وهذا نموذج سُقته، من أخبار عمر رضي الله عنه في التمسك بالسنة ليقتدي به المهتدي، ويرعوي به المعتدي، وأخباره في ذلك كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

ـ مقتل عمر رضي الله عنه ووصيَّته:

عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكون قد حمَّلتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حمَّلناها أمرًا هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل. قال: أنظرا أن تكونا حمَّلتما الأرض ما لا تطيق. قال: قالا: لا. فقال عمر: لئن سلَّمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا. قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أصيب. قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبدالله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مرَّ بين الصفَّين قال: (استووا)، حتى

= تعليقي على «الاعتصام» (١/ ٧٠).

(١) أخرجه سعيد بن منصور ـ كما في «المغني» (٥/ ٦٧) ـ والطبراني في «الكبير» ـ كما في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢١٦ ـ ٢١٧) ـ، قال الهيثمي فيه: «رجاله رجال الصحيح، إلا أن الحسن لم يسمع من عمر».

إذا لم ير فيهن خللًا؛ تقدَّم فكبَّر، وربما قرأ سورة يونس أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبَّر فسمعته يقول: (قتلني) أو (أكلني الكلب) حين طعنه، فطار العِلج بسكِّين ذات طرفين، لا يمر على أحد يمينًا وشمالًا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا، فلما ظنَّ العِلج أنه مأخوذ؛ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدَّمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى، وأما نواحي المسجد فإنهم لا يدرون، غير أنهم فقدوا صوت عمر، وهم يقولون: (سبحان الله سبحان الله)، فصلى بهم عبد الرحمن صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس! انظر من قتلني. فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة. قال: الصَّنع. قال نعم. قال: قاتله الله! لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل ميتتي بيد رجل يدَّعي الإسلام، قد كنت أنت وأبوك تُحبَّان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان أكثرهم رقيقًا. فقال: إن شئت فعلت ـ أي: إن شئت قتلنا ـ. قال: كذبت! بعدما تكلَّموا بلسانكم، وصلُّوا قبلتكم، وحجُّوا حجَّكم؟ فاحتمل إلى بيته، فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ؛ فقائل يقول: لا بأس. وقائل يقول: أخاف عليه. فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميِّت، فدخلنا عليه، وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقَدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وَليت فعدلت ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي. فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: رُدوا على الغلام. قال: ابن أخي! ارفع ثوبك فإنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك. يا عبدالله ابن عمر! انظر ما عليَّ من الدَّين. فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه، قال: إن وفى

له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فَسَل في بني عدِي بن كعب، فإن لم تفِ أموالهم فسل في قريش ولا تعدُهم[1] إلى غيرهم، فأدِّ عني هذا المال، انطلق إلى عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين؛ فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريده لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبدالله ابن عمر قد جاء. قال: ارفعوني. فأسنده رجل إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذِنت. قال: الحمد لله، ما كان من شيء أهم إليه من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني ثم سلِّم، فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذِنت لي فأدخلوني، وإن ردَّتني ردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا، فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذن الرجال فولجت داخلًا لهم، فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر أو الرهط الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ. فسمَّى: عليًّا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن، وقال: يشهدُكم عبدالله بن عمر وليس له من الأمر شيء ـ كهيئة التعزية له ـ، فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمِّر؛ فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأوَّلين أن يعرف لهم حقَّهم ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا الذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل لهم من محسنهم وأن يعفي عن مسيئهم، وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا فإنهم رِدء الإسلام وجُباة المال وغيظ العدوِّ، وأن لا يؤخذ

---

(١) في الأصل: «تعد».

منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرًا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمة الله وذمة رسوله ﷺ أن يوفَى لهم بعهدهم[١] وأن يقاتَل من ورائهم ولا يكلَّفوا[٢] إلا طاقتهم. فلما قُبض خرجنا به فانطلقنا نمشي[٣] فسلَّم عبدالله بن عمر، قال: يستأذن عمر بن الخطاب. قالت: أدخلوه. فأدخل فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فُرغ من دفنه؛ اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلى علي. فقال طلحة: قد جعلتُ أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلتُ أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيُّكما تبرَّأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظُرنَّ أفضلَهم في نفسه؟ فأُسكِت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليَّ، والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم. فأخذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقَدم في الإسلام ما قد علمت، فالله عليك لئن أمَّرتك لتعدلنَّ، ولئن أمَّرتُ عثمان لتسمعنَّ ولتطيعن. ثم خلا بالآخر؛ فقال له مثل ذلك، فلما أخذا الميثاق؛ قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه. فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه ...إلخ[٤].

ـ شرح بعض ألفاظ هذا الحديث:

(١) قوله: (أتخافان أن تكون قد حمَّلتما الأرض ما لا تطيق).

---

(١) في الأصل: «بأحدهم».

(٢) في الأصل: «يكلف».

(٣) في الأصل: «غشي».

(٤) أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

اعلم أن عمر ﷺ بعث حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف ليحدِّدا الخراج على الأراضي الزراعية في العراق، فيجعل على كل مساحة محددة شيئًا معلومًا يؤديها صاحبها لبيت مال المسلمين، وكان عمر عادلًا ورحيمًا؛ فخاف أن يكون هذان الرجلان قد جعلا على أرض العراق من الخراج ما لا يطيقه أهلها، إذا دفعوه لبيت المال يلحقهم ضرر في معايشهم لكثرته وقلة ما تنتج الأرض، فسأل عن ذلك حذيفة وابن حنيف؛ فأخبراه أنهما رفِقا بأهل تلك الأرض ولم يفرضا عليهم من الخراج إلا ما يطيقون.

(٢) قوله (لئن سلمني الله ...إلخ) يعني: لئن سلمني الله ـ تعالى ـ من الهلاك وطال عمري لأجعلن لكل أرملة في العراق ـ وهي المرأة التي مات زوجها ـ رزقًا يكفيها لمعيشتها ومعيشة أولادها، فلا تحتاج إلى رجل ينفق عليها.

أراد عمر ﷺ أن يعوِّضهن عما فقدنه من كسب بعولهن، وهكذا يكون العدل في الرعيَّة، فإن أرقى الدول في هذا الزمان لا تضمن للأرامل معيشتهن من بيت المال؛ بل إذا كنَّ قادرات على العمل تعطيهن أعمالًا يعشن بأجورها مع أولادهن، وإذا كانت تلك الأجور لا تكفيهن لمتوسط المعيشة مع أولادهن؛ يُعطَين إعانة.

أما عمر ﷺ فلم يكلِّفهن عملًا؛ بل أراد أن يرزقهن من بيت المال مع أولادهن بدون عمل، وقد روى الحافظ أبو محمد بن حزم في «المحلى»[1] عن عمر أنه أمر أهل كل ناحية أن يقوموا بإطعام مساكينهم وفقرائهم وكسوتهم وإسكانهم، وهذا ما يسمى في هذا الزمان «الضمان الاجتماعي»، فسبق عمر الأوربيين إليه بأكثر من ألف سنة، ومن المؤسف أن المسلمين في هذا الزمان أبعد الناس عن

---

(١) لم نظفر به في «المحلى»!

هذه الكرامة العمرية، وكان الواجب عليهم أن يكونـوا[1] أسبق النـاس إليهـا، ولكنهم ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[الحشر: ١٩].

(٣) قوله: (إلا رابعة) أي: إلا ليلة رابعة أصيب في صبيحتها، طعنه المجوسي أبو لؤلؤة ـ لعنه الله ـ.

(٤) قوله: (وربما قرأ سورة يوسف أو النحل).

من المعلوم أن النبـي ﷺ كـان يطيل القراءة في صـلاة الصبـح؛ فكان يقرأ بالستين إلى مائة آية[2]، وكذلك كان الخلفاء من بعده، وفي هذا الزمان الذي ضعف فيه الإيمان نرى أهل الحديث ـ وهم أتبع[3] الناس للنبي ﷺ ـ ما منهم أحد يصلي الصبح بمثل سورة يوسف أو النحل، فسورة يوسف تشتمل على مئة وإحدى عشرة آية، وسورة النحل تشتمل على مائـة وثمان وعشرون آيـة، أما من حيـث التقدير بالأجزاء فسورة يوسف تشتمل على خمسة أثمان الجزء، وسورة النحل تشتمل على ستة أثمان الجزء، أما غير أهل الحديث من الأئمة المأجورين فإنهم يصلون الصبح بقصار السور؛ كسورة الضحى، و﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾، إذ لا يهمهم إلا الأجر الحقير الذي يُعطَونـه في آخر كل شهر، فيبيعون صلاتهم بثمن البخس ويأكلون ثمنها، وبئس ما يفعلون، ومع ذلك يغشُّون فيها حشفًا وسوء كِيلة[4].

---

(١) في الأصل: «يكون».

(٢) أخرجه البخاري (٥٤١) ومسلم (٤٦١) من حديث أبي برزة ﷺ.

(٣) في الأصل: «أتباع».

(٤) يُضرب مَثَلًا لمن يجمع بين خَصْلتين مكروهتين، والحشف: رديء التمر.
انظر: «الأمثال» (٢٦١) لابن سلام و«جمهرة الأمثال» (١/ ١٠١) للعسكري و«الأمثال» (٤٤) للهاشمي و«مجمع الأمثال» (١/ ٢٠٧) للميداني.

(٥) قوله: (بسكين ذات طرفين) السكين ذات الطرفين هي التي يكون نصابها ـ أي: مقبضها ـ في وسطها، فتكون سكينين[1] لهما مقبض واحد، فيستطيع صاحبها أن يطعن بها ذات الشمال وذات اليمين، فتكون في كل حركة طعنة، ولذلك قدر عدوُّ الله أن يطعن ثلاثة عشر رجلًا بعد عمر.

(٦) قوله: (الصَّنَع) بفتحتين هو: الصانع الذي يُحسن حرفة أو أكثر، وكان ذلك الملعون نجَّارًا ونحَّاتًا وحدَّادًا.

قال صاحب «اللسان»[2]: «وفي حديث عمر حين جرح قال لابن عباس: انظر من قتلني. فقال: غلام المغيرة بن شعبة. قال: الصنع؟ قال: نعم.

يقال: رجل صَنَع وامرأة صَناع؛ إذا كان لهما صنعة يعملانها بأيديهما يكسبان بها».

(٧) قوله: (كذبت) أي: أخطأت حين عرضت عليَّ قتل العبيد وأكثرهم مسلمون، وحتى غير المسلمين منهم لا يجوز قتلهم.

(٨) وقوله: (وصلُّوا قبلتكم) منصوب بنزع الخافض؛ أي: صلُّوا إلى قبلتكم، كقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ[3] أَرْضًا﴾[يوسف: ٩] أي: في أرض بعيدة.

(٩) وقوله: (وقَدم) قال الكرماني[4]: بفتح القاف؛ أي: سابقة، ويقال: لفلان قدم صدق؛ أي: أثرة حسنة. قال الجوهري[5]: (القدم) السابقة في الأمر.

---

(١) في الأصل: «سكنين».

(٢) (٨/ ٢١٠).

(٣) في الأصل: «اطرحوا».

(٤) في «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٢٣٧).

(٥) في «الصحاح» (٥/ ٢٠٠٧).

قال محمد تقي الدين: المراد بالقَدم هنا أنه من السابقين الأولين، والمزايا الكثيرة التي خصَّه الله بها؛ منها: أن الله أعز به الإسلام ـ كما تقدم ـ، ومنها: أنه أفضل الناس بعد أبي بكر، ومناقبه لا تحصى.

وقوله: (ثم شهادة) وهو أنه قتل في سبيل الله، وهو من الشهداء.

(١٠) وقوله: (وددت أن ذلك كفاف لا عليَّ ولا لي).

قال صاحب «اللسان»[١]: «وفي حديث عمر ﷺ: وددتُ أني سلمت من الخلافة كفافًا لا عليَّ ولا لي. الكفاف: هو الذي لا يفضُل عن الشيء، ويكون بقدر الحاجة إليه، وهو نَصب على الحال. وقيل: أراد به مكفوفًا عني شرُّها. وقيل: معناه أن لا تنال مني ولا أنال منها؛ أي: تكفُّ عني وأكفُّ عنها، قال الشاعر[٢]:

أَلَا لَيتَ حَظِّي مِن غُدَانَةَ[٣] أَنَّهُ ... يَكُونُ كَفافًا لا عَليَّ ولا[٤] لِيا»

قال محمد تقي الدين: يحتمل كلام عمر ﷺ أنه يود[٥] أن يكون عمله الصالح الذي ذكره الشاب في الخلافة وغيرها؛ كفافًا بقدر النجاة من عذاب الله، ولا يريد أن يكون أفضل من غيره؛ لاتِّهامه نفسَه بالتقصير، وكمال خوفه من الله ـ تعالى ـ، يدل على ذلك ما جاء في «صحيح البخاري»[٦]: «أن عمر سأل حذيفة فقال:

---

(١) (٩/ ٣٠٦).

(٢) هو الأُبَيرِد اليَربوعي، ومذكور اسمه في «اللسان».

(٣) في الأصل: «غذالة».

(٤) سقطت «لا» من الأصل.

(٥) في الأصل: «يؤد».

(٦) أخرجه البزار (٨٣١ ـ «زوائده»)، عن حذيفة ورجاله ثقات، كما في «المجمع» (٣/ ٤٢).

أنشـدك الله! هـل ذكرني لـه رسـول الله ﷺ في أسماء المنافقين؟ فقال حذيفة: لا، ولا أزكي بعدك أحدًا»[1]. لأن قول عمر ذلك ليس إشارة إلى الخلافة وحدها؛ بل هو إلى أربعة أمور: صحبة رسول الله ﷺ من أول أمره؛ فإنه أسلم بعد أربعين رجلًا ـ كما تقدم ـ، والقَدم في الإسلام ـ وقد تقدم بيانـه ـ، وتولى الخلافة والعدل فيها، والشهادة، وإذا فسَّرناه بالخلافة وحدها ـ كما قال صاحب «اللسان» ـ تكون الإشارة بذلك خاصَّة بالخلافة وحدها؛ فاحتماله مرجوح.

(١١) قوله: (أبقى لثوبك) هكذا هو في النسخ التي بين أيدينا بالباء الموحدة، قال القسطلاني: وللحموي والمستملي (أنقى) بالنون، وكلاهما صحيح في المعنى[2]، ولكن رواية النون أرجح، ووجهُها: أنه إذا أطال إزاره حتى يمسَّ الأرض تصيبه الأوساخ والنجاسات، وإذا رفعه فوق كعبه يسلم من ذلك، أما وجه رواية الباء فهو: أنـه إذا أرخـى الإزار حتـى يمـس الأرض أو ربـما وطئـه إنسـان فيتمزق، فيكـون رفعه أبقى لـه، أما كونه (أتقى) بالمثنَّاة من فوق فلا إشكال فيه؛ فقد جاء في الحديـث أن ما زاد على الكعـب في النار، وفيه الخيلاء، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ﴾[الحديد: ٢٣].

(١٢) قوله: (فإذا أنا قضَيتُ) أي: مِتُّ.

(١٣) قوله: (النفر أو الرهط) شكٌّ من الراوي، (النفر) من ثلاثة إلى تسعة، كذلك الرهط في العدد.

(١٤) قوله: (كهيئة التعزية له) يعني: أن ابن عمر لا يكون خليفة بعد أبيه،

---

(١) في الأصل: «أحد».

(٢) في الأصل: «المعلى».

ولكنـه يحضر مشاورتهم في اختيـار الأمير، ليكون ذلك الحضـور تعزيـة له؛ أي: تسلية له على ما فاته من المشاركة في الإمارة.

(١٥) قوله: (فإني لم أعزله[١] له عن عجز ولا خيانة) ولَّى عمر سعدًا إمارة الكوفة، فشكاه أهلها، فلما بحث عمر بواسطة وفـد أرسـله إلى الكوفـة؛ وجـده بريئًا مما اتهموه به، ولكن سياسة عمر ﷺ كانت تقتضي عزل كـل أمـير اشـتكاه أهل البلد الذي يتولى الحكم فيه، فيولي عليهم غـيرهم، وإن لم يثبـت عـلى ذلـك الأمير المعـزول ضـعف في التـصرف ولا خيانـة، انظـر قـصة عزلـه في (كتـاب الصلاة) من «صحيح البخاري»[٢] عند قوله: «باب وجوب القراءة عـلى الإمـام والمأموم».

(١٦) (أن يأخذ من حواشي أموالهم ويرد على فقرائهم) والمراد بـ(الحواشي): ما ليس خيار المال وأفضله كما جاء في حديث معاذ؛ حيث بعثه النبي ﷺ إلى اليمن، قال له: «**فإيَّاك وكرائمَ أموالهم**»[٣]، والذي ينبغي لمن يأخذ الزكاة أن يتوسَّط؛ فلا يأخذ خيار المال ولا شرارها، و«خير الأمور أوساطها»[٤].

---

(١) في الأصل: «أعلم».

(٢) برقم (٧٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٩٦ و٤٣٤٧) ومسلم (١٩).

(٤) رواه ابن السمعاني في «ذيل تاريخ بغداد»، بسندٍ مجهول عن علي مرفوعًـا بـه، وهـو في «الفردوس» (٣٠٣٦) بلا سند، وأوله: «دوموا على أداء الفـرائض» وانظـر: «مناهـل الصفا» (رقم ١١٣).

وأخرجه البيهقي في «الكبرى» (٣/ ٢٧٣) من معضل عمرو بن الحارث، وقال: «هذا منقطع». =

(١٧) قوله: (والله عليه) قال الكرماني[1]: أي: الله رقيب مهيمن عليه، وكذلك الإسلام.

قال محمد تقي الدين: انتهى ما يسره الله ـ تعالى ـ في سيرة هذا الإمام، ومناقبه لا تحصى، ولكن المقام لا يتسع لأكثر من هذا، وقد راجعت[2] في أثناء إملائه الكتب التالي ذكرها:

الأول: «صحيح البخاري» مع «شرح الكرماني والقسطلاني».

الثاني: «صحيح مسلم».

الثالث: «سنن أبي داود» مع «شرح الخطابي».

الرابع: «سيرة عمر بن الخطاب» للحافظ ابن الجوزي.

الخامس: «الاستيعاب» لابن عبد البر.

السادس: «الإصابة» للحافظ ابن حجر.

السابع: «لسان العرب» لابن منظور.

الثامن: «القاموس» للفيروزآبادي.

التاسع: «تفسير ابن كثير».

* * *

= وورد «خير أموركم أوساطها» عن أبي قلابة الجرمي قوله، أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٩٧) وأبو نعيم (٢/ ٢٨٦) **بإسناد صحيح**.

(١) في «الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري» (١٤/ ٢٤٠).

(٢) في الأصل: «رجعت».

※ أهل الحديث: عثمان بن عفان(١)

لفضيلة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

مكناس ـ المغرب

عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي، يكنى أبا عبدالله وأبا عمرو، كنيتان مشهورتان له، وأبو عمرو أشهرهما، قيل: إنه ولدت له رقية ابنة رسول الله ﷺ ابنًا فسماه عبدالله وكني به ومات، ثم ولد له عمرو فكني به إلى أن مات ـ رحمه الله ـ، وقد قيل: إنه كان يكنى أبا ليلى.

ولد في السنة السادسة بعد الفيل، أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

هاجر إلى أرض الحبشة فارًّا بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وكان أول خارج إليها، وتابعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة، ولم يشهد بدرًا لتخلفه على تمريض زوجته رقية وكانت عليلة، فأمره رسول الله ﷺ بالخلف عليها، هكذا ذكره ابن إسحاق(٢).

وقال غيره: بل كان مريضًا به الجدري، فقال له رسول الله ﷺ: «ارجِع»، وضرب له بسهمه وأجره(٣)، فهو معدود في البدريين لذلك.

---

(١) نشرت في مجلة «صوت الجامعة» الهندية، السنة السابعة، العدد الرابع، جمادى الأولى ١٣٩٦هـ ـ مايو ١٩٧٦م، (ص٤٧ ـ ٥٤).

(٢) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٣٤٤، ٣٤٦ و٢/ ٣٣٤).

(٣) حديث سهمه وأجره: أخرجه البخاري (٣١٣٠ و٣٦٩٨ و٤٠٦٦). =

وماتت رقية في سنة ثنتين من الهجرة حين أتى خبر رسول الله ﷺ بما فتح الله عليه يوم بدر.

وأما تخلفه عن بيعة الرضوان بالحديبية؛ فلأن رسول الله ﷺ كان وجهه إلى مكة في أمر لا يقوم به غيره من صلح قريش، على أن يتركوا رسول الله ﷺ والعمرة، فلما أتاه الخبر الكاذب بأن عثمان قد قتل؛ جمع أصحابه فدعاهم إلى البيعة فبايعوه على قتال أهل مكة يومئذٍ، وبايع رسول الله ﷺ عن عثمان حينئذٍ بإحدى يديه الأخرى، ثم أتاه الخبر بأن عثمان لم يقتل، وما كان سبب بيعة الرضوان إلا ما بلغه ﷺ من قتل عثمان[1].

وروينا عن ابن عمر أنه قال: يد رسول الله ﷺ لعثمان خير من يد عثمان لنفسه[2]، فهو ـ أيضًا ـ معدود في أهل الحديبية من أجل ما ذكرناه.

زوجه رسول الله ﷺ ابنتيه رقية ثم أم كلثوم واحدة بعد واحدة، وقال: «**لَو كَانَ عِندِي غَيرُهُمَا لَزَوَّجتُكَهَا**»[3].

= ولشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني (نظم في جمع من جعل له النبي ﷺ سهمه وأجره في بدر ولم يحضرها) في «ترجمته» لولده صالح (٢/ ٤٠٠ ـ بتحقيقي).

(١) أخرجه ابن إسحاق ـ كما في «السيرة» (٢/ ٣١٥) لابن هشام ـ: حدثني عبدالله بن أبي بكر مرسلًا أو معضلًا.

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١٤٥٤)، **وإسناده جيد**.

وأصله في البخاري (٣١٣٠ و٣٦٩٨ و٤٠٦٦).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٢٦) من حديث أبي هريرة نحوه، **وإسناده ضعيف جدًا**.

وأخرجه عبدالله في «زوائد فضائل الصحابة» (٨٥٦) من حديث عثمان، **وإسناده ساقط**.

وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَن لَا يُدخِلَ النَّارَ أَحَدًا صَاهَرَ إِلَيَّ أَو صَاهَرتُ إِلَيهِ»[١].

وقال سهل[٢] بن سعد: ارتج أُحد وكان عليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فقال له رسول الله ﷺ: «اُثْبُتْ؛ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»[٣].

وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة[٤]، وأحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ[٥].

روى يحيى بن سعيد وعبيدالله بن عمر وعبد العزيز بن أبي سلمة عن نافع عن ابن عمر قال: كنا نقول على عهد رسول الله ﷺ: وأبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم نسكت[٦]. فقيل: هذا في التفضيل. وقيل: في الخلافة.

قيل للمهلب بن أبي صُفْرة: لم قيل لعثمان ذي النورين؟ قال: لأنه لم يعلم أن أحدًا أرسل سترًا على ابنتي نبي غيره[٧].

---

(١) أخرجه عبدالله في «زوائد فضائل الصحابة» (٨٧٠) من حديث ابن عباس وأنس بلفظ: «سألت ربي عز وجل لأصهاري الجنة، فأعطانيها البتة». **وإسناده مظلم.**

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٦٢) من حديث عبدالله بن أبي أوفى نحوه. **وإسناده منكر.**

(٢) في الأصل: «سعد».

(٣) تقدم تخريجه، وحديث سهل عند أحمد (٥/ ٣٣١).

(٤) أخرجه أبو داود (٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٤٧) وابن ماجه (١٣٣) من حديث سعيد بن زيد، وهو **صحيح.**

(٥) أخرجه مسلم (٥٦٧) من حديث عمر.

(٦) أخرجه البخاري (٣٦٥٥ و٣٦٩٨)، وفيه: «كنا نخيِّر بين الناس في زمن النبي ﷺ...». =

(٧) قاله حسين بن علي الجعفي المتوفى سنة ٢٠٤هـ.

وقال ابن مسعود حين بويع عثمان بالخلافة: بايعنا خيرنا ولم نأل[1].

وقال علي بن طالب: كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين[2].

واشترى عثمان رضي الله عنه بئر رومة، وكانت ركية ليهودي يبيع المسلمين ماءها، فقال رسول الله ﷺ: «**مَن يَشتَرِي رُومَةَ فَيَجعَلَهَا لِلمُسْلِمِينَ؛ يَضرِبُ بِدَلوِهِ فِي دِلَائِهِم وَلَهُ بِهَا مَشرَبٌ فِي الجَنَّةِ؟**» فأتى عثمان اليهودي فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين، فقال له عثمان رضي الله عنه: إن شئت جعلت على نصيبي قرنين، وإن شئت فلي يوم ولك يوم. قال: بل لك يوم ولي يوم. فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى ذلك اليهودي قال: أفسدت علي ركيتي فاشتر النصف الآخر. فاشتراه بثمانية آلاف درهم[3].

وقال رسول الله ﷺ: «**من يزيد في مسجدنا؟**» فاشترى عثمان رضي الله عنه موضع خمس سوار فزاده في المسجد[4].

= أسنده عنه الآجري في «الشريعة» (١٤٠٥) والبيهقي في «الكبرى» (٧/ ٧٣) **بسند جيد**.

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٩) ـ وغيره ـ **وإسناده جيد**.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٥٤) **وإسناده صحيح** دون قوله: «أوصلنا للرحم».

(٣) لم أقف عليه مسندًا بهذا السياق، وذكره ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١٠٤٠) ـ وغيره ـ.

وهو ثابت بغير هذا السياق من غير وجه؛ منها ما أخرجه الترمذي (٣٦٩٩) ـ وغيره ـ من حديث عثمان نحوه.

(٤) أخرجه عبدالله في «زوائد المسند» (١/ ٧٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٤٢) =

وجهز جيش العسرة بتسع مائة وخمسين بعيرًا، وأتم الألف بخمسين فرسًا[1]، وجيش العسرة كان في غزوة تبوك.

وذكر أسد بن موسى[2] قال: حدثني أبو هلال الراسبي قال: حدثنا قتادة قال: حمل عثمان في جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرسًا.

قال: وحدثنا أبو هلال قال: وحدثنا محمد بن سيرين أن عثمان ﷺ كان يحيي الليل بركعة يقرأ القرآن فيها كلها[3][4].

قال الحافظ في «الإصابة»[5] في سبب قتل عثمان ما نصه: وكان سبب قتله أن أمراء الأمصار كانوا من أقاربه؛ كان بالشام كلها معاوية، وبالبصرة سعيد بن العاص، وبمصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح، وبخراسان عبدالله بن عامر، وكان

= والدارقطني في «السنن» (٤٤٣٩ و٤٤٤٠) من طريق ثمامة بن حزن. **وإسناده حسن.**

(١) كان الزهري يقول: «حمل عثمان بن عفان في غزوة تبوك على تسع مئة وأربعين بعيرًا، ثم جاء بستين فرسًا فأتم بها الألف»، أخرجه القطيعي في «زوائد فضائل الصحابة» (٨٤٨). **وإسناده ضعيف مرسل.**

(٢) في «فضائل الصحابة» كما في «الفتح» (٥/ ٤٠٨)، وأورده ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١٠٤٠) **وإسناده لا بأس به**، أبو هلال محمد بن سليم الراسبي فيه لين إلا أنه متابع؛ فقد رواه ابن أبي عروبة عن قتادة بلفظ: «حمل عثمان على ألف فيها خمسون فرسًا في غزوة تبوك». أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٩) **إلا أنه مرسل** فقتادة لم يدرك عثمان.

(٣) خرجته في: تعليقي على «الموافقات» (٢/ ٢٤٢ _ ٢٤٣)، **والأثر صحيح بمجموع طرقه.**

(٤) ما سبق من «الاستيعاب» (٣/ ١٠٣٧ _ ١٠٤٠).

(٥) (٧/ ١٠٥).

من حج منهم يشكو من أميره، وكان عثمان لين العريكة كثير الإحسان والحلم، وكان يستبدل ببعض أمرائه فيرضيهم ثم يعيده بعد، إلى أن رحل أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح فعزله، وكتب لهم كتابًا بتولية محمد بن أبي بكر الصديق فرضوا بذلك، فلما كانوا في أثناء الطريق رأوا راكبًا على راحلة فاستخبروه فأخبرهم أنه من عند عثمان باستقرار ابن أبي سرح ومعاقبة جماعة من أعيانهم، فأخذوا الكتاب ورجعوا وواجهوا به؛ فحلف أنه ما كتب ولا أذن، فقالوا: سلمنا كاتبك. فخشي عليه منهم القتل، وكان كاتبه مروان بن الحكم وهو ابن عمه، فغضبوا وحصروه في داره، واجتمع جماعة يحمونه منهم، فكان ينهاهم عن القتال، إلى أن تسوروا عليه من دار إلى دار فدخلوا عليه فقتلوه، فعظم ذلك على أهل الخير من الصحابة وغيرهم، وانفتح باب الفتنة، فكان ما كان، والله المستعان.

قال محمد تقي الدين: نقلت سيرة عثمان ﷺ من كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر إلا قصة قتله، فإني نقلتها من «الإصابة» للحافظ ابن حجر العسقلاني، وكرهت أن أنقلها من «الاستيعاب» لأن التفاصيل التي ذكرها صاحبه في صفة قتل هذا الإمام تسوء كل مطلع عليها، وأراها من العورات التي يجب سترها عن العامة؛ لأنها تسوؤهم وتحزنهم، وأما الخاصة فسيطلعون عليها بأنفسهم.

ـ وفي هذه السيرة فوائد:

الأولى: كون عثمان من أسبق السابقين إلى الإسلام مع أنه كان من سادات أهل مكة وأشرافهم، ومن عادة السادة والأشراف أن يتأخروا في قبول دعوات الإصلاح؛ ضَنًّا برئاستهم وترفعًا عن مرافقة الضعفاء الذين يبادرون إلى قبول دعوات الرسل والمصلحين، فسبق عثمان إلى قبول دعوة الإسلام دليل على علو همته وصفاء فطرته وحبه للحق؛ وهو اتباع الرسول ﷺ، وبغضه للباطل؛ وهو

مخالفة الرسول ﷺ.

الثانية: أنه هو أول من هاجر إلى الحبشة، ومن المعلوم أن حب الأوطان مما فطر عليه الناس، قال الشاعر:

أحب بلاد الله ما بين منعج	**إلي وسلمى أن يصوب سحابها**
بلاد بها حل الشباب تمائمي	**وأول أرض مس جلدي ترابها**(١)

وقال آخر:

ولي وطن آليت أن لا أبيعه	**وأن لا أرى غيري له الدهر مالكا**
وحبب أوطان الرجال إليهم	**مآرب قضاها الشباب هنالكا**(٢)

وقال الله ـ تعالى ـ في المحبوبات الثمانية في سورة التوبة (٢٤): ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾، فقد سبق عثمان رضي الله عنه غيره إلى ترك بعض هذه المحبوبات، وهي الإخوان والأموال والتجارة والمساكن المرضية، إيثارًا للتمسك بدين الحق وبعدًا عن الباطل وأهله، وأهل الحديث يحبون كل ما يحبه الله ورسوله، ويكرهون كل ما يكرهه الله ورسوله، فأحب شيء إليهم التمسك بما جاء به النبي ﷺ؛ يتركون لأجله المحبوبات الثمانية.

---

(١) البيتان في: «الكامل في اللغة والأدب» (٢/ ٢٠٧) و«الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» (١/ ٣٤٣) و(٥/ ٥٣١) و«محاضرات الأدباء» (٢/ ٦٥٣) و«الحماسة البصرية» (٢/ ١٢٩).

(٢) البيتان لابن الرومي في: «ديوان المعاني» (٢/ ١٨٩) و«محاضرات الأدباء» (٤/ ٦٥٣) و«ربيع الأبرار» (١/ ٢٩٩) و«معجم الأدباء» (٤/ ١٥٠٨).

وفي معنى العشيرة: المذهب الذي أحدثه أهل البدع بعد القرون المفضلة، وأولع به المقلدون حتى قدموه على سائر المحبوبات، وقدموه على حب الله ورسوله حتى سهلت عليهم مخالفة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين، وبلغ بهم الغلو في التعصب للمذهب إلى أن خالفوا الإمام الذي ينتسبون إليه في عقيدته وأصوله، وأصبحوا مذبذبين: لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، والله قادر على أن يهديهم إلى صراطه المستقيم.

الثالثة: أنه هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة، فعل ذلك كله حبًّا لله ولرسوله.

الرابعة: أنه بدري وإن لم يشهد بدرًا، لأن الذي منعه من شهودها امتثاله لأمر النبي ﷺ؛ فإنه أمره أن يبقى مع ابنة النبي ﷺ ليمرضها، أي: يخدمها في حال مرضها، وهذه مزية لم يظفر بها إلا قليل من الصحابة كعلي بن أبي طالب حين تخلف عن غزوة تبوك بأمر من النبي ﷺ ليكون منه بمنزلة هارون من موسى[1]، غير أنه لا نبي بعد بعثة محمد ﷺ.

الخامسة: أن النبي ﷺ زوجه ابنته رقية، فلما ماتت زوجه ابنته أم كلثوم، فلما ماتت قال له النبي ﷺ: «**لَو كَانَت عِندِي ابنَةٌ أُخرَى لَزَوَّجتُكَ إِيَّاهَا**»[2]. معناه: لو كانت عندي ابنة غير متزوجة، والدليل القاطع على ذلك أن النبي ﷺ ضرب له بسهم في غنائم بدر[3].

السادسة: أنه من أهل بيعة الرضوان وإن لم يشهدها؛ فإن النبي ﷺ بعثه إلى مكة ليفاوض أهلها، فلما شاع أنه قتل تهيأ النبي ﷺ بسبب ذلك لحرب أهل

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٦ و٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤) من حديث سعد بن أبي وقاص.

(٢) مضى تخريجه قريبًا.

(٣) مضى تخريجه قريبًا.

مكة، وأمر أصحابه بالمبايعة فبايعوه على الموت، وبايع النبي ﷺ نيابة عن عثمان فوضع إحدى يديه على الأخرى وقال: «**هذه عن عثمان**»[١]، وبيعة النبي ﷺ عن عثمان خير له من بيعته بنفسه، ومن أجل ذلك قال عبدالله بن عمر: يد رسول الله ﷺ لعثمان خير من يد عثمان لنفسه[٢].

السابعة: يشاركه فيها غيره، قال الحافظ أبو عمر[٣]: وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَن لَا يُدخِلَ النَّارَ أَحَدًا صَاهَرَ إِلَيَّ أَو صَاهَرتُ إِلَيهِ**»[٤].

الثامنة: قال الحافظ أبو عمر[٥]: قال سهل بن سعد: ارتجَّ أُحُدٌ، وكان عليه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فقال له رسول الله ﷺ: «**اُثبُت؛ فَإِنَّمَا عَلَيكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**»[٦].

قال محمد تقي الدين: وهذه شهادة من النبي ﷺ لعثمان أنه قتل في سبيل الله وأنه شهيد، وناهيك بها منقبة.

التاسعة: أنه ثالث العشرة المشهود لهم بالجنة.

العاشرة: أنه أحد الستة الذين جعل عمر رضي الله عنه لهم الشورى بعد وفاته.

الحادية عشرة: أن شركاؤه الخمسة انتخبوه من بينهم خليفة راشدًا، وتبعهم جميع أهل الحل والعقد من المسلمين، فيا ويل! من يطعن في خلافته من الخوارج

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٩٨ و٤٠٦٦) من حديث ابن عمر.

(٢) مضى تخريجه قريبًا.

(٣) في «الاستيعاب» (٣/ ١٠٣٩).

(٤) مضى تخريجه قريبًا.

(٥) في «الاستيعاب» (٣/ ١٠٣٩).

(٦) مضى تخريجه قريبًا.

والروافض، وفي الحديث القدسي يقول الله ـ تعالى ـ: «**مَن عَادَى**[1] **لِي وَلِيًّا؛ فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ**»، رواه البخاري[2].

قال[3]: وأخبر عمر رضي الله عنه عند وفاته أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راضٍ[4].

الثانية عشرة: قيل للمهلب بن أبي صفرة: لم قيل لعثمان ذي النورين؟ قال: لأنه لم يعلم أن أحدًا أرسل سترًا على ابنتَي نبي غيره[5].

قال محمد تقي الدين: علمنا مما تقدم أن عثمان رضي الله عنه كان نصيبه وافرًا من محبته للنبي ﷺ ومن محبة النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ له، وهذه أعلى الدرجات، فهو أفضل الناس بعد أبي بكر وعمر، ومناقبه كثيرة لا يتسع لها مقال، نسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعلنا ممن يحب الله ورسوله محبة صادقة مقرونة بالاتباع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أملاه محمد تقي الدين الهلالي

بمنزله بمدينة مكناس في ٢٦/ ١١/ ١٣٩٥هـ[6]

❊ ❊ ❊

---

(١) في الأصل: «من عاد إلي».

(٢) (٦٥٠٢).

(٣) أي: ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١٠٣٩).

(٤) تقدم.

(٥) مضى تخريجه قريبًا.

(٦) في الأصل: «١٢٩٥»، والصواب المثبت؛ إذ ولد الهلالي سنة ١٣١٢هـ كما ذكر بخطه. انظر: كتابي «الجامع لترجمة العلامة تقي الدين الهلالي».

* أعلام من المسلمين: سعيد بن زيد[1]

بقلم الأخ محمد الهلالي

إننا لو تصفحنا تاريخنا لألفينا أمامنا عددًا لا يحصى من الأعلام الذين أناروا للعالم مشعل الحضارة والتقدم والرقي، لما لهم من أياد بيضاء ناصعة لا يستطيع أن ينكرها إلا مكابر.

وهؤلاء الأعلام متنوعون؛ فمنهم: الصحابة والتابعون والفقهاء والمجتهدون والعلماء وغيرهم، حتى أولئك الجنود المجهولون الذين ضحوا بكل غال ورخيص في سبيل رفعة الإسلام وخدمة المسلمين، فما أحرانا أن نتعرف عليهم وندرس حياتهم ونجعلهم قدوة لنا؛ علنا أن نستطيع أن نعيد مجدهم (الغابر).

ومن هؤلاء الأعلام الذين نتعرف عليه في هذه المقالة هو الصحابي الجليل سعيد بن زيد أحد المبشرين بالجنة ـ رضوان الله عليهم جميعًا ـ.

ـ نسبه ومولده:

لم يذكر الذين أرخوا لحياته متى ولد، غير أننا نستطيع أن نعرف متى ولد إذا علمنا أنه قد توفي على ـ **أصح الأقوال** ـ سنة خمسين أو إحدى وخمسين[2] وهو ابن بضع وسبعين سنة؛ فيكون قد ولد قبل الهجرة ببضع وعشرين سنة.

أما نسبه: فهو الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى

---

(١) نشرت في مجلة «التربية الإسلامية» العراقية، العدد الثاني، السنة العاشرة، رمضان المبارك ١٣٨٧هـ ـ كانون الأول ١٩٦٧م، (ص٨٨ ـ ٨٩).

(٢) «الإصابة» (ص٤٦) و«الاستيعاب في ذكر الأصحاب» (ص٨ ـ هامش «الإصابة»). (منه).

ابن رباح بن عبدالله بن قرط رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، يجتمع نسبه مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤي، ومع عمر بن الخطاب في نفيل، وكان يكنى بـ (أبي الأعور)، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة.

كان أبوه زيد لا يذبح للأنصاب ولا يأكل الميتة ولا الدم، من الموحدين؛ فقد أخرج الواحدي[1] وأبو الفرج في «أسباب النزول» عن أبي زيد عن أبيه قال في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا﴾: «نزلت في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يوحدون الله ﷻ؛ وهم: زيد بن عمرو بن نفيل، وأبو ذر، وسلمان». أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب.

وأخرج البخاري[2] عن أسماء أنها قالت: رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندًا ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش! والله! ما منكم على دين إبراهيم غيري.

وكان يحيي الموؤدة؛ يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها وأنا أكفيك مؤونتها. فإذا ترعرعت؛ قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك وإن شئت كفيتك مؤونتها.

وغير هاتين الحادثتين من الحوادث التي إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه ـ زيد ـ لم يكن كمشركي مكة، ومن شاء فليرجع إلى «الاستيعاب»[3] و«الرياض النضرة»[4].

وأمه فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية؛ وكانت من السابقين إلى الإسلام.

---

(١) (ص٣٦٨ ط الحميدان).

(٢) برقم (٣٨٢٨).

(٣) (٢/ ٦١٥ ـ ٦١٧).

(٤) (٤/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ط المعرفة).

ـ إسلامه وإسلام عمر:

أسلم سعيد رضي الله عنه هو وزوجته فاطمة بنت الخطاب أو كنيتها (أم جميل)، وهي أخت عمر، وكان إسلامه قديمًا قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، فهو من المسلمين الأوائل، وقد أسلم عمر رضي الله عنه بسببه هو وزوجته، وقصته مشهورة، وقد ذكرها ابن هشام في «سيرته»[1].

ـ جهاده:

شهد سعيد رضي الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا بدرًا؛ لأنه لم يكن موجودًا في المدينة في تلك الفترة، قال الواقدي[2]: بعثه رسول الله ﷺ وطلحة إلى الشام يتحسسان الأخبار، ثم رجعا فقدما إلى المدينة يوم وقعة بدر، فلذلك كانا معدودين من البدريين.

قال البغوي في «معجمه»: فضرب له النبي ﷺ بسهمه، قال: وأجري؟ قال: وأجرك. وأخرجه الضحَّاك[3] ـ أيضًا ـ.

وفي «الإصابة»[4]: أنه شهد اليرموك وفتح دمشق.

---

(١) (١/ ٣٦٧ ـ ٣٧٥)، وسبق تخريجها عند الكلام على إسلام عمر رضي الله عنه.

(٢) في «المغازي» (١/ ١٩).

(٣) لعله يريد ابن الضحاك، وهو الحافظ بن أبي عاصم فهو: أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني.

والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢٥) والبغوي في «معجم الصحابة» (٩٦٢) بسندهما عن الزهري مرسلًا، وإسناده ضعيف مع إرساله.

وأخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (٩٦٢) بسنده إلى محمد بن إسحاق مرسلًا.

(٤) (٤/ ٣٣٨).

وفي «فتوح الشام»[1]: أن أبا عبيدة ولَّى سعيدًا.

* * *

* إسلام سلمان الفارسي[2] (١)

للدكتور تقي الدين الهلالي

ذكر ابن هشام[3] عن ابن إسحاق بسنده إلى ابن عباس؛ قال: «حدثني سلمان الفارسي وأنا أسمع من فيه؛ قال: كنت رجلًا فارسيًّا من أهل أصبهان من قرية يقال لها: جَى، وكان أبي دهقان، وكنت أحبَّ خلق الله إليه، لم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية، واجتهدتُ في المجوسية حتى كنت قطين النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعةً، قال: وكانت لأبي ضيعةٌ عظيمةٌ فشغل في بنيان له يومًا فقال لي: يا بني! إني قد شُغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي؛ فاذهب إليها فاطلعها. وأمرني فيها ببعض ما يريد، ثم قال لي: ولا تحتبس عني؛ فإنك إن احتبستَ عني كنت أهمَّ إليَّ من ضيعتي وشغلتني عن كل شيءٍ من أمري. قال: فخرجت أريد ضيعته التي بعثني إليها، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم وهم يصلون، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته، فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم، وقلت: هذا ـ والله! ـ خير من الدين الذين نحن عليه. فوالله! ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها،

---

(١) (١/ ١٢٢ ط العلمية).

(٢) نشرت في مجلة «الإرشاد» المغربية، السنة الثانية، العدد الثامن، جمادى الأولى ١٣٨٩هـ ـ غشت ١٩٦٩م، (ص١٣ ـ ١٨).

(٣) في «سيرته» (١/ ٢٢٨ ـ ٢٣٤).

ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين؟ قالوا: بالشام. فرجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله، فلما جئته قال: أي بني! أين كنت؟ ولم أكن عهدت إليك ما عهدت؟ قال: قلت له: يا أبت! مررت بالناس يصلون في كنيسةٍ لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم، فوالله! ما زلت عندهم حتى غربت الشمس. قال: أي بني! ليس في ذلك الدين خير، دينك ودين آبائك خير منه. قال: قلت له: كلا والله! إنه لخير من ديننا. قال: فخافني؛ فجعل في رجلي قيدًا ثم حبسني في بيته.

قال: وبعثت إلى النصارى فقلت لهم: إذا قدم عليكم ركب من الشام فأخبروني بهم. قال: فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم، فقلت لهم: إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فآذنوني بهم. قال: فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم، فألقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام، فلما قدمتها قلت: من أفضل أهل هذا الدين علمًا؟ قالوا: الأسقف في الكنيسة.

ـ مجيء سلمان إلى الأسقف وما جرى له معه:

قال: فجئته فقلت له: إني قد رغبت في هذا الدين فأحببت أن أكون معك وأخدمك في كنيستك فأتعلم منك وأصلي معك. قال: ادخل. فدخلت معه، قال: وكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها، فإذا جمعوا إليه شيئًا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين، حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِق. قال: فأبغضته بغضًا شديدًا لما رأيته يصنع، ثم مات، فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه، فقلت لهم: إن هذا كان رجل سوء يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئًا. قال: فقالوا لي: وما علمك بذلك؟ قال: قلت لهم: أنا أدلكم على كنزه. قالوا: فدلنا عليه. قال: فأريتهم موضعه فاستخرجوا

منه سبع قلال مملوءةً ذهبًا وورِقًا، فلما رأوها قالوا: والله! لا ندفنه أبدًا. قال: فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاؤوا برجل آخر فجعلوه مكانه.

ـ سلمان وما جرى له مع الأسقف الصالح:

قال: يقول سلمان: فما رأيت رجلًا لا يصلي الخمس أرى أنه أفضل منه وأزهد في الدنيا، ولا أرغب في الآخرة ولا أدأب ليلًا ونهارًا منه. قال: فأحببته حبًّا لم أحبه شيئًا قبله. قال: فأقمت معه زمنًا طويلًا، ثم حضرته الوفاة فقلت له: يا فلان! إني قد كنت معك وأحببتك حبًّا لم أحبه شيئًا قبلك، وقد حضرتك ما ترى من أمر الله ـ تعالى ـ؛ فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني! والله! ما أعلم اليوم أحدًا على ما كنت عليه؛ فقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه؛ إلا رجلًا بالموصل، وهو فلان، وهو على ما كنت عليه؛ فالحق به.

ـ سلمان عند أسقف الموصل:

قال: فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت: يا فلان! إن فلانًا أوصاني عند موته أن ألحق بك وأخبرني أنك على أمره. فقال لي: أقم عندي. فأقمت عنده، فوجدته خير رجل على أمر صاحبه، فلم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة فقلت: يا فلان! إن فلانًا أوصى بي إليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى؛ فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني! والله! ما أعلم رجلًا مثل ما كنا عليه؛ إلا رجلًا بنصيبين وهو فلان؛ فالحق به.

ـ سلمان وما جرى له مع صاحب نصيبين:

فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فأخبرته خبري وما أمرني به صاحبه، فقال: أقم عندي. فأقمت عنده؛ فوجدته على أمر صاحبيه، فأقمت مع خير رجل، فوالله! ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضر قلت: يا فلان! إن فلانًا

كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك؛ فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: يا بني! والله! ما أعلمه بقي أحد على أمرنا آمرك أن تأتيه إلا رجلًا بعمورية من أرض الروم؛ فإنه على مثل ما نحن عليه، فإن أحببت فأته فإنه على أمرنا.

- سلمان وما جرى له مع صاحب عمورية:

فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فأخبرته خبري، فقال: أقم عندي. فأقمت عند خير رجل على هدي أصحابه وأمرهم. قال: واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغُنَيْمة. قال: ثم نزل به أمر الله ـ تعالى ـ، فلما حضر قلت له: يا فلان! إني كنت مع فلان فأوصى بي فلان إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك؛ فإلى من توصي بي؟ وبم تأمرني؟ قال: أي بني! والله! ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبي، وهو مبعوث بدين إبراهيم ـ عليه السلام ـ، يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين حرتين بينهما نخل، به علامات لا تخفى: يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة؛ فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل.

- انتقال سلمان إلى واد القرى ثم إلى المدينة وسماعه ببعثة النبي ﷺ:

قال: ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث، ثم مر بي نفرٌ من كلب تجار، فقلت لهم: احملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغُنَيْمتي هذه؟ قالوا: نعم. فأعطيتموها وحملوني معهم، حتى إذا بلغوا وادي القرى ظلموني فباعوني من رجل يهودي عبدًا، فكنت عنده ورأيت النخل؛ فرجوت أن يكون البلد الذي وصف لي صاحبي ولم يحق في نفسي، فبينا أنا عنده؛ إذ قدم عليه ابن عمٍّ له من بني قريظة من المدينة، فابتاعني منه، فاحتملني إلى المدينة؛ فوالله! ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي، فأقمت بها، وبعث رسول الله ﷺ فأقام

بمكة ما أقام، لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق، ثم هاجر إلى المدينة، فوالله! إني لفي رأس عذقٍ لسيدي أعمل له فيه بعض العمل وسيدي جالس تحتي؛ إذ أقبل ابن عمٍّ له حتى وقف عليه فقال: يا فلان! قاتل الله بني قيلة، والله! إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون أنه نبي.

فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت أني سأسقط على سيدي، فنزلت عن النخلة، فجعلت أقول لابن عمه ذلك: ماذا تقول؟ فغضب سيدي فلكمني لكمةً شديدةً ثم قال: ما لك ولهذا؟ أقبل على عملك. قال: قلت: لا شيء إنما أردت أن أستثبته عما قال.

- مجيء سلمان إلى رسول الله ﷺ وتقديمه الصدقة:

قال: وقد كان عندي شيء قد جمعته، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقباء، فدخلت عليه فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة، وهذا شيء قد كان عندي للصدقة؛ فرأيتكم أحق به من غيركم. قال: فقربته إليه؛ فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**كلوا**» وأمسك يده فلم يأكل. قال: فقلت في نفسي: هذه واحدة. قال: ثم انصرفت عنه فجمعت شيئًا، وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة، ثم جئته به فقلت له: إني قد رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها. قال: فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه. قال: فقلت في نفسي: هاتان اثنتان. ثم جئت رسول الله ﷺ وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه وعليَّ شملتان لي وهو جالس في أصحابه، فسلمت عليه ثم استدرت أنظر إلى ظهره: هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي؟ فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرف أني أستثبت في شيء وصف لي، فألقى رداءه عن ظهره، فنظرت إلى الخاتم فعرفته، فأكببت عليه أقبله

وأبكي، فقال لي رسول الله ﷺ: «تَحَوَّل»، فجلست بين يديه، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس، فأُعجب رسول الله ﷺ أن يسمع ذلك وأصحابه، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد[1]».

المدينة المنورة ـ تقي الدين الهلالي

❋ ❋ ❋

❋ إسلام سلمان الفارسي[2] (٢)

للدكتور تقي الدين الهلالي

ـ أمرُ رسول الله ﷺ بالمكاتبة ليتخلص من الرق:

«قال سلمان: ثم قال لي رسول الله ﷺ: «**كَاتِبْ يَا سَلْمَانُ**». فكاتبتُ صاحبي على ثلاث مئة نخلة أحييتها له بالفقير، وأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**أعِينُوا أخَاكُمْ**». فأعانوني بالنخل: الرجل بثلاثين وَدِيةً، والرجل بعشرين ودِيَّة، والرجل بخمس عشرة ودِيَّة، والرجل بعشر، يعين الرجل بقدر ما عنده؛ حتى اجتمعت لي ثلاث مئة ودِيَّة. فقال رسول الله ﷺ: «**اذهَب يَا سَلمَانُ فَفَقِّر لَهَا، فَإذَا فَرَغتَ فَأتِنِي أَكُن أنَا أضَعُهَا بِيَدِي**». قال: ففقرت وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها، فجعلنا نقرب

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٤) وابن أبي شيبة (٥/ ٢٣٠) والطبراني في «الكبير» (٦٠٧٠) والحاكم (٢/ ١٦) والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٩١) و«السنن الكبرى» (١٠/ ٣٢١ - ٣٢٢)، وهو صحيح بشواهده، وأورده السخاوي في «التحصيل والبيان في سياق قصة سلمان» (١٦٣ ـ ١٧٥).

(٢) نشرت في مجلة «الإرشاد» المغربية، السنة الثانية، العدد التاسع، جمادى الثانية ١٣٨٩هـ- شتنبر ١٩٦٩م، (ص٦ ـ ١٢).

إليه الوَدِيَّ، ويضعه رسول الله معي بيده حتى فرغنا، فوالذي نفس سلمان بيده! ما ماتت منها ودِيَّةٌ واحدة. قال: فأديت النخل وبقيَ عليَّ المال، فأتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن، فقال: «مَا فَعَلَ الفَارِسِيُّ الـمُكَاتَبُ؟». قال: فدُعِيتُ له، فقال: «خُذ هَذِهِ فَأَدِّهَا مِـمَّا عَلَيكَ يَا سَلمَانُ». قال: قلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليَّ؟ فقال: «خُذهَا؛ فَإِنَّ اللهَ سَيُؤَدِّي بِهَا عَنكَ». قال: فأخذتها فوزنتُ لهم منها ـ والذي نفس سلمان بيده! ـ أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم منها، وعتقَ سلمان. فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق حرًّا ثم لم يفتني معه مشهد[1]»[2].

ـ توضيحات وشروح:

١ ـ قوله: (وكان أبي دِهقَان قريته) قال في «اللسان»[3]: والدِّهقان: التاجر، فارسي معرب، وهم الدَّهاقنة والدَّهاقين والدُّهقان، والدِّهقان: القوي على التصرف مع حدة، والأنثى دهقانة. اهـ.

وفي حواشي «سيرة ابن هشام»[4]: الدهقان: شيخ القرية العارف بالفلاحة، وما يصلح بالأرض، يلجأ إليه في معرفة ذلك.

ولا أدري بما جاء بهذا الكلام! والظاهر أن الدهقان هو التاجر كما قال صاحب «اللسان»، ولا يتنافى ذلك مع كونه يملك مزارع وأراضي مُغِلَّةً ويتصرف فيها؛ لأن عنده الذهب والفضة وبهما يملك كل شيء، ويدل على ذلك قول الشاعر

---

(١) أخرجه الطبراني (٦٠٦٥)، وقال السخاوي في «التحصيل والبيان» (١٧٦): «وهذه الطريق من أصح طرق هذا الحديث وأقواها إسنادًا...» ثم ساق سائر طرقه.

(٢) «سيرة ابن هشام» (١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).

(٣) (١٠/ ١٠٧).

(٤) (١/ ٢٢٨ ط البابي الحلبي).

ـ وهو من شواهد العَروض ـ:

إنـــــما الـــــذلفاء ياقوتـــــة أخرجـــت مـــن كـــيس دهقـــان[1]

والذلفاء: اسم امرأةٍ يصفها الشاعر بالجمال، ويشبهها بياقوتة أخرجها الدهقان من كيس جواهره، وذلك دليل على أن الدهقان يملك نفائس الأموال.

٢ ـ قولـه: (قَطِنُ النار) قال في حواشي «السيرة[2]»[3]: قَطِن النار: خادمها الذي يخدمُها ويمنعها من أن تَخبو؛ لتعظيمهم إياها، ومعنى (لا تخبو): لا تنطفئ. وقـال في «اللسان»[4]: وروي عـن سلمان أنـه قال: «كنـت رجـلًا من المجوس، فاجتهدت حتى كنت قَطِن النار الذي يوقدها»[5]، وقطن النار: خادمها، وهو بفتح القاف وكسر الطاء. اهـ.

ومن المعلوم أن المجوس يعبدون النار، ومن سفاهة عقولهم أنهم يحفظـون وجودها بالإيقاد، ومع ذلك يتخذونها إلهًا. والمعبود، هو: الذي يحفظ حياة العابد، هؤلاء من جهلهم عكسوا القضية، ويصدق هذا على كل من يصنع شيئًا بيده ثم

---

(١) البيت في: «العقد الفريد» (٦/ ٢٩٣) و«يتيمة الـدهر» (٢/ ٩٦) و«العبـاب الزاهـر» (حرف الفـاء/ ص١٩٩) و«المستطرف في كـل فـن مـستظرف» (ص٤٠١) و«تـاج العروس» (١٠/ ٩٦) و«علم العروض والقافية» (ص٤٤).

(٢) في الأصل: «السهرة»!

(٣) (١/ ٢٢٩).

(٤) (١٣/ ٣٤٣).

(٥) وهي الواردة في «الطبراني» (٦٠٦٥)، وكذلك في «السير والمغازي» (٨٧ ـ ٩١)، وبرواية يونس بن بكير عنه (٨٨)، والتيمي في «دلائل النبوة» (١٩ و٢٠)، وكذلك أخرجه أبو عبيد في «الأموال» (١٧٧١)، وينظر: «البيان والتحصيل» (١٦٩ و١٧٦ ـ ١٧٧).

يعبده؛ فالحمد لله الذي عافانا.

٣ ـ (الضيعة) قال في «اللسان»[١]: الضيعة: الأرض المغلة. اهـ.

والضيعة في هذا العصر: المزرعة تشتمل على قصر.

٤ ـ قوله: (وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس ...إلخ) يعني: أنه لم يكن يعرف الكنيسة، ولا ما يفعل فيها من الصلاة؛ لأن أباه حبسه عن[٢] الخروج، فهو جاهل بكل ما يجري خارج بيت أبيه، فلما سمع أصوات النصارى وهم يصلون في كنيستهم ذهب ليعرف خبرهم.

٥ ـ قوله: (أين أصْلُ هذا الدين؟ قالوا: في الشام) من المعلوم أن النصرانية نشأت أول ما نشأت في فلسطين، وهي من بلاد الشام، والشام في لغة العرب: ما بين العراق ومصر.

٦ ـ قوله: (فآذنوني) فأعلموني.

٧ ـ قوله: (فألقيت الحديد من رجلي) إما أن يكون قد استعان بأمه أو ببعض الخدم في فك القيد، أو يكون القيد قد فكَّ عنه على سبيل العادة كرامةً له، والله على كل شيء قدير.

٨ ـ قوله: (سبعُ قِلال) جمع قُلَّة، وهي التي يُجعل فيها الماء للشرب، (والورِق): الفضة، والرهبان معروفون بكنز الذهب والفضة في قديم الزمان وحديثه.

٩ ـ قوله: (ولا دَأبَ) أي: أكثر استمرارًا على العمل الصالح.

١٠ ـ قوله: (والله إني لفي رأس عَذقٍ لسيدي) قال في «اللسان»[٣]: والعَذق

---

(١) (٨/ ٢٣٠).

(٢) في الأصل: «على».

(٣) (١٠/ ٢٣٨).

ـ بفتح العين ـ: النخلة عند أهل الحجاز، والعِذق بكسر العين: العثْكَان، وهو في النخلة كالعنقود في شجرة العنب. اهـ. بتصرف من كتب اللغة.

١١ ـ (بنو قيلة) هم الأنصار، وهم سكان المدينة، وكانوا قبيلتين: الأوس، والخزرج.

١٢ ـ وقوله: (قاتلهم الله) دعاء عليهم.

١٣ ـ قوله: (أخذتني العُرَواء) الرعدة، قال في «شرح السيرة»: والعُرَواء: الرعدة من البرد والانقباض، فإن كان مع ذلك عَرَق فهي الرُّحَضاء. اهـ. والعرواء والرحضاء كلاهما بضم ففتح على وزن (حُنفاء)، وسبب هذه الرعدة: أن سلمان حين سمع هذا الخبر طمع أن يكون صحيحًا فيظفر ببغيته التي من أجلها فارق وطنه وأهله، وطاف في أنحاء الدنيا يبحث، ولقي من المشقة والعناء ما لقي، وخاف في الوقت نفسه أن لا يكون الخبر صحيحًا فينقلب فرحه حزنًا.

١٤ ـ قوله: (فلَكَمَني سيدي) قال في «اللسان»[(١)]: اللَّكْم: الضرب باليد مجموعة. اهـ.

١٥ ـ قوله: (بقيع الغرقد) قال في «اللسان»[(٢)]: والبقيع من الأرض: المكان المتسع، ولا يسمى بقيعًا إلا وفيه شجر. وقال فيه: والغرقد: شجر عظام، واحدته غَرقَدة. وقال أبو حنيفة: إذا عظُمَت العَوسَجة فهي الغرقدة. ثم قال: والغرقد: كبار العوسَج، وبه سُمِّي بقيع الغرقد؛ لأنه كان فيه غرقد. اهـ.

أقول: وبقيع الغرقد هو مقبرة المدينة النبوية.

١٦ ـ (ثم شغلَ سلمان الرقُّ حتى فاته بدر وأُحد) الرق: هو كونه عبدًا

---

(١) (١٢/ ٥٤٧).

(٢) (٨/ ١٨).

لذلك اليهودي؛ فهو مُلزَم لخدمته، لا يستطيع أن يأتي النبي ﷺ إلا في أوقات فراغه، فلذلك فاتته الغزوتان المذكورتان: غزوة بدر، وغزوة أحد.

وسيأتي ذكرهم ـ إن شاء الله ـ تعالى ـ مفصلًا.

١٧ ـ (المكاتبة) هي من شرائع الإسلام التي يُقصَد بها مساعدة العبيد وتخليصهم من الرق؛ فإن الإسلام كله رحمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨]، والمكاتبة: أن يتفق العبدُ مع سيده على مقدار من المال يؤدِّيه له في أجل معلوم، فإذا أتمه صار حرًّا، وقد رأينا أن القدر الذي اتفق عليه سلمان مع اليهودي الذي كان سلمانُ مملوكًا له لم يكن بالشيء القليل؛ فقد كلفه أن يغرس له ٣٠٠ فسيلة، ولكن تعاون المسلمين صيَّره أمرًا سهلًا، فسلمان لم يكلفه ذلك مشقةً كبيرة؛ لأن إخوانه المسلمين أعانوه بالودِيِّ، وهو فسائل النخل التي تُغرَس، فتثمر بعد بضع سنين على حسب جَودَة الأرض ووفور الماء والعناية، وكل ما نزل بالمسلمين من الشقاء والوهن سببه عدم التعاون، وقد بارك الله ـ سبحانه ـ في غرس ذلك الودِيِّ فلم يمُتْ منه شيء؛ بل كله صار نخلًا جيدًا، فربح اليهودي جنة عظيمة من النخل ومقدارًا من الذهب، ولكن الإسلام ربح أكثر منه: ربح سلمان.

وسلمان من خيار أصحاب رسول الله ﷺ، وله مناقب كثيرة ليس هذا محل ذكرها، ولكن منقبةً واحدةً لا نستطيع أن نترك ذكرها؛ وهي ما رواه أبو عمر يوسف ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب»[1] بسنده المتصل إلى أبي البختري قال: سئل علي

(١) (٢/ ٦٣٦ ـ ٦٣٧) وإسناده منقطع.

عن سلمان فقال: «عَلِم العِلْم الأول والآخر، بحر لا ينزف، وهو منا أهل البيت».

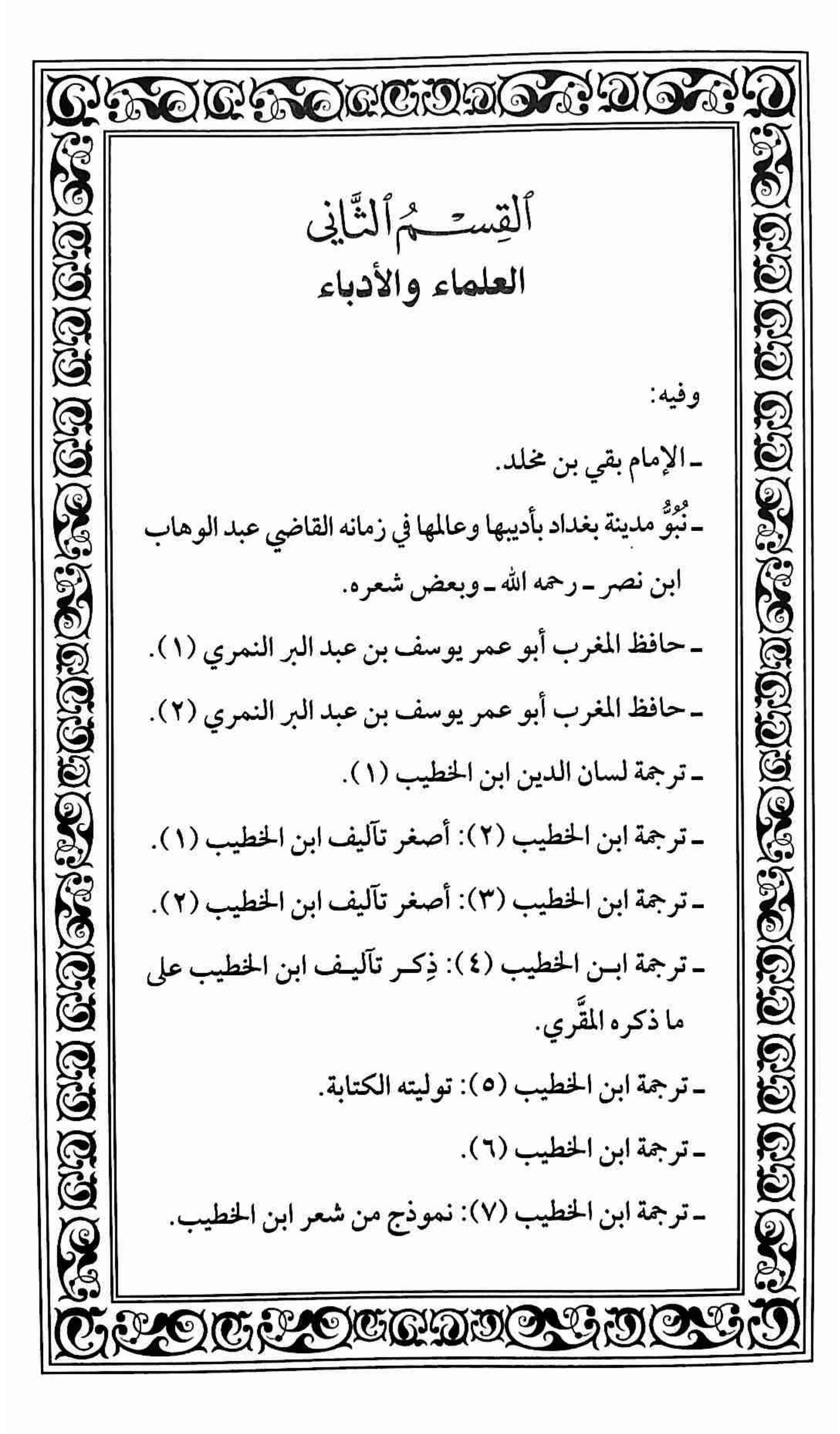
١٨ ـ قوله ﷺ: «**اذهب يا سلمان ففقر لها**» التفقير: هو حَفْر الحُفَر لتُغرَس فيه الفسائل، وقد رأينا أن سلمان وإخوانه من أصحاب رسول الله ﷺ تعاونوا على هذا العمل المبرور، واشتركوا فيه جميعًا، ومعظم العمل قام به النبي ﷺ نفسُه، فغرَسَها كلها بيده الكريمة، فلم تمت منها ولا واحدة، وهذا عمل باهر؛ فصلوات الله وسلامه على هذا النبي ما أكرمه وما أكثر مآثره، فويلٌ لمن أعرض عن سنته، ورغب عن هديه، وظن السَّراب شرابًا، فاقتفاه وتاهَ؛ فهلك في أودية الضلال، والله لا يهدي كيد الخائنين.

١٩ ـ قوله: (فشهدت معه الخندق ﷺ ثم ...إلخ) أي: حضرت غزوة الخندق؛ وهي غزوة الأحزاب، وتقدمت الإشارة إليها، وسيأتي ذكرها مفصلًا ـ إن شاء الله ـ.

٢٠ ـ وقوله: (ثم لم يَفُتني معه مشهد) يعني سلمان: أنه حضر غزوة الأحزاب وما بعدها من الغزوات إلى وفاة النبي ﷺ.

الدكتور تقي الدين الهلالي



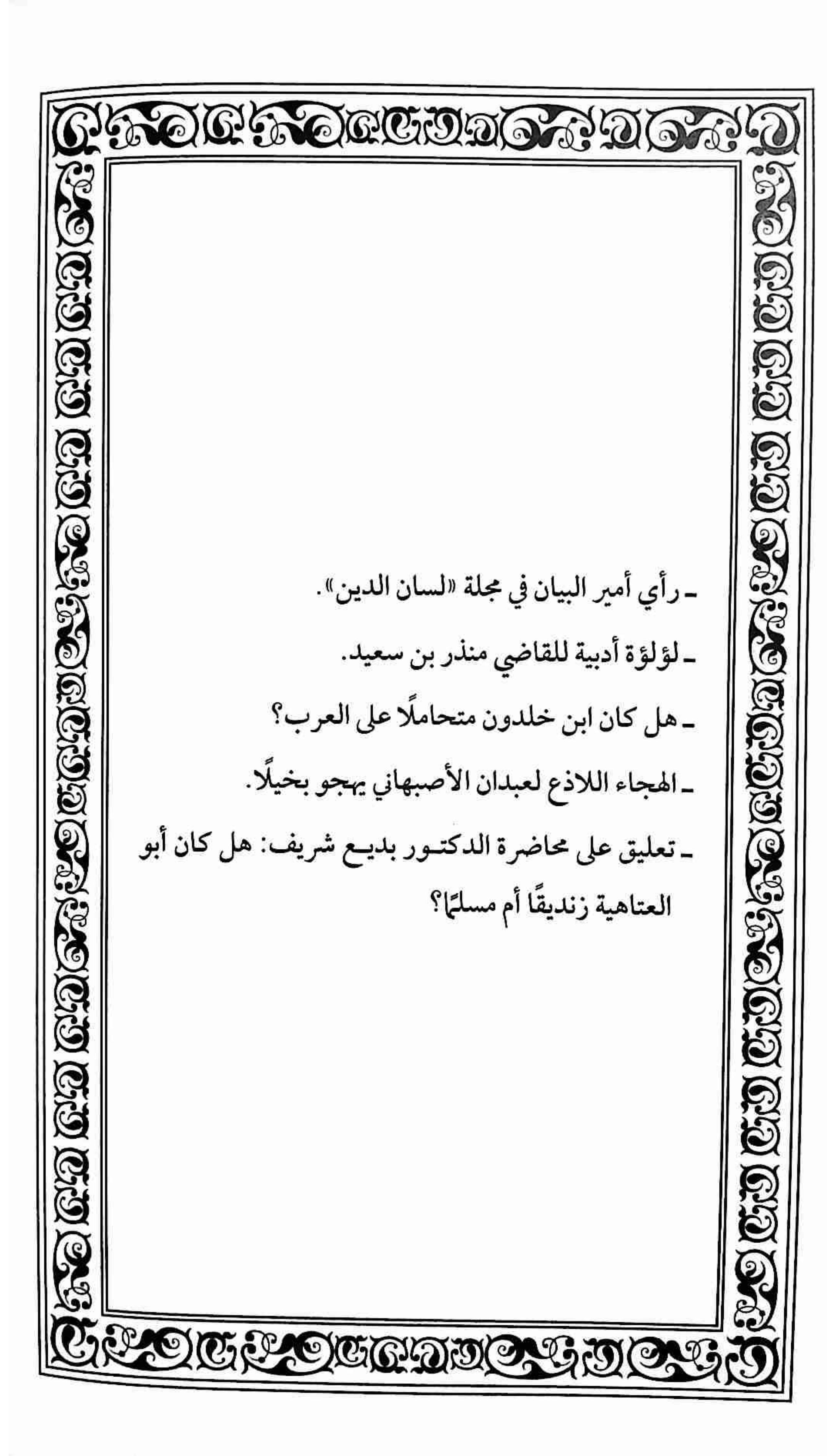


القسم الثاني

العلماء والأدباء

وفيه:

- الإمام بقي بن مخلد.
- نُبُوُّ مدينة بغداد بأديبها وعالمها في زمانه القاضي عبد الوهاب ابن نصر - رحمه الله - وبعض شعره.
- حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (١).
- حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (٢).
- ترجمة لسان الدين ابن الخطيب (١).
- ترجمة ابن الخطيب (٢): أصغر تآليف ابن الخطيب (١).
- ترجمة ابن الخطيب (٣): أصغر تآليف ابن الخطيب (٢).
- ترجمة ابن الخطيب (٤): ذِكر تآليف ابن الخطيب على ما ذكره المقَّري.
- ترجمة ابن الخطيب (٥): توليته الكتابة.
- ترجمة ابن الخطيب (٦).
- ترجمة ابن الخطيب (٧): نموذج من شعر ابن الخطيب.



- رأي أمير البيان في مجلة «لسان الدين».

- لؤلؤة أدبية للقاضي منذر بن سعيد.

- هل كان ابن خلدون متحاملًا على العرب؟

- الهجاء اللاذع لعبدان الأصبهاني يهجو بخيلًا.

- تعليق على محاضرة الدكتـور بديـع شريف: هل كان أبو العتاهية زنديقًا أم مسلمًا؟

* الإمام بقي بن مخلد الأندلسي(١)

إن من أهم أغراض هذه المجلة تعريف قرائها بأساطين الإسلام، وأئمة الأعلام، ولا سيما من كان منهم على مذهبنا: مذهب أهل الحديث - نضر الله وجوههم في الجنة -.

وإن الإمام بقي بن مخلد هو الإمام الأعظم، والمتبوع الأكرم لجميع السلفيين من أهل العدوتين: عدوة الأندلس وعدوة المغرب، وها نحن نتحف قراءنا بترجمة مختصرة لهذا الإمام ليقتدوا به فيهتدوا.

قال المقري في «نفح الطيب» (١/ ٥٦٩) ما نصه: ومنهم بقي بن مخلد بن يزيد، أبو عبد الرحمن القرطبي الأندلسي الحافظ، أحد الأعلام وصاحب «التفسير» و«المسند»، أخذ عن يحيى بن يحيى الليثي ومحمد بن عيسى الأعشى، وارتحل إلى المشرق، ولقي الكبار، وسمع بالحجاز مصعبًا الزهري وإبراهيم بن المنذر وطبقتهما، وبمصر يحيى بن بكير وزهير بن عباد وطائفة، وبدمشق إبراهيم بن هشام الغساني وصفوان بن صالح وهشام بن عمار وجماعة، وببغداد أحمد بن حنبل وطبقته، وبالكوفة يحيى بن عبد الحميد الحماني ومحمد بن عبدالله بن نمير وأبا بكر بن أبي شيبة وطائفة، وبالبصرة أصحاب حماد بن زيد، وعني بالأثر عناية عظيمة لا مزيد عليها. وعدد شيوخه مئتان وأربعة وثلاثون رجلًا، وكان إمامًا زاهدًا صوامًا صادقًا كثير التهجد مجاب الدعوة قليل المثل مجتهدًا لا يقلد؛ بل يفتي بالأثر - أي: الحديث -.

ولد في رمضان سنة إحدى ومئتين، وتوفي في جمادى الأخيرة سنة

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء العاشر، جمادى الأولى ١٣٦٦هـ - إبريل ١٩٤٧م، (ص٢١ - ٢٥).

ست وسبعين ومئتين.

قـال ابن حزم: أقطع ـ أي: أجزم ـ أنه لم يؤلف في الإسلام مثل «تفسيره»، لا «تفسير محمد بن جرير» ولا غيره[1].

وكان محمد بن عبد الرحمن الأموي صاحب الأندلس محبًّا للعلوم عارفًا بها، فلما دخل بقي بن مخلد الأندلس بـ «مصنف ابن أبي شيبة»، وقرئ عليه؛ أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف واستبشعوه، وقام جماعة من العامة عليه، ومنعته من قراءته، فاستحضره الأمير محمد وإياهم وتصفح الكتاب جزءًا جزءًا حتى أتى على آخره، ثم قال لخازن كتبه: هذا الكتاب لا تستغني خزانتنا عنه، فانظر في نسخة لنا. وقال لبقي: انشر علمك وارو ما عندك. ونهاهم أن يتعرضوا له[2].

ـ مؤلفاته:

قال ابن حزم: «مسند بقي» روى فيه عن ألف وثلاث مئة صاحب ونيف، ورتب حديث كل صاحب على أبواب الفقه؛ فهو مسند ومصنف، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتفاله في الحديث، وله مصنف في فتاوى الصحابة والتابعين؛ أربى فيه على «مصنف أبي بكر بن أبي شيبة» وعلى «مصنف عبد الرزاق» وعلى «مصنف سعيد بن منصور». ثـم ذكـر «تفسيره»، فقال: فصارت تصانيف هذا الإمام الفاضل قواعد الإسلام، لا نظير لها، وكـان متخيرًا، لا يقلد أحدًا، وكان جاريًا في مضمار البخاري ومسلم والنسائي[3].

---

(١) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٨٨)، «الوافي بالوفيات» (١٠/ ١١٦)، «مرآة الجنان» (٢/ ١٤١).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٢٨٨)، «الوافي بالوفيات» (١٠/ ١١٦).

(٣) انظر: «الوافي بالوفيات» (١٠/ ١١٦).

وذكر القشيري[1] أن امرأة جاءته فقالت له: إن ابني قد أسرته الفرنج وإني لا أنام الليل من شوقي إليه، ولي دويرة أريد أبيعها لأفتكه ـ أي: لأفكه ـ بها، فإن رأيت أن تشير إلى من يأخذها ويسعى في فكاكه، فليس لي ليل ولا نهار، ولا صبر ولا قرار. فقال: نعم، انصرفي حتى ننظر في ذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ. وأطرق الشيخ، وحرك شفتيه يدعو الله ـ تعالى ـ لولدها بالخلاص، فذهبت، فما كان غير قليل حتى جاءت، وابنها معها، فقالت: اسمع خبره ـ يرحمك الله تعالى ـ. فقال: كيف كان أمرك؟ فقال: إني كنت فيمن يخدم الملك، ونحن في القيود، فبينما أنا ذات يوم أمشي إذ سقط القيد من رجلي، فأقبل علي الموكل بي فشتمني، وقال: فككت القيد من رجليك؟ فقلت: لا والله! ولكن سقط ولم أشعر. فجاؤوا بالحداد فأعاده وسمر مسماره وأيده، ثم قمت فسقط ـ أيضًا ـ فسألوا رهبانهم، فقالوا: ألك والدة؟ فقلت: نعم! فقالوا: إنه قد استجيب دعاؤها له فأطلقوه. فأطلقوني وخفروني ـ أي: حرسوني ـ إلى أن وصلت إلى بلاد الإسلام. فسأله بقي عن الساعة التي سقط القيد من رجليه فيها؟ فإذا هي الساعة التي دعا له فيها اهـ.

أقول: ولا غرابة في أن يكون أهل الحديث المتبعون له المجتنبون للتقليد والتمذهب المفضي إلى التعصب الذميم مستجابي الدعوة؛ فقد قال العلماء في قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله**» ـ وهو في «صحيح البخاري» وغيره[2] ـ أنهم أهل الحديث، فإن لم يكن أهل الحديث أولياء الله الذين يحارب من حاربهم فليس لله ولي.

---

(١) روى القصة إجازة وصلت إليه منه: صاحب «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» (١٧٨ـ ١٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣١١) ومسلم (١٥٦ و١٠٣٧ و١٩٢٠ و١٩٢٣).

* **نبو مدينة بغداد بأديبها وعالمها في زمانه القاضي عبد الوهاب بن نصر ـ رحمه الله ـ وبعض شعره**[1]

قال صاحب «الديباج»[2]: هو عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي، القاضي أبو محمد، أحد أئمة المذهب. ثم ذكر مشيخته وولايته القضاء في بلدان عراقية قد انقرضت؛ كبادوليا وباكسايا، ورحلته إلى مصر آخر الأمر في طلب الرزق. ثم قال:

ونبت به بغداد، كعادة البلاد بذوي فضلها، وعلى حكم الأيام في محسني أهلها، فخلع أهلها، وودع ماءها وظلها، وحدثت أنه تبعه يوم فصل عنها ـ أي: خرج لوداعه يوم رحليه من بغداد ـ من أكابرها وأصحاب محابرها ـ أي: كتابها ـ جملة موفورة، وطوائف كثيرة، وأنه قال: يا أهل بغداد! والله! لو وجدت بين ظهرانيكم رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت ببلدكم أمنية ـ أي: لو وجدت من يتكفل لي منكم برغيفين صباحًا ومثلهما عشية ما اخترت بلدًا غير بلدكم، وإن فيه بلوغ الأماني وخفض العيش ـ، وفي ذلك يقول:

سَلَامٌ عَلَى بَغْدَادَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ[3] ... وَحَقٌّ لَهَا مِنِّيْ سَلَامٌ مُضَاعَفُ

فَوَاللهِ[4] مَا فَارَقْتُهَا عَنْ قِلًى[5] لَهَا ... وَإِنِّي بِشَطَّيْ[6] جَانِبَيْهَا لَعَارِفُ

---

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الخامس، ذي الحجة ١٣٦٥هـ - نوفمبر ١٩٤٦م، (ص١٢ ـ ١٦).

(٢) (٢/ ٢٦ ط التراث).

(٣) في «الديوان»: «منزل».

(٤) في «الديوان»: «لعمرك».

(٥) أي بغض. (منه).

(٦) الشط هو الشاطئ. (منه).

=

وَلَكِنَّهَا ضَاقَتْ عَلَيَّ بِأَسْرِهَا[1] ... وَلَمْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ فِيْهَا تُسَاعِفُ
وَكَانَتْ كَخِلٍّ كُنْتُ أَهْوَى دُنُوَّهُ ... وَأَخْلَاقُهُ تَنْأَى[2] بِهِ وَتُخَالِفُ[3]

وله في هذا المعنى ـ أيضًا ـ:

بَغْدَادُ دَارٌ لِأَهْلِ الْمَالِ وَاسِعَةٌ ... وَلِلصَّعَالِيْكِ دَارُ الضَّنْكِ وَالضِّيْقِ
أَصْبَحْتُ فِيْهِمْ مُضَاعًا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ[4] ... كَأَنَّنِيْ مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ زِنْدِيْقِ[5]

ثم رحل إلى مصر فملأ أرضها وسماءها، واستتبع[6] سادتها وكبراءها، وتناهت إليه الغرائب، وانهالت في يده الرغائب، وذلك حين ولي قضاءها.

ثم لم يلبث أن مات، وروي أنه قال في مرض موته: لا إله إلا الله، (لما عشنا متنا) يعني: لما توفرت عندنا أسباب العيش جاء الموت، ولم يمهلنا حتى نتمتع بهذا العيش الناعم. ثم ذكر تآليفه في الفقه وأصوله وفي الخلاف.

= وفي «الديوان»: «بحسني».

(١) في «الديوان»: «برحبها».

(٢) تبعد. (منه).

(٣) «ديوان القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي» (٥١ ـ ٥٢) جمع وتوثيق وتحقيق د. عبد الحكيم الأنيس، وضع هذه الأبيات في (القسم الثاني: الشعر المنسوب إلى القاضي عبد الوهاب وإلى غيره).

(٤) شطر البيت في «الديوان» هكذا: «أصبحت فيها مهانًا في أزقتها».

(٥) «الديوان» (٣٥ ـ ٣٦)، وضعها في (القسم الأول: شعر القاضي عبد الوهاب الذي لم يشاركه أحد في نسبته ـ فيما أعلم ـ).

(٦) أي صاروا له أتباعًا. (منه).

أقول: وكان هذا الإمام فحلًا مجتهدًا، وكان يذم التقليد وأهله ذمًّا شديدًا.

انظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم، و«الرد على من أخلد إلى الأرض، وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض» للسيوطي، الأول طبع مرارًا في مصر، والثاني طبع في الجزائر.

ومن شعر القاضي عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ وكأنه كان ناطقًا بلسان حالي أنا:

طَلَبْتُ الْمُسْتَقَرَّ بِكُلِّ أَرْضٍ ... فَلَمْ أَرَ لِي بِأَرْضٍ مُسْتَقَرَّا

وَنِلْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَنَالَ مِنِّيْ ... فَكَانَ مَنَالُهُ حُلْوًا وَمُرَّا[١]

أَطَعْتُ مَطَامِعِيْ فَاسْتَعْبَدَتْنِيْ ... وَلَوْ أَنِّيْ قَنِعْتُ لَكُنْتُ حُرَّا[٢]

وله ـ أيضًا ـ في الحكم:

مَتَى تَصِلُ[٣] الْعِطَاشُ إِلَى ارْتِوَاءٍ ... إِذَا اسْتَقَتِ الْبِحَارُ مِنَ الرَّكَايَا

وَمَنْ يَثْنِي الْأَصَاغِرَ عَنْ مُرَادٍ ... وَقَدْ جَلَسَ الْأَكَابِرُ فِي الزَّوَايَا

وَإِنْ تَرَفُّعَ الْوُضَعَاءُ يَوْمًا ... عَلَى الرُّفَعَاءِ مِنْ إِحْدَى الْبَلَايَا[٤]

إِذَا اسْتَوَتِ الْأَسَافِلُ وَالْأَعَالِي ... فَقَدْ طَابَتْ مُنَادَمَةُ الْمَنَايَا[٥]

---

(١) إلى هنا تنتهي المطابقة بيني وبينه. (منه).

(٢) «الديوان» (٧١)، وضعها في (القسم الثالث: المنسوب إليه خطأ).

(٣) في «الديوان»: «يصل».

(٤) في «الديوان»: «الرزايا».

(٥) «الديوان» (٤٢)، وضعها في (القسم الأول: شعر القاضي عبد الوهاب الذي لم =

وأنتم أيها المستضعفون من القراء الذين قدر عليهم رزقهم في الفهم؛ كأني بكم تقولون: لم نفهم جيدًا هذه الأبيات، فاشرحها لنا ـ يرحمك الله ـ.

فأقول: حبًّا وكرامة، دونكم شرحها:

١ ـ إذا كانت البحور لا يكفيها ماؤها حتى تأخذ الماء من الآبار؛ فالعطاش لا تروى أبدًا، أما إذا كان الأغنياء ذوي تلهف وتعطش إلى زيادة أموالهم فأخذوا ينهبون أموال الفقراء؛ فإنهم لم يرووا من عطشهم أبدًا، وفي «الصحيح»[1] أن النبي ﷺ قال: «**لو أعطي ابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**».

٢ ـ إذا جلس الأكابر في زوايا بيوتهم وتركوا الصغار السفهاء وشأنهم يفعلون ما شاؤوا؛ فسدت الأحوال واختلت الأمور؛ لأن أولئك السفهاء لا يمنعهم من الشر والفساد إلا زجر الكبراء لهم.

٣ ـ إن تكبر الأخساء على الشرفاء من أعظم المصائب.

٤ ـ متى استوى الأسافل الجهال مع الأعالي العلماء الأفاضل؛ فالموت خير من الحياة.

ولد القاضي عبد الوهاب سنة ٣٦٢هـ، وتوفي بمصر سنة ٤٢٢هـ.

* * *

= يشاركه أحد في نسبته ـ فيما أعلم ـ).

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٦ و٦٤٣٧ و٦٤٣٨ و٦٤٣٩) ومسلم (١٠٤٨ و١٠٤٩ و١٠٥٠).

* حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (١)[1]

للدكتور تقي الدين الهلالي

نقدم للقراء فيما يلي بحرًا من بحور العلم من أهل الأندلس، هو آية باهرة وحجة ظاهرة على ما كان لأسلافنا في الجزيرة الأندلسية والمغرب من أياد بيض على الثقافة العلمية، وبرهان قاطع على خصب عقول أهل المغرب والأندلس ونبوغهم في جميع العلوم التي كانت مزدهرة في ذلك الزمان.

وقد اتخذنا ترجمة هذا العلامة النابغة مقدمة وفاتحة لتعريف الخلف بكنز السلف، فذلك أجدر أن يهيب بهم إلى اقتفاء آثارهم وإبراز مكونات علومهم، التي يعتقد بحق أنه لا بعث للمغرب ولا نشور إلا بتجديد ما درس منها، والسير على سننهم ومنهاجهم في مجاراة العالم ومسابقة شعوبه في ميدان الثقافة العامة، والكدح في إحراز قصب السبق فيها.

وسنعرض على قرائنا أولًا ما نطقت به سجلات التاريخ من أخبار الإمام وعلومه وأدبه الجم:

قال ابن فرحون المتوفى سنة ٧٩٩هـ في كتابه «الديباج المذهب» (ط. مصر ١٣٢٩هـ، ص٣٥٧): «يوسف بن عمر بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري، الحافظ، شيخ علماء الأندلس وكبير محدثيها في وقته، وأحفظ من كان فيها لسنة مأثورة من أهل قرطبة، طلب بها العلم وتفقه عند أبي عمر بن المكوي، ولازم أبا الوليد ابن الفرضي، وعنه أخذ كثيرًا من علم الرجال والحديث، سمع الحديث

---

(١) نشرت في جريدة «الأخبار» التطوانية، السنة الأولى، العدد السادس، بتأريخ ٤ ربيع الثاني ١٣٦٢هـ - ١٠ إبريل ١٩٤٣م.

النبوي وأحاديث الأحكام والأدب من سعيد بن نصر وعبد الوارث وأحمد بن قاسم البزاز وأبي محمد بن أسد وخلف بن سهل الحافظ وجماعة، وسمع منه الحديث والأدب عالم كثير من جلة أهل العلم كأبي العباس الدلائي وأبي محمد بن أبي قحافة وأبي عبدالله الحميدي وأبي علي النسائي وأبي بحر سفيان ابن العاصي».

قال ابن فرحون: «وذكر صاحب «الوفيات» ـ يعني: «وفيات الأعيان»[1] لابن خلكان ـ عن القاضي أبي علي بن سكرة قال: سمعت شيخنا القاضي أبا الوليد الباجي يقول: لم يكن بالأندلس مثل أبي عمر ابن عبد البر في الحديث. وقال الباجي ـ أيضًا ـ: أبو عمر أحفظ أهل المغرب.

وقد ألف أبو عمر في شرح «الموطأ» كتبًا كثيرة؛ ومنها «كتاب التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد»، رتبه على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم، وهو كتاب لم يتقدم أحد إلى مثله، وهو سبعون جزءًا، قال أبو محمد ابن حزم: لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله؛ فكيف أحسن؟!

ثم صنع كتاب «الاستذكار بمذاهب علماء الأمصار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار» شرح فيه «الموطأ» على وجهه ونسق أبوابه، وصنع كتابًا جمع فيه أسماء الصحابة، وهو كتاب جليل مفيد سماه كتاب «الاستيعاب»، وألف ـ أيضًا ـ كتاب «الكافي في الفقه»، وله كتاب «جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحفله»، وكتاب «الدرر في اختصار المغازي والسير»[2]، وكتاب «العقل

---

(١) (٧/ ٦٦ ط دار صادر).

(٢) هذا الكتاب وما قبله، مع «البهجة»؛ من الكتب المطبوعة، وتعددت طبعات «التمهيد»، وآخرها طبعة د. بشار عواد، ولعلها أحسن الطبعات، وكذا تعددت طبعات «الاستذكار»، ولم يخدم الكتاب الخدمة اللائقة به.

والعقلاء وما جاء في أوصافهم»، وله كتاب صغير في قبائل العرب وأنسابهم سماه «جمهرة الأنساب»، وصنف كتاب «بهجة المجالس وأنس المجالس» في ثلاثة أسفار، جمع فيه طرفًا أدبية وأشياء مستملحة هي زينة للمذاكرة والمحاضرة» وذكر ثلاث لطائف نقلها من هذا الكتاب في تعبير الرؤيا، لا يتسع لها هذا المقال.

ثم قال: «وكان أبو عمر ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ موفقًا في التأليف مُعانًا عليه، ونفع الله بتآليفه، فكان مع تقدمه في علم الأثر وتبصره بالفقه ومعاني الحديث؛ له بسطة كبيرة في علم النسب».

يتبع

***

* حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري (٢)[١]

ومن مناقب أبي عمر أنه كان مالكيًّا حقًّا على التمام والكمال؛ فكان مالكيًّا في العقيدة؛ أي: على عقيدة أهل السلف الصالح، بريئًا من العقائد المبتدعة، كما كان عليه أوائل المالكية، بخلاف متأخريهم، وكان مالكيًّا في الاتباع ومجانبة التقليد ومحاربة من يقول به كما يدل عليه كتابه «جامع بيان العلم وفضله».

قال المستشرق الجرماني بروكلمن في كتابه «Die Gesdiechte der axabuche Littertu» في ترجمة الحافظ أبي عمر ما معناه: «وكان في أول الأمر ظاهريًّا ثم انتقل إلى مذهب مالك»، ومن دواعي الأسف! أني لم أتمكن من الاستفادة من الكتاب المذكور في كتابة هذا المقال؛ لأني ذهبت لأستعيره من خزانة الكتب العامة بتطوان فوجدته قد استعير، فبقي ـ بسبب ذلك ـ هذا المقال أبتر لعدم ذكر الخزائن التي

---

(١) نشرت في جريدة «الأخبار» التطوانية، السنة الأولى، العدد الثامن، بتأريخ ٧ ربيع الثاني ١٣٦٢هـ ـ ١٣ إبريل ١٩٤٣م، (ص٣).

توجد فيها تآليف هذا الإمام القيمة، ولمعرفة ما هو موجود في خزائن الكتب العالمية يمكن الانتفاع به، ومعرفة ما ضاع منها أو لم يعثر عليه بعد.

وأعِد القراء أني سأعود إلى الموضوع عندما يقع نسخة من كتاب بروكلمن[1] في يدي مرة أخرى.

وإن فاتني ذلك؛ فلا يفوتني أن أنوه بأحد كتبه الثمينة المعروف مكانها، وهذا الكتاب قريب المتناول على طرف التمام؛ ألا وهو كتاب «الاستذكار» الذي مر ذكره أعلاه، وتوجد نسخة منه في (إسكوريال) بإسبانية كما في «بروكلمن»، وقد رأيت نسخة منه في مدينة لكناو بالهند في أربعة مجلدات، وتوجد نسخ أخرى في الخزائن العلمية قد ذكرها بروكلمن Broclmann.

ـ اقتراح على سمو الخليفة المعظم ورجال المعارف الإسبانيين ولا سيما المستعربون منهم:

لابد لي أن أقف عند كتاب «الاستذكار» وقفة العاشق على ربع حبيبته:

لا يخفى أن كتاب «الموطأ» للإمام مالك ـ رحمه الله ـ هو إمام كتب الحديث والفقه، وأنه كنز عظيم من كنوز العلم، يهم جميع العلماء بعلوم الإسلام من مسلمين وأجانب، ولاسيما أهل المغرب؛ لاتباعهم لفقه الإمام مالك ـ رحمه الله ـ، ثم لا يخفى أن كتاب «الاستذكار» هو الشرح الوحيد الذي أوضح مسائل «الموطأ» وأزال النقاب عن علومه، فهو ديوان العلوم الإسلامية ومنهلها العذب، ورجال العلم محتاجون إليه أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن العلم غذاء الروح، والطعام والشراب غذاء البدن، ومعلوم فضل الروح على البدن، فأنا بلسان العلم أقترح على غصن الدوحة الإسماعيلية مولانا الحسن بن المهدي وعشاق العلم

---

(١) ترجم الكتاب إلى العربية، وترجمة ابن عبد البر فيه (٦/ ٢٦٠ ـ النشرة العربية).

والأدب من رجال إسبانيـة المغرمين بإحياء آثار السلف وتخليد مناقبهم التي يحق الإعجاب بها والفخر بها؛ أن يطبعوا هذا الكتاب ويخرجوه إلى العالم، وأنا الكفيل لهم بالربح المادي زيادة على حسن الأحدوثة وطيب الثناء على السنة أهل هذا الجيل والأجيال المقبلة.

الدكتور تقي الدين الهلالي

❊ ❊ ❊

❊ ترجمة لسان الدين ابن الخطيب[1] (١)

قال المَقَّري في «أزهار الرياض» (ج١، ص١٨٦): ولا بد أن نلم بنبذة من أخبار ابن الخطيب السلماني الوزير؛ إذ هو لسان الدين، وفخر الإسلام بالأندلس في عصره، فنقول:

هو محمد بن عبدالله بن سعيد بن عبدالله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، قرطبي الأصل ثم لَوشِيَّه[2]، يكنى أبا عبدالله، ويلقب من الألقاب المشرفة بـ(لسان الدين)، الوزير الشهير الطائر الصيت، المثل المضروب في الكتابة والشعر والمعرفة بالعلوم على اختلاف أنواعها.

ثم نقل المَقَّري عن ابن الأحمر في كتاب «فرائد الجمان» مدحًا عظيمًا له ولسلفه وآبائه، وصفهم بالعلم والصلاح والرئاسة؛ كالوزارة وغيرها من المناصب العالية، ثم قال: وكان بيتهم يعرف في القديم بـ(بني الوزير)، ثم في الحديث بـ(بني

---

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الأول، شعبان ١٣٦٥هـ- يوليه ١٩٤٦م، (ص٣٥ ـ ٤٠).

(٢) نسبة إلى لوشة ـ بفتح اللام وسكون الواو ـ: قرية غير بعيدة من غرناطة، وتسمى في هذا الزمان عند الإسبانيين (لوخا) بضم اللام والخاء المعجمة. (منه).

الخطيب)، وسعيد جده الأعلى أول من تلقب بـ (الخطيب)، وكان من أهل العلم والدين والخير، وكذلك سعيد جده الأقرب كان على خلال حميدة وكان صدرًا في العلوم متفننًا فيها، وأبوه عبدالله كان من أهل العلم بالأدب والطب، وقرأ على أبي الحسن البلوطي وأبي جعفر ابن الوزير وغيرهما، وتوفي بـ (طريف) عام واحد وأربعين وسبع مئة شهيدًا يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى، ثابت الجأش ـ شكر الله سعيه ـ، قال ابنه لسان الدين صاحب الترجمة: أنشدت والدي أبياتًا من شعري، فسر وتهلل، وارتجل ـ رحمه الله ـ:

الطب والشعر والكتابة سماتنا في بني النجابه
هي ثلاثة مبلغات مزايا بعضها الحجابه[1]

ـ نشأته:

ونشأ لسان الدين على حالة حسنة، سالكًا سنن أسلافه، فقرأ القرآن حفظًا ثم تجويدًا على الأستاذ الصالح العواد[2]، ثم قرأه على أستاذ الجماعة أبي الحسن القيجاطي، وعليه قرأ العربية، وقرأ على الخطيب أبي القاسم ابن جزي، ولازم قراءة العربية والفقه والتفسير على الإمام أبي عبدالله بن الفخار البيري شيخ النحويين لعهده، وقرأ على قاضي الجماعة أبي عبدالله أبي بكر، وتأدب بالرئيس أبي الحسن ابن الجياب، وروى عن كثير من الأعيان كالمحدث شمس الدين بن جابر، ثم ذكر جماعة من شيوخه في الحديث ثم قال: وله رواية عالية، ثم ذكر جماعة آخرين من شيوخه بطول تعدادهم، ثم قال: وروى عن أشهر أسلافنا

---

(١) البيتان في: «نفح الطيب» (٥/ ١٦) و«أزهار الرياض» (١/ ١٨٧) و«شذرات الذهب» (٦/ ١٢٧) و«الإحاطة في أخبار غرناطة» (٣/ ٣٩).

(٢) في «أزهار الرياض»: «أبي عبدالله بن عبد الولي العواد».

المتأخرين القاضي أبي عبدالله المقري[1] القرشي التلمساني المولد والمنشأ والمقبر، قاضي الجماعة بفاس، وعن الشريف أبي علي حسن بن يوسف، وعن الخطيب الرئيس الراوية أبي عبدالله ابن مرزوق، وعن المحدث الفاضل الحسيب أبي العباس بن يربوع السبتي، والرئيس الكاتب أبي محمد بن عبد المهيمن الحضرمي السبتي، والشيخ المقرئ أبي محمد بن أيوب المالقي آخر الرواة عن ابن أبي الأحوص. ثم قال بعد ذكر طائفة آخرين: إلى غيرهم ممن يطول ذكرهم من أهل الأندلس والعدوة الغربية.

أقول: وبذلك تعلم أن المغرب والأندلس في العلم والأدب كانا كالقطر الواحد، ولا سيما بعدما صارا مملكةً واحدةً في زمان المرابطين وما بعده إلى انقراض مملكة غرناطة.

قال: وأخذ عن أهل المشرق وإفريقيا بالإجازة.

أقول: والمراد بـ (إفريقيا) تونس وما بعدها إلى جهة المشرق.

ثم قال: وأخذ الطب والتعاليم ـ يعني: الفلسفة ـ وصناعة التعديل عن الإمام أبي زكرياء يحيى بن هذيل ولازمه.

ذكر بروكلمن في كتابه الشهير «تاريخ الأدب العربي» نحو ثلاثين؛ منها الكبير الذي في مجلدات، ومنها الصغير، وقد كنا نريد أن ننقل هذه التآليف وما قاله بروكلمن في هذا الإمام، ولكن إدارة خزانة الكتب العامة في تطوان أبت أن تعيرنا الكتاب المذكور، وتعللت بشتى الأعذار، وكان هذا الكتاب في متناول يدي منذ

---

(١) المقري ـ بفتح فقاف مفتوحة مشددة ـ: بيت علم من أهل تلمسان، وعلماء المغرب ينطقون به بفتح فسكون، وكلاهما صحيح. انظر: «طبقات المالكية» لأحمد بابا السوداني. (منه).

أربع سنين، وفي الأيام الأخيرة امتنع، مع أنه لا يوجد أحد يعرف لغة الكتاب الألمانية سواي في هذا البلد، وهذا من العجائب! ولا نريد أن نقول أكثر من هذا، وفي فهرست خزانة مدريد الموسومة بـ (الخزانة الوطنية) ذكر تلك التآليف التي ذكرها بروكلمن، وكذا في «فهرست إسكوريال»[1]، وكلها موجودة في إسكوريال وفي مدريد، وقد توجد نسخ في غير إسبانيا من مؤلفاته، وأغلبها لم تطبع، أما المقري؛ فقد ذكر هنا خمسين كتابًا، فزاد نحو عشرين على ما في الفهارس المتقدمة الذكر، وسنذكرها ليطلع عليها القارئ فيزيد إعجابه بهذا الرجل النابغة، ولا غرو؛ فإن بروكلمن نفسه لم يتمالك أن يبدي تعجبه من هذا النابغة الذي لم تشغله أعباء الحكم والوزارة والسفارات والحبس والنكبات والأسفار عن تأليف تلك التآليف العظيمة الحجوم في مختلف العلوم، وإذا رأيت بروكلمن يتعجب من عالم مؤلف فاحسب لتعجبه ألف حساب؛ لأنه هو نفسه من الموفقين كل التوفيق في ذلك، وتأليف بروكلمن بلغات عديدة؛ منها: لغته الجرمانية واللاتينية والعبرانية والسريانية واليونانية والعربية وغيرها.

* * *

* ترجمة ابن الخطيب (٢)

ـ أصغر تآليف ابن الخطيب[2] (١)

المقالة المسماة بـ «مقنعة السائل عن المرض الهائل»[3]؛ وهي مقالة في عشر

---

(١) (رقم ٥٠٣).

(٢) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الأول، شعبان ١٣٦٥هـ ـ يوليه ١٩٤٦، (ص٢٣ ـ ٢٧).

(٣) ذكر ابن الخطيب في كتابه «الوصول لحفظ الصحة في الفصول» (ق٢٧٨ ـ نسخة =

= الخزانة العامة بالرباط، رقم ٩٦٠) هذا الكتاب، وسمّاه (مقالة)، فقال ما رسمه: «وقد كنّا عند اضطراب الناس في أمر الطاعون العام؛ أملينا يومًا بباب السلطان على مَن به من الأطباء (مقالة) نبيلة هي اليوم مشهورة شائعة».

وسماها ابن الخطيب في «الإحاطة» (٤/ ٤٥٩) بـ«رسالة في الطاعون»، وهي كذلك في «أزهار الرياض» (١/ ١٨٩) و«جذوة الأقباس» (١/ ٣٠٨)، بينما سُمِّيت في «نفح الطيب» (٧/ ٩٩): «الكلام على الطاعون».

وكتبها ابن الخطيب في الطاعون الجارف الذي عمَّ الأرض كلها، وسُمِّي بـ(الطاعون الأسود) (Black Death)، وبلغ عدد وفيات بعض دول أوروبا بسببه أكثر من ثلثي السكان، وتشير الإحصاءات إلى أن ربع سكان أوروبا ـ أي: حوالي خمسًا وعشرين مليون نسمة ـ قد ماتوا من الطاعون في ذروة الوباء الذي كان في القرن التاسع الهجري سنة (٨٣٣هـ) أو القرن الرابع عشر الميلادي، جاء في «الموسوعة العربية العالمية» (١٥/ ٤٨٣):

«الطاعون الدبلي: مرض وبائي خطير ينتج ـ مثل غيره من أشكال الطاعون الأقل شيوعًا ـ عن جرثومة تسمى (اليرسنية الطاعونية)، ولا تستمر الإصابة به طويلًا، ولكن معدل الوفاة به عالٍ جدًّا.

ومنذ أقدم العصور اجتاحت أوبئة خطيرة من الطاعون الدبلي كلًّا من أوروبا وآسيا وإفريقيا؛ ففي القرن الرابع عشر تسبب نوع من الطاعون الدبلي عرف باسم (الموت الأسود) في هلاك ربع سكان أوروبا، وقد سمي المرض بهذا الاسم لأنه يؤدي إلى تكوين بقع من الدم تتحول إلى اللون الأسود تحت الجلد، ويسبب الطاعون الدبلي انتفاخ الغدد اللمفاوية الذي يسمى (الدبل)، ومنه جاءت التسمية.

ينتقل الطاعون إلى الإنسان عادة عن طريق براغيث تحمل المرض من فأر مريض، وينتمي حوالي ثلاثة أرباع الحالات إلى الطاعون الدبلي.

يساعد التحكم في انتشار الفئران والنظافة في عدم انتشار الطاعون، وخطورة هذا =

أوراق بقطع متوسط، ألفها فيما يتعلق بالطاعون العظيم الذي وقع في أواسط القرن الثامن الهجري؛ فاكتسح آسيا وإفريقيا وقسمًا كبيرًا من أوروبا، قال ابن الخطيب: «ومات فيه سبعة أعشار أهل الأرض»، وهذه المقالة شخَّص فيها المرض المذكور تشخيصًا دقيقًا جدًّا، لا أظن أن أطباء العصر الحاضر يزيدون عليه، ثم وصف التحرز منه قبل إصابته، ثم ما ينبغي من الإسعاف، فالعلاج بعد إصابته، ومن أعجب ما رأيته في هذه المقالة: وصفه للمعركة التي تقع بين ما سماه (الطباع البشرية) وبين (جراثيم المرض)، وسندرج هنا شيئًا ملخصًا عن ذلك ليقف عليه القارئ بنفسه.

ومن الفوائد الجليلة التي اشتملت عليه هاته المقالة: مناقشة المصنف للقائلين بعدم العدوى، وإقامة الحجة القاطعة عليهم عقلًا ونقلًا، والقارئ المغربي في حاجة

= الوباء عالية في الموانئ؛ حيث يسهل انتشار الوباء من دولة إلى أخرى عن طريق الفئران التي تنتقل في السفن والقطارات».

واعتنى المستشرقون بهذه المقالة قديمًا؛ فنشرها ماركوس جوزيف مولر الألماني مع ترجمة ألمانية في مجلة «أكاديمية العلوم البافارية»، مجلد (٦)، سنة ١٨٦٣م، (ص١ ـ ٣٥)، وترجمها إلى الإنجليزية م. ميرهوف الإنجليزي.

وشرح هذه المقالة ولد منشئها أبو محمد عبدالله، ونقل منه الرصاع في مواطن من كتابه «الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية»، انظر منه: (٩٠ ـ ٩١، ١٤٤، ١٤٧، ١٦٣ ـ ١٦٤، ٢٠٢).

ولهذه المقالة عدة نسخ خطية؛ أهمها: نسخة الإسكوريال رقم (١٧٨٥) ضمن مجموع (ق٣٩ ـ ٤٩) ـ وهي التي قابلنا عليها ـ، وأخرى في (١٨) ورقة، وثالثة في مكتبة كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط رقم (١٠١ ـ مكل).

ونشرتها حياة قاره عن دار الإيمان في الرباط سنة ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م في (١١٤) ورقة.

إلى ما كتبه هذا الإمام في هذه المسألة؛ فلذلك نورده ملخصًا ـ أيضًا ـ.

ـ وصف ابن الخطيب للمعركة التي تقع بين قوى البدن وقوى المرض:

قال: إذا ورد على بدن الإنسان ابتداء لاستعداده ـ وهو الأقل ـ أو[1] انتقالًا وعدوى ـ وهو الأكثر ـ انفعل له الروح، إما دُفعَة أو بعد مصابرة بحسب الاستعداد، فسخن وحَدَثَت الحُمَّى، وسرى في الشرايين، وعمَّ الحرُّ الغريب، وفسدت الرطوبات المبثوثة في العروق، وغلى الدم غليانًا عصاريًّا قاذفًا بالرطوبات الفاسدة الطافية، وعند ذلك تبادر الطباع بقدرة باريها ـ سبحانه ـ إلى دفع ذلك، فإن كانت مضطلعة به قاهرة إياه [وأعانتها هيئات قمرية فلكية حسبما ذكره المتكلمون في البُحران][2]؛ دفعتها ـ بإذن الله ـ على سبيل البحَّارين، ومن مجاريها المتعارفة: بولًا أو بِرازًا أو عرقًا أو رُعافًا أو نَزْفًا؛ فكان في ذلك النجاة، وإنْ قصرت عن هذا المقدار؛ صرفتها[3] إلى المواضع التي تندفعُ إليها موادُّ الأعضاء الرئيسة[4] ـ إذا أهمها أمرها وقدرت على دفعها ـ وهي المغابن[5] من خلف الأذن وتحت الإبط وأصل الفخذ، وكلٌّ بإزاء عضوه من دماغ وقلب وكبد، فإذا استقر قرارها هنالك إن[6] فضل عن هذا القدر من المدافعة فضلٌ، وكان في نشاطها ومددها من الروح سعةٌ؛

---

(١) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «و».

(٢) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل، وأثبته من المخطوط.

(٣) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «حرفتها».

(٤) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «الرئيسية».

(٥) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «المغابين».

(٦) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «أو».

حصرت العدوى بتلك المواضع وأدارت الحار الغريزي بها لقهر المواد[1] السمية، وشرعت في إنضاج المادة وتفجيرها أو تحليلها من قبل أن تجمع، فوقع - أيضًا - الخلاص بهذه السبيل.

وإنْ كانت الطباع غير مضطلعة بهذا الأمر الوارد عليها ولا قاهرة لتلك المواد السُّمِّيَة؛ فإما أن تخور وتلقي بيدها فتقع الإنذارات الردية والبحارين المهلكة، وتندفع تلك المواد إلى أقرب المواضع القابلة لها من محل الآفة وهي الرئة؛ لسخافتها وحركتها وانفعالها واستعدادها لمباشرة الانتشاق السُّمِّي منذ أول الأمر، فورمت وظهرت فيها أعراض ذات الرئة وفسدت أعضاء[2] الصدر بالمجاورة وظهر نفث الدم، وربما كان في الطباع فضلُ اضطلاع ومقاومة، فدفعت تلك المواد إلى المواضع[3] الثلاثة المذكورة أو غيرها بعد أن كادت تستقر بالرئة ووقع الإحساس ببعض أعراضها، ثم كان تراجعها بعد أن استنفدت وسعها كليلة إلى مركزها، فاستأسدت خلفها السَّوْرةُ السُّمِّية وظهر سلطانها فقهرت الروح وأطفأته، إما مع بقائها أورامًا ظاهرة، أو مع غورها واستبطانها؛ فكان الهلاك على هذا السبيل.

هذا مقتضى الصناعة وما يعطيه النظر بعد مراعاة مقدِّماتها من تشريح وغيره.

هذا ما قاله الإمام ابن الخطيب في المعركة التي تقع بين الجراثيم وبين القوة البدنية المدافعة، ونحن إذ لسنا من أهل هذه الصناعة؛ نترك التعليق على هذا

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «أعصاب».

(٣) في المخطوط: «الموضع».

الفصل لأطبائنا، راجين منهم أن يوافونا بآرائهم فيه.

وأما ما ذكره في العدوى فهو كما يلي:

يتبع

❊ ❊ ❊

❊ ترجمة ابن الخطيب (٣)

ـ أصغر تآليف ابن الخطيب (٢) (تابع لما سبق)[1]

ـ (القول الفصل في العدوى):

«إن قيل: ما معنى الاستعداد الذي تكرَّر لفظه في هذا الغرض، ووقف عليه كثير من مفهوم العدوى؟

قلنا: الاستعداد تهيُّؤ شيء لقبول شيء بمناسبته ومشاكلته لـه، حتى يلبس صورته على مسامحة في هذا التعريف، فإذا اتَّفق أن يكون المزاج الشخصي قريبًا في عرضه من مزاج الوارد السُّمِّي مستعدًّا لقبوله؛ قبله، ومال إليه من غـير مدافعـة ولا ممانعة، كما يثِبُ الزئبق على الذهب لشبهه بسنخه ومناسبته إياه، فيغوص فيه ويتَّحد به، ويسري في الأمشاج والرطوبـات بـسريان الـروح، فيفـسدها إفـساد السَّمُوم، وإن اتَّفق أن يكون بعيدًا منه في عرض مزاجه؛ قاومه مقاومـة الـضِّدية ومانعـه وتعاصى عليه قبولـه، فعلى بُعْدِ مـا بينهما في عرض المضادَّة تكون الممانعة والموافقة.

وقد يكون هذا البُعد خلقةً للمزاج أو يحصل بالعلاج، ولذلك ما حـرص

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الثاني، رمضان ١٣٦٥هـ- غشت ١٩٤٦م، (ص١٨ ـ ٢٣).

الأطباء عند تعرفهم بالحَدْس طبيعة هذا المرض على الميل بالتدبير إلى طرف من مضادته يخرج عن سبيل الاستعداد، وهو جواب مَنْ ردَّ دعوى العدوى[1] والانتقال بكون كثير من المباشرين للمرضى سلموا من مضرَّته مع الملازمة والقرب من العدد الكثير منهم وهلاك آخرين ممن لم يباشروا أو باشروا مباشرة يسيرة؛ إذ لم يعلم الجمهور أنَّ علَّة السلامة أو العطب بقدرة الله إنما هي الاستعداد أو عدمه، وأنَّ الناس في الاقتراب من نار تلك السُّمِّية بمنزلة الفتل التي تقرب من النار المشعلة[2] في السراج، وأن ما كان قريب عهد بالإيقاد والحرارة والدُّخانية أسرع به تعلق النار لحينه؛ وهذا[3] مثال المستعد الوافر الاستعداد، وما كان جافًّا غير قريب العهد بالنار قبل الإيقاد بعد انفعال في زمن أطول من الأول؛ وهو مثال الشارع في الاستعداد، وما كان من الفتل بليلًا مشربًا مائية؛ اشتعل بعد طول مصابرة ونشيش ومعاصاة، وبعد زمان تجفُّ فيه مائيته، فإما أن يتم اشتعاله بطول الزمان وعمل الدؤوب، أو ربما غلب الفاعل لضعفه عنه، أو خمد الفاعل قبل مصابرته، وهذا مثال البعيد عن الاستعداد، ومحله من المخاطرة ما علمت، **والجهل بهذا المعنى غلَّط الناس وعدَّد مصارعهم**، ولله در القائل[4]:

ما يبلغ الأعداءُ مِن جاهلٍ ما يبلغ الجاهلُ مِن نفسِه

فإن قيل: كيف نُسلِّم دعوى العدوى وقد ورد الشرع بنفي ذلك؟

قلنا: وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة

---

(١) في الأصل: «جواب دعوى من رد العدوى».

(٢) كذا في المخطوط، في الأصل: «المشتعلة».

(٣) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «هذا».

(٤) البيت في «روضة الأعلام» (٢/ ٩٧١) بلا نسبة.

والأخبار المتواترة، وهذه موادُّ البرهان، وغير خفي عمن نظر في هذا الأمر أو أدركه هلاك من يباشر هذا المريضَ وهذا المرض ـ غالبًا ـ، وسلامة من لا يباشره كذلك، ووقوع[1] المرض في الدار والمحلة لثوب أو آنية، حتى إنَّ القُرطَ (وهي الحلقة التي تتحلى بها المرأة في أذنها)[2] أتلف مَن عُلِّق بأذنه وأباد البيت بأسره، ووقوعُه في المدينة في الدار الواحدة ثم اشتعالُهُ منها في أفذاذ المباشرين ثم جيرانهم وأقاربهم وزُوَّارهم خاصة حتى يتَّسع الخَرْق.

وفي مدن السواحل المستصحبة حال السلامة، إلى أن يَحُلَّ بها في البحر من عُدوةٍ أخرى قد شاع عنها خبرُ الوباء رجلٌ موفٌ، فيكون تاريخ ظهور المرض بها[3] مقارنًا لحلوله وسلامة الكثير ممن أغيا في التوحُّش؛ كالزاهد ابن أبي مدين بمدينة سلا[4]، وكان من القائلين بالعدوى، وقد تزوَّد لمدة وبنى باب منزله على أهله، وهم كثيرون، وفنيَتْ المدينة ولم يُرزأ نسمةً واحدةً بطول[5] تلك المدة.

وتواترت الأخبار بسلامة أماكن لا تطؤها الطرق ومنقطعة عن الناس، ولا أعجب لهذا العهد[6] من سجن الأسرى من المسلمين ـ أنقذهم الله ـ بدار صَنْعةِ

---

(١) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «وقوع».

(٢) ما بين الهلالين من زيادات الهلالي.

(٣) سقطت من الأصل، وأثبتها من المخطوط.

(٤) مكانها بياض في المخطوط.

(٥) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «لطول».

(٦) سقطت من الأصل.

إشبيلية، وهم ألوف، ولم يُصبهم الطاعون، وقد كاد يستأصل المدينة.

وصحَّ النقلُ بسلامة أهل العمود والرحالين من[1] العرب[2] بإفريقيا وغيرها لعدم انحصار الهواء وقِلَّةِ تمكُّنِ الفساد منه.

وفي هـذا الباب وارتكاب اللِّجاج فيـه ألْحَمَ في الناس سـيف الطاعـون، وسلَّط الله عليهم من بعض المفتـين من اعترضهم بالفتيـا اعتراض الأزارقـة من الخوارج للناس بالسيوف، فسالت على[3] شـبا أقلامهم[4] من النفوس والـمُهَج ما لا يعلمه إلا من كتب عليهم الفناء بسببه ـ سبحانه ـ[5]، وإن كان بريءَ القصد من المضرَّة وقوفًا مع ظاهر لفظ الحديث.

ومن الأصول التي لا تجهل أن الدَّليل السمعيَّ إذا عارضه الحس والمشاهدة لزم تأويله، والحقُّ في هذا تأويله بما ذهب إليه طائفة ممن أثبت القول بالعدوى[6].

---

(١) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «في».

(٢) في الأصل والمخطوط: «الغرب».

(٣) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «عن».

(٤) أي: على أطراف أقلامهم.

(٥) ليست في الأصل ولا في المخطوط.

(٦) أخرج مسلم في «صحيحه» برقم (٢٢٢٢) عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طِيَرة ولا غُول**»، مع أنـه ﷺ أثبت العدوى، وأمر بالفرار من المجذوم، وذلك محمول على ما كانت تزعمه الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله ـ تعالى ـ، وإن هذه الأمور تعدي بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببًا لحدوث ذلك؛ ولهذا قال: «**فِرَّ من المجذوم كما تفِرُّ من الأسد**»، وقال: «**لا يُورِدُ مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ**»، وقال في الطاعون: «**مَن سمع به في أرض فلا يَقدمُ** =

وفي الشرع مؤنسات عديدة؛ كقوله (يعني: النبي ﷺ)[1]: «**لا يورد مُمْرِضٌ على مُصِحٍّ**»[2]، وقول الصاحب (وهو عمر بن الخطاب رضي الله عنه)[3]: «أَفِرُّ مِن قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِهِ»[4].

وليس هذا موضع الإطناب في هذا الغرض، والكلام في القول بالعدوى أو بعدمها شرعًا ليس من وظائف هذا الفن، إنما جرى مجرى الجمل المعترضة والـمُثُل، وله تحقيق في محلِّه.

وبالجملة؛ فالتَّصامُم عن مثل هذا الاستدلال زَعَارةٌ وتصاقُرٌ على الله (أي: جرأة عليه واستخفاف بأرواح خلقه)[5]، واسترخاص لنفوس المسلمين.

وقد وقف قوم[6] من أهل الورع بالعِدوة[7] إلى الناس مستقلين[8] مشهدين على أنفسهم بالرجوع عن الفتوى بذلك تحرُّجًا من تسويغ الإلقاء باليد إلى التهلكة،

= عليه»، وكل ذلك بتقدير الله ـ تعالى ـ، وهذا أحسن ما قيل فيه.

(١) ما بين الهلالين من إضافات الهلالي.

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧١) ومسلم (٢٢٢١).

والممرض: من له إبل مرضى، والمصح: من له إبل صحاح.

(٣) ما بين الهلالين من إضافات الهلالي.

(٤) أخرجه البخاري (٥٧٢٩) ومسلم (٢٢١٩) من حديث ابن عباس.

(٥) ما بين الهلالين من إضافات الهلالي.

(٦) مكانها بياض في المخطوط.

(٧) أي: أرض المغرب.

(٨) كذا في المخطوط، وفي الأصل: «مستقيلين».

عصمنا الله من الخطل ووفَّقنا في القول والعمل».

* * *

* ترجمة ابن الخطيب (٤) (تابع لما سبق)

ـ ذكر تآليف ابن الخطيب على ما ذكره المقري[1]

ذكر المقري تنويه ابن الأحمر بتآليف ابن الخطيب مع أنه كانت بينهما عداوة، وابن الأحمر هذا ابن عم السلطان الذي يخدمه ابن الخطيب، وتركت كلام ابن الأحمر لما فيه من الأشجاع التي هي كالأوجاع.

(١) «الإحاطة في تاريخ غرناطة» في خمسة عشر سفرًا.

(٢) «روضة التعريف بالحب الشريف» في التصوف.

(٣) «اللمحة البدرية في الدوحة النصرية».

(٤) «الحلل المرقومة».

(٥) «مثلى الطريقة في ذم الوثيقة».

(٦) «السحر والشعر».

(٧) «ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب» في أسفار.

(٨) «الصيب والجهام والماضي والكهام» في مجموع شعره.

(٩) «معيار الاختيار».

(١٠) «المفاضلة بين مالقة وسلا».

---

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الثاني، رمضان ١٣٦٥هـ ـ غشت ١٩٤٦م، (ص٨٤ ـ ٨٩).

(١١) «رسالة الطاعون».

(١٢) «المسائل الطبية» في سفر.

(١٣) «الرجز في عمل الترياق».

(١٤) «اليوسفي في الطب» في سفرين.

(١٥) «التاج المحلى في مساجلة القدح المعلى».

(١٦) «الكتيبة الكامنة في أدباء المئة الثامنة».

(١٧) «نفاضة الجراب» في أربعة أسفار، وهي من أحسن تآليفه، ولم أزل أُكثر البحث في هذا التاريخ عنها؛ فلم أقف منها على عين ولا أثر إلا عدة أوراق متفرقة، وقد كنت قبل هذا التاريخ رأيت بعضها[1].

(١٨) «البيزرة» في سفر.

(١٩) «البيطرة» في سفر جامع لما يرجع إليه من محاسن الخيل وغيره.

(٢٠) «رسالة تكون الجنين».

(٢١) «الوصول لحفظ الصحة في الفصول».

(٢٢) «رجز الطب».

(٢٣) «رجز الأغذية».

(٢٤) «رجز السياسة».

---

(١) منه (الجزء الثاني) في مكتبة الإسكوريال، وهو مكرر فيها، ونشر في بغداد، نشر وتعليق الدكتور أحمد مختار العبادي، ومراجعة الدكتور عبد العزيز الأهواني.
وذكر لسان الدين ابن الخطيب في آخره (ص٣٦٦ ـ ٣٩٩) إجازة لولد الرئيس الفاضل أبي القاسم عبدالله بن يوسف بن رضوان، وذكر فيها عناوين كتبه، وقد أجازه بها.

(٢٥) «كتاب الوزارة».

(٢٦) «مقامات السياسة».

(٢٧) «الغيرة على أهل الحيرة».

(٢٨) «حمل الجمهور على السنن المشهور».

(٢٩) «الزبدة الممخوضة».

(٣٠) «الرد على أهل الإباحة».

(٣١) «سد الذريعة في تفضيل الشريعة».

(٣٢) «خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف».

(٣٣) «طرفة العصر في دولة بني نصر» في ثلاثة أسفار.

(٣٤) «تقرير الشبه وتحرير الشبه».

(٣٥) «استنزال اللطف الموجود في سر الوجود».

(٣٦) «بستان الدول» وهو غريب في معناه، في فنون السياسة، في ثلاثين جزءًا، ولم يكمل.

(٣٧) «أبيات الأبيات» فيما اختاره من مطالع ما له من الشعر.

(٣٨) «رقم الحلل في نظم الدول» في غاية من الحلاوة والعذوبة والجزالة.

(٣٩) «فتات الخوان ولقط الصوان» في سفر يتضمن المقطوعات.

(٤٠) «عائد الصلة» في سفرين، وصل به صلة الأستاذ أبي جعفر بن الزبير.

(٤١) «تخليص الذهب باختيار عيون الكتب الأدبيات».

(٤٢) «جيش التوشيح».

(٤٣) «رجز في أصول الفقه» شرحه ولي الدين بن خلدون صاحب «التاريخ» المشهور.

(٤٤) «الإكليل الزاهر».

(٤٥) «كناسة الدكان بعد انتقال السكان».

(٤٦) «عمل من طب لمن حب».

(٤٧) «الدرر الفاخرة واللجج الزاخرة» جمع فيه نظم ابن صفوان.

(٤٨) «المباخر الطيبية».

(٤٩) «خلع الرسن في أمر القاضي ابن الحسن».

(٥٠) «أعمال الأعلام فيمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام».

وألف ـ أيضًا ـ في الموسيقى، ومؤلفاته زادت على الخمسين.

ـ حاله:

قال ابن الأحمر: هو شاعر الدنيا، وعلم المفرد والثنيا، وكاتب الأرض إلى يوم العرض، لا يدافع مدحه في الكتب ولا يجنح فيه إلى العتب، آخر من تقدم في الماضي، وسيف مقولة ليس بالكهام؛ إذ هو الماضي، وإلا فانظر كلام الكتاب من العصبة، كيف كان فيهم صاحب القصبة للبراعة باليراعة، وبه أسكت صائلهم، وما حمدت بكرهم ولا أصائلهم المشوبة بالحلاوة المكنة من مفاصل الطلاوة، وهو نفيس العدوتين ـ أي: الأندلس والمغرب ـ ورئيس الدولتين بالاطلاع على العلوم العقلية والإمتاع بالفهوم النقلية، لكن صل[1] لسانه في الهجاء لسع، ونجاد نطاقه في ذلك اتسع، حتى صدمني وعلى القول فيه أقدمني بسبب هجوه في ابن

---

(١) ثعبان. (منه).

عمي ملك الصقع الأندلسي، سلطان ذلك في النفر الجنسي، المعظم في الملوك بالقول الجني والإنسي، ثم صفحت عنه صفحة القادر، الوارد من مياه الظفر غير الصادر؛ لأن مثلي لا يليق به إظهار العورات، ولا يجمل به تتبع العثرات اتباعًا للشرع في تحريم الغيبة، فما ضره لو اشتغل بذنوبه وتأسف على ما شرب من ماء الهجو بذنوبه[1].

أقول: صبر جميل أيها القارئ على مرارة قراءة هذه السجعات، ولا تؤاخذني في إيرادها فإني مكره لا بطل؛ لأنها اعتراف لابن الخطيب من عدوه.

ومليحة شهدت لها ضراتها والفضل ما شهدت به الأعداء[2]

يتبع

* * *

*** ترجمة ابن الخطيب (٥)**

ـ توليته الكتابة[3]:

تقلد الكتابة أيام السلطان أبي الحجاج في أخريات دولته بعد شيخه ابن الجياب؛ يعني: رئاسة الكتاب، وإلا؛ فقد كان كاتبًا في القصر قبل وفاة شيخه المذكور.

ثم قال: قال ابن الصباغ: كان أبو الحسن ابن الجياب رئيس كتاب الأندلس، وهم رؤساء غيرهم، واختص به ذو الوزارتين أبو عبدالله بن الخطيب اختصاصًا

---

(١) الدلو. (منه).

(٢) سيأتي توثيقه.

(٣) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الثالث، شوال ١٣٦٥هـ ـ شتمبر ١٩٤٦م، (ص٣٦ ـ ٣٨).

تامًّا وأورثه رتبته من بعده، وعهد بها إليه عند حضور عمره، وتدرب بذكائه حتى استحق أزمته، فأنسى بحسن سياسته شيخه المذكور، ونال التي لا فوقها من الحظوة وبعد الصيت وسعادة البخت.

اتفق له يومًا بعد ما عزم النصراني على ورود البلاد وضاقت به الصدور؛ فأنشد ابن الجياب بديهة بمحضر الكتاب:

هنا العدو قد طغى وقد تعدى وبغى

وقال لابن الخطيب: اجزِ أبا عبدالله. فأنشده بديهة:

وَأُظْهِرُ السِّلْمَ وَقَدْ أَسَرَّ حَسْوًا فِي ارْتِغَا[1]

فَبَلَّغَ الرَّحْمَنُ سَيْفَ النَّصْرِ فِيْهِ مَا ابْتَغَى

وَرَدَّهُ رَدَّ ثَمُوْدٍ وَالْفَصِيْلِ قَدْ رَغَى[2]

حَتَّى يُرَى وَلِيْمَةً لِكُلِّ مَرْهُوْبِ الثَّغَا[3]

فقال ابن الجياب: هكذا وإلا فلا. وعجب الحاضرون من هذه البديهة. اهـ.

ولما توفي ابن الجياب ازدادت منزلة ابن الخطيب عند ابنه أبي عبدالله، إلى أن كانت عليه الدائرة؛ أي: على أبي عبدالله، فقبض على ابن الخطيب، وصودرت أملاكه، ثم تخلص من تلك النكبة بشفاعة السلطان أبي سالم إبراهيم ابن السلطان

---

(١) هذا مثل تضربه العرب لمن يظهر أمرًا وهو يقصد أمرًا آخر، وأصله أن أحدهم كان يظهر لصاحبه أنه يريد أن يشرب رغوة اللبن فيمص اللبن من أسفل، ويحسوه؛ أي: يشربه سرًّا. (منه).

(٢) أي: فصيل ناقة صالح؛ يعني: ولدها. (منه).

(٣) الثغاء: صوت الغنم، والمراد به هنا صوت السباع. (منه).

الكبير الشهير أبي الحسن المريني، وكان تحريك عزائم السلطان أبي سالم للشفاعة فيه بسعي الغالب على دولته الحاجب الرئيس الخطيب الرحال أبي عبدالله ابن مرزوق، ولما تخلص ابن الخطيب لحق بسلطانه أبي عبدالله في واد آش، وقد فر إليها بعد خلعه وورد صحبته المغرب، واستقر أبو عبدالله بن الخطيب بسلا تحت الجراية التامة، وفي أثناء هذه المدة كان يتطوف ببلاد المغرب؛ مثل: مراكش ونظائرها، وكان الرؤساء يكرمونه أيما إكرام لعلمهم بما له من المكانة عند ملكهم، ولما رجع مخدومًا أبو عبدالله إلى غرناطة ورجع له ملكه؛ عاد ابن الخطيب إليها مع صحبة أولاد السلطان أبي عبدالله، فألقى إليه مقاليد رئاسته وأزمة سياسته، ورقاه إلى الذروة التي لا فوقها، ثم سئم الخدمة وتسخط النعمة، وأضمر الفرار عندما سمع أن الملك استوثق للسلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن المريني وأنه ملك تلمسان، فأظهر الذهاب إلى تفقد بعض الثغور الغربية من بلاد الأندلس، فكان آخر عهد الأندلس به.

يتبع

* * *

*** ترجمة ابن الخطيب[1] (تابع لما سبق)**

فلما وصل إلى الشاطئ؛ بعث إلى سلطان المغرب يخبره بقدومه، فبعث السلطان أبو فارس إلى عماله في جبل الفتح ـ جبل طارق ـ وسبتة وغيرها أن يتلقوه بالإكرام؛ فبالغوا في إكرامه، ولما وصل إلى تلمسان؛ أركب السلطان رؤساء دولته للقائه، وأولاه من الحفاوة ما يقصر عنه الوصف، وكان خلاص ابن الخطيب من السجن

---

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الرابع، ذي القعدة ١٣٦٥هـ ـ أكتوبر ١٩٤٦م، (ص٣٣ ـ ٣٧).

سنة ٧٦٠ ورجوعه إلى غرناطة سنة ٧٦٣، وكان قدومه على السلطان أبي فارس بتلمسان سنة ٧٧٣، ولما غاب عن رئاسته فارًّا من سلطانه وجد أعداؤه ومنافسوه الفرصة سانحة لانتقامهم منه، فأخذوا يغرون السلطان أبا عبدالله بتتبع عثراته وإبداء ما كان كامنًا في نفسه من سقطاته، وإحصاء معايبه، وأشاع أعداؤه عنه كلمات زعموا أنهم وجدوها في تآليفه تدل على الزندقة، وكان أشدهم في ذلك قاضي غرناطة ابن الحسن الذي تقدم أن ابن الخطيب ألف في ذمه كتاب «خلع الرسن في أمر القاضي ابن الحسن»، فحكم هذا القاضي على ابن الخطيب بالكفر، مع أنه كان كالخادم له حين كان في وزارته، فبعث القاضي ابن الحسن إلى السلطان عبد العزيز المريني بكتاب يتضمن تكفير ابن الخطيب، وطلب منه إمضاء حكم الله فيه ـ أي: قتله ـ لأنه مرتد، فصم السلطان أبو فارس عن سماع ذلك وأنف لذمته أن تخفر، وقال في جوابه للقاضي ابن الحسن: هلا انتقمتم منه وحكمتم عليه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه؟! أما بعد ما جاءني، وصار في جواري؛ فلا يخلص إليه أحد بسوء. ثم وفر السلطان أبو فارس الأقطاع والجرايات ـ أي: المرتبات ـ له ولأولاده، وزاد في إكرامه وأكرم كل من انضم إليه من أهل الأندلس، فازداد بذلك حقد ملك غرناطة ورجال دولته على ابن الخطيب، وأخذوا يكيدون المكايد لإهلاكه، وزاد المفسدون الطين بلة بنقلهم وشايات إلى السلطان أبي عبدالله؛ منها: أن ابن الخطيب يزين لسلطان المغرب غزو الدولة النصرية والاستيلاء على الأندلس، إلى غير ذلك من السعاية، ثم لم يلبث السلطان عبد العزيز أن مات، ورجع بنو مرين إلى المغرب، وأخذ الضعف يدب في دولتهم، فرجع ابن الخطيب مع القائم بالدولة بعد السلطان عبد العزيز؛ وهو وزيره أبو بكر ابن غازي، فنزل بفاس، ولم يفقد من جراياته ورواتبه بعد وفاة السلطان شيئًا، فاغتبط بذلك وأخلد إلى الأمن، واستكثر من الضياع وتشييد المباني، وغرس الجنات، وتأنق في ذلك، وأخذ يكاتب أصدقاءه

بالأندلس ويخبرهم بحسن حاله وكثرة أمواله وسعادته بعبوره إلى المغرب، فكان ذلك كله حطبًا يزيد نار حقد ملك غرناطة وغيظه اشتعالًا.

ـ مقتل ابن الخطيب:

وقعت في دولة بني مرين بعد وفاة السلطان عبد العزيز خطوب وحوادث يطول شرحها، وتفرقوا شيعًا يقاتل بعضهم بعضًا، فاغتنم ملك غرناطة هذا الضعف وزاد في إيقاد نار الفتنة، وزود أحد الثوار بالأموال والعتاد والجيوش، وكان له في ذلك أغراض؛ منها: الاستيلاء على شواطئ الأندلس التي كانت بأيدي الدولة المغربية؛ كجبل طارق وأحوازه، بل زاد حتى استولى على سبتة بلا قتال، وكان أهم الأغراض عنده الانتقام من وزيره ووزير أبيه محمد بن الخطيب، فتغلب أحد الثوار من بني مرين بمحالفة ملك غرناطة وإمداده وهو السلطان أبو العباس أحمد المريني، ودخل مدينة فاس بعد هزيمة الوزير ابن غازي القائم بأمر الدولة، وكان وزير أبي العباس هو محمد بن عثمان؛ وهو من أشد الناس عداوة لابن الخطيب، وكل ذلك بتدبير ملك غرناطة، وكان السلطان أبو عبدالله بن الأحمر قد شرط على السلطان أبي العباس ووزيره إذا تم لهما الأمر أن يسلما له ابن الخطيب، ولما استقر السلطان المريني الجديد بفاس قبض على ابن الخطيب وفاء بالشرط، وطير الخبر إلى ابن الأحمر بغرناطة، وكان نائب وزير أبي العباس سليمان بن داود، وهو ـ أيضًا ـ من خصوم ابن الخطيب؛ لأن ابن الخطيب عزله من منصبه أيام وزارته، فأنت ترى المكر العظيم الذي مكَرَ ابن الأحمر لإهلاك ابن الخطيب، ولما بلغ خبر القبض على ابن الخطيب إلى ابن الأحمر بعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب وهو أبو عبدالله بن زمرك، فقدم على السلطان أبي العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشور في مجلس الخاصة، وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه في المحبة ـ يعني: «روضة التعريف بالحب الشريف» الذي ألفه ابن الخطيب في التصوف ـ،

فعظم النكير عليه، فوبخ وعذب بالضرب بمشهد ذلك الملأ، ثم أعيد إلى الحبس، وتشاوروا في قتله بمقتضى تلك المقالة المسجلة عليه ـ يعنون: أنه كافر ـ، ودس سليمان بن داود بعض الأوغاد من حاشيته فدخلوا عليه السجن ليلًا وقتلوه خنقًا، وشاركهم في ذلك عبيد السلطان ابن الأحمر وخدمه، ثم أخرج جثمانه من الغد فدفن بمقبرة باب المحروق، ثم أصبح من الغد على شفة قبره طريحًا، وقد جمعت له أعواد، وأضرمت عليه نار، فاحترق شعره، واسود جلده، وعجب الناس من هذه الشنعاء وعظم النكير من الناس على مرتكبي هذه الجريمة المنكرة، وكان ذلك عام ستة وسبعين وسبع مئة.

وممن ترجم لابن الخطيب ابن خلدون في «التاريخ»[1]، وقد نقل المقَّري كلامه في «أزهار الرياض»[2]، وترجم له ـ أيضًا ـ أحمد بابا السوداني في كتابه «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»[3] المطبوع في هامش «الديباج المذهب» لابن فرحون، ترجم له ترجمة مختصرة وقال في آخرها: «مولده عام ثلاثة عشر وسبع مئة، وتوفي مقتولًا فاتح عام ستة وسبعين وسبع مئة». اهـ، وعليه يكون عمر ابن الخطيب الذي عمل فيه كل تلك الأعمال نحو ثلاث وستين سنة فقط، فلو كان متفرغًا للعلم وحده، آمنًا على نفسه، كيف كان يكون حاله؟ وكم كانت تكون ثمرات عمله؟ حقًّا إنه لأعجوبة الزمان. ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢١].

يتبع

* * *

---

(١) (٦/ ٢٤٥).

(٢) (١/ ١٨٦).

(٣) (٢/ ١٠٤ ـ ط مكتبة الثقافة الدينية).

* ترجمة ابن الخطيب (٧) (تابع لما سبق)

ـ نموذج من شعر ابن الخطيب[١]:

أبيات قالها في محبسه يرثي بها نفسه حين أيقن بالهلاك:

بَعُـــدْنَا وَإِنْ جَاوَرَتْنَـــا الْبُيُــوْتْ وَجِئْنَـا بِـوَعْظٍ وَنَحْـنُ صُـمُوْتْ[٢]

وَأَنْفَاسُــــنَا سَـــكَنَتْ دُفْعَــــةً كَهَجْـرِ الـصَّلَاةِ تَـلَاهُ الْقُنُـوْتْ[٣]

وَكُنَّـــا عِظَامًـــا فَـــصِرْنَا عِظَامًـــا وَكُنَّـا نَقُـوْتُ فَهَـا نَحْـنُ قُـوْتْ[٤]

وَكُنَّـــا شُـــمُوْسَ سَمَـــاءِ الْعُـــلَا غَرُبْنَ فَتَاهَـتْ[٥] عَلَيْنَـا الـسُّمُوْتْ[٦]

---

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الخامس، ذي الحجة ١٣٦٥هـ ـ نوفمبر ١٩٤٦م، (ص٣٠ ـ ٣٢).

(٢) بعدنا من الدنيا وإن كانت قبورنا مجاورة لمساكن أهلها، وصرنا عبرة وموعظة لمن يرانا، فكأننا نذكر الناس ونعظهم ونحن ساكتون. (منه).

(٣) انقطعت أنفاسنا دفعة واحدة بعدما كانت متتابعة صعودًا وهبوطًا، ومثل حال أنفاسه في الحياة وانقطاعها بالموت بصلاة الصبح عند المالكية؛ فإنهم يجهرون بالقراءة ثم يقنتون سرًّا، وهو تشبيه غريب لم يسبق إليه فيما نعلم، وقلنا: عند المالكية؛ لأن أصحابنا أهل الحديث لا يقنتون أصلًا، والشافعية يقنتون في الصبح جهرًا، والحنفية والحنابلة يقنتون في الوتر فقط. (منه).

(٤) يقول: كنا عظامًا ـ جمع (عظيم) ـ فصرنا عظامًا ـ جمع (عظم) ـ، وفيه جناس جميل، وكنا نطعم الناس، فصرنا طعامًا للدود. (منه).

(٥) في الأصل: «فناحت».

(٦) السموت: الطرق، الواحد: سمت، ولعله يريد: مدارات النجوم. (منه).

فَكَـمْ خَـذَلَتْ ذَا الْحُـسَامِ الظِّبَـا وَذُوْ البَخْتِ كَمْ جَدَّلَتْـهُ الْبُخُـوْتْ[1]

وَكَـمْ سِـيْقَ لِلْقَـبْرِ فِي خِرْقَـةٍ فَتـىً مُلِئَـتْ مِـنْ كُـسَاهُ التُّخُـوْتْ[2]

فَقُـلْ لِلْعِـدَا ذَهَـبَ ابْـنُ الْخَطِيـبْ وَفَـاتَ مَـنْ ذَا الَّـذِيْ لَا يَفُـوْتْ[3]

وَمَـنْ كَـانَ يَفْـرَحُ مِـنْهُمْ لَـهُ فَقُـلْ يَفْـرَحُ الْيَـوْمَ مَـنْ لَا يَمُـوْتْ[4]

* * *

* رأي أمير البيان في مجلة «لسان الدين»[5]

كتب إلينا أمير البيان الأمير أبو غالب شكيب أرسلان ـ حفظه الله ذخرًا للعروبة والإسلام ـ جوابًا جاء فيه ما نصه:

«فأما المجلة «لسان الدين» فقد طالعتها ووجدتها كما أريد، ولا يمكن أن يصدر عن قلمك إلا الشيء الطيب؛ فالعقل والعدل والحكمة والإحسان بأنواعه

---

(١) الحسام: السيف، والظبا: جمع ظبة؛ وهي حد السيف، وتطلق على السيوف ـ أيضًا ـ أي: كم خذلت السيوف أصحابها فلم تغن عنهم شيئًا، وكم صرع الحظ ـ وهو البخت ـ أصحابه بعدما كان يسعدهم، فدارت عليهم الدائرة. (منه).

(٢) التخوت: جمع تخت؛ وهو خزانة الثياب، والكسا: جمع كسوة، والمعنى واضح. (منه).

(٣) قل للأعداء: مضى ابن الخطيب وهلك، ومن ذا الذي لا يهلك إلا الله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[القصص: ٨٨]. (منه).

(٤) هذا مثل عامي مغربي سبكه ابن الخطيب في قالب فصيح؛ أي: قل للذي يفرح بموتي: لا تفرح فإنك ميت؛ وإنما يفرح من هو خالد لا يموت. (منه).

(٥) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الثالث، شوال ١٣٦٥هـ - شتمبر ١٩٤٦م، (ص١ ـ ١١)، وفي أول المقال صورة الأمير شكيب، وكتب تحتها: «نابغة العرب وإمام الأدباء في القرن الرابع عشر: الأمير شكيب أرسلان».

كلها سمات أنت متسم بها، أثبت هذا الكلام هنا سائلًا منه ـ تعالى ـ أن لا يؤاخذني وأن يحقق ظن هذا الرجل العظيم فيَّ، فإن فضله واسع وكرمه عظيم».

وقد تكرم علينا الأمير ـ أحسن الله إليه ـ بمقال أدبي بليغ نحلي به صدر هذا الجزء من المجلة شاكرين للأمير الكريم فضله، مهنئين له بعودته إلى وطنه العزيز لبنان، أطال الله بقاءه وأدام النفع به.

ـ لسان الدين ابن الخطيب أمة وحده:

حضرة الأستاذ العلامة المحقق السيد تقي الدين الهلالي ـ أطال الله بقاءه ونفع به ـ.

قد بلغتم غاية الإصابة في تسمية مجلتكم باسم «لسان الدين ابن الخطيب»، ووفيتم هذا الرجل العظيم في عالم البيان جزءًا من حقه، ومن قبلكم سمى العلامة المقري كتابه «نفح الطيب» باسم «لسان الدين ابن الخطيب»، جاعلًا أفضل ما يروي عن الأندلس منشئات هذا الرجل، على كثرة من نبغ في ذلك القطر من فحول الكتاب وأفذاذ الشعراء، ولعمري لم يبالغ المقري في تنويهه بهذا الاسم الذي كان ينبغي ـ لو أوتي حقه ـ أن يملأ الشرق والغرب وتعمل في موضوعه التآليف وتوضع الرسائل وتسمى الشوارع والساحات، بحيث لا توجد عاصمة من عواصم الإسلام ومدرات[1] العرب المشهورة إلا فيها جادة باسم لسان الدين ابن الخطيب، أو ساحة أو قطر أو حديقة فينانة تضاف إلى ذلك الاسم الذي كان صاحبه بيضة الفلك ونادرة الدهر في البلاغة.

أقول: إن لسان الدين ابن الخطيب كان أمةً وحده، وهذه جملة قيلت

---

(١) جمع مدرة على وزن شجرة، وهي المدن. (منه).

ولا تزال تقال في كثير من العباقرة الذين أنجبتهم الإنسانية، ولكنها لا تقال بحق كما تقال في هذه الباقعة الذي تتضاءل جميع فحول البلغاء أمام ملكته، إنني لأجد لسان الدين ابن الخطيب في متانة التركيب وعلو الطبقة أعلى درجةً من الجاحظ الذي لا يتضاءل أمام أحد من أساطين البلاغة إلا أمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ؛ فإن الجاحظ يبز كل قائل حتى يأخذ القارئ بيمينه «نهج البلاغة»[1]، فنجد حينئذ ذلك القوي قد ضعف، وذلك المتين قد تهلهل، وذلك العالي الذي كان في نظرك يناطح السماء قد نزل وصار يسأل عن زاوية يستكن بها أو هوة تخفيه عن الأنظار، ولكن الجاحظ جاحظ ما دام «نهج البلاغة» غائبًا، والجاحظ أستاذ الأساتيذ لمن حاول إجادة الكتابة، غير أن لسان الدين يمتاز عن الجاحظ بأسلوبه الخاص الذي فيه من قوة التخيل ولمعان الديباجة والتفنن في العبارة ما لا يوجد في بيان أحد من كُتَّاب العرب، وربما من كُتَّاب غيرهم من الأمم أصلًا، وطالما حدثتُ نفسي بأن أكتب رسالة تكون لمحة دالة على تفنن لسان الدين ابن الخطيب في الكتابة وانفراده منها بأنماط[2] هي خاصة به لا يجدها القارئ عند أحد غيره، وهذا من الأغراض التي فاتتني في زماني، وما فطنت لوجوبها إلا بعد أن بلغت من الكبر والعياء ما صار حائلًا بيني وبين الوصول إليها، فحبذا لو قام غيري

---

(١) هذا على القول بأن الخطب التي اشتمل عليها «نهج البلاغة» من كلام علي ـ عليه السلام ـ والمحققون كابن تيمية في «المنهاج» والذهبي في «الميزان»، على أن أكثر تلك الخطب هي من إنشاء الشريف الرضي ومن اختراعه، وأعظم دليل عندهم على ذلك أن تلك الخطب لم تظهر قبل زمان الشريف الرضي، ولو خطب بها علي لتواتر نقلها أو استفاض في القرون الثلاثة الأولى للهجرة. (منه).

(٢) أنواع. (منه).

بما قصرت عنـه، وآتى هذا الموضوع قسطه في عصر كثر فيـه الكلام على أساليب البلغاء وتعليل نفسياتهم المختلفة وتحليل خواطرهم التي بلغوا بها ما بلغوا من علو المكانة في عالم الأدب، ولقد كنت مع بذلك مليًّا بإملاء رسالة موجزة في شأن لسان الديـن لولا أنني منذ شهريـن شحنت جميع خزانة كتبي من عربيها وعجميها إلى منزلي الأصلي في بيروت بحيث لا يكاد يوجد عندي الآن ورقة واحدة أعتمد عليها وأجعلها مرجعًا في ترجمة لسان الدين، وإنما تخطر في بالي بعض شوارد من كلامه، فيمكنني في هذه الساعة إيرادها عن ظهر القلب جاعلًا منها نموذجًا لبقية كلامه ودليلًا على أسلوبـه الخاص الذي لم يلحقـه فيه لاحق ولم يسبقه إليه سابق، فمن ذلك: قولـه في كتابه «الإحاطة في أخبار غرناطة» بما يتعلق بأحوال مملكة غرناطة العامة؛ قال: «أحوال هذا القطر في الدين والصلاح والعقائد أحوال سنة، والنحل فيهم معروفة؛ فمذاهبهم على مذهب مالك بن أنس إمام دار الهجرة جارية، وطاعتهم للأمراء محكمـة، وأخلاقهـم في احتمال المعاون الجبائيـة جميلة، وصورهم حسنة، وأنوفهم معتدلة غير حادة، وشعورهم سود مرسلة، وقدودهم متوسطة معتدلة إلى القصر، وألوانهم زهر مشربة بحمرة، وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها إعراب كثير وتغلب عليها الإمالة».

لعمري! إن هذا منتهى البلاغة في وصف تلك الأمة التي خلت وكانت على محاسـن جمـة في المادة والمعنى، ولو كان بين يدي الآن شيء من كتب لسان الدين لأوردت من درر ألفاظه وغرر معانيه أماثيل تشبع بها العقول حتى تسكر وتتخمر بهـا الألباب حتى تسحـر[1]، ولكنـي كما قلت لك بقيـت في الغرب وصـارت

---

(١) سنورد في الأجزاء التالية من مجلتنا هذه نماذج من شعر هذا النابغة ونثره - إن شاء الله - (منه). =

مكتبتي في الشرق.

ومِن يتائم لسان الدين: ما قاله عندما وصف حالة اتصاله بسلطانه ـ قبل أن جرت العداوة بينهما ـ، واعتماد محمد الخامس ابن الأحمر عليه في الدقيق والجليل من الشؤون، وإلقائه إليه بمقاليد جميع الأحكام؛ وذلك قوله: «وحثوت في وجوه شهواته تراب زجري»، وقد كان لسان الدين آية من آيات الله في استعمال المجاز الذي يأتلف مع الطبع، فمن ذلك هذه العبارة التي لا تجد مثلها في التعبير عن معنى نصح الوزير لسلطانه حتى فيما يكرهه السلطان.

وأكثر ما تجد لسان الدين يعلو وتنقطع عن مجاراته أعناق الفحول هو ما يرد في باب الذم، وهو الباب الذي إن أجاد فيه من حيث هو كاتب؛ فإنه يعاب فيه من حيث هو سائس، وقد أودى به أخيرًا إلى الهلكة، ولكن كان أكثر الأدباء يفضل النكتة والعبارة البليغة على السلامة واجتناب الضرر، انظر ـ مثلًا ـ ما يقوله في والٍ تولى عملًا؛ فعندما أتاهم هذا الوالي استولى عليهم اليأس والقنوط وقالوا: (جاءت الدابة تكلمنا)، وهو أشد الشروط؛ أي: قربت القيامة، ومن أشراط الساعة أن الدابة تكلم الناس، فلا يمكن أن يتصور أحد أسلوبًا أبلغ من هذا في وصف الحماقة البشرية، ولسان الدين في باب السخرية التي تستولي على القلوب وتأخذ بمجامع الألباب هو نسيج وحده لا يضارعه مضارع ولا يصل أحد إلى مده أو نصيفه، وصف رجلًا من القضاة كان كثير الحلف سخيفًا فقال: «يتصل حلفه بياض النهار بالأيمان التي تفسد الأنكحة في مثل حبة الخردلة»[1]، كم ينطبق هذا على الكثيرين من الحمقى الذين لا يزالون طول النهار يقسمون على توافه الأمور

= قلت: وهي المقالة السابقة.

(١) يعني: يحلف بالحرام على كل شيء وإن كان خيرًا. (منه).

بلزوم وبغير لوزم؛ بل لمجرد غلبة العادة على ألسنتهم.

وماذا يقدر الإنسان أن يحصي من موجات فكر ذلك البحر الخضم؛ بل ذلك القاموس الأعظم الذي له أدب خاص به ينبغي أن تؤلف عليه الكتب ويصبح مثالًا يقتدى به.

ومما أتذكره أنني عثرت على لفظة (الإدارة) بالمعنى الذي نستعمله به في هذا الزمان، وذلك في كلام لسان الدين، وهو لا شك كان من الكُتَّاب الذين يجيدون إلى النهاية في تحليل أجزاء النفس وتفسير خوالج القلب، وبهذا تمكَّن من أين يكون له هذا الأسلوب الخاص المنقطع النظير، ولعمري! قد كان المقري أديبًا كبيرًا جدًّا عندما جعل أحسن حسنات الأندلس بيان لسان الدين ابن الخطيب؛ فإن المقري كان يعلم ما يقول.

وأما شعر ابن الخطيب فهو من الدرجة العليا، لكن نثره فضح شعره، فإن نثره مما لا يحاكى، وأما شعره فقد وجد في الأندلس من يقدر أن يحاكيه فيه بل يفوقه؛ مثل: ابن خفاجة وابن زيدون وابن عمار وغيرهم، على أنه إذا قال في المحافل؛ هز أوتار القلوب وزعزع الأركان، ولا ينسى الإنسان قصيدته أمام ابن مرين[1] عندما كان يستنجده لنجدة ابن الأحمر محمد الخامس ويقول له:

وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه … مهيض ومن علياك يلتمس النصر

ومنها في باب تأوه الإنسان على أوطانه وتحسره في غربته، وقد طالما كنت أردد هذه الأبيات في غربتي:

---

(١) يعني السلطان أبا سالم المريني، وسنورد هذه القصيدة برمتها في الأجزاء التالية ـ إن شاء الله ـ. (منه).

بلادي التي عاطيت مشمولة الهوى بأرجائها والعيش فينان مخضر

ووكري الذي ربى جناحي جوه فها أنا ذا ما لي جناح ولا وكر

هذه بوارق لامعة من نفثات لسان الدين ابن الخطيب، وما أخطأ من وصف «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وكلام وزيرها لسان الدين ابن الخطيب» وقال: إن من لم يقرأه فليس بأديب، والله ـ تعالى ـ من وراء العلم.

شكيب أرسلان

جنيف في ٢٢ يوليو

❊ ❊ ❊

❊ لؤلؤة أدبية للقاضي منذر بن سعيد الإمام[(١)]

في «نفح الطيب» (١/ ٣٣٧) ما لفظه:

---

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الثانية، الجزء الثالث، ذو القَعْدة ١٣٦٦هـ ـ شتمبر ١٩٤٧م، (ص٧ ـ ٨).

وهو منذر بن سعيد البلوطي أبو الحكم الأندلسي، قاضي الجماعة بقرطبة، ينسب إلى قبيلة يقال لها: (كزنة)، وهو من موضع قريب من قرطبة يقال له: (فحص البلوط)، كان فقيهًا محققًا، وخطيبًا بليغًا مفوهًا، له اليوم المشهور الذي ملأ فيه الآذان، وبهر العقول، من تصانيفه: «الإنباه عن الأحكام من كتاب الله»، و«الإبانة عن حقائق أصول الديانة»، حج سنة ثمان وثلاث مئة، فأقام في رحلته أربعين شهرًا، وانصرف، فأدخل الأندلس من علم النظر ومن علم اللغة كتبًا كثيرة، توفي منذر في انسلاخ ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، وذكر بعضهم أن مولده سنة خمس وستين ومئتين، فيكون عمره تسعين سنة كاملة ـ رحمه الله تعالى ـ. =

قال القاضي منذر: أتيت أبا جعفر ابن النحاس[1] في مجلسه بمصر، يُمْلَى عليه

= ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٧٣)، «طبقات النحويين واللغويين» (٣١٩ ـ ٣٢٠)، «تاريخ علماء الأندلس» (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥)، «جذوة المقتبس» (٣٤٨ ـ ٣٤٩)، «فهرسة ابن خير» (ص٥٤)، «بغية الملتمس» (٤٦٥ ـ ٤٦٦)، «معجم الأدباء» (١٩/ ١٧٤ ـ ١٨٥)، «معجم البلدان» (١/ ٤٩٢)، «إنباه الرواة» (٣/ ٣٢٥)، «الكامل» لابن الأثير (٨/ ٦٧٤ ـ ٦٧٥)، «اللباب» (١/ ١٧٦)، «العبر» (٢/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣)، «تلخيص ابن مكتوم» (٢٥٦)، «البداية والنهاية» (١١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، «تاريخ قضاة الأندلس» (٦٦ ـ ٧٥)، «البلغة في تاريخ أئمة اللغة» (٢٦٤ ـ ٢٦٥)، «بغية الوعاة» (٢/ ٣٠١)، «نفح الطيب» (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٦ و٢/ ١٦ ـ ٢٢)، «شذرات الذهب» (٣/ ١٧)، «مطمح الأنفس» (٢٣٧ ـ ٢٥٩)، «هدية العارفين» (٢/ ٤٧٢).

(١) العلامة، إمام العربية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري النحوي، صاحب التصانيف، ارتحل إلى بغداد، وأخذ عن الزجاج، وكان يُنظَّر في زمانه بابن الأنباري، وبنفطويه للمصريين، ومن كتبه: «إعراب القرآن»، «اشتقاق الأسماء الحسنى»، «تفسير أبيات سيبويه»، «المعاني»، «الكافي» في النحو، «الناسخ والمنسوخ»، وكان من أذكياء العالم، يقال: إنه جلس على درج المقياس يقطع عروض شعر، فسمعه جاهل؛ فقال: هذا يسحر النيل حتى ينقص! فرفسه ألقاه في النيل، فغرق في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة.

ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٤٠١)، «طبقات النحويين واللغويين» (٢٣٩)، «نزهة الألباء» (٢٠١ ـ ٢٠٢)، «المنتظم» (٦/ ٣٦٤)، «معجم الأدباء» (٤/ ٢٢٤ ـ ٢٣٠)، «إنباه الرواة» (١/ ١٠١ ـ ١٠٤)، «وفيات الأعيان» (١/ ٩٩ ـ ١٠٠)، «العبر» (٢/ ٢٤٦)، «الوافي بالوفيات» (٧/ ٣٦٢ ـ ٣٦٤)، «مرآة الجنان» (٢/ ٣٢٧)، «البداية والنهاية» (١١/ ٢٢٢)، «النجوم الزاهرة» (٣/ ٣٣٠)، «بغية الوعاة» (١٥٧)، «شذرات الذهب» (٢/ ٣٤٦).

في أخبار الشعراء شعر قيس المجنون؛ حيث يقول:

خَلِيْلِيَّ هَلْ بِالشَّمِّ عَيْنٌ حَزِيْنَةٌ تُبَكِّيْ عَلَى نَجْدٍ لَعَلِّيْ أُعِيْنُهَا

قَدَاسْلَمَهَا الْبَاكُوْنَ إِلَّا حَمَامَةٌ مُطَوَّقَةٌ بَاتَتْ وَبَاتَ قَرِيْنُهَا

تُجَاوِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْزُرَانَةٍ يَكَادُ يُدَنِّيْهَا مِنَ الْأَرْضِ لِيْنُهَا[1]

فقلت له: يا أبا جعفر! أعزك الله؛ ماذا باتا يصنعان؟ فقال: وكيف تقول أنت يا أندلسي؟ فقلت: (بانت وبان قرينها). فما زال يستثقلني بعد ذلك حتى منعني كتاب «العين»، وكنت ذهبت إلى انتساخه من نسخته، فلما قطع بي - أي: منعني - قيل لي: أين أنت من أبي العباس ابن ولاد[2]؟!

فقصدته؛ فلقيت رجلًا كامل العلم والمروءة، فسألته الكتاب فأخرجه إليَّ، ثم ندم أبو جعفر لـمَّا بلغه إباحة أبي العباس الكتاب إليَّ، وعاد إلى ما كنت أعرفه منه.

قال: وكان أبو جعفر لئيم النفس، شديد التقتير على نفسه، وربما وهبت له العمامة فقطعها ثلاث عمائم، وكان يأبى شراء حوائجه بنفسه، ويتحامل فيها على

---

(١) الأبيات في: «الوافي بالوفيات» (٧/ ٢٣٧) و«الدر الفريد» (٦/ ١٨٦) و«المزهر فيعلوم اللغة» (٢/ ٣١٤) و«نفح الطيب» (٢/ ١٩).

(٢) أحمد بن محمد بن الوليد التميمي، ابن وَلَّاد المِصري (ت ٣٣٢هـ)، من كبار النحاة، وكذا أبوه وجده، سافر إلى العراق، وأخذ عن أبي إسحاق الزجاج وطبقته ورجع، صنَّف كتاب «الانتصار لسيبويه على المبرِّد» وهو من أحسن الكتب، وله: «المقصور والممدود»، كان هو وأبو جعفر النَّحَّاس شَيخَيْ مصر في زمانهما.

ترجمته في: «تاريخ الإسلام» (٧/ ٦٥٨)، «معجم الأدباء» (١/ ٤٦٠)، «إنباه الرواة» (١/ ١٣٤)، «الوافي بالوفيات» (٨/ ٦٧)، «الأعلام» (١/ ٢٠٧).

أهل معرفته. اهـ.

أقول: إذا كـان لنا أن نُعلِّق شيئًا على هذه الحكاية؛ فهو: أن العلم والأدب والظرف الأندلسي يتجلى فيها بغاية الوضوح؛ فإن الشاعر يسأل في ذهول المحب الولهان وهيامه: هل يوجد بأرض الشام من يشتاق إلى خلته بنجد لعلي أعينه على بكائه، ويتأسى بعضنا ببعض؟

ومعنى البيت: أن الباكين كلهم خذلوا تلك العين، ولم يسعدوها بالبكـاء، ما عدا حمامة مطوقة، لها طوق من اللون يخالف لونها؛ فإنها ناحت معها.

وعلى إنشـاد ابن النحاس (باتـت وبات قرينها) يكون الكلام ناقصًا؛ لأن (بات) التي هي من أخوات (كان) تبقى بلا خبر وهو خطأ، ولذلك قال له الإمام القاضي منـذر بن سعيد: ماذا باتـا يصنعان؟ فلما سأله ابن النحاس وهو في حال الغضب والخجل ممن يحضر مجلسه: وكيف تقول أنت يا أندلسي؟ قال أقول: بانت وبان قرينها. أي: افترقت مع إلفها وحبيبها من البين ـ وهو الفراق ـ فقهرت الحجة ابن النحاس، ولم يجد ما يقول، فسكت على مضض، وأسرَّها في نفسه، فتنكر للضيف الأندلسي وجفاه حتى عنفه من كتاب «العين» للخليل بن أحمد، فأرشده الناس إلى نحوي آخر في مصر وهو ابن ولاد؛ فقابله هذا بما يليق بمقامه من الإكرام، وأعاره نسخته لينسخها، فعند ذلك ندم ابن النحاس، وعاد إلى ملاطفة القاضي منذر.

وما ذكـره القاضي من بخله ولؤمـه يدل على شذوذ أخلاقـه، وعدم تحليه بمكارم الأخلاق، مـع أنـه إمـام في علوم الأدب والعلم بلا إنصـاف ولا أدب؛ كشجرة ذات شوك ليس لها ثمر ولا زهر.

وهذا شاذ؛ لأن أخلاق المصريين هي البر والكرم والمروءة والحلم والحياء وما شئت من الشمائل الحلوة، فلا ينبغي لأحد أن يجعل أخلاق بعض القناصـل

والكتاب ميزانًا يزن به أخلاق المصريين، ولا ينبغي أن يحكم على أخلاقهم حتى يغشاهم في بلدانهم، ويخالطهم في ديارهم، وقد غلط في هذا كثير ممن لا يعرف المصريين على الحقيقة، ولسان حالهم ينشد:

يا ابن الكرام ألا تدنو فتبصر ما قد حدثوك فما رأى كمن سمعا[1]

وينشد ـ أيضًا ـ:

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا نحن الضيوف وأنت رب المنزل[2]

أما الإمام السلفي الحجة المجتهد منذر بن سعيد البلوطي؛ فله مناقب جمة، للكلام عليها موضع آخر.

* * *

* هل كان ابن خلدون متحاملًا على العرب؟[3]

بقلم الدكتور تقي الدين الهلالي

الجواب عن هذه المسألة معروف عند أكثر أدباء الوقت، لا نرى بينهم خلافًا، وهو نعم؛ كان شديد التحامل والبغض للعرب يعيبهم ويثلبهم لأدنى سبب، وقد يكذب عليهم، ومن أجل ذلك أخذ بعض الشبان المتحمسين للعروبة يسبون هذا

---

(١) البيت في: «شرح الكافية الشافية» (٣/ ١٥٤٥) و«شرح ابن عقيل» (٤/ ١٣) و«شرح شذور الذهب» (٣٩٨) و«همع الهوامع» (٢/ ٣٨٩) و«خلاصة الأثر» (١/ ٢٤٧) و«سلك الدرر» (٤/ ٤٣).

(٢) البيت في: «المستطرف» (٩٢) و«عجائب المقدور» (٢٧٠) و«مجاني الأدب» (١/ ٩٦).

(٣) نشرت في جريدة «الأخبار» التطوانية، السنة الثانية، العدد (٣١٦)، الاثنين ٣٠ ربيع الثاني ١٣٦٨هـ (ص٢).

العالم ويضعونه في طائفة الشعوبية، مع أنه من صميم العرب، ولم يكن هناك أي داع يدعوه إلى بغض قومه وثلب أمته والطعن في حسبه نفسه.

وكان شهمًا، عالي الهمة، شريف النفس، لا يقدر أحد أن يتخذه مطية للغض من العرب، هذا لو كان للعرب أعداء بالمغرب، فكيف؛ ودول المغرب كلها مجمعة على تقديس الأمة العربية التي كان سيدها وأصحابه السبب في هدايتهم، وإنقاذهم، وبناء مجد مُشمَخِر ثابت الأركان لهم؟

وإن كفر أقوام نعمة العرب؛ فإن برابرة الشمال الإفريقي براء من هذه الوصمة، إذن؛ فما السبب يا ترى لهذا التحامل؟

أما أنا فأختار أن أبحث أولًا في هذه التهمة، وأجلس لها في كرسي القضاء، وأسمع من الخصمين، وأدرس حججهما، ثم أحكم، فإن حكمت بثبوتها؛ احتجنا إلى تعليلها، وإلا فقد كفيت المؤنة، وتخلصت عائبة من قرب، وبرئ شيخ مؤرخي علم العمران ومؤسسه من عداوة العرب براءة الذئب من دم ابن يعقوب، وكفى الله المؤمنين القتال.

وكيف الطريق إلى ذلك؟ أحسن طريق يؤدينا إليه أن نستعرض الألفاظ التي قالها ابن خلدون في العرب في «مقدمته»، ثم نبحث فيها عبارة عبارة، حتى نأتي من ذلك على ما يمكننا من الحكم لابن خلدون أو عليه، وبالله التوفيق.

قال ابن خلدون في «مقدمة تاريخه» (ط. عبد الرحمن محمد بمصر ص١٠٥):

«فصل في أن العرب لا يتغلبون إلا على البسائط (يعني: السهول)»:

قال: «وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذي فيهم؛ أهل انتهاب وعيث، ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر، ويفرون إلى منتجعهم بالقصر، ولا يذهبون إلى المزاحفة والمحاربة إلا إذا دفعوا بذلك عن أنفسهم، فكل معقل أو مستصعب[1] فهم تاركوه إلى ما يسهل عنه، ولا يعرضون له، والقبائل الممتنعة عليهم بأوعار الجبال بمنجاة من عيثهم وفسادهم، لا يتسنمون إليهم الهضاب، ولا يركبون الصعاب، وأما البسائط متى قدروا عليهم بضعف الدولة وفقدان الحامية؛ فهو نهب لهم وطعمة لآكلهم، يرددون عليهم الغارات والنهب والزحف لسهولتها عليهم، حتى يصبح أهلها مغلبين لهم، ثم يتعاورونهم باختلاف الأيدي وانحراف السياسية إلى أن ينقرض عمرانهم».

أقول: هذا فصل شديد جدًّا من حجج المتهمين لابن خلدون، نظرنا فيه فلم نجده يصف فيه دولة الخلفاء؛ بل ولا دولتي بني أمية وبني العباس، ولا أية دولة عربية، وإنما وصف حالة الأعراب الجهال المتوحشين سكان القفر، المتنقلين في المهامه والعلوات، وهؤلاء يسمون (الأعراب)، وقد تساهل ابن خلدون فسماهم (العرب) جريًا على الاصطلاح الذي كان جاريًا في زمانه، ولأن الغارات التي شنها عرب بني هلال وبني سليم الذين غزوا شمال إفريقية في القرن الخامس الهجري كانت لا تزال عالقة بأذهان الناس إذ ذاك، ولعمري! إنه وصفهم بما فيهم ولم يتعصب عليهم، ولا يخالفه في ذلك إلا جاهل بأحوالهم، وقد جاء ذمهم في القرآن العظيم؛ قال ـ تعالى ـ في سورة التوبة [٩٧ ـ ٩٨] في أول الحزب الحادي والعشرين: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ

---

(١) في الأصل: «مستعصب».

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾.

نعم؛ قد استثنى الله قومًا منهم لأن لكل عموم خصوصًا في الغالب؛ فقال: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ...﴾ الآية [التوبة: ٩٩]، فلم يرِد ابن خلدون بذلك الوصف العرب من حيث أنهم عرب؛ وإنما أراد سكان القفار المتوحشين منهم، فلم يخطئ وصفهم، وما عليه في ذلك من سبيل.

* * *

* الهجاء اللاذع لعبدان[1] الأصبهاني[2] يهجو بخيلًا[3]

رغيفك في الأمن يا سيدي ... يحل محل حمام الحرم

فللّه درك من ماجد ... حرام الرغيف حلال الحرم[4]

---

(١) في الأصل: «لغيلان»، والصواب المثبت.

(٢) المعروف بـ (الخوزي)، قال عنه الثعالبي: «هو على سياقة المولدين، وفي مقدمة العصريين، خفيف روح الشعر، ظريف الجملة والتفصيل، كثير الملح والظرف، يقول في الخضاب ما لم أسمع أحسن منه ولا أظرف ولا أعذب منه ولا أخف»، انظر: «يتيمة الدهر» (٣/ ٣٥٠_٣٥٥).

(٣) نشرت في مجلة «لسان الدين» السنة الأولى، الجزء السادس، محرم ١٣٦٥هـ ـ دجمبر ١٩٤٦م، (ص٣٨_٣٩).

(٤) البيتان لأبي الفتح البستي في: «يتيمة الدهر» (٣/ ٣٥٤) و«المنتحل» (١/ ١٤٨) =

توضحيه للمستضعفين من القراء:

يقول الشاعر مخاطبًا رجلًا بخيلًا: خبزك آمن من أكل الضيوف له مثل حمام مكة؛ فإنه أمن أن يصيده الناس وأن يأكلوه.

ثم قال مستهزئًا به: (فللّه درك!) وهي كلمة إعجاب، والدر: اللبن؛ يعني: أن اللبن الذي أرضعتك أمك ينسب لله على جهة التشريف، وإلا فكل لبن فهو لله، و(الماجد): الكريم؛ وهو استهزاء، وقوله: (حرام الرغيف) أي: خبزك حرام على الضيف لا يذوقه أبدًا، ولكن حرمه ـ يعني: أهل بيته ـ حلال لا يمنعها من أحد؛ يصفه بعدم الغيرة.

ـ التوحيد في الحب:

ومما ينسب إلى المجنون:

تَـمَنَّيْتُ مِـنْ لَـيْلَى عَـلَى الْبُعْـدِ نَظْـرَةً ... لِيَطْفَى جَوًى بَـيْنَ الْحَشَا وَالْأَضَـالِعِ

فَقَـالَ نِـسَاءُ الْحَـيِّ تَطْمَـعُ أَنْ تَـرَى ... بِعَيْنَيْكَ لَـيْلَى؟ مُـتْ بِـدَاءِ الْـمَطَامِعِ

وَكَيْـفَ تَـرَى لَـيْلَى بِعَـيْنٍ تَـرَى بِهَـا ... سِـوَاهَا وَمَـا طَهَّرْتَهَـا بِالْـمَدَامِعِ

وَتَلْتَـذُّ مِنْهَـا بِالْحَـدِيْثِ وَقَـدْ جَـرَى ... حَدِيْثُ سِوَاهَا فِي خُـرُوْقِ الْـمَسَامِعِ[1]

توضحيه للمستضعفين من القراء:

يقول المجنون: تمنيت من ليلى ـ مع كوني بعيدًا عنها ـ نظرة ليطفأ بها حزن في

= وبلا نسبة في: «ثمار القلوب» (١/ ٤٦٥) و«محاضرات الأدباء» (١/ ٧٦٢) و«الدر الفريد» (٦/ ٣٣٧).

(١) الأبيات في: «أنيس المسافر» (٢/ ١٠٣) و«ديوان عبد الغني النابلسي» (٣٣٣) و«شرح ديوان الحلاج» (٣٢٣).

قلبي، فقالت لي نساء الحي - والحي: طائفة من بيوت الشعر يسكنها أهل البادية -: أتطمع أن ترى ليلى وقد ارتكبت من الذنوب ما ينافي ذلك؟! فمت بداء الطمع، فكيف يمكن أن ترى ليلى وأنت ترى غيرها من النساء، ولا تزال مصرًّا على ذلك، وما تبت ولا طهرت عينك من ذنب رؤية غير المحبوبة ببكاء الندم والإقلاع؟! أم كيف تطمع أن تلتذ بحديثها وحديث سواها لا يزال يدخل في ثقوب أذنيك؟! إنك لتطمع في المحال.

***

*** تعليق على محاضرة الدكتور بديع شريف[1]: هل كان أبو العتاهية زنديقًا أم مسلمًا؟[2]**

بقلم العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

ألقى الدكتور بديع شريف محاضرة قيمة في المعهد الثقافي البريطاني في ليلة الجمعة ٢٠ ربيع الأول سنة ٣٦٨ المطابق ٢٩ يناير سنة ٩٤٩، ولما كانت هذه المحاضرة مشتملة على فوائد أدبية نفيسة؛ بدا لي أن أعلق عليها بما عنَّ لي وقت سماعها فأقول:

أولًا: إن الخطيب كان يلقي خطبته - كعادته - بصوته الذي يجمع بين الجهارة

---

(١) زعم الجزائري الزاهري أن ما كتبه السيد بديع شريف في صحيفة «الشباب» المصرية أنه من الهلالي، وأن السيد بديع شريف لا وجود له، وإنما هو اسم بلا مسمى، وهو تقي الدين الهلالي! انظر رد الهلالي عليه في المقالة الآتية بعنوان: السعيد الزاهري يفتري الكذب، من هو الزاهري؟ (٢).

(٢) نشرت في جريدة «السجل» البغدادية، السنة الثامنة عشر، العدد (٤٩٢)، يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الأول ١٣٦٨هـ والمصادف ٢٥ كانون ثاني ١٩٤٩م، (ص١، ٤).

والفخامـة، وكان موفقًا في ما مهد به من المباحث في الشعر العربي قبل الإسلام، وما يحتوي عليه من الآداب، ومقارنـة بعض نقاد الشعر من العرب بأمثالهـم من الأوربيين.

ثانيًا: بعد ذلك التمهيد المفيد خرج المحاضر إلى المقصود بالذات؛ وهو الأثر الذي أحدثه الشعراء الفارسيون الذين نشؤوا بين العرب وبرعوا في الشعر العربي وكانوا يحملون العقائد المانوية والمزدكية ويبثونها في الأمـة الإسلاميـة كيدًا منهم وانتقامًا على حد ما جاء في خطبة الدكتور بديع وأشار إلى دلائل إثباته، وقد اختص بالذكر منهم ثلاثـة؛ **أولهم**: بشار بن برد، وسرد شيئًا من شعره في تفضيل إبليس على آدم وفي تفضيل الشمس على الأرض وتصويب عبادة النار، وأشار إلى ما نقله الجاحظ في «البيـان والتبيين» من ذلك من رد واصل بن عطاء على بشار ...إلخ، **وثانيهم**: أبو نواس، وهو فارسي الأصل ـ أيضًا ـ، قال الدكتور بديع: وكان زنديقًا شهد عليه بالزندقة، ورفع أمره إلى صاحب الزنادقة حمدويه، وهو الذي كان يتولى امتحانهم ـ على حد ما جاء في المحاضرة ـ، ولكن حمدويه احتال في إنقاذ أبي نواس من القتل بأن أتاه بصورة ماني مؤسس مذهب المانوية؛ وهو من مذاهب المجوس، فلم يكتف أبو[1] نواس بالبصاق عليها؛ بل تقيأ عليها، فنجا بذلك من القتل، ثم أشار إلى ما يعرف عن أبي نواس من المجون والفجور وعدَّه من عقيدته الإباحية التي ورثها من آبائه المانويين والمزدكيين، وأنا لا أريد أن أعلق على هذا الموضع من المحاضرة بشيء لأن التعليق عليه بما يشفي يقتضي بحثًا طويلًا ونقولًا كثيرة تطمئن إليها النفوس، **وثالثهم**: أبو العتاهية، قال الدكتور بديع أنه كان مانويًّا؛ أي: مجوسيًّا، واستدل على ذلك بأنه كان يزهِّد الناس في الدنيا ويبالغ في ذلك، قال: وهو مذهب

---

(١) في الأصل: «أبي».

المانوية؛ فإنهم يمنعون التمتع بالطيبات منعًا كليًّا. ثم استدل على ذلك ـ أيضًا ـ بأن أبا العتاهية لم يذكر الموت بعد البعث في شعره، قال: وذلك دليل على زندقته وعدم إسلامه.

أقول: قد اتهم أبو العتاهية بهذه التهمة في حياته، ورد على من اتهمه بها، وقد كنت قرأت ذلك منذ زمان بعيد في كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي المتوفى سنة (٤٦٣هـ)، فلما رجعت إلى البيت بعد سماع المحاضرة؛ راجعت الكتاب المذكور فوجدت في الصفحة الخامسة من الجزء الثاني ما نصه:

«وروينا أن منصور بن عمار قص يومًا على الناس وأبو العتاهية حاضر؛ فقال: إنما سرق منصور هذا الكلام من رجل كوفي. فبلغ قوله منصورًا فقال: أبو العتاهية زنديق! أما ترونه لا يذكر في شعره الجنة ولا النار إنما يذكر الموت فقط. فبلغ ذلك أبو العتاهية فقال:

يَا وَاعِظَ النَّاسِ قَدْ أَصْبَحْتَ مُتَّهَمًا ... إِذْ عِبْتَ مِنْهُمْ أُمُورًا أَنْتَ تَأْتِيهَا

كَالْمُلْبِسِ الثَّوْبَ مِنْ عُرْيٍ وَعَوْرَتُهُ ... لِلنَّاسِ بَادِيَةٌ مَا أَنْ يُوَارِيهَا

وَأَعْظَمُ الْإِثْمِ بَعْدَ الشِّرْكِ تَعْلَمُهُ ... فِي كُلِّ نَفْسٍ عَمَاهَا مِنْ مَسَاوِيهَا

عِرْفَانُهَا بِعُيُوبِ النَّاسِ تُبْصِرُهَا ... مِنْهُمْ وَلَا تُبْصِرُ الْعَيْبَ الَّذِيْ فِيْهَا[1]

فلم تمض إلا أيام يسيرة حتى مات منصور بن عمار، فوقف أبو العتاهية

(١) الأبيات في: «محاضرة الأدباء» (١/ ١٦٨) و«الأغاني» (٤/ ٣٨) و«بهجة المجالس» (١/ ١٢٩) و«الكوكب الثاقب» (٣٤٢) و«شرح مقامات الحريري» (٣/ ٢٤٥) للشريشي.

على قبره وقال: يغفر الله لك أبا السرى ما كنت رميتني به.

قال أبو عمر: قد تدبرت شعر أبي العتاهية عند جمعي له؛ فوجدت فيه ذكر البعث والمجازات والحساب والثواب والعقاب».

فظهر مما تقدم أن اتهام أبي العتاهية بالزندقة من قبل الفقيه الواعظ منصور ابن عمار كان ناشئًا عن قصد سيء وعداوة شخصية؛ فإن أبا العتاهية انتقد منصور ابن عمار واتهمه بأنـه سرق كلام غيره وألقاه في مجلس وعظـه على أنه من كلامه، فأخذت الحمية الواعظ وقال في أبي العتاهية ما قال بقصد الانتقام، ولم تكن التهمة ناشئة عن بحث وتحر للحقيقة واجتهاد في إصابتهـا، وإنما جـرى ذلك على لسان منصور من قبيل السب والشتم، وقد أخبر الإمام الحافظ أبو عمر ـ وهو خال من الغرض والتحيز ـ أنه جمع شعر أبي العتاهية فوجد فيه ذكر البعث والمجازاة والحساب والثواب والعقاب، وناهيك بأبي عمر في حفظه ورسوخ قدمـه في علوم الأخبار والأدب والفقه والأنساب وغيرها، وهو الذي يلقب بحافظ المغرب في زمانه، كما كان أبو بكر الخطيب البغدادي حافظ المشرق في ذلك الزمان.

وليـس مقصودًا بهذا أن نثبت زندقة أبي العتاهية ولا أن ننفيها بيقين؛ وإنما أردنـا أن نبين أن أصل التهمـة كان باطلًا، فوجب على الباحث أن يتثبت ويطيل البحث حتى يتوفر عنده من الحجج ما لا يبقي شكًّا في حكمه عليه بذلك، فليست نسبة الزندقة إلى أبي العتاهية كنسبتها إلى بشار بن برد؛ فإن بينهما بونًا شاسعًا.

وقد حاولت أن أراجع «ديوان أبي العتاهية» لأرى بنفسي ما ذكره أبو[1] عمر ابن عبد البر عنه من كونه جمعها لويس شيخو؛ فرأيت فيها أبياتًا تدل على الإيمان

---

(١) سقطت من الأصل.

بالحشر والجزاء وغير ذلك مما يعتقد المسلمون، وسأنقل بعض ذلك هنا:

١ ـ قال أبو العتاهية في رثاء البرامكة:

سُبْحَانَ مَنْ دَانَتِ الْمُلُوكُ لَهُ ... أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوْ

كَذَاكَ مَنْ يَسْخَطْ إِلَّا بِمَا ... يُرْضِيْ بِهِ الْعَبْدَ يَجْزِهِ اللهُ

طُوْبَى لِمَنْ تَابَ بَعْدَ غُرَّتِهِ ... فَتَابَ قَبْلَ الْمَمَاتِ طُوْبَاهُ[1]

في هذه الأبيات مسائل تدل على الإسلام:

أولها: تنزيه الله.

ثانيها: توحيده.

ثالثها: خضوع أعظم الناس له وهم الملوك.

رابعها: أن من أسخط الخالق بإرضاء المخلوق يعاقبه الله.

خامسها: أن من رجع إلى الله بعد غفلته وانهماكه في المعاصي فتاب إليه من ذنوبه قبل الممات هو السعيد المستحق للتهنئة، وقوله: (قبل الممات) يدل بمفهومه على أنه لو أخر التوبة حتى مات لم يكن سعيدًا بل كان شقيًا، وهذا هو الإقرار بالجزاء الأخروي.

٢ ـ قال يهجو أحمد بن أبي دؤاد:

لَوْ كُنْتَ فِي الرَّأْيِ مَنْسُوْبًا إِلَى الرُّشْدِ[2] ... وَكَانَ عَزْمُكَ عَزْمًا فِيْهِ تَوْفِيْقُ

---

(١) الأبيات في: «تاريخ الطبري» (٨/ ٣٠٢) و«تاريخ الإسلام» (٤/ ٧٨٤) و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٧٠) و«مرآة الزمان» (١٣/ ١٠١).

(٢) هذا خطأ، لعل صوابه: «إلى رشد». (منه).

لَكَانَ فِي الْفِقْـهِ شُـغْلٌ لَـوْ قَنِعْـتَ بِـهِ   مِـــنْ أَنْ تَقُــوْلَ كَـــلَامُ اللهِ مَخْلُــوْقُ
مَاذَا عَلَيْـكَ وَأَصْـلُ الـدِّيْنِ يَجْمَعُهُـمْ   مَا كَانَ فِي الْفَرْعِ لَوْلَا الْجَهْلُ وَالْـمُوْقُ[(1)(2)]

لا يخفى أن أحمد بن أبي دؤاد كان شيخ المعتزلة ومقدمهم عند الخليفة المأمون العباسي والمعتصم، وهـو الذي امتحن أحمـد بن حنبل وضربه ثلاثين سوطًا على القول بخلق القرآن، فأبى أن يقول به، فحبسه بأمر من الخليفة[(3)] المعتصم.

وقوله: (ماذا عليك...) البيت يدل على حكمـة واعتدال وبُعد التعصب، وفي ذلك دليل على أن أبا العتاهية كان يؤمن بالله وبكلامه المنزل على رسله، ويقول أنه غير مخلوق، ويهجو من قال بخلقه.

❐❐❐

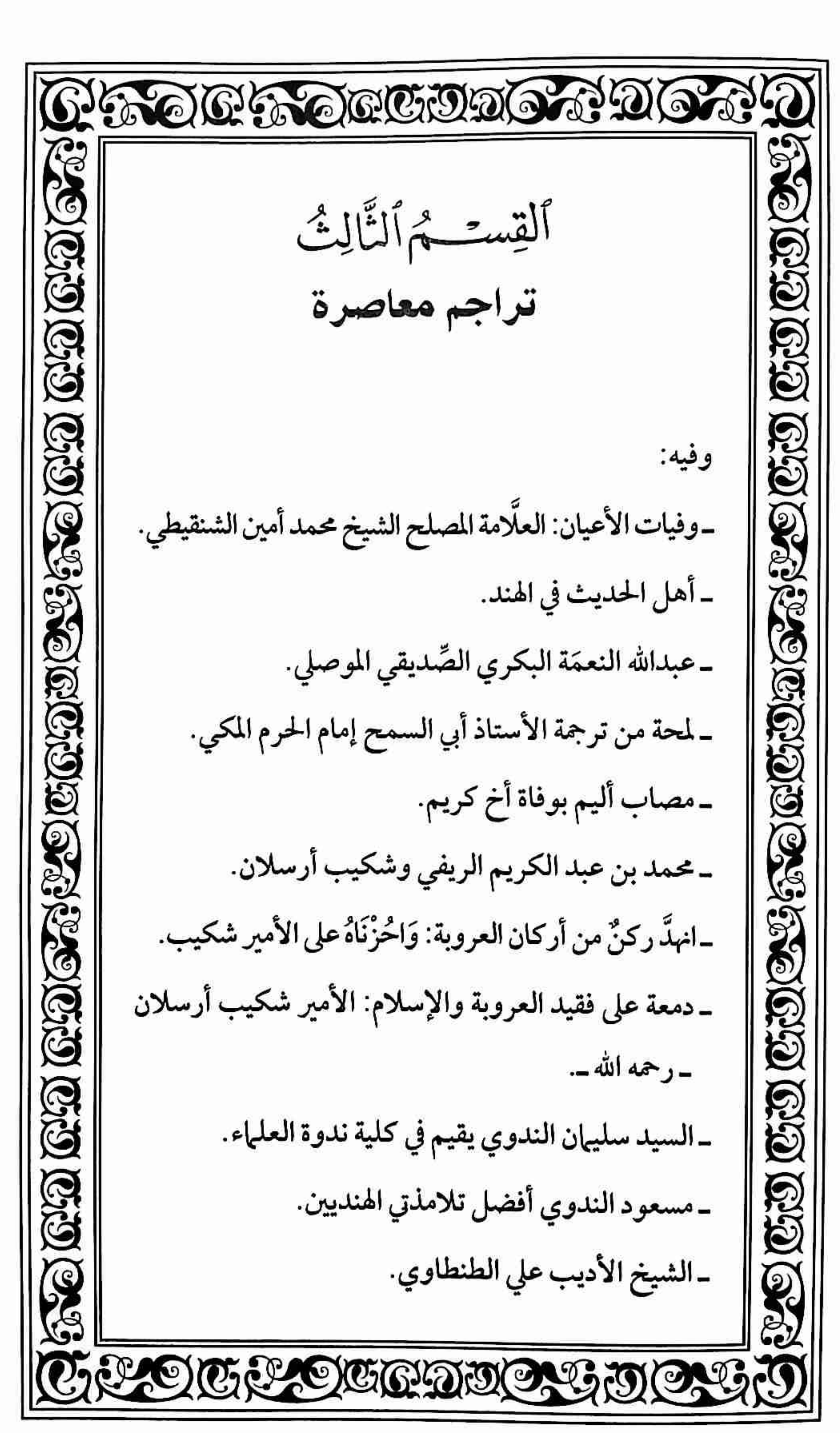
(١) في الأصل: «والموت».

(٢) الأبيات في: «تاريخ الطبري» (٩/ ١٨٩) و«تجارب الأمم» (٤/ ٣٠٠) و«البداية والنهاية» (١٤/ ٣٤٩) و«تاريخ بغداد» (٥/ ٢٤٨).

(٣) زعم الجاحظ في «رسائله» المطبوعة في هامش كتاب «الكامل» للمبرد بمصر أن أحمد بن حنبل بعدما ضرب بالسياط على أن يقول بخلق القرآن[(أ)] ؛ أقر بذلك وصرح بأنه مخلوق، وأصحاب هذا الإمام مجمعون على خلافه[(ب)]، والجاحظ ـ أيضًا ـ معتزلي؛ فكلامه كلام خصم فلا يوثق به. (منه).

(أ) سقطت «القرآن» من الأصل.

(ب) في الأصل: «أخلافه».



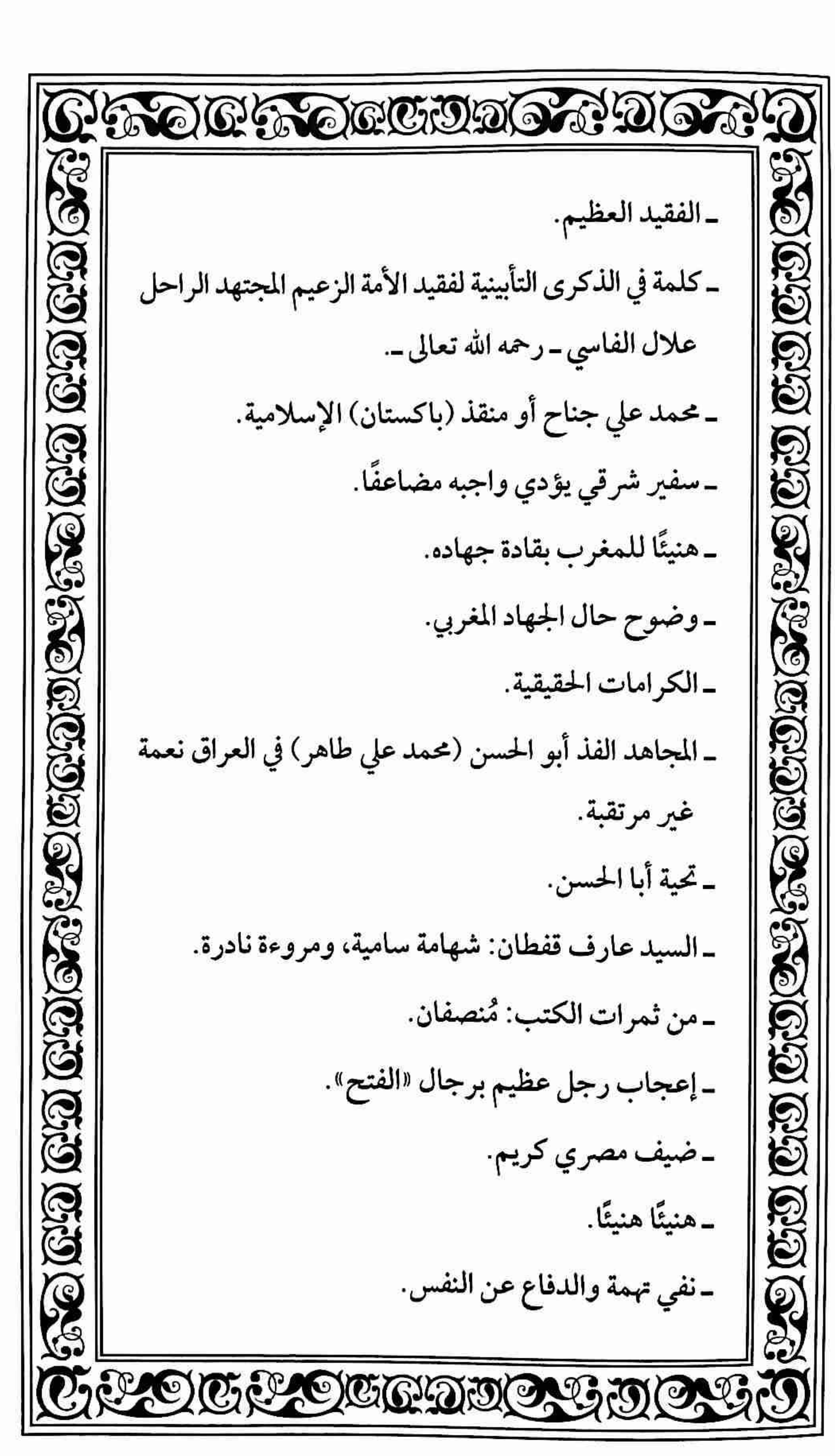
القسم الثالث

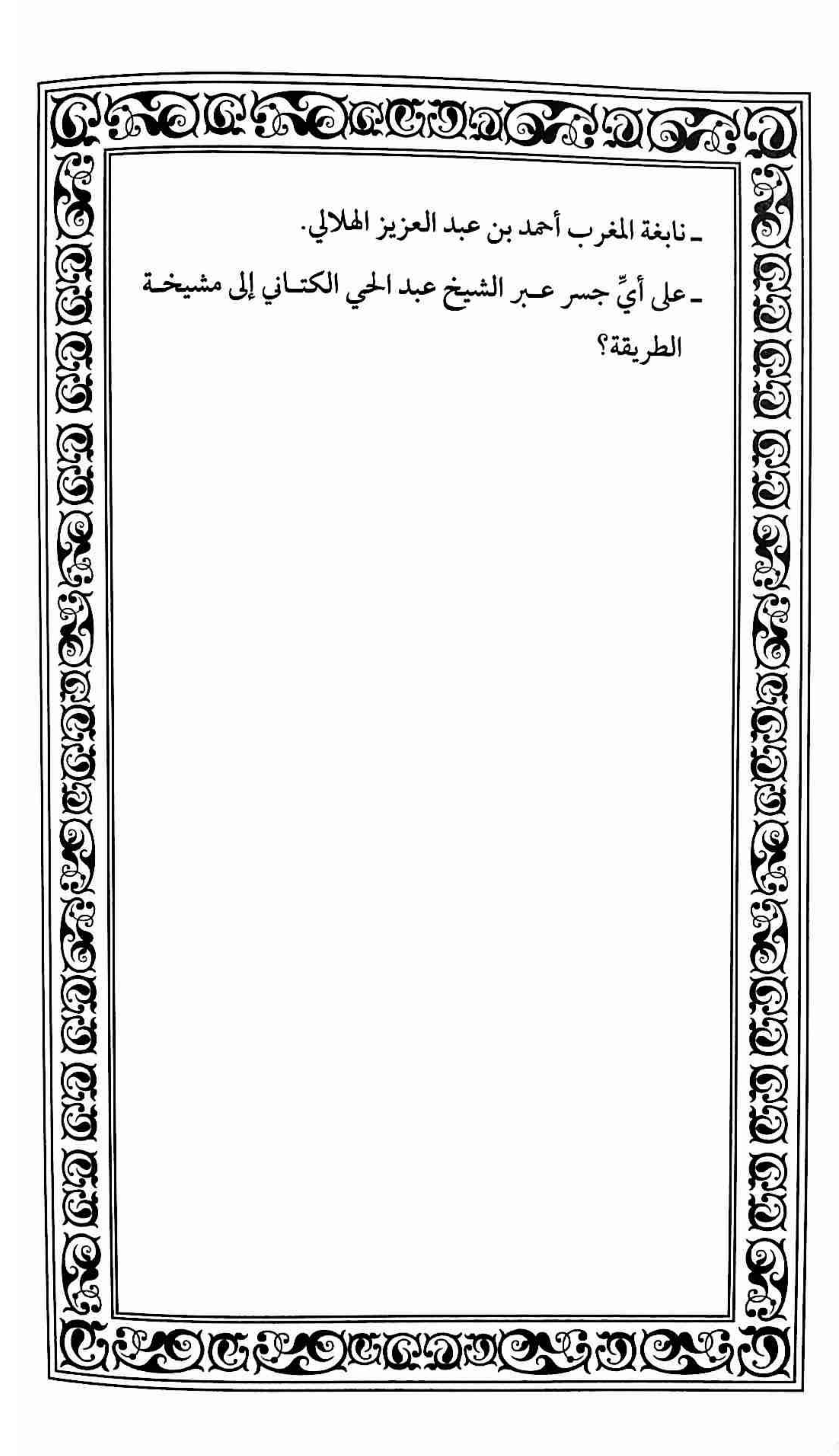
تراجم معاصرة

وفيه:

- وفيات الأعيان: العلَّامة المصلح الشيخ محمد أمين الشنقيطي.
- أهل الحديث في الهند.
- عبدالله النعمَة البكري الصِّديقي الموصلي.
- لمحة من ترجمة الأستاذ أبي السمح إمام الحرم المكي.
- مصاب أليم بوفاة أخ كريم.
- محمد بن عبد الكريم الريفي وشكيب أرسلان.
- انهدَّ ركنٌ من أركان العروبة: وَاحُزْنَاهُ على الأمير شكيب.
- دمعة على فقيد العروبة والإسلام: الأمير شكيب أرسلان ـ رحمه الله ـ.
- السيد سليمان الندوي يقيم في كلية ندوة العلماء.
- مسعود الندوي أفضل تلامذتي الهنديين.
- الشيخ الأديب علي الطنطاوي.







- نابغة المغرب أحمد بن عبد العزيز الهلالي.

- على أيِّ جسر عبر الشيخ عبد الحي الكتاني إلى مشيخة الطريقة؟

* وفيات الأعيان: العلامة المصلح الشيخ محمد أمين الشنقيطي[1]

وما كان قيس هُلْكُه هلك واحد ... ولكنه بنيانُ قوم تهدما[2][3]

في «الصحيح»[4] عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَقبِضُ العِلمَ انتِزَاعًا يَنتَزِعُهُ مِن صُدُورِ العُلَمَاءِ، وَلَكِن: يَقبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَم يَبقَ

---

(١) نشرت في مجلة «المنار» المصرية، الجزء الثاني، المجلد الثالث والثلاثون، ذو الحجة ١٣٥١هـ - إبريل ١٩٣٣م، (ص١٣٠ - ١٣٣).

ونشرت - أيضًا - في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، عدد (٣١٩)، بتأريخ ١٨ رجب ١٣٥١هـ، (ص٣ - ٤)، بعنوان: (ركن ينهدم).

وهو العالم السلفي الأديب المحدث المحقق الشيخ محمد بن أمين الشنقيطي، ولد سنة ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦م، ومات سنة ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م، لازمه الهلالي في الزبير، وانتفع كثيرًا بمجالسته ومذاكرته، وليس هو بصاحب «أضواء البيان»، وللأستاذ عبد اللطيف الدليشي الخالدي: «من أعلام الفكر الإسلامي في البصرة، الشيخ محمد أمين الشنقيطي»، طبع سنة ١٤٠١هـ عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في الجمهورية العراقية في (٣٣٥) صفحة، وفيه (ص٩٤) أن الأستاذ الهلالي تزوج ابنة الشيخ الشنقيطي وأنجب منها ابنته الدكتورة خولة، ونشر العلامة الهلالي للشنقيطي مقالة عن الجهاد، انظرها في: (مقالات في سبيل الإصلاح) من جمعنا لـ «مقالاته» رقم (٣).

علقت «المنار» في حاشية المقالة: «كتب هذا التأبين والترجمة «للمنار» و«الفتح»: صديقنا الأستاذ العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي، المدرس في مدرسة دار العلوم الندوية في الهند».

(٢) سقط هذا البيت من مجلة «المنار»، وهو مثبت في مجلة «الفتح».

(٣) البيت في: «العقد الفريد» (١/ ٢٧٥) و«التذكرة الحمدونية» (٧/ ١٨٣).

(٤) البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣).

عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوا بِغَيرِ عِلمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». أو كما قال[1].

وعن ابن مسعود: «كل يوم ترذلون؛ لا أقول عام أخصب من عام، ولا أمير خير من أمير، ولكن بذهاب علمائكم فيضعف الإسلام». أو كما قال[2].

أنعي إلى الأمة الإسلامية أحد أركان العلم والإسلام وأنا في غاية الحزن والأسى، ألا وهو العلامة المتبحر في العلوم، المجاهد، العامل، صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بن أمين الشنقيطي المغربي القاطن ببلد الزبير من أعمال البصرة.

مولده ومنشؤه في قبيلته (اذ بَلْحسن) أي: بني الحسن؛ قبيلة عظيمة من قبائل العرب من أهل شنقيط، معروفون بالعلم والشجاعة، وقد نبغ منهم خلق من العلماء والشُّعراء.

رحل الفقيد إلى الشرق وهو شاب بعدما درس العلوم التي تدرَّس ببلاده، ولما وصل إلى مكة وجد بها العلامة الكبير الحافظ الشيخ شعيب الدكالي ـ بارك الله

---

(١) الحديث متفق عليه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص بلفظ: «**يَنتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ**»، والباقي كما قال. (المنار).

(٢) في «المقاصد الحسنة» و«مختصره»، وفي «الدرر المنتثرة»: إن كلمة (كل عام ترذلون) من كلام الحسن البصري، وفي معناها حديث البخاري وغيره: «**لَا يَأتِي عَلَيكُم زَمَانٌ** ـ وفي رواية: **عَامٌ** ـ **إلَّا وَالَّذِي بَعدَهُ شَرٌّ مِنهُ**». وفي بعض الروايات من البيان له مثل ما ذكر عن ابن مسعود. (المنار).

قلت: أخرج أثر ابن مسعود: الدارمي (١٨٨) وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢١١) وابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (٧٨) والبيهقي في «المدخل» (١٤٦) وابن عبد البر في «الجامع» (١٠٤٠).

في حياته - فألقى بها عصا التسيار، ولازم العلامة المذكور سنين، وكان أستاذه هذا معجبًا به، حتى إنه كان يرد إليه المسائل الأدبية؛ فيتكلم فيها أثناء الدرس، ثم زار الشيخ شعيبًا أحد أعيان البصرة ممن كانوا يلقبون بكلمة (الباشا) التركية في عهد الترك، فسأل هذا الوجيه الحافظ الدكالي أن يبعث معه من يرتضيه من العلماء ليؤسس له مدرسة ومسجدًا ويقف عليهما ما يكفي للنفقة عليهما من المال، فندب لهذا الأمر صاحب الترجمة، فامتثل أمره وتوجه إلى الزبير وأقام بها ينشر العلم صابرًا على أذى شياطين المتفقهة ممن يشرَقون بنشر العلم النافع المحمدي الصحيح؛ لأنه يبطل نواميسهم ومكرهم الذي نصبوه حبالة لصيد الحطام، وقد أجمعوا أمرهم على إخراجه، وشكوه مرارًا، وهو صابر ثابت على خطته في نشر العلم والإعراض عن الجاهلين.

وكان - رحمه الله - آية في الحلم، بعيني رأيت أكبر أعدائه الذي كان سببًا لكل ما أصابه من الأذى التجأ إليه في شدة أصابته، فقابله الشيخ الفقيد بما جُبِلَ عليه من البشاشة، وأخرج أوراقًا مالية فناوله إياها، ثم أمر أحد التجار أن يعطيه عدة أكياس من الرز على حسابه، هذا بعدما فشل ذلك الشيخ المشاغب في جميع محاولاته، وواقعات حلمه مشهورة، وكان سراجًا منيرًا في الخليج الفارسي وبلاد العراق ونجد.

وفي زمن الحرب الطرابلسية شد الرحل من العراق إلى طرابلس للجهاد، وسافر إلى بلاد نجد ليستوطنها فرارًا من الكون تحت تأثير الأوروبيين؛ فلم يستقم له ما أراد، فرجع بعدما أقام بعنيزة أربع سنين قضاها كلها في نشر العلم والعمل، وترك أهل عنيزة كلهم ألسنًا ناطقة بالثناء عليه، ثم توجه إلى الكويت، وما مضت عليه هناك إلا ليلة واحدة حتى نفي لاتهامه بعداوة الإنكليز، فتوجه إلى الزبير ثانية وأسس (مدرسة النجاة) هناك، وكانت الأمية والجهل مخيمين على

بلدة الزبير، فحاربتها هذه المدرسة بأن ضمت بين جدرانها مئات من أولاد إسماعيل وقحطان، فهذبت من أخلاقهم، وتخرج فيها خلق من الكُتَّاب والأدباء والعلماء، ولا تزال قائمة إلى الآن.

ولما ازدهرت هذه المدرسة التهبت قلوب المتفقهة حسدًا، وكبر عليهم مقام الشيخ وتذكيره بآيات الله، فأجمعوا أمرهم ليقضوا عليه ولا ينظروه، فرموه بأنه يعلم تعليمًا وهابيًّا يسمم أفكار شبان العراق، وزخرفوا هذه الوشاية إلى ولاة الأمر ليقطعوا الإعانة التي كانت تتلقاها المدرسة من وزارة الأوقاف العراقية ومن وزارة المعارف، ومجموعها اثنا عشر ألف روبية، فكادت المكيدة تنجح، ولكن الشيخ بادر بالتوجه إلى بغداد، وعرض عليهم منهاج الدروس، ولم يكن فيه شيء مما يسميه الجهلة وهابية إلا «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ولا يخفى أن الجهلة يعدُّون ابن تيمية وهابيًّا)، فحذفها الشيخ من المنهاج، وجعل محلها عقيدة الإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي، فبطل كيدهم واستمرت الإعانة جارية.

ثم بعد سنة جدد أولئك الشياطين الكرة فنجحوا وقطعت إعانة الأوقاف، ولأمر آخر نذكره ـ لأن فيه عبرة للمسلمين ـ قطعت إعانة المعارف ـ أيضًا ـ وذلك أن الشيخ كان عضوًا في إدارة المعارف بالبصرة، وكان قد بقي في المدارس الابتدائية بالعراق درس ديني أو درسان في الأسبوع، وهذه الدروس الدينية كلها لا تزيد على بضع كراريس بقطع صغير في العقائد إجمالًا والطهارة والصلاة والصوم والحج، وكانوا يعيِّنون لتدريس هذه الدروس عالـمًا أو مُلَّا ـ كما يقولون ـ من المتدينين أو المعممين ـ كما يسميهم المتنورون ـ، فاجتمع هؤلاء المتنورون بنورة أعداء العروبة والإسلام، وقرروا تطهير المدارس من هؤلاء المعممين، وأجمعوا على أن يعيِّنوا بدلهم شبانًا من المتنورين، فعقدوا اجتماعًا دعوا فيه الأستاذ الفقيد للحضور، وعرضوا عليه هذا المكر الذي بيَّتوه، وأضافوا إليه من سب المعممين والوقيعة بهم ما شاءت

لهم النورة، فامتنع الشيخ من الموافقة امتناعًا كليًّا، وكان ـ رحمه الله ـ على ما فيه من الحلم النادر إذا وصل الأمر إلى هدم الأصول يتصلب فلا تلين قناته لغامز، فجعل بعض المتنورين يجادله، فتكلم الشيخ وقال: أنا أعرف الشبان وأعرف المعممين، فهبوا أنهم بلغوا في البلادة والجمود كل مبلغ ولكنهم يعملون بما يعلِّمون، يعلِّمون التوحيد وصفات الله وهم بها مؤمنون، وأما هؤلاء الشبان فإنا نراهم متى ذكروا العقائد بادروا إلى السخرية التي لقنهم أعداء العرب والإسلام، ثم يعلِّمون أركان الإسلام وهم يؤدونها، وأما هؤلاء الشبان فلا يتوضؤون ولا يصلون ولا يصومون ولا يحجون، فهل تظنون أن الإسلام لعبة يصح بمجرد الدعوى الفارغة؟! وبعد هـذا انصرف من مجلسـهم فتسـببوا في قطع الألفين اللذين كانت تعطيهما وزارة المعارف، وبقيت المدرسة على تبرعات المحسنين وقليل ما هم، فنقصت حتى صارت على الثلث، وكم حاول قوم من الأعيان أن يقنعوا الشيخ بالخضوع إلى سلوك منهاج المعارف والسير تحت مراقبـة مفتشـها وتُرد النفقات التي قطعت؛ فأبى وجمع من يظن بهـم الإخلاص من المدرسـين وخطب فيهـم وذكَّرهـم بما يجب عليهم من خدمة الأمة، فقنعوا كلهم أن يأخذوا ربع أو ثلث ما كانوا يأخذون من الرواتب ولا ينهزمـون، وكان ـ رحمه الله ـ قدوتهم في ذلك؛ فإنه كان يأخذ في زمان ميسرة المدرسة ١٥٠ روبية فأنزلها إلى ٥٠ وبقيت المدرسة عامرة إلى الآن، ولكنها لا تستطيع أن تقبل من الطلبة إلا نحو نصف العدد الذي كانت تحويه من قبل، ومناقب هذا الإمام كثيرة يضيق هذا المقام عن عشر معشارها.

توفي إلى رحمـة الله ضحى يوم الجمعة ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٥١هـ على رأس ستين سنة، كلها جهاد وصلاح وخير للمسلمين، ولم يتخلف عـن جنازتـه أحد من أهل الفضل من البلدين البصرة والزبير، ولو كانت الـبلاد محتويـة عـلى وسائل النقل لحضر جنازته الجم الغفير من أهـل نجـد وأهـل الخلـيج الفـارسي

وأهل العراق، فالله يلهم ذويه الصبر الجميل ويخلفه على المسلمين، وإن كان كما قال الشاعر:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفِّر[1]

ولكن الله يفعل ما يشاء[2].

لكنو - الهند

محمد تقي الدين الهلالي[3]

* * *

---

(١) البيت في: «نفح الطيب» (٥/ ٤٢٣) و«المستطرف» (١/ ١٥٦) من غير نسبة.

(٢) لله در أخينا الأستاذ الهلالي؛ أتى بخير خلاصة لترجمة هذا الإمام المصلح بأدق عبارة وأجمعها للفوائد، وأنزهها في التعبير، ولا سيما موقف الرجل بين فريقي الشيوخ الجامدين، والشبان المتفرنجين، اللذين يكاد يضيع الإسلام بينهما، فالشيوخ على محافظتهم على التقاليد الخرافية المنفرة عن الإسلام ومحاربتهم للإصلاح الديني والدنيوي، لا يزالون يقومون بشعائر الإسلام وأركانه علمًا وعملًا، وبهذا فضَّلهم الشيخ - رحمه الله - على الشبان الذين ليس لهم من الإسلام إلا الجنسية السياسية وأسماء الأعلام، ولكنهم يعنون بالإصلاح الإداري والسياسي، ونراهم ينتصرون على الشيوخ في الحكومات التي ترى نفسها مضطرة إلى نظام المدنية العصري، وبهذا حملوا حكومة العراق على إلغاء الإعانتين اللتين كانت تساعد بهما (مدرسة النجاة) من وزارتي المعارف والأوقاف، وهي خير من جميع مدارس العراق، فعسى أن تعيد النظر إلى ذلك وزارة العراق الجديدة التي هي أرجى وزارة ألفت في دولتها الجديدة وتعيد إليها الإعانتين، فلن ينفعها الإصلاح المدني بدون الإصلاح الديني والله الموفق. (المنار).

(٣) سقط هذا السطر من «المنار».

* أهل الحديث في الهند[1]

لفضيلة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

ـ الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ

الحمد لله الذي جعل أهل الحديث في كل زمان مصابيح الظلام، وهداة الأنام، وصل اللهم على محمد خاتم النبيين، وإمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيقول العبد الفقير إلى عفو ربه محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي: بدا لي أن أُؤلِّف هذه المقالة المتضمنة لتاريخ أهل الحديث في الهند؛ راجيًا أن ينفعني الله بها، وينفع بها مَن شاء من عباده؛ فأقول ـ وبالله التوفيق مستمدًّا العون من الله وحده ـ ناقلًا ما سأذكره بمعناه من «مقدمة تحفة الأحوذي» لشيخنا الإمام العلامة، الأورع الأتقى عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ـ سقى الله ثراه، وأدام عليه رحمته ورضوانه ـ؛ فأقول ـ وبالله التوفيق، وهو الهادي عنه إلى أقوم طريق ـ:

قال الإمام العلامة المحدث الذي نفع الله بعلمه وفضله في جميع الآفاق، ذو العلم الغزير، والخُلُق الحسن، النواب صديق حسن في كتاب «الحطة» ما معناه باختصار: «اعلم أن الهند لم يكن بها علم الحديث منذ فتحها أهل الإسلام؛ بل كان

---

(١) نشرت في مجلة «صوت الجامعة» الهندية على حلقتين، **الأولى**: في السنة الخامسة، العدد الأول، شعبان ١٣٩٣هـ ـ سبتمبر ١٩٧٣م، (ص١٣ ـ ٣٤)، وهي المثبتة هنا، وترجم فيها لشيخه المباركفوري، وفي أولها كلمة لرئيس تحرير المجلة مقتدى الأعظمي في الثناء على الهلالي وعلمه وشكره، ووعد بترجمة حافلة له، **والثانية**: في السنة السادسة، العدد الأول، شعبان ١٣٩٤هـ ـ أغسطس ١٩٧٤م، (ص٢١ ـ ٣٠).

غريبًا كالكبريت الأحمر، وإنما كان يشتغل أهلها بفلسفة فلاسفة الهند وفلاسفة اليونان، والإعراض عن علوم السنة والقرآن، إلا شيئًا قليلًا من الفقه التقليدي، ولذلك تراهم إلى الآن عارية عن تلك العلوم؛ التي هي مصابيح الهداية، ومَن تركها وقع في الغواية إلا قليلًا منهم، ولذلك عموا عن كتاب الله وسنة رسوله، واتخذوا آراء الرجال حجة يعرضون عليها نصوص الكتاب والسنة؛ فما وافقها قبلوه، وما خالفها رفضوه، أو أولوه، أو ادعوا نسخه بهتانًا وإثمًا مبينًا.

واستمر ذلك في الأزمنة الغابرة حتى مَنَّ الله على بلاد الهند بتوفيق العالِم الجليل الشيخ عبد الحق بن سيف الدين الدهلوي؛ فأقبل على دراسة علم الحديث، ونال منه نصيبًا طيبًا، وأخذ يَبُثُّهُ في أهل الهند بتآليفه النافعة، وتعليم الطلبة، توفي - رحمه الله - سَنة ١٠٥٢، ثم اقتفى أثره في ذلك ابنه الشيخ نور الحق المتوفى سنة ١٠٧٢، وتلامذة آخرون له قليل عددهم، كثير مددهم؛ فجزاهم الله أحسن الجزاء على إحياء السنة في ذلك القطر الشاسع الأطراف، «**وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرَ مَنْ عَمِلَ بِهَا**»[1]؛ كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ.

ومع أن هؤلاء المذكورين لم يبلغوا في دراستهم لعلم الحديث وعلوم القرآن الغاية التي تُخْرِجهم من سجن التقليد إلى ميادين الاتباع والتحقيق؛ فلهم الفضل على مَن بعدهم فيما بدؤوا به من توجيه طلبة العلم إلى اقتباس أنوار السنة المحمدية.

ثم جاء بعدهم الإمام العلامة، والبحر الفهامة؛ ولي الله بن عبد الرحمن الدهلوي، مؤلف «حجة الله البالغة» وغيرها من الكتب الهادية، توفي - رحمه الله - سنة ١١٧٦؛ فأبدأ وأعاد في كتبه ودروسه في توجيه الناس إلى أنوار الكتاب والسنة، وإبعادهم عن ظلمات التقليد والتمذهب والتعصب، إلَّا أنه خَلَطَ الغثَّ

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير.

بالسمين، والكدرَ بالمعين، ثم انتشر هذا الفن بدعوة أولاده وأحفـاده، وطلعـت شمسه في آفاق بلاد الهند.

وأخذ عِلمُ الحديث ينتقل بأعمالهم وعلومهم من طور حسن إلى طور أحسن منه، ولم يقتصر هـؤلاء الأئمة الأبرار على نشر علم السنـة؛ بل جاهدوا في تطهير الاعتقاد من أدران الشرك والإلحـاد، ووجهـوا العباد إلى طريـق الرشاد، فهؤلاء الأعلام طوقوا جميع أهل الهند، ومَن وردها من المغتربين لطلب العلم؛ بمنة عظيمة يجب عليهم شكرها؛ كما قال الشاعر:

مَـن زار بابـك لم تـبرح جوارحـه ... تروي أحاديث مـا أوليـت مـن مـنن

فالعين عن قـرة والكـف عـن صـلة ... والقلب عن جابر والسمع عن حـسن[1]»

انتهى، وأكثره بالمعنى.

ثم قال شيخنا ـ رحمه الله ـ بعد ذلك:

«وجملة القول: إن الشـيخ ولي الله الدهلوي ـ رحمـه الله تعـالى ـ غـرس في الهند شجرة علم الحديث؛ فاشتدت هذه الشجرة وتمكنـت، وطالـت أغـصانها، وعلَتْ وتشعبت فروعها، وانتشرت حتى أحاطت البلاد والأمصار، وبلغت فروعهـا جميع النواحي والأقطار، وتخرَّج بإضافة علمه جماعـة عظيمة قاموا لنـشر علـوم الدين، وإشاعة السنة النبوية، وظهر بسعيه طائفة كبيرة اجتهدوا في تـرويج علـوم

---

(١) البيتان في للعلاء الكنـدي الوادعـي في: «المعجم المختص» (١٧٨) و«معجم الشيوخ» (٢/ ٥٩) للذهبي و«فوات الوفيات» (٣/ ٩٩) و«أعيان العصر» (٣/ ٥٤٨) و«الوافي بالوفيات» (٢٢/ ١٢٥) و«النجوم الزاهرة» (٥/ ٣٨٣) و(٩/ ٢٣٦).

وبلا نسبة في «المستطرف في كل فنٍّ مستظرف» (٢/ ١٠٧).

الحديث وتبليغها؛ منهم: أبناؤه الكرام: الشيخ الأجل عبد العزيز، والشيخ العلامة عبد الغني، والشيخ العلامة عبد القادر، والشيخ العلامة رفيع الدين، والشيخ العلامة محمد معين صاحب «دارسات اللبيب»، والعلامة القاضي ثناء الله صاحب «التفسير المظهري»، وغيرهم ممن لا يحصى عددهم.

وكان كلُّ واحد منهم إمامَ زمانه في غزارة العلم، وملازمة التقوى، ونهاية الورع والزهد، رأسًا في التحقيق والإتقان، قد أُشربوا في قلوبهم حبَّ الحديث واتباعه، وامتاز من بينهم الشيخ الأجل، مسند الوقت، الفقيه المفسر المحدث؛ الشيخ عبد العزيز بمزيد الاعتناء بعلوم الحديث والقرآن وسبقهم.

وحين كان عمره سبع عشرة سنة توفي والده الإمام؛ فانتقلت إليه وظيفة التدريس والإفتاء والإرشاد والهداية؛ فأكبَّ الناس عليه، وصار مرجعهم في مهمات الدين والعلوم الشرعية؛ فلازم التدريس والإرشاد إلى آخر عمره، ودرَّس سائر العلوم لا سيما الحديث والتفسير؛ فإنه أقبل عليهما بشراشره ومجامع قلبه، واعتنى بترويجها بما لا يستطاع بيانه؛ فنشأ بجهوده التعليمية كثير من العلماء العُبَّاد، والفضلاء النقاد، والجهابذة أولي الإصلاح والإرشاد، منهم: المجاهد الكبير، والبطل الجليل، السيد العلامة: محمد إسماعيل الشهيد ابن عبد الغني، وابن ابنته المحدث البارع في العلوم والأخلاق: العلامة محمد إسحاق الدهلوي المهاجر المكي، والشيخ مخصوص الله ابن رفيع الدين، والشيخ عبد الحي البدهانوي، والشيخ حسن علي الهاشمي اللكنوي، وغيرهم.

واختص من بينهم بكثرة العبادة والرياضة، ومزيد الورع والتقوى، والتبحر في العلم والفضل، والسعي في الإصلاح والإرشاد، وحسن الإفادة: ابن ابنته الكريمة الشيخ العلامة الشهير في الآفاق الشيخ محمد إسحاق المذكور؛ فجلس

بعده مجلسه، وأفـاد النـاس بعلومـه، وانتهـت إليـه رياسـة الحـديث في عـصره، وتخرَّجت عليه جماعة كبيرة؛ منهم: الشيخ الأجل مسند عصره الشيخ محمد نذير حسين الدهلوي، والشيخ المحدث عبد الغني أبي سعيد المجددي الـدهلوي ثـم المدني، والنواب قطب الدين مؤلف «مظاهر حق»، والشيخ فضل رحمـن المرادآبـادي، والشيخ العلامة المحقق محمد بن ناصر الحازمي وغيرهم.

ثم إنه هاجر إلى مكة المكرمة، واستخلف مَن هو فرد زمانه، وقطب أوانه، رحلة الآفاق، شيخ العرب والعجم بالاتفاق، المجدد على رأس المئة الثالثة عشرة ـ أعني: المحدث المفسر الفقيه ـ؛ شيخنا الأجل محمد نذير حسين الدهلوي في نشر العلوم الحديثة؛ فولي التدريس والإفادة والإفتاء والوعظ والتذكر، ودرَّس الكتب في جميـع الكتب المتداولـة اثني عشرة سـنة، ثـم غلب عليـه حُبُّ تدريس القرآن والحديث؛ فترك اشتغاله بما سواهما إلَّا الفقه، فاشتغل بتدريس هذه العلوم الثلاثة إلى آخر عمره، من سنة سبعين بعد الألف والمئتـين، إلى سنة عشريـن بعد الألف وثلاث مئة؛ فجميع مدة اشتغاله بتدريس هذه العلوم الثلاثة اثنتان وستون سنة.

لم يزل شيخنا يفيد الناس بعلومه؛ فنفع الله به خلقه كثيرًا؛ فأشرقت بأنوار علومـه البلاد، وانتشرت معارفـه في القرى والأمصـار، وانتشر تلامذته في جميع أنحاء الأرض من بلاد العجم والعرب؛ فما من مدينـة ولا من قرية إلَّا تصوغت بها نفحاتـه المسكية، ووصلت إليها بركاتـه العلميـة، سيقت إليه المطايا، وشُدَّتْ نحوه الرحال للاقتباس من أنوار معرفته، والاغتراف من بحار علومه، والتحلي من مكارم أخلاقه وشمائله، والاستمساك بمحاسن آدابه وفضائله؛ فله على الناس منن عظيمة، وأيادي جسيمة، قضى عمره المبارك في خدمة الدين، وأنفق ماله في نشر العلوم وإحياء السنن السنية، لم يوجد مثله في زمانه ولا بعده في علمه وفضله،

وخلقه وحلمه، وجوده وتواضعه، وكرمه وعفوه، وكثرة عبادته لربه، وخشيته له وتقواه، وورعه وزهده، وجميع الخصال الحميدة، والشيم المرضية والصفات الجميلة، والسمات الحسنة.

وصنف تصانيف مفيدة، تشهد له بطول الباع في العلوم وسعة الاطلاع على الكتب، وتدل على تبحره وسعة نظرة مطالعته، وجودة حفظه، ودقة فهمه، وإصابة رأيه، حصل له من الشرف والفضل ما لم يحصل لأحد ممن عاصره، وبلغ من العلى والرفعة ما لم يبلغ غيره من معاصريه.

وممن سعى في نشر علوم الحديث في الهند واجتهد في تبليغ السنن النبوية وإحيائها، وبذل مجهوده لإعلاء الدين المستقيم، وأفرغ جهده لإماتة المحدثات والمنكرات: شيخنا المحدث المفسر، فقيه آية الله في الأرض: الشيخ حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني؛ فإنه لـمَّا فرغ من تحصيل العلوم في بلاد اليمن، جلس مجلس الإفادة، درَّس وأفاض بركاته على بلاد العرب، ثم ارتحل في حياة المكرمة سكندر بيكم إلى بهوپال عند أخيه العلامة زين العابدين قاضي بهوپال، ولقي الرئيسة المذكورة؛ فأكرمت نزله، وفوضت إليه دار الحديث، وقلدته تدريس علوم الحديث، انتفع به جمٌّ غفير من علماء تلك البلدة وغيرها، وانتشر صيته في بلاد الهند، طار ذكره في أقطارها، ورحل إليه طلبة الحديث من كل ناحية، وتلمذ له جماعة من العلماء المشهورين بالفضل والكمال ممن لا يمكن حصرهم.

ثم بعد سنة أو سنتين من قدومه استأذن الرئيسة المذكورة في الرجوع إلى بلدة الحديدة؛ فأذنت له، فرجع إلى وطنه، ولـمَّا توفيت الرئيسة وتولت الحكومة بنتها الرئيسة شاهجهان بيكم، وتزوجت بالسيد العلامة صديق حسن القنوجي، دعت شيخنا أن ينتقل بأهله إلى مدينة بهوپال مقرّ رياستها، ويتخذها وطنًا؛ فأجاب

دعوتهـا، ونزل بهوپـال واستوطنها، ولم يزل مقامه محطًّا للطلاب، ومنهلًا صافيًا للوراد، يتناولون إليـه من كل صوب وناحية، إلى أن توفاه الله ـ تعالى ـ سنة سبع وعشرين بعد الألف وثلاث مئة ـ رحمه الله ـ». انتهى.

قال محمد تقي الدين: ليس القصد أن نذكر في هذا المقام جميع العلماء السلفيين الحنفاء من أهل الهند؛ فإن عددهم ـ ولله الحمد ـ أكثر من أن يحصى، ومَن جَالَ في بـلاد الهنـد الواسعة من كراتشي وبمبـاي غربًا، إلى آخر بنغال شرقًا، ومن جبال هملايـا شمالًا، إلى آخر مدراس ونواحيها جنوبًا؛ يجد هؤلاء العلماء الأبرار في كل صِقْعٍ، وتحت كل نجم، ويجد جماعة أهل الحديث الحنفاء من العامة والخاصة قائمين بالدعوة؛ قد أسسوا المدارس والمساجد في كل مكان، وهم يبذلون الأموال بـسخاء، جهادًا في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العَلْياء، وليكون الدين كله لله، والحكم كله لله، وليكون الإمـام القدوة الذي به الأسوة واحدًا لا يزاحمه أحد، وهو محمد رسول الله خاتم النبيين، وإمام المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين.

جعلنا الله ـ سبحانـه ـ ممن أحبه المحبة الشرعية؛ التي يريدها الله ويرضاها رسوله ﷺ، بلا تفريط ولا إفراط، والتي توجب اتباع سنته، والاهتداء بهديه.

آمـــين آمـــين لا أرضى بواحـــدة ... حتـى أضـيف لهـا آلاف آمينـا[1]

وقد رأيتُ أن أختم هذه النبذة بذكر ترجمة شيخنا عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري ـ أفاض الله عليه سحائب رحمته، وأسكنه فسيح جنته ـ؛ فأقول:

---

(١) ينسب لأبي بحر صفوان بن إدريس، انظر: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (١/ ١٧٥)، وينسب لأبي بكر حمدون بن المعلم البلنسي، انظر: «معجم السفر» لأبي طاهر السِّلفي (٣٣٤).

هو الإمام علم الأعلام، ومصباح الظلام، بحر العلوم المنطوق منها والمفهوم، سيد الزاهدين، وإمام العابدين، وحيد الزمان، وفريد العصر والأوان، لم ترَ عينه مثله فيما جمع الله له من الخصال الحميدة، والأخلاق المجيدة، والآراء السديدة، والسيرة الطاهرة، والكرامات الظاهرة، عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري، من ناحية أعظم كره من بلاد الهند.

*** مولده ونشأته:**

ولد ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ألف ومئتين وثلاث وثمانين، بقرية مبارك فور، من مضافات أعظم كره، نشأ في موطنه في حجر والده، وتربى في كنفه، واشتغل بالقراءة في صباه؛ فختم القرآن الكريم وعدة رسائل بلغة أردو والفارسية، ثم أخذ في قراءة الكتب الفارسية في الأدب، والإنشاء والأخلاق، حسب ما تعامل به أهل بلده إذ ذاك على والده وبعض علماء بلده؛ فنبغ فيها، وبرع حتى فاق الأقران، ثم ارتحل بعد ذلك إلى ما يجاور موطنه من القرى والبلاد؛ فطاف على علمائها، وحضر دروسهم؛ فقرأ العلوم العربية وغيرها من الصرف والنحو والفقه وأصوله والمنطق على العلامة الشيخ حسام الدين المئوي، والعلامة الشيخ فيض الله المئوي، والعلامة التقي الأورع الشيخ سَلامت الله الجيراج فوري رئيس المدارس الدينية، وناظرها بهوپال في عهد العلامة النواب صديق حسن القنوجي ملك بهوپال، وغيرهم من العلماء المشهورين؛ فلما ارتوى من العلوم المتداولة وتضلع، وكان في غاية الاشتياق إلى تكميل العلوم واكتساب المعارف، وكان يسمع صيت مدرسة (چشمهء رحمت) بغازيفور؛ التي كانت محطًّا لرحال الأكابر، رحل إليها، وعكف فيها حتى أتم ما بقي من الكتب المتداولة الدراسية، على الحكيم الجليل، والعارف الكبير، بحر العلوم والمعارف: الحافظ الشيخ عبدالله الغازيفوري.

* شيوخه الكبار في العلوم العقلية والنقلية:

قَرَأَ ـ رحمه الله ـ بالتدبر والتفكر والإمعان والبحث والتحقق ـ الكتبَ المتداولة ـ المتوسطات منها والمطولات ـ من العلوم العربية: من النحو والصرف والمعاني والأدب، والفنون الآلية العقلية: من المنطق والفلسفة والهيئة والهندسة والحساب، والعلوم الدينية الشرعية: من الفقه والحديث والتفسير وأصولها؛ على المحدث المفسر، الفقيه النظار، الأصولي الفيلسوف، المحقق، إمام الهدى واليقين، رئيس أهل التقى والعرفان، رأس أهل الورع والزهد، أستاذ الأساتذة، الإمام الحافظ الشيخ عبدالله، المئوي مولدًا، والغازيفوري سكنًا، رئيس الأساتذة بمدرسة (چشمهٔ رحمت) بغازيفور.

لازمه شيخنا خمسة أعوام يغترف من بحاره، ويستمطر من صبوب مزنه، ويقتبس من أنوار علومه، وينور قلبه أضواء معارفه، ويتأدب بآدابه إلى أن نقع غلته، وسكن عطشه، وارتوى من زلال معارفه، وتضلع من عذب علومه، حتى شهد له شيخه بالفضل والكمال؛ لما شاهد فيه ما جمع الله له من العلم والعمل، والورع والتقوى والزهد، وإصابة الرأي، وثقوب العقل، وقوة الذكاء، وجودة الفهم، ودقة النظر، ولما أحسَّ فيه من مخايل النجابة الباهرة، وأبصر فيه من سمات الرزانة الكاملة الطاهرة، وأمارات المجد والعلى؛ أشار عليه وأرشده ـ بل أمره! ـ أن يقصد حضرة شيخه الدهلوي؛ ليصل بإفاضاته القدسية، وفوحاته المسكية، إلى أعلى درجات الفضل والكمال، ويبلغ بمعارفه القيمة، وعلومه النافعة الجمة إلى أرفع مراتب العلم والمجد بين الأقران، وليحصل له السند العالي، والفوز بالشهادة العليا، والنجاح بالمرتبة القصوى.

فلبَّاه بقلبه، وارتحل بأمر شيخه، وإذن والده إلى دهلي، وطرق باب مَن هو

بخاري زمانـه، الإمام الحجـة؛ الشيخ محمد نذيـر حسين ـ وقد تقدَّم ذكره وبيان فضله؛ فأغنى عن إعادته هنا ـ؛ فقرأ عليه «صحيح البخاري»، و«صحيح مسلم»، و«جامـع الترمذي»، و«سنن أبي داود»، كل واحد بتمامـه وكماله، وأواخر «سنن النسائي»، وأوائل «ابن ماجـه»، و«مشكاة المصـابيح»، و«بلوغ المرام»، و«تفسير الجلالين»، و«تفسير البيضـاوي»، و«أوائـل الهداية»، وأكثر «شرح نخبة الفكر»؛ فأجـازه بروايـة الكتـب المذكورة وتعليمهـا، وغيرهـا من كتـب الحديث والفقه وتدريسها، وكتب له الإجازة بخطه.

وقد نال شيخنا ـ رحمه الله ـ من الفضل والكمال، وبلغ من العلوم والشرف ما كان المتقدمون من المحدثين يعتنون به، ويرغبون فيه، ويبذلون جهدهم لتحصيله؛ من تكثير الشيوخ الثقات، وطلب علو الأسانيد المعتبرة المعتمدة، وهو من مهمات أصول الحديث، ومن أسباب تقويـة الحديث وتأييده؛ فقد سئل بعض المحدثين: أي شيء أحب إليك؟ فقال: القلب الخالي والسند العالي.

فحصل له قراءة الأطراف من الأمهات الست وغيرها من كتب الحديث؛ كـ «موطأ مالك»، و«مسند الإمام الشافعـي»، والإمام أحمد بن حنبل، و«الأدب المفرد» للبخـاري، و«معجم الطبراني الصغـير»، و«مسـند الدارقطني» على الحبر العلامة، والبحر الفهامة، وحيد عصره، وفريد دهره، شيخ العرب والعجم: الإمام القاضي حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني؛ فكتب له الإجازة بروايـة هذه الكتب المذكورة بأسانيدهـا المتصلة إلى مؤلفيهـا المذكورين، في ثبت شيخ مشايخه الإمام الحافظ الرباني محمد بن علي الشوكاني، المسمى بـ «إتحاف الأكابر في إسناد الدفاتر».

بل أجاز له أن يروي عنه جميع ما حواه «إتحاف الأكابر» من الكتب الحديثية

وغيرها، وهذا فضل عظيم لم يفز به كثير ممن عاصره من الفضلاء، ولم يشاركه فيه إلا قليل ممـن خصـه الله بالحظ الوافر من السادة الأكابر، والله يختص بفضله مَن يشاء، وهو ذو الفضل العظيم.

*** رجوعه إلى وطنه واشتغاله بتأسيس المدارس:**

لـمَّا فرغ شيخنا ـ رحمه الله ـ من تحصيل العلوم، ومصاحبة شيوخه الفحول، وامتلأ من المعارف، وأينعـت ثمار علمـه، رجع إلى وطنـه مبارك فـور، وشرع في إنشاء حصون الدين الحنيف وهي المدارس؛ فبدأ أوَّلًا بتأسيس دار التعليم لخدمة السنة النبويـة، وتجديد معالمها، واشتغل بالتدريس والإفتاء، ونصح الأمة بالقلم واللسان؛ فكم من هائم في تيه الضلالـة هـداه بسيرتـه السنية، وكم من هالك في مفازة الجهل أنقذه بإرشاده بكلماته الطيبة؛ فله على الناس منن عظيمة، ونعم جسيمة؛ فقد تلألأت بسعيـه المشكور آثـار السنة النبويـة بعد ما اندرست، وأميتت البدع بعد ما ظهرت، وطار صيته في وقت قصير؛ فأكب عليه طلبة العلم من أقطار الهند، وتضلع وارتوى بعلومه عدد لا يحصون؛ فجزاه الله عنا وعن سائر المسلمين أحسن ما يجزى به عباده الصالحين.

وقد آتاه الله مقدرة عظيمة على تأسيس المدارس الحنيفية؛ فكان ـ رحمه الله ـ يُدعى من قبل الرؤساء والجماعات لتأسيس المدارس، وتسييرها، وتدبير شؤونها، واختيار المعلمين الأكفاء، ووضع المناهـج التدريسية المحكمـة لها؛ فكان يُؤسس المدرسة، ويدبر شؤونها إلى أن تستقر أمورها، ويستقيم أمرها، ثم ينتقل إلى تأسيس مدرسة أُخرى، وهكذا دواليك.

*** المدارس التي أسسها أو درَّس فيها مدة من الزمان:**

الأولى: المدرسة العربية في بلرامفور؛ درَّس فيها مدة من الزمان، وانتفع به

خلق كثير من طلبة العلم.

المدرسة الثانية: مدرسة إله نكر[1]؛ دعاه إليها رئيس هذه البلدة، فدرَّس بها مُدَّة من الزمان، كانت بدايتها سنة تسع وعشرين وثلاث مئة وألف؛ فأقبل عليه طلبة العلم من كل حدب وصوب، واغترفوا من بحر علمه، وارتووا من معين معارفه.

الثالثة: المدرسة المسماة سراج العلوم، ببلدة كوندو بونديهار؛ دعاه رئيس هذه البلدة، وطلب منه تأسيس المدرسة؛ فأسسها على أحسن وجه، ووضع لها مناهجها ونظامها؛ فنجحت غاية النجاح، وكانت منبعًا لتحصيل مراقي الفلاح؛ فدبر شؤونها، ودرَّس بها مدة طويلة؛ فنفع الله بعلمه تلامذتها، وتخرج فيها على يديه جم غفير من طلبة العلم؛ فانتشروا في آفاق الهند مصابيح ظلام، وسرج هداية، يبلغون عن الله ورسوله ودين الحق الصافي من كتاب الله وسنة رسوله، وعلوم السلف الصالح، ولا تزال إلى الآن سائرة في طريقها، تشع منها أنوار العلم والحكم.

وكان ـ رحمة الله عليه ـ مرجعًا، ومدبرًا لشؤون المدارس التي شرَّفها بالتأسيس، أو بالتدريس فيها، لم يزل مدبرو شؤونها يستشيرونه، ويستضيئون بنوره في تسييرها، وحلِّ ما يعرض لهم من المشكلات.

المدرسة الرابعة: المدرسة الأحمدية بآره؛ لـمَّا فرغ رفيقه في الطلب، أحد كبار تلامذة شيخ الجماعة الإمام نذير حسين؛ وهو الشيخ العالم الصالح، أبو محمد إبراهيم الآروي؛ من تحصيل العلوم عند شيخ الجماعة المذكور، عزم على تأسيس مدرسة؛ فدعا لتأسيسها وإدارة شؤونها الشيخَ الإمام عبدالله الغازيفوري ـ الذي تقدم

---

(١) كذا في الأصل، وصوابها: «الله نغر»، وهي قرية من مديرية (سدارت نغر) بولاية (اترابراديش).

ذكره ـ، وهو من أجلة شيوخ شيخنا؛ فعلم هذا الشيخ الجليل أنه لا يستطيع تحمل أعباء هذا الأمر الجلل، إلا بمؤازرة شيخنا عبد الرحمن؛ فكتب إليه كتابًا يدعوه أن يقدم عليه في آره، ولم يخبره بالغرض المقصود؛ فلما وصل إليه كشف له عمَّا في نفسه؛ فاستجاب شيخنا ـ رحمه الله ـ لِمَا دعاه إليه، وأسست المدرسة الأحمدية في آره، وكانت سراجًا للسائرين، ومنهلًا للواردين، واستمر بها شيخنا مع أستاذه إلى أن توفي الشيخ أبو محمد إبراهيم ـ رحمه الله ـ.

المدرسة الخامسة: دار القرآن والسنة بكلكته، ثم إن بعض تلامذة شيخ الجماعة الإمام نذير حسين ـ رحمة الله عليه ـ من أهل كلكته في بلاد بنغال من شرقي الهند، أراد تأسيس مدرسة عظيمة تسمى: دار القرآن والسنة؛ فاستشار أستاذ شيخنا العلامة عبدالله الغازيفوري؛ فأشار عليه بأن يدعو إلى هذا لأمر العظيم شيخنا عبد الرحمن، إذ لا يجد من يقوم به من بين الأعلام؛ فدعاه، فقبل شيخنا دعوته، وأسس دار القرآن والسنة، ووضع لها مناهجها، وخطَّ لها نظامها على أحسن وجه، واختار لها الأساتذة الأكفاء؛ فسطعت أنوارها، وجرت أنهارها، ونفع الله بها مَن لا يحصون كثرة من طلبة علوم الكتاب والسنة.

وأقام شيخنا ـ رحمه الله ـ في هذه المدرسة مدة طويلة، ثم اختار الانقطاع لتأليف أعظم كتبه «تحفة الأحوذي»، والتفرغ لخدمة هذا الكتاب الجليل الذي هو مفتاح الكتاب الرابع من كتب السنة، وهو «جامع الترمذي»؛ الذي قيل فيه: «من كان عنده «جامع الترمذي» في بيته؛ فكأنما عنده نبي يتكلم».

ومنذ بارح دار القرآن والسنة رجع إلى مسقط رأسه مبارك فور، وعكف على التصنيف والتدريس والإفتاء والقضاء؛ فإن قلت: ما معنى القضاء؟ هل كان قاضيًا بتقليد من ولاة الأمر لهذه الخطة؟ قلت: لا، ولكن أهل الحديث في الهند لا يتحاكمون في الخصومات التي تقع بينهم إلى المحاكم؛ لأنها لا تحكم

بالكتـاب والسنة، وإنما يتحاكمون إلى علمائهـم، ولا يستفتون المفتيين الرسميين؛ لأنهم يفتـون بالرأي أو بالقانون، وإنما يستفتون علمائهـم عملًا بقوله ـ تعالى ـ في سورة النساء [٥٩]: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[النساء: ٥٩] الآيات.

وشيخنـا ـ رحمـه الله ـ كـان من خير علماء أهل الحديث الحنفاء ـ نضر الله وجوههـم ـ؛ فكان الناس يعتمدون عليـه في الإفتاء والقضـاء وحل المشكلات، ويستشيرونـه ويستضيؤون برأيه، وقد أخبرني ـ رحمه الله ـ أن هناك ناحية ليست بعيدة من مبارك فور، اسمها بستى، فيها ثمانون قرية، متصل بعضها ببعض، أكثر سكانها أهل الحديث، وكانوا يدعونه لحل مشاكلهم، وإزاحة عللهم في أمور الدين والدنيا، ويعظمونه ويحبونه ويقتدون به.

ومع كثرة تواضعه الذي يقل نظيره بين العلماء؛ كان الناس يهابونه، ويجلونه، ويقدمونه، وفي المدة التي أقمتُ عنده، وكان ذلك في سنة اثنتين وأربعين وثلاث مئـة وألف، كان يقدمني للصـلاة إمامًا في مسجده في الصلوات الجهرية، ويتولى الإمامة في الصلوات السرية، وعلل ذلك ـ رحمة الله عليه ـ بقوله: إنك تقرأ القرآن بالتجويد أحسن مني؛ فنحب أن نسمع القرآن منك.

وكان ـ رحمه الله ـ آية في السخاء والكرم، لا تجد له نظيرًا بين العلماء في ذلك، مع أنه لم يكن له راتب، ولم يكن يتعاطى من أسباب طلب الرزق إلا الطب؛ فكان يخصص لعلاج المرضى من بعد صلاة العصر إلى أذان المغرب، والعجب من إخواننا الذين ترجموا له، وأعطوا الترجمة حقها، ولم يذكروا معرفته للطب، وتعاطيه إياه مع أن ذلك من أفضل المزايا، وأجمل الخصال، والاقتداء بالأنبياء والمرسلين، وخصوصًا

سيدهم وإمامهم وخاتمهم محمدًا رسول الله ﷺ؛ فإنه كان طبيبًا للأرواح والأبدان؛ فمَن تفضَّل الله عليه بحظٍّ وافرٍ من ميراث محمد ﷺ في هذه الفضيلة؛ فقد شرفه وأكرمه وأعلى مقامه، وقل مَن وَرِثَ من النبي ﷺ العلم بطب الأبدان مضافًا إلى العلم بطب النفوس.

وكان ـ رحمه الله ـ لا يأخذ من الفقراء أجورًا على العلاج، وإنما يأخذ من الأغنياء ما يقدمونه له بدون اشتراط، وبذلك يكون عاملًا بالحديث المروي في «الصحيحين»[1] عن النبي ﷺ: **«مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»**، وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده؛ فمعرفة الطب والعلاج، والاستغناء عن الناس بالأكل من عمل اليد من سنة النبي ﷺ، وقد جمعهم الله لشيخنا ـ رحمه الله ـ.

وفي مدة إقامتي بمبارك فور، ألزمني بإلحاح شديد أن أكون ضيفًا عنده؛ فلم أدخل قط مطعمًا، ولا اشتريتُ طعامًا، ولـمَّا حان وقت سفري عزمتُ أن أسافر بطريق سكة الحديد الضيقة التي تمتد من مبارك فور إلى أعظم كره، وهي قصبة تلك الناحية؛ فقال لي ـ رحمه الله ـ: لا تسافر في القطار إلى أعظم كره؛ فإن رجلين من أصحابنا يريدان أن يسافرا إليها على عربة يجرها فرس، فسافر معهما؛ فإن ذلك يسهل عليك.

وكان الرجلان قد عزما على السفر في منتصف الليل؛ فأردت أن أودعه بعد

---

(١) ليس في «الصحيحين» وإنما انفرد به البخاري، أخرجه البخاري (٢٠٧٢) من حديث المقدام به بتمامه.

وأخرجه البخاري (٢٠٧٣) من حديث أبي هريرة بلفظ: **«أن داود النبي ـ عليه السلام ـ كان لا يأكل إلا من عمل يده»**.

فراغنـا من العشاء؛ فأبى، وقال لي: لا بد أن أخرج لوداعـك. فقلت له: إن ذلك يشق عليك ويمنعـك من النوم. فقال: لا بد من ذلك. فلما حان الوقت، أخذت حقيبتي وخرجت من المسجد من المقصـورة التي كنتُ أسكنـه فيها؛ فوجدته قد خرج من بيته، وسرنا معًا نتحدث إلى المكان الذي ينتظرنا فيه ذلك الرجلان بعربتهما، وحينئذٍ وضـع يده في يدي وقال: أستودع الله دينـك وأمانتك وخواتيم عملك، زودك الله التقـوى، وييسر لك الخير أينما توجهـت. ودسَّ في يدي ورقـة ـ ظننتها نقدية ـ فرددتها عليه! وقلت له: جزاك الله خيرًا؛ لقد بالغت في الحفاوة بي وإكرامي؛ فلا حاجة لي بهذا.

فأخذ بيـدي، وسار بي بعيدًا من الرجلـين، ثم أجهش بالبكاء بكاءً شديدًا جدًّا، وصار يقول والعبرة تخنقـه: اقبل مني! اقبل مني! فاختطفـتُ الورقة، وقد اقشعر جلدي مما رأيت من بكائه، وندمت ندامة الكُسَعِيِّ[1] على ردِّي عليه تلك الورقة الذي سبَّب له ذلك البكاء الشديد، وسألته العفو والمغفرة؛ فعفا عني، ومسح دموعه، وبقي هنيهة حتى رجع إلى حاله المعتادة؛ فأخذ بيدي، وتوجهنا إلى العربة؛ فودعته وركبتها، ولم تفارقنـي القشعريرة والتأثر بذلك المشهد حتى طلع الفجر، ونزلنا للصلاة؛ فتقدمـتُ فصليتُ إمامًا بالرجلين؛ فلما بـدأتُ القراءة غلب عليَّ البكاءُ بسبب ذلك المشهد الذي لم يَزُل من خيالي.

ومن أسطع البراهين على علو همته المنقطع النظير، أن الملك عبد العزيز بن

---

(١) في «مختار الصِّحَاح» (٥٢١): «(نَدَامَةَ الكُسَعِيِّ) وَهُوَ رَجُلٌ رَبَّى نَبْعَةً حَتَّى أَخَذَ مِنهَا قَوْسًا، فَرَمَى الوَحشَ عَنهَا لَيلًا فَأَصَابَ، وَظَنَّ أَنَّهُ أَخطَأَ فَكَسَرَ القَوسَ، فَلَمَّا أَصبَحَ؛ رَأَى مَا أَصْمَى مِنَ الصَّيدِ فَنَدِمَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

نَـــدِمْتُ نَدَامَـــةَ الكُـــسَعِيِّ لَـــمَّا … رَأَتْ عَيْنَـــاهُ مَـــا صَـــنَعَتْ يَـــدَاهُ»

عبد الرحمن آل سعود ـ رحمة الله عليه ـ لـمَّا علم فضله، وعلمه وكماله، تكرَّم بدعوته ليكون أستاذًا في معاهد المملكة السعودية وفي المسجد الحرام، ينتفع الناس بعلمه وتربيتـه وحسن سيرتـه؛ فاعتـذر عن القبول بأن ذلك يعوقـه عن إتمام مؤلفاته، ولا سيما «تحفة الأحوذي»، ويا ليته قَبِل!

وكـذلك دعاه المحسن الكبـير، المنفـق مالـه في سـبيل الله، وفي نشر السنة ونصرها، محب العلم والعلماء: الشيخ عطاء الرحمن مدير مدرسة دار الحديث بدهلي؛ لتدريس علوم الحديث فيها؛ فاعتذر لـه ـ أيضًا ـ، وكانـت الدنيا لا تساوي عنده جناح بعوضة؛ لأن الله أكرمه بغنى النفس، وما أحسن قول بعضهم:

ولـيس الغنـا عــن كثـرة المـال إنـما ... يكون الغنى والفقر من قبل النفس[1]

وهذا معنى حديث صحيح رواه البخاري: «**ليس الغنى عن كثرة العرض، وإنما الغنى غنى النفس**»[2]، أو كما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

ومزاياه وفضائله أكثر من أن تحصى؛ فجزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين أحسن ما جزى عباده الصالحين.

*** زجر غراب:**

بلغنـي أن غرابًا لئيمًا يتطفـل على علم الحديـث، طعـن في شيخنـا الإمـام عبد الرحمن بن عبد الرحيم بأكذوبـة خسيسة لما شوى الحسدُ قلبَه، لما شاهده من آثار شيخنا الباهرة، وفضائله الظاهرة.

وهذه الأكذوبة فيهـا من الجهل والغبـاوة ما يجعل سامعها يمجها، ويلعن

---

(١) البيت لابن سعدان، انظر: «بهجة المجالس وأنس المجالس» (٤٢) لابن عبد البر.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة.

فاعلها، وحاصلها: أن الشيخ ـ رحمه الله ـ ذكر في بعض كتبه[1] أن في خزانة الكتب العربية في برلين تفاسير لكبار المحدثين مسانيد، وكتب حديث؛ كـ «مسند بقي بن

---

(١) مرَّ بي بعض الدكاترة قديمًا مبعوثًا من شيخنا الشيخ حماد الأنصاري، قادمًا من المملكة العربية السعودية، ومن المدينة النبوية تحديدًا، مرورًا بالأردن؛ ليتابع رحلته إلى ألمانيا، باحثًا عن المخطوطات التي ذكرها العلامة محمد بن عبد الرحمن المباركفوري في مقدمة «تحفة الأحوذي».

جرَد شيخنا حماد عناوين المخطوطات، وعَنوَن عليها بـ «مُسيِّل اللُّعاب»، وتشنَّفت الآذان، واشرَأبّت الأعناق، وتشوَّفت الأرواح، وتشوَّقت النفوس لمعرفة مآل هذه المخطوطات، ولكن رجع المرسول والمبعوث ـ فيما أخبرنا بعد ـ بـ (خُفَّي حُنَين)!

وأفادني ولده الشيخ عبد الباري أنَّ محاولات شيخنا حماد ـ رحمه الله تعالى ـ تكررت بهذا الخصوص.

وبقي الخبر وطَنِينُه، وأثرُه وحَنينُه؛ يدور في الرؤوس، وتُردِّده الألسنة، وتتمنَّى النفوس صحَّته.

وكان لصاحب هذه السطور لقاء مع بعض المدرِّسات في جامعة برلين لمادة الحديث النبوي، وهي ألمانية الأصل، وقدَّمت أبحاثها النظرية لنيل درجة الأستاذية، وبقي عليها الامتحان الشَّفهي عندهم، فاتَّصل طالب من طُلَّابي يخبرني بشأنها وحاجتها، فابتَهلتُها فرصة للسؤال عن خبر مخطوطات ألمانيا، ودار كلام في مجلس جمعني وإياها في مكتبتي ـ أسأل الله أن ينفع بهـا في حياتي وبعد مماتي ـ بتأريخ ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٦م، وأكَّدت لي أنَّها منذ الحرب العالمية الثانية في الصناديق، وفيها كثير من المخطوطات، وهي اليوم في برلين في مكتبة الدولة.

وبقـي الخبر يحتـاج إلى ما يَدعَمـه، ويكشِف عـن صحَّته، حتـى ظفَرتُ بمقالة الهلالي هذه.

مخلد» الحافظ، و«تفسير عبد بن حميد» وأمثالها[1]، وقد أخبرني شيخنا ـ رحمه الله ـ

---

(١) جزم المباركفوري بوجود هـذه المخطوطات في ألمانيا في آخر الجزء الأول من (مقدمة «تحفة الأحوذي» (٣٢٩ ـ ٣٣٦) في (الفصل الحادي والأربعون: في تذكرة كتب الحديث القلمية النادرة وبيان أمكنة وجودها ليستفيد منها من استطاع إليه سبيلًا)، انظرها في تعليقنا على المقالة في (الحديث وعلومه).

قال الدكتور عبد العليم البَستوي في تقديمه لكتاب «فوائد في علـوم الحـديث»[1] للعلامـة المحدِّث الفقيه الشيخ أبي العلى محمد عبد الرحمن المباركفوري ـ رحمه الله ـ تحـت عنـوان: (الجواهر المفقودة في ألمانيا) (ص٢١ ـ ٢٥):

لقد ذكر المؤلِّف ـ رحمه الله ـ في الفصل الحادي والأربعين ـ وهو آخر فصل في هـذا الكتـاب ـ مجموعة من الكتب الحديثية المخطوطة، وذكر أنها توجد في خزانة الكتب الجرمنية، كما ذكر بعض هذه الكتب في فصول أخرى ـ أيضًا ـ.

واستشكل بعضُ الباحثين في العصر الحاضر وجود هذه الكتب، وذلك لـمَّا صـدرت فهارسُ عديدةٌ للمخطوطات العربية في العالم، وخاصة كتابا «تـاريخ الأدب العـربي» لكارل بروكلمان، و«تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين، ولم يوجد في تلك الفهـارس ذِكرُ هذه النسخ، وتسرَّع بعض هـؤلاء البـاحثين؛ فـشكَّكوا في وجـود هـذه الكتـب، واتَّهموا مؤلِّفنا ـ رحمه الله ـ بتقديم معلوماتٍ غيرِ دقيقةٍ، أو غيرِ صحيحةٍ.

ولكن تصدى للرد على هؤلاء المتسرِّعين عددٌ من الباحثين ـ أيضًا ـ[2]. =

---

(١) نشر عن مكتبة دار المنهاج ـ الرياض.

(٢) ينظر: مقالة أستاذنا العلامة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ـ رحمه الله ـ في سيرة شيخه العلامة المباركفوري، وقد نشرت في مجلة «صوت الجامعة» السلفية في بنارس بالهند، في عدد شعبان (١٣٩٣هـ). وقد خصَّص جزءًا من هذه المقالة للرد على بعض الطاعنين في الشيخ من أجل ذكره هذه الكتب المخطوطة تحت عنوان «زجر غراب».

ومقالة الدكتور خالد ظفر الله باللغة الأردية المنشورة في مجلة «محدث» الصادرة في بنارس بالهند أيضًا في عدد نوفمبر ٢٠٠٠م، وفيها قصة مراسلات جرت بينه وبين الدكتور محمد حميد الله ـ رحمه الله ـ الذي كان يقيم في باريس. =

= والعلامة المباركفوري ـ رحمه الله ـ لم يسافر إلى ألمانيا قط، ولم يدَّعِ أنه رأى هذه الكتب بعينه، ولكنه اعتمد في هذه المعلومات على فهرس لأهم المخطوطات النادرة الموجودة في عدد من المكتبات في المدينة المنورة، وتركيا، وألمانيا، في فنون التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، وغير ذلك، على النحو التالي:

المكتبة الجرمنية ١٩٥ كتابًا.

مكتبة نور عثمانية في إستانبول ٧٤ كتابًا.

المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ١٥٥ كتابًا[1].

وقد أعدَّ هذا الفهرس أحدُ العلماء الهنود، قام بجولة في اليمن، والحجاز، والشام، وتركيا، وفرنسا، وألمانيا، ولندن، واليونان، ومصر، واستخلص أسماء الكتب المذكورة في هذا الفهرس ـ وهي ٤٢٤ كتابًا ـ من فهارسها مع ذكر شيءٍ من أوصافها، ونَسَخَ بعضَ الكتب المخطوطة من اليمن ليحضرها معه إلى الهند.

ووصلت نسخةٌ من هذا الفهرس إلى العلامة المباركفوري ـ رحمه الله ـ، وما زالت موجودة لدى عائلته[2].

ويقع هذا الفهرس في خمسَ عشرة صفحة، ويوجد في موضعين منه توقيع كاتبه؛ بما معناه:

«بقلم نور محمد، عفا عنه الصمد، تاريخ غرة شوال، يوم الأربعاء، (١٣١٥هـ)».

ولا أدري! هل نور محمد هذا هو الذي قام بهذه الجولة وأعدَّ هذا الفهرس، أم أنه مجرد =

= وكتاب «مولانا محمد عبد الرحمن محدث مباركفوري: حيات وخدمات» للدكتور عين الحق القاسمي، وهو مطبوع باللغة الأردية. (منه).

(١) حسب إحصائية الدكتور عين الحق القاسمي في كتابه. (منه).

(٢) وقد حصلت على نسخة منه بتعاون من فضيلة الدكتور مقتدى حسن الأزهري ـ حفظه الله ـ، والدكتور رضاء الله المباركفوري ـ رحمه الله ـ، فجزاهما الله خير الجزاء، ولقد بدأت في تحقيقه، وإذا يسَّر الله إتمامه وطبعه؛ فسيكون بأيدي الباحثين بعنوان «الجواهر المفقودة في ألمانيا» إن شاء الله ـ تعالى ـ، وسأتحدث فيه بتفصيل أكثر في هذا الموضوع. (منه).

= ناسخ نسخه من الفهرس الأصلي؟[1].

فإن كان التاريخ المذكور فيه هو تاريخ النسخ؛ فلا شك أن تاريخ الفهرس الأصلي سيكون أقدم منه، ومهما كان الأمر؛ فقد مضت الآن مائة وعشرُ سنوات على هذا الفهرس أو نسخه، ومن المعروف والمشهور أن العالم قد تعرَّض لحربين عالميتين خلال هذه الفترة، وكانت ألمانيا الهدف الأساسي والطرف الرئيسي في هاتين الحربين، فلا أدري! هل هذه المخطوطات تعرَّضت للضياع في هذه الحروب، أم نُقلت إلى مكانٍ آخر لم يُعرف حتى الآن؟ سواء كان هذا النقل بنيَّة الحفاظ عليها من التلف والضياع، أو بنيَّة السَّرقة والتدمير[2] كما هي عادة الغُزاة في الحروب، والله أعلم.

وتفيد بعضُ المعلومات حصولَ شيءٍ من هذا القبيل لمكتبات ألمانيا بالذات، ومن أمثلة ذلك: ما ذكره الدكتور نصرت عبد الرحمن من كلية الآداب في الجامعة الأردنية بعمان في مقدمة تحقيقه لكتاب «نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب» لابن سعيد الأندلسي (٦١٠ ـ ٦٨٥هـ) من أنه بدأ تحقيق هذا الكتاب من صورة لنسخته موجودة بمكتبة الجامعة الأردنية، وقد صُوِّرت من أصلها الوحيد الموجود في مكتبة «توبنجن» بألمانيا، ولكنه وجد بعض الخرم في صفحات النسخة المصوَّرة، فرغب في الاطلاع على النسخة الأصلية أو صورة أخرى منها، فأرسلت مكتبة الجامعة (الأردنية) رسالتين إلى توبنجن: إحداهما إلى جامعتها، والأخرى إلى متحفها؛ تستفسرهما عن الكتاب المذكور، «فردت جامعة توبنجن أن المخطوط غير موجود لديها، ورد المتحف أنه غير موجود فيه ـ أيضًا ـ، وذكر أن مخطوطات توبنجن قد نُقلت أثناء الحرب إلى جهات متعدِّدة، ولا يعلم أين هو الآن»[3].

فهذه شهادة من أهلها، ومن الممكن جدًّا ـ بل من الغالب ـ أنَّ ما جرى لمكتبة توبنجن جرى لمكتبات أخرى، ومنها هذه المكتبة، والله أعلم. =

(١) سوف أتحدث عن هذا الموضوع ـ أيضًا ـ في تحقيق الفهرس المذكور ـ إن شاء الله ـ (منه).

(٢) وما حدث لآثار متاحف أفغانستان والعراق في الحرب الأخيرة قد تناقلته وسائل الإعلام. (منه).

(٣) «نشوة الطرب» (١/ ١٨). (منه).

= وهذه شهادة لاهتمام القوم بالثقافة والعلم وحماية مصادرهما من التلف والضياع حتى في أصعب الأحوال.

وقد حاول بعض العلماء البحث والتنقيب عن هذه المكتبة أو هذه المخطوطات في أي مكتبة أخرى نقلت إليها.

ومن بينهم أستاذنا علامة المغرب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ـ رحمه الله ـ؛ فقد قام برحلة إلى ألمانيا عام (١٣٩٠هـ)، وكان من أهم أغراض هذه الرحلة تحقيق هذا الموضوع، وقد أملى نتائج بحثه على كاتبه يوم الخميس ١٣ من جمادى الأولى سنة (١٣٩٠هـ) بمدينة فيَنَّا، وهي منشورة في مجلة «صوت الجامعة» السلفية في بنارس بالهند في عددها الصادر في شعبان (١٣٩٣هـ).

ومن بين العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع: شيخُنا وأستاذنا محدِّث المدينة المنورة العلامة حماد بن محمد الأنصاري ـ رحمه الله ـ، وقد كلَّف أحد تلامذته بطبع ما يتعلَّق من هذا الفهرس بمكتبة ألمانيا على الآلة الكاتبة، ثم طلب من بعض معارفه من طلبة العلم المقيمين في ألمانيا أو المسافرين إليها، البحث عن هذه الكتب، وتُوجدُ في نسخته من هذا الفهرس خلاصة ما توصَّل إليه بعد البحث والتحقيق، وهي نتائجُ تشجِّعُ على مواصلة البحث والتنقيب عنها[1].

وهذه القرائن تؤكدُ أن ما جاء في هذا الفهرس لم يكن اختلاقًا ولا كذبًا، وكما قال شيخنا العلامة الهلالي ـ رحمه الله ـ: «إن التفاصيل التي ذكرها (يعني: كاتب الفهرس) في صفة كل كتاب وتعيين موضعه في الخزانة يبعُدُ معها أن يكون خبرهُ مختلقًا، وأي فائدة له في اختلاق هذا الخبر؟! الأصل في مثل هذه الأخبار أن تكون صحيحة»[2].

وأيًّا ما كان الأمر، فإن مؤلِّفنا العلامة عبد الرحمن المباركفوري ـ رحمه الله ـ قد اعتمد في معلوماته على هذه القائمة، وهو صادق مُحقٌّ في ذلك، لا سيما وأن معظم الكتب =

(١) سأتحدث عن هذه النتائج بتفصيل في تحقيقي لهذا الفهرس ـ إن شاء الله تعالى ـ. (منه).

(٢) مجلة «صوت الجامعة» عدد شعبان ١٣٩٣هـ. (منه).

بذلك حسبما أخبره به سائح هندي، ولـمَّا سافرتُ من المدينة النبوية إلى فينا، كنتُ أملي على كاتبـي أخبار هذه الرحلة وما وقع لي فيها من الحوادث، وكان من أهم أغراضي فيها تحقيق هذا الخبر.

وها أنذا أنقل ما في الرحلة التي سميتها (من المدينة إلى فيَنَّا) بنصه:

يوم الخميس ١٣ من جمادى الأولى سنة ١٣٣٠هـ بمدينة فيَنَّا عاصمة النمسا:

عندنا في هذا اليوم موعد مـع الـدكتور أمـبروس مـدير قـسم البحـث في مخطوطات التفسير وعلم الحديث؛ لأسأله عن الكتب التي بلغ شيخنا أنها كانت في خزانة برلين، وذلك من الأغراض التي قصدتُ تحقيقها في هذا السفر، وكـان شيخنا عبد الرحمن المباركفوري ـ رحمه الله ـ نقل أسماءها وصفاتها عن سائح هنـدي؛ فَهِمَ منه أنه رآها بعينه في خزانة برلين منذ زمن طويل، وبحث كثـير مـن النـاس عن هذه الكتب في ألمانيا فلم يجدوا لها أثرًا، فاختلفوا في شأنها؛ فبعضهم شـك في صدق المخبر الأول.

ولكن التفاصيل التي ذكرها في صفة كل كتاب، وتعيين موضعه في الخزانة؛ يبعد معهـا أن يكون خبره مختلقًا! وأَيُّ فائدة له في اختلاق هذا الخبر والأصل في مثل هذه الأخبار أن تكون صحيحة؟!

= التي ذكرها المؤلِّف ـ رحمه الله ـ قد وجدت لها نسخٌ أخرى في مكتبات أخرى في العالم، وقد طُبع الكثير منها الآن، والحمد لله، كما بيَّنتُ في تعليقاتي على ذلك الفصل.

والقرائـن الواردة في آخر نسخـة الشيخ حمـاد الأنصـاري ـ رحمـه الله ـ إذا أضيفت إلى ما سبق ذكره عن مخطوطات مكتبة توبنجن؛ تعطينا بعض الأمل في أنه يمكـن الوصـول إلى هذه الكتب أو بعضها في يوم من الأيام ـ بإذن الله ـ ونسأل الله أن يكون ذلك قريبًـا، وما ذلك على الله بعزيز.

وقد تذرَّع بعض الدجاجلة من المعاصرين بذلك إلى الطعن في شيخنا المذكور؛ لوقاحته وبغضه لأهل الحديث المعادين للشرك والخرافات والبدع؛ فأراد أن يشفي غيظه بهذه التهمة الوضيعة التي تجلب له الصغار والاحتقار، وشيخنا بريء من عهدة هـذا الخبر؛ لأنه لم يَدَّعِ مشاهدة الكتب، إنما نقل الخبر عن رجل، فَهِم عن كلامه أنه شاهدها.

وقد أبى الله إلا أن يفضح ذلك الدجال؛ فها نحن اليوم بدأنا نسير في طريق معرفة أصل هذا الخبر؛ فقد طالعنا اليوم بمساعدة الدكتور أمبروس كتاب الـدكتور فؤاد سسكن الذي أعاد تأليف «تاريخ الأدب العربي» لـبركلمان، وأضـاف إليـه عشرين في المئة من مخطوطات الخزانة التركية؛ فوجدنا أكثرها مذكورًا فيه، ونرجـو أن نجد سائرها في فهارس أخرى.

وظهر لي أن المخبر الأول الهندي لم يكن كاذبًا، ولم يـشاهد تلـك الكتـب؛ وإنما نقل أسماءها وصفاتها من الفهارس التي رآها في البلاد الجرمانية، ولم أطلـع على فهرسته الأصلي المفصل؛ فإِنْ ثبت فيه أنه ادعى رؤيتهـا فهـو كـاذب؛ لأنهـا ليست في خزانة واحدة؛ بل هـي في خزانة متفرقـة في الدنيا، بل بعضها في ألمانيا، وبعضها في مواضع متفرقة في بلاد الأتراك، وبعضها في المدينة النبوية، وبعـضها في حلب، وبعضها في القاهرة.

أما إذا لم يدَّعِ أنه رآها بعينه؛ فهو صادق[1].

---

(١) وشهادة الهلالي هذه مُهِمَّة من وجوه:

الأول: أنـه خبـير بألمانيـا، ونال الدكتـوراه منهـا سـنة ١٩٣٩م، إبَّان الحـرب العالميـة الثانية.

الثاني: له اهتمام كبير وخطير في التراث، وهذا أمر يحتاج إلى تتبُّع وبَسط، ولعلَّ الله ﷻ =

وبهذا تعلم - يقينًا - بطلان ما نسبه ذلك الدجال إلى شيخنا - حاشاه من ذلك -؛ وإنما أراد ذلك المفتري أن يُنفِّس عما في قلبه من الحسد؛ لما رأى لشيخنا من الفضل، ولسان الصدق، والمنزلة العالية، والصيت الطائر عند الموافقين والمخالفين؛ ففضح نفسه، وكان في ذلك كما قال الشاعر:

كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَهَا ... فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الوَعِلُ[1]

وقال آخر:

يا ناطح الجبل الراسي ليوهنه ... أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل[2]

وقلت أنا من قصيدة سميتها (السهام الصائبة)[3]:

فَيَا نَاطِحَ الطَّوْدِ المَتِينِ بِهَامَةٍ ... مُدَوَّرَةٍ جَوفَى حَذَارِ مِنَ الكَسْرِ

وأنا أشهد بالله أن شيخنا عبد الرحمن بن عبد الرحيم المبارك فوري - رحمة الله عليه - لو كان في القرن الثالث الهجري لكان حديثه الذي يرويه عن النبي ﷺ أو عن أصحابه من أصح الحديث، ولكان حجة في كل ما يرويه؛ لا يختلف فيه اثنان، ولم يتجرأ أحد من أعدائه حتى في هذا الزمان أن يطعن في صدقه وأمانته وأخلاقه، ولكن لا يسلم أحد من ألسنة المجرمين.

= يبارك لي فأخصُّه بالبحث، وأكشف عن وجوه مشاركته في التحقيق لاحقًا.

الثالث: دِقَّة الهلالي المعهودة، وحرصه على تَوخِّي الحق والصواب، فمَن يعرف ذلك منه؛ يعلم أنه لا يجازف بالقول، ولا يلقي الكلام على عواهنه.

(١) سبق توثيقه.

(٢) سبق توثيقه.

(٣) انظرها في: «ديوانه» (ص٣٨٤ - بتحقيقي).

وما أحدٌ من ألسن الناس سالمًا ولو أنه كان الرسول المعظَّما[1]

*** تلامذته:**

قد ظهر مما أسلفنا أن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان متصدرًا للتدريس، قضى في التعليم والتدريس والإفادة ثلث عمره؛ فُجِّرَتْ من قلبه وفمه ينابيع العلم والحكمة والمعرفة، واستفاد منه، وتمتع بعلومه مَن لا يحصى عددًا، وتخرج عليه في تلك المدة ممن قرأ عليه كتب الحديث وغيره، من التفسير والفقه والمنطق والفلسفة عدد كبير؛ فقد كان يَرِدُ عليه الطلبة من جميع الجهات الدانية والنائية، والبلاد القريبة والقاصية، وهو يفيدهم ويسعفهم بمأمولهم، وينور قلوبهم بأنوار معارفه؛ فإحصاؤهم عسير جدًّا.

وها نحن نذكر أسماء بعضهم؛ فمن أرشد تلامذته، وأقربهم منزلة عنده، وأقدمهم وأحبهم إليه: العلامة الشيخ أبو الهدى عبد السلام المباركفوري صاحب «سيرة البخاري»، ونجله الشيخ عبدالله الرحماني أستاذ الحديث بالمدرسة الرحمانية بدهلي، ومنهم: العلامة الأستاذ محمد بن عبد القادر الهلالي المراكشي أستاذ العربية بجامعة بُن (ألمانيا)، والعلامة الحافظ الشيخ عبدالله النجدي القويصي ثم المصري، والفاضلة رقية بنت العلامة الأستاذ خليل بن محمد بن حسين بن محسن الأنصاري، والشيخ عبد الجبار الكهنديلوي الجيفوري، والشيخ محمد إسحاق الآروي صدر المدرسين بالمدرسة الأحمدية السلفية بدربهنكه، والفاضل الأديب الشيخ عبد الرحمن النكرنهوي أستاذ العربية بالمدرسة الرحمانية، والفاضل الطَّبيب محمد بشير

---

(١) البيت لابن دريد في: «ديوانه» (٢٣)، وعجزه:

ولو أنه ذاك النبي المطهَّر

المباركفوري المدرس بالمدرسة الرحمانية، والفاضل الأديب أبو النعمان عبد الرحمن المئوي، والطبيب الحاذق المولوي عبد الرزاق الصادقفوري، والتقي الزاهد الشيخ نعمت الله البردواني، والمولوي محمد إسماعيل المباركفوري، والمولوي عبد الحكيم الفتحفوري، والشيخ محمد جعفر التونكي ثم البستوي، وابن أخي شيخنا المولوي محمد أصغر المدرس سابقًا بمدرسة دار التعليم، والعلامة الشيخ عبد الصمد المباركفوري، والشيخ نذير أحمد الأملوي المدرس بالمدرسة الرحمانية، وغيرهم ممن يتعسر عد أسماءهم.

*** ذكر بعض تآليفه:**

لقد وفَّق الله شيخنا ـ رحمه الله ـ إلى تأليف كتب مُهذَّبة، مفيدة، شافية، كافية، جميلة العبارة، غزيرة العلم، أذكر منها هنا أهم ما ألَّفه بالعربية:

فأولها: كتاب «تحفة الأحوذي في شرح جامع الترمذي» في أربعة من المجلدات، طبع إلى حد الآن ثلاث طبعات، وتلقاه العلماء بما يستحقه من التبجيل والاغتباط، والعكوف على درسه، والاغتراف من بحر علمه، وشاهدُه قراءَتُه.

الثاني: «مقدمة» واسعة لهذا الكتاب، جمعت من فوائد علوم الحديث كل نفيس في القديم والحديث، ولا سيما ما يختص بدرر هذا الكتاب وجواهره، لا يشبع قارؤها من قراءتها.

الثالث: «أبكار المنن»؛ ردَّ به على النيموي الهندي ما حشا به كتاب المسمى بـ «آثار السنن من الأباطيل الناشئة عن مرض التقليد والتعصب الجاهلي للمذهب»، وهذا شأن غلاة المبتدعين المتمذهبين، لا يقرؤون القرآن لوجه الله، ولا يُدرِّسون الحديث طلبًا لاتباع الرسول ﷺ، وإنما يتعلمون القرآن والحديث لغرض خبيث، وهو تحريف دين الله تحريفًا يستحيي منه اليهود والنصارى.

والعجب منهم! كيف يتجرؤون على تأليف الكتب في علم الحديث، وهم أسارى تقليد الرأي، وقد ضرب بينهم وبين علوم الكتاب والسنة بسور؛ باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب؟

وقد أجمع العلماء - من المتقدمين والمتأخرين - على أن المقلد ليس من أهل العلم، وقالوا: لا فرق بين بهيمة تُقاد وإنسان يقلد.

وقال أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري - رحمه الله - في ذلك شعرًا، أنشده في كتابه «جامع بيان العلم وفضله»[1]، أقتبس هنا بعضه:

يَا سَائِلِي عَنْ مَنْهَجِ[2] التَّقْلِيدِ خُذْ ... مِنِّي[3] الجَوَابَ بِفَهْمِ لُبٍّ حَاضِرِ

وَاصْغِ إِلَى قَوْلِي وَدِنْ بِنَصِيحَتِي ... وَاحْفَظْ عَلَيَّ بَوَادِرِي وَنَوَادِرِي

لَا فَرْقَ بَيْنَ مُقَلِّدٍ وَبَهِيمَةٍ ... تَنْقَادُ بَيْنَ جَنَادِلَ وَدَعَاثِرِ

تَبًّا لِقَاضٍ أَوْ لِمُفْتٍ لَا يَرَى ... عِلَلًا وَمَعْنًى لِلْمَقَالِ السَّائِرِ

فَإِذَا اقْتَدَيْتَ فَبِالْكِتَابِ وَسُنَّةِ الـ ... ـمَبْعُوثِ بِالدِّينِ الحَنِيفِ الطَّاهِرِ

وَإِذَا الخِلَافُ أَتَى فَدُونَكَ فَاجْتَهِدْ ... وَمَعَ الدَّلِيلِ فَمِلْ بِهَمٍّ حَاضِرِ[4]

هذا ما أردت إنشاده من ذلك الشعر.

وماذا يصنع المقلد بعلم الحديث وقد أعمى الله بصيرته؛ فأغمض[5] بصره،

---

(١) (٢/ ٩٨٨).

(٢) في «الجامع»: «موضع».

(٣) في «الجامع»: «عني».

(٤) في «الجامع»: «وافر».

(٥) في الأصل: «فأغمظ»!

ومد يده لشخص يقوده، ولا يدري أين يذهب به؟! وما أحسن قول المتنبي[1]:

فقر الجهول بلا عقل[2] إلى أدب ... فقر الحمار بلا رأس إلى رسن

فالحمار الذي لا رأس له لا يحتاج إلى رسن.

وقد انتسب بعض العلماء إلى المذاهب باعتبار أنهم درسوها في أول شأنهم؛ فلما وصلوا إلى علم اليقين استقلوا، واتبعوا الحق ونصروه، مع مَن كان، وحيث كان، ومنهم الإمام الزيلعي، والإمام علاء الدين مغلطاي؛ فأمثال هذين الإمامين لا يعابون بالانتساب إلى المذهب الحنفي؛ لأنهم سلكوا سبيل العلم الذي سلكه أبو حنيفة وأصحابه الأولون.

أما هؤلاء الضفادع المتأخرون من أهل هذا الزمان؛ فإنهم لا في العير ولا في النفير؛ فللَّه در شيخنا عبد الرحمن إذْ أَلْقَمَ ذلك الغمر أحجارًا، ونقض تُرَّهاته، وانتصر عليه انتصارًا.

ولو لم يكن لشيخنا إلا هذا الكتاب؛ لكان كافيًا في الدلالة على غزارة علمه، وسعة اطلاعه، وإنصافه لخصومه، وصدور لهجته، وحماسته وغيرته؛ فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء.

وألَّف شيخنا ـ رحمه الله ـ باللغة الأُردية كُتبًا ورسائل أخرى، لا مجال لذكرها هنا.

وقد كانت حياته كلها نفع وخير وبر بالتأليف، والتعلُّم، والوعظ، والحديث، لا يمل جليسُه حديثَه؛ فرحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) في «ديوانه» (١٥٥).

(٢) في «الديوان» «قلب».

ومن الكرامات التي أكرمه الله بها: أنه لـمَّا فقد بصره في السنتين الآخرتين قبـل سَنَة وفاته، أشار عليه الـمُحبون له ـ وهم كثير ـ أن يعرض نفسه على أطباء العيون؛ فلم يفعل بل فضَّل أن يصبر على العمى لينال الأجر الوارد فيمن ذهبت حبيبتـاه وصبر، لكن الله أراد أن لا يخرجـه من الدنيـا إلا بعد أن يرد عليه بصره، ويتمتع؛ فتوجه إلى دهلي لعلاج مرض القلب؛ فعاد إخوانه وأصدقاؤه إلى حثِّه على علاج البصر، وسهل عليه إجابتهم: أن مدينة دهلي ـ لا دلهي كما يخطئ فيه الإنكليز، ويتبعهم الجهال ـ كانت حافلة بأطباء العيون؛ فعرض نفسه على طبيب، فقدح عينيه؛ فرجع بصره كما كان.

إلا أن مرض القلب استمر معه حتى وافاه الأجل المحتوم في الثلث الأخير من ليلة السادس عشر من شوال ١٣٥٣ من الهجرة رحمه الله رحمة واسعة، ونفعنا بعلومه آمين.

* * *

* عبدالله النعمة البكري الصِّديقي الموصلي[١]

بقلم محمد تقي الدين الهلالي

عرفت الأستاذ السلفي الشيخ المحقق الشيخ عبدالله النعمة البكري الموصلي سنة خمس وخمسين وثلاث مائة وألف في الموصل الحدباء؛ فوجدته آيه من آيات الله في الأخلاق وعلمًا من أعلام السنة.

أخـذ العلم عن العالم الجليل الشيخ المحقق محمد الرضواني، وعن العلامة

---

(١) مقدِّمة «ديوان خطب الشيخ عبدالله النعمة» (ص٢٤ ـ ٢٧)، قدَّم له ونشره تلميذه محمد محمود الصوَّاف.

السلفي أول داعٍ إلى التمسك بالكتاب والسنة في الأزمنة الأخيرة في الموصل الشيخ سليمان الجليلي ـ رحمة الله عليهم جميعًا ـ، وقضى عمره كله ـ رحمه الله ـ في الدعوة إلى الله على طريقة السلف الصالح، لا يتقيد بمذهب ولا ينتسب إلى طريقة، وعلى يده انتشرت العقيدة السلفية في الموصل، وكان ـ رحمه الله ـ مهيبًا محبوبًا معظمًا عند جميع أهل الموصل، الموافقين منهم والمخالفين.

حضرت دروسه في تفسير الكتاب العزيز في بيته، وكان يحضر هذا الدرس الأسبوعي خلق كثير من طلبة العلم وأعيان مدينة الموصل بغاية الشوق والتلهف، وكانوا يودون أن يكون هذا الدرس يوميًّا؛ لما يجدونه فيه من كنوز العلم والمعرفة بأسلوب مشوِّق لا يمل سامعه.

وفي زمان هذا العالم السلفي الجليل كان التقليد سائدًا والبدع منتشرةً، فكانت دروسه ومواعظه في بيته وفي جامع الأغوات ـ وهو من أكبر جوامع الموصل ـ وخطبه الجمعية في جامع الباشا في قلب مدينة الموصل، كانت تلك الدروس والمواعظ والخطب أنوارًا ساطعة تبدد ظلام الجهل والتقليد والبدعة، وكان طلبة العلم يغترفون من بحر علمه الذي ليس له ساحل.

وكان لهذا الكوكب الساطع في ذلك الزمان أخوان نظيران له في العراق: أحدهما في بغداد، وهو العالم النابغة ـ الذي نفع الله بعلمه وتأليفه ـ الشيخ محمود شكري الآلوسي، والثاني في البصرة وهو العالم المحقق الأستاذ الشيخ محمد بن أمين الشنقيطي، فهؤلاء الرجال الثلاثة في شمال العراق ووسطه وجنوبه كانوا فرسان رهان في بث العلم الصحيح المأخوذ من كتاب الله وسنة رسوله نفع الله بهم أهل العراق، فجاهدوا في سبيل الله وصبروا على ما أوذوا ونصرهم الله على أعدائهم، ولولاهم لعم الظلام ربوع العراق.

ومن مناقب الشيخ عبدالله النعمة ـ رحمه الله ـ أنه أول من نشر كتب الإصلاح في الموصل؛ ككتب شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية وتلميذه الإمام الحافظ شمس الدين ابن القيم وكتب الإمام المصلح محمد بن عبد الوهاب، وقد جرت عليه محنة بسبب ذلك؛ لأن المنتسبين إلى العلم في الموصل كانوا كالعامة متأثرين بدعاية الخلافة العثمانية[1]، ومن المعلوم أن دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب أقضَّت مضاجع العثمانيين، فإنها لما ظهرت وتأسست بسببها دولة عربية تسير على منهاج الكتاب والسنة؛ خاف آل عثمان أن يعظم شأنها فترجع الخلافة للعرب، فوقع ما وقع من العدوان على آل سعود وآل عبد الوهاب مما لا يناسب ذكره في هذا المقام، وبذلت الدولة العثمانية أموالًا كثيرة ووهبت مناصب عالية لأدعياء العلم الذين يعبدون المال والجاه، وأغرتهم بالطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورميه بالكفر والبدعة، فكان الناس لذلك في جميع البلدان

---

(١) أود أن أقول: مع تقديري وشكري لكلمة أخي العلامة الكبير الدكتور محمد تقي الدين الهلالي القيمة النفيسة ـ جزاه الله كل خير ـ؛ فإنني أحب أن أعلق عليها من ناحية الخلافة العثمانية، وإنني أقرر بأن الخلافة أخطأت كل الخطأ في مقاومتها وحربها لدعوة الإمام المجدد المجاهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله وأسكنه الجنة ـ، تلك الدعوة الخيرة النيرة التي جددت الإسلام وأزالت عنه غشاوة البدع والضلالات، وهذا لا يمنعني من القول كذلك: إن الخلافة العثمانية حافظت على الإسلام، وحملت لواءه أكثر من خمس مائة عام بصدق وأمانة، وطرقت أبواب أوروبا بفتوحاتها المظفرة، ولم يدخل علينا الشر ولم يدب فينا الضعف والتمزق والتشتت إلا يوم تآمرت دول الكفر كلها على الخلافة الإسلامية حتى قضت عليها، ثم بدأت تمزق فينا وتلعب بمقدراتنا ومصالحنا حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه من الحالة التي لا نحسد عليها، والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (الصواف).

الخاضعة للدولة العثمانيـة ينفرون من كتب الإصلاح والتوحيد التي ألَّفها الأئمة المتقدم ذكرهم، ومن وجدت عنده أو عُلِمَ أنـه يرتضيها ويستحسنها يتألب عليه الخاصة والعامة ويؤذونه أشد الأذى، ولم يتجرأ أحد من أهل الموصل قبل الشيخ عبدالله النعمة على جلب هذه الكتب إلى الموصل والانتصار لها ودفع الشبهات عنها، وخصـوصًا «كتاب التوحيـد» للشـيخ محمد بن عبد الوهاب، فإن الشيخ عبدالله النعمة لما جلبـه من حلب إلى الموصل وسمع بـه الفقهاء المتعصبون؛ شنعوا عليه وكفَّروه وحرَّضوا عليه العامة وأرادوا أن يستتيبوه من هذا الضلال بزعمهم، وقالوا له: لا بد أن تعلن في خطبة الجمعة براءتك من هذا الكتاب ومؤلفه. فلما صعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وألقى خطبة طويلة في تحقيق توحيد الله ـ تعالى ـ واتباع سنة رسولـه الكريم، وأقام البرهان على أن «كتاب التوحيد» هذا كله حق، وليس فيه شيء يخالف ما كان عليه السلف الصالح، وتحداهم أن يجدوا فيه شيئًا يخالف الكتاب والسنة، وقد اجتمع في مسجده ذلك اليوم خلق كثير من الخاصة والعامة من أهل الموصل وكانوا يظنون أن سيتنصل ويتبرأ من «كتاب التوحيد» ومؤلفه، فلما سمعوا ذلك البيان وسطع لهم نور البرهان؛ أذعنوا إلى الحق.

وقد بلغنا أن أحد أهل الموصل من الغلاة في عداوة التوحيد أخذ خنجرًا معه ليطعن به الأستاذ النعمة، فلما سمع ذلك البيان؛ تبدلت شبهاته واستنار قلبه، فتقدم إلى الشيخ وأخرج الخنجر وقبَّل يده وقال له: أيها الشيخ! هذا الخنجر جئت لأقتلك بـه، ولما سمعت بيانك؛ شرح صـدري الله للحق، وأزال كـل ما كـان عندي من شبهات. ودعا له بالخير والتوفيق.

وكان ـ رحمه الله ـ جبلًا راسخًا في الشجاعة والحلم والدفع بالتي هي أحسن، وكان يقهر بذلك أعداءه، ولو تعرض أحد غيره لمثل ما أُوذي به؛ لم يستطع أن يصبر

على بعضـه ولم يخرج ظافرًا من تلك المعركة، أما الشيخ عبدالله النعمـة فإنه خرج من تلك المعارك كلها ظافرًا منصورًا، كانت العاقبة له فذهب أعداؤه؛ مات بعضهم وبعضهم هجره الناس ونبذوه.

فعـاش ـ رحمه الله ـ مجاهدًا صـابرًا داعيًا إلى الله ـ تعالى ـ، ومـات بعد عمر طويل مليءٍ بالأعمال الصالحة والعلوم النافعة ليلة الخميس الرابع من ذي القعدة سنة تسعٍ وستين وثلاث مائة بعد الألف هجرية عن عمر يناهز الثمانين عامًا[1].

ـ ديوان الخطب:

ومن مناقب هذا الشيخ التي لا تعد ولا تحصى أنه أنشأ أسـلوبًا جديـدًا في خطب الجمعة، فقد كان الخطباء قبله وفي زمانه يخطبون مـن الـدواوين، فتكـون خطبهم خالية من التأثير على المستمعين كأنها رقيـة منوِّمـة، أمـا الـشيخ عبـدالله النعمة فإنه كان ينشئ خطبه فتجيء حافلة بحل المشاكل وتنوير القلـوب، ويجـد فيها كل سامع ما يحتاج إليه، فكان الناس ينتفعون بها ويتشوقون لها، وكان أثرها فيهم بليغًا، ولذلك كان مسجده يغصُّ بالمصلين، حتى أن من لم يبكِّر لا يجد فيـه مكانًا.

وقد جمع خطب الجمعة هذه التي كـان يلقيهـا في مـسجد الباشـا المـذكور بخط يده فبلغت أكثر من مئة وثمانين خطبة، وقد وفق الله تلميذه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمود الصواف ـ وهو من الذين انتفعوا بعلمه واقتبسوا مـن أنـوار معرفته ـ إلى طبع هذه الخطب، فكأنه بعث وأخرج إلى الوجود دعوة هذا الرجل المصلح بعدما كادت تضيع في زوايا النسيان وطال عهد الناس بها.

---

(١) ولد سنة ١٢٩٠هـ.

وأملنـا أن ينفع الله ـ سبحانه وتعالى ـ الناس بهذه الخطب كما نفع بها حين ألقيت أو أكثر من ذلك، وكأن فضيلة الأستاذ الصواف بهذا العمل المبرور بعـث لنا الأستاذ المرشد الشيخ عبدالله النعمة ورده إلى الحياة، فجزاه الله أحسن الجزاء، ووفقه لأمثالها، ونفعنا وجميع المسلمين بهذا الكنز الثمين، ونسأل الله أن يهدي بها من شاء من الكافرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

*** لمحة من ترجمة الأستاذ أبي السمح إمام الحرم المكي**[1]

هـو العلامـة المحدث الفقيه الأصولي المفسر الأديب الناظم الناثر البليغ، عبد الظاهـر أبو السمح بن محمد، المصري أصلًا، المكي دارًا وسكنى، إمام الحرم وخطيبـه، ومن كبار المدرسين فيـه، كان هـذا الأستاذ من أول من تعرفت به من إخواننـا السلفيين في مصر، حين قدمتها سنة ١٣٤١هـ، وصحبته مدة، وهو ممن أفادتني صحبتهم زيادة تمسك ورسوخ في السلفية، وله مزايا قلما توجد في غيره؛ منهـا: الصلابة في الدين، وبذل الجهد كله في الدعوة إلى الله، والحلم والصبر على الأذى في الله، والسخاء وحسن معاشرة الإخوان، وكان أستاذًا وطالبًا في دار الدعوة والإرشاد التي أسسها السيد الإمام رشيد رضا ـ رحمه الله ـ بمساعدة خديو مصر السابق عباس حلمي، فلما جاءت الحرب العالمية الأولى وتغيرت أحوال هذا الملك، ضعف أمر تلك المدرسة، ولكن بعدما تخرج فيها جماعة من العلماء؛ صاحب الترجمة من أجلِّهم، وكان يلقي فيها دروسًا في الخط والتجويد وغيرهما، وله في هاذين الفنين

---

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء السادس، محرم ١٣٦٥هـ ـ دجمبر ١٩٤٦م، (ص١٥ ـ ١٩).

اليد الطولى، فإذا قرأ القرآن قرأه بأنغام أبي موسى الأشعري، بل بأنغام داودية تكاد الطير تحنُّ إلى سماعه، وتقع أمامه، وله خط كأنه عقود الجمان في نحور الحور الحسان، بهي الطلعة، مليح[1] الشكل، ظريف العبارة، لا يمل مجلسه، لين الجانب، خاشع لله، رقيق القلب، كان يدعو إلى الله برمل الإسكندرية، وأصابه أذى كثير بسبب ذلك؛ فصبر صبر الجبال، ومن جملة ذلك: أن جماعة من الزعانف المتعاطين للعدالة والإمامة وغيرها من وظائف الدين المتآكلين بدينهم غاظتهم دعوته وقبول الناس لها وانتشار السلفية الحنيفية بسبب ذلك، فكادوا له مكايد؛ منها: أنهم دعوه للمناظرة في أحد مساجد الرمل، وأوعزوا إلى بعض الأوباش أن يضربه عندما يشيرون إليه، فضربه في أثناء المناظرة، وخاف أولئك الزعانف عاقبة الأمر؛ فكتبوا عريضة إلى حاكم الإسكندرية ـ ويسمى هناك: المحافظ ـ، وزعموا فيها أن الأستاذ يهين الدين، وينكر كرامات الأولياء، وينقص النبي ﷺ، إلى غير ذلك من المفتريات المألوفة عند أعداء التوحيد والسنة في كل زمان ومكان، فلما وصلت المحافظ راج عليه مكرهم، فأمر بإغلاق المسجد الذي الأستاذ كان يصلي فيه ويعظ مع إخوانه السلفيين، فكتب إلي وأنا بالإسكندرية يدعوني إلى النيابة عنه فيه؛ فبادرت للمسير إلى هناك، وفتحت المسجد، وبقيت نائبًا عنه مدة ثلاثة أشهر، فلم ينفذ المحافظ ما أراد من إغلاق المسجد حين رأى أن الأستاذ قد انقطع عن عمله فيه، واكتفى في عقابه بذلك، غير أن جماعة الزعانف لم يرضوا بذلك، وشرِقوا ببقاء المسجد عامرًا، وورمت أنوفهم؛ فأعادوا الكرة وكتبوا هذه المرة عريضة إلى المرحوم الملك فؤاد، وأخبروه بالقضية على الوجه الباطل، وقالوا له: إن المحافظ حين تحقق صدق دعوانا أمر بإغلاق مسجد الشيخ أبي السمح، فبعث إلى رجل مغربي يحمل جوازًا أجنبيًّا، فعمر المسجد

---

(١) في الأصل: «ملح».

بدله، واستمر الفساد ـ يريدون: اتباع سنة الرسول مع توحيد الله ـ، ونحن نسترحم من جلالتكم استئصال شأفة هـذه الدعوة الوهابية، فإنا نخاف إن استمرت أن تسيل الدماء بيننا ...إلخ ما قالوا، فرد الملك فؤاد ـ رحمه الله ـ العريضة إلى محافظ الإسكندرية، فدعاهـم وقال لهم: أنتم كتبتم هذه؟ فقالوا: نعم. فناولهم صحيفة أخرى وقال: وقعوا هنا بأنكم أنتم وقعتم على هذه العريضة. ففعلوا، فانهال عليهم توبيخًا وزجرًا، وهددهم بأن كـل فتنـة تقع من هـذا القبيل فهم المسؤلون عنها، فانكشفت الغمة، وانفرجت الأزمة.

وكان الأستاذ لا يحضر معنا إلا صلاة الجمعة متخفيًا، فأخذ يحضر علانية، فلما رأيت ذلك استأذنته في الانصراف لإكمال رحلتي في مصر؛ فانصرفت متوجهًا إلى الصعيد.

ولما دخلت جيوش جلالة الملك المصلح العظيم عبد العزيز آل سعود بلاد الحجاز؛ ثارت معركة صحفية في صحف مصر بين أنصار جلالة الملك السعودي وخصومه، فانتدب الأستاذ الكاتب العبقري أبو السمح للدفاع عن جلالة الملك السـعودي، وأبلى في تلك المعركة بلاء حسنًا، ودافع عن عقيـدة أهل نجد، وأقام البراهـين على فساد حجج الطاعنين فيهم، فلما تم الأمر لجلالة الملك عبد العزيز بقي منصب الإمامة والخطابة في الحرم المكي الشريف شاغرًا، فاشرأبت إليه الأعناق، فنظر جلالـة الملك عبد العزيز بنظره الصـائب، وفكره الثاقب، فلم ير أحدًا أولى بهذا المنصب الشريف من صاحب الترجمة، فقلده إياه، فأعطى جلالته القوس باريها (فلم تك تصلح إلا له)، وقد قام بهذا المنصب منذ نيف وعشرين سنة خير قيام.

ولهذا الأستاذ نظم بديع ونثر بليغ، فلعله متحف مجلتنا ببعضه.

وصفة هذا الأستاذ الخَلْقية ـ بالفتح ـ أبيضُ مشرب بحمرة، وسيم المحيا،

مربوع القامة، جهوري الصوت، يخطب في المسجد الحرام فيسمع صوته العالي عشرات الألوف، وصل إلى آذان من في البيوت المجاورة للحرم، وهو جريء في الخطابة، بليغ مفوه، لا يتلعثم، ولا يأخذ صحيفة في يده، بل يخطب ارتجالًا، وفيه دعابة في مجالسه الخاصة، حسن الجد، حسن الهزل، يتحرى الصدق فيهما، قد عاجله الشيب وهو في شبابه، فهو أبيض الشعر، وقد يخضبه اتباعًا للسنة، واقتداء بالصحابة، وأظنه الآن في العقد السادس من عمره، بارك الله في حياته، وأدام توفيقه للصالحات.

* * *

* مصاب أليم بوفاة أخ كريم[1]

الشيخ إسماعيل بن محمد الصيفي من بلدة الريرمون، بجوار ملوي، من مديرية أسيوط في صعيد مصر، أخ كريم وصديق حميم، متمسك بالدين القويم على نهج السلف، هو زعيم جماعة السلفيين من أهل الريرمون، وناصر سنة النبي ﷺ منذ نيف وثلاثين سنة، بعث إلي رجلين وأنا بمدينة ملوي عازم على السفر إلى أسيوط: أحدهما أخونا الفاضل الشيخ عبد العليم الريرموني، والثاني نسيت اسمه، فقالا لي: إن إخوانك السلفيين من أهل الريرمون يدعونك لتشريف بلادهم، وليروك ويسمعوا حديثك، وقد قالوا لنا: إن وجدتموه قد سافر إلى أسيوط؛ فالحقوا به ولا ترجعوا إلا وهو معكم. فذهبت إلى الريرمون وأقمت بها ثلاثة أشهر، أكثرها في بيت ضيافة الشيخ إسماعيل الصيفي، وكنت أولًا ألقي بها دروس الدعوة والإرشاد؛ فهدى الله بدعوتي أهل هذا البلد كلهم إلى اتباع الرسول ﷺ وترك

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الثامن والتاسع، ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٦٦هـ - فبراير ومارس ١٩٤٧م، (ص٨٥ - ٨٧).

البدع، وقبل ذلك كان الشيخ إسماعيل وإخوانه لا يزيدون على مئة، وكانت العداوة مستحكمة بينهم، فانقلبت مودة وألفة، وأخذت ألقي الدروس بالجامع الأعظم، وهذه قصة طويلة طريفة اختصرتها هنا، ولعلي أوردها بطولها - إن شاء الله - فيما يأتي من الأجزاء[1].

وكان ذلك سنة ١٣٤١هـ، ثم سافرت من هناك إلى الحج، وبعد أداء الفريضة سافرت إلى الهند، ثم منها إلى العراق وأقمت فيها، ولما كانت سنة ١٣٤٥هـ توجهت إلى الحج للمرة الثانية؛ فمررت بمصر، وزرت الإخوان بالريرمون، فوجدتهم متمسكين بدينهم كما تركتهم بل أشد، ولم تنقطع المكاتبة بيني وبين الشيخ إسماعيل الصيفي - رحمه الله - طوال تلك المدة؛ وهي سبعة وعشرون عامًا، إلا في السنوات الثلاث الأولى من سني الحرب، وفي الجواب الأخير الذي جاءني وجدت فاتحته: (من أحمد بن إسماعيل بن محمد)، فتعجبت! ولكني ما كدت أتم قراءة الجواب حتى علمت أن الشيخ إسماعيل انتقل إلى دار الكرامة، وأن الكاتب إلي هو شبله النجيب الكريم، وأكثر هذا الولد النجيب من قول الحسن والبر والترحيب والتشوق إلى زيارتهم، وأنه سيقوم بما كان يقوم به والده من الإكرام، فكان سروري بنجابة هذا الولد يكاد يساوي أسفي وحزني على والده.

بأبه اقتدى عدي في الكرم ... ومن يشابه أباه[2] فما ظلم[3]

فرحم الله الشيخ إسماعيل الصيفي، وبارك لنا في نجله النجيب الشيخ أحمد

---

(١) ذكرها في كتابه «الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة» (ص١٢٠ - بتحقيقي) تحت (مناظرة).

(٢) في الأصل: «أبه».

(٣) البيت في: «الفرق بين الضاد والظاء» (١٦) و«خلاصة الأثر» (٢/ ١٣٦) و«همع الهوامع» (١/ ١٣٩) و«السحر الحلال» (٩٨).

ابن إسماعيل الصيفي، وجعله خير خلف لخير سلف، وهدانا صراطه المستقيم.

رئيس التحرير

❊ ❊ ❊

❊ محمد بن عبد الكريم الريفي وشكيب أرسلان[1]

كتب السيد رشيد رضا إلى الأمير شكيب أرسلان في ٤ ربيع الثاني ١٣٥٤هـ يقول له:

«كنت أود أن يكون لي وقت واسع أُطيل الكتابة إليك به، ولكن علي شغل لـ«المنار» و«التفسير» في هذا المساء والليل، ولكني أخبرك بأنه نشر في مجلة «الضياء» العربية التي تصدر في الهند حديث عن لجنة المناظرات في مدرسة دار العلوم في لكنو، أو مناظرة في أعظم رجل في العالم الإسلامي الآن، فذكر بعضهم: مصطفى كمال، وقال آخرون أنه خرج من الإسلام، وذكروا بعض رجال الهند وبطل الريف ورشيد رضا، وكان أكثر الأصوات للأمير شكيب أرسلان».

وعلق السيد شكيب أرسلان على هذا الخبر في كتابه «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» (ص٧٩٣ ـ ٧٩٦) قائلًا: كانت مجلة «الضياء» الهندية التي

---

(١) نشرها شكيب أرسلان في كتاب «السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة» (ص٧٩٣-٧٩٦/ الهامش)، وقال: «ملخصًا عن مجلة «الضياء» الهندية»، ولم ترسل إليَّ من الهند من ضمن المقالات؛ إذ ما تحته ليس بمقال، وإنما هو خبر مَجْمَعٍ انعقد للمذاكرة في أيِّ الرجال في الإسلام يستحق أن يوصف بأنه أعظم رجل في العالم الإسلامي اليوم؟ فحضر هذا الاجتماع عدد من كبار الأدباء والخطباء، ومنهم صاحبنا الهلالي؛ فذكر الريفي والأمير شكيب.

تصدرها ندوة العلماء في (لكنوه) بالهند بإشراف علامة الهند الكبير: مولانا السيد سليمان الندوي قد نشرت خبر مجمع انعقد للمذاكرة في: أي الرجال في الإسلام يستحق أن يوصف بأنه أعظم رجل في العالم الإسلامي اليوم؟ فحضر هذا الاجتماع عدد من كبار الأدباء والخطباء؛ مثل: السادة لطيف الدين وعبد الكافي وعبد اللطيف ومحمود خير الدين الدمشقي صاحب جريدة «وفاء العرب» **ومحمد الهلالي** ومسعود الندوي وأبي الحسن علي الحسني[1] الندوي وغيرهم، فخطب كل واحد منهم بما يؤيد رأيه فيمن هو اليوم الأرجح ميزانًا بين رجال الإسلام، فأناس رجحوا على الجميع الغازي مصطفى كمال، مع ذكرهم بين الذين يستحقون الذكر: رضا شاه البهلوي والإمام أبا الكلام والدكتور إقبال والسيد رشيد رضا وهذا العاجز الفقير إليه ـ تعالى ـ، وكان هذا رأي عبد اللطيف ولطيف الدين وعبد الكافي.

وذهب آخرون؛ مثل: إعجاز أحمد والملك علي حسين إلى أن أكبر رجل في الإسلام اليوم هو الإمام أبو الكلام الدهلوي. وقال السيد مظفر حسن الكشميري: إن أعظم مسلم في هذا العصر هو السيد سليمان الندوي. **وخطب العلامة السيد محمد الهلالي فأطال،** وانتهى بذكر اثنين: أحدهما الأمير محمد بن عبد الكريم الريفي، والآخر شكيب أرسلان. ثم تكلم الأستاذ مسعود عالم الندوي فقال: إن الأستاذ تقي الدين الهلالي وَفَّى الموضوع حقه، ووافق رأيه رأينا، وإن الأستاذ سليمان الندوي لا يوازيه أحد اليوم في التاريخ والقرآن والحديث، لكن عظمته منحصرة في العلم، وإن السيد أبا الكلام قد يعد أكبر رجل في الهند لكن لم تتسع دائرة أعماله وما تجاوزت حدود الهند؛ فليس هو ذلك الرجل الذي نحن بصدده. ثم قال: أما مصطفى كمال؛

---

(١) في الأصل: «الحسن».

فإني أشك في إسلامـه، وأقول قولي هـذا عن علم وبصيرة، ولست من الجامدين الرجعيين، وما رأيكم فيمن طمس الإسلام وأتى على بنيانه من القواعد؟ لا أنكر أن الأمـة التركية مسلمة لكنها مغلوبة على أمرها. (إلى أن قال): إنه عندما يتأمل عظماء الأمة الإسلامية لا يملك نفسه من أن يتذكر السيد أحمد الشريف السنوسي الذي قال عنـه شكيب أرسلان: إنه لو كان في عصر الصحابة لكان من كبارهم، وأن يتذكر مولانا محمد علي (أخا شوكت علي). وأستخلص من مبحثه أن الذين يرجحهم هـو في هذا الموضوع اثنان: أحدهما الأمير عبد الكريم، والثاني شكيب أرسلان. وذكر فيما نثاه عن شكيب أرسلان أنه يدافع عن حقوق المسلمين أجمعين من غير فرق بين وطن ووطن، وأن هذه هي المزية التي تميزه بين جميع رجال المسلمين في العصر الحاضر.

ثم قام السيد محمود خير الدين الدمشقي وقال: إني قضيت في تركيا نصيبًا من عمري، فأنا خبير بجميع أحوالها، ولا شك في أن مصطفى كمال رجل عظيم؛ لكن قد أتـى على الإسلام من قواعده ...إلخ. ثم جعل النتيجة أنه اختار في هذا الموضوع شكيب أرسلان قائلًا: إنه هو الذي ضاقت به أرض الاستعمار فلا تقله، وإنه وإنه ...إلخ.

ثم خطب الأستاذ علي الحسيني الندوي رئيس الحفلة، فذكر من سبق الكلام عنهم وضم إليهم الشيخ حسين أحمد المهندي وسيف الرحمن وعبيدالله السندي، ونـوه بالسيد رشيد رضا، وقال: هؤلاء هـم سلوانا وقرة أعيننا وبرد أكبادنا بعد ذهاب الأندلس وطرابلس وإفريقية وآسية. وقال: إن من مصطفى كمال في قلوبنا جروحًا دامية وإلى الله المشتكى. ثم جلس وسكت. ولما ألحوا عليه أن يسمي رجلًا

بعينه يفضله على الجميع؛ قال: إنه شكيب أرسلان. فوافقه المجلس بتصفيق حاد. ملخصًا عن مجلة «الضياء» الهندية[1].

فلما بلغ المرحوم السيد رشيد رضا ما كتبته مجلة «الضياء» هذه؛ بلغ من برِّه بأخيه هذا أن كتب إليَّ يخبرني بذلك، وأني نلت في تلك الحفلة أكثرية الأصوات، وأنا لم أشر إلى هذه القصة اغترارًا بنفسي أو اعتقادًا أني على شيء مما تفضل به بحقي هؤلاء الأعلام؛ بل إني لا أراني أهلًا لمجرد الذكر مع واحد من هؤلاء أجمع، فضلًا عن أكون في مقدمتهم، أعوذ بالله من الغرور ومن أن أظنَّ في نفسي عُشرَ معشار هذه المكانة التي نحلوني فضلها تكرمًا منهم، وتركوني من ذلك في خجل وأي خجلٍ أمام الناس وأمام نفسي التي هي أعلم بقصورها من كل أحد، وما ذكرت هذه الحكاية على وجه التلخيص، وحذفت منها ما حذفت مما يتعلق بي؛ إلا لندورها وطرافتها وإثبات علو نفس هذا الغطريف السيد رشيد رضا الذي كان يسر لأخيه بأكثر مما يسر لنفسه، والحال أنه هو أعظم رجال العالم الإسلامي من جهة القلم، وأن محمد بن عبد الكريم كان أعظم رجل فيه من جهة السيف، وأن السيد أحمد الشريف السنوسي كان أعظم مجاهد مسلم في هذا العصر، وأن سعد زغلول كان أكبر زعيم وطني في الشرق، وعلى كل حال فهذه طبقة لسنا منها في مقدمة ولا ساقة، لقد آتى الله هذه الطبقة العليا ما لم يؤت أمثالنا ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾[النساء: ٧٠]. انتهى.

* * *

---

(١) نشر في مجلد (٤) عدد (٧) بتأريخ رجب سنة ١٣٥٤هـ (ص٢٧٥ ـ ٢٧٧) (كتاب جليل من شكيب أرسلان)، ذكر فيه هذا الخبر.

* انهد ركن من أركان العروبة، وا حزناه على الأمير شكيب أرسلان[1]

نعت إلينا الإذاعة اللندنية نبأ وفاة نابغة العرب في القرن الرابع عشر بتأريخهم الهجري؛ فنـزل علينا كالصاعقـة، فالعـين باكيـة، والقلب حزين ذاهل من هول المصاب، ومن سوء الحظ أن هـذا الخبر صادف الجزء السابع من المجلة قـد سلِّم للمطبعـة وشُرع في طبعه، فلم نجد سبيلًا لسكب دموعنا بواسطة القلم، وتسلية النفس بالرثـاء، وبيان نقطة من بحر مناقب الفقيد الراحل، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وموعدنا الجزء التالي ـ إن شاء الله ـ، فتعزيتنا لآلِهِ: الأمراء والأميرات؛ نذكر منهم: معالي الأمير عادل أخيه، والأمير غالب نجله، ولسائر العرب والمسلمين.

* * *

* دمعة على فقيد العروبة والإسلام الأمير شكيب أرسلان ـ رحمه الله ـ[2]:

بقلم المجاهد الدكتور تقي الدين الهلالي

نشرت في جريدة «الحرية» التي تصدر في تطوان

مرضت منذ سنتين وبضعة أشهر، فكنت كلما اشتد عـلي المـرض فكـرت

---

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانيـة، السنـة الأولى، الجزء السابع، صفر ١٣٦٦هـ- يناير ١٩٤٧م، (ص٢٥).

(٢) منقول بواسطة كتاب «ذكرى الأمير شكيب أرسلان: المراثي وحفلات التأبين وأقوال الجرائد» (ص٣٤٣ ـ ٣٤٩)، صنفها ووقـف على طبعهـا محمد علي الطاهر في القاهرة سنة ١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٧م، ونشرت في صحيفة «الحريـة» المغربية، السنة العاشرة، العدد (٩٥٦)، يوم الأربعاء ٢٤ محرم ١٣٦٦هـ ـ ٩ دجنبر ١٩٤٨م، (ص١٥، ١٧، ١٨)، وفي مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الثامن والتاسع، ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٦٦هـ ـ فبراير ومارس ١٩٤٧م، (ص١ ـ ١٦). وانظر في «وصول خبر وفاة الأمير شكيب للهلالي»: «ديوان الهلالي» المسمى «منحة الكبير المتعالي» (ص٥٣٧ ـ بتحقيقي).

فيمن يهمه موتي ويبكيني، فيتمثل أمامي بعد أولادي وأهلي: الأمير شكيب أرسلان في مكتبه يحرر رثاء لي، وإن كان مريضًا، وإن قد نهاه أطباؤه عن العمل وحذروه كل التحذير، ولم يكن يساورني في ذلك أدنى شك، إي والله! إنه الخل الوفي في الشهود والغياب، والقرب والبعد، والحياة والممات، ولكن قدر لي أن أعيش بعده وأتجرع مرارة فقده، وأكتب رثاءه بهمتي الفاترة، وقريحتي الكليلة، وبأي قلم وبأي لسان أصف هذا النابغة العظيم؟ ولا سيما ونحن في زمن صار فيه الإطراء والكذب ديدنًا للكُتَّاب والخطباء من أهل البلاد المتكلمين بالعربية؛ فإذا مدحوا مدحوا جزافًا بلا كيل ولا وزن، وإذا ذموا كذلك.

قد قلت في مجالس كثيرة في البلاد الإسلامية وفي أوروبة: لو أن رجلًا سافر من آخر بلد في الصين إلى جنيف ليرى الأمير شكيبًا وليسمع حديثه فقط؛ لكان مغتبطًا بسفره، موقنًا أنه أسعد الناس به. هكذا قلت في حياته، فكان الناس يفهمون كلامي ذاك فهمًا ناقصًا، أما اليوم فسيفهمونه فهما تامًّا، إن الأمير شكيبًا من الرجال الذين لا يعرف العالم كله مكانتهم إلا بعد وفاتهم، ولا أقول: إنه كان مجهول القدر أو خاملًا، فإن صيته في العالم كله، عند العرب والعجم، لم يظفر بمثله أحد منذ دهر طويل، ومع ذلك لم يبلغ العالم غاية معرفته، ومن الآن فصاعدًا لا يجد المدرس لسيرته صعوبة في إفهام طلبته مراده.

كان الأمير شكيب أمة وحده، فقد كانت الأمة العربية والإسلامية تكافح في ميدان، والأمير شكيب يكافح وحده في ميدان، وكان جهاده وحده يزيد على جهادهم مجتمعين؛ ذلك بأنه كان يجاهد جهاد رجل من عرب صدر الأمة الإسلامية الذين فتحوا الأمصار، وسادوا، وجعلوا الجبال دكًّا، وجعلوا مكانها سهولًا، وملؤوا الأرض عدلًا ونورًا، وغيره من المجاهدين كانوا يجاهدون جهاد قوم نهكهم

الاستعمار، وأخمدهم تألب الأمم، ووهنهم تغلب المسيطرين، فنزلت درجة حرارتهم إلى حد أفقدهم نشاط الحياة الموجودة عند الأمم التي تستعبدهم، وقد كان مثله وأحسن منه عند أسلافهم، إذن فالأمير شكيب عربي من المخضرمين، تأخر وجوده لحسن حظ أهل هذا الزمان وسوء حظه هو؛ فإنه لقي من المناوئين في داخل الأمة ما لم يلق مثله من أعدائها، فثبت رابط الجأش لجميع ما أصابه من الداخل والخارج، ولم يحد عن صراطه المستقيم في جهاده حتى جاءه اليقين.

ـ ميزان الأمير شكيب وإنصافه:

لم يكن الأمير أبو غالب فردًا في جهاده فقط؛ بل كان فردًا كذلك في عمله وأدبه الدرسي والنفسي، فجميع العلل التي أصابت العرب والمسلمين في أخلافهم لم يصبه منها شيء، فبقدر ما كان معتزًا ومعتدًا بنفسه وأمته؛ كان متواضعًا لأبناء قومه، باذلًا لهم نفسه وماله، وأضرب لذلك مثلًا فأقول: إن أكثر عظماء العرب والمسلمين في هذا الزمان يعتبرون رأي الرجل على قدر منزلته، فرأي الكبير عندهم دائمًا كبير، ورأي الصغير صغير، وبعبارة أخرى: يعرفون الحق والفضل بالرجال، فإذا تكلم إنسان أو كتب لا يحكمون على رأيه حتى يسألوا عنه، فإن كان مجدودًا ذا منزلة عالية في المجتمع وذا وجاهة أغدقوا على رأيه المدح والإطراء، وجعلوا له المكان الأول، وإن كان خاملًا أهملوا رأيه مرة واحدة، وإن كان فوق الخامل ودون النابه أعطوه منزلة بين منزلتين، أما الأمير شكيب وأهل التهذيب الكامل من الأوروبيين: فإنهم حين يضعون رأي رجل في الميزان العلمي والأدبي لا يفكرون في شخصه ألبتة، وعندما يقف لسان الميزان عن تمايله يصدرون الحكم عليه بالتدقيق، لا يبخسونه ذرة ولا يزيدونه ذرة، وهذا عزيز في أهل البلاد الشرقية والإسلامية، وفي أهل البلاد الأوروبية المنحطة ـ أيضًا ـ، فهو آية الله الباهرة في الإنصاف.

وكنت عنده في جنيف سنة ١٩٣٦م عندما وضع الوفد السوري بالاتفاق مع الحكومة الفرنسية أساس المعاهدة بين سورية وفرنسة، وكان متفقًا مع رجال الوفد؛ وهم: جميل مردم بك وهاشم بك الأتاسي وفارس بك الخوري، فجاؤوا جنيف من باريس وأدب لهم الأمير مأدبة فاخرة، حضرها جم غفير من الشرقيين والغربيين، فلما رجعنا من الفندق الذي كانت فيه المأدبة أخذنا نتحدث في تلك المعاهدة، فقلت له: لا يجيء منها شيء أبدًا ولا فائدة فيها. فخشن إليَّ ـ رحمه الله ـ القول، على سبيل المباسطة وطرح الكلفة، فقلت: لك رأيك ولي رأيي وسنرى. فلما تحقق رأيي رجع ـ رحمه الله ـ واعترف بصواب رأيي.

وتجادلت معه ببرلين في شهر أكتوبر سنة ١٩٣٩م فقال الأمير: إن ألمانيا ستنتصر في هذه المرة، فإن ألمانية سنة ١٩٣٩م ليست هي ألمانية سنة ١٩١٤م. فقلت له: أنا لا أعرف ألمانيا ١٩١٤م وإنما أعرف هذه، ولن تفوز في هذه الحرب، وأحسن أحوالها أن تظفر بصلح لا بأس به، هذا إن ساعدها الحظ. وبنيت حكمي على ما علمته من تعادي الوزارات، وتطاحن الجماعات في داخل الحكومة الألمانية، ولم يكن يحفظ توازنهم ويحول دون تصادمهم إلا هتلر؛ ولن تفلح دولة يتوقف صلاحها على رجل واحد.

فأصر كل منا على رأيه، ونسيت أنا هذه المحاورة، وفي الشتاء الماضي كتب إليَّ أول كتاب بعد الفترة التي قطعت الحرب المكاتبة فيها بيننا، وأنا في غرناطة، فذكرني بهذه القضية وقال لي: كان العالم كله على رأي وأنت على رأي، وقد صدق رأيك، فكأنما كنت تنظر بظهر الغيب. فذكرني بشيء كنت قد نسيته، ولي معه أمثال هذا كثير، هذا مع أني في أمور السياسة وتاريخها بالنسبة إليه كَـ (لَا شيء).

وأما مسائل العربية والدين فكان ـ رحمه الله ـ يستفتيني فيها، ويظهر إعجابه

بجوابي، وقد سجل بعض ذلك في كتابه «السيد رشيد رضا»[١]، وأما شجاعته في حرب الحديد والنار فرفاقه في حرب الإيطاليين بطرابلس يشهدون بها، أما الشجاعة الأدبية فالعالم كله يطاطئ رأسه أمامها.

وبعد أن ذكر الدكتور الهلالي ملخص سيرة الأمير في أيام الدولة العثمانية وأعماله وجهاده في جنيف قبل الحرب الأخيرة قال:

ـ شكيب والمعاهدة مع فرنسا سنة ١٩٣٧م:

وحين برق لأهل الشام البرق الخلب بتلك المعاهدة مع فرنسة وآمن بها الأمير؛ عينت الحكومة السورية الأمير رئيسًا للمجمع العلمي بدمشق، فتوجه إلى دمشق، ووصل مصر حتى كانت فرنسة قد رجعت عن تلك المعاهدة، فكر الأمير راجعًا إلى جنيف[٢]؛ لأنه أقسم ـ ومثله من بر بقسمه ـ ألا يضع القلم من يده، وألا يغمد سيف لسانه، حتى تنال بلاده بل وبلاد العرب والإسلام حريتها الكاملة، فاستأنف أبو غالب جهاده، ولم يكن جهاده خاصًا بالدفاع عن وطنه، ولا عن الشرق وحده؛ بل كان دفاعًا عن العرب والمسلمين أينما حلوا شرقًا وغربًا، ولم أر أحدًا فيما مضى قبل تأسيس الجامعة العربية يدافع عن المغاربة من

---

(١) تجد جميع ما فيه بهذا الخصوص في «مقالاتنا» هذه، ولله الحمد والمنة.

(٢) لما غدرت فرنسا بالسوريين سنة ١٩٣٩م، وأزالت الجمهورية الاستقلالية، وأقامت جمهورية الشيخ تاج الدين المزيفة؛ كتب حسن الحكيم ـ الذي عملته فرنسا رئيس وزارة لسورية ـ كتابًا إلى الأمير شكيب وهو في مصر، يطلب منه القدوم إلى دمشق ليتقلد منصبه؛ وهو رئاسة المجمع العلمي العربي، فأجابه الأمير شكيب بكتاب حازم صريح بأنه لا يقبل العمل في حكومة سورية تقوم على أسنة الرماح الإفرنسية، وأنه يرفض رئاسة المجمع وكل وظيفة رسمية، ثم عاد إلى سويسرا. (**المصنف: الهلالي**).

أهل الشرق العربي غيره.

ـ كيف زار برلين؟

ولما أضرمت نار الحرب العالمية الأخيرة كان لا يزال يدافع عن وطنه، فاقتضى الجهاد أن يكون ميله مع عدو بلاده، وكان ـ رحمه الله ـ خاليًا من مكر السياسيين ودهائهم وحيلهم، وهذا هو الذي كان ينقص سياسته، وقد ضره كثيرًا، وكان من عادته أن يزور ألمانيا في بعض الأحيان ترويحًا للنفس، وأنسًا بأصدقائه، ومرة شد الرحل إلى زيارة كاتب هذه السطور من برلين إلى (بُن) ٨ ساعات في القطار السريع، ولم يكن في زيارة ألمانيا خطر قبل الحرب، فلما جاء زمان الحرب أراد أن يزور ألمانيا، وكتب إليَّ أني قادم برلين خفية، ولا أحب أن يعلم بقدومي أحد، وربما أضطر إلى عدم لقائك؛ لأني أخشى إن علم الفرنسيون بقدومي أن يظنوا الظنون، ويصادروا أملاكي التي أعيش بها، وهي في قبضتهم ببلاد الشام، فاستحسنت منه هذا الحزم، وكتبت له أني وإن كنت مشتاقًا إلى رؤيتك فالمهم المقدم، وبعد ثمانية أيام جاء إلى برلين فزارني بمكتب الإذاعة العربية، واجتمع عليه من كان هناك من العرب، وكتب المذيع بالعربية نبأ قدومه بدون إذنه ليزين إذاعته به، وأردت منعه من ذلك، فكذب وقال: إني استأذنت الأمير، فأذن لي. فعذلته في ذلك، فقال: أما المذيع فهو كاذب، وما كنت أحب أن يعلن نبأ قدومي، وأما زيارتك في الإذاعة فكنت في مكان قريب من دار الإذاعة، أسعى لتحصيل الإذن بإخراج ثلاثة آلاف مارك اجتمعت لي من كراء داري التي هنا؛ فعزمت على زيارتك. فقلت له: كان يكفي عن هذا كله كلمة في التلفون، وأنا أجيء إليك. فقال لي: الأمر بيد الله. وقد أقام في برلين أكثر من شهر، يحاول تحصيل الإذن من وكالة الغياب بواسطة موظف كبير في وزارة الخارجية، فلم يحصل شيئًا، ورجع بلا شيء، ولم يخرج معه ولا ماركًا

واحدًا، وأوصاني بالتردد على وزارة الخارجية لعلي أحصل على الإذن وأبعث له المال، فبقيت بضعة أشهر أتردد بلا جدوى، وبقي ذلك المال إلى اليوم هناك.

ـ شتائم فرنسا وإنجلترا:

ومع ذلك كلفته هذه الزيارة لألمانيا ثمنًا غاليًا، فإن الأمر الذي كان يخشى وقوعه وهو زيادة غضب الحلفاء، ومصادرة أملاكه في بلاد الشام قد وقع، ووقع أكثر منه؛ وذلك أن إذاعات فرنسة وبريطانية، وإذاعات البلاد الخاضعة لهما، وصحفها وخطباءها المجاورين أمطروا على الأمير وابلًا من الشتائم مدة طويلة، واخترع راديو باريس حكاية لفّقها؛ مضمنها: أن هتلر أنعم على الأمير في حفلة شاي بلقب (ابن برلين)، وأن الأمير أصر على ألا يترأس الحفلة إلا رجل سامي، فامتنع من ذلك هتلر، ثم أقنعه كوبلز بأن المصلحة تقتضي التسامح، فترأس الحفلة البارون أوينهايم، وهو في الأصل يهودي، ولكنه خدم الدولة الألمانية خدمات جليلة؛ فاستثنته من المعاملة التي فرضتها على اليهود.

ـ سويسرا تضايق الأمير:

ولما رجع الأمير إلى جنيف وجد أن الحلفاء ألزموا حكومة سويسرة ألا تسمح له بالخروج أبدًا، فقالت له هذه الحكومة: إن خرجت من بلادنا فإننا نمنعك من العودة إليها. وهذا كله نشأ عن سلامة القلب التي كانت في الأمير ـ رحمه الله ـ وصمد الأمير للحلفاء، فشن عليهم حربًا عوانًا في مجلته وفي صحف أميركا العربية قبل دخولها في الحرب، واستمر على ذلك، ولما وقعت الثورة الشامية الأخيرة، فرأى أن تشرشل وحكومته وقفوا في وجه فرنسة وألزموها الوفاء بالوعد؛ انقلب صديقًا حميمًا لبريطانية، وأخذ يقول: كنت أبغض تشرشل بغضًا شديدًا ثم صرت

الآن أحبه حبًّا شديدًا، وانقلب عدوًّا لهتلر وحكومته حين رآه لم يعمل شيئًا للعرب إبان قوته، فكتب مقالات في ذم هتلر، ووصفه بالعته والجنون، وذم الشعب الألماني لخضوعه لرجل مثله، وقال أنه لا يفلح.

ولما وضعت الحرب أوزارها، ولم يبق لفرنسة حكم على بلاده؛ عزم على الرجوع إلى وطنه، ولكن كاهله كان مثقلًا بالديون، فعاقه ذلك عن المبادرة إلى الرجوع، وأخذ يسعى ويكدح لقضاء ذلك الدين ليتسنى له الرحيل وهو خالي الذمة.

ـ العودة إلى الوطن:

وفي أول أغسطس من هذه السنة كتب إليَّ ـ رحمه الله ـ يقول: قد بعثت جميع أثقالي إلى بيروت، وسأسافر بأهلي قاصدين لبنان بطريق مرسيلية، وبعث لي مقالًا في سيرة لسان الدين بن الخطيب[1]، نشرته في المجلة لحينه، وكان ذلك ـ ويا أسفاه! ـ آخر ما كتب به ـ رحمه الله ـ.

ومنذ وصل بيروت لم يرد عليَّ منه خبر، وكنت أعلم مما كتب إلي به من تحذيرات الأطباء له من إجهاد النفس بالعمل، وتصريحهم له بأنه إن لزم الراحة يمكن أن يعيش مدة من الزمان، وإلا فإنه هالك عن قريب؛ لأنه كان على خطر، وفي يوم الاثنين مساء ١٤ محرم الجاري سنة ١٣٦٦هـ اهتزت أسلاك البرق وتجاوبت أصداء الإذاعات في العالم كله بنبأ وفاته.

وقد عاش الأمير ٨٢ سنة، كلها جهاد متواصل، وكفاح متوال، في ميادين كثيرة، وهذا الرجل لا تفي بأخباره إلا المجلات الكبار، وقد طال هذا المقال

---

(١) تقدم في كتابنا هذا.

دون أن أكتب فيه ولا عشر ما أريد كتابته.

ـ معارفه التي لم تدفن معه:

كان الأمير شكيب دائرة معارف حية ناطقة، فلم تـر عينـي مثلـه في سـعة المعلومات في الفنون التي كان يحسنها، ولا رأى هو مثل نفسه في ذلك، وكان يجيـد من اللغات العربية والتركية والفرنسية، فهذه اللغات الثلاث كان فيها أديبًا كاملًا، وحاول إتقان الألمانية فلم يبلغ فيها مراده، وكان يعلل ذلك بكبر السن، وأنا أظـن أن السبب في عدم تحصيله لها اعتماده على الدروس وحدها وعدم مخالطته لأهلها الذين لا يعرفون غيرها ومحاورتهم زمنًا طويلًا بها، وكان ـ رحمه الله ـ إذا حاول الـتكلم بالألمانية في الأمور السهلة يفهم المخاطب مراده، فإذا تكلم معه أحد بها لا يفهـم إلا قليلًا لعدم سماعه لها كثيرًا.

ـ ومخلفاته ثلاثة أنواع:

رسائل الإخوان: فلو تصدى رجل لجمع ما عند إخوانه الكثيرين من رسائله لبلغت مجلدات كثيرة[1].

والنوع الثاني: المقالات المنشورة في الصحف والمجلات[2]؛ وهي كثيرة جدًّا، فإنه أخذ يكتب في الصحف منذ كان عمره ١٥ سنة، وبقي يكتب فيها إلى أن جاوز الثمانين.

---

(١) نشر الأستاذ عمر رياض «مراسلات الأمير شكيب أرسلان مع مؤرخ تطوان محمد داود» عن دار الكتب والوثائق القومية بمصر في سنة ٢٠١٥م، في (٥١٧) صفحة، وهذا نموذج من مراسلاتـه مع شخص مغربي واحد! وانظر عنها: «ندوة شكيب أرسلان» (٨٨ ـ ١١٧).

(٢) نشر له مقالاته التي نشرت في مجلة «الفتح» المصرية في مجلد واحد.

والنوع الثالث: تآليفه[1]، وليس عندي الآن منها شيء، وسأذكر ما علق بذهني منها:

- «حاضر العالم الإسلامي» أربعة أسفار.
- «الحلل السندسية» سفران.
- «تعليق وتذييل لتاريخ ابن خلدون» سفران.
- «غزو العرب لأوروبا» سفر.
- «السيد رشيد رضا» سفر.
- «أحمد شوقي بك» سفر.
- «أناطول فرنس» سفر، ولم أره.
- «الارتسامات اللطاف» جزء.
- «لماذا تأخر المسلمون» جزء.

وله «ديوان شعر» وتآليف أخرى؛ بعضها لم تحضرني أسماؤها، وبعضها لم تطبع.

وكان يغلب عليه الأدب حتى أجمع الناس على تسميته بأمير البيان، وله شعر عالٍ جمع جملة صالحة منه في «ديوان»، وهو مطبوع، ولكن نثره أبلغ من شعره، وكذلك التاريخ القديم والحديث، فإذا أخذ يحدث عن الحروب الصليبية ـ مثلًا ـ يذكر الوقائع مؤرخة بتواريخها وأسماء الأشخاص كأنه كان حاضرًا معهم، أما تاريخ القرن الأخير بجميع أطواره وأحداثه السياسية: فإنه يحدثك عنه كما

---

(١) نشرت الدار التقدمية، الشوف ـ بيروت، جميع كتبه، ومن ذلك «سيرة ذاتية» بقلمه في (٢١١) صفحة.

يحدث بها شاهد في يومه.

وينبغي أن نكف عنان القلم؛ فقد تجاوز هذا المقال الحد، وإن أقدرني الله وشفيت من المرض جمعت ما أقدر عليه في سيرته، وإلا فالأعمال بالنيات.

وفي الأمة كثير ممن يقوم بهذا الواجب ولله الحمد، فرحم الله الأمير شكيبًا رحمة واسعة، ونوجِّه تعازينا لآله الكرام، وأخص بالذكر شقيقه رب السيف والقلم الأمير عادل أرسلان، ونجله الأمير غالبًا وأهل بيته وأمته، ونسأله أن يلحقنا به مؤمنين.

تطوان - تقي الدين الهلالي

* * *

*** السيد سليمان النَّدْوي يقيم في كلية ندوة العلماء[1]**

لا تحيى أمة ولا تنهض من كبوتها وتخلع عنها ثوب الضيم والهوان ما لم تقدِّر لعظمائها أعمالهم وتتخذهم قدوة وأسوة صالحة تقتفيها وتحذو حذوها، فلذلك يجدر بنا أن ننوِّه بما يشيده عظماؤنا من صروح الفضائل؛ اعترافًا بفضلهم وتنبيهًا للدهماء إلى اقتفاء آثارهم.

ولذلك أردت أن أذكر للقراء الكرام هذه الحسنة الجديدة التي ضمها الأستاذ العلامة أحد زعماء الإسلام السيد سليمان الندوي إلى مناقبه الكثيرة؛ ألا وهي مقامه في (كلية ندوة العلماء) لإلقاء الدروس الثمينة والمحاضرات العالية لتثقيف أذهان النشء الإسلامي من صور شبهات وضلالات يجدُّ في نشرها الملاحدة الخونة،

---

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السادس، عدد (٢٧٧)، بتأريخ ٩ رجب ١٣٥٠هـ (ص٧).

ولا أخالني في حاجة إلى التعريف بالأستاذ؛ لأن شهرته طبقت الآفاق الشرقية والغربية ـ أيضًا ـ[1].

---

(١) نشرنا في العدد الثاني من سنة «الفتح» الأولى كلمة في التعريف بالسيد الندوي وجمعية دار المصنفين. «**الفتح**».

قال أبو عبيدة: نشرت مجلة «الفتح»، السنة الأولى، العدد الثاني، الخميس ٦ ذي الحجة ١٣٤٤هـ ـ ١٧ يونيه ١٩٢٦م، (ص٣ ـ ٤)، مقالة بعنوان: (الجمعيات الإسلامية: جمعية دار المصنِّفين في الهند)، جاء فيها:

«من المقاصد المهمة التي تُعنى بها صحيفة «الفتح»: تعريف قرَّائها بما في العالم الإسلامي من الجماعات والأفراد العاملين؛ لإنهاض هذه الأمة، ونشر العلم الإسلامي فيها، واتخاذ وسائل الإصلاح في بلادها.

وقد كتب إلينا الأستاذ العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي؛ الأستاذ بالجامعة الإسلامية في عليكره (الهند)، يصف جمعية (دار المصنفين) الهندية في مدينة أعظم كره، ويذكر خلاصة أعمالها، ومما قاله:

«قامت جمعية دار المصنفين» بخدمة العلوم الإسلامية ـ منذ تأسيسها إلى اليوم ـ خدمة لا ينساها كل من في قلبه حبة خردل من الإيمان.

من ذلك: أنها ألَّفت عشرات من الكتب النافعة الإصلاحية والدينية، باللغة الأوردية ـ لسان مسلمي الهند ـ.

وقد أسَّس هذه الجمعية: المصلح الشهير العلامة شبلي النعماني ـ رحمه الله ـ، واستدرَّ لها الأرزاق والمؤونات من ملوك الهند المسلمين؛ فدرَّت بها قد كفى وأوفى.

ولما انتقل المرحوم الشيخ شبلي النعماني إلى رحمة الله؛ خلف في هذه الجمعية ثلة من تلاميذه الأنجاب، يحتذون حذوه، ويقتفون قفوه، ويتولى رئاستهم والقيام بأمورهم الآن: محرر «المعارف» ـ أشهر مجلات مسلمي الهند ـ، وهو الصديق الحفي السيد سليمان النَّدْوي ـ أنسأ الله في عمره ـ. =

= والسيد سليمان الندوي هو الذي تعرَّف به أبناء البلاد المصرية والعربية؛ لزيارته لهما رئيسًا لوفد جمعية الخلاف الهندية، المبعوث سنة ١٣٤٣هـ وهو الآن على رأس الوفد الذي من أعضائه الزعيمان الجليلان: شوكت علي ومحمد علي، في مؤتمر الحجاز الحاضر.

ولرئيس جمعية دار المصنفين من الآثار الجميلة: كتاب «أرض القرآن»، وله أربع مجلدات من (سيرة النبي ﷺ) التي بدأ بها أستاذه المرحوم الشيخ شبلي النعماني، واخترمه ريب المنون قبل أن ينجز عمله، فاقتفى السيد سليمان الندوي أثر شيخه في إكمال هذه السيرة الشريفة.

وفي نيَّة الأستاذ الندوي أن ينقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية، وأن يأتي إلى مصر للإشراف على طبعها ونشرها.

قلنا أن لجمعية دار المصنفين عشرات من الكتب التي ألَّفتها ونشرتها باللغة الأوردية، وسدَّت بها نقصًا علميًّا عظيمًا، أما باللغة العربية فإنها نشرت «نقد كتاب تاريخ التمدن الإسلامي لجرجي بك زيدان»، وهذا النقد بقلم مؤسس الجمعية المرحوم الشيخ شبلي النعماني، وقد طبع في مصر والهند مرارًا.

ومن آثارها العربية ـ أيضًا ـ: «ملاحظات» للسيد سليمان الندوي ـ رئيسها الحاضر ـ على محاضرات السنيور جويدي الإيطالي؛ التي ألقاها في الجامعة المصرية، وبسط على أرض الإسلام وجغرافيتها.

ومن أعمال الجمعية: ما قام به الشيخ سعيد الأنصاري من تجريد ما ورد في «تفسير الفخر الرازي» من «تفسير أبي مسلم الأصفهاني»، وهو من الكتب الإسلامية المفقودة، مع عظم أهميتها.

ونشرت جمعية دار المصنفين باللغة العربية ـ أيضًا ـ: أجزاءً من «جمهرة التفاسير» للشيخ عبد الحميد الفراهي».

هذا ما كتب به إلينا صديقنا الأستاذ العلامة الشيخ عبد العزيز الراجكوتي؛ أستاذ جامعة عليكره الإسلامية، ومؤلِّف الكتاب الدقيق عن حياة (ابن رشيق) صاحب «العمدة»؛ =

كان الحظ الأوفر فيما قامت به (ندوة العلماء) و(كليتها) من نشر العلوم النافعة والأعمال الصالحة لأستاذ الأساتذة في الهند الشيخ شبلي النعماني ـ رحمه الله ـ، وكان الأستاذ السيد سليمان أنجب تلامذته وأعلاهم درجة وأجدرهم بخلافة أستاذه في علمه وعمله، فلذلك اصطفاه الأستاذ شبلي لإدارة دار المصنفين التي أسسها في أعظم كر؛ لتصنيف الكتب المفيدة، وترجمة ما يحتاج إليه المسلمون من جميع اللغات، وطبع الكتب القديمة، وإتمام «تاريخه الكبير» الذي ألفه بلغة أردو واختطفته المنية قبل إتمامه، وفي الوقت نفسه أقامه مقامه في الإشراف على (كلية الندوة)، فشمر السيد سليمان عن ساق الجد وقام بهذه الأعمال خير قيام، وصدق ظن أستاذه فيه، وضم إليها أعمالًا جليلة أخرى سجلها التاريخ محفوفة بالشكر والثناء؛ منها تأسيسه لمجلة «معارف»، وهي أرقى مجلة جامعة بين علوم الدين وعلوم الأدب والعلوم الكونية في جميع الأقطار الهندية، وبلغت المجلة من الرواج والانتشار وكسب ثقة

= الذي نشرته المطبعة السلفية بالقاهرة، وهو ـ أيضًا ـ جامع «ديوان شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف القيرواني» باسم «النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف»، مع الإشارة إلى مصدر كل قطعة من أشعارهما، والمقارنة بين اختلاف النسخ والروايات، وبآخره فهرس مفصَّل، وكتاب «النتف» هذا قد طبعته المطبعة السلفية ـ أيضًا ـ.

ولهذا الأستاذ كتاب خدم به أدبنا العربي أعظم خدمة؛ وهو كتاب «أبو العلاء وما إليه»، أبان فيه عن علم غزير فيما كتبه عن أبي العلاء المعري، منتقدًا كتاب الدكتور طه حسين وكتاب الأستاذ مرغليوث، ومبيِّنًا مواضع الخطأ فيهما، بتحقيق دقيق، وعزو كل فقرة إلى موضعها من كتب العلم والأدب والتاريخ، وهذا الكتاب شرعت (جمعية دار المصنفين) الهندية بطبعه في المطبعة السلفية بالقاهرة بإتقان وضبط وعناية، وإنَّ نشر هذا الكتاب يُعدُّ من مآثر هذه الجمعية الهندية الإسلامية؛ التي عقدنا هذا الفصل للتعريف بها، لا زالت خدماتها للعلوم الإسلامية مستمرة مشكورة».

الخاصة والعامة ما لم تضاهها فيه أي مجلة أخرى - فيما وصل إليه علمي -، ثم إنه من حين إلى آخر يقوم برحلات وجولات في بلاد الهند والسند الواسعة يحلي فيها أجياد المحافل بدرر المحاضرات القيمة التي يحضرها الفئام من الناس، ولم تكن رحلاته مقصورة على البلاد الهندية؛ بل سافر إلى الحجاز ومصر والقسطنطينية وأوروبا مع زعماء الهند في خدمة الإسلام، إضافة[1] إلى ما ألفه من الكتب القيمة، ولا يزال يكتب ويؤلف - بارك الله في حياته -.

وكان يزور (كلية الندوة) في كل شهرين مرة، فيتفقد أحوالها ويصلح شؤونها، ثم يرجع إلى مستقره في أعظم كر، وفي هذه السنة رأى أن طلاب الكلية في حاجة إلى دروسه الثمينة وأن المحاضرات التي يلقيها عليهم - أحيانًا - لا تروي غليلهم ولا تشفي عليلهم؛ فعزم على الإقامة في كلية دار العلوم زمانًا تسمح له به أشغاله الكثيرة لمباشرة إلقاء الدروس والمحاضرات، فقدم لكنو في أوائل أكتوبر الماضي، وباشر هذا العمل المبرور وصار يدير المجلة «معارف» وأعمال (دار المصنفين) بالمراسلة، وقد تكون دهشتك عظيمة إذا أخبرتك أن الأستاذ لا يبغي على هذه الأعمال كلها أجرًا إلا من الله - تعالى -، وكذلك ناظر الكلية الدكتور السيد عبد العلي وخازن صندوقها وسائر أعضاء إدارتها، ما منهم أحد يأخذ على عمله أجرًا.

وقد رغب أحد ملوك الهند إلى السيد سليمان أن يتولى منصبًا في حكومته راتبه ألف روبية (نحو ٧٥ جنيهًا إنكليزيًا) مشاهرة فلم يقبل، واعتذر بأنه لا يمكنه التخلي عن العمل في (كلية الندورة) و(دار المصنفين) ولا يجد من يغني غناءه فيهما.

---

(١) زيادة منا اقتضاها السياق.

ذي المعـــالي فليعلـــون مـــن تعـــالى هكـــــذا هكـــــذا وإلا فـــــلالا[1]

لكنو ـ الهند ١٦ جمادى الثانية ١٣٥٠هـ

محمد تقي الدين الهلالي

* * *

* مسعود الندوي أفضل تلامذتي الهنديين[2]

في سنة تسع وأربعين وثلاث مئة وألف دعاني الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوي رئيس دار المصنفين، والمشرف على ندوة العلماء؛ وهما من كبار المؤسسات الإسلامية بالهند، دعاني إلى تولي منصب أستاذ اللغة العربية بندوة العلماء ـ وأرجو أن تكون هذه المؤسسة موضوع مقال للأستاذ مسعود الندوي فيما بعد ـ، وكنت إذ ذاك لا أعرف من اللغات التسع التي أعرفها الآن إلا العربية وشيئًا قليلًا من مبادئ الفرنسية، فاستغرب علماء الهند كلهم ولا سيما أهل الحل والعقد في شؤون ندوة العلماء هذا الأمر، وقالوا: كيف يمكن رجلًا عربيًّا أن يدرس ويعلم تلامذة هنديين لم يسمعوا قط ولا درسًا واحدًا بالعربية ولا أحدًا يتكلم بها؟ هذا محال! وإنما سكتوا ولم يمانعوا إجلالًا للأستاذ السيد سليمان، وكان هو أسدَّ منهم رأيًا وأبعد منهم نظرًا، فلم يبال باستبعادهم، وتوليت هذه المهمة الشاقة.

---

(١) البيت في: «ديوان المتنبي» (ص٤٠٣) و«تاريخ الطبري» (١١/ ٣٧٨) و«معجم الأدباء» (٦/ ٢٦١٤) و«شرح شافية ابن الحاجب» (٤/ ٢٩٦) و«شرح ديوان المتنبي» (٢/ ٥٨٣) للواحدي.

(٢) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء السابع، صفر ١٣٦٦هـ ـ يناير ١٩٤٧م، (ص٣٣ ـ ٣٨).

وكان من جملة المقرر في مواد دروسي «تفسير الزمخشري» و«دلائل الإعجاز»، فلقيت عَرَق القِربَـة أول الأمر، ولكنـي ضاعفت الجهود وصبرت، فما مضى إلا بضعة أشهر حتى صار النجباء من الطلبـة يفهمون الدروس فهمًا كاملًا، ولم يسع أولئك العلماء إلا التسليم، وكان هـذا الأمر عندهـم من الخوارق، ولكـن بعض ذوي الهوى منهم جحدوا وقالوا: إنما نجح في هؤلاء لأنهم كانت لهم مبادئ في علم العربية، ولو كانوا مبتدئـين لم يقدر أن يفهمهم ولا أن يعلمهم. فتحديتهم وقلت لهم: هاتـوا عشرة من الأطفال الصغار الذين لم يتعلموا شيئًا من العربية أعلمهم هـذه اللغة بنفسها ـ أي: بلا ترجمـة ـ من أول درس، وبعد زمان قليل يتكلمون. وكنت قد احتججت عليهم مرارًا بحجج العالم برلتس الألماني على أن كل لغة يجب أن تعلم بنفسها ابتداءً، ولا يجوز تعليمها بالترجمة أبدًا، وأظهر تلك الحجج أن الطفل يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئًا من اللغة، ثم يتعلمها بالسماع بلا ترجمة، وبعد ذهابي إلى أوربة رأيت ما هو أدعى إلى استغرابهم من ذلك، وهو تعليم الصم البكم الكلام والقراءة والكتابـة بلا سماع، بل بالنظر، وتعليم العمي القراءة والكتابة، فجاءني عشرة من الأطفال على الوصف المذكور، وأخذت أعطيهم دروسًا عندي في البيت، فبعد أربعة أشهر أخذوا يتحدثون معي ويفهمون كل ما آمرهم به ويجيبون، فانقطع الخصوم.

وبقيت في منصبي ذلك ثلاث سنين ونصفًا تقريبًا، فتخرج علي جماعة مـن الطلبة صاروا كتَّابًا ينشرون المقالات البليغة في الصحف المصرية.

ولما رأى السيد سليمان أن الغـرس أخـذ يثمـر؛ اقـترح عـلي إنـشاء مجلـة، فأنشأنا مجلة «الضياء» وراجت في الهند وفي بلاد العرب، وتلقاها أساطين الأدب العربي في بلاد العرب بالقبول والإعجاب، ووليـت أفـضل تلامـذتي وأكـبرهم

الأستاذ مسعود الندوي إدارتها ليتدرب على إدارة الجرائد، وكنت أرشده، فقام بالواجب خير قيام، وكان عملي هنا بعثًا للأدب العربي من جديد في الهند بصورة حية تساوي تعليم اللغات الحية أو تقاربها، هذا بعدما كانت اللغة العربية في الهند قد التحقت باللغات الميتة، فلم يبق أحد يكتب أو يخطب أو يتكلم بها، ولا يطمع في ذلك، وكما كنت أدرب أولئك الطلبة على الكتابة؛ كنت أمرِّنهم على الكلام، وكنا نعقد مجالس للخطب العربية في المواضيع المختلفة، فكان الطلبة يتبارون فيها ويتقارعون تقارع الأبطال في ميدان القتال، وكنت دائمًا أفتتح لهم المجلس بخطبة، تارة ارتجالًا وتارة مكتوبة، فحصل لهم نفع عظيم وتقدم كبير، وهذا الكتاب الآتي نشره هنا هو أول رسالة أرسل إلي بها تلميذي الأستاذ الأديب الكاتب اللغوي المحقق مسعود الندوي، وسيرى قراء مجلتنا مقالاته منشورة في مجلة «لسان الدين» ـ إن شاء الله ـ، وما رأى كمن سمعا، وهذا الكتاب وإن كان عاديًّا لم يتأنق فيه الأستاذ مسعود؛ فهو ينبئ عن فضله ويشهد بنبله، فهذه ثمرة من ثمرات علمي ولله الحمد، والله لا يضيع أجر المحسنين:

سيدي الأستاذ الجليل المجاهد، متعنا الله بلقائكم وجمعنا وإياكم على خير، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فقد تلقيت العدد الـ ٨٣٨ من «الفتح» الغراء أمس، وبينما كنت أتصفح محتوياته إذ ببصري قد وقع على خبر جذب سمعي وقلبي إليه، وكاد يطير فؤادي فرحًا وسرورًا، وبعد هنيهة وجدتني مغرورقة عيناي بالدموع، دموع الفرح والبهجة، وقمت شاكرًا لله ـ تعالى ـ وركعت ركعتين، فما صليت مثلهما في حياتي.

سيدي الأستاذ! هذه ثلاث عشرة سنة مضت على مفارقتكم إيانا وارتحالكم

عنا، لكن الله يعرف أني لم أنسكم ولا ساعة من الدهر بين رجاء وبؤس حتى انكشف الأمر وأسفرت الأيام عن أنيابها الحداد، فصبرًا في مجال الشدة صبرًا.

هذه كليمات أبعث بها إليكم رجاء أن نتشرف[1] ونتمتع بقراءة مجلتكم الجديدة التي خبرتنا بها «الفتح».

أما هذا العاجز فلا يزال ـ على البعد ـ باذلًا الجهد المستطاع في بث المعارف الإسلامية ونشر لغة الضاد وتعميمها في هذه البلاد.

وأخيرًا أتفق مع جماعة من أولي الفضل على تأسيس «دار العروبة للدعوة الإسلامية» في بلدة جالندهر من مدن بنجاب، وسوف نصدر مجلة شهرية عربية مسماة بـ «الهدي»، مطبوعة بالحروف العربية ـ إن شاء الله ـ.

وأخبرت أخاكم محمدًا العربي الهلالي أمس بوصولكم إلى تطوان سالمًا، وهو الآن معلم في أورينتل كولج ـ لاهور، وتلميذكم الدكتور أختر إمام ـ من بلدنا ـ الآن رئيس القسم العربي في جامعة كولومبو.

هذا وأرجو أن يكون الخادم عند حسن ظن أستاذه، وسلامي عليكم بقدر شوقي إليكم، ورفقائي وأصحابي كلهم يسلمون عليكم ويدعون لكم بالخير، ويستبشرون بنجاحكم وسلامتكم؛ فإنهم يعرفونكم معرفة الولد للوالد.

خادمكم المخلص لكم

مسعود الندوي

* * *

---

(١) في الأصل: «تتشرف».

* الشيخ الأديب علي الطنطاوي[1]

الأستاذ علي الطنطاوي الدمشقي كاتب عبقري من خيرة كتَّاب هذا العصر، ومسلم وطني مخلص في الصف الأول من صفوف المجاهدين، وأديب من النخبة القليلة المحافظة على أساليب اللغة العربية الخالصة، من الذين لم تستهوهم بهرجة الأوربيين فيقعوا في مهاوي تقليدهم ومحاكاتهم من كل شيء؛ بل من الحكماء الذين ينظرون إلى ما قيل لا إلى من قال، فيأخذون الحكمة، وهي ضالتهم، ولا يبالون من أين أخذوها، ويتركون الخطأ والخطل جانبًا، اعتزازًا بتراث أسلافهم العظيم، وعزوفًا على الانصياع إلى التقليد الذميم، ويسرنا أن نحلي هذا الجزء من مجلتنا بمقال نفيس نشره الأستاذ الطنطاوي في مجلة «الرسالة»، هذا المقال ـ كما يرى القارئ ـ يتكلم عن نفسه، وتتبارى بلاغة ألفاظه السحرية بشرف معانيه السامية، لم أجد فيه حرفًا واحدًا أقول فيه: ليته أبدله بغيره، وقلما أرى في هذا الزمان مقالًا هكذا، فنهنئ صديقنا الأستاذ الطنطاوي على هذه المكانة التي تبوأها في الأدب العربي، راجين من صديقنا الأستاذ المجاهد محب الدين الخطيب[2] أن يخبرنا بعنوانه لنبعث له مجلتنا ونتصل به من جديد.

* * *

---

(١) هذا العنوان «الشيخ الأديب...» من عندي، والأسطر تحته كتبها الهلالي في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الرابع، ذي القعدة ١٣٦٥هـ ـ أكتوبر ١٩٤٦م، (ص١٧)، وسطرها يراع الهلالي قبل سوقه مقالة الطنطاوي من مجلة «الرسالة» وهي بعنوان (وحي الشيطان)، واقتصرت هنا على كلام الهلالي فقط، فهو الذي يخصنا من هذا الجمع.

(٢) هو خال الأستاذ علي الطنطاوي ـ رحمه الله تعالى ـ.

* محمد إقبال[1]

بقلم الدكتور تقي الدين الهلالي

شاعر فيلسوف ناثر فقيه قانوني سياسي مرب ناقد فني.

هذه الكلمات إجمال لعبقرية محمد إقبال الذي تحتفل باكستان ويحتفل معها العالم الإسلامي بل عالم الأدب والعلم في الدنيا بأسرها بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لوفاة هذا الرجل النابغة.

ولد إقبال في بلدة (سبالكوت) في حدود كشمير من بلاد باكستان سنة ١٨٧٣م، وبعد سلوك فائق ودراسة فاضلة في المدرسة الابتدائية والثانوية توجه إقبال إلى كلية الحكومة في لاهور، وهناك لقي سر (ثوماس آرنولد) الكاتب الشهير، وكان آنذاك أستاذًا في تلك الكلية، فظهرت له أمارات النبوغ في إقبال الناشئ؛ فتلقاه بأحسن ما يتلقى به أستاذ تلميذًا وشجعه على السير إلى الأمام في طريق التحصيل.

وفي سنة ١٩٠٥م توجه إقبال إلى كمبردج وبدأ في بحثه العلمي، ثم توجه من هناك إلى هايدلبرك ثم إلى ميونيخ بألمانيا لمواصلة بحوثه، واستمر فيها حتى نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة في جامعة ميونيخ، وكانت رسالته التي قدمها للجامعة فنال بها شهادة الدكتوراه في موضوع (علم ما وراء الطبيعة عند الفرس).

وفي سنة ١٩٠٨م رجع إلى الوطن بدعوة من أولي الأمر ليتولى منصب تدريس الفلسفة والأدب الإنكليزي، واشتغل بعد بالمحاماة إلى وفاته.

---

(١) نشرت في جريدة «السجل» البغدادية، السنة (٢٢)، العدد (١٥١٩)، الأربعاء ٨ شعبان ١٣٧٢هـ ـ ٢٢ نيسان ١٩٥٣م، (ص١، ٤).

إقبال شاعر باللغة الأردية وباللغة الفارسية، وضع منهاجًا لتأليف كتاب بالإنكليزية سماه «النبي المنسي»؛ فاختطفته المنية قبل أن يبلغ فيه أمله، وألف في النثر كتبًا بالإنكليزية والأوردية هي ثروة عظيمة في العلم والأدب، لا يجود الزمان بمثل هذا العقبري إلا نادرًا كما قال الشاعر العربي:

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل[1]

وقد قال بعض المفكرين: لا يمكن أن يظفر بمثل إقبال إلا بعد مضي ألف سنة.

ونحن لا نشارك هذا القائل في رأيه؛ لأن علم هذه الأمور عند الله، لا يستطيع الإنسان أن يحدد الزمان أو المكان الذي يظهر فيه العبقري.

كان صيت إقبال قد طار وذاع في الشعر والنقد قبل أن يتوجه إلى أوروبا آفاق شهرته وذيوع صيته، وقد استفاد محمد إقبال من خزائن الكتب في كمبرج فلندن وبرلين، وانتفع بما في بطونها من ثروة علمية وأدبية فاتسع في ذلك جو تفكيره؛ ذلك بأنه عكف على القراءة ومباحثة العلماء والأدباء الأوربيين.

وقد تغير نظر إقبال إلى أمور الحياة بعد إقامته في أوربا؛ فقد نشأ فيه بغض الوطنية العنيفة التي كانت السبب الأكبر في شقاء كثير من السياسيين الأوربيين، فاختار لنفسه حياة العمل والكفاح المعتدل بلا غلو ولا تعصب، وقد أدرك إقبال في فراسته الصادقة هول الهاوية التي ينتهي إليها صراع الأوربيين في تنافسهم وتطاحنهم على المادة؛ فأخبر بما أصابهم من الشقاء بالحروب المهلكة قبل وقوعه، كأنه كان ينظر إليه من وراء الغيب.

---

(١) «ديوان أبي تمام» (١/ ٥١٣).

ومن أهم ما نشر من تأليف إقبال في حياته: الكتاب المسمى «موزي بيخود» ومعناه: سر الإيثار، ولو ترجمناه بلغة الجرائد لقلنا: (سر إنكار الذات)، نشر هذا الكتاب سنة ١٩١٨م، تكلم فيه على الفرد وكيف يذوب ويتلاشى في المجموع يعكس الماضي والمستقبل كليهما كما تفعل المرآة فيسمو عن الفناء ويدخل في حياة الإسلام الخالد غير المحدود.

وفي سنة ١٩٢٨ ـ ٢٩ أنشأ ست محاضرات في موضوع الإسلام وألقاها في مدارس مدينة مشهورة في جنوب الهند، وألقاها كذلك في حيدر آباد، وقد نشرت هذه المحاضرات تحت عنوان (تجديد بناء الإسلام الفكري)، وهي أثمن تحفة قدمها إقبال للأدب الإسلامي، وبرهن بذلك على أنه قطب دائرة الفكر الإسلامي.

حاول إقبال أن يجدد بناء فلسفة دينية إسلامية تسير جنبًا لجنب مع تطور أنواع العلم والمعارف الإنسانية.

ومن رأي إقبال أنه لا يجوز أن يقف الاجتهاد والاستنباط على زمان معين أو مذهب خاص؛ بل يجب على أهل كل زمان أن يتخذوا القرآن وما صح في السنة منارًا يهتدون به في حل مشاكلهم كلها؛ لأن لكل زمان ولكل قوم مشاكلهم الخاصة بهم، ولأن هداية القرآن والسنة غير محدودة بحد ولا مقيدة بقيد، وقد عاب على علماء الدين حصرهم هداية القرآن والسنة واستنباط الأحكام منها بزمان معين ومذاهب معينة.

وليس في الإمكان الإشارة إلى ما يتضمنه منهاج محمد إقبال من إصلاح حال المسلمين في مقال قصير كهذا.

وقبل أن أختم هذا المقال أعترف بأني لم أدرس آثار إقبال حق الدرس؛ فأعتذر عن تقصيري بأن اقتراح كتابة هذه الكلمة جاءت في وقت ضيق مع تراكم

الأشغال، فنظرت فيما كتب في سيرته بالإنكليزية، وأخذت في ذلك نتفًا وها أنذا أعرضها على القراء الكرام غير مدع التحقيق أو الكمال، ومع أني لا أؤمن بترجمة الشعر ولو كانت الترجمة نثرًا؛ فكيف إذا كانت نظمًا، فقد بدا لي أن أختم هذا المقال بقطعة مما ترجم من شعر إقبال.

قال الشيخ الصاوي شعلان مترجمًا شعر إقبال يخاطب العرب:

أُمَّةَ الصَّحْرَاءِ يَا شَعْبَ الخُلُودِ	مَنْ سِوَاكُمْ حَلَّ أَغْلَالَ الْوَرَى
أَيُّ دَاعٍ[1] قَبْلَكُمْ فِي ذَا الْوُجُودِ	صَاحَ لَا كِسْرَى هُنَا لَا قَيْصَرَا
مَنْ سِوَاكُمْ فِي قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثْ	أَطْلَعَ الْقُرْآنَ صُبْحًا لِلرَّشَادْ
هَاتِفًا فِي مَسْمَعِ الْكَوْنِ الْعَظِيمْ	لَيْسَ غَيْرُ اللهِ رَبًّا لِلْعِبَادْ

* * *

*** ترجمة الشيخ عبد الحميد الفراهي[1]**

كتب إليَّ فضيلة الشيخ محمد أجمل الإصلاحي ـ حفظه الله تعالى ـ في ١٧

---

(١) في الأصل: «منها».

(٢) دلني على هذه الترجمة ما كتبه فضيلة الشيخ محمد أجمل أيوب الإصلاحي في تقديمه لتحقيق كتاب «مفردات القرآن» للفراهي، ولما ذكر فيه (ص١١) مصادر ترجمة المؤلف؛ قال: «الترجمة الذاتية التي كتبها المؤلف ـ رحمه الله ـ بخطه في دفتر «مذكرات العلامة الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي ـ رحمه الله ـ» عندما زاره في قريته في ١٧ رمضان ١٣٤٢هـ؛ أي: قبل وفاة المؤلف بسبع سنين، وهي ـ على وجازتها ـ أوثق مصدر لسيرته، ثم ما كتبه الهلالي نفسه عن المؤلف في «مذكراته»».

وقد نقل النصين أحد تلامذته ـ وهو الشيخ أبو الليث الإصلاحي الندوي ـ رحمه الله ـ=

رمضان ١٤٣٩هـ يقول:

حضرت مع الشيخ عبد المجيد الإصلاحي ـ رحمه الله ـ مؤتمرًا عقدته الجامعة السلفية بمدينة بنارس، وكان من المشاركين الدكتور تقي الدين الهلالي المراكشي ـ رحمه الله ـ، فانتهزنا الفرصة لزيارته في غرفته، وسألناه أن يكتب ما يذكره من زيارته للعلامة عبد الحميد الفراهي ـ رحمه الله تعالى ـ، فوعدنا بذلك، وناولني في اليوم التالي بعد صلاة العشاء ورقةً صورةُ مضمونها كما نقلته آنفًا من مذكرتي، أما

= في مقاله (الإمام حميد الدين الفراهي ـ رحمه الله ـ) المنشور في مجلة «الضياء» الشهرية، التي كانت تصدر في لكنو، عدد رجب ١٣٥٢هـ، (ص٢٥٣ ـ ٢٦٠).

وقال في حاشية الصفحة نفسها: «واتفق أن قدم الدكتور الهلالي إلى الهند سنة ١٤٠٠هـ فلقيتُه في وفد من مدرسة الإصلاح، فحدَّثنا عن الإمام الفراهي، فسألته أن يكتب لنا ما يحضره عن سيرة الفراهي؛ فوعدنا، وفي اليوم التالي سلَّم لي ورقة كان أملاها على مرافقه وختمها بإمضائه: «أملاه محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي بمدينة بنارس - الهند في اليوم ٦/ ٤/ ١٤٠٠هـ»».

وذكر الهلالي في كتابه «الدعوة إلى الله» (ص٣٩٦ ـ بتحقيقي) أنه توجه إلى (بهريا) ـ وصوابها (فرايها) وهي من قرى (أعظم أكره) أحد أضلاع الإقليم الشمالي في الهند المسمى (أُترَّاه براديش) ـ للقاء العالم الأديب الشاعر البليغ الشيخ عبد الحميد الفراهي، وكانت له مدرسة كبيرة يعلم فيها علوم الإسلام واللغة العربية، قال: «ففرح بي وأكرمني، والتمس مني أن أكون مدرِّسًا في مدرسته، وعرض عليَّ راتبًا طيبًا مع السكنى والمعيشة، فاعتذرت له بأني وعدت الشيخ عبد المجيد الحريري في بنارس أن أُقيم عنده» انتهى.

ونشر الأستاذ محمد يوسف الشربجي في مجلة «جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية» المجلد عشرون، العدد الثاني، سنة ٢٠٠٤م، مقالة بعنوان (الإمام عبد الحميد الفراهي ومنهجه في تفسيره «نظام القرآن») وفيها نقل موجز عن الهلالي.

الأصل فكنت قد سلمته إلى الشيخ احتشام الدين الإصلاحي ـ رحمه الله ـ عميد مدرسة الإصلاح آنذاك.

وقد نقل نسخة منه الشيخ عبد الحميد الإصلاحي ـ أيضًا ـ وأثبت من نسخته ما دون الخطبة الدكتور شرف الدين الإصلاحي في كتابه «ذكرِ فراهي» (ص٧٨٧).

وهذا صورة ما أملاه الهلالي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل محبة كتابه ومحبة لغة كتابه ورسوله من آيات الإيمان، أحمده على ما أولانا من الفضل والإحسان، وأشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو الكريم المنان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المرسل إلى الإنس والجان، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، أما بعد:

فسأذكر ما أعرفه من سيرة العالم الكبير الأديب الشهير الأستاذ الشيخ عبد الحميد الفراهي ـ رحمة الله عليه ـ.

ولد سنة ١٢٨٠ للهجرة وتوفي سنة ١٣٤٩ للهجرة، لقيته ـ رحمة الله عليه ـ سنة ١٣٤٢ للهجرة وضيفني وأكرمني ودعاني إلى التدريس في مدرسته، فسألته أن يمهلني حتى أتم جولتي في ربوع الهند، ولم يقدر لي لقاؤه بعد ذلك، وأهدى إلي تفسير سور من المفصل كتبها بطريقته الخاصة؛ وهي مراعاة المناسبة بين كل جملة وجملة حتى تكون السورة كلها متناسبة في المعنى، وهذا قد كلفه تفكرًا طويلًا يحتاج إلى زمان طويل، ولكن همته العالية تستسهل الصعاب في بلوغ الآراب، ولم أر في بلاد الهند من بومباي إلى كلكتا مثله في علوم الأدب العربي، فرحمه الله

رحمة واسعة، وأجزل ثوابه، وألحقنا به مؤمنين؛ آمين.

أملاه: الدكتور محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي

بمدينة بنارس ـ الهند

في اليوم ٦ ـ ٤ ـ ١٤٠٠هـ ربيع الثاني

(ختم) إمضاء الدكتور تقي الدين الهلالي

واعتنى العلماء بمدح الهلالي وثنائه للفراهي، فقال الباحث أبو زار متين أحمد في أطروحته للدكتوراه «مساهمة عبد الحميد الفراهي في اللغة العربية وآدابها»[1] (ص١٥٤ ـ مرقومة) ما نصه:

«وكذلك لما قدم العلامة تقي الدين المراكشي في ستمبر سنة ١٩٣٠م إلى دار العلوم ندوة العلماء كمدرس أعلى للأدب العربي، فزاره في سنة ١٩٣١م إلى المديرات الشرقية؛ كبنارس، أعظم كره، مبارك فور من ولاية اترابراديش، وكان السيد أبو الحسن الحسني الندوي موافقًا له، وهو يلقي الضوء على هذه الرحلة قائلًا:

«ولعله قام سنة ١٩٣١م بجولة إلى المديرات الشرقية كبنارس، أعظم جره، مبارك فور، وكنت موافقًا له طوال السفر كخادم وترجمان، وكان ذلك في رمضان المبارك الموافق لشهر ديسمبر أو يناير، وقد مكثنا في هذا السفر أيامًا بدار المصنفين (أعظم جره)، وكان ذلك أول عهده بزيارة دار المصنفين، أما الإفطار فكنا نتناول[2]

---

(١) بإشراف الدكتور أبي سفيان الإصلاحي، في مكتبة عليكره الإسلامية في الهند، سنة ٢٠٠٦م.

(٢) في الأصل: «تناول».

معًا، وأما السحر فقد كنت[1] أنـا والشيخ الهلالي نتناوله[2] في منزل العلامة سيد سليمان الندوي»[3].

فلقي الدكتور الهلالي في هذا السفر من الفراهي في قريتـه (فريهـا)، فـسأله الشيخ عبد المجيد الحريري (ت١٩٧٢م بمدينة بنارس)[4]: كيف وجدت مولانا الفراهي؟ فأجابه الشيخ الهلالي: «هو بحر آخر لا ساحل له»[5].

أمـا صـورة مـا كتبـه أبـو الليـث الإصـلاحـي وضمنـه ترجمـة الفراهـي لنفسـه وما كتبـه الهلالي في «مذكراتـه»، فهو منشـور في مجلة «الضيـاء» الهنديـة، المجلد الثاني، العـدد السابع، رجـب ١٣٥٢هـ، (ص٢٥٣ ـ ٢٦٠)، وهـذا ما فيه بطوله:

---

(١) في الأصل: «كانت».

(٢) في الأصل: «تناوله».

(٣) راجع: مجلة «ثقافة الهند»، دهلي، المجلد (٤٢)، العدد (٤)، ١٩٩١م، (ص٣٢).

(٤) ولد ببنارس ـ الهند، وتوفي فيها، هو من رجال العلم المعروفين في شبه القارة الهندية والأقطار العربية، وكان من كبار المشرفين على الجامعة السلفية المركزية ببنارس ـ الهند، وكانت له صداقة وزمالة مع أكثر زعماء حركة التحرير في الهند، ولما تحررت الهند استخدمته حكومة عهد الاستقلال في مفوضية الهند في جدة التي تحولت فيما بعد إلى السفارة، أخيرًا ترك الخدمة واشتغل بالعلم وعكف على ترتيب فهارس بعض المكتبات الأثرية في المدينة المنـورة، راجـع لسيرتـه: مجلة «البعث الإسلامـي»، لكناؤ، المجلد (١٧)، العدد (٨)، ١٩٧٣م، (ص٩٩)، ومجلة «معارف»، أعظم كره، المجلد (١١١)، العدد (١)، ١٩٧٣م، (ص٧٦)، وسبق كلام الهلالي عنه.

(٥) راجع: «ذكر فراهي» (ص٧٨٣).

* الإمام حميد الدين الفراهي

للسيد شير محمد الندوي الإصلاحي

قد أظهرتُ في العدد الرابع للسنة الأولى من «الضياء» الغراء في ترجمة المجاهد الكبير البطل الأعظم السلطان تيبو رغبتي في أن أنشر لقراء «الضياء» أحوال بعض المشاهير من أهل الهند ومن الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأودعوا أعمالهم الكبيرة بطون الأسفار والتاريخ، ولكن لم يتيسر لي حتى الآن أن أقوم بهذا الأمر حتى استدار الزمان وأتى الشهر الذي توفي فيه الأستاذ الإمام وهو جمادى الثانية؛ فانبعثت في قلبي دواعي الأسى، وامتلأ روعي حزنًا بتذكار ما أصاب العالم الإسلامي - خصوصًا مسلمي الهند - قبل ثلاث سنين في هذا الشهر من موت أكبر عالم - فيما أعلم - على وجه الأرض؛ وهو الإمام العلامة حميد الدين الفراهي، الذي كان آية من آيات الله في معرفة التفسير وحل مشكلات الكتاب المبين، فأردت أن أكتب نبذة من سيرة هذا الإمام الحكيم على سبيل التذكرة بقدر الاستطاعة، وأقدِّمها إلى قراء هذه المجلة، فإن من مقاصدها أن تُبرز لقراءها - حسب سَعَة نطاقها - أحوال أكابر العلم والحكمة وأبطال النهضة الفكرية في بلاد الهند، والشيخ العلامة حميد الدين الفراهي من الذين قلما يجود بمثله الزمان إلا بعد السنين الطوال.

ولد ١٨٦٤م في شهر جمادى الثانية في (فريها)؛ وهي قرية من قرى (أعظم كره)، ونشأ في حضن أبوين كريمين من أسرة عريقة في المجد، وقرأ القرآن وحفظه وهو ابن عشر سنين أو نحوها، واشتغل بعد ذلك - كدأب أبناء العائلات الشريفة في الهند - باللغة الفارسية، وقرأها على رجل من أهل قرية (حتارا) من القرى المتصلة بقريته، واسمه مهدي حسن، وكان يُجيد الفارسية، وهو وإن لم يشتغل بها إلا مدة

ستة أشهر كما هو معروف عندنا؛ ولكنه مع ذلك تحصلت له فيها ملكة باهرة وبلغ بقريحتـه الوقادة درجته، أخذ بعد مدة يسيرة يقرض الأبيات ويباري فيها شعراء الفارسية المشهورين؛ فإنه تتبع وهو ابن ست عشرة سنة قصيدةً صعبة الرديف لأكبر شاعر فارسي وهو الخاقاني، وأجاد فيها حتى أعجب بها العارفون باللغة الفارسية لبلاغتها المدهشة وأسلوبها البديع الآخذ بالقلوب، ويقال أن هذه القصيدة المشار إليها لما سمعها العلامة شبلي النعماني ـ تغمده الله برحمته ـ فرح بها واستحسنها كثيرًا وذهـب بها إلى الأديب الشهير في اللغتين الفارسيـة والعربية الشيخ محمد فاروق الجرياكوتي وأنشدها لـه من غير أن يبين قائلها، وسألـه: هل لك علم بقائل هذه الأبيات؟ فأجاب: ليس لي به معرفة، ولكني أظن أنها لأحد الشعراء المتقدمين.

وله «ديوان شعر» في الفارسية قد اعتنى بجمعه وطبعه أخوه الحاج الشيخ رشيد الدين الفراهي ناظر مدرسة الإصلاح.

وبعدما تضلَّع من اللغة الفارسية، شرع في تعلم اللغة العربية وهـو إذ ذاك في الرابع عشر من عمره، وقرأ المتوسطات من كتب الدرس النظـامي عـلى ابـن عمته العلامة شبلي النعماني وهو أكبر منه بست سنين، ثم ارتحل إلى لكنـو وأقـام مدة عند الفقيه الشهير الشيخ أبي الحسنات عبد الحي يأخذ من العلـم، ثـم قـاده الشوق وهداه إلى الأديب الطائر الصيت فيض الحسن السهارنفوري، الذي طار صيت فضله في الآداب إلى الأقطار البعيدة، وكان إذ ذاك مجمع الطلاب من كـل قطر ومَحَطَّ رحالهم يأتون إليه من كل حدب وصوب، فأقام عنده في لاهور مـدة يستقي من بحر علمه ويروي غليل صدره حتى بـرع في الآداب وبلـغ في العلـم رتبة قلما بلغها أحد من رجال الهند، وما كنت مبالغًا إن قلت أنه فـاق في العلـوم على جميع أساتذته، حتى صرح العلامة شبلي النعماني في مجلة «الندوة» عند تقريظ

كتاب ألَّفه المترجم في البلاغة؛ أنه فقيد المثال وعديم النظير في الأدب، وبعدما بلغ في العلوم العربية منزلة ترنو إليها الأبصار وتطمع فيها القلوب؛ لم يقنع بها وأخذ يتعلم اللغة الإنكليزية وإن كان تعلُّمُها مبغوضًا عند المسلمين إذ ذاك، وشرع فيها وهو في العشرين من عمره، وبقي بها مشتغلًا سنين حتى فاز بشهادة البكالوريا (B. A.) سنة ١٨٩٢م بكلية آله آباد، وتعلم العلوم الجديدة بعد العربية وإن لم يكن الآن في الهند بدعًا ولا من خوارق العادة، فكثير من الناس يجرون هذا المجرى ويختارون هذا السبيل، ولكن هنا فرق كبير بينه وبينهم، فإن أكثر هؤلاء يجعلون ما قرؤوه من العلوم نسيًا منسيًّا عند اشتغالهم بالإنكليزية، ويمحون كل أثر لها في أذهانهم، أما العلامة حميد الدين فليس حاله كهؤلاء؛ فإنه بقي آخذًا عليها بالنواجذ، وشرح أسبابها يطول، وهذه العلوم الحديثة ما ذهبت به مسلك كثير من المتفرنجين من هذه البلاد وما أهدتهم إلى ديدنهم من استحقار الحضارة الإسلامية وعلومها واستقذار أسلافهم واستكراه زيِّهم وملابسهم وعاداتهم؛ بل عكس ذلك زادته صلابة في الدين وتشددًا في الأمور التي نرى التشدد فيها خيرًا من وِجهتي الدين والعقل، فكان ـ رحمه الله ـ جامعًا للورع والزهد والعلم والفضل والأخلاق الفاضلة التي كان السلف مختصين بها، ومثالًا للحرية في العقائد، وسَعَة الاطلاع على العلوم العصرية، والمعرفة التامة بالأحوال الحاضرة، ووقوف حقيقي على مقتضيات الزمان، وغيرها من الخصال التي هي مفخرةُ الفضلاء المتنورين لهذا الزمان، فصار بها استكنز الخصال الحسنة لأهل الفريقين، وبها أوعى العلوم العصرية والإنكليزية والعلوم العربية والدينية؛ مجمع البحرين يلتقيان وبينهما برزخ لا يبغيان، ومطلع البدرين يطلعان في أفق واحد ويضيئان أهل الدنيا جميعًا.

ـ **بعض أعماله العلمية في زمن التعليم:**

ولما ذهب إلى جامعة عليكره بعد فراغه من العلوم العربية ليكتب اللغة الإنكليزية والعلوم الحديثة؛ استكفى له السر سيد أحمد خان ما قرأه في العربية والفارسية، ورفع عنه مؤنة حضوره في درس هاتين اللغتين، وكان تعلُّمهما واجبًا إذ ذاك على كل طالب، وكتب إلى ناظر الجامعة أن الشيخ حميد الدين في هاتين اللغتين كأحد ممن يعلمهما وليس معرفته بهما بأقل منهم، وكان السر سيد أحمد خان معترفًا بطول باعه في اللغتين، ومقرًّا بتبحره فيهما؛ فإنه أمره وهو مقيم معه في عليكره أن يترجم لطلبة الجامعة «تاريخ بدء الإسلام» للعلامة شبلي النعماني من العربية إلى الفارسية، وكذا أمره أن يترجم إليها جزءًا من «طبقات ابن سعد» الذي عثر عليه السر سيد أحمد خان قبل طبع هذا الكتاب، وهذان الكتابان قد طبعا وأدخلا في دروس الجامعة، وكفى بهما دليلًا على إتقانه في هاتين اللغتين.

ـ **وظائفه:**

وبعدما قضى وطره من العلوم تقلب في وظائف عديدة؛ فتولى سنة ١٨٩٧م منصب التدريس في مدرسة الإسلام بكراتشي وبقي عليه إلى سنة ١٩٠٦م مشتغلًا بالدرس والتدريس وتأليف الكتب، وثم نصب معلـمًا للعربية في كلية عليكره وظل بها مُثابرًا على العمل المفوض إليه بالتصنيف إلى ١٩٠٨م، ثم انتخب أستاذًا في كلية آله آباد، وأقام بها حتى انتقل من هناك سنة ١٩١٤م إلى حيدر آباد متوليًا على رئاسة مدرسة دار العلوم العربية الأميرية، ولبث بها إلى سنة ١٩١٩م قائمًا بشؤون المدرسة، واصلًا جهاده بالتدريس فيها وتأليف أجزاء «تفسيره»، ثم لما رأى أن الاشتغال بأمور المدرسة وتوليته على أمورها يمنعه عن الانقطاع إلى مطالعة القرآن ويُلهيه عن التجرد بالعكوف على عمله؛ تركه وانقطع

عن غير القُرآن إليه، وأراد أهل الحل والعقد من أعيان الدولة وأمرائها والذين عرفوه كما كان أن يمنعوه عما أراد من ترك خدمته، ولكنه لم يرض بذلك، وأبى الاشتغال بأمور يرى الاشتغال بها خيرًا من غيرها، والآن قد اقتربت ساعة تنفيذ الخطة الشريفة التي كان يصبو إليها العلامة شبلي منذ كان الأستاذ متوليًّا على الوظائف وهو توليته على دار المصنفين وعلى مدرسة الإصلاح وأخذ زمامها بيده، فإنه كتب إليه وهو معلم في كلية آله آباد يدعوه إلى الاجتماع به في مدرسة الإصلاح لأيام لينظما أمورها على نظام أبدعاه بعد تجاربهما العلمية الكثيرة[1]، وكتب إليه في آخر حياته وهو في حيدر آباد كتابًا ينبئ عن يأسه عن الحياة لأمراض كثيرة استولت عليه، وختم هذا الكتاب بقوله: «إن تأسست دار المصنفين فمن غيرك يقوم بشأنها؟»، فلما رجع الأستاذ إلى وطنه؛ صرف وجهه عن كل شيء إلى دار المصنفين، وكان رئيسًا لمجلسها الإداري وأحد مُؤسِّسيها وانقطع إلى التأليف والتدوين والنظر في القرآن ومعانيه وتدريس القرآن وإلقاء الدروس على من اجتمعوا حوله من التلامذة، فأنتجت هذه الأعمال التي قام بها إلى آخر حياته نتائج حسنة يعرف قدرها ذوو الأبصار، وقبل أن أشرح أعمالها الخالدة يحسن بي أن أصف لكم أخلاقه وصفاته.

ـ صفته وأخلاقه:

وأما وصفه فكما قال الأستاذ العلامة تقي الدين الهلالي: (أسمر اللون، حسن الملامح، طويل القامة، وكانت لحيته مستديرة بيضاء ناصعة)، وأما أخلاقه فزهد غريب وعلو نفس عن الدنايا وبعد عن الرياء وتواضع مع كل إنسان، كان مثلًا للورع والتقوى، ومثالًا في سائر الصفات الكاملة، متحليًا بالعادات الحسنة

---

(١) «مكاتيب شبلي» المجلد الثاني (ص٣٣). (منه).

ومتصفًا بالأخلاق الفاضلة التي قلما تجتمع[1] في أحد في آن واحد، طويل السكوت، فكه الحديث إذا تكلم، عابدًا لله، زاهدًا في الدنيا، بعيدًا عن لذاتها، كان يقوم الليل والناس نيام، وأحيانًا يتجافى جنبه عن المضجع، يتهجد في الليل ويتلو القرآن والدمع يجري من عينيه، إذا صلى صلى كأنه يرى الله، تمثلت فيه أخلاق العلماء المتقدمين، وظهر فيه جليًّا ما يصفون به أولياء الله حتى نقدر به فضلهم ونشم فيه رائحتهم، وهو وإن أخذ من الإنكليزية والعلوم الحديثة ما أخذ ولكنها لم تؤثر في شيء منه غير تأثير قوي في توقد الذهن وتنويره بحد تام، كان يباشر أكثر أعماله بنفسه لا يكلف أحدًا لأمره إلا إذا اضطر إلى ذلك، وكان يمتنع إذا أراد أحد أن يقوم بحاجة له صغيرة كانت أو كبيرة بالطريق الحسنى، وكانت له جاذبية غريبة قلما وجدت في غيره، كان ساذجًا في زيِّه وملابسه ومطعمه مع سعته ويسره، لم يمسه الأود ولا العجب ولا الخيلاء مع كل ما أعطاه الله من كنز العلم ومفتاح أبواب العرفان، كأنه لم يكن يعرف ما فضَّل الله به عليه، فكان يعيش عيشة الزهاد والمتقين، ليس عليه آثار الغناء ولا علائم إمامته في العلوم، حتى لم يكد من لا عهد له به من قبل أن يعرفه برويته كما هو أو يعلم أنه رجل عالم، وقد اتفق لي هكذا؛ فإني متى شرعت في تعلم اللغة العربية ودخلت الصف الأول من مدرسة الإصلاح، ورأيته هناك مع جمع من الأساتذة، وكان يأتي إليها ويقيم هناك في كل أسبوع ثلاثة أيام، فلم أميِّز بينهم وزعمت أنه كأحد منهم، حتى انكشف لي بعد مدة حقيقة أمره فعلمت منزلته من بينهم، كان زاهدًا في الدنيا، قانعًا بما أعطاه الله، غير مستشرف لدولة ولا رام بطرفيه إلى إمارة، فطر على الاستغناء عن كل شيء، وقد قدمت إليه الدهر وسائل لبلوغه أقصى مراتب العز والشهرة، وانقاد له ما تصعب، وسهل له ما توعر منها، وصار

---

(١) في الأصل: «يجتمع».

له الحظ قريب المتناول وسهل المرام، ولكن لم يمل به بارقة طمع، فإنه عيِّن ترجمانًا عندما سافر اللورد كرزن الحاكم العام في الهند إلى الشواطئ الغربية والخليج الفارسي لحسم الخلاف الواقع بين الحكومة البريطانية وبين شيوخ العرب، فرافقه إليها، والخطبة التي ألقيت عليهم بالعربية من الحاكم العام إنما كان هو أبا عذرها، فلو أراد شهرة أو منصبًا جليلًا من مناصب الدولة لنالها بكل سهولة بواسطة الحاكم العام، ولكن لم يطمع في شيء منها، ولم يطمع ببصره إليها؛ بل عكس ذلك ترى موقفه حينئذ مقام قناعة ونزاهة نفس، فإنه قرَّض في سفره مع اللورد كرزن أبياتًا، نشرها بعد موته الأستاذ العلامة السيد سليمان الندوي في عدد من مجلة «معارف» الغراء، وهذه الأبيات تدل على بُعد همته، وعلى كونه في هذا الموقف بمعزل عن ابتغاء المال والشهرة؛ وهي:

نادان در جستجوے کام افتادہ است — دانا در جستجوے نام افتادہ است
بگریز فراہیا! ازین ہر دو کہ زود — بینی کہ گلوے شان بدام افتادہ است

الترجمة: إنما الأحمق في طلب الرزق، والعاقل في طلب الشهرة وحسن الصيت، أما أنت أيها الفراهي فلا تطلب قرب واحد منهما فإنك ترى قريبًا أعناقهم معقودة في شباك.

گویند کہ گمنام بدن از خامی است — آوازہ و نام جو کہ خوش فرجامی است
در پیش فراہی سے اے نکو اندیشان — این جستن نام بدترین بدنامی است

الترجمة: يقولون أن خمود الذكر من عدم نضوج عقل المرء، فاطلب الشهرة والذكر فإنها من حسن حظ المرء، ولكن أيها المتفكرون البارعون! إن طلب الشهرة

عندي والسعي في نيل طيب الذكر لما هو شين وعار على المرء عظيم.

خاک ہے گر جہان میں کچھ ہے ‏ ‏ ‏ ‏ وہم ہے گر گمان میں کچھ ہے
تجھ پہ کیا اعتبار اے ہستی ‏ ‏ ‏ ‏ آن میں کچھ ہے آن میں کچھ ہے

الترجمة: كل ما في الأرض كالتراب، ووهمٌ كل ما في الذهن، فكيف أعتبر بك أيها الكون وأنت تتغير في كل آن؟!

فإن هذه الأبيات لشاهدة على نفوره من طلب الشهرة، والبلوغ إلى مرتبة عالية، في حين سهل له تناولها، وليس لي حاجة أن أُبين لكم الشواهد على ذلك فإنها كثيرة لا تحصى، وأيُّ شاهد أكبر مما ذكرت، ومن أنه ترك شهرية قدره ألف روبية، وترك منصبه الجليل الذي يتمناه الرجال العظام بدون سبب سوى نفوره عن الشهرة وقناعته بقليل من المال وابتغائه الانعزال والتجنب عن الناس، وهو وإن كان يُخفي نفسه عن عيون الناس، ولكن من المحال أن تحجب الشمس في رابعة النهار، فقد اتفق رجال العلم من أهل الهند من الذين طالعوا كتبه ودرسوا أجزاء «تفسيره للقرآن» أو حظوا بلقائه؛ أن الشيخ حميد الدين قد فاق على جميع أقرانه في العلوم، خصوصًا علوم القرآن، حتى لا يُشَقُّ فيها غباره، وهكذا بلغت شهرته في العلم والفضل إلى الآفاق البعيدة والبلاد الشاسعة؛ كمصر والشام والحجاز وغيرها من البلاد الإسلامية، فقد كتب الأستاذ الحجة السيد رشيد رضا منشئ «المنار» الغراء تقريظًا على كتبه؛ أبدى فيه إعجابه بها وأثنى على مؤلفها ثناءً جميلًا، وقد زاره في قريته الشيخ العلامة محمد تقي الدين الهلالي رئيس أساتذة آداب العربية في دار العلوم لندوة العلماء عند رحلته الأولى إلى الهند ١٣٤٢هـ، كما زار غيره من أساطين العلم والأدب من أهل الشام ومصر والحجاز وغيرها،

فمرة كنت أُقلِّب أوراق محفظة أستاذنا العلامة عن أحوال سفره إلى الهند وكنت أجيل نظري فيه؛ فإذا رأيت في موضع منه تحريرًا بيد العلامة حميد الدين، فعرفته سريعًا عندما وقع نظري عليه لعهدي بخطه من قبل، ذكر فيه الإمام باختصار تام تاريخ ولادته وشروعه في التعاليم وتوليته على الوظائف العديدة، أنقله للقراء في ختام هذه المقالة بنصه، ووجدت على طرف آخر من «مذكرات العلامة تقي الدين الهلالي» عن صفات الإمام ما أنقله ههنا بنصه:

«وللشيخ المذكور (حميد الدين) «ديوان شعر» سمعته منه، بليغ مؤثر في استنهاض همم المسلمين وبثِّ الحياة في قلوبهم وذكر عداء الإفرنج لهم وذكر حرب طرابلس والحرب الكبرى، والرجل فصيح في التكلم لغاية، نادر في علماء العرب فضلًا عن علماء الهند وسنُّه تخمينًا (٧٠)، وقد أسس مدرسة سماها مدرسة الإصلاح لا يدرَّس فيها إلا القرآن الذي هو ضالته المنشودة، وسمعت من خطبة تفسيره للقرآن اغرورقت منها عيناي لفصاحتها وحقيتها، وهو عارف بمسألة الخلافة محقق لها، لا يلتبس عليه شيء من أمرها خلافًا لأهل الهند، نجتهد[1] في العقائد والعمليات، لا ينتمي لمذهب لكنه يتعبد على مذهب الحنفية، لأنه نشأ عليه، ويعتقد أن الأمر في مثل ذلك سهل، أسمر اللون، حسن الملامح، طويل القامة، لحيته مستديرة بيضاء ناصعة، ماهر في الإنكليزية والعربية والفارسية والأوردية، تقلب في وظائف عديدة؛ منها أنه كان مدرسًا عاليًا في عليكره، وبالجملة فهو أعلم من لقيت قبل هذا الحين وهو ١٧ رمضان ١٣٤٢هـ».

- أعماله الخالدة:

أما أعماله فكثيرة لا يحيط بها بيان، ويحتاج ذكرها إلى دفتر طويل، ومن

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: «مجتهد».

الجدير بالذكر هنا «تفسيره للقرآن» على طـراز جديـد وأسـلوب بـديع لم يعهـده الزمان، وكيف؛ وقد أفنى فيه عمره، وعكف على مطالعـة القـرآن نحـو ثلاثـين سنة، فأتى بعد ذلك بعجائب ودبجت يراعته ما هو مفخـرة للهنـد وللمـسلمين عامة، كان يعتقد أن القرآن يفسر بعضه بعضًا، وأن آياته متسقة النظـام ومتـصلة بعضها ببعض، خلافًا لما قال أكثر المفسرين، فمن قدم سورة أو آية منه أو أخَّرها فقد أفسد نظم القرآن وذهب بروعة الكلام وأفنى ما فيه من البلاغـة والحكمـة، وقد أتى على ذلك ببراهين واضحة وأقام عليه حججًا قاطعة، وقد أفرد بهـا كتابًـا سماه «نظام القرآن»، وهو لم يطبع حتى الآن، ومن دلائله على ذلـك أنـه لم يكـن للآيات والسور نظام واتساق لما كان لأمر النبي ﷺ عنـد نـزول القـرآن بوضـع بعض الآيات في سورة والأخرى في سورة أخرى معنىً، وقد ثبت من الروايات الصحيحة أن النبي ﷺ كانت تنزل عليه السورة ذات العدد، فكان إذا نزل عليـه الشيء دعـا بعض من كـان يكتـب فيقول: ضعوا هـذه الآيـات في السـورة التي يذكر فيهـا كذا وكذا. قصارى الكلام أن الأسـتاذ الإمـام كـان آيـة من آيات الله في معرفـة القرآن وحل معضلاتـه، وطبعـت أجزاء من تفسـيره المسمى بـ «نظام القرآن»[1]، وبقيت ذخيرة منها لم تطبع حتى الآن.

ومن تصانيفه: «الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح»[2] وهي رسالة استشهد فيهـا بآيات من التوراة والقرآن على كـون سيدنا إسماعيل ـ عليه السلام ـ ذبيحًا

---

(١) طبع عن دار القلم ـ دمشق.

(٢) طبع عن دار القلم سنة ١٤١٨هـ، وأبطل فيه ما زعم اليهود من أن الذبيح إسحاق ـ عليه السلام ـ، وكشف عن تحريفـاتهم لإثبات ذلك في التوراة، وشرح الأسباب الداعية إلى تأليفه.

بأمر الله، وأزال فيه الستار عن تحريف اليهود في التوراة.

وقد حقق الأستاذ هذه المسألة للعلامة شبلي ـ رحمه الله ـ عند اشتغاله بتصنيف كتابه الشهير في سيرة النبي ﷺ، وبعدما قضى شبلي النعماني وطره منها؛ طبعه الأستاذ بعد الاستقصاء التام وزيادة بعض الأشياء.

ومنها: «إمعان في أقسام القرآن»[1] بحث فيه عن كلمة (القسم) في القرآن، وبين فيه ما يزيل الوهم ويحسم جراثيم الشكوك التي يعارض الأذهان عند تلاوة آيات الأقسام، وهو وإن سُبق في بيان هذه المسألة؛ فقد أراد الرازي ـ رحمه الله ـ في «تفسيره» الكشف عن وجوهه، وقد أفرد لها ابن القيم كتابًا سماه «التبيان في أقسام القرآن»، ولكن الحق أن من طالع «الإمعان» وعرف ما كتب هذان الإمامان ذوي الإتقان في علوم القرآن والشريعة؛ يشهد أنهما وقعا في الغُمَّة التي لم تنجل عنهما، والمضيق الذي لم يخرجا منه، فكشف الإمام عن وجه هذه المسألة حتى أسفرت وصارت واضحة، ومن شك فيما أقول؛ فعليه أن يراجع هذا الكتاب.

ومن أهم تصانيفه: كتابه الشهير بـ«جمهرة البلاغة» في بلاغة القرآن ونظم آياته والرد على أرسطو، وقرّظه العلامة شبلي النعماني في مجلة «الندوة» لشهر ديسمبر ١٩٠٥م وأثنى عليه ثناءً حسنًا جميلًا، وجعله للمسلمين بمثابة الماء الزلال للعطشان.

ومن أعماله: مدرسة الإصلاح، وهذه مدرسة عربية دينية، ولها من المزايا ما لا توجد في غيرها من المدارس المنبثة في الهند، وكان ناظرًا فيها إلى آخر حياته، وكان يأتي إليها ويقيم فيها ثلاثة أيام ولياليها، يلقي فيها دروس القرآن على الأساتذة

---

(١) نشر عن دار القلم والدار الشامية عام ١٤١٥هـ.

وعلى كبار الطلبة، وكان ينظر في شؤون التعليم العربي، ويفكر دائمًا في قائمة الدروس الجارية في المدارس العربية فيراها بالية عقيمة، فحسَّنها وأوجزها وأصلحها وألغى العلوم الغير المنتجة، فجاءت قائمة دروس هذه المدرسة بديعةً، كان من إرادتي أن أنقلها وأزِفَّ إلى القراء بنات أفكاره التـي أبداهـا في هذه القائمة وأن أبين بعض خصائص هذه المدرسة ومعلميها ـ وهم أساتذتي ـ، ولكن قد ضاق نطاق المجلة، وسنفصلها[1] فيما بعد ـ إن شاء الله تعالى ـ.

ونختم هذه المقالة بنقل تحريره المشار إليه من قبل، قال عبد الحميد الفراهي:

«إني ولدت في قرية (فريه) من قرى أعظم كره في ١٢٨٠هـ في شهر جمادى الثانية، وحفظت القرآن المجيد وأنا ابن عشرة سنين أو بقـرب منهـا، وتعلمـت اللغة الفارسية في مدة تسعة أشهر، ولكـن لم أشـتغل بهـا إلا بعـد عـامين لتتـابع الأسقام، وشرعت في تعلم اللغة العربية وأنا ابن أربع عشرة سنة، وقـرأت أكثـر كتب الدرس النظامي على ابن عمتنا العلامـة شـبلي، ثـم تتلمـذت عـلى بعـض مشاهير علماء الهند؛ مثل: مولانا عبد الحي الفرنجـي المحـلي في لكنـو والأديـب الشهير مولانا فيض الحسن السهارنفوري في بلدة لاهور، ثم كابدت الأمـراض ولم أشتغل بتحصيل علم مدة سنة، ثم شرعت في تعلم اللغة الإنكليزية وفنونهـا المتداولة...، وبعد ذلك بقيت سنتين أحَصِّل علم القوانين الجارية مـع كراهيتـي

---

(١) قد صحت عزائمنا على أن ننشر سلسلة من المقالات عن المراكز العلمية الأدبية؛ مثل: دار المصنفين، وندوة العلماء، والجامعة الملية بدهلي، ومدرسة الإصلاح بسراعير، ومعهد ديوبند.

وأيضًا النية معقودة على نشر سلسلة أخرى عن مشاهير علماء الهند وعظمائها، الذين يرجع إليهم الفضل في النهضة الفكرية الحديثة. «**الضياء**».

الاشتغال به فنبذته، وتوليت خدمة التعليم في مدارس عديدة؛ فكنت المعلم (بروفيسر) في كلية علي كره وكلية آله آباد والصدر (پرنسپل) في كلية حيدر آباد دكن.

ولما كان هذه المشاغل تمنعني عن التجرد بمطالعة القرآن المجيد لا يُعجبني غيره من الكتب التي مللت النظر في أباطيلها غير متون الحديث وما يُعين على فهم القرآن، فتركت الخدمة ورجعت إلى وطني وأنا بين خمسين وستين من عمري، فيا أسفي! على عمر ضَيَّعته في أشغال ضرها أكبر من نفعها، ونسأل الله الخاتمة على الإيمان».

* * *

*** منقبة للملك فيصل ـ قدَّس الله روحه ـ**[1]

قبل بضع سنين كنت مقيمًا في باريس، عند أحد الإخوان من الموحِّدين، وكنت قد سمعت بأن الطبيب الجراح الشهير الدكتور موريس بوكاي ألَّف كتابًا بيَّن فيه أن القرآن العظيم هو الكتاب الوحيد الذي يستطيع المثقف ثقافة علمية عصرية أن يعتقد أنه حق منزل من الله ـ تعالى ـ، ليس فيه حرف زائد ولا ناقص، وقلت للأخ الذي أنا مقيم عنده: أريد أن أزور الدكتور موريس بوكاي لأعرف سبب نصرته لكتاب الله ولرسول الله ﷺ. فلم يجبني؛ بل ذهب إلى الهاتف (التليفون) وتكلم مع الدكتور موريس بوكاي، وقال له: إن عندي الدكتور محمد تقي الدين الهلالي البالغ من العمر سبعًا وثمانين سنة؛ يريد أن يزورك ويتحدث معك. فقال

(١) نشرت في مجلة «البحوث الإسلامية» السعودية، العدد الحادي عشر، ذو القعدة ـ ذو الحجة ١٤٠٤هـ/ محرم ـ صفر ١٤٠٥هـ، (ص٣١٣ ـ ٣١٨).

له: أنا أزوره الآن. وبعد قليل طرق الباب، فذهب صاحب البيت وفتح الباب؛ فإذا الدكتور موريس بوكاي قد جاء، فدخل علينا، ففرحنا بزيارته وقلت له: أرجو من فضلك أن تحدثنا بسبب تأليفك لكتابك «التوراة والإنجيل والقرآن في نظر العلم العصري». فشرع يتكلم فقال لي: إنه كان من أشد أعداء القرآن والرسول محمد ﷺ، وكان كلما جاءه مريض مسلم محتاج إلى علاج جراحي يعالجه، فإذا تم علاجه وشفي يقول له: ماذا تقول في القرآن؛ هل هو من الله ـ تعالى ـ أنزله على محمد، أم هو من كلام محمد نسبه إلى الله افتراءً عليه؟ قال: فيجيبني: هو من الله ومحمد صادق. قال فأقول له: أنا أعتقد أنه ليس من الله وأن محمدًا ليس صادقًا. فيسكت، ومضيت على ذلك زمانًا حتى جاءني الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية؛ فعالجته علاجًا جراحيًّا حتى شفي، فألقيت عليه السؤال المتقدم الذكر. فأجابني: بأن القرآن حق، وأن محمدًا رسول الله ﷺ صادق. قال: فقلت له: أنا لا أعتقد صدقه. فقال لي الملك فيصل: هل قرأت القرآن؟ فقلت: نعم قرأته مرارًا وتأملته. فقال لي الملك فيصل: هل قرأته بلغته أم بغير لغته؛ أي: بالترجمة؟ فقلت: أنا ما قرأته بلغته؛ بل قرأته بالترجمة فقط. فقال لي: إذن أنت تقلد المترجم[1]، والمقلد لا علم له؛ إذْ لم يطلع على الحقيقة، لكنه أُخبر بشيء فصدقه، والمترجم ليس معصومًا من[2] الخطأ والتحريف عمدًا، فعاهدني أن تتعلم اللغة العربية وتقرأه بها، وأنا أرجو أن يتبدل اعتقادك هذا الخاطئ. قال: فتعجبت من جوابه! فقلت له: سألت كثيرًا قبلك من المسلمين؛ فلم أجد الجواب إلا عندك. ووضعت يدي في يده وعاهدته على أن لا أتكلم في القرآن ولا في محمد إلا إذا

---

(١) في الأصل: «للمترجم».

(٢) في الأصل: «معصوم منه».

تعلمت اللغة العربية، وقرأت القرآن بلغته، وأمعنت النظر فيه، حتى تظهر لي النتيجة بالتصديق أو بالتكذيب.

فذهبت من يومي ذلك إلى الجامعة الكبرى بباريس إلى قسم اللغة العربية، واتفقت مع أستاذ بالأجرة أن يأتيني كل يوم إلى بيتي ويعلمني اللغة العربية ساعة واحدة كل يوم حتى يوم الأحد الذي هو يوم الراحة، ومضيت على ذلك سنتين كاملتين لم تفتني ساعة واحدة، فتلقيت منه سبع مائة وثلاثين درسًا، وقرأت القرآن بإمعان، ووجدته هو الكتاب الوحيد الذي يضطر المثقف بالعلوم العصرية أن يؤمن بأنه من الله، لا يزيد حرفًا[1] ولا ينقص، أما التوراة والأناجيل الأربعة ففيها كذب كثير لا يستطيع عالم عصري أن يصدقها.

انتهى ما دار بيني وبينه من الحديث في هذا الشأن.

وكان في الحاضرين شاب مغربي تعلم الطب في المغرب وبعث إلى فرنسة ليتدرب، فقال للدكتور موريس بوكاي: إن القرآن يقول في آخر سورة لقمان [٣٤]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾، ويقول علماء المسلمين: إن هذه الخمس لا يعلمها إلا الله، وعلماء هذا العصر يعلمون ما في الأرحام؟ فغضب الدكتور موريس بوكاي وقال: هذا كذب! ها أنت تدعي أنك طبيب، فتعال معي إلى المستشفى الخاص بي، وأعرض عليك نساء حوامل، فأخبرني بما في بطونها بدليل علمي. فأسقط في يد الشاب، وقال الدكتور مورس بوكاي: لو علمت أن مثل هذا الشاب موجود في هذا المجلس ما زرتكم.

---

(١) في الأصل: «حرف».

والآن أذكر شيئًا قليلًا مما في التوراة من الكذب الواضح الـذي لا يعتقـده من يؤمن بالأنبياء ويصدقهم:

فمن ذلك: أن يعقوب ـ عليه السلام ـ سمع أن زوجـة ابنه قاعدة بجانب الطريق تزني بالأجرة، فبعث إليها فجيء بها فأمر برجمها بعدما اعترفت، فقالـت له: مهلًا! وأخرجت ثوبًا وناولته إياه قائلة: لمن هذا الثوب؟ فقـال: هـذا ثـوبي. فقالت له: أنت زنيت بي، وأعطيتني هذا الثوب أجرة، فارجم نفسك أولًا، ثـم ارجمني.

الكذبة الثانية: أن لوطًا ـ عليه السلام ـ كان يسكن في جبل في فلسطين، وكانت له ابنتان بالغتان، ولم يكن له ولد ذكر، فقالت الكبرى للصغرى: نحن نسكن في هذا الجبل وحدنا، وقد بدأ والدنا يتقدم في السن، فلو مات لم نستطع أن نبقى وحدنا هنـا، فتعالي نسقي والدنا خمرًا في ليلة، فإذا سكر أنام معـه أنا، وبعد عدة ليال إذا حملت أنا، نسقيه خمرًا أخرى فتنامين أنت، لعل الله يرزقنا ولدين ذكرين، يقومان بحمايتنا، فسقتاه خمرًا فسكر فنامـت معه الصغرى فحملت، وولدت كل واحدة منهما ولدًا ذكرًا، فكان كل واحد من الولدين حبرًا لقبيلة من قبائل بني إسرائيل.

الكذبة الثالثة: أن نوحًا ـ عليه السلام ـ شرب الخمر فسكر فانكشفت عورته، وكان لـه ثلاثـة من الأولاد: سام، ويافث، وحام، فذهـب حام ووجد أباه نوحًا سكران، مستلقيًا على ظهره، مكشوف العورة، فرجع وأخبر أخويه سامًا ويافث، فأخذا غطاء وجعلا يمشـيان إلى الوراء حتى لا يريـا عورة أبيهما، فلما وصلا إليه ألقيا عليه الغطاء ثم انصرفا، فلما أفاق أبوهمـا نوح ـ عليه السلام ـ وعلم بذلك؛ دعا على حام أن يجعل الله ذريته عبيدًا لذرية أخويه، فصار أبناؤه كلهم سودًا يباعون في الأسواق عبيدًا، وأبناء سام ويافث بيضًا سادة.

قرأت هذا في التوراة باللغة العبرانية لما كنت أدرسها في ألمانية، واسمها العربي في كتاب «تخطيط البلدان» لابن الفقيه البغدادي المتوفى في آخر القرن الثالث الهجري: (جرمانية).

والمراد بكتابة هذا المقال: تنبيه القراء إلى ما خص الله به الملك فيصل ـ رحمه الله ـ من الذكاء الذي كان سببًا في انقلاب الدكتور موريس بوكاي من عدو لدود للنبي محمد ﷺ ولدينه الحق اليقين إلى صديق حميم يدافع عن النبي ﷺ وعن القرآن بكل ما عنده من القوة، وقد أخبرني بذلك المجلس أن كتابه المذكور ترجم باثنتي عشرة لغة؛ منها: العربية والإنجليزية، وقد حضر مؤتمرات كثيرة في جميع أنحاء العالم، وألقى أحاديث طويلة في إقامة الحجة على صدق النبي ﷺ، وأن القرآن من الله ـ تعالى ـ ليس فيه زيادة ولا نقصان، وقد أخبرني لما اجتمعت به أن وزير الإعلام المغربي دعاه ليلقي محاضرات في المغرب، ووعده خيرًا، ثم جاء إلى المغرب وألقى محاضرات عديدة.

وهذا الرجل وأمثاله حجة في هذا العصر على المرتدين من أبناء المسلمين الذين يزعمون أن العلم العصري هو سبب كفرهم، وقد أقمت الحجة في كتابي «دواء الشاكين[1] وقامع المشككين» على كذبهم، وأن كفرهم ناشئ عن الجهل للعلوم القديمة والجديدة، وأقمت عليهم الحجة القاطعة المذكورة في ذلك الكتاب بأن زرت جميع السفارات بل أكثرها التي دولها (ديموقراطية) يستطيع كل واحد من أهلها أن يصرح بعقيدته، فسألت الملحق الثقافي في كل سفارة: كم عدد الملحدين في دولتكم؟ فوجدت أكثر الملحدين في الولايات المتحدة الأمريكية،

---

(١) في الأصل: «الشاكي»! ونشره الهلالي عدة مقالات متتابعة، وتجدها عندنا في (مقالات التوحيد).

وهو ثلاثة في المائة، وقال لي الملحق الثقافي في سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في الرباط: إن الثلاثة في المائة ليس كلهم يجحدون ربوبية الله ـ تعالى ـ بل كثير منهم يكفرون بالكنيسة فقط؛ لأن الكنيسة الكاثوليكية إذا خطب رجل تابع للكنيسة البروستانتيَّة امرأة كاثوليكية يحرمونها عليه، فيكفر بالكنيسة، وتكفر المرأة بها، فيتزوجان زواجًا مدنيًّا.

أما ضلال النصارى وكذبهم على عيسى، وزعمهم أن الله ـ تعالى ـ ثلاثة أقانيم: **الأول**: هو الأب، **الأقنوم الثاني**: الابن، **الأقنوم الثالث**: روح القدس، وغير ذلك من أكاذيبهم وتناقضهم، يشتمل عليه كتابي «البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية ولا حظ له في الألوهية»[1]، وقد طبع منه صاحب السماحة والمعالي رئيسنا الجليل الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز ـ أطال الله بقاءه، وأدام عزه وارتقاءه ـ عشرين ألف نسخة، وكتب إلي الإخوان من المملكة الأردنية راجين الإذن في إعادة طبعه، وقالوا لي فيه: لم نزل نناظر النصارى فلم نتغلب عليهم إلا بهذا الكتاب لما ناظرهم به انهزموا شر هزيمة. وكتب إليَّ شخص من البلاد الفارسية التي بدل أهلها اسمها بكلمة (إيران) التي لا وجود لها في التاريخ.

وسبب إملاء هذا الحديث: أني سمعت هذه القصة في إذاعة المملكة العربية السعودية بالرياض، فظهر لي أن الأستاذ الذي ألقاها إنما اعتمد على رأيه في الكتاب فقط، ولم يجتمع بالدكتور موريس بوكاي، ولا أخبره بسبب تأليفه الكتاب، فأردت إفادة المستمعين لإذاعة المملكة العربية السعودية وغيرها أن يعرفوا السبب ويزيدوا

---

(١) هي عندنا في المقالات تحت (الأديان والفرق والمذاهب) تحت (النصرانية) (رقم ٣/ ٣ـ ٤/ ٤).

علمًا بما خص الله به الملك فيصل بن عبد العزيز ـ قدَّس الله روحه ـ من الفضائل والمناقب، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي

الدار البيضاء ـ المغرب

* * *

*** ما هي الدواعي التي تدعو أمير المؤمنين جلالة الحسن الثاني إلى نصر السنة المحمدية ونشرها وحمايتها؟[1]**

د. محمد تقي الدين الهلالي

هذه الدعاوى[2] كثيرة؛ أعد منها ولا أعددها:

أولًا[3]: قوله ـ تعالى ـ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[آل عمران: ٣١] دلت هذه الآية الكريمة على أن محبة الله للعبد ـ وهي أشرف المطالب ـ لا تحصل ولا تنال إلا باتباع الرسول ﷺ، ولا يتم اتباع الرسول إلا بنصر سنته ونشرها، والعمل على إحيائها والعمل بها وتكثير متبعيها، أخرج الحاكم في «المستدرك» من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) نشرت في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة الرابعة عشرة، العدد الثالث، ذو الحجة ومحرم ١٣٩١هـ ـ يبراير ومارس ١٩٧١م، (ص٧١ ـ ٧٥)، ثم نشر ناقصًا من آخره في المجلة نفسها: السنة الثامنة عشرة، العدد الثاني، ربيع الأول ١٣٩٧هـ ـ مارس ١٩٧٧م، (ص٤١ ـ ٤٤)، وسيأتي التنبيه على مقدار النقص.

(٢) كذا في الأصل، ولعل: «الدواعي» أنسب للسياق.

(٣) وضعت في الأصل قبل قوله: «هذه الدعاوى كثيرة».

«تَركتُ فِيكُم شَيئَينِ لَن تَضِلُّوا بَعدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَن يَتفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوضَ»[1]، وروى الإمام مالك أن النبي ﷺ قال: «تَركتُ فِيكُم مَا إِن تَمَسَّكتُم بِهِ لَن تَضِلُّوا أَبدًا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي»[2]. وروى مسلم في «صحيحه»[3] أن النبي ﷺ قال: «تَركتُ فِيكُم ثَقَلَينِ: كِتَابَ اللهِ وَعِترَتِي أهلَ بَيتِي»، فحث على كتاب الله، ثم قال: «وَعِترَتِي أهلَ بَيتِي لَا تَتَّخِذُوهُم غَرَضًا مِن بَعدِي»، وفيه: «وَلَن يَفتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوضَ»[4]، هذا معنى الحديث، فالعترة التي وصى بهم النبي ﷺ وأخبر أنهم لا يفترقون مع الكتاب حتى يلقوه على الحوض جديرون باتباع سنته بعد كتاب الله، وجديرون بأن يحبهم المؤمنون بمحبة رسول الله ﷺ، وقال ـ تعالى ـ في صفة المستحقين لرحمته: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ ـ إلى أن قال ـ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ ثم قال بعد ذلك: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[الأعراف: ١٥٧ ـ ١٥٨] نفهم من الآيتين أن رحمة الله وإن كانت وسعت كل شيء؛ فإنها لن تنال إلا باتباع الرسول ﷺ، وأن الفلاح وهو النجاة من كل مرهوب، والظفر بكل مرغوب، لا ينال إلا باتباع الرسول ﷺ، وكل مؤمن صادق بريء من النفاق يرغب في اتباع النبي ﷺ، ولكن لا يعرف كيف يتبعه إلا إذا كان عالـمًا بسنته وهديه، ولا يكون عالـمًا بذلك إلا إذا كانت السنة منصورة منشورة

---

(١) خرَّجته في تعليقي على «الاعتصام» للشاطبي (٣/ ١٠٤).

(٢) الحديث صحيح بشواهده، انظرها في: «السلسلة الصحيحة» (١٧٦١).

(٣) برقم (٢٤٠٨).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ١٤)، وهو صحيح بشواهده، إلا «لن يفترقا» فمداره على عطية العوفي.

قد رفعت أعلامها، ووضحت أحكامها، فهذا من البواعث والأسباب التي حملت جلالة الحسن الثاني على العناية بسنة النبي ﷺ [بالنصر والنشر، والآيات التي تحض على الاتباع ونصر السنة أكثر من أن تحصى، وكذلك الأحاديث][1].

وقال ـ تعالى ـ في سورة النساء (٥٩): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أمر الله جميع المؤمنين في كل زمان ومكان بطاعته وطاعة رسوله ﷺ بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، وكرر الفعل ليبين لعباده أن من أطاع رسوله فقد أطاعه، ومن عصى رسوله فقد عصاه، كما صرح بذلك فيما بعد بقوله ـ عز من قائل ـ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾[النساء: ٨٠] ثم عطف أولي الأمر ـ وهم خلفاء رسول الله ﷺ الذين يجمعون كلمة المسلمين، ويحافظون على شريعة الإسلام، وينفذون أحكامها ويدافعون عنها ـ بدون إعادة الفعل وهو ﴿أَطِيعُواْ﴾، وفي ذلك نكتة لطيفة كشف الغطاء عنها علماء الكتاب والسنة: وهو أن طاعة الله ورسوله مطلقة؛ لأن الله هو الشارع، ورسوله هو المبلغ وهو معصوم من الخطأ فيما بلغه، أما أولوا الأمر فليسوا كذلك؛ لأن طاعتهم مقيدة بأن لا يأمروا بمعصية، وقد جاءت عن النبي ﷺ أخبار فيما يتعلق بطاعة الأمير وتقييدها، رأيت أن أتحف القراء بذكرها؛ لأن أكثر الناس في هذا الزمان عنها غافلون.

الحديث الأول: في «الصحيح»[2] عن النبي ﷺ قال: «**مَن أطَاعَني فَقَد**

---

(١) ما بين المعقوفتين من المقالة الثانية فقط، وجاء بعده فيها: (الثاني من الدواعي)، وبدله في المقالة الأولى... (نقط).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٧ و٧١٣٧) ومسلم (١٨٣٥).

أَطَاعَ اللهَ، وَمَن عَصَانِي فَقَد عَصَى اللهَ، وَمَن يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَد أَطَاعَنِي وَمَن يَعصِ الأَمِيرَ فَقَد عَصَانِي».

الحديث الثاني: عن أبي ذر ﵁ قال: إن خليلي ﷺ أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا حبشيًّا مجدع الأطراف[1] (هو المقطوع الأذن أو الأنف أو اليد ونحوها)، وفي رواية البخاري: «وَلَو لِعَبدٍ كَأَنَّ رَأسَهُ زَبِيبَةٌ»[2].

الحديث الثالث: وفي «الصحيحين»[3]: «عَلَى المَرءِ المُسلِمِ السَّمعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ؛ إِلَّا أن يُؤمَرَ بِمَعصِيَةٍ، فَإِن أُمِرَ بِمَعصِيَةٍ، فَلَا سَمعَ وَلَا طَاعَةَ».

الحديث الرابع: عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن رَأَى مِن أَمِيرِهِ شَيئًا يَكرَهُهُ فَليَصبِر؛ فَإِنَّهُ مَن فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبرًا فَمَاتَ فَمِيتَتُهُ جَاهِلِيَّةٌ»[4]. وفي رواية: «خَلَعَ رِبقَةَ الإِسلَامِ مِن عُنُقِهِ»[5].

الخامس: عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَينِ فَاقتُلُوا الآخِرَ مِنهُمَا»[6].

السادس: عن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «خَيرُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ

---

(١) أخرجه مسلم (٦٤٨ و١٨٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢٩٥٥ و٧١٤٤) ومسلم (١٨٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٤) ومسلم (١٨٤٩).

(٥) خرجته في تحقيقي لكتاب «الاعتصام» للشاطبي (٣/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) وفي كتابي «من قصص الماضين في حديث سيد المرسلين» (ص١١٧ ـ ١١٩).

(٦) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

تُحِبُّونَهُم وَيُحِبُّونكُم وَتُصَلُّونَ عَلَيهِم وَيُصَلُّونَ عَلَيكُم، وَشَرُّ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبغِضُونَهُم وَيُبغِضُونكُم، وَتَلعَنُونَهُم وَيَلعَنُونكُم». فقلنا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: «لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاَةَ؛ إِلَّا مَن وَلِيَ عَلَيهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأتِي شَيئًا مِن مَعصِيَةِ الله فَلْيَكرَهْ مَا يَأتِي مِنَ المَعصِيَةِ وَلا يَنزِع يَدًا مِن طَاعَتِهِ»[1].

قال شارح «العقيدة الطحاوية»[2] بعد أن ساق أحاديث من هذا الباب: فقد دل الكتاب والسنة على وجوب طاعة أولي الأمر ما لم يأمروا بمعصية.

ثم قال: وأما لزوم طاعتهم وإن جاروا؛ فإنه يترتب على الخروج عليهم من المفسدة أضعاف ما يحصل من جورهم، فإن الله ـ تعالى ـ ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، قال ـ تعالى ـ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾[آل عمران: ١٦٥]، فإذا أراد الرعية أن يتخلصوا من ظلم الأمير فليتركوا الظلم.

وعن مالك بن دينار أنه جاء في بعض كتب الله: يقول الله ـ تعالى ـ: «أنا [الله] مالك الملك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبِّ الملوك لكن توبوا أعطفهم عليكم»[3].

ـ توضيح لما تقدم:

الأول: قوله (وإن كان عبدًا حبشيًّا مجدع الأطراف) أي: وإن كان الأمير

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

(٢) (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢ ط الرسالة).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٧٢).

الأدنى عبدًا حبشيًا ولاه إمام المسلمين عملًا من أعماله، أو جعله أميرًا على بلد؛ يجب على الناس طاعته وإن كانوا من أشراف العرب، ولا يجوز لهم أن يستنكفوا ويندفعوا مع النخوة والحمية الجاهلية فيقولوا: نحن من أشراف العرب وأوسطهم؛ فكيف يولى علينا هذا العبد؟ لأن طاعتهم لذلك الأمير العبد هي طاعة للإمام الذي ولاه، وليس المقصود بذلك أن يكون الإمام عبدًا؛ لأن إمام المسلمين يجب أن يكون حرًّا ولا يجوز أن يكون عبدًا، ولأن النبي ﷺ قال: «**الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ مَا أَقَامُوا الدِّينَ، لَا يُعَادِيهِم أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجهِهِ فِي النَّارِ**»[1]، وفي رواية في «الصحيح»: «**الخِلَافَةُ فِي قُرَيشٍ مَا بَقِيَ فِي النَّاسِ اثنَانِ**»[2]، فلهذا قلنا: إن المراد بكون الأمير عبدًا؛ الأمير الأدنى.

الثاني: قول النبي ﷺ: (فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)، هذا من فضائل الإسلام الذي هو دين الله الحق، وهو ملة إبراهيم ودين جميع الأنبياء والرسل، خالص صافٍ[3] لم يصبه تبديل ولا تحريف، وقد تكفل الله بحفظه إلى قيام الساعة، قال ـ تعالى ـ في سورة الحجر [٩]: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾، وهذه معجزة خالدة باقية إلى يوم القيامة، لا يزيدها تطاول الزمان وتوالي العصور إلا جدة وقوة، بشرى للمؤمنين وحسرة على الكافرين، فإنك تجد القرآن الكريم

---

(١) رواه البخاري (٣٥٠٠) بلفظ: «**إِنَّ هَذَا الأَمرَ فِي قُرَيشٍ لَا يُعَادِيهِم أَحَدٌ إِلَّا كَبَّهُ اللهُ عَلَى وَجهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ**» من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٣٥٠١ و٧١٤٠) ومسلم (١٨٢٠) بلفظ: «**لَا يَزَالُ هَذَا الأَمرُ فِي قُرَيشٍ مَا بَقِيَ مِنَ النَّاسِ اثنَانِ**» من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وعند البخاري: «**منهم اثنان**».

(٣) في الأصل: «صافي»! والصواب المثبت.

في البلاد الشيوعية الجاحدة لا يستطيع أحد أن يغير منه حرفًا ولا نقطة، وتجده في البلاد التي تدين بالنصرانية محفوظًا كذلك، وتجده كذلك في البلاد التي تدين بالوثنية محفوظًا من التغيير مع شدة عداوتهم له، ولا تجد كتابًا مقدسًا لأي طائفة من البشر قد تكفل الله بحفظه كما تكفل بحفظ القرآن، فتحريف الكتب المقدسة عند الأمم المختلفة واضح لأهل العلم لا يخفى على باحث، وكذلك تكفل ـ سبحانه ـ بحفظ السنة المحمدية، فقد قال النبي ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمَّتِي قَائِمِينَ عَلَى الحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَن خَالَفَهُم حَتَّى يَأْتِي أَمرُ اللهِ**»[1]. وقال رسول الله ﷺ: «**يَحمِلُ هَذا الدِّينِ مِن كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ؛ يَنفُونَ عَنهُ تَحرِيفَ الغَالِينَ، وَانتِحَالَ المُبطِلِينَ، وَتَأوِيلَ الجَاهِلِينَ**»[2]، فسنة النبي ﷺ ـ وإن لم يكن لها ما للقرآن من الحفظ ـ فإن الله تكفل بتقييض رجال علماء أمناء ينفون عنها كل ما أدخله المبطلون فيها، فهي في كل زمان سهلة التناول؛ من طلبها وجدها عند الطائفة المنصورة عذبة الموارد صافية المشارب، وهذا الملك الذي سدده الله وحبب إليه نصرها ونشرها أحد أنصارها في هذا الزمان، وسأذكر برهان ذلك فيما بعد.

ونفهم من الحديث الذي نحن بصدد إيضاحه: أن الإسلام ليس فيه طاعة عمياء، فمهما بلغ الرئيس من علو المنزلة وسمو المكانة لا يطاع طاعة مطلقة؛ بل متى أمر بمخالفة الكتاب والسنة فلا طاعة لأمره، فالكتاب والسنة هما الحاكمان

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٤٨٤)، وأحمد (٤/ ٤٣٧)، والحاكم (٢/ ٨١)، والطبراني (١٨/ ١١٦) عن عمران بن حصين رضي الله عنهما، **وهو صحيح**.

(٢) خرجته بتطويل في كتابي «معجم شيوخ شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني» (٢/ ١٠٩٥ - ١٠٩٨).

على الأمير والمأمور والرئيس والمرؤوس، ولهم[1] اليد الطولى على الجميع، وهـذا سر بقاء الإسلام صافيًا محفوظًا من التغيير إلى يوم القيامة.

الثالث: قولـه ـ عليـه الصـلاة والسـلام ـ: (**فاقتلوا الآخـر منهما**) إنما أمر النبي ﷺ بقتل الخليفة الثاني؛ لأنه شق عصا الطاعة الواجبة عليه لإمام المسلمين، وفتح باب فتنة على المسلمين لا يمكن الاحتراز منها إلا بقتله، فإنه كالعضو المتسمم من الجسـد، لا تمكن سلامـة الجسد من التلف المحقـق إلا ببتره، ومن المعلوم أن المسلمين ـ كما جاء في الحديث الصحيح ـ في توادهم وتعاطفهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[2].

الرابع: قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: (**خير أئمتكم**) يعني: الخلفاء والأمراء (**الذين تحبونهـم ويحبونكـم، وتصلون عليهـم ويصلون عليكم**) الصلاة هنا على معناها الوضعي اللغوي لا على المعنى الشرعي؛ فإن الصلاة في اللغة: الدعاء، قال الأعشى[3]:

وصَـهباء طـاف يَهوديُّها ... وأبرَزها وعلَيها خُتُم
وقابلها الـرِّيح في دَنِّها ... وصلَّى علـى دنِّها وارتسم

فقوله (وصلى على دنها) أي: دعا للخمر أن لا تحمض ولا تفسد، و(الدن) هو الذي يسمى بالعامية: (البرميل) تحفظ فيه الخمر.

وقـال ـ تعالى ـ يخاطب نبيه الكريم في سورة التوبة رقم (١٠٣): ﴿خُذۡ مِنۡ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: «ولهما».

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦).

(٣) «ديوانه» (ص٣٥).

﴿أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[التوبة: ١٠٣] فمعنى (صل عليهم): ادع لهم، وقوله ـ تعالى ـ ﴿إِنَّ صَلَوٰتَكَ﴾ أي: إن دعواتك رحمة لهم، وقد امتثل النبي ﷺ أمر ربه ـ سبحانه ـ فكان يصلي على من جاءه بالزكاة، وفي حديث ابن أبي أوفى أنه قال: أعطاني أبي صدقة ماله فأتيت بها رسول الله ﷺ فقال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوفَى»[(١)]. قال في «اللسان»[(٢)]: قال الأزهري[(٣)]: هذه الصلاة عندي الرحمة.

وقوله: (أفلا ننابذهم بالسيف عند ذلك) يعنون: أفلا نقاتلهم ونشق عصا طاعتهم إذا تعدَّوا حدود الله بارتكاب الظلم والمعصية حتى لعنتهم الرعية ولعنوها؟ فأجابهم النبي ﷺ بالمنع ما داموا يقيمون الصلاة التي هي عنوان التمسك بالإسلام؛ لأن الخروج عليهم فيه من الشر والفساد أضعاف ما في جورهم وظلمهم، وقد قرأنا تاريخ الخوارج من أوله إلى آخره فما وجدنا فيه إلا الشر على الخوارج أنفسهم وعلى المسلمين، وكلام شارح «الطحاوية» في ذلك واضح لا يحتاج إلى شرح.

الخامس: بيان معنى قوله ـ تعالى ـ ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾[آل عمران: ١٦٥] قال الحافظ ابن كثير[(٤)] في تفسير هذه الآية: وهي ما أصيب منهم يوم أحد من قتل السبعين منهم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾ يعني: يوم بدر؛ فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلًا وأسروا سبعين أسيرًا ﴿قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ أي: من أين جرى علينا هذا ﴿قُلْ هُوَ

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٩٧ و٤١٦٦ و٦٣٣٢ و٦٣٥٩) ومسلم (١٠٧٨).

(٢) (١٤/ ٤٦٥).

(٣) في «تهذيب اللغة» (١٢/ ١٦٦).

(٤) (٣/ ٢٥١ـ٢٥٢ ط عالم الكتب).

﴿مِّنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ قال ابن أبي حاتم بسنده إلى عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء؛ فقتل منهم سبعون، وفر أصحاب رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ بأخذكم الفداء[1]، وهكذا رواه الإمام أحمد. اهـ.

فإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ وهم خير هذه الأمة علمًا وعملًا وأبرها وأتقاها لله عوقبوا بسبب ميلهم إلى أخذ الفدية من السبعين أسيرًا الذين أسروا في غزوة بدر، وفضلوا أخذ الفدية منهم وإطلاق سراحهم على قتلهم والاستراحة من شرهم، عوقبوا بقتل سبعين منهم في غزوة أحد وهزيمتهم وفرارهم عن النبي ﷺ، وأصاب النبي ﷺ من شر عملهم ما تقدم ذكره من كسر سنه وتخضيب وجهه الكريم بالدم، فما بال أهل هذا الزمان الذين ملؤوا الأرض جرائم وآثامًا يستغربون ويتعجبون مما أصابهم من البلاء على يد الاستعمار المدبر والصهيونية الحاضرة؟! فلسان الحال يقول: كل ما أصابكم فهو بسبب ما كسبته أيديكم ويعفو عن كثير، فتوبوا من آثامكم وأنيبوا إلى ربكم يعطيكم من العزة والنصر فوق ما تؤملون، أما أنكم تصرون على ما أنتم عليه وتريدون أن ينصركم الله وقد خذلتم دينه؛ فقد غرتكم الأماني والأحلام (إن الأماني والأحلام تضليل)، فأنتم تريدون حصادًا بلا زرع، ولآلئ بلا غوص، وفي الحديث: «**الكَيِّسُ مَن دَانَ نَفسَهُ وَعَمِلَ لِـمَا بَعدَ المَوتِ،**

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٧ ـ شاكر) وأبو داود (٢٦٩٠) وابن أبي شيبة (٦٦٩٥ و٩٦٣٢) وغيرهم، وإسناده صحيح، والحديث في «صحيح مسلم» (١٧٦٣) وليس فيه التصريح بنزول الآية فيه.

وَالعَاجِزُ مَن أتبَعَ نَفسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِيَّ»[1]، رواه أحمد والترمذي وغيرهما من حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ[2]، والآيات التي تحض على الاتباع ونصر السنة أكثر من أن تحصى وكذلك الأحاديث.

الثاني[3]: تقدم حديث مسلم في الوصية بالعترة وهم آل بيت النبي ﷺ، وقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أنهم لا يفترقون مع الكتاب، والمعني بذلك: هم الذين توفي رسول الله ﷺ وهو راضٍ عنهم، وقد جمعهم بعض العلماء في بيت واحد فقال:

وخيرتهم آل النبي بلا نكر ... علي وعباس عقيل وجعفر

وهؤلاء هم الذين تحرم عليهم الزكاة في مذهب مالك[4] ـ رحمه الله ـ ويرى

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٩) وابن ماجه (٤٢٦٠) وأحمد (٤/ ١٢٤)، وإسناده ضعيف؛ فيه أبو بكر بن أبي مريم.

(٢) جاء هنا في المقالة الثانية ما نصه: «وقد أكرمه الله ـ أي: الحسن الثاني ـ بكرامة جديدة بهرت العالم كله، وخصصتها بقصيدة نشرت في مجلة «الإرشاد» التابعة لوزارة الأوقاف حيث وقوع الكرامة، ألا وهي استرداد الصحراء الغربية وانتزاعها من اليد الأجنبية، وهي أرض خلقها الله يوم خلق السماوات والأرض مغربية بإجماع أهل الأرض، لا يمكن أن تخرج عن المغرب حتى تخرج لندن من بريطانيا وباريس من فرنسا والقاهرة من مصر، ومن زعم غير ذلك؛ كذبه أهل السماوات والأرض».

(٣) من الدواعي التي تدعو الملك الحسن الثاني إلى نصرة السنة، وسبق أن نوهنا إلى أنها جاءت متقدمة في المقالة الثانية.

(٤) انظر: «التبصرة» (٣/ ٩٩١)، «الكافي» (١/ ٣٢٨)، «حاشية الصاوي» (١/ ٦٥٩)، «مواهب الجليل» (٣/ ٣٩٧)، «شرح الزرقاني» (٣/ ٢٨١).

الشافعي[1] ـ رحمه الله ـ زيادة بني المطلب، أما المحبة فتشمل الجميع، ولا شك أن ذريتهم إذا اتبعوهم بإحسان لهم نصيب وافر من هذه المنقبة، واتباعهم بإحسان يقتضي نصر سنة النبي ونشرها، ولما كان جلالة الحسن الثاني من ذرية هذه العترة؛ فلا غرو أن يسير على نهجهم في نصر السنة ونشرها لينال أوفر نصيب من هذه الخصوصية.

الثالث: أن آباءه الأكرمين منذ حلوا بالمغرب بنوا أمرهم على طاعة الله واتباع رسول الله ﷺ والتمسك بسنته؛ فإن جده الأعلى الإمام عليًّا الشريف كان من أهل العلم والورع والجهاد في سبيل الله، فحذت ذريته حذوه حتى اختارهم الله لجمع شتات أهل المغرب وتوحيد كلمتهم في دولة واحدة، حفظت ثغور المغرب وحدوده من عدوان المعتدين، وغارات الإفرنج المغتصبين، وطهرت ما أصابه رجسهم من البلاد؛ كطنجة والعرائش وغيرهما في الزمان السابق، ثم طهرت المغرب برمته من رجس الاستعمار إلا قليلًا منه على يد الإمام الفرد العلم محمد الخامس ـ نضر الله وجهه في الجنة ـ، وشاركه في ذلك وآزره الإمام الحاضر أبو محمد الحسن الثاني ـ زاده الله نصرًا وقوة وتوفيقًا، وأطال بقاءه وأدام في سماء المعالي ارتقاءه؛ حتى يطهر ما بقي ـ فإنه مع اشتغاله بالسياسة الداخلية والخارجية للمغرب وتحمل ثقل أعبائها وحل مشاكلها؛ لم يهمل جانب السنة المحمدية الكريمة، وسار على سنن أسلافه، وزاد عليهم بما خصه الله به؛ كتأسيس (دار الحديث) التي هي غرة في جبين عهده الزاهر، وكإحياء الكنز الثمين وإخراجه من صدفه إلى حيز الوجود وانتفاع الناس

---

(١) انظر: «الأم» (٣/ ٢٠٢)، «مختصر المزني» (٨/ ٢٦٠ ـ مع «الأم»)، «بحر المذهب» (٦/ ٣٧٤)، «الحاوي الكبير» (٨/ ٥٣٨)، «نهاية المطلب» (١٩/ ٢٨٤)، «حاشية الجمل» (٤/ ١٠٢)، «الغرر البهية» (٤/ ٨٦)، «أسنى المطالب» (١/ ٣٩٩).

به ألا وهو نشر كتاب «التمهيد»[1].

وهنا أتوقف قليلًا لأبين ما شاهدته في جميع البلاد الإسلامية وغيرها من تلهف أهل العلم على سرعة إنجاز هذا العمل العظيم؛ لأن أهل العلم في أشد الحاجة إليه لتطمئن نفوسهم، ولا يطيب لهم عيش حتى يروه كاملًا قد صفت مجلداته بعضها إلى بعض كاللآلئ البهية والدراري المضية، تشهد لهذا الملك الهمام بإدراك ما قصر عنه الأولون من الفضل والإحسان[2]، وفي مثل هذا يقال: كم ترك الأول للآخر.

والطل قد يبدو أمام الوبل والفضل للوابل لا للطل[3]

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

المدينة المنورة

د. محمد تقي الدين الهلالي

* * *

---

(١) أول ما ظهر عن وزارة الأوقاف المغربية، وفيه تحريف وتصحيف، وعدم استيفاء للنسخ التي نشر عنها، ثم نشر مرات عديدة، آخرها بتحقيق الأستاذ الدكتور بشار عواد، وتحقيقه أحسن تحقيق للكتاب، ولا سيما أنه اعتمد على نسخ فيها (الإبرازة الثانية) للكتاب، وخاتمة بعض النسخ المهمة.

(٢) إلى هنا نشرت في المرة الثانية دون الإضافات الآتية، مع زيادة هذا نصها: «ونسأل الله أن يزيده توفيقًا لإدراك المفاخر وإحياء السنن وإماتة البدع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مكناس: الدكتور محمد تقي الدين الهلالي»

(٣) «مقامات الحريري» (المقامة الحجرية) (٥/ ٢٨٤ ـ «شرح الشريشي»).

* حرص ملوك المغرب على اتباع الكتاب والسنة:

جلالة الملك الحسن الثاني جدير بأن يبني كما بنوا ويفعل فوق ما فعلوا[1]

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

قال ـ تعالى ـ في سورة آل عمران [١٠٢ ـ ١٠٣]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ قال بعض المفسرين[2] في قوله ـ تعالى ـ ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾: «أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا ينسى».

لما نزلت هـذه الآيـة؛ قال الصحابـة: يا رسـول الله! ومن يقدر على هذا؟ فأنـزل الله ـ تعالى ـ آيـة أخرى مبينة للمقصود بها وهـي قولـه ـ تعالى ـ في سورة التغابن [١٦]: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[3].

وقـال ـ تعالى ـ في أول سـورة الأعراف [٣]: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾، وقـال في سورة الزخرف [٤٣ ـ ٤٤]: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ

---

(١) نشرت في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة الخامسـة عشرة، العدد الأول، محرم الحرام ١٣٩٢هـ ـ مارس ١٩٧٢م، (ص٢٢ ـ ٢٨).

(٢) ثبـت هـذا عـن ابن مسعود قولـه؛ أخرجـه عبـد الرزاق (١/ ٤٠٧) وغيره بإسناد صحيح.

ويروى مرفوعًا ولا يصح.

(٣) هو قول بعض التابعين ممن قال بنسخ الآية؛ كما ساق الطبري في «تفسيره» (٥/ ٦٤٢) أقوالهم.

﴿تُسْـَٔلُونَ﴾ أمـر الله رسولـه ﷺ أن يتمسك بالقرآن اعتقادًا وعملًا وتحكيمًا في كـل ما ينزل به من النوازل، ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ يا محمد ﴿وَلِقَوْمِكَ﴾ لكل من آمن بـك ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ عنـه أيها الناس: هل اتبعتموه واستضأتم بنوره وتأدبتم بأدبه، أم جعلتموه وراءكم ظهريًّا وأهملتموه؟

قـال ـ تعالى ـ في سورة آل عمران [١٠٥ وما بعدها]: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: «تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل البدعة والاختلاف»[1].

والآيات في هذا المعنى كثيرة في كتاب الله العزيز، وقال النبي ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُم حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِـمَا جِئْتُ بِهِ**»، رواه البغوي[2] بسند جيد.

وبعد هـذا التمهيد أقول: إن ملوك المغرب كانوا من أشـد أمراء المسلمين

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٣/ ٧٢٩ رقم ٣٩٥٠) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٣٧٩) والسهمي في «تاريخ جرجان» (١٣٢ ـ ١٣٣) واللالكائي في «السنة» (٧٤) والآجري في «الشريعة» (٢٠٧٤) **بسند واهٍ مسلسل بالضعفاء**؛ فيه علي بن قدامة ليِّن، ومجاشع بن عمرو متَّهم، وميسرة بن عبد ربه مثله؛ بل أسوأ حالًا منه.

(٢) في «شرح السنة» (١/ ٢١٢) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص، **وإسناده ضعيف**؛ فيه نعيم بن حماد صدوق، إلا أنه ينفرد بما لا يتابع عليه، واختلف عليه في شيخه. وفيه شبهة انقطاع فإن راويه عن عبدالله بن عمرو هو عقبة بن أوس مشكوك في سماعه من عبدالله بن عمرو، وينظر: «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٣).

حرصًا على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونبذ كل رأي يخالفهما كائنًا ما كان، وسأنقل هنا شيئًا ما يدل على ذلك من آثار الملوك العظام الذين بنوا للمغرب صروح مجد خالدة، لا يمحوها مرور الزمن، قال الناصري[1] ـ رحمه الله ـ في «الاستقصا» في (الجزء الثاني، صفحة ١١٢) ما نصه:

«أمر عبد المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى الأصول من الكتاب والسنة:

لما كانت سنة خمسين وخمس مائة أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي بإصلاح المساجد وبنائها في جميع ممالكه، وبتغيير المنكرات ما كانت، وأمر مع ذلك بتحريق كتب الفروع، ورد الناس إلى قراءة كتب الحديث، واستنباط الأحكام منها، وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم من بلاد الأندلس والعدوة؛ فجزاه الله خيرًا».

وقال المصنف المذكور في الكلام على دولة يعقوب المنصور في (الجزء نفسه، صفحة ١٧٨) ما نصه:

«وكان المنصور يشدد في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس، وقتل في بعض الأحيان على شرب الخمر، وقتل العمال الذين تشكوهم الرعايا، وأمر بفرض[2] فروع الفقه وإحراق كتب المذاهب، وأن الفقهاء لا يفتون إلا من الكتاب والسنة النبوية، ولا يقلِّدون أحدًا من الأئمة المجتهدين؛ بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والإجماع والقياس.

---

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن خالد بن محمد الناصري الدرعي الجعفري السلاوي (ت ١٣١٥هـ).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: «بقرض» بالقاف لا الفاء.

قال ابن خلكان[1]: ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا إلينا وهم على ذلك الطريق؛ مثل: أبي الخطاب بن دحية وأخيه أبي عمرو، ومحي الدين بن عربي نزيل دمشق، وغيرهم، وكان يعاقب على ترك الصلوات ويأمر بالنداء في الأسواق وبالمبادرة إليها، فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عزره تعزيرًا بليغًا.

وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته حتى إنه لم يبق بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط إلى برقة إلا من هو في طاعته وداخل في ولايته، إلى غير ذلك من جزيرة الأندلس، وكان محسنًا، محبًّا للعلماء، مقربًا للأدباء». اهـ.

وفي حاشية الطبعة الأخيرة على ما ذكر المؤلف عن عبد المؤمن بن علي من تحريقه كتب الفروع وإصدار أمره إلى العلماء بتحكيم الكتاب والسنة ما نصه: «...الذي في كتاب «المعجب» لعبد الواحد المراكشي أن يعقوب المنصور هو الآمر بذلك، فانظر: هل فعل هذا اقتداء بجده أم من ذاته لأول الأمر؟ لكن الظاهر من كلام المراكشي أن إحراق كتب الفروع وَرَدَّ الناس إلى الكتاب والسنة كان مقصدًا وعزمًا لعبد المؤمن وابنه يوسف، إلا أنهما لم يظهراه، وأظهره يعقوب بعدهما. اهـ.

وما ذكره المؤلف هنا منقول عن صاحب «القرطاس»، وكلام صاحب «المعجب» أولى بالاعتبار لقربه من الزمن المذكور ومشاهدته للواقع». اهـ.

قال محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي: وما المانع من أن يكون البادئ

---

(١) في «وفيات الأعيان» (٧/ ١١ ـ ١٢).

بهذا الأمر الإصلاحي عبد المؤمن والمجدد له حفيده يعقوب، وقد اعترف صاحب «الحاشية» بأن إحراق كتب الفروع وَرَدَّ الناس إلى الكتاب والسنة كان مما عزم عليه عبد المؤمن وابنه يوسف، ومن أين له أنهما لم يظهراه؟ وقد ثبت من نقل مؤلف «الاستقصا» ـ وهو من المحققين والثقات ـ أن عبد المؤمن أظهر ذلك، ومن علم حجة على من لم يعلم، وعبد الواحد المراكشي وإن كان زمانه قريبًا من زمانهم؛ فلا يلزم أن يحيط علمًا بجميع أخبارهم، ومن درس تاريخ دولة الموحدين علم يقينًا أن هذا النوع من الإصلاح كان شغل ملوكهم الشاغل، لم يتوانوا فيه في أي وقت من الأوقات.

وقد قرأت خبرًا آخر في أحد كتب التاريخ من أخبار يعقوب المنصور ـ رحمه الله ـ أنه قال لوزيره: المسألة الواحدة من مسائل الفقه أجد فيها أقوالًا عديدة في «المدونة» فما المخرج؟ قال: يا أمير المؤمنين! اختلف علماء الأصول؛ فقال بعضهم: المشهور ما قَوِي دليله. وقال بعضهم: المشهور ما كثر القائِلون به. وقال بعضهم: المشهور ما وافق مذهب مالك في «المدونة». فقال المنصور: ما زدتني إلا حيرة! ثم أخذ المصحف و«سنن أبي داود» وقال: انظر أيها الوزير! أنا ما عندي إلا هذا ـ وأشار إلى القرآن ـ وهذا ـ وأشار إلى «سنن أبي داود» ـ. ثم سل سيفه وقال: أو هذا، أنا لا أحكم إلا بالقرآن والحديث، ومن أبى حكمهما فما له عندي إلا السيف.

وتأمل كلام الناصري ـ رحمه الله ـ لما حكى عن عبد المؤمن أنه أمر بإحراق كتب الفروع وأمر القضاة والمفتين ألا يقضوا ولا يفتوا إلا بأدلة الكتاب والسنة، قال بعد ذلك: «فجزاه الله خيرًا»، وهذا يدلنا على أنه لم يزل في المغرب من يدعو إلى الكتاب والسنة ونبذ كل ما خالفهما، حتى في هذا الزمان؛ لأن الناصري

ـ رحمه الله ـ استحسن عمل عبد المؤمن بن علي في إحراق كتب الفروع، وحصر القضاء والإفتاء في أدلة الكتاب والسنة، ومن المعلوم أن الناصري ـ رحمه الله ـ عاش إلى زمن مولاي عبد العزيز بن الحسن، أما في هـذا العهد الحسني فإن الدعوة إلى اتباع الكتاب والسنة قد انتشرت وانتصرت، وهي في إقبال مستمر وأعداؤها من إدبار، والفضل لله ـ سبحانه ـ ثم لجلالة الملك الحسن الثاني الذي فسح لها المجال، أدام الله توفيقه وتسديده.

فإن قلت: فما الدليل على صحة ما فعله عبد المؤمن بن علي وحفيده يعقوب المنصور من إحراق كتب الرأي، وحمل الناس على الاستغناء عنها بنصوص الكتاب والسنة؟

أقول: دونك الجواب؛ ننقله من تأليف إمام عظيم كان في ذلك العصر نفسه، حاملًا للواء الكتاب والسنة، وهو حافظ المغرب أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي مؤلف كتاب «التمهيد» الذي لم يؤلف في الفقه الإسلامي مثله بشهادة أئمة عصره، وكتاب «الاستذكار لما في الموطأ من الآثار»، وكتاب «التقصي»، وهذه ثلاثة شروح لـ «الموطأ»، وهو ـ أيضًا ـ مؤلف «جامع بيان العلم وفضله»، وغير ذلك من الكتب.

قال الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري في الكتاب المذكور[1] (الجزء الثاني، صفحة ٢٦) في بيان أنه لا يحل لأحد أن يقول في شيء أنه حلال أو حرام إلا بنص كتاب أو سنة أو إجماع معتدٍّ به أو قياس على اختلاف فيه، قال بسنده إلى ابن عباس أنه قال: إنما هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فمن قال بعد ذلك شيئًا برأيه،

---

(١) أي: «جامع بيان العلم وفضله».

فما أدري! أفي حسناته يجده أم في سيئاته؟[1].

ثم قال بسنده إلى الشافعي أنه قال: ليس لأحد أن يقول في شيء حلال ولا حرام إلا من جهة العلم، وجهة العلم ما نص في الكتاب أو في السنة أو في الإجماع أو القياس على هذه الأصول ما في معناها[2].

قال: قال أبو عمر: أما الإجماع فمأخوذ من قول الله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥] لأن الاختلاف لا يصح معه، هذا ظاهر، وقول النبي ﷺ: «لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ»[3]، وعندي أن إجماع الصحابة لا يجوز خلافهم والله أعلم؛ لأنه لا يجوز على جميعهم جهل التأويل، وفي قول الله ـ تعالى ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة: ١٤٣] دليل على أن جماعتهم ـ إذا اجتمعوا ـ حجة على من خالفهم، كما أن الرسول حجة على جميعهم، ودلائل الإجماع من الكتاب والسنة كثيرة، ليس كتابنا هذا موضعًا لتقصيها، وبالله التوفيق.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٠٣ و١٤٠٢) **وإسناده ضعيف**؛ فيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وهو ضعيف، وأبو فزارة راشد بن كيسان لم يدرك ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٤٠٣) **وإسناده صحيح**.

وبنحوه عند البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (١/ ٦٧) و«المدخل» (١٧٩) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ١٥٧).

(٣) الثابت أنه عن ابن مسعود قوله، وليس بمرفوع للنبي ﷺ. انظر تخريجه في: «الموافقات» للشاطبي (٢/ ٤٣٤ ـ ٤٣٦ بتحقيقي).

ثم روى بسنده إلى بقية بن الوليد أنه قال: سمعت الأوزاعي يقول: العلم ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عن واحد منهم فليس بعلم[1].

ثم روى بسنده إلى معن بن عيسى أنه قال: سمعت مالك بن أنس يقول: إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي؛ فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه[2].

ثم روى بسنده إلى مطرف قال: سمعت مالكًا يقول: قال لي ابن هرمز: لا تمسك علي شيئًا مما سمعت مني من هذا الرأي؛ فإنما افتجرته أنا وربيعة، فلا تتمسك به[3].

ثم روى بسنده إلى ابن أبجر قال: قال لي الشعبي: ما حدثوك عن أصحاب رسول الله ﷺ فخذ به، وما قالوا فيه برأيهم فَبُلْ عليه[4].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٤٢١) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٢٠١) **وإسناده حسن**، وانظر: «تاريخ الإسلام» (٤/ ١٢٤) و«الجامع» (١٠٦٧).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٤٣٥) ومن طريقه ابن حزم في «الإحكام» (١٦٩٩ - بتحقيقي) وفي «الصادع» رقم (١٣٤٥ - بتحقيقي) **وإسناده حسن**.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٤٣٧) **وإسناده صحيح**.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٢٥٦ رقم ٢٠٤٧٦) - ومن طريقه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٤٣٨) - والبيهقي في «الدلائل» (٨١٤) **بإسناد صحيح**.

وأخرجه من طرق أخرى عن الشعبي: الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٥٩٢) وابن سعد (٦/ ٢٥١) والخطيب في «الجامع» (١٥٧٥) وابن بطة في «الإبانة» (٦٠٧) وابن حزم في «الإحكام» (١٦٨١ - بتحقيقي) و«الصادع» (٣٢٣ - بتحقيقي) **بأسانيد صحيحة**.

ثم روى بسنده إلى عاصم الأحول قال: كان ابن سيرين إذا سئل عن شيء قال: ليس عندي فيه إلا رأي أتهمه. فيقال له: قل فيه على ذلك برأيك. فيقول: لو أعلم أن رأيي يثبت لقلت فيه، ولكني أخاف أن أرى اليوم رأيًا وأرى غدًا غيره فأحتاج أن أتبع الناس في دورهم[1].

وذكر وهب عن ابن لهيعة عن خالد بن أبي عمران عن سالم بن عمر أن رجلًا سأله عن شيء؟ فقال له سالم: لم أسمع في هذا بشيء. فقال له الرجل: إني أرضى برأيك. فقال له سالم: لعلي أخبرك برأي ثم تذهب، فأرى بعدك رأيًا آخر غيره فلا أجدك[2].

وروي عن أبي السَّمح: إنه سيأتي على الناس زمان يسمِّن الرجل راحلته[3] ثم يسير عليها حتى تهزل، يلتمس من يفتيه بسنة فلا يجد إلا من يفتيه بالظن[4].

ثم قال أبو عمر ـ رحمه الله ـ في (الجزء الثاني، صفحة ١٠٩):

ـ (باب فساد التقليد ونفيه والفرق بين التقليد والاتباع):

قد ذم الله ـ تبارك وتعالى ـ التقليد في غير موضع من كتابه فقال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٤٤١) **وإسناده لا بأس به.**

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٤٤٢) وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٥٥) **وسنده حسن.**

(٣) في المصادر بعدها: «حتى تعقد شحمًا، ثم يسير عليها في الأمصار حتى تصير نقضًا؛ يلتمس من يفتيه...».

(٤) أخرجه ابن وضاح في «البدع» (رقم ٢٦١) وابن عبد البر في «الجامع» (١٠٣٧) **بسند صحيح.**

﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٣١].

وروي عن حذيفة وغيره قالوا: لم يعبدوهم من دون الله، ولكنهم أحَلُّوا لهم وحَرَّموا عليهم فاتبعوهم[1].

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٨٦٤) عن سفيان والأعمش؛ جميعًا عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري قال: قيل لحذيفة... بمثله.

وبنحوه رواه سفيان الثوري في «تفسيره» (ص١٢٤ رقم ٣٣٣) وعنه عبد الرزاق (٢/ ٢٧٢) والطبري (١٠/ ٨١٥) وابن أبي حاتم (٦/ ١٧٨٤ رقم ١٠٠٥٨) في «تفاسيرهم» والبيهقي في «المدخل» (٢٥٩).

وأخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٨٦٤) والبيهقي في «سننه» (١٠/ ١١٦) وفي «المدخل» (٢٥٨) وابن عبد البر في «الجامع» (١٨٦٤) من طريق الأعمش عن حبيب ابن أبي ثابت عن أبي البختري عن حذيفة.

وتابع الأعمش: العوَّام بن حوشب؛ أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٥/ ٢٤٥ رقم ١٠١٢) وابن جرير (١٤/ ٢١١ رقم ١٦٦٣٦ ط شاكر)، وعطاء بن السائب؛ أخرجه ابن جرير (١٤/ ٢١٣ رقم ١٦٦٤٣) والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٥ رقم ٩٣٩٤ ط الكتب العلمية) من طريق سفيان عن عطاء به.

ورجاله ثقات **لكنه منقطع**؛ أبو البَخْتَري سعيد بن فيروز الطائي لم يسمع من حذيفة، قال ابن سعد في «طبقاته» (٦/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣): «وكان أبو البختري كثير الحديث، يرسل حديثه، ويروي عن أصحاب رسول الله ﷺ، ولم يسمع من كبير أحد، فما كان من حديثه سماعًا فهو حسن، وما كان (عن) فهو ضعيف».

قلت: وأرسل عن حذيفة كما في «تهذيب الكمال» (١١/ ٣٢ ـ ٣٥)، وعزاه في «الدر» ـ أيضًا ـ للفريابي وابن المنذر وأبي الشيخ.

ورواه جماعة عن عطاء عن أبي البختري قوله ـ كما سيأتي عند المصنِّف قريبًا ـ، وهو =

وقال عدي بن حاتم: أتيت رسول الله ﷺ وفي عنقي صليب، فقال لي: «يَا عَدِيُّ! أَلْقِ هَذَا الوَثَنَ مِن عُنُقِكَ». وانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال: قلت يا رسول الله: إنا لم نتخذهم أربابًا، قال: «بَلَى؛ أَلَيسَ يُحِلُّونَ لَكُم مَا حُرِّمَ عَلَيكُم فَتُحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ عَلَيكُم مَا أَحَلَّ اللهُ لَكُم فَتُحَرِّمُوهُ؟». فقلت: بلى. فقال: «تِلكَ عِبَادَتُهم»[(١)].

ثم روى بسنده عن أبي البختري[(٢)] في قوله ﷻ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: أكانوا يعبدونهم؟ فقال: لا، ولكن كانوا يحلون لهم الحرام فيحللونه، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه[(٣)].

ثم روى بسنده ـ أيضًا ـ إلى أبي البختري[(٤)] في قوله ـ تعالى ـ ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾ الآية، قال: أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ما أطاعوهم، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه وحرامه حلاله فأطاعوهم، فكانت تلك الربوبية[(٥)].

= في «تفسير مجاهد» (ص٢٧٦) عن آدم بن أبي إياس عن ورقاء قوله.

(١) انظر تخريجه في: «الموافقات» (٣/ ٢٩٩ ـ ٣٠٠ بتحقيقي) و«إعلام الموقعين» (٣/ ٤٥١ ـ بتحقيقي).

(٢) في الأصل: «ابن البحتري»، والصواب المثبت.

(٣) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٨٦٣) وابن جرير (١٤/ ٢١١ ـ ٢١٢ رقم ١٦٦٣٧) وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ١٧٩ ـ ١٨٠) بسند حسن إلى أبي البختري.

(٤) في الأصل: «البحتري».

(٥) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٨٦٣) بسند حسن.

قال أبو عمر في (صفحة ١٠٩، ج٢): وقال ـ جل وعز ـ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾[الزخرف: ٢٣ ـ ٢٤] فمنعهم الاقتداء بآبائهم من قبول الاهتداء، فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٤]، وفي هؤلاء ومثلهم قال الله ـ جل وعز ـ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[الأنفال: ٢٢]، وقال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ﴾[البقرة: ١٦٦ ـ ١٦٧]، وقال ـ جل وعز ـ عائبًا لأهل الكفر وذامًّا[1] لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾[الأنبياء: ٥٢ ـ ٥٣]، وقال: ﴿إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[الأحزاب ٦٧]، ومثل هذا في القرآن كثير من ذم تقليد الآباء والرؤساء، وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها؛ لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد؛ كما لو[2] قلد رجلٌ فكفر، وقلد آخرُ فأذنب، وقلد[3] آخرَ في مسألة دنياه فأخطأ وجهها، كان كل واحد ملومًا على التقليد بغير حجة؛ لأن كل ذلك تقليد يشبه بعضه بعضًا وإن اختلفت الآثام فيه، وقال الله ـ جل وعز ـ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾[التوبة: ١١٥]، وقد ثبت الاحتجاج بما قدمنا في الباب قبل هذا، وفي

---

(١) في الأصل: «ذمًّا».

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) في الأصل: «فقلد».

ثبوته إبطال التقليد ـ أيضًا ـ، فإذا بطل التقليد بكل ما ذكرنا؛ وجب التسليم للأصول التي يجب التسليم لها، وهي الكتاب والسنة، أو ما كان في معناهما بدليل جامع بين ذلك.

ثم قال بسنده إلى عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنِّي لَأَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مِن بَعدِي مِن أَعمَالٍ ثَلَاثَةٍ**». قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**أَخَافُ عَلَيهِم مِن زَلَّةِ العَالِـمَ، وَمِن حُكمِ جَائِرٍ، وَمِن هَوًى مُتَّبَعٍ**»[1].

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ أنه قال: «**تَرَكتُ فِيكُم أَمرَينِ لَن تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ**»[2].

ثم روى بسنده إلى زياد بن جدير قال: قال عمر: «ثلاث يهدمن الدين: زلة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلون»[3].

قال أبو عمر في (صفحة ١١٢، ج٢) بسنده إلى أبي العالية الرياحي، قال: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: ويل للأتباع من عثرات العالم! قيل: كيف ذلك؟ قال: يقول العالم شيئًا برأيه، ثم يجد من هو أعلم برسول الله ﷺ منه؛ فيترك قوله ذلك ثم تمضي الأتباع[4]. اهـ.

---

(١) انظر تخريجه في: «الاعتصام» (٣/ ٤٦٣ ـ بتحقيقي).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر تخريجه في: «الموافقات» (٤/ ٨٩ ـ بتحقيقي) و«الاعتصام» (٢/ ٤٦٤ ـ بتحقيقي) و«إعلام الموقعين» (٥/ ٢٣٨ ـ بتحقيقي).

(٤) أخرجه البيهقي في «المدخل» (٨٣٥ و٨٣٦) والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٤/ ١٤) وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٩٩) و«الصادع» (٣٨٥) وابن عبد البر في «الجامع» =

ـ توضيحات:

١ ـ في هذه الأخبار الأربعة[١] ـ خبر حذيفة وخبر عدي وخبر أبي البختري[٢] ـ فوائد[٣]:

الأولى: إن كل من جعل الحكم لغير الله ـ تعالى ـ ولغير المعصوم ﷺ بأن صار يحلل ما يحلله له برأيه، ويحرم ما يحرمه عليه برأيه، ويعتقد وجوب ما يوجبه عليه، واستحباب ما يستحبه له، وإباحة ما يبيحه له، لأنه بالغ في تعظيمه حتى جعل رأيه حجة، بل يخالف الكتاب والسنة ويتبع رأي مقلَّده ـ بفتح اللام ـ؛ فقد اتخذه إلهًا من دون الله.

الثانية: قول النبي ﷺ لعدي لما رأى في عنقه صليبًا: «**أَلْقِ عَنكَ هَذَا الوَثَنَ**»[٤] دليل قاطع على أن كل جماد يتبرك به ابتداعًا كالقباب المبنية على قبور الصالحين يسمى (وثنًا) شرعًا، يزيده وضوحًا ما رواه مالك في «الموطأ» عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ لَا تَجعَل قَبرِي وَثَنًا يُعبَدُ، اشتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِم مَسَاجِدَ**»[٥]، وكذلك حديث أبي واقد الليثي

= (١٨٧٧) وإسناده صحيح.

(١) ذكر ثلاثة فقط.

(٢) في الأصل: «البحتري».

(٣) في الأصل: «فوائدة».

(٤) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥) وابن جرير (١٠/ ٨١) وابن أبي حاتم (١٠٠٥٧) والواحدي في «الوسيط» (٢/ ٤٩٠ ـ ٤٩١) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٩٢ رقم ٢١٨ و٢١٩) وغيرهم، قال الترمذي: «وهذا حديث غريب».

(٥) أخرجه بنحوه البخاري (١٣٣٠) ومسلم (٥٢٩).

قال: كنا حديثي عهد بكفر، ورأينا للمشركين شجرة يعكفون عندها وينيطون بها أسلحتهم يسمونها (ذات أنواط)، فقلنا: يا رسول الله! اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: «**اللهُ أكبَرُ! إنَّهَا السُّنَنَ؛ قُلْتُم - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - كَمَا قَالَ قَومُ مُوسَى لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾**[الأعراف: ١٣٨]، **لَتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ مَن كَانَ قَبلَكُم**»[1]. فهؤلاء الصحابة الذين لم يمض على إسلامهم إلا وقت قصير؛ لم يتمكنوا فيه من التفقه في الدين كما ينبغي، لم يتخذوا تلك الشجرة شيئًا يتبرك به، ولكن سألوا النبي ﷺ أن يأذن لهم في ذلك، فأخبرهم أن ذلك شرك، وإن من اتخذ شيئًا متبركًا به يكون قد اتخذ[2] إلهًا من دون الله.

أما قول النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَا تَجعَل قَبرِي وَثَنًا يُعبَدُ...**» الحديث؛ فيفهم منه أن كل قبر كائنًا ما كان إذا وصل إليه الجهال وتمسحوا به وطافوا به يسمى (وثنًا) ويكون هؤلاء مشركين، **فإن قلت**: فهل استجاب الله دعاء نبيه وحفظ قبره من وصول أيدي الجهال إليه أم لم يستجب دعاءه؟

فالجواب: إن الله استجاب دعاءه، وحفظ قبره الشريف، فلم تقع عليه عين فضلًا عن أن تلمسه يد من زمان الصحابة إلى يومنا هذا؛ لأنه - عليه الصلاة والسلام - أوصى أن يدفن في بيته الذي توفي فيه - وهو بيت أم المؤمنين عائشة - ليكون بعيدًا عن متناول الجهال، وكانت عائشة تسكن في البيت نفسه، ولم يكن أحد من الناس لا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي ولا غيرهم يأتون إلى بيت

---

(١) انظر تخريجه في: «الاعتصام» (٣/ ٢٦٢ - بتحقيقي) و«المعتقد الصحيح الشامل» (٢/ ٦٤٠ - بتحقيقي).

(٢) كذا في الأصل، ولعله «اتخذه».

عائشة ويستأذنونها في زيارة قبر النبي ﷺ، ولما توفيت سد بيتها من جميع الجهات، ولما أراد الوليد بن عبد الملك أن يدخل الحجرة في المسجد منعه علماء التابعين؛ فأبى لغرض خسيس تركت ذكره اختصارًا، فاقترحوا عليه بناء مثلث تكون زاويتاه من جهة القبلة، والزاوية الثالثة من جهة الشمال؛ حتى لا يصلي الجهال إلى القبور الثلاثة: قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر وقبر عمر، ثم جاء أحد الملوك بعد ذلك بمئات السنين فبنى حوله سورًا مربعًا؛ وهو الذي يراه الناس اليوم ويصلون إليه، وقد أشار الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في «النونية»[1] إلى ذلك فقال:

وَدَعَا بِأَنْ لَا يَجْعَلَ الْقَبْرَ الَّذِي ... قَدْ ضَمَّهُ وَثَنًا مِنَ الْأَوْثَانِ

فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِيْنَ دُعَاءَهُ ... وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الْجُدْرَانِ

حَتَّى غَدَتْ أَرْجَاؤُهُ بِدُعَائِهِ ... فِي عِزَّةٍ وَحِمَايَةٍ وَصِيَانِ

الثالثة: في بعض ألفاظ تلك الأحاديث: «**فتلك الربوبية**»، وفي بعضها: «**فتلك عبادتهم**»، وقد صرح القرآن الكريم بأن اليهود اتخذوا أحبارهم ـ أي: علماءهم ـ أربابًا من دون الله حين قلدوهم تقليد الأعمى، وصاروا يفتون بأقوالهم وآرائهم ويقضون بها بدون دليل من التوراة، ولا من كلام موسى وهارون، واتخذ النصارى رهبانهم ـ أي: المنقطعين إلى العبادة ـ أربابًا من دون الله حين جعلوا لهم الحكم كما فعل اليهود، فجاءت هذه الأحاديث تحذرنا أن نفعل مع علمائنا وأئمتنا ما فعلوه اليهود والنصارى مع علمائهم وعبادهم.

٢ ـ بين الحافظ أبو عمر ـ رحمه الله ـ[2] أنواع التقليد الثلاثة:

---

(١) (ص٢٥٢).

(٢) في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٧٨ ط ابن الجوزي).

الأول: أن يقلد الرجل رجلًا في أمر يخرجه من الملة؛ كمن رأى رجلًا يسجد لمخلوق أو يدعوه ويستغيث به أو يذبح له وينذر له، فقلده في ذلك، فإن ذلك يوقعه في الشرك الأكبر.

الثاني: أن يرى رجل رجلًا يشرب الخمر أو يتعاطى الربا فيقلده في ذلك، فإن ذلك يوقعه في معصية من الكبائر إذا لم يستحل ذلك؛ بل فعله وهو يعتقد حرمته.

الثالث: أن يقلد رجل رجلًا في حرث أو زرع أو بناء بيت أو تجارة، فيخطئ الصواب، فقد أوقعه تقليده في الخطأ والخسران.

وهذه الأنواع الثلاثة من التقليد كلها مذمومة، إلا أنها مختلفة في النتيجة؛ فأولها أوقع صاحبه في الكفر، وثانيها أوقع صاحبه في الإثم، وثالثها أوقع صاحبه في خسارة دنيوية، ولذلك احتج العلماء من أئمة أهل السنة بالآيات التي وردت في تقليد المشركين لآبائهم على القضاة، والمفتين الذين يقضون بالتقليد ويفتون به.

٣ ـ قول النبي ﷺ: «**...من أعمال ثلاثة: زلة عالم...**» الحديث، زلة العالم: أن يكون إمامًا مجتهدًا فيخطئ في مسألة، ويتبين أن قوله مخالف لنص الكتاب أو السنة، فيصر أتباعه على تقليده مع وقوفهم على خطئه، ولذلك قيل: (زلة العالم زلة العلم)، وقد تكون الزلة متعمدة؛ لأن العالم غير معصوم، فيعرف أتباعه أن فعله غير جائز ويصرون على اتباعه فيه، وهذا شر من الذي قبله.

والحكم الجائر يدل على انحراف الأمراء والحكام، وهو من أعظم أبواب الفساد الذي يشتت شمل الأمم، ويوهن قوتها، ويفضي بها إلى الفناء، ويقال في

الحكم: «صنفان من الناس إذا صلحوا صلح العالم، وإذا فسدوا فسد العالم: وهم العلماء والأمراء»[1]، وأما اتباع الهوى فهو سبب زوال العدل وفشو الظلم، وذلك سبب شقاء الأمم، قال ـ تعالى ـ في سورة النمل [٥٠ ـ ٥٣]: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٠ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥١ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥٢ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾.

وبسبب اتباع الهوى حكم أهل الجور بما تشتهيه أنفسهم، ونبذوا كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم، قال ـ تعالى ـ في سورة القصص [٥٠]: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

ثم قال[2]: وثبت عن النبي ﷺ ـ مما قد ذكرناه في كتابنا هذا ـ أنه قال: **«تذهَبُ العُلَمَاءُ ثُمَّ تَتَّخِذُ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا يُسأَلُونَ فَيُفتُونَ بِغَيرِ عِلمٍ فَيَضِلُّونَ وَيُضِلُّونَ»**[3]، وهذا كله نفي للتقليد وإبطال له لمن فهمه وهدي لرشده، وقال سفيان بن عيينة: اضطجع ربيعة مقنعًا رأسه وبكى، فقيل: له ما يبكيك؟ فقال: رياء ظاهر وشهوة خفية، والناس عند علمائهم كالصبيان في حجور أمهاتهم؛

---

(١) خرجته في تعليقي على: «تخريج أحاديث العادلين» للسخاوي (ص١٤٨ ـ بذيل «فضيلة العادلين» لأبي نعيم الأصبهاني) و«المجالسة» للدينوري (٢/ ٣٠٨).

(٢) ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠) ومسلم (٢٦٧٣)، ولفظه: **«إِنَّ اللهَ لا يَقبِضُ العِلمَ انتِزَاعًا يَنتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقبِضُ العِلمَ بِقَبضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَم يُبقِ عَالِمًا؛ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»**.

ما نهوهم عنه انتهوا وما أمروهم[1] به ائتمروا[2]. اهـ.

قال محمد تقي الدين: معنى ذلك أن الناس غلب عليهم التقليد والجهل، وصاروا يقبلون كل ما يقوله علماؤهم دون أن يضعوا أقوالهم في الميزان ويميزوا صوابهم[3] من خطئهم، فما قام الدليل على صحته أخذوا به وقبلوه، وما قام الدليل على أنه خطأ طرحوه، وهذا هو الاتباع الذي أثنى الله على من سار[4] عليه في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: ١٠٠]، ولم يقل: (والذين قلدوهم) فالاتباع محمود والتقليد مذموم.

وقال أيوب ـ رحمه الله ـ: لن[5] تعرف خطأ معلمك حتى تجالس غيره[6].

وقال عبدالله[7] بن المعتز: لا فرق بين بهيمة تقاد، وإنسان يقلد[8].

---

(١) في الأصل: «أمرهم».

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٨٨٥)، **وإسناده صحيح**.

(٣) في الأصل: «أصوابهم».

(٤) في الأصل: «صار».

(٥) في الأصل: «ليس».

(٦) أخرجه أبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٢٢٤٤) وابن عبد البر في «الجامع» (٦١٣) **بسند صحيح**.

(٧) في الأصل: «عبيدالله».

(٨) ذكره ابن عبد البر في «الجامع» (١٨٨٧).

وهذا كله لغير العامة؛ فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها؛ لأنها لا تتبين موقع الحجة، ولا تصل بعدم الفهم إلى علم ذلك[1].

قال أبو عمر[2]: وقد نظمت في التقليد وموضعه أبياتًا رجوت في ذلك جزيل الأجر لما علمت أن من الناس من يسرع إليه حفظ المنظوم ويتعذر عليه المنثور، وهي من قصيدة لي:

يَا سَائِلًا عَنْ مَوْضِعِ التَّقْلِيْدِ خُذْ ... عَنِّي الجَوَابَ بِفَهْمِ لُبٍّ حَاضِرِ

وَأَصْغِ إِلَى قَوْلِي وَدِنْ بِنَصِيْحَتِي ... وَاحْفَظْ عَلَيَّ بَوَادِرِي وَنَوَادِرِي

لَا فَرْقَ بَيْنَ مُقَلِّدٍ وَبَهِيْمَةٍ ... تَنْقَادُ بَيْنَ جَنَادِلٍ وَدَعَاثِرِ

تَبًّا لَقَاضٍ أَوْ لِمُفْتٍ لَا يَرَى ... عِلَلًا وَمَعْنًى لِلْمَقَالِ السَّائِرِ

فَإِذَا اقْتَدَيْتَ فَبِالْكِتَابِ وَسُنَّةِ الْمَبْعُوْثِ ... بِالدِّيْنِ الْحَنِيْفِ الطَّاهِرِ

ثُمَّ الصَّحَابَةِ عِنْدَ عَدْمِكَ سُنَّةً ... فَأُولَاكَ أَهْلُ نُهًى وَأَهْلُ بَصَائِرِ

وَكَذَاكَ إِجْمَاعُ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُمْ ... مِنْ تَابِعِيْهِمْ كَابِرًا عَنْ كَابِرِ

إِجْمَاعُ أُمَّتِنَا وَقَوْلُ نَبِيِّنَا ... مِثْلُ النُّصُوْصِ لَدَى الْكِتَابِ الزَّاهِرِ

وَكَذَا المَدِيْنَةُ حُجَّةٌ إِنْ أَجْمَعُوا ... مُتَتَابِعِيْنَ أَوَائِلًا بِأَوَاخِرِ

وَإِذَا الخِلَافُ أَتَى فَدُوْنَكَ فَاجْتَهِدْ ... وَمَعَ الدَّلِيْلِ فَمِلْ بِفَهْمٍ وَافِرِ

وَعَلَى الْأُصُوْلِ فَقِسْ فُرُوْعَكَ لَا تَقِسْ ... فَرْعًا بِفَرْعٍ كَالجَهُوْلِ الحَائِرِ

وَالشَّرُّ مَا فِيْهِ - فَدَيْتُكَ - أُسْوَةٌ ... فَانْظُرْ وَلَا تَحْفِلْ بِزَلَّةِ مَاهِرِ

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٨٩).

(٢) في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٩٠).

- حجج المقلدين وردها:

وقد احتج جماعة من الفقهاء وأهل النظر على من أجاز التقليد بحجج نظرية عقلية بعدما تقدم، فأحسن ما رأيت من ذلك: قول المزني ـ رحمه الله ـ، وأنا أورده:

قال: يقال لمن حكم بالتقليد: هل من حُجَّة فيما حكمت به؟ فإن قال: نعم. أبطل التقليد؛ لأن الحجة أوجبت ذلك عنده لا التقليد، وإن قال: حكمت فيه بغير حجة. قيل له: فلم أرقت الدماء وأبحت الفروج وأتلفت الأموال، وقد حرم الله ذلك إلا بحجة؛ قال الله ـ جل وعز ـ: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بِهَٰذَآ ۚ﴾ [يونس: ٦٨] أي: من حجة بهذا؟ قال: فإن قال: أنا أعلم أني قد أصبت وإن لم أعرف الحجة؛ لأني قلدت كبيرًا من العلماء، وهو لا يقول إلا بحجة خفيت علي. قيل له: إذا جاز لك تقليد معلمك لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت [عليك؛ فتقليد معلم معلمك أولى لأنه لا يقول إلا بحجة خفيت][1] على معلمك، كما لم يقل معلمك إلا بحجة خفيت[2] عليك؟ فإن قال: نعم. ترك تقليد معلمه إلى تقليد معلم معلمه، وكذلك من هو أعلى حتى ينتهي الأمر إلى أصحاب رسول الله ﷺ، وإن أبى ذلك نقض قوله، وقيل له: كيف تجوِّز تقليد من هو أصغر منك وأقل علمًا، ولا تجوِّز تقليد من هو أكبر وأكثر علمًا، وهذا تناقض[3]؟

فإن قال: لأن معلمي وإن كان أصغر؛ فقد جمع علم من هو فوقه إلى علمه، فهو أبصر بما أخذ وأعلم بما ترك. قيل له: وكذلك من تعلم من معلمك؛ فقد جمع

---

(١) ما بين المعقوفتين سقط من الأصل.

(٢) في الأصل: «خفت».

(٣) في الأصل: «متناقض».

علم معلمك وعلم من فوقه إلى علمه، فيلزمك تقليده وترك تقليد معلمك، وكذلك أنت أولى أن تقلد نفسك من معلمك؛ لأنك جمعت علم معلمك وعلم من فوقه إلى علمك، فإن التزم ذلك؛ جعل الأصغر ومن يحدث من صغار العلماء أولى بالتقليد من أصحاب رسول الله ﷺ، وكذلك الصاحب عنده يلزمه تقليد التابع، والتابع[1] من دونه في قياس قوله، والأعلى الأدنى أبدًا، وكفى بقول يؤول إلى هذا قبحًا وفسادًا. اهـ[2].

هذه أدلة قاطعة، وبراهين ساطعة، على صحة ما فعلوه أولئك الملوك العظام، ونرجو أن يوفق الله جلالة ملكنا عالم الملوك وملك العلماء إلى[3] أن يحيي هذه السنة؛ فيصدر أمره المطاع إلى قضاة مملكته وإلى المفتين فيها ألا يقضوا ولا يفتوا بالتقليد الأعمى، بل بما قام عليه الدليل من الكتاب والسنة والإجماع والقياس الصحيح عند فقد الأدلة الثلاثة، وليس ذلك على همة جلالته العالية بعزيز، لاسيما وقد وفَّقه الله لإنشاء (دار الحديث) التي يتخرج فيها علماء محققون في علوم الكتاب والسنة وأصول الفقه، قادرون على استنباط الأحكام، وزاده الله نعمة أخرى تعين على ذلك؛ وهي طبع كتاب «التمهيد» الذي هو بحر زاخر بالأحاديث الصحيحة والأحكام المحررة المتينة.

وفي الختام نسأل الله ـ تعالى ـ متوسلين إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبمحبتنا لحبيبه وخليله محمد ﷺ واتباعنا له؛ أن يبارك في حياة هذا الملك العظيم وأن يخلد ملكه، ويبارك في ولي عهده سيدي محمد، ويؤيده بنصره وبالمؤمنين

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٩٢ ـ ٩٩٣).

(٣) سقطت من الأصل.

الصادقين حتى يحقق الآمال، وهو ـ لعمر الله ـ خير من ينشد قول الشاعر:

لسنا وإن أحسابُنا كرمت ... يومًا على الأحساب نتكل

نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثل ما فعلوا[1]

بل نرجو من فضل الله الذي لا يتقيد بزمان ولا مكان؛ أن يفعل فوق ما فعلوا، وأن يبني أحسن مما بنوا.

ونسأله ـ سبحانه ـ لسائر أفراد البيت الملكي الكريم أن يبارك فيهم كما بارك في أسلافهم، ويحفظهم من كل سوء، ونسأله ـ تعالى ـ لجميع إخواننا المسلمين شعوبًا وملوكًا ورؤساء أن يقيل عثرتهم، ويجمع شملهم، وينصرهم على أعدائهم، ويعزهم بطاعته، ولا يذلهم بمعصيته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المدينة المنورة

محمد تقي الدين الهلالي

* * *

* من مناقب عالم الملوك وملك العلماء في زمانه سيدي محمد بن عبدالله العلوي ـ رحمه الله ـ: تجديد الدعوة إلى عقيدة السلف[2]

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

ليس عندي الآن من المراجع إلا كتاب «الاستقصاء»؛ فسأنقل النبذة اليسيرة

---

(١) البيتان في: «الجليس الصالح» (١/ ١٦٥) و«تاريخ بغداد» (٢/ ٤٧٥) و«التذكرة الحمدونية» (٢/ ٦٨) و«المنتظم» (٨/ ٢٦٢) و«مرآة الجنان» (٢/ ٧٢) و«ديوان الحماسة» (٢/ ٢٦٥).

(٢) نشرت في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة السادسة عشرة، العدد الرابع والخامس، صفر ١٣٩٤هـ ـ مارس ١٩٧٤م، (ص٦٧ ـ ٧٣).

التي حكاها مؤلفه ـ رحمه الله ـ في هذا الموضوع، وأشرحها بما ييسره الله ـ تعالى ـ من النقول والإيضاح.

قال المحقق أبو العباس أحمد الناصري في (الجزء الثامن، في صفحة ٦٨) من تجزئة الطبعة الأخيرة ما نصه: «وكان السلطان سيدي محمد بن عبدالله ـ رحمه الله ـ ينهى عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الأشعرية، وكان يحض الناس على مذهب السلف؛ من الاكتفاء بالاعتقاد المأخوذ من ظاهر الكتاب والسنة بلا تأويل، وكان يقول عن نفسه ـ حسبما صرح في آخر كتابه الموضوع في الأحاديث المخرجة عن الأئمة الأربعة ـ أنه مالكي مذهبًا، حنبلي اعتقادًا؛ يعني: أنه لا يرى الخوض في علم الكلام على طريقة المتأخرين، وله في ذلك أخبار وماجريات».

قلت: وهو مصيب ـ أيضًا ـ في هذا؛ فقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه «الإحياء»[1] أن علم الكلام إنما هو بمنزلة الدواء، لا يحتاج إليه إلا عند المرض، فكذلك علم الكلام لا يحتاج إليه إلا عند حدوث البدعة.

ـ توضيحات:

١ ـ سيدي محمد بن عبدالله بن إسماعيل بويع سنة ألف ومائة وواحد وسبعين، وتوفي سنة ألف ومائتين وأربع، عالم سلفي، وملك عبقري عظيم، وغصن جليل من دوحة الدولة العلوية الكريمة، من آل بيت النبي ﷺ، اجتمع فيه من المزايا

---

(١) (١/ ٩٨)، وعبارته: «واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد: وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه؛ فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق، وذلك فيمن ظهر له من الأنس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية، فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا دواء الجدل، فجاز أن يلقى إليه».

ما تفرق فيمن سبقه من ملوك هذه الدولة، وأكثر من جاء بعده، ومن شاء أن يعرف فضله ومناقبه فليرجع إلى تاريخ المغرب، ولو لم يكن له إلا هذه المنقبة التي نذكرها هنا في هذا المقال لكانت كافية في بلوغه أوج المعالي.

٢ ـ قولـه: (وكان السلطان سـيدي محمد بن عبدالله ـ رحمه الله ـ ينهى عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الأشعرية، وكان يحض الناس على مذهب السلف بلا تأويل...) إلخ.

اعلم أيها القارئ الكريم أن أهل المغرب كانوا على عقيدة السلف حتى جاء محمد المهدي بن تومرت الذي بنيت الدولة الموحدية على مذهبه؛ فدعا الناس إلى تـرك عقيـدة السلف والتمسك بعقيـدة المتأخرين الذين ينفون بعض صفات الله ـ تعالى ـ أو يتأولونها تأويلًا باطلًا، ونجح في دعوته؛ فعم ظلام بدعة علم الكلام في جميع أرجاء المغرب، وألَّف ما يسمى بـ «ست وستين عقيدة» بالعربية للمتكلمين بها، وبالبربرية للقبائل التي لا تحسن العربية، وشاع القول بأن من لا يعرف هذه العقيدة فهو مقلد في الاعتقاد، والراجح عندهم أنه كافر، كما بين ذلك السنوسي في «عقائده الثلاث» وغيره، وبقي الناس على ذلك إلا من رحمهم الله ـ تعالى ـ حتى جاء الإمام الملك الهمام محمد بن عبدالله ـ رحمه الله تعالى ـ فأنكر هذه العقيدة، وهي تـدرس في كل مدرسة وكل مسجد، ولم يكن أحد في زمانـه يتجرأ على إنكارها، وما أشار إليـه مؤلـف كتـاب «الاستقصاء» من أن أولئك العلماء الذين انتخبهم السلطان محمد بن عبدالله كانوا يساعدونه ويؤلفون له الكتب؛ يحتاج إلى بيان، فإنهم لم يكونوا يعلِّمونه شيئًا يجهله، ولم يكونوا أساتذته في هذه المنقبة؛ بل كانوا تلاميذه وكُتَّابًا لـه، لم يقم بهـذا الإصلاح قبله أحد في زمانـه وقبله بمئات السنين، لا هم ولا غيرهم.

٣ـ أما ذم أئمة السلف لعلم الكلام الذي في «السنوسيات» و«نظم ابن عاشر» و«الجوهرة» و«إضاءة الدجنة» و«بدء الأمالي» وغيرها من كتب علم الكلام التي تدرَّس اليوم بالمشرق والمغرب؛ فحدِّث عن البحر ولا حرج، وقد ذكر الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» في (الجزء الثاني، من صفحة ٩٢ إلى صفحة ٩٩) أخبارًا كثيرة رواها بأسانيده عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، ومنها ما هو مرفوع للنبي ﷺ، أقتصر على نقل قليل منها خوفًا من الإطالة:

قال أبو عمر: أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدُّون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم.

ثم روى بسنده المتصل إلى محمد بن أحمد بن إسحاق بن خويز منداد المالكي أنه قال في (كتاب الإجارات) من كتابه في الخلاف: قال مالك: لا تجوز الإجارات في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم... وذكر كتبًا. ثم قال: وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك. قال: وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك.

وقال في (كتاب الشهادات)[1] في تأويل قول مالك: لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء. قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعريًّا كان أم غير أشعري،

---

(١) انظر: «جامع بيان العلم» (١٨٠٠).

ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدًا، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها.

قال أبو عمر: ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم له ولا يناظر فيه.

ثم روى بسنده إلى الأوزاعي قال: كان مكحول والزهري يقولان: أَمِرُّوا هذه الأحاديث كما جاءت[1].

وقد روينا عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد في الأحاديث في الصفات أنهم كلهم قالوا: أَمِرُّوها كما جاءت[2]. نحو: حديث التنزل[3]، وحديث: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»[4]، وأنه يدخل قدمه في جهنم[5]، وما كان مثل هذه الأحاديث، وقد شرحنا القول في هذا الباب من جهة النظر والأثر وبسطناه في كتاب «التمهيد»[6] عند ذكر حديث التنزل، فمن

---

(١) انظر تخريجه في: «الاعتصام» (٣/ ٤٢٨ - بتحقيقي).

(٢) انظر تخريجه في: «الاعتصام» (٣/ ٤٢٨ - ٤٢٩ بتحقيقي).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٥ و٦٣٢١ و٧٤٩٤) ومسلم (٧٥٨)، وفي الباب أحاديث كثيرة جدًّا تصل إلى التواتر، وللدارقطني جزء مطبوع في أحاديث النزول.

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٢٦ و٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١).

(٥) أخرجه البخاري (٤٨٤٨ و٤٨٤٩ و٤٨٥٠ و٦٦٦١ و٧٤٤٩) ومسلم (٢٨٤٦ و٢٨٤٨).

(٦) (٧/ ١٢٨ ط الأوقاف المغربية)، واحذر من كلام المعلق عليه، فإنه ضاق صدره لعقيدة ابن عبد البر السَّنيَّة السُّنيَّة.

أراد الوقوف عليه تأمله، وبالله التوفيق.

ثم روى بسنده إلى الحسن ـ يعني: البصري ـ أنه كان يقول: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم[1].

ثم روى بسنده إلى سعيد بن جبير أنه قال: ما لم يعرفه البدريون فليس من الدين[2]. المراد بالبدريين: أهل غزوة بدر الذين شهدوها مع النبي ﷺ وعددهم ثلاث مائة وبضعة عشر، وكانت في السنة الثانية للهجرة.

ثم قال: وقال[3] جعفر بن محمد: الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس؛ كلما ازداد نظرًا ازداد حيرة[4].

أقول: جعفر هذا هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي وفاطمة ـ رضوان الله عليهم ـ.

قال أبو عمر: رواها ـ يعني: أحاديث الصفات ـ السلف وسكتوا عنها، وهم كانوا أعمق الناس علمًا وأوسعهم فهمًا وأقلهم تكلفًا، ولم يكن سكوتهم عن عي، وهم كانوا أعمق الناس علمًا وأوسعهم فهمًا، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر.

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «الجامع» (١٨٠٣) **بسند صحيح.**

(٢) **إسناده لا بأس به.**

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) ذكره ابن عبد البر في «الجامع» (١٨٠٦)، ولم أقف عليه مسندًا عن جعفر بن محمد ـ وهو الصادق ـ.

وأسند ابن المقرئ في «ذم الكلام» (ص١٠٢) من قول معاوية بن قرة في وصيته لابنه؛ **وإسناده ضعيف.**

ثـم روى بسـنده عـن أبي أمامـة ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَا ضَـلَّ قَومٌ بَعـدَ هُدًى إلَّا لُقِّنُـوا الـجَدَلَ»[1]. ثـم قـرأ[2]: ﴿مَاضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّاجَدَلًاۢ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[الزخرف: ٥٨].

وتنـاظر القوم وتجادلوا في الفقه، ونهوا عن الجدال في الاعتقاد؛ لأنه يؤول إلى الانسلاخ من الدين، ألا ترى مناظرة بِشر في قوله ـ جل وعز ـ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[المجادلة: ٧] حين قال: هو بذاته في كل مكان؟ فقال له خصمه: هو في قلنسوتك وفي حشك وفي جوف حمار؟! تعالى الله عما يقولون. حكى ذلك وكيع ـ رحمه الله ـ[3]، وأنا والله! أكره أن أحكي كلامهم ـ قبحهم الله ـ، فعن هذا وشبهه نهى العلماء.

وقال الحافظ ابن عبد البر: قال يونس بن عبد الأعلى: سـمعت الـشافعي يوم ناظره حفص الفرد قال لي: يا أبا موسى! لأن يلقى الله ﷻ العبدُ بكـل ذنـب ما خلا الشرك، خير من أن يلقاه بشيء من الكلام، لقد سمعت من حفص كلامًا لا أقدر أن أحكيه[4].

وقال أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ: إنه لا يفلح صاحب كلام أبدًا، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل. اهـ.

وبما نقلته هنا يظهر جليًّا أن الإمام محمد بن عبدالله العلوي ناقد بصير، بذل جهـده ـ أثابـه الله رضوانه ـ ليخرج الناس من ظلمات علم الكلام الذي شاع في

---

(١) الحديث حسن. انظر تخريجه في: «المجالسة» للدينوري (٣/ ٤٩٣ ـ ٤٩٥ بتحقيقي).

(٢) في الأصل: «قال».

(٣) ذكره ابن عبد البر في «الجامع» (١٨١١).

(٤) انظر تخريجه في: «الاعتصام» (٣/ ٤٢٢ ـ بتحقيقي).

المغرب، لكن من سوء الحظ أنه لم يستجب لدعوته إلا القليل، ولكن الذي يبشرنا بإزالة هذه الظلمات وطلوع شمس الاعتقاد الصحيح ورد الناس إلى ما كانوا عليه في الزمان الأول: أن جلالـة الملك المعظم أبا محمد الحسن الثاني ـ أيده الله بنصره وبالمؤمنين ـ شرع في تجديد هذه الدعوة المباركة بإحيائه درة ثمينة من كنوز العلم والمعرفة والعقيدة الصحيحة؛ ألا وهي طبعه لكتاب «التمهيد» للحافظ أبي عمر بن عبد البر، الذي قال الحافظ عماد الدين بن كثير صاحب «التفسير» المشهور وغيره من الكتب النفيسـة؛ قال في أبي عمر أنـه حافظ المغرب، ذكر ذلك في تفسير قوله ـ تعـالى ـ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ من تفسـير سـورة البقرة [٢٣٨][1].

فإن قيل لك: ادعيت أن كتب العقائد المنتشرة في المغرب كـ «السنوسيات» وقسم من «ابن عاشر» و«الجوهرة» وغيرها؛ كتـب بـدع وضـلالات، فـأقم لنـا الدليل على ذلك لتطمئن قلوبنا ونعلم أن قـد صـدقتنا ونكـون عـلى ذلـك مـن الشاهدين.

فالجواب: حبًّا وكرامة، ومن المعلوم أن هذا المقال لا يتسع لسرد البراهـين ونقل كلام الأئمة، فأقتصر على ذكر نبذ يسيرة مما يتـسع لـه المقـال، وأرجـو أن أردفه بمقالات في هذا الموضوع، وأول ما أبدأ به كلام حافظ المغرب أبي[2] عمر يوسف بن عبد البر في كتاب «التمهيد»، وهو الكلام الذي أشار إليـه فـيما نقلتـه عنه من كتاب «جامع بيان العلم وفضله»:

قال الحافظ شمس الدين بن القيم في كتابه «الجيـوش الإسـلامية في غـزو

---

(١) (٢/ ٣٩٥، ٤٠٣).

(٢) في الأصل: «أبو».

المعطلة والجهمية»[1] ما نصه: قول الإمام الحافظ أبي[2] عمر بن عبد البر إمام السنة في زمانه ـ رحمه الله ـ، قال في كتاب «التمهيد»[3] في شرح الحديث الثامن لابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «**يَنزِلُ رَبُّنَا فِي كُلِّ لَيلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الأَخِيرِ فَيَقُولُ: مَن يَدعُونِي فَأَستَجِيبَ[4] لَهُ، مَن يَسأَلُنِي فَأُعطِيَهُ، مَن يَستَغفِرُنِي فَأَغفِرَ لَهُ**»[5]:

هذا الحديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد، لا يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل على أن الله ﷻ في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما قالت الجماعة، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان وليس على العرش، والدليل على صحة ما قال أهل الحق في ذلك: قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[السجدة: ٤]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾[فصلت: ١١]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٤٢]، وقوله ـ تبارك اسمه ـ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾[فاطر: ١٠]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[الملك: ١٦]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[الأعلى: ١] وهذا من العلو، وكذلك قوله

---

(١) (ص٢٠٤ ـ ٢١٣ ط المجمع).

(٢) في الأصل: «أبو».

(٣) (٧/ ١٢٨ ط الأوقاف المغربية).

(٤) في الأصل: «فأستجب».

(٥) سبق تخريجه.

ـ تعالى ـ: ﴿ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾[البقرة: ٢٥٥]، و﴿ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾[الرعد: ٩]، و﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾[غافر: ١٥]، و﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل: ٥٠]، والجهمي يقول: إنه أسفل. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة: ٥]، ﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ﴾[فصلت: ٣٨]، وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج: ٤]، والعروج هو الصعود.

وقوله[1]: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[آل عمران: ٥٥]، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء: ١٥٨]، و﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج: ٢ ـ ٤].

وأما قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[الملك: ١٦] فمعناه: من على السماء؛ يعني: العرش، وقد تكون (في) بمعنى (على)، ألا ترى إلى قوله ـ تعالى ـ: ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[التوبة: ٢] أي: على الأرض، وكذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[طه: ٧١]، وهذا كله يعضده قوله ـ تعالى ـ: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾[المعارج: ٤]، وما كان مثله مما تلونا من الآيات في هذا الباب، وهذه الآيات كلها واضحات في إبطال قول المعتزلة.

وأما ادعاؤهم المجاز في الاستواء وقولهم في تأويل (استوى): (استولى) فلا معنى له؛ لأنه غير ظاهر في اللغة، ومعنى الاستيلاء في اللغة المغالبة، والله ـ تعالى ـ لا يغالبه أحد وهو الواحد الصمد، ومن حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل إلينا من ربنا ـ تعالى ـ إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله ـ تعالى ـ على الأشهر والأظهر من وجوهه ما لم

---

(١) في الأصل: «وأما قوله»، وهو سبق نظر من المصنف؛ فالآيات الثلاثة في «اجتماع الجيوش الإسلامية» قبل قوله: «والعروج هو الصعود»، وكرر المصنف آية المعارج ـ أيضًا ـ.

يمنع من ذلك ما يجب له التسليم، ولو ساغ اتباع المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبادات، وجل الله أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب من معهودات مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين، والاستواء معلوم في اللغة مفهوم؛ وهو العلو والارتفاع على الشيء، والاستقرار والتمكن فيه.

قال أبو عبيدة[1] في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥] قال: علا. قال: وتقول العرب: استويت فوق الدابة، واستويت فوق البيت.

وقال غيره: استوى: استقر. واحتج بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ﴾ [القصص: ١٤] أي[2]: انتهى شبابه واستقر[3]، فلم يكن في شبابه[4] مزيد[5].

قال ابن عبد البر: الاستواء: الاستقرار في العلو، وبهذا يخاطبنا الله ـ تعالى ـ في كتابه المكنون فقال: ﴿لِتَسۡتَوُۥاْ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ رَبِّكُمۡ إِذَا ٱسۡتَوَيۡتُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [الزخرف: ١٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ﴾[هود: ٤٤]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ﴾[المؤمنون: ٢٨]. وقال الشاعر:

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة ... وقد حلق النجم اليماني فاستوى[6]

---

(١) معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) في «مجاز القرآن» (٢/ ١٥).

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) في الأصل: «استقر» بدون واو.

(٤) كذا في الأصل، وفي «غريب القرآن»: «نباته».

(٥) «غريب القرآن» (ص٢٣٥) لابن قتيبة.

(٦) ذكره الفراهيدي في «العين» (٣/ ١٢٦ ـ صبح) والأزهري في «التهذيب» (٤/ ٢٦٥ ـ صبح) وغيرهما كثير.

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد (استولى) لأن النجم لا يستولي.

وقد ذكر النضر بن شميل ـ وكان ثقة مأمونًا جليلًا في علم الديانة واللغة ـ، قال: حدثني الخليل ـ وحسبك بالخليل ـ قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي ـ وكان من أعلم ما رأيت ـ فإذا هو على سطح، فسلمنا فرد السلام، وقال: استووا. فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال، فقال لنا أعرابي إلى جانبه: إنه أمركم أن ترتفعوا. فقال الخليل: هو من قول الله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾[فصلت: ١١]، فصعدنا إليه.

قال: وأما من نازع منهم بحديث يرويه عبدالله بن داود الواسطي عن إبراهيم بن عبد الصمد عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥] قال: «استوى على جميع بريته فلا يخلو منه مكان»[(١)].

فالجواب: أن هذا حديث منكر على ابن عباس رضي الله عنهما، ونقلته مجهولون[(٢)] وضعفاء، فأما عبدالله بن داود الواسطي وعبد الوهاب بن مجاهد فضعيفان، وإبراهيم ابن عبد الصمد مجهول لا يعرف، وهم لا يقبلون أخبار الآحاد العدول، فكيف يسوغ لهم الاحتجاج بمثل هذا الحديث لو عقلوا وأنصفوا؟! أما سمعوا الله ـ تعالى ـ حيث يقول: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[غافر: ٣٦ ـ ٣٧]، فدل على أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كان يقول: (إن إلهي[(٣)] في السماء)، وفرعون يظنه

---

(١) انظر: «سبيل الرشاد» (٣/ ١٥١).

(٢) في الأصل: «مجهولة».

(٣) في الأصل: «ألا هي».

كاذبًا، وقال الشاعر:

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ... ومن هو فوق العرش فرد موَحِّدُ

مليك على عرش السماء مهيمنٌ ... لعزَّته تعنو الوجوه وتسجدُ[1]

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت، وفيه يقول في وصف الملائكة:

وساجدهم لا يرفع الدهر رأسه ... يعظم ربًّا فوقه ويمجد[2]

قال: فإن احتجوا بقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[الزخرف: ٨٤] وبقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام: ٣] وبقوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾[المجادلة: ٧]، وزعموا أن الله ـ سبحانه ـ في كل مكان بنفسه وذاته ـ تبارك وتعالى جده ـ.

قيل: لا خلاف بيننا وبينكم وسائر الأمم أنه ليس في الأرض دون السماء بذاته، فوجب حمل الآيات على المعنى الصحيح المجمع عليه، وذلك أنه في السماء إله معبود من أهل السماء، وفي الأرض إله معبود من أهل الأرض، وكذا قال أهل العلم بالتفسير، وظاهر هذا التنزيل يشهد أنه على العرش، فالاختلاف في ذلك ساقط، وأسعد الناس به من ساعده الظاهر.

وأما قوله في الآية الأخرى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ فالاجتماع والاتفاق قد بينا أن المراد أنه معبود من أهل الأرض، فتدبر هذا فإنه قاطع.

ومن الحجج ـ أيضًا ـ في أنه ﷻ على العرش فوق السموات السبع: أن

(١) انظر: «التمهيد» (٧/ ١٣٩) و«سبيل الرشاد» (٣/ ١٥١).

(٢) انظر: «سبيل الرشاد» (٣/ ١٥١).

الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا أكبرهم أمرًا ونزلت بهم شدة، رفعوا وجوههم إلى السماء، ونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم - تبارك وتعالى -، وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته؛ لأنه اضطراري[1](!) لا يوافقهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم، وقد قال ﷺ للأمة التي أراد مولاها عتقها أن كانت مؤمنة فاختبرها رسول الله ﷺ بأن قال لها: «أينَ اللهُ؟» فأشارت إلى السماء. ثم قال لها: «مَن أنَا؟» قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتِقهَا فإنهَا مُؤمِنَةٌ»[2]. فاكتفى رسول الله ﷺ منها برفع رأسها إلى السماء، واستغنى بذلك عما سواه.

قال: وأما احتجاجهم بقوله - تعالى -: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حُمِل عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية: هو على العرش وعلمه في كل مكان. وما خالفهم في ذلك أحد يحتج به.

وذكر سنيد عن مقاتل بن حيان عن الضحاك بن مزاحم في قوله - تعالى -: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ قال: هو على عرشه، وعلمه معهم أينما كانوا[3].

قال: وبلغني عن سفيان الثوري مثله[4].

قال سنيد: حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش

---

(١) «اضطرار»: كذا في الأصل، وفيه إضراب، فلعله فيه تحريف. (منه).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣٧).

(٣) انظر: «سبيل الرشاد» (٣/ ١٥٢).

(٤) انظر: «سبيل الرشاد» (٣/ ١٥٢).

عن ابن مسعود ﷺ قال: «اللهُ فوق العرش، وعلمه في كل مكان، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»[1].

ـ **عقيدة بن أبي زيد القيرواني صاحب «الرسالة»:**

قال الحافظ ابن القيم في الكتاب المذكور[2]: ذِكر قول الإمام مالك الصغير أبي محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني. ثم ذِكر عقيدته في «الرسالة»[3] وهي مشهورة.

ثم قال ابن القيم: وذكر ـ أي: ابن أبي زيد ـ في كتابه المفرد في السنة[4] تقرير العلو واستواء الرب ـ تعالى ـ على عرشه بذاته أتم تقرير، فقال:

فصل فيما اجتمعت عليه الأمة من أمور الديانة في السُّنن التي خلافها[5] بدعة وضلالة: أن الله ـ سبحانه ـ له الأسماء الحسنى والصفات العلى. وذكر صفات الله ـ تعالى ـ التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسول الله ﷺ.

ومضى إلى أن قال: وأن يديه مبسوطتان، ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزمر: ٦٧]، وأن يديه غير نعمته في ذلك، وفي قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[ص: ٧٥]، وأنه يجيء يوم القيامة بعد أن لم يكن جائيًا، والملك صفًّا صفًّا لعرض الأمم وحسابها وعقابها

---

(١) انظر: «سبيل الرشاد» (٣/ ١٥٢) و(٥/ ١٣٥).

(٢) (ص٢١٤).

(٣) انظر: «مقدمة الرسالة» (ص٥٦) و«نوادره» (١٤/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣) و«الجامع في السنن والآداب» (١٠٧ ـ ١٠٨).

(٤) انظر: «ترتيب المدارك» (٦/ ٢١٨) و«السير» (١٧/ ١١) و«شجرة النور الزكية» (٢٢٧) و«سبيل الرشاد» (٥/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

(٥) في الأصل: «خلا فيها».

وثوابها، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وأنه يرضى ويحب التوابين ويسخط على من كفر به، ويغضب فلا يقوم شيء لغضبه، وأنه فوق سماواته على عرشه دون أرضه، وأنه في كل مكان بعلمه.

ومضى في ذكر عقائد أهل السنة إلى أن قال[1]: وكل ما قدمناه فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث، وكله قول مالك، فمنه منصوص من قوله ومنه معلوم من مذهبه.

ثم قال ابن القيم في الكتاب المذكور[2]: وقال ـ يعني: ابن أبي زيد القيرواني ـ في «مختصر المدونة»: وإنه ـ تعالى ـ فوق عرشه بذاته فوق سبع سمواته دون أرضه.

رضي الله عنه ما كان أصلبه في السنة وأقومه بها.

قال محمد تقي الدين: فإن قلت: أليس مؤلفو كتب الأشعرية المتأخرون الذين طعنت في عقائدهم قد أخذوا عقائدهم عن الإمام الأشعري؛ وهو علم من أعلام السنة؟

فالجواب: أن أبا الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ بريء منهم براءة الذئب من دم ابن[3] يعقوب؛ فإنه ـ رحمه الله ـ ذكر عقيدته التي هي عقيدة جميع أهل السنة في كتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، وهو مطبوع موجود في الأسواق، وذكر عقيدته ـ أيضًا ـ في كتابه «الإبانة في أصول الديانة»، وهو مطبوع كذلك في حيدر آباد الهند، وذكر الحافظ ابن عساكر عقيدة الإمام أبي الحسن الأشعري في

---

(١) (ص٢٢٣).

(٢) (ص٢٢٤).

(٣) سقطت من الأصل.

كتابه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام[1] أبي الحسن الأشعري»، فهذه الكتب الثلاثة تبرئ أبا الحسن الأشعري من عقيدة الجهمية التي نسبها إليه المتأخرون كذبًا وافتراءً.

وينبغي أن يعلم أن هذا الإمام مرت عليه ثلاثة أطوار: كان في أول أمره معتزليًّا، ثم صار كلَّابيًّا، ثم انتقل إلى عقيدة السلف وألَّف ما تقدم، فلا يحل لأحد أن ينسب إليه شيئًا من العقائد التي تاب منها ورجع عنها، وسأنقل هنا نبذة يسيرة من كلام الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ:

قال الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري المتوفى سنة ٣٣٠ من الهجرة في الكتاب المذكور أعلاه[2] (صفحة ٣٢٠ ـ طبعة مكتبة النهضة المصرية سنة ١٣٦٩هـ) ما نصه:

ـ حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة:

جملة ما عليه أهل الحديث والسنة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات[3] عن رسول الله ﷺ، لا يردون من ذلك شيئًا، وأن الله ـ سبحانه ـ إله واحد فرد صمد.

ثم مضى في ذكر صفات الله ـ تعالى ـ إلى أن قال: وأن الله ـ سبحانه ـ على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[المائدة: ٦٤]، وأن

---

(١) بدلها في الأصل: «فن».

(٢) أي: «مقالات الإسلاميين».

(٣) في الأصل: «الثقاة».

له عينين بلا كيف كما[1] قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر: ١٤]، وأن له وجهًا كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن: ٢٣].

ومضى إلى أن قال: ويقولون أن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ: من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال: غير مخلوق، ويقولون أن الله ـ سبحانه ـ يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن الله محجوبون، قال الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين: ١٥].

ومضى إلى أن قال: ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ أن الله ـ سبحانه ـ ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟ كما جاء في الحديث[2]، ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[النساء: ٥٩]، ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، وألا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله، ويقرُّون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[الفجر: ٢٢]، وأن الله يقرُب من خلقه كيف يشاء كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، ويرون العيد والجمعة خلف كل إمام بر وفاجر.

ومضى إلى أن قال في آخر المقال: ولكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير. انتهى.

---

(١) في الأصل: «وكما».

(٢) سبق تخريجه.

قال محمد تقي الدين الهلالي: فقد تبين ووضح وضوح الشمس في الضحى أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين من أصحاب مالك وغيرهم يُمِرُّون آيات الصفات وأحاديثها على ما تفهم العرب من كلامها على ظواهرها من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل، وعلمت أن الإمام محمد ابن عبدالله بن إسماعيل العلوي ـ رحمه الله ـ تصدى لإصلاح عظيم؛ وهو إصلاح العقيدة التي ينبني عليها دين المؤمن وسائر أعماله، وأن خلفه جلالة الملك الحسن الثاني ـ أيده الله بروح من عنده ـ ينسج على منواله، ونرجو أن يوفقه الله ـ تعالى ـ لإتمام هذا الإصلاح، وما ذلك على همته العالية بعزيز.

وقال الإمام أبو محمد عبدالله بن يوسف الجويني والد إمام الحرمين المتوفى في سنة ٤٣٨هـ في رسالته الموسومة بـ «رسالة إثبات الاستواء والفوقية، ومسألة الحرف والصوت، وتنزيه الباري عن الحصر والتمثيل والكيفية»[(١)] ما نصه:

اعلموا أيَّدكم الله ووفقكم لطاعته أنني كنت برهة من الدهر متحيرًا في ثلاث مسائل: مسألة الصفات، ومسألة الفوقية، ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد، وكنت متحيرًا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها والوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل، فأجد النصوص في كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسول الله ﷺ ناطقة منبئة بحقائق هذه الصفات، وكذلك في إثبات العلو والفوقية، وكذلك في الحرف والصوت، ثم أجد المتأخرين من المتكلمين في كتبهم: منهم من يؤول الاستواء بالقهر والاستيلاء، ويؤول القدم بقدم صدق

---

(١) (ص٢٩ ـ ٤٤).

عند ربهم، ويؤول النزول بنزول الأمر، ويؤول اليـدين بالقـدرتين أو النعمتـين، وأمثال ذلك.

ثم أجدهم مع ذلك يجعلون كلام الله ـ تعالى ـ معنًى قائمًا بالذات بلا حرف ولا صوت، ويجعلون هذه الحروف عبارة عن ذلك المعنى القائم، وممن ذهب إلى هذه الأقوال أو بعضها قوم لهم في صدري منزلة؛ مثل طائفة من فقهاء الأشعرية الشافعيين؛ لأني على مذهب الشافعي ﷺ، عرفت فرائض ديني وأحكامه، فأجد مثل هؤلاء الشيوخ الأجلة يذهبون إلى مثل هذه الأقوال، وهم شيوخي ولي فيهم الاعتقاد التام، لفضلهم وعلمهم، ثم إنني مع ذلك أجد في قلبي من هذه التأويلات حزازات لا يطمئن قلبـي إليهـا، وأجد الكدر والظلمة منها، وأجد ضيق الصدر وعدم انشراحه مقرونًا بها، فكنت كالمتحير المضطرب في تحيره، المتململ من قلبه في تقلبه وتغيره، وكنت أخاف من إطلاق القول بإثبات العلو والاستواء والنزول مخافة الحصر والتشبيه، ومع ذلك؛ فإذا طالعت النصوص الواردة في كتاب الله وسنة رسولـه ﷺ أجدهـا نصوصًا تشير إلى حقائق هذه المعاني، وأجد الرسول ﷺ قد صرح بها مخبرًا عن ربه واصفًا له بها، وأعلم بالاضطرار أنه ﷺ كان يحضر في مجلسه الشريف العالم والجاهل والذكي والبليد والأعرابي والجافي، ثم لا أجد شيئًا يعقب تلك النصوص التي كان يصف ربه بها لا نصًّا ولا ظاهرًا مما يصرفها عن حقائقها ويؤولهـا كما تأوَّلهـا هـؤلاء مشايخي الفقهـاء المتكلمـين؛ مثل: تأويلهم الاستواء بالاستيلاء، والنزول بنزول الأمر، وغير ذلك، ولم أجد عنه ﷺ أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه في صفته لله من الفوقيـة واليدين وغيرها، ولم ينقل عنه مقالة تدل على أن لهذه الصفات صفات أخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها؛ مثل: فوقية القهرية، ويد القدرة والنعمة، وغير ذلك، وأجد الله ﷻ يقول: ﴿الرَّحْمَٰنُ

﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾[الأعراف: ٥٤]، ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾[النحل: ٥٠]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾[فاطر: ١٠]، ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾[الملك: ١٦]، ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ﴾[الملك: ١٧]، ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾[النحل: ١٠٢]، ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾[غافر: ٣٦ ـ ٣٧]، وهذا يدل على أن موسى أخبره بأن ربه ـ تعالى ـ فوق السماء، ولهذا قال: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ﴾، وقوله ـ تعالى ـ: ﴿ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ۝٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾[المعارج: ٣ ـ ٤]، ثم أخذ الرسول ﷺ لما أراد الله أن يَخُصَّهُ بقربه؛ عرج به من سماء إلى سماء حتى كان قاب قوسين أو أدنى، ثم قوله ﷺ في الحديث الصحيح للجارية: «**أَينَ اللهُ؟**» فقالت: في السماء. فلم ينكر عليها بحضرة أصحابه، وقال: «**أعتِقهَا فإنَّهَا مُؤمِنَـةٌ**»[(١)]، وفي حديث جبير بن مطعم: قال النبي ﷺ: «**فوقَ عَرشِهِ فوقَ سَماوَاتِهِ، وَسَماوَاتُهُ فَوقَ أرضِهِ مِثلَ القُبَّةِ**» وأشار النبي ﷺ بيده مثل القبة[(٢)]، وقوله ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرحَمُهُمُ الرَّحمَنُ، ارحَمُوا أهلَ الأَرضِ يَرحَمكُـم مَن فِي السَّمَاءِ**»[(٣)]، أخرجه الترمذي وقال:

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦) وإسناده منكر؛ تفرَّد به محمد بن إسحاق بن يسار، وهو ينفرد بها لا يتابع عليه لا سيما إن لم يصرح بالتحديث في روايته، وهو موصوف بالتدليس.

وفيه جبير بن محمد؛ وهو مجهول.

(٣) خرجته بتطويل في كتابي «معجم شيوخ شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني» (٢/ ٦٩١ ـ ٧٠٩).

حسن صحيح. وعن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنِ اشتكى مِنكُم شَيئًا أوِ اشتكى أَخٌ لَهُ فَليَقُل: رَبُّنَا الله الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسمُكَ، أمرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأرضِ كَمَا رَحمَتُكَ فِي السَّمَاءِ، اغفِر لنَا حَوبَنَا وَخَطَايَانَا، أنتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أنزِل رَحمَةً مِن رَحمَتِكَ وَشِفَاءً مِن شِفَائِكَ عَلَى الوَجَعِ، فَيَبرَأُ**»[1]، أخرجه أبو داود، وعن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة: زيد الخير والأقرع بن حابس وعيينة ابن حصن وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل ـ شك عمارة ـ، فوجد من ذلك بعض الصحابة من الأنصار وغيرهم، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تَأمَنُونِي وَأنَا أَمِينُ مَن فِي السَّمَاءِ؛ يَأتِينِي خَبَرُ مَن فِي السَّمَاءِ صَبَاحًا مَسَاءً؟**»[2]، أخرجه البخاري ومسلم.

ثم ذكر حديث أبي هريرة الذي رواه الإمام أحمد والحاكم وقال: على شرطهما، وفيه صفة قبض روح المؤمن، وأن الملائكة يصعدون بها من سماء إلى سماء حتى تنتهي إلى التي فيها الله ﷻ[3].

ثم ذكر حديث البخاري ومسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِن رَجُلٍ يَدعُو امرَأتَهُ إلَى فِرَاشِهَا فَتَأبَى عَلَيهِ إلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيهَا حَتَّى يَرضَى عَنهَا**»[4]. وسرد أحاديث أخرى لا يتسع المقام لذكرها.

---

(١) خرجته في: تعليقي على «المعتقد الصحيح الشامل المختصر لما كان عليه السلف الصالح» (١/ ٨٢) **وإسناده ضعيف.**

(٢) أخرجه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٣٧ و٥١٩٣ و٥١٩٤) ومسلم (١٤٣٦) واللفظ له.

إلى أن قال[1]: ومن عرف هيئة العالم ومركزه من علم الهيئة، وأنه ليس له إلا جهتا العلو والسفل، ثم اعتقد بينونة خالقه عن العالم، فمن لوازم البينونة: أن يكون فوقه؛ لأن جميع جهات العالم فوق، وليس السفل إلا المركز وهو الوسط.

ومضى في تقرير ما تقدم توضيحه إلى أن قال[2]: وأما مسألة الحرف والصوت فتساق هذا المساق؛ فإن الله ـ تعالى ـ قد تكلم بالقرآن المجيد وبجميع حروفه، فقال ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ﴾[البقرة: ١]، وقال: ﴿الٓمٓصٓ﴾[الأعراف: ١]، وقال: ﴿قٓ ۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾[ق: ١]، وكذلك جاء في الحديث: «**فَيُنَادِي يَومَ القِيَامَةِ بِصَوتٍ يَسمَعُهُ مَن بَعُدَ كَمَا يَسمَعُهُ مَن قَرُبَ**»[3]، وفي الحديث: «**لَا أَقُول ﴿الٓمٓ﴾ حَرفٌ، وَلَكِن أَلِفٌ حَرفٌ، وَلامٌ حَرفٌ، وَمِيمٌ حَرفٌ**»[4].

فهؤلاء ما فهموا من كلام الله ـ تعالى ـ إلا ما فهموه من كلام المخلوقين، فقالوا: إن قلنا بالحروف فذلك يؤدي إلى القول بالجوارح واللهوات، وكذلك إذا قلنا بالصوت أدى ذلك إلى الحلق والحنجرة، عملوا في هذا من التخبط كما عملوا فيما تقدم من الصفات.

والتحقيق هو: أن الله ـ تعالى ـ قد تكلم بالحروف كما يليق بجلاله وعظمته، فإنه قادر، والقادر لا يحتاج إلى جوارح ولا إلى لهوات، وكذلك له صوت ـ كما يليق

---

(١) (ص٦٩).

(٢) (ص٧٧).

(٣) خرجته في تعليقي على: «المعتقد الصحيح الشامل» (١/ ١٠٧).

(٤) الحديث مختلف في رفعه ووقفه، **والصواب فيه الوقف**.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩/ ١٤٠ رقم ٨٦٤٨) وغيره من حديث ابن مسعود، **وإسناده صحيح**.

به ـ يسمع، ولا يفتقر ذلك الصوت المقدس إلى الحلق والحنجرة، كلام الله ـ تعالى ـ كما يليق به.

ثم قال[1]: فإن قيل: فهذا الذي يقرؤه القارئ هو عين قراءة الله ـ تعالى ـ، وعين تكلمه هو؟

قلنا: لا بل القارئ يؤدي كلام الله ـ تعالى ـ، والكلام إنما ينسب إلى من قاله مبتدئًا لا إلى من قاله مؤديًا مبلغًا، ولفظ القارئ في غير القرآن مخلوق، وفي القرآن لا يتميز اللفظ المؤدي عن الكلام المؤدى عنه، ولهذا منع السلف عن قول: (لفظي بالقرآن مخلوق)؛ لأنه لا يتميز، كما منعوا عن قول: (لفظي بالقرآن غير مخلوق)؛ فإن لفظ العبد في غير التلاوة مخلوق، وفي التلاوة مسكوت عنه؛ كيلا يؤدي الكلام في ذلك إلى القول بخلق القرآن، وما أمر السلف بالسكوت عنه يجب السكوت عنه، والله الموفق.

قال محمد تقي الدين: قوله: (ولهذا منع السلف عن قول (لفظي بالقرآن مخلوق) لأنه لا يتميَّز) رب مشاغب يقول: كيف لا يتميز كلام الخالق من كلام المخلوق، أليس هذا هو التشبيه الذي فررتم منه أو اتحاد الكلاميين؟

فالجواب: إن الكلام ينسب إلى قائله الأول كما أشار إليه الشيخ فيما تقدم، فما تقول أيها المشاغب! في قوله ـ تعالى ـ في سورة التوبة: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾[التوبة: ٦]، وهذا المستجير إنما يسمع كلام الله من لسان النبي ﷺ لا من الله ـ تعالى ـ، ومع ذلك سماه الله كلامه؟ فالقرآن كلام الله إذا تكلم الله به أو تكلم به رسوله ﷺ أو غيره من القراء هو في

---

(١) (ص٧٨).

ذلك كله كلام الله، واللفظية المبتدعون ينكرون ذلك، وهم محجوجون بهذه الآية وغيرها من الحجج المتقدمة.

وكان بودي أن أوضح مواضع أخرى مما نقلته؛ لكني رأيت أن هذا المقال قد طال، وأختمه بأن أتضرع إلى الله ـ تعالى ـ متوسلًا إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا وبمحبتنا لنبيه الكريم واتباعنا له أن يطيل عمر مليكنا الهمام أبي محمد الحسن الثاني وولي عهده سيدي محمد، ويبارك فيه وفي ذريته وأهل بيته، ويوفقه لبناء صروح المعالي، ويحرسه بعينه التي لا تنام من كيد الكائدين ومكر الماكرين، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين وصحبته الأكرمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المدينة المنورة

د. محمد تقي الدين الهلالي

❊ ❊ ❊

❊ ملك من ملوك الدولة العلوية المجيدة وموقفه من الأشعرية[1]

للدكتور محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني

مكناس ـ المغرب

إنه العلامة المحدث المؤلف سيدي محمد بن عبدالله بن إسماعيل ـ قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه ـ.

وهذا الملك في نظري أعلم ملوك الدولة العلوية بالكتاب والسنة، ومناقبه

---

(١) نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، ربيع الأول ١٤٠١هـ ـ يناير ١٩٨١م، (ص٩ ـ ١٦).

كثيرة، أقتصر على ذكر واحدة منها؛ وهي علمه بالكتاب والسنة وعمله بهما وخدمتهما والدعوة إلى اتباعهما، ولم تشغله أعباء الملك والسياسة والجهاد عن ذلك قط.

قال الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري في الجزء (٨/ ٦٨) من كتاب «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» ما نصه: «كان السلطان سيدي محمد بن عبدالله - رحمه الله - ينهى عن قراءة كتب التوحيد المؤسسة على القواعد الكلامية المحررة على مذهب الأشعرية».

قال محمد تقي الدين: اعلم أن عقيدة الأشعرية لم تكن موجودة عند علماء المغرب الأولين؛ لا في زمان الصحابة والتابعين، ولا في زمان دولة الأدارسة، ولا في زمان المرابطين، وإنما جاء بها من الشرق محمد المهدي بن تومرت، أخذها عن أبي حامد الغزالي، ولما جاءت أول نسخة من كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي؛ أجمع علماء العدوتين - عدوة الأندلس وعدوة المغرب - على إحراقها وتضليل مؤلف الكتاب؛ لما اشتمل عليه من الضلالات، أذكر واحدة منها قرأتها فيه وهي قوله: ليس في إمكان أبدع مما كان، إذ لو كان لكان ظلمًا ينافي العمل. انتهى بلفظه[1].

ومعنى هذا الكلام: أن الله لا يقدر أن يخلق العالم على صفة أفضل مما هو عليه؛ لأنه لو كان يقدر على ذلك ولم يفعله لكان ظلمًا، وهو محال على الله - تعالى -؛

(١) (٤/ ٢٥٨)، وعبارته: «وكل ما قسم الله - تعالى - بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية؛ فكله عدل محض لا جور فيه، وحق صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي بالقدر الذي ينبغي، **وليس في الإمكان أصلًا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل، ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفعله؛ لكان بخلًا يناقض الجود، وظلمًا يناقض العدل**».

لأنه متصف بالعدل التام، وقد أنكر هذا القول علماء المغرب وغيرهم من علماء الإسلام في كل مكان، ولا يخفى فساده؛ لأن الدنيا دار الأكدار، وليست بدار الصفاء والكمال، كما قال التهامي[1] في قصيدته[2]:

طبعت على كدر وأنت تريدها صفوًا من الأكدار والأقذار[3]

ومكلف الأيام ضد طباعها متطلب في الماء جذوة نار

ولأن الله ـ تعالى ـ لا يجب عليه أن يخلق الكون كما يريد الإنسان؛ لأن الإنسان ظلوم جهول، والله ذو العلم وذو العدل العظيم، وذو القدرة الكاملة التي لا يعجزها شيء.

ومن المعلوم عند الأشعرية وغيرهم أن قدرة الله تتعلق بكل ممكن، وخلق العالم على صورة أفضل من هذه ممكن يقينًا، ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ حكيم خلق الخلق على مقتضى حكمته، فخلقه في غاية الكمال، ليس فيه نقص، وهذه الصورة هي الصالحة لخلقه.

وقد رد الحافظ ابن الجوزي الحنبلي على أبي حامد الغزالي مسائل، وشنع عليه فيها في كتابه المسمى «تلبيس إبليس»[4].

وانتقد الدكتور زكي مبارك أبا حامد الغزالي؛ لأنه كان في زمان ابتلاء المسلمين بغزو التتار على يد ملكهم هولاكو، قال زكي مبارك: كان المسلمون يقاتلون التتار،

---

(١) أبو الحسن علي بن محمد التهامي (ت٤١٦هـ).

(٢) يرثي ولده؛ وقد مات صغيرًا، انظرها في: «ديوانه» (٣٠٨).

(٣) في «الديوان»: «الأقذاء والأكدار».

(٤) انظره: (ص١٤٩، ١٩٠، ١٩٥، ٢٥٦، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٩).

وأبو حامد منعزل في خلوته يبحث في مسائل التصوف والفلسفة ولا يهمه أمر المسلمين.

وقد قال ابن العربي المعافري ـ وهو أشعري متعصب ـ: دخل شيخنا أبو حامد الغزالي في بطون الفلاسفة، ثم أراد أن يخرج فلم يستطع[1].

وفي كتابه «المستصفى في أصول الفقه»[2] ما يدل على أنه نزل إلى دركة القول بوحدة الوجود، والقول بها كفر، ومن خرج عن كتاب الله وسنة رسوله لابد له من الضلال.

ولله در شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميَّة؛ فإن خصومته مع الأشعرية ومن ينتصر لهم من الأمراء معروفة، حتى أنه سجن بسبب ذلك هو وتلميذه الحافظ ابن القيم إلى أن مات في السجن، رحمة الله عليه، ولم يشغله كل ذلك عن التوجه إلى هولاكو، ووعظه وحذره من قتال المسلمين، وعسى أن يكون أبو حامد قد تاب في آخر عمره مما كان فيه.

وينبغي أن يعلم القارئ أن أبا الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ـ رحمه الله ـ وكبار أصحابه بريئون من عقيدة الأشعرية المعطلة، فنسبتهم إليه نسبة كاذبة، وهذه كتبه توضح ذلك؛ فمنها: «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» ذكر فيها ـ رحمه الله ـ عقائد الفرق الثلاث والسبعين التي جاء في حديث الترمذي عن النبي ﷺ أنها كلها في النار إلا واحدة، قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**»[3]، وجعل أبو الحسن ـ رحمه الله ـ عقيدة للفرقة الناجية هي الآخرة

---

(١) انظر: «درء تعارض العقل والنقل» (١/ ٥).

(٢) لم أجد في «المستصفى» ما يدل على ذلك!

(٣) الحديث صحيح. انظر تخريجه في: «الموافقات» (٤/ ٤٤٩ ـ بتحقيقي) و«الاعتصام» =

في الذكر في الكتاب المذكور، وهو مجلد طبعه لأول مرة المستشرقون الألمانيون في إستانبول، ثم طبع بعد ذلك وانتشر، ومن كتبه النفيسة التي تغبر في وجوه الأشعرية وتبعدهم عنه: كتاب «الإبانة عن أصول الديانة»، وقد طبعه علماء المملكة العربية السعودية، وهم يوزعونه مجانًا، وله كتاب آخر في العقيدة ـ لم أره ـ ذكره الحافظ ابن القيم في كتبه واسمه: «الموجز».

وللحافظ ابن القيم ـ رحمه الله ـ كتاب صغير الحجم غزير العلم في عقيدة أهل السنة اسمه: «اجتماع الجيوش الإسلامية في غزو المعطلة والجهمية»، ومن جملة المعطلة: الأشعرية؛ فإنهم أنكروا صفات الله كلها التي وصف بها نفسه ـ سبحانه ـ، ووصفه بها رسوله ﷺ، واعتقدها الصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون الأربعة وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة والليث بن سعد والأوزاعي وعبدالله بن المبارك وغيرهم، أنكروها كلها إلا ثلاثة عشرة صفة: واحدة سموها (نفسية)، وخمسًا[1] سموها (سلبية)، وسبعًا[2] سموها (معاني)، وزادوا سبعًا أخرى سموها (معنويات) لتكثير العدد وإبلاغها إلى عشرين، وهي في المعنى شيء واحد، فذِكر المعاني يغني عن المعنويات، فثبوت العلم لله ـ تعالى ـ يفهم منه أنه عالم، وثبوت القدرة يفهم منه أنه قادر، وهكذا يقال في الإرادة والحياة والسمع والبصر ...إلى آخرها.

ومن أعظم ضلالاتهم[3] أنهم ينكرون كلام الله ـ تعالى ـ، ويخترعون لله ـ تعالى ـ كلامًا نفسيًّا ليس فيه حرف ولا صوت، وليس بعربي ولا عجمي، وهو

= (٣/ ١٥٧ ـ بتحقيقي).

(١) في الأصل: «وخمس».

(٢) في الأصل: «وسبع».

(٣) في الأصل: «ضلالاته».

معنًى واحد، ليس فيه تقديم ولا تأخير، وكيف يكون القرآن كله معنًى واحدًا[1] وقد قسمه العلماء إلى أقسام: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وبشير ونذير وقصة وموعظة وأمثال؟ فهذه تسعة أقسام كل منها مستقل بنفسه، فكيف يكون الحلال حرامًا والحرام حلالًا؛ الذي يدل على هذا يدل على الآخر؟ هذا لا يعقل!

وهناك برهان قاطع من كتاب الله ـ تعالى ـ يفند هذه الدعوى ويقضي عليها قضاء تامًّا، وهو قوله ـ تعالى ـ في سورة التوبة [٦]: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ معناه: بلغة يفهمها كل قارئ، قال الله ـ تعالى ـ لنبيه محمد ﷺ: إن طلب منك الأمان أحد من المشركين ليدخل بلادك ويسمع منك كلام الله ـ وهو القرآن ـ؛ فأعطه الأمان حتى يصل إليك، وتقرأ عليه كلام الله ويسمعه ويفهمه، ثم أبلغه إلى بلده آمنًا لتقوم عليه الحجة، فإذا كفر بعد ذلك استحق عذاب الله في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بدخول النار، فهذه الآية لا يستطيعون تحريفها أبدًا، وهي حجة على أن هذا القرآن الذي نقرؤه بألسنتنا ونحفظه في صدورنا ونكتبه في مصاحفنا هو كلام الله بعينه[2].

وفي الحديث الصحيح: «**مَا مِنكُم مِن أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيسَ بينه**[3] **وَبَيْنَهُ تَرجُمَانٌ**»[4]، وفي القرآن من الأدلة على هذا المعنى لا يحصى؛ منها قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ﴾.

---

(١) في الأصل: «واحد».

(٢) في الأصل: «لمعينه»!!

(٣) في الأصل: «بين».

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٣٩ و٧٤٤٣ و٧٥١٢) ومسلم (١٠١٦).

أما الأدلة في الحديث الصحيح فحدث عن البحر [ولا حرج][1]، فكيف يريد الأشعرية من نابغة ملوك الدولة العلوية المجيدة الإمام محمد بن عبدالله بن إسماعيل أن يترك علمه ويقلدهم في عقيدتهم الفاسدة؟! حاشاه من ذلك.

ـ بعد أئمة المالكية عن عقيدة الأشعرية وإنكارهم لها:

وقال الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٧) بسنده المتصل إلى إبراهيم بن بكر قال: سمعت أبا عبدالله محمد بن أحمد بن إسحاق بن خويز منداد البصري المالكي قال في (كتاب الإجارات) من كتابه في الخلاف: قال مالك: لا تجوز الإجارة[2] في شيء من كتب الأهواء والبدع والتنجيم... وذكر كتبًا. ثم قال: وكتب أهل الأهواء والبدع ـ عند أصحابنا ـ هي كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم، وتفسخ الإجارة في ذلك. قال[3]: وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن وما أشبه ذلك.

وقال في (كتاب الشهادات) في تأويل قول مالك: (لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء) قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع، أشعريًّا كان أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبدًا، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها.

قال أبو عمر: ليس في الاعتقاد كله في صفات الله وأسمائه إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ، أو اجتمعت عليه الأمة، وما جاء من

---

(١) في الأصل: «الأحرج»!

(٢) بعدها في الأصل: «من كتابه في الخلاف، قال مالك: لا تجوز الإجارة»، وهو تكرار.

(٣) في الأصل: «فقال».

أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يسلم ولا يناظر فيه.

ثم قال: وقد روينا عن مالك بن أنس والأوزاعي وسفيان بن سعيد وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد في أحاديث الصفات أنهم كلهم قال: أمروها كما جاءت[1]. نحو: حديث النزول[2]، وحديث: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ**»[3]، وأنه يدخل قدمه في جهنم[4]، وما كان مثل هذه الأحاديث، وقد شرحنا القول في هذا الباب من جهة النظر والأثر، وبسطناه في كتاب «التمهيد»[5] عند ذكر حديث النزول، فمن أراد الوقوف عليه تأمله هناك، وبالله التوفيق.

وقول صاحب «الاستقصاء»: (وكان السلطان سيدي محمد بن عبدالله ينهى عن قراءة كتب التوحيد) تعبير غير صحيح؛ لأن هذا العالم الجليل والملك النبيل ما كان ينهى عن قراءة كتب التوحيد، فإن التوحيد عند المحققين ثلاثة أنواع:

توحيد الربوبية: وهو أن يعتقد المسلم أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يعطي ولا يمنع ولا يحيي ولا يميت ولا يتصرف في[6] الكون إلا الله وحده لا شريك له، وهذا النوع كان عند المشركين من أهل مكة، قال الله ـ تعالى ـ في سورة العنكبوت [٦١ ـ ٦٣]: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) (٧/ ١٢٨).

(٦) في الأصل: «من».

وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

وفي كتاب «جواهر المعاني» الذي ينسبه التيجانيون[1] إلى شيخهم ويزعمون أنه أملاه على تلميذه علي حرازم براده: أن القطب الغوث الفرد هو الخليفة عن الله ـ تعالى ـ في جميع مملكته، فلا تتحرك ذرة في العالم إلا بإذنه.

فيا ليت شعري! لماذا يحتاج الله ـ تعالى ـ إلى خليفة وهو حاضر لا يغيب ولا يمرض ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يحتاج إلى معين؟ وإنما يحتاج إلى الخليفة الملك والأمير والرئيس؛ لأنه يسافر ويمرض ويتعب فيحتاج إلى من يخلفه ويعينه، وكلام المتصوفة في هذا الباب كثير، وكله باطل يتنافى مع توحيد الربوبية.

والنوع الثاني: توحيد العبادة؛ وهذا هو الذي أنكره المشركون من العرب وغيرهم، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[ص: ٥]، وقالوا في أوليائهم الذين اتخذوهم من دون الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا[2] لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر: ٣].

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات ـ وكلامنا فيه ـ، وهو الذي تبع فيه محمد بن عبدالله بن إسماعيل ـ رحمة الله عليهم ـ رسول الله ﷺ والسلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأئمة الحديث، وخالف المعطلة لصفات الله ـ تعالى ـ من الأشعرية وغيرهم.

---

(١) في الأصل: «التجانيون».

(٢) سقطت من الأصل.

وقد مضت قبله دولة الموحدين، ولم ينتبه أحد من علمائهم ولا ملوكهم إلى ما في العقيدة الأشعرية من الأخطاء[1]، وجاء بعدهم بنو مرين وعلماؤهم وملوك الدولة السعدية وعلماؤهم، ثم جاءت الدولة العلوية المباركة التي جاء أوائلها من الحجاز ونشروا العلم وجاهدوا في سبيل الله؛ ومنهم: الإمام المجاهد علي الشريف الذي قاد الجيش من المغرب إلى الأندلس بعدما استغاث به أهلها مكاتبةً ثلاث مرات، وكان عالـمًا صالحًا متواضعًا لله ـ تعالى ـ على سيرة جده المصطفى ﷺ، بعيدًا عمن طلب الإمارة[2] والرئاسة، وقد أطلعني القائد السيد محمد بن المهدي ابن مولاي رشيد ـ الذي هو أخو مولاي الحسن الأول ـ، أطلعني على وثائق كتبها الإمام علي الشريف ـ رحمه الله ـ بيده، وكتب بخط يده في توقيعه: (الطالب) علي، وإنما تصدى رجال الدولة العلوية الأماجد للإمارة والملك حين عم الفساد في المغرب، وكثرت فيه الدويلات والظلم والفوضى بعد القرن العاشر الهجري، فأسسوا الدولة على قواعد متينة إلى أن قضى عليها الخوارج المفسدون، ثم جاءت الطامة الكبرى؛ وهي الاستعمار الفرنسي والإسباني والدولي، وقسموا المغرب ثلاثة أقسام، وافقت عليها كبار الدول، فأراد الله إحياءها وتجديدها، فقام الإمام المجاهد محمد الخامس بمشاركة ابنه وولي عهده في ذلك الحين، وملك المغرب في هذا الزمان، صاحب الجلالة الحسن الثاني؛ فأسسا الدولة المغربية العصرية، نسأل الله أن يمدها بعونه وتوفيقه.

***

(١) في الأصل: «الخطاء».

(٢) في الأصل: «الإماراة».

* من رجال الدولة العلوية المجيدة: الملك الجليل مولاي سليمان بن محمد بن عبدالله[1]

فضيلة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

مكناس ـ المغرب

تقدم أن المنقبة التي ذكرتها لعالم الملوك وملك العلماء سيدي محمد بن عبدالله ابن إسماعيل هي نهيه رعيته عن الخوض في علم الكلام الذي هو علم الظلام، وأمره رعيته باتباع السلف الصالح في العقيدة؛ وهو أن يوصف الله ـ تعالى ـ بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ في حديثه، من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل كما أولت الأشعرية آيات الاستواء بـ (الاستيلاء)؛ وهو لا يكون إلا بين جيشين يتحاربان فيستولي أحدهما على الآخر، وأوَّلت[2] حديث «الصحيحين»: «**يَنزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنيَا حِينَ يَبقَى الثُّلُثُ الأَخِيرُ مِنَ اللَّيلِ فَيَقُولُ: أَلَا هَل مِن دَاعٍ فَأَستَجِيبَ لَهُ؟ أَلَا هَل مِن سَائِلٍ فَأُعطِيَهُ؟ أَلَا هَل مِنْ مُستَغفِرٍ فَأَغفِرَ لَهُ؟ وَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَطلُعَ الفَجرُ**»[3]، قال المتأخرون من الأشعرية: معنى (ينزل ربنا): تنزل رحمته، وحقيقة النزول مستحيلة على الله ـ تعالى ـ؛ لأنه تنقل، والتنقل من صفات المخلوق، وذلك تشبيه للخالق بالمخلوق. فقيل لهم: ومن ذا الذي يقول: «**هَل مِن دَاعٍ فَأَستَجِيبَ لَـهُ؟ هَل مِن سَائِلٍ فَأُعطِيَهُ؟ هَل مِن**

---

(١) نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد الثالث عشر، العدد الخامس، رجب المرجب ١٤٠١هـ ـ مايو ١٩٨١م، (ص٥ ـ ١٨).

(٢) في الأصل: «وأول».

(٣) سبق تخريجه.

مُستَغفِرٍ فَأَغفِرَ لَـهُ؟»؟ هل رحمتـه هي التي تقول ذلك؟ وهل هي التي تستجيب وتعطي وتغفر؟ فسقط في أيديهم وتبين لهم خطؤهم وتحريفهم للحديث.

أما منقبة السلطان مولاي سليمان فتتبين فيما يلي(١):

ـ وصـول كتـاب صاحـب الحجـاز عبدالله بن سـعود الوهابي إلى فاس، وما قاله العلماء في ذلك:

وفي هذه المدة ـ أيضًا ـ وصل كتاب عبدالله بن سعود الوهابي، التابع بجزيرة العرب، المنقلب على الحرمـين الشريفـين، المظهر لمذهبه بهما، إلى فاس المحروسة، وأصل هـذه الطائفة الوهابية ـ كما عند صاحب «التعريبات الشافية» وغيره ـ أن فقيرًا من عرب نجد يقال له: سليمان؛ رأى في المنام كأنَّ شعلة من نار خرجت من بدنه وانتشرت وصارت تأكل ما قابلها، فقص رؤياه على بعض المعبرين، ففسرها لـه بأن أحد أولاده يجدد دولة قوية، فتحققت الرؤيـا في ابن ابنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان.

فالمؤسس للمذهب هو محمد بن عبد الوهاب، ولكن نسب إلى عبد الوهاب، فلما كبر محمد احترمه أهـل بلاده، ثم أخبر بأنـه قرشي ومن أهل بيت النبي ﷺ، وألَّف لهم قواعد وعقائد، وهي عبادة الله: واحد، قديم، قادر، حق، رحمن، يثيب المطيع ويعاقـب العاصي، وأن القرآن قديـم يجب اتباعـه دون الفروع المستنبطة، وأن محمدًا رسول الله وحبيبه، ولكن لا ينبغي وصفه بأوصاف المدح والتعظيم؛ إذ لا يليق ذلك إلا بالقديم، وأن الله ـ تعالى ـ حيث لم يرض(٢) بهذا الإشراك سخره

---

(١) ما بعده من «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» (٨/ ١١٩ ـ ١٢٠).

(٢) في الأصل: «يرضى».

ليهـدي الناس إلى سواء الطريق، فمن امتثـل فبهـا ونعمت، ومن أبى فهو جدير بالقتل، فهذه أصول مذهبه، وكان قد بثه أولًا سرًّا فقلده أناس، ثم سافر إلى الشام لهذا الأمر، فلما لم يجد به مراده رجـع إلى بلاد العرب بعد غيبته عنها ثلاث سنين، فاتصل بشيخ من أشياخ عرب نجد يقال له: عبدالله بن سعود؛ وكان شهمًا كريم النفس، فقلده وقام بنصرة مذهبـه وقاتل عليـه حتى أظهره، واقتسم الرئاسة هو ومحمد بن عبد الوهـاب، فابن عبد الوهـاب صاحب الاجتهاد في مسائل الدين، وابن سعود أمير الوهابية وصاحب حربهم، ولا زال أمر هؤلاء الوهابية يظهر شيئًا فشيئًا إلى أن تغلبوا على الحجاز والحرمين الشريفين وسائر بلاد العرب.

ثم قال صاحب «التعريبات الشافية»: إن مساجد الوهابيـة خاليـة مـن[1] المنارات والقباب وغيرها من البدع المستحسنة، لا يعظمون الأئمة ولا الأولياء، ويدفنون موتاهم من غير مشهد واحتفال، يأكلون خبز الشعير والتمـر والجـراد والسمك، ولا يأكلون اللحم والأرز إلا نادرًا، ولا يشربون القهـوة، وملابـسهم ومساكنهم غير مزينة، ولما استولى ابن سعود على الحرمين الشريفين؛ بعـث كتبـه إلى الآفاق كالعراق والشام ومصر والمغرب يدعو الناس إلى اتباع مذهبه والتمسك بدعوته، ولما وصل كتابه إلى تونس بعث مفتيها نسخة منه إلى علماء فاس؛ فتصدى للجواب عنه الشيخ العلامة الأريب أبو الفيض حمدون ابن الحاج، قال صاحب «الجيش»: كان تصدي الشيخ أبي الفيض لذلك الجواب بأمر السلطان وعلى لـسانه، وذهب بجوابه ولده المولى إبراهيم بن سليمان حين سافر للحج.

قلت: وهـذا يقتضي أن كتـاب ابن سـعود ورد على السلطان المولى سليمان

---

(١) في الأصل: «عن».

بالقصد الأول لا أن نسخة منه وردت بواسطة علماء تونس، والله ـ تعالى ـ أعلم.
انتهى من «الاستقصا» الجزء الثامن.

ـ وضع الأخبار المتقدمة في الميزان:

هذه الأخبار التي نقلها صاحب «الاستقصا» ـ رحمه الله ـ عن[1] المؤلفين في ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عذره فيها أنه ناقل، وقد بذل جهده ولم يستطع الوصول إلى الحقيقة، وعذر المقول عنهم كثرة[2] أعداء هذا الشيخ المصلح؛ ومنهم: الدولة العثمانية وعلماؤها الذين لا يهمهم إلا إرضاؤها، ومنهم: أمراء مكة ومن دار في فلكهم من المؤلفين، وهم من أشد أعداء أهل نجد قوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ فمن ذلك: أن أمراء مكة منعوا أهل نجد من أداء فريضة الحج اثنتي عشرة سنة قبل استيلاء الملك عبد العزيز آل سعود ـ رحمه الله ـ على الحجاز سنة ثلاث وأربعين وثلاث مائة وألف، وقد شاهدت ذلك بنفسي لما حججت الحجة الأولى سنة ١٣٤١هـ، ومن أسباب ذلك: مضادة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأصحاب الطرائق المبتدعة وعبدة شيوخ الطرق والقباب، وما أكثرهم في زمانه وفي هذا الزمان ـ أيضًا ـ، كل ذلك جعل الحقيقة غامضة على أكثر الناس، وسأذكر هنا ما في هذا الكلام المنقول من «الاستقصاء» من الأوهام:

الوهم الأول: تسمية أهل نجد بعد ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب بـ (الوهابية)، لقد سافرت من بلاد سجلماسة إلى حدود برمة في أقصا الهند، يشمل ذلك بلاد العرب كلها؛ ومنها: الجزائر ومصر والشام والحجاز ونجد والعراق

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) في الأصل: «كثرت».

وعربستان ـ أي: البلاد العربية ـ التي استولى عليها الفرس (إيران) في الزمان الأخير؛ أي: من سنة ٤٤ للهجرة، ونفوا أميرها الشيخ خزعلا إلى مدينة طهران عاصمتهم، وبقي فيها حتى مات، وأجبروا مليونين من العرب على تبديل لباسهم ولغتهم العربية والتكلم بالفارسية، مع أنهم شيعة موافقون لهم في العقيدة، وإنما فعلوا ذلك رغبة في الاستيلاء على آبار النفط الغزيرة في عباذان، وبدلوا اسم مدينتهم (المحمرة) وسموها (خرم شهر)؛ فـ(خرام) هو الشهر، و(شهر) هو المدينة، ليعجبوا[1] تلك البلاد العربية تعجيبًا[2] تامًّا ويبعدوها عن أصلها العربي، وقع ذلك في زمان الشاه محمد رضا البهلاوي وهو والد هذا الشاه المخلوع في هذا الزمان؛ الذي هو سبب المعركة الواقعة بين دولة فارس بزعامة الإمام الخميني وأتباعه، وبين الولايات المتحدة الأمريكية، ويشمل بلاد باكستان والهند كلها، وبلاد الأتراك وأفغانستان، وما رأيت طائفة تسمي نفسها وهابية، ولكن أعداء التوحيد والسنة تعمدوا تسمية كل متبع لرسول الله ﷺ موحدًا لله ـ تعالى ـ (وهابيًّا) بمعنى: أنهم لا يتبعون الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ صافيًا، وإنما يتبعون نحلة[3] أحدثها محمد بن عبد الوهاب، وهذه كتب المؤلفين من أهل التوحيد والسنة من اليمن كالإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني اليمني مؤلف «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» وغيره من المصلحين في اليمن، وتآليف الشاميين والعراقيين والمصريين والمغاربة وأهل الهند المتمسكين بالسنة والتوحيد، وعددهم في دولة الهند سبعة ملايين، وفي دولة باكستان سبعة ملايين، والمتمسكين بالتوحيد والسنة في أندونيسيا وفي السودان المجاور لمصر

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «ليعجموا».

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: «تعجيمًا».

(٣) في الأصل: «نخلة».

وفي السودان المغربي؛ لم يسم أحد منهم نفسه وهابيًّا، وإنما يسمون أنفسهم مسلمين كما سماهم الله ـ تعالى ـ بقوله ـ سبحانه ـ: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا...﴾[الحج: ٧٨] على أن هذه التسمية التي يلمز[1] بها أعداء التوحيد والسنة جماعة الموحدين السنيين هي في الحقيقة شرف عظيم منحوهم إياه بلا شعور؛ لأنها نسبة إلى الوهاب وهو رب العالمين، وكل من وحد الله ـ تعالى ـ واعتزل المشركين وعقيدتهم فهو عبد مرضي عند الوهاب يهب له خير الدنيا والآخرة، قال ـ تعالى ـ حكاية عن إبراهيم الخليل في سورة مريم [٤٩ ـ ٥٠]: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾.

وقد قال العالم المحقق الشيخ عمران اللنجي (نسبة إلى لنجة، وأهلها عرب خلص في قلب بلاد فارس، وهم غير أهل عربستان الذين ذكرت من قبل)، قال قصيدة طويلة[2] في هذا المعنى، أحفظ منها تسعة أبيات، وقد ذيلتها بثلاثة وأربعين بيتًا نظمتها في غرفتي التي كنت أنزل بها في شارع سونبارناس رقم (١٣٥) بمدينة باريس في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٨٥هـ، ولا أجد بدًّا من إثبات أبيات الشيخ عمران اللنجي وذيلها الطويل، وإن طال المقال يمكن وزارة الأوقاف الموقرة أن تنشر بعضه في يوم عيد العرش، وتنشر الباقي بعد ذلك إن أعجبها هذا المقال الذي التمسته مني ـ كالعادة ـ في كل سنة منذ زمان طويل، قال الشيخ عمران اللنجي ـ رحمه الله ـ:

---

(١) في الأصل: «يتميز».

(٢) انظرها مع تذييل الهلالي عليها في: «منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار محمد تقي الدين الهلالي» (ص١٣٧ ـ ١٤٥ بتحقيقي).

إِنْ كَـانَ تَـابِعُ أَحْمَـدٍ مُتَوَهِّبًـا فَأَنَـا الْـمُقِرُّ بِـأَنَّنِي وَهَّـابِي
أَنْفِي الشَّرِيكَ عَنِ الإِلَـهِ فَلَيْسَ لِي رَبٌّ سِـوَى الْـمُتَفَرِّدِ[1] الوَهَّـابِ
لَا قُبَّـةٌ تُرْجَـى وَلَا وَثَـنٌ وَلَا قَـبْرٌ لَـهُ سَـبَبٌ مِـنَ الْأَسْبَابِ
أَيْـضًا وَلَـسْتُ مُعَلِّقًـا لِتَمِيمَـةٍ أَوْ حَلْقَـةٍ أَوْ وَدْعَـةٍ أَوْ نَـابِ
لِرَجَـاءِ نَفْـعٍ أَوْ لِـدَفْعِ مَـضَرَّةٍ اللهُ يَنْفَعُنِـي وَيَـدْفَعُ مَـا بِي
وَالْإِبْتِـدَاعُ وَكُـلُّ أَمْـرٍ مُحْـدَثٍ فِي الـدِّينِ يُنْكِـرُهُ ذَوُو[2] الْأَلْبَـابِ
أَرْجُـو بِـأَنِّي لَا أُقَارِبُـهُ وَلَا أَرْضَـاهُ دِينًـا وَهْـوَ غَـيْرُ صَـوَابِ
كَالـشَّافِعِيِّ وَمَالِـكٍ وَأَبِي حَنِيـ ـفَةَ ثُـمَّ أَحْمَـدَ أَلتَّقِـي الْأَوَّابِ
هَـذَا الـصَّحِيحُ وَمَـنْ يَقُـولُ بِمِثْلِـهِ صَـاحُوا عَلَيْـهِ مُجَـسِّمٌ وَهَّـابِي

هذا ما أحفظه من قصيدة الشيخ المذكور، والآن أشرع في التذييل فأقول من بحر الكامل من الضرب المقطوع:

نَـسَبُوا إِلَى الْوَهَّـابِ خَـيْرَ عِبَـادِهِ يَـا حَبَّـذَا نَـسَبِي إِلَى الْوَهَّـابِ
اللهُ أَنْطَقَهُـمْ بِحَـقٍّ وَاضِـحٍ وَهُـمُ أَهَـالِي فِرْيَـةٍ وَكِـذَابِ
أَكْـرِمْ بِهَـا مِـنْ فِرْقَـةٍ سَـلَفِيَّةٍ سَـلَكَتْ مَحَجَّـةَ سُـنَّةٍ وَكِتَـابِ
وَهِـيَ الَّتِـي قَـصَدَ النَّبِـيُّ بِقَوْلِـهِ هِـيَ مَـا عَلَيْـهِ أَنَـا وَكُـلُّ صِحَابِي
قَـدْ غَـاظَ عُبَّـادَ الْقُبُـورِ وَرَهْطَهُـمْ تَوْحِيـدُنَا للهِ دُونَ تَحَـابِ
عَجَـزُوا عَـنِ الْبُرْهَـانِ أَنْ يَجِـدُوهُ إِذْ فَزِعُـوا لِـسَرْدِ شَـتَائِمٍ وَسُـبَابِ

(١) كذا في «الديوان»، وفي الأصل: «المنفرد».
(٢) كذا في «الديوان»، وفي الأصل: «ذو».

وَكَذَاكَ أَسْلَافٌ لَهُمْ مِنْ قَبْلُ كَمْ نَسَبُوا لِأَهْلِ الْحَقِّ مِنْ أَلْقَابِ

سَمَّوْا رَسُولَ اللهِ قَبْلُ مُذَمَّمًا وَمَنِ اقْتَفَاهُ قِيلَ هَذَا صَابِ

اللهُ طَهَّرَهُمْ وَأَعْلَى قَدْرَهُمْ عَنْ نَبْزِ كُلِّ مُعَطِّلٍ كَذَّابِ

اللهُ سَمَّاهُمْ بِنَصِّ كِتَابِهِ حُنَفَاءَ رُغْمَ الْفَاجِرِ الْمُرْتَابِ

مَا عَابَهُمْ إِلَّا الْمُعَطِّلُ وَالْكَفُو رُ وَمَنْ غَوَى بِعِبَادَةِ الْأَرْبَابِ

وَدَعَا لَهُمْ خَيْرُ الْوَرَى بِنَضَارَةٍ ضَمِنَتْ لَهُمْ فَضْلًا[1] مَدَى الْأَحْقَابِ

هُمْ حِزْبُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَجُنْدُهُ وَاللهُ يَرْزُقُهُمْ[2] بِغَيْرِ حِسَابِ

وَيُنِيلُهُمْ نَصْرًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ فَهْوَ الْمُهَيْمِنُ هَازِمُ الْأَحْزَابِ

إِنْ عَابَهُمْ نَذْلٌ لَئِيمٌ فَاجِرٌ فَإِلَيْهِ يَرْجِعُ كُلُّ ذَاكَ الْعَابِ

مَا ضَارَهُمْ عَيْبُ الْعَدُوِّ وَهَلْ يَضِيـ ـرُ الْبَدْرَ فِي الْعَلْيَاءِ نَبْحُ كِلَابِ

يَا سَالِكًا نَهْجَ النَّبِيِّ وَصَحْبِهِ أَبْشِرْ بِمَغْفِرَةٍ وَحُسْنِ مَآبِ

وَهَزِيمَةٍ لِعَدُوِّكَ الْخِبِّ اللَّئِيـ ـمِ وَإِنْ يَكُنْ فِي الْعَدِّ مِثْلَ تُرَابِ

يَا مَعْشَرَ الْإِسْلَامِ أُوبُوا لِلْهُدَى وَاقْفُوا سَبِيلَ الْمُصْطَفَى الْأَوَّابِ

أَحْيُوا شَرِيعَتَهُ الَّتِي سَادَتْ بِهَا الْـ أَسْلَافُ فَهْيَ شِفَاءُ كُلِّ مُصَابِ

وَدَعُوا التَّحَزُّبَ وَالتَّفَرُّقَ وَالْهَوَى وَعَقَائِدًا جَاءَتْ مِنَ الْأَوْشَابِ

فَيَمِينُهَا لَا يُمْنَ فِيهِ تَرَوْنَهُ وَيَسَارُهَا يَأْتِيكُمُ بِتَبَابِ

إِنَّ الْهُدَى فِي قَفْوِ شِرْعَةِ أَحْمَدٍ وَخِلَافُهَا رَدٌّ عَلَى الْأَعْقَابِ

---

(١) في «الديوان»: «نصرًا».

(٢) كذا في «الديوان»، وفي الأصل: «يرزقكم».

جَـرَّبْتُمُ طُـرُقَ الـضَّلَالِ فَلَـمْ تَـرَوْا ... لِـــصَدَاكُمُ[1] إِلَّا بَرِيـــقَ سَرَابِ

وَاللهِ لَـــوْ جَــرَّبْتُمُ نَهْـجَ الْهُـدَى ... سَـــنَةً لَفُقْـــتُمْ جُمْلَـــةَ الْأَتْـــرَابِ

وَلَهَـــابَكُمْ أَعْـــدَاؤُكُمْ وَتَوَقَّعُـــوا ... مِـــنْكُمْ إِعَـــادَةَ سَـــائِرِ الْأَسْـلَابِ

أَمَّـــا إِذَا دُمْـــتُمْ عَـــلَى تَقْلِيـــدِهِمْ ... فَتَوَقَّعُـــوا مِـــنْهُمْ مَزِيـــدَ عَـــذَابِ

وَتَوَقَّعُـوا[2] مِـنْ رَبِّكُـمْ خُسْرًا عَـلَى ... خُـسْرٍ وَسُـــوءَ مَذَلَّـــةٍ وَعِقَـــابِ

هَـذِي نَـصِيحَةُ مُـشْفِقٍ مُـسْتَعْتِبٍ[3] ... هَـلْ عِنْـدَكُمْ يَـا قَـوْمُ مِـنْ إِعْتَـابِ

(وَمِنَ الْبَلِيَّـةِ عَـذْلُ مَـنْ لَا يَرْعَـوِي) ... وَلَـدَى الْغَـوِيِّ يَـضِيعُ كُـلُّ عِتَـابِ

وَزَعَمْـــتُمُ أَنَّ الْعُرُوبَـــةَ شِرْعَـــةٌ ... وَعَقِيـــدَةٌ تُبْنَـــى عَـــلَى الْأَنْـــسَابِ

لَا فَـــرْقَ بَـــيْنَ مُـــصَدِّقٍ لِـــمُحَمَّدٍ ... وَمُكَـــذِّبٍ فَالْكُـــلُّ ذُو أَحْـــسَابِ

فَيَـصِيرُ عِنْـدَكُمُ أَبُـو جَهْـلٍ وَمَـنْ ... وَالَاهُ مِـــنْ عُـــرْبٍ وَمِـــنْ أَعْـــرَابِ

مِثْـــلَ النَّبِـــيِّ مُحَمَّـــدٍ وَصَـــحَابِهِ ... بِـــئْسَ الْجَـــزَاءُ لِـــسَادَةٍ أَقْطَـــابِ

بَلْ صَارَ بَعْضُكُمُ يُـرَجِّحُ جَانِـبَ الْــ ... ـــكُفَّارِ مِـــنْ سُـــفْلٍ وَمِـــنْ أَوْشَـــابِ

مَـاذَا بَنَـى لَكُـمُ أَبُـو جَهْـلٍ مِـنَ الْــ ... ـمَجْدِ الْـمُخَلَّدِ فِي مَـدَى الْأَحْقَـابِ

إِلَّا عِبَادَتَـــهُ لِأَصْـــنَامٍ وَإِلْـــ ... لَا وَأْدَهُـــمْ لِبَنَـــاتِهِمْ بِـــتُرَابِ

وَجَهَالَةً وَضُرُوبَ خِـزْيٍ يَـسْتَحِي[4] ... مِـــنْ ذِكْـــرِ أَدْنَاهَـــا ذَوُو الْأَلْبَـــابِ

---

(١) كذا في «الديوان»، وفي الأصل: «بصداكم».

(٢) كذا في «الديوان»، وفي الأصل: «ويوقعوا».

(٣) في الأصل و«الديوان»: «متعتب»، والصواب المثبت.

(٤) كذا في «الديوان»، وفي الأصل: «يستحيي».

أَفَتَعْـدِلُونَ ذَوِي الْـمَفَاخِرِ وَالْعُـلَى بِحُثَالَـةٍ كَثَعَالِـبٍ وَذِئَـابِ

اللُّؤْلُـؤُ الْـمَكْنُونُ يُعْـدَلُ بِالْـحَصَى وَالنِّـدُّ وَالْـهِنْدِيُّ بِالْأَخْـشَابِ

بَـدَّلْتُمُ نَهْـجَ الْـهُدَى بِـضَلَالَةٍ وَقُـصُورَ مَجْـدٍ شَـامِخٍ بِخَـرَابِ

وَلَقَـدْ أَتَيْـتُكُمُ بِنُـصْحٍ خَـالِصٍ يَـشْفِيكُمُ مِـنْ جُمْلَـةِ الْأَوْصَـابِ

وَأَخَـالُكُمْ لَا تَقْبَلُـونَ نَـصِيحَتِي بَـلْ تَتْبَعُـونَ وَسَـاوِسَ الْـخَرَّابِ

وإنما قلت ذلك لأن العالم المحقق الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ لم يحدث مذهبًا لا في الأصول ولا في الفروع؛ لأن أهل بلدة نجد كانوا حنابلة في العقيدة يصفون الله بما وصف به نفسه ـ سبحانه ـ في كتابه وبما وصفه به رسول الله ﷺ بغير تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل.

وأهل نجد حنابلة في الفروع ـ أيضًا ـ لأن علماءهم متبعون للإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ لا يخرجون عن أصوله في الإفتاء، وأصوله هي: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس عند الضرورة كسائر أئمة أهل السنة والجماعة، وعامتهم يقلدون علماءهم.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ بعدما رحل في طلب العلم إلى الشام والعراق، ورجع إلى وطنه نجد؛ وجدهم جاهلين فعلمهم، وغافلين فنبههم، وضالين فأرشدهم، وأنا أتحدى الذين يزعمون خلاف هذا أن يذكروا لي مسألة واحدة في الأصول أو في الفروع خالف فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب علماء الحنابلة، فإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فليتقوا الله وليتوبوا إليه، وليعترفوا بأنه عالم مصلح لا غير، وله أسوة بسيد الخلق، فإن الكفار سموه (مذممًا)، ووصفوه بقولهم: ساحر كذاب مجنون، وهم كاذبون، وكانوا يسمون من آمن به (صابئًا)، والصابي

في اللغـة: الخـارج من ديـن إلى ديـن، وقد صـدقوا وهـم كاذبـون، فإن من اتبع رسول الله ﷺ خرج من دين الباطل إلى دين الحق، وإذا نبز المشرك والمبتدع الموحدين المتمسكين بالسنة بقوله: هؤلاء وهابيون، ومعناه عند العقلاء: أنهم وحدوا الوهاب واتبعوا رسوله ﷺ، واعتزلوا الشرك وأهله؛ فوهب لهم الله ـ تعالى ـ سعادة الدارين، كما قال الله ـ تعالى ـ في إمام الحنفاء إبراهيـم الخليل: ﴿ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا ﴾[مريم: ٤٩ ـ ٥٠].

وقوله: (إن فقيرًا من أهل نجد يقال له: سليمان) توهم؛ لأن والـد الـشيخ محمد بن عبـد الوهـاب وجـده كانـا عـالمين مـشهورين نبيلـين وليـسا بفقـيرين مغمورين.

وقوله: (ثم أخبر أنه قرشي من أهل بيت النبي ﷺ) فرية ناشئة من سفهاء المغاربة؛ لأنهم مولعون بالانتساب إلى آل البيت ولو لم يكونوا منهم، ويبذلون في ذلك الأموال الطائلة فيلفق لهم الدجاجلة أنسابًا، وهذا مرض مغربي، أما قبائـل نجـد فكل قبيلة أفرادهـا متعصبون لقبيلتهم ولسائـر القبائـل المعروفة، ولذلك لا يزوجون من لم يكن معروفًا بنسب صحيح ـ أي: قبيلة عربية معروفة ـ ولو جـاءهم بشجرة نسبه يشهد عليها عشرة عدول، وإذا وقع أن رجلًا منهم تساهل وزوج ابنتـه من رجل لا يعرف نسبه في القبائل المشهورة؛ تطلق أخوات تلك البنـت وعماتهـا وخالاتها وسائر قرابتها.

وقد وقع في بغداد منذ زمان غير بعيد ـ وكنت إذ ذاك في العراق مـستوطنًا ـ أن عبد المحسن السعدون رئيس وزراء العراق ـ وهو من النبلاء ـ أعجبه شـاب هو ابن أحمد باشا الصانع، فقال له: ولدي! سأكسر هذه العادة الجاهلية وأزوجـك

ابنتي فلانة. وكان عبد المحسن السعدون من زعماء الوطنية العراقية يريد التعجيل باستقلال العراق استقلالًا حقيقيًّا، ورفع يد التسلط الأجنبي الإنكليزي عن بلاده، وكان الاستعمار الإنكليزي يماطله، فاشتدت حسرته فقتل نفسه، ثم جاء ذلك الشاب إلى زوجته وقال لها: لا شك أنك تعلمينني أن عمي عبد المحسن وعدني أن يزوجني فلانة. فقالت نعم أشهد بذلك، ولكن أخاف عليك من أبناء عمها. فقال: أنا لا أبالي بهم. وكان شجاعًا، فأقدم على التزوج بها، فأنذره أبناء عمها أنه إن تزوج بها قتلوه، فلم يعبأ به وتزوج بها فعلًا، فذهب إليه أحدهم وقد خبأ مسدسًا في جيبه، فلما دخل عليه تلقاه بالترحيب، وقدم له الدخان والقهوة فشرب، ثم أخرج المسدس ورماه بستة رصاصات، وقال له: أيها العبد الأبيض! كيف تتجرأ على التزوج بسيدتك؟ فحكمت المحكمة على القاتل بخمس عشرة سنة سجنًا، فاستحسن رؤساء القبائل صنيعه، ولم يسجن إلا مدة قصيرة بسبب شفاعتهم، ونحن لا نستحسن هذه العادة القبيحة؛ لأن الشرع لا يقبلها، ولكن هي الواقع في قبائل العراق ونجد إلى يومنا هذا.

ولا يفهمن أحد من كلامي أن تلك القبائل لا[1] تعظم آل النبي ﷺ؛ فقبائل آل النبي ﷺ في الجزيرة العربية كآل عوف - أمراء مكة في الزمان السابق - وتربة والخرمة من آل البيت معظمون مكرمون عند الجميع، ولكن إذا جاء رجل غريب وادعى أنه عربي من آل بيت النبي ﷺ وهم لا يعرفون قبيلته؛ لا يزوجونه ولا يثقون بقوله ولا بشجرته إذا أراهم إياها، والعادات قاهرات إلا من رحم ربك.

ونسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - معروف لنا؛ فهو الشيخ

---

(١) سقطت من الأصل.

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن[1] محمد بن أحمد بن راشد التميمي، فهو ينسب إلى قبيلة بني تميم المشهورة[2]، وأبناؤه وأحفاده كلهم ينتسبون إليها، وبذلك افتضحت الفرية التي في «الاستقصا»، وصاحب «الاستقصا» إنما هو ناقل عمن سبقه، فلا لوم عليه، والتحقيق في ذلك الزمان صعب.

قوله: (ثم ألف لهم قواعد وعقائد؛ وهي: عبادة الله، واحد، قديم، قادر، حق، رحمان، يثيب المطيع ويعاقب العاصي، وإن القرآن قديم يجب اتباعه دون الفروع المستنبطة، وأن محمدًا رسول الله ﷺ وحبيبه، ولكن لا ينبغي وصفه بأوصاف المدح والتعظيم؛ إذ لا يليق ذلك إلا بالقديم، وأن الله ـ تعالى ـ حيث لم يرض[3] بهذا الإشراك سخره ليهدي الناس إلى سواء الطريق، فمن امتثل فبها ونعمت، ومن أبى فهو جدير بالقتل، فهذه أصول مذهبه).

قال محمد تقي الدين ـ عفا الله عنه ـ:

في هذا الكلام أخطاء:

الأول: قوله: (ألف لهم قواعد وعقائد) إن كان يريد عقيدة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية؛ فهو صحيح، فقد ألف هو وأولاده وأحفاده وغيره من علماء نجد والعراق ـ كالإمام محمود شكري الآلوسي العراقي ـ كتبًا كثيرة في هذين النوعين من التوحيد، وسبقهم إلى التأليف في ذلك شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية وتلاميذه وغيرهم من الحنابلة، وكتبهم مطبوعة مشهورة، ولكن الأثر

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) في الأصل: «المشهور».

(٣) في الأصل: «يرضى».

الذي أحدثتـه دعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب لم تحدثه أي دعوة قبلها بعد زمـان الصحابـة والتابعين، والأئمة المجتهدين، وذلك فضـل الله يؤتيـه من يشاء.

أما أنا فقد كنت تيجانيًّا[1] من غلاة التيجانيين[2]، والذي تحيل عليَّ وتلطف بي حتى أخرجنـي من الشرك والبدعة هو شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي ـ رحمه الله ـ؛ فمنه تعلمت التوحيد بأنواعه الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتبت إلى الله ـ تعالى ـ من عقيدة الأشعرية.

وأما توحيد الأسماء والصفات: لم يزد فيه الشيخ محمد بـن عبـد الوهـاب ولا أولاده ولا أحفاده حرفًا واحدًا على ما ألفه الحنابلـة الـسابقون، وخـصوصًا شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية وتلميذه الحافظ ابن القيم.

أما لفظ (القديم) فقد أكثر من ذكره المتكلمـون، ولم يـذكر في كتـاب الله، ولا روي عن النبي ﷺ في أسمائه وصفاته، ولا اسـتعمله الـسلف الـصالح مـن الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين وأئمة المحدثين.

قوله: (وأن القرآن قديم يجب اتباعه دون الفروع المستنبطة) لفظة (قـديم) لا توجد في كلام السلف، قال الإمام الطحاوي في «عقيدته»[3] المقررة في الجامعـة الإسلامية للطلبة: «ونؤمن أن القرآن كلام الله منه بدأ ـ بلا كيفية ـ قولًا، وأنزلـه على رسولـه وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله ـ تعالى ـ

---

(١) في الأصل: «تجانيًّا».

(٢) في الأصل: «التجانيين».

(٣) (١/ ٢٧٢ ـ مع «شرحها» لابن أبي العز).

بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر حيث قال ـ تعالى ـ: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر: ٢٦]، فلما أوعد الله ـ تعالى ـ بسقر من قال: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر: ٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق[1] البشر ولا يشبه قول البشر».

وادعاؤه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول: (إن الفروع لا تستنبط من القرآن) باطل؛ فإنه عالم حنبلي يقول بأن المسائل تستنبط من القرآن ومن السنة، ولم يخالف مذهب الحنابلة في شأن القرآن بمثقال ذرة.

وزعمه أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول: (إن النبي ﷺ لا ينبغي وصفه بالمدح والتعظيم) باطل، فإنه يقول كما قالت الحنابلة كلهم أن النبي ﷺ هو سيد ولد آدم، وهو أفضل خلق الله، وأنه الشافع المشفع، والذي يقوله في هذا الشأن هو أنه لا تجوز الاستغاثة بالنبي ﷺ ودعاؤه لقضاء الحاجات وتفريج[2] الكربات، ولا يجوز الذبح والنذر له، ولا يجوز اعتقاد أنه يعلم من الغيب إلا ما علمه الله، ولا تشد الرحال إلى قبره؛ بل إلى مسجده، وإذا وصل الإنسان إلى مسجده يسلِّم عليه ولا يسأله شيئًا، فهو ـ رحمه الله ـ على مذهب أهل السنة والجماعة، لم يزد فيه ولم ينقص، وهذه كتبه مطبوعة منشورة.

قوله: (وقد بثه أولًا سرًّا، ثم انتقل إلى الشام لهذا الأمر، فلما لم يجد مراده؛ رجع إلى بلاد العرب) هذا ـ أيضًا ـ باطل؛ فإنه إنما ذهب إلى بلاد الشام في أول أمره لطلب العلم، ثم رجع إلى بلاده وبدأ الدعوة واستمر فيها جهارًا حتى يسر الله له الأمير محمد بن سعود جد السعوديين، فنصره وطبق الشرع والتوحيد في بلاده، ثم

---

(١) في الأصل: «خالف».

(٢) في الأصل: «تفريج» بدون واو.

انتشر في جميع بلاد نجد إلى أن تجاوزها إلى العراق والحجاز والشام وبعض اليمن بعد وفاته ـ رحمه الله ـ على يد أبنائه وأحفاده علماء ودعاة، وعلى يد آل سعود أمراء ومجاهدين، وعبدالله بن سعود إنما جاء بعده بزمان طويل حين استولى السعوديون على الحجاز والعراق، فقاتلهم الأتراك بواسطة محمد علي باشا والي مصر وابنه إبراهيم باشا.

وأما المنقبة الكبرى التي وهبها الله للسلطان مولاي سليمان العلوي: فهي كشف الحجاب عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبيان حقيقتها، وأنها مطابقة للكتاب والسنة، وبعث ابنه الأمير مولاي إبراهيم، واختار نخبة من العلماء لصحبته، فلما زاروا تلك البلاد المقدسة وشاهدوا عقيدة السعوديين وتباحثوا مع علمائهم؛ وجدوا أن كل ما يتهمهم به أعداء السنة والتوحيد اختلاق باطل، وتضليل من قبل دعاة الدولة العثمانية، ولم يستطع أحد أن يقوم بهذا البحث والتحقيق من أمراء الشمال الإفريقي ولا مصر ولا الشام ولا العراق؛ لأن هذه البلدان كانت خاضعة للعثمانيين، والمغرب وحده كان حرًّا مستقلًّا، وبعدما تحقق السلطان مولاي سليمان ابن محمد العلوي صحة عقيدة أهل نجد؛ أنشأ خطبة بليغة، وأمر أن يخطب بها في جميع مساجد المغرب، وفي هذه الخطبة الدعوة إلى اتباع الكتاب والسنة وترك البدع المحدثة كطرائق المتصوفة، وهذه الخطبة طبعت ونشرت هنا في المغرب.

قال صاحب «الاستقصا» ـ رحمه الله ـ في (الجزء الثامن، صفحة ١٢٣) إن السلطان المصلح مولاي سليمان ـ رحمه الله ـ بعد رجوع الوفد الذي بعثه إلى الدولة السعودية وأخبره بما شاهده هناك من[1] اتباع الكتاب والسنة واجتناب البدعة؛ شمر عن ساعد الجد في محاربة البدع في مملكته[2].

---

(١) في الأصل: «في».

(٢) من قوله: «إن السلطان المصلح...» إلى هنا للهلالي.

قال صاحب «الاستقصا»: وأقول: إن السلطان المولى سليمان ـ رحمه الله ـ كان يرى شيئًا من ذلك (يعني: الذي عليه السعوديون من الإصلاح والتمسك بالسنة ومحاربة البدع)، ولأجله كتب رسالته المشهورة التي تكلم فيها على حال متفقرة (أي: المتصوفة أصحاب الطرق) الوقت، وحذَّر فيها ﷺ من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة، وبين فيها بعض آداب زيارة الأولياء، وحذَّر من تغالي العوام في ذلك، وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين، جزاه الله خيرًا، ومن كلامه فيها ما نصه:

تنبيه: من الغلو البعيد ابتهال أهل مراكش بهذه الكلمة: (سبعة رجال)، فهل كان لسبعة رجال شيعة يطوفون عليهم؟

إلى أن قال: قبِلنا أن نقتدي بسبعة رجال ولا نتخذهم آلهة لئلا يؤول الحال فيهم إلى ما آل إليه في يغوث ويعوق ونسرا[1].

ثم علق صاحب «الاستقصا» على هذا الكلام واستحسنه، رحم الله الجميع.

* * *

*** منقبة المجاهد الأكبر محمد الخامس ـ طيب الله ثراه ـ[2]**

فضيلة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

مكناس ـ المغرب

هذه المنقبة الكبرى وهي ثورة شخصية دون الاستعانة بجيوش نظامية

---

(١) في الأصل: «ونسر».

(٢) نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد الثالث عشر، العدد السادس، شعبان ١٤٠١هـ ـ يونيو ١٩٨١، (ص٥ ـ ٧). =

ولا متطوعين؛ بل وقفة في وجه الاستعمار وجنوده وجيوشه البرية والبحرية والجوية، وحيدًا ليس معه إلا ابنه وشريكه في الجهاد وولي عهده الأمير الحسن الثاني في ذاك الزمان، وجلالة الملك الحسن الثاني في هذا الزمان، ولم يبال بوعيد المستعمرين وتهديدهم، وقال لهم بلسان المقال وبلسان الحال: هذا العرش الذي تحت وصايتكم أنبذه لكم.

كما قلت في القصيدة الآتية[1] التي مدحته بها ـ رحمه الله ـ:

فَإِمَّا حَيَاةُ الْعِزِّ تَجْمَعُ شَمْلَنَا وَإِلَّا فَمَوْتٌ يَغْسِلُ الْعَارَ سَاتِرُ

وهذا العمل العظيم الذي عمله هذا الرجل الفذ لم يسبقه إليه أي ملك في

= وانفرد أحمد بن عبد العزيز الحصيِّن في كتابه «طلائع الأنوار في تراجم علماء السلف الأبرار» (٣/ ٢٨٥) في ترجمة الهلالي بخبر تحت عنوان (الشيخ يسجن)؛ قال: «ذهب الشيخ تقي الدين هلال إلى مراكش ودخل أحد مساجد مراكش، فلما رآه المصلُّون طلبوا منه أن يقدِّم للصلاة، فلما تقدم للصلاة إمامًا قرأ بعد الفاتحة: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[النمل: ٣٤]، وبعد الصلاة قبضوا عليه عهد الملك محمد الخامس؛ لأنه يحث الشعب على كراهية الملك محمد الخامس، وخاصة مراكش تَضِج بالمظاهرات، فوضع في السجن لمدة تسعة أشهر ظلمًا وعدوانًا».

قال أبو عبيدة: هذا خبر غير صحيح، ولم أجده عند غيره.

(١) لم يذكر الهلالي في مقالته إلا هذا البيت، وانظرها في: ديوانه المسمى «منحة الكبير المتعالي» (ص٣٦٩ ـ ٣٧٤ بتحقيقي) تحت عنوان: (قصيدة في مدح الملك محمد الخامس)، «قرة العين في مدح الملكين» (ص٤ ـ ٨) له ـ أيضًا ـ، مجلة «دعوة الحق»، السنة الثالثة، العدد الثالث، جمادى الأولى ١٣٧٩هـ ـ دجنبر ١٩٥٩م، (ص٧٨ ـ ٧٩) دون البيت الأخير.

عصرنا هذا، ولا يقدره حق قدره إلا من كان مغتربًا مثلي منفيًّا من وطنه، وقد أخبرني سوفوليس سفير فرنسة في تطوان - فيما كان يسمى بالمنطقة الخليفية - بقوله: إنك منفي من المغرب والجزائر وتونس، وسبب هذا النفي أني صرت مرجعًا لغويًّا للإذاعة العربية في برلين سنة ١٩٣٩م وما بعدها، وكنت أتبرع بمقال أسبوعي في محاربة الاستعمار الفرنسي وحليفه الاستعمار الإنكليزي، وكنت في ذلك الزمان إذا سألني سائل: من أي البلاد أنت؟ فقلت: من المغرب. يقول لي: من المغرب الفرنسي أم من المغرب الإسباني؟ فأقول: إن المغرب شعب واحد ودولة واحدة. فيقول لي: نحن أبناء اليوم وهذا الذي تقوله شيء مضى وانقضى وصار في خبر كان. فلما ثار إمام المجاهدين محمد الخامس - رحمه الله - تبدلت الحال، وصار كل من أخبرته أنني مغربي يقول: من بلد محمد الخامس؟ بيض الله وجهه كما بيض وجوه المسلمين والعرب ورده إلى عرشه منصورًا، ولم تمض على ثورته المباركة الفريدة إلا سنتان حتى رجع إلى عرشه منصورًا متوجًا بالعز حائزًا إعجاب العالم بأمره[1] مع شريكه في ذلك كله جلالة الملك الحسن الثاني - أدام الله توفيقه -.

- منقبة جلالة الملك الحسن الثاني - أيده الله -:

هذه المنقبة العجيبة نظمتها في قصيدة[2] أثبتها كلها هنا، ونصها:

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: «بأسره».

(٢) وهي - أيضًا - في: ديوانه المسمى «منحة الكبير المتعالي» (ص١٥٩ - ١٦٥ بتحقيقي) تحت عنوان: (المسيرة الخضراء)، «قرة العين في مدح الملكين» (ص١٣ - ١٤) له - أيضًا -.

أَلَا أَبْشِرُوا أَهْلَ المغارب كلها[1]
بِخَيْرٍ وَإِقْبَالٍ فَسَعْدُكُمُ اقْتَرَبْ

حَبَاكُم إِلَهُ النَّاسِ جَلَّ جَلَالُهُ
مَلِيكًا عَظِيمًا فِي السِّيَاسَةِ والأَدَبْ[2]

[أَبَا طَالِبٍ لِلْمُعْضِلَاتِ يَزِيحُهَا
وَمَنْ غَيْرُهُ فِي مِثْلِهَا كَانَ يُرْتَقَبْ

أَقَامَ بِدَارِ الْعَدْلِ صَرْحًا مُشَيَّدًا
وَأَبْدَلَهَا مِنْ عُجْمَةٍ لُغَةَ الْعَرَبْ

وَوَحَّدَ فِيهَا الْحُكْمَ طِبْقَ وَتِيرَةٍ
تُقَرِّبُ أَقْصَاهُ وَتُخْلِيهِ مِنْ شَغَبْ

وَهَذَا زَمَانٌ فِيهِ قَدْ جَاءَ دَوْرُكُم
لِتَحْظَوْا بِمَا قَدَّمْتُمُوهُ مِنَ الطَّلَبْ][3]

[يُقَدِّمُ ذِكْرَ اللهِ فِي كُلِّ مَطْلَبٍ
فَيُتْحِفُهُ الرَّبُّ الْكَرِيمُ بِمَا طَلَبْ

تَقَدَّمَ لِلصَّحْرَا بِحَزْمٍ وَحِكْمَةٍ
غَدَتْ عِنْدَ كُلِّ النَّاسِ مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبْ

---

(١) في «الديوان»: «أهل المعارف والأدب».

(٢) البيت في «الديوان» هكذا:

حباكم مليك الشعب لله دره ... وزيرًا على الإصلاح والرشد قد دأب

(٣) الأبيات التي بين المعقوفتين من «الديوان».

مَسِيرَتُهُ الْخَضْرَا الَّتِي ذَاعَ صِيتُهَا
وَحَارَتْ[1] مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الْعُجْمِ وَالْعَرَبْ

فَمَا خَاطَرَتْ[2] يَوْمًا بِبَالِ مُفَكِّرٍ
بِعَصْرِكُمُ أَوْ فِي الزَّمَانِ الَّذِي ذَهَبْ

وَصَارَتْ[3] وُفُودُ الْعُرْبِ تَحْتَ لِوَائِهَا
مُنَظَّمَةً مِنْ دُونِ لَغْوٍ وَلَا صَخَبْ

تَلَتْهَا وُفُودٌ مِنْ شُعُوبٍ كَثِيرَةٍ
تُمَجِّدُ إِنْصَافًا وَتُنْذِرُ مَنْ غَصَبْ

بِأَيْدِيهِمُ الْقُرْآنُ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
يُفَرِّجُ عَنْهُمْ مَا عَرَاهُمْ مِنَ الْكُرَبْ

فَأَكْرَمَ رَبُّ النَّاسِ بِالنَّصْرِ عَبْدَهُ
وَآتَاهُ مَا يَبْغِيهِ مِنْ كُلِّ مَا ارْتَقَبْ

فَأَضْحَى عَدُوُّ السِّلْمِ حَيْرَانَ ذَاهِلًا
وَقَدْ مَسَّهُ[4] دَاءُ الْجُنُونِ مِنَ الْغَضَبْ

وَمَا ضَرَّ إِلَّا نَفْسَهُ بِعَدَاوَةٍ
لِتَحْرِيرِ قُطْرٍ مَسَّهُ الذُّلُّ وَالْعَطَبْ

---

(١) في «قرة العين»: «وسارت».

(٢) في «قرة العين»: «خُطرت».

(٣) في «قرة العين»: «وسارت».

(٤) في الأصل: «وقدمه»! والتصويب من «قرة العين» و«الديوان».

فَحُــرِّرَتِ الــصَّحْرَاءُ وَابْــيَضَّ وَجْهُهَــا
وَعَــادَتْ إِلَى الْأُمِّ الْحَنُــونِ بِــلَا تَعَــبْ][1]

عَلَــيْكُمْ بِحَمْــدِ اللهِ جَــلَّ جَلَالُــهُ
وَشُــكْرِ أَمِــيرِ الْــمُؤْمِنِينَ فَقَــدْ وَجَــبْ

وَمُــدُّوا[2] لِــهَذَا الشَّهْمِ أَيْــدِي تَعَــاوُنٍ
بِــصِدْقٍ وَإِخْــلَاصٍ لِكَــيْ تَبْلُغُــوا الْأَرَبْ

فَــلَا خَــير[3] فِي الــدُّنْيا بِــدُونِ تَعَــاونٍ
وَلَا نَيْــلَ لِلْعَلْيَــا إِذَا لَمْ يَكُــنْ سَــبَبْ

وَلَا عِــزَّةً لِلْمُــسْلِمِينَ بِغَــيرِ مَــا
أُعِــزَّ بِــهِ الأَسْــلَافُ[4] في غَــابِرِ[5] الْــحِقَبْ

وَمَــنْ رَامَ مِــنْهُمْ نَيلَــهُ[6] بِانْحِرَافِــهِ
عَــنِ الْقَفْــوِ لِلْقُــرْآنِ أَدْرَكَــهُ الحَــرْبْ[7]

---

(١) الأبيات التي بين المعقوفتين ليست في «الديوان».

(٢) في «الديوان»: «فمدوا».

(٣) في «الديوان»: «نجح».

(٤) في «الديوان»: «أسلافهم».

(٥) في «الديوان»: «مدى».

(٦) في «الديوان»: «دركها».

(٧) في «الديوان»: «العطب».

سَــــوَاءٌ أَوَلَّى وَجْهَــــهُ نَحْــــوَ مَــــشْرِقٍ

مِــنَ الْأَرْضِ أَمْ وَلَّاهُ لِلْغَــرْبِ[1] فَــاغْتَرَبْ

أَمَــا لَكُــمُ فِي حَــرْبِ صَــهْيُونَ عِــبْرَةٌ

تُعِيــدُكُمُ[2] لِلرُّشْــدِ وَالْــحَقِّ عَــنْ كَثَــبْ

فَــوَاللهِ لَــوْ كُنْــتُمْ جَمِيعًــا عَــلَى هُــدَى[3]

عَــلَى سُــنَّةِ الْــمُخْتَارِ وَالــسَّادَةِ النُّجُــبْ

عَنَيْــتُ صِــحَابَ الْمُــصْطَفَى خَــيْرَ أُمَّــةٍ

هُــمْ دَانَــتِ الْأَمْــصَارُ[4] بِالْعَــدْلِ وَالْقُــضُبْ

لَجَــاءَكُمُ النَّــصْرُ الْــمُبِينُ كَــمَا أَتَــى

لِأَسْــلَافِكِمْ قِــدْمًا عَــلَى عَابِــدِي الــصُّلُبْ

مُلُــوكُ النَّــصَارَى كُلُّهُــمْ بِجُنُــودِهِمْ[5]

غَــزَوْا أَرْضَ قُــدْسٍ فِي هِيَــاجٍ وَفِي شَــغَبْ[6]

وَدَامَ سَــعِيرُ الْــحَرْبِ قَــرْنَيْنِ فَانْثَنَــتْ

جُيُــوشُ النَّــصَارَى فِي لُغُــوبٍ وَفِي نَــصَبْ

---

(١) في «الديوان»: «أم ولى إلى الغرب».

(٢) كذا في «الديوان» و«قرة العين»، وفي الأصل: «تعيد لكم».

(٣) في «الديوان»: «الهدى».

(٤) في «الديوان»: «الأقطار».

(٥) في «الديوان»: «بجيوشهم».

(٦) في «الديوان»: «غضب».

(أُولَئِـــكَ آبَـــائِي فَجِئْنِـــي بِمِـــثْلِهِمْ)[1]

وَدَعْنِـــي مِـــنَ الْبُهْتَـــانِ وَالـــزُّورِ وَالْكَـــذِبْ

لَقَـــدْ بَرَعَـــتْ أَعْـــدَاؤُنَا فِي سِـــلَاحِهَا

وَفُقْنَـــا جَمِيـــعَ النَّـــاسِ فِي الْقَـــوْلِ وَالْخُطَـــبْ

وَلَـــوْ كَـــانَ نَـــصْرُ اللهِ بِالْأَيْـــدِ وَحْـــدَهُ

مَـــضَى (هِتْلَـــرٌ) فِي حَرْبِـــهِ دُونَ مَـــا غَلَـــبْ[2]

وَلَكِنَّـــهُ بِالْأَيْـــدِ وَالْعَقْـــلِ[3] وَالْـــحِجَى

وَخُلْـــقٍ كَـــرِيمٍ لَا تُكَـــدِّرُهُ الرِّيَـــبْ

وَقَـــوْلٍ قَلِيـــلٍ مَـــعْ فِعَـــالٍ كَثِـــيرَةٍ

وَخَفْـــضِ جَنَـــاحٍ لِلْقَـــصِيِّ وَذِي الْقُـــرَبْ

فَلِلَّـــهِ رَبِّي الْـــحَمْدُ فِي كُـــلِّ حَالَـــةٍ

عَـــلَى الْيُـــسْرِ[4] وَالْـــمَعْسُورِ فَهْـــوَ الَّـــذِي يَهَـــبْ

وَلِلْحَـــسَنِ الثَّـــانِي ثَنَـــائِي وَمِـــدْحَتِي

مَلِيـــكٌ حَبَـــاهُ رَبُّـــهُ أَرْفَـــعَ الرُّتَـــبْ

---

(١) الهلالان من «الديوان».

(٢) في «الديوان»: «حرب».

(٣) في «الديوان»: «ولكنه بالعدل والأيد».

(٤) في الأصل: «السر»؛ والتصويب من «قرة العين» و«الديوان».

وَبَلَّغَهُ اللهُ الْمُنَى فِي مُحَمَّدٍ
أَمِيرٌ وَلِيُّ الْعَهْدِ شِبْلٌ لَهُ انْتَسَبْ

* * *

* السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي رحمه الله[1]

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

التمست مني إدارة مجلة «دعوة الحق» الغراء ـ كعادتها كل سنة منذ زمان طويل ـ كتابة مقال ينشر في العدد الخاص بعيْد العرش العلوي المجيد، واقترح علي أن يكون المقال في سيرة السلطان المكرم مولاي عبد العزيز بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن ـ قدس الله أرواحهم ـ ولم أدر أين أجد ترجمة هذا الملك[2]؛ مع أني لقيته مرارًا وتحدثت معه في مجالس خاصة بطنجة، فكلمت بالهاتف صديقي الأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة، وسألته: أين أجد ترجمة وافية للسلطان المذكور؟ فأملى علي كلمة مختصرة مفيدة في مولد صاحب الترجمة ووفاته؛ أستفتح بها هذا المقال:

ولد السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن العلوي سنة ١٢٩٨هـ، وأمه شركسية اسمها السيدة رقية، جلبها الحاج العربي بريشا التطواني أحد خاصة السلطان مولاي الحسن والد صاحب الترجمة، وبويع مولاي عبد العزيز بعد وفاة والده

---

(١) نشرت في مجلة «دعوة الحق» المغربية، السنة التاسعة عشرة، العددان الثاني والثالث، ربيع الأول وربيع الثاني ١٣٩٨هـ ـ يبراير ومارس ١٩٧٨م، (ص٥١ ـ ٥٥).

(٢) يبدو أن الهلالي نسي ما كتبه عن هذا السلطان قبل ست وثلاثين سنة في جريدة «الأخبار» التطوانية، وهي المقالة الآتية، والتي تليها.

السلطان مولاي الحسن ـ رحمه الله ـ سنة ١٣١١هـ، وعمره إذ ذاك نحو أربع عشرة سنة، وتنازل عن العرش لأخيه السلطان مولاي عبد الحفيظ في شهر رمضان سنة ١٣٢٦هـ، وكانت وفاته في صبيحة يوم ثامن جمادى الثانية سنة ١٣٦٢هـ، ونقل إلى فاس فدفن بضريح جده مولاي عبدالله.

وقال لي مؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور: لا أعرف كتابًا يشتمل على ترجمة السلطان مولاي عبد العزيز، ولكن كثيرًا من أخباره مذكور في ترجمة أحمد بن موسى الوزير في «تاريخ مكناس» لمولاي عبد الرحمن بن زيدان في (الجزء الأول) منه، فتوجهت إلى خزانة مكتب البلدية بمكناس، وسألت مديرها السيد أحمد أجانا أن يعيرني (الجزء الأول) من الكتاب المذكور؛ فاعتذر لي عن إعارة (الجزء الأول) لأنه مفقود، وقال لي: يمكنك أن تطالعه هنا. وأمرت تلميذي محمد بن سلام أن يبحث عن ترجمة أحمد بن موسى الوزير؛ فوجدناها مطولة، وفيها كثير من أخبار المولى عبد العزيز، ولكنها نتف مبعثرة، ويستفاد من هذا الكتاب أن الوزير أحمد بن موسى كان مسيطرًا على السلطان مولاي عبد العزيز، الذي كان يحكم المغرب باسمه؛ لصغر سنه وعدم استعداده، وكان رجلًا جازمًا ذا علم وذكاء وتمسك بالدين الحنيف، وهو الذي بايع السلطان مولاي عبد العزيز بدون استشارة العلماء والأعيان كما جرت به العادة، نص على ذلك مؤلف كتاب «تاريخ العالم الحديث» المقرر تدريسه في المدارس الثانوية المغربية.

وكان زمان تولي هذا السلطان مملوءًا بالفتن والثورات؛ منها: ثورة الريسوني في الشمال، وثورة ماء العينين في الجنوب، والثورة العظمى التي هي أدهى وأمر: ثورة الجلاني الزرهوني الملقب بـ (أبي حمارة)، وفي «تاريخ مكناس» أنه لقب بذلك لأنه كان في أول أمره يركب أتانًا، وكانت ثورته في القسم الشرقي من المملكة، وقد

هزم جيش الحكومة هزائم فظيعة متوالية.

وثورته هذه هي التي أضعفت الدولة المغربية وأوصلتها إلى الحضيض، ومهدت الطريق لدول الاستعمار الأوروبي، وكانت الدولة الفرنسية مصممة على نصب الحبائل لاستعمار المغرب، فبدأت التدخل في شؤونه باستغلال ناحية الضعف الشديد في الدولة المغربية؛ وهي الناحية المالية، فإن أموال الدولة المغربية كانت تتألف من الزكاة، وأخذ العشر من الحبوب، فعرض الفرنسيون قروضًا على الدولة المغربية لينقذوها ـ بزعمهم ـ من ضيقها المالي، واقترحوا على السلطان أن يستبدل أخذ الأعشار والزكاة بفرض جباية ضرائب على الممتلكات من المواشي والبهائم والأراضي الزراعية وبضائع التجار المستوردة، وغير ذلك، ولكن الدولة كانت عاجزة عن أخذ الضرائب القديمة والجديدة على السواء، بسبب اختلال الأمن في كل مكان، وعجز الجيش المغربي عن إخماد الثورات وتعميم الأمن، فكان الفرنسيون وغيرهم من الأوربيين إذا قتل الثوار أو اللصوص واحدًا منهم طالبوا وزارة المالية المغربية بدية فادحة ثقيلة، ومقصودهم إفقار الدولة المغربية لتشتد حاجتها إلى المال ثم يعرضوا عليها المساعدة المالية، ويتولوا هم بأنفسهم جباية المكوس في المراسي، وتلك وسيلة؛ بل ذريعة من ذرائع المستعمرين، فهذه الأسباب؛ وهي: اختلال الأمن، وفقر الدولة، وعجز جيشها بسبب الهزائم التي أصيب بها من الثورات، يضاف إلى ذلك: تنافس دول الاستعمار على استعمار المغرب الخصيب، ثم تصالحهم على أن يسمح لإيطاليا بالاستيلاء على ليبيا، ويسمح لبريطانيا بالاستيلاء على مصر، وتقتسم فرنسا وإسبانيا الأراضي المغربية، فتستولي إسبانيا على الجهة الموالية لأرضها وهي الشمال، وتجعل طنجة ونواحيها دولية، وتستولي فرنسا على بقية أراضي المغرب، وقد تم لهم هذا الاتفاق في مؤتمر الجزيرة الخضراء

المجاورة للمغرب من الأراضي الإسبانية، وكان ذلك سنة ١٩٠٤م.

يضاف إلى ذلك: أن السلطان كان في أول أمره طفلًا، وكان الحاكم في المغرب الوزير أحمد بن موسى، وأول ما بدأ به هذا الوزير بعد استيلائه على الحكم الانتقام من الوزير الأكبر في زمان السلطان مولاي الحسن الحاج المعطي الجامعي وأخيه محمد الصغير؛ فحبس الحاج المعطي إلى أن مات، وحبس أخاه زمانًا طويلًا، وكان عليه أن يجهز الجيوش لإخماد الثورات، وأن يجتبي الأموال اللازمة لذلك، وقد بذل في المحافظة على سلامة الدولة جهدًا عظيمًا؛ ولكن الأمر كما قال الشاعر:

متى يبلغ البنيان يومًا تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدمُ[(١)]

وقال آخر:

وما يصنع الباني وثمت هادم ... فكيف بِبَانٍ خلفه ألف هادمِ[(٢)]

فهذه الأسباب كلها مجتمعة أضعفت دولة مولاي عبد العزيز، وهناك سبب آخر لم نذكره: وذلك أن السلطان مولاي عبد العزيز عمل بنصيحة الأوربيين؛ إذ أخذ ببعض الأنظمة الأوربية كفرض الضرائب والمكوس المعروفة مراكزها عند المغاربة بـ (الديوانات)، وبعث الطلبة للدراسة في أوربا، وتعيين بعض الفرنسيين

---

(١) البيت في: «ديوان بشار بن برد» (٢/ ٢٠٥) و«تاريخ الإسلام» (٤/ ٤١١) و«طبقات الشافعية الكبرى» (٣/ ٦٨) و«المحاضرات والمحاورات» (١٥٩).

(٢) البيت في: «معجم الشعراء» (٤٥٢) و«مطلع الأنوار» (٢٢٩) و«المحمدون من الشعراء» (٢٠) و«روض الأخيار» (٢٥٦) و«الدر الفريد» (٣/ ٣١١) و(٩/ ٣١٣) و«حماسة الظرفاء» (٣٢) وصدر البيت فيها: (أرى ألف بانٍ لا يقوم لهادم) مع اختلاف بينها في بعض حروف (لا يقوم لهادم).

في المراسي المغربية جباة للمكوس، يضاف إلى ذلك: كون السلطان شابًّا فتيًّا لم تحنكه التجارب، وبايع بعضهم أخاه المولى عبد الحفيظ فاستولى على الحكم واستعد لحرب أخيه، فتنازل عن الحكم حقنًا للدماء لئلا يزداد الخرق اتساعًا، ووعد السلطان مولاي عبد الحفيظ الشعب المغربي بإصلاح كل ما أفسده الزمان والأعداء وأخوه مولاي عبد العزيز، فكان في وعده لهم كما قال الشاعر في عجوز متصابية:

عجــوز ترجــي أن تكــون فتيــة … وقد لحب الجنبان واحدودب الظَّهرُ

تــدس إلى العطــار ســلعة أهلهــا … وهل يصلح العطَّارُ ما أفْسَدَ الدَّهرُ[1]

كذلك كانت الدولة المغربية في ذلك الزمان، ولا يستطيع مولاي عبد الحفيظ أن يـرد لها شبابها؛ لأن ذلك مكتـوب عنـد الله لغيره، ألا وهو الملك الهمام الذي أجرى الله على يده المعجزات: محمد بن يوسف الملقب بـ (الخامس)، وسليله النابغة جلالة الملك الحسـن الثاني؛ الذي كان ردءًا له وعضدًا في تأسيس الدولة المغربية العصرية، وإبدال تلك العجوز الشمطاء الحيزبون بشابة جميلة فتية؛ وهي الدولة الحاضرة، وفق الله إمامها لاستكمال رد شبابها، وشفاء عللها، والله كريم، وما ذلك على الله بعزيز.

تنازل المولى عبد الحفيظ عن الملك، ولم يقض فيه إلا مدة يـسيرة ذاق فيهـا الأمرَّين، وخلفه أخوه مولاي يوسف، وتوجه مولاي عبـد الحفـيظ إلى المـشرق وزار البيت الحرام ومسجد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأحسن إلى المعـوزين من المغاربة في تلك البلاد، ثم رجع إلى إسبانيا وسكنها مدة من الزمان، وأخبرني

(١) البيتـان في: «عيـون الأخبار» (٤/ ٤٤) و«الكامل في اللغة» (١/ ٢٤٧) و«الأضداد» (١٩٤) و«الدر الفريد» (٥/ ٣٠٥).

بعض أهل مجريط (مدريد) ـ والعهدة عليه ـ أنه كان متبذرًا؛ فضاق رزقه فطلب الالتجاء إلى فرنسا، فأجابته إلى ما طلب، وأجرت عليه راتبًا إلى أن توفي بها.

وأما السلطان مولاي يوسف ـ رحمه الله ـ فإنه كان متمسكًا بالدين، محبًّا لأهل العلم، مجالسه عامرة بالمذاكرات العلمية، ومن مزاياه التي اطلعت عليها في السنة التي أقمتها في وجدة في زمان حكمه؛ وذلك أن الأديب الشاعر ذا التآليف العديدة الشيخ أحمد السكيرج دعاني وأنا مستقر بالجزائر لتعليم ابنه السيد عبد الكريم السكيرج وابن أخيه السيد عبد السلام السكيرج الأدب العربي[1]، فقد كتب إلي قائلًا:

أنا لا أثق بأحد في تعليم الأدب لابني وابن أخي إلا بك. وكانت الطريقة التيجانية[2] تجمعنا، وهو شيخ مقدم فيها، وأنا كنت متمسكًا بها حتى سنة ١٣٤٠ للهجرة النبوية، وفيها التقيت بالعالم الأدبي المنقطع النظير المجاهد الوطني الذي وقف في وجه الاستعمار الفرنسي بحزم وشجاعة في وقت لم يكن أحد فيه يستطيع أن ينبس ببنت شفة، عصى أمر المرشال اليوطي المستعمر الغشوم، وأغلظ له القول، فنفاه من بلده سلا إلى وجدة، في تلك السنة علمت أن السلطان مولاي يوسف ـ رحمه الله ـ اعتنى عناية منقطعة النظير بتوحيد الصوم والإفطار بطريقة فقهية دقيقة، وبيان ذلك: أنه كلف جميع القضاة فيما كان يسمى بـ (المنطقة السلطانية من المغرب) أن يصعدوا إلى المنارات قبل غروب شمس التاسع والعشرين من شعبان، ومعهم المشهورون بحدة البصر في ذلك البلد، وطبيب عيون، وعالم فلكي، فإذا رأى أحد

---

(١) انظر: «سبيل الرشاد» (٢/ ١١٨ ـ بتحقيقي) و«الديوان» (مقطع ٢٦، ٤٧، ٥٢، ٥٨، ١٨١ ـ بتحقيقي) كلاهما للهلالي.

(٢) في الأصل: «التجانية».

أولئك الرجال الهلال بعدما يعين له الفلكي مطلعه؛ يقول الطبيب: أرِه رفقاءك. فإن رأوه؛ أبرق القاضي ومن معه من العدول إلى السلطان بشهادتهم، وإن رآه واحد ولم يره الآخرون؛ فحص الطبيب عينيه وعيون رفقائه، فإن وجده أقوى بصرًا؛ أقره على شهادته واعترف بها، وإن رآه مثلهم أو دونهم في الإبصار؛ رد شهادته وحكم عليه بالوهم، وفي نصف الليل تجتمع عند السلطان الحكيم مولاي يوسف بن الحسن ـ رحمه الله ـ برقيات كثيرة، فيحكم هو وعلماؤه بالصيام أو الإفطار أو عدمهما، وهذا الصنيع لم أسمع به عن أحد من الملوك، ولا قرأته في كتاب، وهو أبو البطل الأكبر الذي حرر الله على يده بمشاركة ولي عهده صاحب الجلالة الحسن الثاني جميع البلاد المغربية من العبودية، من حدود شنقيط إلى حدود مصر، إذ لم يبل أحد من الملوك والرؤساء بلاء يشبه ما أبلاه هذان المجاهدان، فله ثم لهما يرجع الفضل في استقلال المغرب الأقصى وموريطانيا والجزائر وتونس وليبيا ـ أيضًا ـ.

ولذلك لم تعجب شعوب العالم بجهاد رئيس أو ملك في هذا الزمان مثل ما أعجبت بسليل مولاي يوسف وحفيده، ولا ينبئك مثل خبير؛ فإنني كنت مستوطنًا العراق في وقت تنازل المجاهد الأكبر محمد الخامس وولي عهده عن العرش الذي يخضع لاستعمار الأجانب إلى المنفى القصي، وتجرع مرارة الغربة والتجرد عن الجاه، وكنت أسافر كل سنة إلى الهند، ثم سافرت إلى أوربا، ووجدت جميع الشعوب في دهشة عظيمة بهذا العمل العظيم.

وبهذا العمل الجليل ارتفع عنا الذل نحن معشر المغاربة المبعدين عن وطننا؛ فإنني كلما لقيني إنسان من أي جنس كان، كان يسألني عن وطني؟ فأقول: أنا من المغرب. فيبادرني بقوله: أنت من المغرب الفرنسي أم من المغرب الإسباني أم من طنجة الدولية؟ فأقول: إن المغرب مملكة واحدة عريقة في الشرف فقدت

استقلالها، وسيعود لها ـ إن شاء الله ـ. فيسخر مني ويضحك ويقول: دعنا من الأساطير البالية. فلا أجد ما أجيب به.

وكذلك قال لي نائب رئيس الوزراء العراقي سنة ١٩٣٤م بتأريخ النصارى حين أراد أن يمنحني الجنسية العراقية؛ فقال لي: ما هي جنسيتك الحاضرة؟ قلت: مغربية. فقال لي: هذا كلام فارغ! قل: فرنسية. فأظلمت الدنيا في عيني وغضبت ولم أعد أدر من أخاطب، فقلت له: هل أنت قبل سنتين ـ أي: قبل تحصيل الاستقلال الاسمي اللفظي ـ كنت إنجليزيًّا؟! وكان معي الأستاذ كمال الدين الطائي من كبار علماء المذهب الحنفي في بغداد، فاعتذر لنائب رئيس الوزراء وجذبني حتى أخرجني من مكتبه ولامني لومًا خفيفًا على تلك الجرأة. فقلت: دعه يفعل ما يشاء. ونسيت أن أقول أني قلت لذلك الرئيس في وقت الغضب: (أمبير شرفين)[1] معناه: الإمبراطورية الشريفة، فهل كتب عليه: الإمبراطورية الفرنسية؟ فاكتفى ذلك الرجل في الانتقام مني بأن كتب على أوراق الطلب التي شغلتني أربعة أشهر ـ شهرين في البصرة وشهرين في بغداد ـ كلمة (مرفوض)، ووقع تحتها، فلم تدم تلك الوزارة في الحكم إلا اثني عشر يومًا ثم سقطت، وكانت وزارة جميل المدفعي، فجاءت بعدها وزارة علي جودة الأيوبي ومنحتني الجنسية العراقية في ثلاثة أيام بشفاعة صديق شهم.

ومنذ ثار البطل العظيم محمد الخامس وسليله جلالة الملك الحسن الثاني على الاستعمار الفرنسي؛ لم يعد أحد من أي جنس كان يتجرأ على السخرية منا

---

(١) سقط قبلها قوله: «انظر ما هو مكتوب على الجواز باللغة الفرنسية:»، وذكر الهلالي هذه القصة في كتابه «تقويم اللسانين» (٣٧ ـ ٣٨ بتحقيقي)، وسيذكرها هنا مرة أخرى في مقالة تأتي.

معشر المغاربة المغتربين؛ بل كان الناس ينظرون إلينا بعين الإجلال والإكبار، فإذا سئل الواحد منا عن وطنه فقال: أنا مغربي. يبادره السائل: أنت من بلاد المجاهد محمد الخامس؟

لله دره! ما رأينا ملكًا مثله ثار في وجه الاستعمار واسترخص عرشه من أجل دينه ووطنه، وهذا الأمر لا يعرفه إلا من ذاقه من المغتربين المبعدين عن وطنهم المغربي، أما المغاربة الذين لم يبعدوا ولم يخالطوا الشعوب المختلفة؛ فإنهم وإن كانوا مجمعين على إكبار عمل هذا المجاهد البطل، فإنهم لم يذوقوا ما ذقناه نحن من مرارة السخرية أولًا، وحلاوة التكريم بعد تلك الثورة المباركة، فرحم الله المجاهد أبا الحسن وبارك في المجاهد الحسن.

ـ اجتماع كاتب هذا المقال بالسلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن ـ رحمهما الله ـ:

كل ما كتبته من قبل فهو مما قرأته في الكتب، أما ما أحدِّث به الآن فهو حديث مشاهدة وسماع.

في شهر مارس من سنة ١٩٤٢م أرسلني الأستاذ المجاهد صاحب الفضيلة الشيخ محمد أمين الحسيني[1] من برلين إلى تطوان، وإتمامًا للفائدة أقول: إن هذا الأستاذ المجاهد كان مع الأستاذ رشيد عالي الكيلاني ـ نسبة إلى الشيخ عبد القادر الكيلاني ـ رحمهما الله ـ، هكذا ينطق به أهل العراق بالكاف نسبة إلى (كيلان) قرية في بلاد الأكراد في شمال العراق ـ أرسلني للاجتماع بالزعيم عبد الخالق الطريس

---

(١) انظر كتابي: «مراسلات الهلالي» (٤/ ١٧١٦ ـ الفهارس) لبيان عمق علاقة الهلالي مع الزعيم المجاهد الفلسطيني محمد أمين الحسيني، رحمهما الله تعالى.

لأمر فيه مصلحة للمسلمين، وكان سفري بجواز أرسله إلي الزعيم المذكور من تطوان على أني من أهلها بعد ما نزعت مني الجنسية العراقية بائتمار كاذب بين سفير العراق في رومة مراجم الباجيجي مع السفير الإنكليزي في رومة، بدون علم الحكومة العراقية؛ لأني آذيت الحكومة الإنكليزية بالأحاديث التي كنت ألقيها من إذاعة برلين العربية دفاعًا عن وطني لا تكليفًا من الألمانيين، ولما وصلت إلى تطوان كنت جاهلًا بالاستعمار الإسباني والفرنسي وحاجتهما إلى التملق، وبدونه تعتريهم الشكوك، فنزع مني مدير الشرطة الإسباني ذلك الجواز باعتباره أنه مزور، وقد بسطت هذا الخبر في كتابي «الدعوة إلى الله»[1]، فاضطررت أن أبقى فيما كان يسمى بـ (المنطقة الإسبانية)، فاضطررت إلى البقاء في تطوان وما حولها فيما كان يسمى بـ (المغرب الإسباني) من الأراضي المغربية إلى سنة ١٩٤٧م، حين تيسر لي الرجوع إلى العراق، وفي هذه السنة ـ سنة ١٩٤٢م ـ اجتمع الزعيم عبد الخالق الطريس بالسلطان مولاي عبد العزيز الذي كان قد اتخذ طنجة مقرًّا له بعد اعتزال الملك، فجاءني الزعيم عبد الخالق الطريس بتحية من السلطان مولاي عبد العزيز فعزمت على زيارته، وقال لي الأستاذ عبد الخالق الطريس: ما عليك إلا أن تأتي وكيل مولاي عبد العزيز في طنجة، وهو يوصلك إلى قصره في الجبل بالسيارة، فتلقاني ـ رحمه الله ـ بغاية الترحيب والفرح، وقال لي: كنت أسمع برحلتك الواسعة، وكنت أحب أن أراك. فجلست عنده قدر ساعة، وكان طويلًا أبيض ذا لحية وافرة إلا أنها مقصوصة الأطراف، فتحادثنا، وحدثته بما جرى لي في أسفاري ومحاربة الاستعمار الإنكليزي والفرنسي لي لدفاعي عن وطني، وتحدثنا ـ أيضًا ـ في العقيدة

---

(١) انظرها فيه: (ص١٣٣ ـ ١٣٦ بتحقيقي).

السلفية في توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبادة بالتبرؤ من عباد القبور، وتوحيد التوجه إلى الله ـ تعالى ـ بلا واسطة، وتوحيد اتباع سنة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بغير تقليد ولا تمذهب، فوجدته راسخ العقيدة في السلفية ـ قدس الله روحه ـ.

وأخبرني أن أستاذه في العقيدة السلفية هو العالم السلفي المحدث المحقق الشيخ عبدالله السنوسي ـ رحمه الله ـ، وأخبار هذا الإمام كانت معروفة عند أهل طنجة وشمال المغرب، وسأذكر طرفًا منها باختصار؛ لأن المقال قد طال، وأخاف أن هذا العدد الخاص من مجلة «دعوة الحق» الغراء لا يتسع له.

من ذلك أنه كان يعلن توحيد العبادة واتباع الكتاب والسنة في جميع مجالسه، وستتعجب أيها القارئ إذا أخبرتك أنني رويت كتب الحديث والأثبات عن شيخنا عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركبوري الهندي ـ مؤلف «تحفة الأحوذي في[1] شرح الترمذي» في خمسة من المجلدات مع المقدمة، وقد طبع ونشر، وذكرني ـ رحمه الله ـ في آخر المجلد الآخر[2] عند ذكر القصيدة التي قرظت بها الكتاب بطلب منه ـ عن شيخ شيخنا الإمام نذير حسين الدهلوي عن الشيخ محمد إسحاق الدهلوي ...إلى آخر السند[3]، ومن جملة شيوخ محمد إسحاق في أسانيد الحديث الشيخ عبدالله السنوسي، وبسط لي أخباره السلطان مولاي عبد العزيز ـ رحمه الله ـ.

---

(١) في الأصل: «فيها».

(٢) انظره (٤/ ٤٠٣ ـ ط الحجرية).

(٣) انظره بتمامه في مصورة إجازته الملحقة بـ «الثمر الينيع في إجازات الصنيع» (٢٨٣ ـ ٢٨٤).

وقال لي في جملة ما قال: إن هذا الشيخ الإمام لما حضرته الوفاة ترك خزانة كتبه عندي، ولا أدري أنا ما أصنع بهذه الخزانة وعند من أودعها لينتفع الناس بها دون أن تصل إليها أيدي لصوص الكتب! فلم أبد له رأيًا، ولا أعرف الآن ماذا جرى عَلَى هذه الخزانة، وأخبرني ـ رحمه الله ـ بأن كتبه هو تركها في فاس.

ولقد حدثني الثقات من أهل طنجة أن المحدث الحجة الشيخ عبدالله السنوسي أستاذ السلطان مولاي عبد العزيز سافر إلى العرائش، وكان له بها محبون يلتمسون منه زيارته لهم حينًا بعد حين ليغترفوا من بحر علمه الغزير، وكان له خادم جاهل بتوحيد العبادة، فلما وصل الشيخ إلى العرائش قال الخادم: (احنا أضياف الله عندك يا للا منانة) معناه: نحن ضيوف الله عندك يا سيدتنا منانة! و(منانة) اسم لوثن يعبده الجهال، وهو ضريح للمرأة المذكورة، فأسرَّها الشيخ في نفسه، وكان من عادة الشيخ أن ينزل عند أحد المحبين ويذهب خادمه إلى المقهى فيسمر فيه إلى وقت النوم، حتى إذا رجع يقدم له عشاؤه، أما في تلك الليلة فقال الشيخ لأهل هذا البيت: لا تتركوا للخادم عشاء؛ فإنه مدعو للعشاء عند بعض الناس، فلما رجع وجلس ينتظر العشاء ـ كالعادة ـ قال له الشيخ: كيف كان عشاء منانة، عسى أن يكون جيدًا؟! فقال له الخادم: يا سيدي أنا ما تعشيت! فقال الشيخ: يا عجبًا! أنت طلبت الضيافة من منانة، فكيف تركتك بلا عشاء؟! اذهب لتنام فليس لك عشاء في هذه الليلة جزاء لك على الشرك بالله.

وحدثني العالم السلفي الورع التقي النقي الأستاذ الشيخ محمد أبو طالب ـ رحمه الله ـ هنا في مكناس: أن الفقهاء في فاس كان لهم اجتماع في الضريح الإدريسي ـ كعادتهم عندما تدعو الحاجة إلى الاجتماع ـ، فلما انصرفوا من ذلك الاجتماع لقي

أحدهم المحدث الإمام عبدالله السنوسي، فقال له: يا سيدي! كنا نرجو أن تحضر معنا في ضريح مولاي إدريس. فقال له: أنت تعلم أني لا أدخل الأضرحة ولا أصلي في المساجد المبنية عليها. فقال له: إن الشيخ خليلًا أباح الصلاة فيها ونحن خليليون، إن دخل خليل الجنة دخلنا معه وإن دخل النار دخلناها معه!

ومن المعلوم أن اتخاذ المساجد على القبور بدعة منكرة، روى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**» يحذِّر ما صنعوا، ولولا ذلك لأُبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا[(١)].

وروى مالك في «الموطأ» عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ لَا تَجعَل قَبرِي وَثَنًا يُعبَدُ، اشتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَومٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»[(٢)]، هكذا رواه مالك في «الموطأ» مرسلًا.

قال الحافظ ابن عبد البر: ووصله عمرو بن محمد فقال: عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ.

فزالت عنه علة الإرسال وصلح للاحتجاج، على أن هذا الحكم ثابت عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة وأسانيد صحيحة تكاد تبلغ حد التواتر.

مكناس: محمد تقي الدين الهلالي

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥ و١٣٣٠ و١٣٩٠ و٣٤٥٣ و٤٤٤١ و٤٤٤٣ و٥٨١٥) ومسلم (٥٢٩ و٥٣١).

(٢) سبق تخريجه.

* نبذة من سيرة فقيد الأمة العزيز السلطان مولاي عبد العزيز ـ قدس الله روحه ـ[1]

للدكتور تقي الدين الهلالي

هو مولاي عبد العزيز بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبدالله بن إسماعيل بن الشريف ـ رحمهم الله جميعًا ـ.

ولد عام ١٢٩٨هـ وتوفي مساء يوم الأربعاء خامس جمادى الثانية عام ١٣٩٢هـ، نشأ الفقيد الكريم تحت رعاية والده السلطان مولاي الحسن بن محمد ـ رحمه الله ـ وكان يعنى بتربيته كل العناية، وكان يتفرس فيه النجابة والنبوغ، فكان يختار لتعليمه وتثقيفه كبار الأساتذة ويهب له نفائس الكتب، فبلغ الراحل العزيز بسبب ذلك في العلم والأدب شأوًا لم يبلغه إلا قليل من الملوك، ولم يلبث أن ظهرت عليه أمارات النجابة، وهو طفل لم يبلغ الحلم، فكان والده يوجهه إلى نواحي المملكة في مهمات الأمور، كما هو مبين في التاريخ مفصلًا، وكان من جملة أساتذته ومهذبيه الأستاذ أحمد بن موسى حاجب والده ووزيره الأكبر، وكان يحنو عليه ويبذل كل ما عنده من عبقرية لإعداده ملكًا عظيمًا مما كان يرى فيه من الاستعداد لذلك، فتم له فيه ما أراد ونشأ على أحسن ما ينشأ عليه أبناء الملوك العظماء، وعندما توفي والده السلطان مولاي الحسن بن محمد في ٢ ذي الحجة عام ١٣١١هـ كتم الحاجب أب أحمد ـ على حد تعبير أهل المغرب ـ وفاته، واستعمل دهاءه الهائل في تمهيد السبيل لتولية مولاي عبد العزيز، مع أنه كان من إخوته من هم أكبر منه سنًّا، فلما تم له ما أراد؛ أعلن وفاة سيده مولاي الحسن ودعا إلى بيعة

---

(١) نشرت في جريدة «الأخبار» التطوانية، السنة الأولى، العدد (٦٣)، الثلاثاء ١٣ جمادى الثانية ١٣٦٢هـ ـ ١٧ ينيه ١٩٤٣م.

ابن سيده مولاي عبد العزيز فلم يجد في ذلك معارضة طبقة من طبقات الدولـة، ولا من أشرافها وعلمائها وأعيانها، وكانت مبايعة مولاي عبد العزيز في ذي الحجة عام ١٣١١هـ.

فلما تمت البيعة ولم يبق أحد من الأمة إلا بايعه؛ تولى أحمد بن موسى الوزارة العظمى لـملِكه وتلميذه مولاي عبد العزيز، وسنه إذ ذاك لا تزيد على ١٣ سنة، وتصرف في الدولة تصرف المالك في ملكه ولم يكن له معارض إلا وزير سيده المتوفى وهو الحاج المعطي الجامعي وأخوه[1]؛ فقضى عليهما بسهولة، واستبد بالحكومة أيَّ استبداد من سنة ١٣١١هـ إلى أن أدركته الوفاة ١٣١٨هـ، فكانت مدة وزارته ـ وإن شئت فقل: ملكـه ـ سبع سـنين، لم تنشـأ فيها ثـورة مهمة إلا واحدة قضى عليها أب أحمد في مهدها قضاء مبرمًا يشبه سطوات السلطان الأعظم مولاي إسماعيل ـ قدس الله روحه ـ، وبقيت حال المغرب السياسية كما كانت عليه في عهد مولاي الحسن، وأما المالية فصارت أحسن قليلًا، وهذه فضيلة لأحمد بن موسى يعترف له بها المغاربة والأجانب ـ أيضًا ـ، وإن كنت في شك من ذلك فاسمع ما يقوله والترب هريز الإنكليزي في كتابه «مودرن مركو modern maroco أي: المغرب الحديث» ط لندن ١٩١٩م (ص٢٠):

يمكـن أن يقـال أن أهميـة الحالـة الـسياسية في المغـرب بـدأت بـتخلص السلطان من رقابة وزيره الأكبر أب أحمد؛ لأن أب أحمد كان قد قبض على زمـام الحكم واستبد بالمملكة كلها، فإن الحكومة المغربية كانت حتى وفاة ذلك الـوزير واقفة كسد من حديد في وجه المحاولات الأوربية لإدراك أي نفـوذ أو مـصلحة

---

(١) محمد الصغير.

إقليمية على حساب المغرب، وكان المغرب إلى ذلك الوقت محافظًا على استقلاله وسلامته، وربما كان مهددًا، ولكنه لم يكن فاقدًا شيئًا من استقلاله إلى ذلك الحين، أما بعد موت أب أحمد فقد تبدلت الأمور؛ فإن ذلك الرجل العبوس القاسي الذي لم يترك شيئًا من الوحشية والتعذيب إلا أقدم عليه للمحافظة على استقلال المغرب قد ترك المجال خاليًا...[1] مولاي عبد العزيز، فسنحت الفرصة للوزراء أن يحكموا المغرب كما يحبون، مع مراعاة مصالحهم الخاصة، وقد بذلوا جهودهم في صرف أفكار سيدهم ومولاهم إلى أشياء...[2] غير مهمة، ولم يكن ذلك عليهم بعسير. ثم قال هريز بعد كلام:

وقد نصحت الحكومة البريطانية للسلطان بإجراء الإصلاح، وفي سنة ١٩٠١م أُرسل مغربي خاص إلى لندن وبرلين، وأَرسل سفيرًا آخر إلى باريس، أما الأول فلم يصنع شيئًا أكثر من استرعاء نظر الناس إلى هيأته وبزته، وأما الثاني فقد قام بتسوية مسألة الحدود بين المغرب والجزائر على صورة غير مرضية ولا هي في مصلحة المغرب، وأقام مولاي عبد العزيز ستة أشهر في عاصمة الجنوب، ثم رجع إلى فاس في أول سنة ١٩٠٢م وأخذ في الحين يعمل لأجل الإصلاح المقترح عليه، وقد كان نابغة في ذكائه ولكنه لم يكن له معين، وسارت الأمور إلى حين سيرًا حسنًا، ثم بارح السلطان فاسًا إلى الرباط. فما عتم[3] أن جاء خبر ثورة بو حمارة. اهـ.

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) كذا في الأصل، ولعل الخبر جاء لما عتم، أي: لما جاء الليل، والله أعلم.

وكان أهم الأحداث الخطيرة وقعت في عهد مولاي عبد العزيز ـ رحمه الله ـ: ثورة الجيلاني الزرهوني المعروف بـ (بو حمارة)، وكان ابتداؤها سنة ١٣٢١هـ ودامت إلى سنة ١٣٢٧هـ في عهد مولاي عبد الحفيظ حين قبض على الثائر وقتل، وشدة تنازع الدول في قضية المغرب، وانعقاد مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة ١٢٢٣هـ ـ ١٩٠٦م، وثورة مولاي عبد الحفيظ ١٣٢٥هـ، وانتهت بتنازل مولاي عبد العزيز عن الملك لأخيه المذكور.

وبعد ذلك انتقل إلى مدينة طنجة، وكان يسافر إلى أوربا ويتجول في جميع نواحيها ثم يرجع إلى مقره بطنجة، وكان متواضعًا لله كثير الصدقات يكفل خلقًا كثيرًا من اليتامى، وكان سلفي العقيدة، له ولوع عظيم بسنة النبي ﷺ، فرحمه الله رحمة واسعة، ورزق آله حسن العزاء، وفي ختام هذه النبذة نتقدم ـ والأسى ملء قلوبنا ـ إلى سمو الخليفة المعظم مولانا الحسن بن المهدي وإلى سائر آل البيت العلوي الكريم ثم إلى جميع إخواننا ومواطنينا المغاربة بواجب التعزية في هذا المصاب الأليم، سائلين الله ـ تعالى ـ أن يخلف على المسلمين خيرًا ويجعل البركة فيمن بقي من الآل الكرام.

الدكتور تقي الدين الهلالي

****

* نبذة أخرى من سيرة فقيد المغرب السلطان مولاي عبد العزيز[1]

بقلم الدكتور تقي الدين الهلالي

لا شك أن القارئ سيستغرب لأول وهلة هذا العنوان، ويقول في نفسه:

(١) نشرت في جريد «الأخبار» التطوانية، السنة الأولى، العدد (٦٩)، الثلاثاء ١٨ جمادى الثانية ١٣٦٢هـ ـ ٢٢ ينيه ١٩٤٣م، (ص٤).

ما الداعي إلى كتابة نبذتين كل منهما على حدة؟ فهلا اجتمعتا وكانتا نبذة واحدة؟ والجواب هو ما يأتي:

حين اقترح علي أن أكتب كلمة في سيرة الفقيد العزيز؛ استعظمت هذا الأمر لقلة علمي بتفاصيل أخبار مولاي عبد العزيز ـ رحمه الله ـ، وقلت في نفسي: لا يفتى ومالك بالمدينة؛ كيف أتصدى لهذا وأنا لم أكن في عهد سلطنة مولاي عبد العزيز إلا طفلًا صغيرًا، ثم بعد ذلك كنت مشغولًا بطلب العلم، وبعد تحصيل ما قدر لي منه بالمغرب سافرت إلى المشرق وبقيت فيه وفي أوربة زهاء عشرين عامًا، لا أعرف من أخبار المغرب إلا ما نشر في الصحف؟ ففزعت إلى صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ سيدي أحمد الرهوني ـ حفظه الله ـ ليمدني بالمعلومات الكافية في الموضوع؛ إذ هو ابن بجدتها، فلقي الأستاذ طلبي بالسرور، ووعدني بالمدد عاجلًا، ووفى بوعده، غير أن رسوله الحامل لتلك المعلومات لم يجدني بالبيت، ولم يكن لي بد من الإسراع بالمقال، فكتبت ما جاد به الوقت، ثم بلغني ـ بعد ما بعثت المقال وطبع أو كاد ـ مدد الأستاذ الرهوني؛ فترددت في إعادة القول في الموضوع، ثم جزمت بذلك كراهية أن أحرم قرائي من الفائدة، وسأقتصر لضيق المقام على الإشارة إلى الأهم من تلك الأخبار، شاكرًا لصاحب الفضيلة الأستاذ الرهوني فضله.

١ ـ كان الفقيد أعز أولاد السلطان مولاي الحسن ـ رحمه الله ـ عنده وأكرمهم عليه.

٢ ـ ولد له من حليلته[1] صاحبة العصمة السيدة رقية التركية[2] في حدود عام ١٢٩٨هـ.

---

(١) أي: حليلة السلطان الحسن.

(٢) ذكر في المقالة السابقة أنها شركسية.

٣ ـ اعتنى والده بتربيته تربية ملوكية أكثر من سائر أولاده، وكان لا يفارقه طرفة عين، ولا يكون سروره تامًّا إلا إذا كان مولاي عبد العزيز حاضرًا عنده.

٤ ـ رشح لتربيته وتثقيفه الفقيه الجياني أحد علماء فاس حتى أتم دروسه الابتدائية في أقرب وقت، وصار يدربه على ما يؤول إليه من الملك، ورشح له وزيرًا وخيلًا وعربة شريفة وأعوانًا مخصوصين بخدمته، وجعل له مظلًّا وهيأة ملوكية في صغره، حتى شهد يوم دخوله مع والده تطوان فاتح عام ١٣٠٧هـ، وله هيأة كهيأة أبيه بالمظال والمزارق والعربات والرفادات وغير ذلك، هذا وعمره لا يتجاوز التاسعة.

وكان إذا زار والده مشهدًا من المشاهد يزوره هو ـ أيضًا ـ بمثل هيأته، وهكذا كان والده لا يفارقه في سفر أو حضر.

٥ ـ تولى أحمد بن موسى المترجَم[1] رئاسة الوزارة ووزارة الخارجية بعد ما عزل عنها فضل غابط المكناسي، وولى أحمد بن موسى أخاه سعيد بن موسى وزارة الحربية تحت مراقبة الفقيه الحاج محمد الجباص، وولى الحجابة أخاه إدريس بن موسى، وولى المالية السيد محمد بن عبد السلام التازي.

٦ ـ التعدلات بعد وفاة أحمد بن موسى:

رئاسة الوزراء: عبد الكريم بن سليمان.

الخارجية: إدريس البوكيلي تحت مراقبته.

الحربية: الحاج المهدي المنبهي وخليفته محمد الجباص.

المالية: محمد بن عبد الكريم التازي بعد نهب سلفه ـ كالعادة ـ.

---

(١) لأن الأخبار المذكورة عن السلطان عبد العزيز في ترجمة أحمد بن موسى في «تاريخ مكناس» كما في المقالة السابقة.

٧ ـ أنشئ مجلس للنظر في الأمور الخارجية وجعل مقره في طنجة، قوامه بناصر غنام وحفيد برادة وعبد الرحمن بنيس والحاج محمد بن جلون، وكان يتولى رئاسة هذا المجلس الشيخ الوقور أوحد أهل زمانه ديانة وسياسة ومروءة وحزمًا وعزمًا الحاج محمد الطريس، وكان خليفته ابنه البار الخيِّر الديِّن الصدوق المنوَّر الظاهر والباطن الحاج أحمد بن محمد الطريس ـ رحمهم الله جميعًا ـ.

٨ ـ ١٣١٩هـ سافر وفد مؤلف من ابن سليمان والجباص إلى فرنسة وروسية وغيرهما، ووفد آخر مؤلف من المنبهي وبركاش والزبير السكيرج إلى بريطانيا، وطاف الجميع ربوع أوربة ولا يدرى ما عقدوه!

أقول: قد رأيت نتيجة هاذين الوفدين في كلام هريز الإنكليزي في النبذة الأولى.

٩ ـ بعد استقرار مولاي عبد العزيز في طنجة تفرغ لعبادة الله وقراءة العلم ولاسيما التفسير والحديث، وقطع جميع العلائق التي تعوق عن ذلك.

واختار لدروسه الفقيه سيدي محمد الخصاصي والعلامة الشريف المسند المحدث رحالة الآفاق العالم الذي ضيع علمه أهله ـ أي: المغاربة ـ ربة الشيخ عبدالله السنوسي، وعكف المترجَم له على درس العلم مع هاذين العالمين حتى برع في علوم السلف وسائر فنون العلم والأدب، وكان كذلك يدرس اللغات؛ فبرع في التركية والإنكليزية والفرنسية، هذا شأنه حتى لقي الله وهو ساجد، وتلك كانت حاله في سلطنته كما شهد بذلك حاجبه الصدوق السيد محمد الركينة ـ رحمه الله ـ؛ فقد قال: إن مولاي عبد العزيز كان في حال سلطنته وشرخ شبابه يصلي الصلوات في أوقاتها ويصوم الخميس والاثنين ويبيت يصلي.

هذا ما رأينا تلخصيه للقراء مما كتبه العلامة الرهوني ـ حفظه الله ـ، وقد

ألححت عليه أن يتولى نشره بنفسه فأبى، فرحم الله مولاي عبد العزيز وجعل البركة فيمن بقي من الآل الأكرمين.

الدكتور تقي الدين الهلالي

***

*** الفقيد العظيم[1]**

«اتفق نبلاء العالم من الكتاب والسياسيين والحكماء على أن موت صاحب الجلالة فيصل بن الحسين نكبة وأيُّ نكبة على العرب عامة، وعلى الشام والعراق خاصة، ونحن إذا استقرينا أعمال الراحل العظيم ووضعناها في ميزان النقد النزيه؛ لا نجدها كلها صوابًا، بل فيها صواب وخطأ، وفيها ما يستحسن وما يعاب، وفيها ما هو ضار وما هو نافع، وهذه حال جميع الناس إلا المعصومين وجوبًا أو عينًا من النبيين والصديقين.

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

ومن ذا الذي تُرضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلًا أن تُعَدَّ معايبه[2]

فالمدار حينئذ على الإخلاص، والثمرة العظيمة التي أنتجتها أعمال فيصل

---

(١) نشرت في مجلة «الضياء» الهندية، المجلد الثاني، الجزء الثامن، شعبان ١٣٥٢هـ - ديسمبر ١٩٣٣م، (ص٣١٠)، واقتصرنا فقط على تقديم الهلالي لمقالة بعنوان (الفقيد العظيم) بقلم كاتب المشرق الأكبر أمير البيان العلامة الأمير شكيب أرسلان - حرسه الله وحماه -.

(٢) البيتان في: «سلافة العصر» (١/ ٣٥٠) وفيها: «فخرًا» بدل «نبلًا».

والبيت الأول في: «ديوان عبد الغني النابلسي» (٢٨٣)، والبيت الثاني في: «ديوان المعاني» (٢/ ١٩٦).

لا تبقي أدنى ريب في إخلاص الرجل وسمو همته، وهذه الثمرة نفسها تكشف الغطاء عن كثير من مناقبه وعن جانب عظيم من عظمته كان خافيًا على أكثر الناس؛ لدهاء الرجل وبعد نظره وعمق سياسته وإيثاره للعمل على القول، وإذا ثبت هذا؛ فلم يبق خلاف بين منتقدي الرجل القادحين في بعض أعماله وخيبة[1] المادحين لجميع أفعاله، وكلمة أمير كتاب «العرب وحكماءهم وسياسيهم ومجاهديهم» التالية لهذا تكشف النقاب عن هذا المعنى، وتثبت صحة ما ادعيناه من الإجماع على عظمة الفقيد وإخلاصه».

الهلالي

* * *

* كلمة في الذكرى التأبينية لفقيد الأمة الزعيم المجتهد الراحل علال الفاسي ـ رحمه الله تعالى ـ[2]

فضيلة الدكتور السيد محمد تقي الدين الهلالي

لقد دعينا اليوم للحضور في هذه الذكرى التأبينية لفقيد الأمة الزعيم المجاهد المجتهد الراحل علال الفاسي الذي أقول فيه ما قال الشاعر[3]:

---

(١) في الأصل: «وخبية».

(٢) نشرت في كتاب «علال الفاسي في ذكراه الأربعين» المنشور عن لجنة الإعلام والنشر لحزب الاستقلال المغربي، بتأريخ ٧ جمادى الثانية ١٣٩٤هـ ـ ٢٨ يونيو ١٩٧٤م، (ص١٠٥ ـ ١٠٦).

(٣) هو عبدة بن الطبيب التميمي، مخضرم، توفي سنة ٢٥هـ.
ترجمته في: «الإصابة» (٨/ ١٦١) و«الشعر والشعراء» (٢/ ٧١٧) و«الأعلام» (٤/ ١٧٢).
والبيت في: «عيون الأخبار» (١/ ٤٠٢) و«لباب الآداب» (١٣٩) و«الدر الفريد» (٧/ ٢٤٩).

وما كان قيس[1] هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

لكن هذا البنيان إذا تهدم، فليس معنى ذلك أننا نيأس من أن يعيننا الله ـ تعالى ـ، وأن نبني بنيانًا آخر، وقال الشاعر:

لعمرك ما الرزية فقد مال ... ولا فرس يموت ولا بعير

ولكن الرزية فقد حر ... يموت لموته خلق كثير[2]

فهذا الرجل قد لا يجود الزمان دائمًا بمثله؛ بل تمضي حقبة طويلة لا يظهر في البلاد زعيم نابغة جامع العلوم والفضائل مثله، بل إذا قمنا بذكراه وتمثلنا خطاه؛ فإنما نكون قد أسدينا إحسانًا لأنفسنا ولشعبنا، ولا ينبغي لنا أن نقتصر على الاحتفالات والذكريات، بل الذكريات الحقيقية هو أن نكمل العمل الذي ملاه وبعثه وبدأه هذا الزعيم الكبير.

وأنا لا أريد أن أعيد وأن أكرر ما قاله الخطباء من قبل وبينوه؛ فقد قيل: «المعاداة من المعادة»، ولكني أريد أن أتطرق إلى ناحية من نواحي سيرته الطيبة قل من تطرق إليها، وهي عقيدته السلفية؛ لأن الأعمال مبنية على العقائد، فكل عمل بني على غير عقيدة؛ فإنه آيل التهدم والاضمحلال.

---

(١) ابن عاصم المنقري التميمي ﷺ، وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم سنة تسع فأسلم، وقال النبي ﷺ: «**هذا سيد أهل الوبر**».

ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٤/ ٥٨) و«تاريخ الإسلام» (٢/ ٤٣٤) و«الإصابة» (٩/ ١٢٥).

(٢) البيتان للأصمعي في: «مجاني الأدب» (٣/ ٤٢).

والبيتان في: «أمالي القالي» (١/ ٢٧٢) و«شرح ديوان المتنبي» (١/ ٢٧) وفيها: «ولا شاة تموت» بدل «ولا فرس يموت» و«قرم» بدل «حر» و«بشر» بدل «خلق».

فعقيدة علال الفاسي هي السلفية الخالصة؛ وهـي توحيـد الله، ينقسـم إلى أقسام، يترتب بعضها على بعض، ويكمل بعضها بعضًا:

فالقسم الأول: هو توحيد الربوبية؛ بمعنى: أن نعتقد وأن نؤمن بأن الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ هو الله وحده لا شريك له.

وذكر الدكتور تقي الدين الهلالي بعض الآيات المتعلقة بتوحيد الربوبية التي وردت في القرآن.

والقسم الثاني: هـو توحيـد العبـادة؛ بمعنـى: أننـا لا نتوجـه في حاجاتنـا ولا نستغيث إلا بالله ـ تعالى ـ.

وقد قام الأستاذ الهلالي بشرح مدلول ذلك وأعطى أمثله في الموضوع.

والقسم الثالث: هو توحيد الاتباع؛ وهو أننا نتبع كتاب الله وسنة رسوله، ونحكم شريعة الله في كل شيء.

وذكر الدكتور الهلالي بعض الأمثلة في الموضوع[1].

تلك هي نبذة من العقيدة السلفية للراحل علال الفاسي.

* * *

*** محمد علي جناح أو منقذ (باكستان) الإسلامية[2]:**

زعيم من زعماء الإسلام، وشخصية إسلامية فذة كرست حياتها في الجهاد

---

(١) سبق للهلالي شرح هذه الأنواع بتفصيل في مقالة (ملك من ملوك الدولة العلوية المجيدة وموقفه من الأشعرية) فيما تقدم (ص٣٤٤ ـ ٣٤٥).

(٢) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الثانية، الجزء الثالث، ذو القعدة ١٣٦٦هـ ـ شتمبر ١٩٤٧م، (ص٢٤).

والنضال، وكافح ـ منذ نعومة أظفاره ـ وآثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، بعثه أبوه إلى إنجلترا، وكان لم يبلغ بعدُ السادسةَ عشرةَ من عمره، ودرس القانون في جامعاتها.

قام ينادي باستقلال مسلمي الهند عن مواطنيهم الهندوس، وبتأليف دولة مسلمة من المقاطعات الإسلامية، هذا هو الحل الوحيد عنده، ولا حل سواه.

ومن هنا رفض كل الاقتراحات وكل الحلول التي قدمت إليه.

قال: (لا) في عام ١٩٤٧ عندما اجتمع به زعماء الهندوس.

وقال: (لا) في عام ١٩٤٧ للسير ستافورد كريبس.

وقال: (لا) في عام ١٩٤٤ للمهاتما غاندي.

وقال: (لا) في عام ١٩٤٥ لنائب الملك اللورد ويفل.

وقالها أخيرًا ١٩٤٦ لغاندي وويفل والبانديت جواهر لال نهرو.

الباكستان: استقلال المقاطعات الإسلامية... أو الصراع إلى النهاية...

قال له غاندي في اجتماعهما عام ١٩٤٤م: نحن نريد أمة واحدة ودولة واحدة وحكومة واحدة...

فأجابه محمد علي جناح:

لم تكن الهند في يوم ما أمة واحدة، ولا كانت دولة واحدة، أو لها حكومة واحدة... إلا في عهد المستعمرين المغول أو الإنجليز؛ فإذا أنا طالبت باستقلال المسلمين، وأن تكون لهم دولة قائمة بنفسها؛ فإنما أطلب بإعادة الأمور إلى نصابها ووضعها القديم.

وقبل أن ينتهي الاجتماع قال جناح ـ وفي عينيه سخرية مرة ـ: إنكم تقدسون

البقرة وتعدونه كافرًا من يمسها بسوء؟!

قال غاندي: نعم.

قال زعيم المسلمين: ديننا نحن أحل لنا أكل لحمها، فهل تحلون لنا ذبح البقرة؟!

وسكت غاندي ولم يجب!

ونهض جناح وهو يقول: إذا نصصتم في دستوركم الجديد على أنه يباح للمسلمين ذبح البقرة وأكل لحمها...

ولكن غاندي ـ وقد أدرك السخرية ـ أشار بيده أن اسكت!

وهكذا انتهى المجلس!

* * *

*** سفير شرقي يؤدي واجبه مضاعفًا[1]:**

السفير صورة مصغرة لحكومته وعنوان لها، يمثل قوتها وضعفها ورقيها وانحطاطها وحزمها وإهمالها، إلى غير ذلك من أوصافها، فهو عامل قوي من عوامل رفعها أو خفضها، وتمتين الروابط التي تربطها بالدول والأفراد في الخارج أو توهينها، فلذلك ترى الدول الراشدة تدقق كل التدقيق في اختبار واختيار السفراء، وتعجم عيدان أبنائها وسهام كنانتها، فترمي هذا المنصب بأصلبها عودًا وأنفذها سهمًا؛ لأنه منصب شاق ووظيفة مهمة وأمر خطير يتوقف عليه نجاح الدولة وحسن الدعاية لها، وجمال الأحدوثة عنها والتوفيق بين مصالحها ومصالح

---

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد التاسع، عدد (٤٤١)، بتأريخ ١٥ محرم ١٣٥٤هـ، (ص١٠ ـ ١١).

البلاد التي ينوب السفير عن دولته فيها، فالقيام بواجبات السفارة والنجاح فيها ليس من الهنات الهينات؛ بل دونه أهوال وعقبات، وما يـذللها إلا أولـو النهـى، وبعد هذا التمهيد القصير نريد أن نذكر مثالًا شاهدًا لما ذكرنا:

ـ الشيخ إبراهيم بن مُعمَّر: سفير الدولة العربية السعودية في بغداد:

لم يكن بيني وبين هذا الرجل من الصلات الشخصية ما يـدعوني لأكتـب حرفًا واحدًا في حقه، هذا لو كنت أرضى لنفسي إرسال المـدح أو القـدح جزافًـا لفائدة شخصية، فكيف ولم أرتكب هذه الجريمة الصحفية قط منـذ جنحـت إلى الكتابة؟ ومع أننا كنا جميعًا في بلاد واحدة وفي دائرة واحـدة مـدة ثـلاث سـنين، فربما التقينا فلم يكلم أحدنا الآخر، اضطرني إلى ذكر هذا ما جرى عليه الكتَّـاب اليوم من المدح والذم لأغراض غير مرضية.

الحق أقول: إن النجاح الذي ناله الأستاذ الشيخ إبراهيم بن مُعمَّر في وظيفته عظيم لم أكن أتوقعه قط، لا لعدم كفاءته؛ ولكن لعظمه وكونه فوق ما يتصوَّر.

زرت بغداد في الصيف الماضي وغشيت مجالس الناس وسمعت حديثهم، فراعني إجماعهم على الإعجاب بسلوك السفير المشار إليه، وانطلاق ألسنتهم بالثنـاء عليه، وعلى الحكومة التي يمثلها، والغريب أن أشد الأعـداء للحكومـة العربيـة السعودية الذين كانوا يكتبون ويؤلفون ويخطبون؛ سكتوا فجأة بعد استقرار الـسفير في بغداد، ولم يقتصر الأمر على سكوتهم؛ بل أخذوا يمدحون ويفيضون ثناء، ولم تكن هذه حال الخاصة فقط؛ بل العامة أشد إعجابًا وأكثر ثناء، هذه بغـداد التـي كانت قبل إنشاء هذه السفارة تجهل الحكومة العربية السعودية وتظن بها الظنون، وكانت عقيدة أهلها في سوء الظن راسخة يستبعد العقل أن تتلاشـى وتـزول في أقل من عام واحد.

هذا الذي جعلني - وأظن أنه جعل غيري - شديد الإعجاب بالخدمة التي أداها هذا السفير للحكومة والأمة، والإعجاب بالمجيدين المتقنين للأعمال البالغين إلى قرب خرق العادات أمر مركوز في النفوس، ولكن الاعتراف بذلك مجانًا عزيز في هذا الزمان، ونادر جدًّا، وأرجو أن أكون من هذا النادر.

سلك ابن معمر في معاملة الناس مسلكًا لم أر ولم ير غيري سفيرًا يسلكه أو يدنو منه: تواضعٌ جعله يمتزج بالعامة امتزاج الماء بالماء في مساجدهم وفي مجالسهم، يزور ضعيفهم فضلًا عن قويهم، ويعود مريضهم، ويلاقي بالبشر واللطف كل من لقيه من صغير وكبير، وينتهز كل فرصة لخدمة دولته بنشاط منقطع النظير.

- التمسك بالدين:

والأمر العظيم الذي جذب قلوب العامة إلى حبِّ الشيخ إبراهيم بن معمَّر هو: الاستقامة والطهارة والوقوف عند حدود الله، فلم يشتهوا أن يروه في مسجد إلا رأوه، ولكنهم لم يروه قط في ملهى أو مكان ريبة، خلاف ما عليه أصحاب المناصب العالية التي تضاهي منصبه، فانقلب سوء ظنهم حسنًا، وانقلب بغضهم حبًّا، وتبدَّدت غيوم الأوهام التي كانت في أنفسهم.

وبينما أنا جالس عند صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ إبراهيم الراوي رئيس (جمعية الهداية الإسلامية)؛ إذا بسيارة أقبلت في شارع الرشيد فتوقفت على الباب، وظهر منها رجل بلباس عربي، فصعد ودخل وسلم على الشيخ وأراد أن يجلس في طرف المجلس، فقام له الشيخ من مجلسه وألح عليه في الجلوس فيه، وهناك عرفت الزائر، فتصافحنا وتحدثنا حديثًا قصيرًا جدًّا لم أملك نفسي فيه أن هنأته بنجاحه وقلت له: إنني لم أكن قاصدًا زيارته، ولكن ما رأيته من طيب

الثناء عليه جعلني شديد الرغبة في زيارته لأهنئه، وقد أنجزت ما عزمت عليه ولم يردَّ لي الزيارة، مع أن جماعة من أعيان بغداد زاروني ابتداء، ولكن ذلك لم يكن لينزله في عيني دقيقة بعد أدائه ذلك الواجب العظيم، بعد إلقائه أكبر أخلاقه على ما كان في قلوب الناس من نحاس فانقلب ذهبًا خالصًا، وأعوذ بالله أن أكون ممن يمنعه حظُّ نفسه عن قول الحق، ومن ذلك الحين عزمت على كتابة كلمة في هذا المعنى الذي يسرُّ كل من يحب خير الإسلام والعرب، ولم يحَمَّ لي إنجاز ذلك إلا في هذه الساعة، وقد اخترت صحيفة «الفتح» لنشرها؛ لأن أكثر قرائها يسرُّهم هذا الحديث أكثر من غيرهم.

قرأت في صحيفة «البلاد» ـ وهي أكبر الصحف البغدادية في هذه الأيام ـ كلمة فيها خبر انحلال (حزب الأحرار) الحجازي، الذي تألف من زمانٍ لمناوأة الحكومة العربية السعودية، وهنأت الصحيفة المذكورة سعادة الشيخ إبراهيم بن مُعمَّر على نجاحه في إحالة بغض أهل هذا الحزب وحقدهم إلى محبة ومسالمة، فذكرت أنني اجتمعت في الصيف الماضي برجل من أعضاء ذلك الحزب، وكان صديقًا قديمًا لي عرفته سنة ١٣٤١ بمكة، وجرى بيني وبينه حديث، فوجدته على محاربته الطويلة للحكومة العربية السعودية ممتلئًا إعجابًا بها وبملكها ومكبرًا للسياسة التي سلكها ابن مُعمَّر في بغداد، وهذا يدلنا أن انحلال هذا الحزب لم يكن فجأة، ولم يوجده إعلان العفو العام من قبل الحكومة العربية السعودية فقط؛ بل له عوامل وأسباب أُخر أهمها حسن سلوك ابن مُعمَّر وحكمته، فإذا هنأته الصحيفة المذكورة فبحق هنأته.

البصرة

محمد تقي الدين الهلالي

* * *

* هنيئًا للمغرب بقادة جهاده[1]

بعدما تم تصفيف حروف جزء شعبان من مجلتنا «لسان الدين» ورد خبر رجوع قادة الجهاد الوطني: أولًا صديقنا الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني، ثم تلاه الأستاذ علال الفاسي، والأستاذ أحمد بلا فريج؛ فنهنئهم بعودتهم للجهاد، وبما كتب الله لهم من أجر وشرف ومجد سيبقى جديدًا خالدًا على تعاقب الجديدين ومرور الأيام، ونسأل الله الذي أنعم عليهم بذلك الفضل أن يوفقهم لبناء صروح أخرى من المعالي، غير مبعدين ولا مضطهدين؛ بل طلقاء أحرارًا مؤيدين منصورين بنصر الله وبالمؤمنين من أبناء وطنهم الذين يقدرون جهادهم حق قدره، ومشمولين برئاسة وتأييد صاحب الجلالة ملك البلاد ومالك قلوب أهلها سيدي محمد بن يوسف ـ نصره الله وأدام تأييده وحفظه من كيد الكائدين ـ، حتى ينال المغرب على يده ما لم ينله شعب على يد ملك من رفاهية وعز ومجد واستقلال، إنه سميع مجيب.

* * *

* وضوح حال الجهاد المغربي[2]:

نقلت الصحف العربية أخبارًا صغيرة محرَّفة مبتورة عن الشيخ مر بيه ربه ابن الشيخ ماء العينين، حتى أنها لم تعرف اسمه؛ فسماه بعضها (بربر)، وبعضها

(1) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الثاني، رمضان ١٣٦٥هـ- غشت ١٩٤٦م، (ص١٦ ـ ١٧).

(2) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الثامن، عدد (٣٩٣)، بتأريخ ١٩ محرم ١٣٥٣هـ، (ص٣).

(محب ربه)، وظن الناس أنه بربري تبعًا للتحريف المذكور، وكنت أريد أن أكتب شيئًا أرفع به هذا الالتباس إلى أن طلع علينا الجزء الأخير (٣٨٩) من «الفتح» فكشف الظلمة وشفى النفوس، وهذا الشيخ وإخوته ووالده هم من أعلام الجهاد في المغرب من قبل دخول الفرنسيين إلى الآن، وقد لقوا في سبيل الله من المشاقّ ما تندك له الأطواد، فصبروا والله مع الصابرين.

وهذا البيت هو وحده ـ من بين بيوت مشايخ الطريقة ـ الذي حفظ كرامة التصوف والعلم والعروبة من دنس مخالطة الفاتحين العادين.

ولعمري! إن هذا الشيخ الأمير لجدير بمساعدة جماعات وأفراد المسلمين، وهو الركن الوحيد الباقي في بلاد مراكش، فلو سقط (أعاذه الله) لصفت بلاد المغرب للفرنسيين وألقو السلاح واستراحوا.

وليس هو في الريف ولا في البلاد الواقعة تحت يد الإسبانيين كما جاء في بعض الصحف غلطًا؛ بل هو في سوس الأقصى في جنوب مراكش، والفرنسيون اليوم محيطون به من الجهات الأربع: فجنوبًا من شنقيط والصحراء، وشمالًا من مدينة مراكش وأحوازها، وغربًا من البحر المحيط ومرافقه وثغوره، وكلها بيد الفرنسيين، وشرقًا من وادي درعة.

وتعريفًا به أقول: إنه من صميم العرب، وفي الذروة العليا من العلم والشرف، ووالده علم في رأسه نار؛ بل نور، ولكن البلاد التي التجأ إليها الآن للبربر[1]، ومعه كثير من قبائل العرب، فأين المجاهدون؟ أنسيتم طيارات الأمريكيين الكاثوليكيين التي جاءت من أمريكا إلى الريف للجهاد في سبيل الشيطان، والبغي

---

(١) كذا في الأصل.

والعدوان لمساعدة دولة فرنسة ومن تحت يدها وإسبانيا على الأمير عبد الكريم وقومه الضعفاء؟

أرى أن الفرنسيين قد أتموا فتح الناحية الشرقية وأواسط جبال الأطلس، وجمعوا قواهم ليقلعوا هذا الضرس الوحيد الذي بقي مصدعًا رؤوسهم، فأين أهل الغيرة والحمية؟ فلا أقل من المساعدة المالية، وإذا عزمتم فليس بعزيز على هممكم أن توصلوا ما تنفقونه في سبيل الله إلى أيدي أرامل المجاهدين وأبنائهم، فانصروا الله ينصركم، واغتنموا الفرصة قبل فواتها، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ[1] اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ[2] وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج: ٣٩ـ٤٠].

الزبير: ٢٦ ذي الحجة ١٣٥٢هـ

محمد تقي الدين الهلالي

❋ ❋ ❋

❋ الكرامات الحقيقية[3]

وصديقنا العلامة الدكتور تقي الدين الهلالي ـ أيضًا ـ من أهل الخطوة؛ فقد

---

(١) في الأصل: «دفاع».

(٢) في الأصل: «لهدمت صلوات وبيع».

(٣) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع عشر، عدد (٨٣٨)، رمضان ١٣٦٥هـ، (ص١٥)، وفي مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الأولى، الجزء الأول، شعبان ١٣٦٥هـ- يوليه ١٩٤٦م، (ص٣٣ ـ ٣٤)، وزاد على عنوان المقالة في «لسان الدين»: «الظاهرة للعيان».

نجاه الله من شرور السنوات الست، فنزل الأندلس وانحدر منها إلى تطوان، وأصدر فيها مجلة «لسان الدين»، وكتب في عددها الأول يقول:

«من المعلوم أن الله يكرم أولياءه بما شاء من خوارق العادات، ومن أعظم الكرامات التي شاهدناها بأعيننا ما وقع لزعيم العرب والإسلام السيد أمين الحسيني؛ فقد أحاطت الجيوش البريطانية به في بيت المقدس، فغاب غيبة ثم ظهر في لبنان، وكانت الجيوش الفرنسية محيطة به مدة إقامته في لبنان، فغاب غيبة أخرى وظهر في بغداد، ثم غاب وظهر في طهران، وهناك اشتد الطلب البريطاني عليه؛ حتى جعلت الحكومة البريطانية لمن يأتيها به حيًّا أو ميتًا ٢٥ ألف جنيه، ودخل الحلفاء طهران وهو لا يزال فيها، فغاب غيبة استغرقت شهرين لا يعرف الناس أهو حي فيها أم ميت، ثم ظهر في برلين، وبقي فيها إلى أن استولى عليها الحلفاء قبل نحو سنة، فغاب غيبة أخرى وظهر في سويسرا، فسلمته هذه إلى فرنسا وهي من أشد أعدائه، فحفظه الله من شرها، وعاملته بالإحسان لا حبًّا في معاوية بل بغضًا لعلي، وغاب غيبة ثم استقر بالشرق العربي، ورجع إليه رجوع الأسد الغضنفر إلى عرينه، مؤيدًا منصورًا محفوفًا بكرامة الله ولطفه، فهذه كرامات الأولياء التي لا تحتاج إلى حدس وتخمين، والله ولي المؤمنين.

❊ ❊ ❊

❊ المجاهد الفذ أبو الحسن (محمد علي طاهر)[١] في العراق نعمة غير مرتقبة[٢]

أبو الحسن محمد علي الطاهر صاحب صحيفة «الشورى» علم من أعلام

---

(١) ما بين الهلالين من إضافتنا.

(٢) نشرت في جريدة «السجل» البغدادية، العدد (١٥٠٢)، السنة (٢٢)، الأربعاء =

الجهاد في القرن الرابع عشر بالتاريخ العربي، لو ذهبنا نبحث له عن نظير في بلائه الحسن وصبره وصلابة قناته وحركته المباركة المستمرة وإحكام صلته بأقطاب الجهاد والعز والفضل والأدب ومعرفته بالخونة ودسائسهم ومكايدهم في جميع أنحاء الوطن العربي الأكبر من مسقط إلى شنقيط؛ لما وجدنا له نظيرًا في هذه المزايا وفي غيرها مما يتعذر إحصاؤه.

لقد جاهد أبو الحسن عشرات السنين سالكًا في جهاده خطة واحدة لم يحد عنها قيد أنملة ولم تستطع العقبات والمحن وكثرة المخونين على اختلاف أجناسهم وألوانهم أن تنال منه أو أن تحمله على تغيير خطته فهو من عجائب هذا الزمان.

له مكتب في القاهرة غاص على الدوام بالزائرين المعجبين به من جميع أنحاء البلاد الإسلامية والعربية، لا يستطيع مكتب وزير أو أمير أو رئيس أن يضاهيه في ذلك وإن أنفق عليه من الأموال ملايين الدنانير، وهو ليس من أهل المال الذي هو معبود أكثر الناس، ولا من أهل المناصب التي للناس فيها رغبة ورهبة، إذن؛ فكيف قدر أن يستولي على قلوب الناس ويستهلهم إلى زيارته والالتفاف حوله وهم في طبقات مختلفة وألوان شتى؛ فيهم الفقير والثري، والنكير والوزير، والسفير والأديب والتاجر وغيرهم؟ وذلك سر يعز على اللبيب تعليله، فلا يسعه إلا أن يقول: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[المائدة: ٥٤].

في هذا الزمان الذي قل فيه الوفاء وفاض الغدر؛ ترى فيه أبا الحسن يمثل الوفاء العربي الباهر فلا يغفل عن أخ من إخوانه في أنحاء المعمورة

= ١٦ رجب ١٣٧٢هـ ـ ١ نيسان ١٩٥٣م.

مـع كثرتهـم، ولا يضيـع حقًّا من حقوقهـم في القرب والبعـد بل يؤديها بالكيل الأوفى.

لم تزده السجون والتعقبات والمضايقات إلا مـضاء في جهـاده، ومـضيًّا في سهوله الوعرة المحفوفة بالأخطار.

أنشأ صحيفة «الشورى» لمحاربة الاستعمار والظلم أينما كان، وهو فرد ليس لـه حزب ولا جمعيـة تمده بمال أو تساعـده في الأعمال، ومع ذلك كانت صحيفة «الشورى» تتخطـف في جميع الأقطار التي لا يحرِّم دخولها إليها الاستعمار، وكان الناس يرتقبون صدورها ارتقابهم لهلال عيد الفطر، وكانت فذة في الصحف كما أن منشئها فذ في الرجال، ومتـى عطلـت امتلأت قلوب قرائها الكثير عددهم أسًى وكمدًا، ولو كانت لها الحرية الكافية لتدخل إلى جميع الأقطار العربية؛ لوجب أن تطبع منها أعداد كبيرة جدًّا، والآن نرجو أن يكون بعثها قريبًا؛ فقد هبت نسماتها العطرة[1].

---

(١) قـال الهلالي في «ديوانـه» المسمى «منحة الكبير المتعالي» (ص٥٣٧ ـ بتحقيقي): «وبينما أنا في السجن الذي تقدَّم ذكره في شَفْشَاون؛ بلغنـي خـبر وفاة الأمير شكيب أرسلان ـ رحمـة الله عليـه ـ، وكـان لقائي له ومعرفتي بـه وصحبتي له من أفضل ما أدركته في حياتي.

وقد ذكرتُ قليلًا من ذلك في مقالٍ نُشِرَ في كتاب «ذكرى الأمير شكيب أرسلان» الذي أَلَّفه **الأستاذ محمد علي الطاهر**، وهو من أخلص المحبين والأنصار للأمير شكيب، ومن رفقائه في الجهاد، ومن الأصدقاء الأوفياء ذوي الشجاعة والمروءة، ولكنَّ صلابة عوده وبعده عن التملق والنفاق ضيَّق عليه الأرض، وأَوْصَدَ في وجهه أبواب الجهاد والعمل المثمر الذي كان يقوم به حين كان يحرر جريدة «الشورى» في القاهرة، وكان مكتبه =

لم يزل أهل العراق سباقين إلى الأريحية ونصرة المجاهدين وبذل النفس والنفيس في معاضدتهم، فلا عجب أن يخصهم أبو الحسن بمزية البدء بالزيارة ويقدمهم على جميع الأقطار العربية، وها نحن نراهم يتهافتون على زيارته والترحيب به والاحتفاء بمقدمه؛ فترى مجلسه في فندق (تايكرس) غاصًّا بالزائرين من جميع الطبقات من العلماء والأدباء وأرباب المناصب العالية ومن عامة الأمة الذين هم حصن الجهاد ومعقله، فحيا الله أبا الحسن وحيا أبناء العراق الأشاوس الذين عرفوا الفضل لأهله وقاموا بأداء الواجب.

ولا أستطيع أن أختم هذه الكلمة الترحيبية دون أن أذكر الأمير شكيب أرسلان ـ قدس الله روحه ـ؛ فهو واسطة العقد وهو أستاذ أبي الحسن وأستاذنا، وهو الذي جمع بيننا، ولا أريد أن أدخل في ذكر فضائل هذا النابغة في هذه الكلمة الترحيبية؛ لأن المجال لا يتسع لذلك ولا إلى عشر معشاره، ولكني أريد أن أقول أن أبا الحسن هو سلوتنا بعد وفاة الأمير شكيب وانتقاله إلى الدار الباقية؛ فإننا لا نرى شمائله الطيبة وأخلاقه العذبة إلا في أبي الحسن، فهو خليفته ووارثه في ثروته الخلقية العربية العريقة.

وفي الختام أسأل الله أن يطيل عمر أبي الحسن ويوفقه في جهاده ويؤيده بنصره، ويجعل مبعث صحيفة «الشورى» ومهدها الجديد ينبعث ويشرق نوره في العراق، وهو سميع مجيب.

الدكتور تقي الدين الهلالي

* * *

= دار ندوة للعظماء والأفاضل من أهل البلاد الإسلامية والعربية».

* تحية أبا الحسن[1]

للدكتور تقي الدين الهلالي

لَقَـدْ زَارَ الْعِـرَاقَ فَحَـلَّ ضَـيْفًا   بِبَغْـدَادٍ أَبُـو الْحَسَنِ الْـهُمَامُ

كَـسَاهَا بَـهْجَةً فَغَـدَا بَنُوهَـا   لَـهُمْ مِـنْ حَـوْلِ مَنْزِلِـهِ ازْدِحَـامُ

كَأَنَّـهُمُ حَوَالَيْـهِ حَجِـيجٌ   وَمَنْزِلُـهُ الْـحَطِيمُ أَوِ الْـمَقَامُ

كَأَنَّـهُمُ كَوَاكِـبُ فِـي سَمَاهَا   تَبَـدَّى بَيْنَهَـا الْبَـدْرُ الـتَّمَامُ

يُـحَدِّثُهُمْ أَحَادِيـثَ[2] عِـذَابًا   فَتُـسْكِرُهُمْ وَلَـيْسَ بِـهَا مُـدَامُ

أَحَادِيـثَ الْـجِهَادِ وَمَـا يَلِيـهِ   وَكُلُّهُـمُ إِلَيْهَـا مُـسْتَهَامُ

---

(١) نشرت في صحيفة «السجل» البغدادية، العدد (١٥٠٥)، سنة (٢٢)، الاثنين ٢١ رجب ١٣٧٢هـ ـ ٦ نيسان ١٩٥٣م.

وقبلها في «ديوان الهلالي» المسمى «منحة الكبير المتعالي» (٥٥٩ ـ بتحقيقي) ما نصُّه:

«وقلتُ في تحية المجاهد الفذ أبي الحسن محمد علي الطاهر لـمَّا قَدِمَ بغداد سنة ١٩٥٣م بتأريخ النصارى، وبالرغم مني أن أؤرخ به؛ لأنَّ التاريخ لا يستطيع أَنْ يستقل بحفظه واستعماله فَرْدٌ، وأنشدته إيَّاها بالفندق الذي كان نازلاً فيه.

وضاعت منِّي مسودتها لعدم استقراري وكثرة أسفاري، وجاء ضعف البصر ضِغْثًا على إِبَّالة؛ فكتبت إليه والتمستها منه، فبعث إليَّ نسخةً منها مُصوَّرة من صحيفة «السجل» التي نشرتها بعد إنشادها في ٦ نيسان سنة ١٩٥٣م، رحم الله صاحب «السجل» و«الفجر الجديد» الحاج طه الفياض.

ولـمَّا استقررتُ في المغرب أخذتُ أجمع ما قلته من الشعر؛ فرأيت أَنْ أضمها إليه، وهي من بحر الوافر، وهذا نصها...» وذكرها.

(٢) في «الديوان»: «أحاديثًا».

إِذَا سَمِعَ الْجَبَانُ لَهَا حَسِيسًا ... يَفِرُّ كَأَنَّ مَوْقِعَهَا سِهَامُ

أَبَا الْحَسَنِ الْعَظِيمَ أَتَيْتَ أَهْلًا ... وَتَسْهِيلًا وَطَابَ لَكَ الْمَقَامُ

حَلَلْتَ سَوَادَ مُهْجَةِ كُلِّ حُرٍّ ... عَلَى ضَيْمِ الْأَعَادِي لَا يَنَامُ

فَأَنْتَ الْقَائِدُ الْمِغْوَارُ حَقًّا ... وَأَنْتَ لِهَاظِمِ[1] الْعُرْبِ الْحِمَامُ

وَأَبْنَاءُ الْعِرَاقِ جُيُوشُ صِدْقٍ ... شِعَارُهُمُ لَدَى الْهَيْجَا ابْتِسَامُ

لُيُوثٌ إِنْ دُعُوا لِلْحَرْبِ لَبَّوْا ... وَطَابَ لَهُمْ بِموقِدِهَا ضِرَامُ

فَثِقْ بِاللهِ ثُمَّ بِهِمْ وَخُضْهَا ... فَإِنَّهُمُ لَكَ الْجَيْشُ اللُّهَامُ

لَقَدْ شَرَّفْتَهُمْ بِالْبَدْءِ لَمَّا ... أَتَيْتَ بِلَادَهُمْ وَلَكَ اعْتِزَامُ

فَكَمْ لَكَ نِعْمَةٌ جُلَّى عَلَيْهِمْ ... يُقِرُّ بِهَا الْمُعَمَّرُ وَالْغُلَامُ

وَقَدْ كُسِيَتْ بِلَادُ الْعُرْبِ وَهْنًا ... وَلَكِنْ لَا يَزَالُ بِهَا كِرَامُ

وَلَوْ أَنَّ الْقِيَادَةَ أَيَّدَتْهُمْ ... لَعَادَ النُّورُ وَانْكَشَفَ الظَّلَامُ

وَلَوْ رَجَعُوا إِلَى الْقُرْآنِ يَوْمًا ... وَإِحْيَاءِ الشَّرِيعَةِ وَاسْتَقَامُوا

عَلَى نَهْجِ النَّبِيِّ وَمَنْ قَفَاهُ[2] ... لَتَمَّ لَهُمْ عَلَى الْفَوْزِ الْمَرَامُ

وَبُدِّلَ نَحْسُهُمْ سَعْدًا وَفَازُوا ... بِإِقْبَالٍ وَعِزٍّ لَا يُرَامُ

وَمَا تَقْلِيدُ أَهْلِ الْغَرْبِ إِلَّا ... سَبِيلٌ فِي عَوَاقِبِهَا ارْتِطَامُ

تَرَكْتُ الشِّعْرَ مِنْ زَمَنٍ بَعِيدٍ ... فَحِينَ دَعَوْتُهُ اسْتَعْصَى الزِّمَامُ

---

(١) في «الديوان»: «لهاضم».

(٢) في الأصل: «قضاه»، والمثبت من «الديوان».

وَآخَذَنِـي عَـلَى هَجْـرِي وَتَرْكِـي تَفَقُّـــدَهُ[1] فَهَـــلْ ذَاكَ انْتِقَـــامُ

أَبَـا الْـحَسَنِ الْكَـرِيمَ إِلَيْـكَ أُهْـدِي خُوَيْدِمَـــةً يُـــجَمِّلُهَا[2] احْتِـــشَامُ

مَتَـى تُبْـصِرْ بَنَـاتِ الـشِّعْرِ تُطْـرِقْ وَيَعْـــصِيهَا التَّبَـــسُّمُ وَالْكَـــلَامُ

وَذَا جُهْـدُ الْـمُقِلِّ وَمَـنْ حَبَـاهُ فَلَـــيْسَ يُـــصِيبُهُ أَبَـــدًا مَـــلَامُ

فَقَابِلْهَـــا بِإِغْـــضَاءٍ[3] وَعَفْـــوٍ فَـــإِنَّ الْـــعُذْرَ تَقْبَلُـــهُ الْكِـــرَامُ

***

* **السيد عارف قفطان: شهامة سامية، ومروءة نادرة[4]**

للعلامة الدكتور تقي الدين الهلالي

لا أريد أن أصوغ هنا قصيدة مدح كحلة من حرير مذهبة وألبسها عارف قفطان بك، ولكني أريد بهذا المقال أمرين:

الأول: ذكر حقائق واقعة تكاد تلمس باليد.

والثاني: جزاء العاجز؛ وهو الشكر باللسان على مبرة كريمة لا يجوز كفرانها.

في سنة ١٩٣٤م صرت مضطرًا إلى التجنس بجنسية عربية والخروج من الجنسية المغربية التي هي أسيرة في يد فرنسة الملطخة بالدماء، بعدما حملتُ على

---

(١) في الأصل: «تهده»، والمثبت من «الديوان».

(٢) في «الديوان»: «يجللها».

(٣) في الأصل: «بأغضاء»، والمثبت من «الديوان».

(٤) نشرت في جريدة «السجل» البغدادية، السنة السادسة عشرة، العدد (٢٩٤)، الجمعة ١ جمادى الأولى ١٣٦٧هـ والمصادف ١٢ آذار ١٩٤٨م، (ص١، ٤).

المستعمرين من أبنائها حملة صادقة في الصحف والمحافل أوغرت على صدورهم، وانفجر بالشتم بركانهم، وقد حاولوا في بادئ الأمر أن يقدوني بوظيفة سمينة تخرسني وتقلبني وتمسخني من صورة مجاهد مصلت سيفه، صائح بالأعداء صيحة الحق على الباطل، إلى فرد من أبواق الاستعمار؛ فقال المسيو جيار وزير فرنسا المفوض سابقًا في القاهرة: إن شئت أن ترجع إلى المغرب فأنا أضمن لك أي وظيفة تريدها بالغة ما بلغت. فلم أقبل.

ثم نقود إلى طلب التجنس بالجنسية العراقية:

قدمت طلبًا لهذا الغرض في البصرة، وبعده بدأت بمؤازرة صديقي الحميم حاجي طه الفياض في دور التقصيب، وما أجدره أن يسمى (العقاب)، فسارت باخرة التعقيب في البصرة حتى أرست على الساحل، ثم سافرت إلى بغداد للتعقيب الثاني؛ بل للعقاب الثاني، وكان ممن ساعدني وضيفني في بغداد وأكرمني: عالمها الفقيه الشهم النبيل حاجي نعمان الأعظمي - سقى الله ثراه -، والأساتذة الكرام: حسن رضا والسيد هاشم الآلوسي وكمال الدين الطائي والقائد طه الهاشمي، وسارت باخرة التعقيب في بغداد سيرًا بطيئًا إلا أنه مستمر[1] حتى وصلت إلى البحيرة الخطرة (وزارة الخارجية)، وما أدراك ما وزارة الخارجية؛ هناك الحكم المبرم والقضاء الأخير، فمن قبلت مطالبه فأولئك هم المفلحون، ومن ضعفت وسائله وخفت موازينه فأولئك هم الخاسرون، ولما مثلت أمام الموظف الأخير الذي له الأمر النافذ والكلمة الفاصلة سألني: ما هي جنسيتك السابقة؟ فقلت: مغربي. فقال: جنسية مغربية (ماكو)! قل: فرنساوي. فجادلته لسوء حظي في ذلك

---

(١) في الأصل: «مستمرًّا».

ورفضت بعناد أن أقبل أمره وأقول إني كنت فرنسيًا، وخرجت عن واجب طالب الحاجة في الدوائر وما لزمه من الخضوع والخنوع، فغضب هذا الموظف وكتب على حزمة الأوراق الضخمة تلك الكلمة الممقوتة: (مرفوض). ففوضت أمري لله، وقلت ـ وهي في نفسي ـ: أذهب إلى الكويت أو إلى مسقط وآخذ جنسية أعبر بها نفسي. وكتبت بذلك إلى صديقي الحاج طه الفياض وكان إذ ذاك يسكن البصرة، فأجابني: أن لا تفعل وانتظر قدوم عارف قفطان بك متصرف الحلة إلى بغداد؛ فإنه يكون لك خير معين. ففعلت ما أشار به صديقي، فلما ورد بغداد سعادة المتصرف عارف قفطان بك سقطت وزارة جميل بك المدفعي بعد حكم لم يزد على ١٢ يومًا وألف الوزارة التالية لها علي جودت بك الأيوبي.

فلما التقيت مع السيد عارف قفطان قال لي: أكتب كما يلي: أنا عربي، قدَّمت طلبًا للتجنس بالجنسية العراقية بتاريخ كذا ورفض بتاريخ كذا، أرجو إعادة النظر.

فكتبت كما أرشد وأخذه ومضى إلى رئيس الوزارة، فكان أول شيء كتب على شهادة الجنسية: توقيع رئيس الوزارة ووزير الداخلية، فأخذت الورقة ومعي شرطي فدرنا بها على الدوائر في أقل من ساعة، وكان كل رئيس دائرة يرى توقيع وزير الداخلية ينتفض ما بيده من أشغال ويكتب ما يخصه، فما رجعت إلا وهي في يدي، وبذلك خرجت من أسر الفرنسيين وصرت حرًّا طليقًا.

وفي سنة ١٩٣٩م اندلعت نيران الحرب، وانقطعت العلاقات بين ألمانيا والعراق، وكنت قد أتممت رسالتي التي أعددتها لشهادة الدكتوراه وأتممت دروسي واستعددت للامتحان الشفوي، فتأخر الامتحان بسبب اشتغال الناس بأمور الحرب والتحذير والوجوم الذي أصاب جميع الدوائر سبعة أشهر، فدخلت الامتحان ونجحت في مايو ١٩٤٠م، ولكن طبع الرسالة استغرق عشرة أشهر

بسبب الحرب - أيضًا -.

وحدث أن احترق البيت الذي كنت ساكنًا به في برلين بفعل القنابل فأكلت النيران كتبي وشهادة الجنسية والجواز فيما أكلت، وخرجت بعد في ١٩٤٣م بجواز مزور إلى فرنسة ومنها إلى إسبانية ثم إلى تطوان، وبقيت إلى أن وضعت الحرب أوزارها، فأخذت أسعى في الرجوع إلى العراق، فلما رجعت بعد ألف مشقة ومشقة طلبت نسخة من شهادة بجنسيتي الضائعة، فصادفتني عرقلات وعقبات أبلى فيها سعادة عارف قفطان البلاء الحسن، ولكن جهاده لم يكلل بالنجاح، وأقول على سبيل التفكه والمزاح: أني لم أجد بدًّا أن (أثور) في وزارة صالح جبر وأسقطها كما فعلت من قبل في وزارة المدفعي سنة ١٩٣٤م، فكانت كأمس الدابر، ولا أظن أحدًا يلومني على هذا العمل لأني أعذرت إليها مرارًا فلم تقلع.

ثم جاءت هذه الوزارة؛ وزارة السيد الصدر المباركة التي صارت بردًا وسلامًا على العراق، فأعاد بطل الوفاء والنجدة عارف قفطان بك الكرة ونجح في إخراج الشهادة من جديد للمرة الثانية.

فإن كان المنتخبون يريدون من نائبهم التسهيل على مصالحهم ومصالح بلادهم؛ فإني أحلف بالله صادقًا أن هذا الرجل أحق بالنيابة وأجدر بها، إذا أراد الله بالمنتخبين خيرًا فإنهم لا يتوقفون في انتخابه، ففي مثله - وأيم الحق - ينشد قول الشاعر العربي:

إذا أقلقتك صروف العدا فنبه لها عمرًا ثم نم[1]

ونحن نقول أيها المنتخب:

---

(١) البيت في: «ديوان بشار بن برد» (٤/ ١٨٢)، وفيه: «أيقظتك حروب» بدل «أقلقتك صروف».

إذا داهمتـــك صروف الزمـــان فنبـــه لهـــا (عارفًـــا) ثـــم نـــم

ولابـد أن أذكر بالشكر والثناء العاطر الجهود المحمودة التي بذلها إخواننا الحاج طه الفياض لا زال مفتاحًا للخير موفقًا[1] للمبرات.

***

* من ثمرات الكتب:

منصفان[2]

للعليم الأستاذ تقي الدين الهلالي

من مقدمة العليم الأستاذ تقي الـدين الهـلالي لكتـاب «مدنيـة العـرب في الأندلس»[3] الذي عرَّبه، ومؤلفه الأستاذ جوزيف ماك كيب، وقد سبق أن قرظناه في الصفحة (٥٧٢) من المجلد (١٦)[4]، ولعـل في نـشر هـذه الكلمـة مـا يُـذكِّر

(١) في الأصل: «موقفًا».

(٢) نشرت في مجلة «التمدن الإسلامي» الدمشقية، السنة (١٩)، الجزءان (١٥ و ١٦)، رجب ١٣٧٢هـ، (ص٣٦٧ ـ ٣٦٩).

(٣) حققته ـ ولله الحمد ـ ووضعت في آخره ستة ملاحق، ونشرته عن دار اللؤلؤة ـ بيروت.

(٤) جاء في مجلة «التمدن الإسلامية»، المجلد السادس عشر، الجزءان (٢٣ و ٢٤)، رمضان ١٣٦٩هـ ـ تموز ١٩٥٠م، (ص٥٧٢ ـ ٥٧٣)، بقلم رئيس تحريرها الأستاذ أحمد مظهر العظمة ما نصه:

ـ مدنية العرب في الأندلس:

الأستاذ العليم محمد تقي الدين الهلالي من البحاثين الذين وقفوا حياتهم للدعوة الإسلامية، وتبيان فضلها وآثارها، وقد أتحفنا بتعريب كتاب عن الإنجليزية للأستاذ العالم جوزيف ماك كيب (Joseph Macabe)، يتجلى فيه إنصافُه المدنيةَ الإسلامية في الأندلس، بعيدًا =

= كلَّ البعد عن نقائص أولئك المتعصبين عليها من الغربيين، ولا سيما البرتُغاليون والإسبانيون الذين عزَّ عليهم ألا يكون في الأندلس إلا آثارُ أجدادنا العظام، فأخذوا يفترون على هذه الآثار ما يفترون، وقد أثبتنا في هذه المجلة مقدمة الأستاذ الهلالي كاملةً؛ لما فيها من تنبيهٍ وعِظاتٍ وثناءٍ على مَنْ يستحقون التقدير لفضلهم وغَيْرتهم ومعروفهم.

وفي الكتاب شذرات ثمينة متلألئة عن عظمة تراث الأندلس، كان للمؤلف والمعرِّب فضلُ إظهارِها للعالمين: المغربي ثم العربي.

وهذه أمهات البحوث من **فهرست الكتاب**:

(**الفصل الأول**): مدلول العصور المظلمة أو القرون الوسطى. تحطيم بولس وأوكستين مدنية الإنسان. وصف المؤلف لقرطبة وخرابها بعد خروجها من أيدي العرب. انهماك القُوط ـ حتى رجال الدين منهم ـ في المعاصي والذنوب. بلوغ العرب أوج المدنية في مدة وجيزة. كيف دخل العرب جزيرة إسبانيا. الكنوز التي وجدها العرب في إسبانيا. دخول عبد الرحمن الأول واستيلائه على الأندلس.

(**الفصل الثاني**): المور في أوج مجدهم. حالة إسبانيا في هذا العصر. المقابلة بين ملوك الأندلس وملوك سائر أوربة في الوجهة العلمية. وصف الحوضين الكبيرين في جامع قرطبة. المقابلة بين حال نساء الأندلس ونساء أوربة في ذلك العصر. لماذا لا يقابل المؤرخون بين حال أهل الأندلس وحال بقية أهل أوربة؟ ثناء المؤلف على أهل الأندلس بشرب الخمر، ومخالفة القرآن، والشك فيه، ونفي ـ زعم المؤلف ـ استيلاء الجهل والهمجية على جميع أهل أوربة إلى آخر القرن الثالث عشر، وبقية شيء منها إلى القرن التاسع عشر، وكون مدنية أوربة لا علاقة لها بالنصرانية، وإنما هي بنت مدنية العرب.

(**الفصل الثالث**): أَخْذُ طليطلة من أيدي العرب وانحطاطها بسبب ذلك إلى دركة سافلة جدًّا. صفة مدنية قرطبة على عهد المور، وذكر ما بقي من آثارهم؛ كالجامع وقصر الزهراء وغيرها. جنات قرطبة وإشبيلية.

(**الفصل الرابع**): في علوم العرب وآدابهم. قلة نصيب النصارى الأوروبيين من عمل =

بواجب الصلة والتعاون...

ولما كان التواطؤ على الباطل من قِبَل أُمَّة بأسرها نادر الوقوع؛ فقد وُجِد في هذا الزمان من الأمة الإسبانية من أُدبائها من يصدع بالحق، ولا يبالي بغضب الفلنخي[1]، ونقمة المتحمسين المغالين في الوطنية؛ فمن هؤلاء:

= الخير. ذكر زرياب المغني الحكيم، وكيف أكرمه عبد الرحمن الثاني. انتشار المدارس في جميع البلاد الأندلسية، وعناية أهلها بالعلم. إجلال أهل الأندلس للعلماء، وزواله من الدنيا بذهاب دولتهم. آل بيت (عائلة) الفلسفة: أرسطو وابن سينا وابن رشد. كلام قبيح نسبه المؤلف إلى ابن رشد يريد مدحه بذلك. اختراع الرموز العربية ١، ٢، ٣، ...إلخ، واختراع غير ذلك. نقل أقوال العلماء الأحرار في علوم العرب وفضلهم. لعرب الغرب أولًا، ولليونان بواسطتهم ثانيًا؛ يعود الفضل في إيجاد طلائع العلم في أوروبا.

(الفصل الخامس): في أعمال اليهود. لماذا استفاد اليهود من علوم العرب أكثر من الإسبانيين؟ ذكر موسى بن ميمون الحكيم وابن غرزا.

(الفصل السادس): زمان المحنة ومحاكمها. التوحش والهمجية في أعمال جنود الإسبانيين. كيف خربوا مدنية العرب وحطموا الآلات العلمية. عَودٌ إلى ذكر مدينةِ العرب وعمرانهم في الأندلس. ذكر المفسدين الثلاثة، معاول التخريب: فرديناند، وإيزابلا، وزيمنس. اشتداد المحنة والعذاب على المسلمين. ابتداء ضعف سلطان الكنيسة البابوية.

وفي الكتاب تعليق كبير النفع للأستاذ الهلالي، يوضح بعض ما في الكتاب ويدفع خطأه، والكتاب مُزدانٌ بالصور الأندلسية الروائع، مطبوع في مطبعة العاني في عَامِنا هذا؛ فنحمد الله ـ تعالى ـ على تعريب هذا الكتاب الثمين.

قال أبو عبيدة: يسر الله ﷻ لي إعادة طبع «مدنية المسلمين في الأندلس»، واستبدلت الصور القديمة غير الملونة بالأخرى ملونة، هي مثيلات لها.

(١) الفلنخي: هو حزب الجنرال فرنكو، وهو حزبٌ وطنيٌّ معادٍ للشيوعية، وهو الذي =

الأستاذ الأديب خيل بن أمية، وهذا الأديب من الرجال ذوي الأحوال الغريبة، والخصال العجيبة، فقد ابتلاه الله بحب العرب والصدع بفضائلهم، وقرع المبطلين بالحجج الدامغة والبراهين القاطعة، وكان ذلك سببًا في تعصب ولاة الأمر عليه، وحرمانه من المناصب الأدبية والعلمية، فأصابه بسبب ذلك فَقْر مُدقع، وتحمَّل كل ذلك صابرًا مخلصًا لعقيدته، لا يحول عنها ولا يزول، وكان صديقًا حميمًا للأمير شكيب أرسلان.

ولما أعلنت الدعاية الإسبانية أنها تريد إحياء المآثر العربية والأدب العربي في إسبانيا، استُشِير الأستاذ خيل بن أمية، وأشار على الحكومة ـ إذ ذاك ـ أن تدعو الأمير شكيبًا، وتستنير برأيه، فتوجه الأمير شكيب ـ رحمه الله ـ إلى إسبانيا، ووضع لهم منهاجًا عظيمًا في إحياء مآثر العرب في إسبانيا، لو اتبعَتْه الحكومة لعادَ عليها بالخير العميم، ولكنَّ المشروعَ ماتَ وهو جنين، وكان دعايةً مجردةً، وقد أشار على الأستاذ ابن أمية بعضُ أصدقائه أن يسافر إلى مصر؛ فإنه يجد هناك من يعرف فضلَه ويستفيدُ مِن أدبه، فسافر إلى مصر، وبقي فيها مدةً، فلم يجد فيها سوقًا لترويج أدبه وعصبيته العربية، فرجع من الرمضاء إلى النار ـ يعني: إلى إسبانيا ـ، وعزَا بعضُهم عدم نجاحه إلى أنه يسلك سبيل الفلاسفة المهملين للتأنق في الملبس والتملق في الكلام، ولا شك أن هذا عذر واهٍ، ولا يزال الأستاذ خيل بن أمية يعيش في إسبانية معيشة ضنكًا، بسبب تعصبه للعرب.

ويوجد أستاذ آخر في جامعة غرناطة نَسيتُ اسمه، ليس عنده من الجرأة ما عند خيل بن أمية، ولكنه من المنصفين؛ فهو يصرِّح في المحافل أن كلَّ بلاء

= قام بالثورة الإسبانية، وقضى على الجمهورية الشيوعية في إسبانيا. (منه).

وكلّ انحطاط وشقاءٍ أصاب أهل الأندلس سببه: القشتاليون[1]، فإن آخر عهدنا بالسعادة هو زمان العرب والإسلام، فمنذ ذلك اليوم لم تزل في تَقهقرٍ وانحطاط إلى يومنا هذا، ولن يرجع إلينا عِزُّنا ومجدُنا إلا بالرجوع إلى العربية والإسلام، فإن درسنا للتاريخ يجبرنا على الاعتراف بهذه الحقيقة؛ لأننا إذا أنعَمْنا النظر في تاريخ إسبانيا نجد عصر العرب والإسلام نورًا بين ظلامين، وسعادة بين شقاءين، وقد مضت علينا خمسة قرون ونصف قرن، لم نزل نمني أنفسنا بما أدركناه من السعادة على أيدي العرب، ولكننا إلى الآن لم نظفر بشيء.

ولا أعرف أحدًا من أدباء إسبانيا في العصر الحاضر ينصف العرب ويعترف بفضلهم سوى هذين الرجلين.

ومن أجل ذلك وجب على كل من عنده علم بالتاريخ أن يرد باطل هؤلاء المفترين، ويلقمهم أحجارهم، ويلطمهم بالحقائق لطمات تأتي على بنيان شبهاتهم من القواعد، فتجعله قاعًا صفصفًا.

وقد كنت أحس بهذا الواجب منذ زمان طويل، ولا سيما وقد شاهدت ذلك بعيني وسمعته بأذني حين أقمت بإسبانيا بمدينة غرناطة نفسها نحو أربعة أشهر، ورأيت نواحي أخرى من إسبانيا، وقد كان الطلبة العرب الذين يطلبون العلم في جامعة غرناطة وغيرها، يأتوني كل يوم متألمين شاكين مما يسمعونه من رجال الجامعة من تشويه الحقائق التاريخية، ورميهم للعرب المسلمين بكل عظيمة

---

(١) القشتاليون: هم جنس إسباني تغلبَ على غيره من الأجناس الأخرى؛ كالكتلانيين والباسكيين، وكانت لهذا الجنس اليدُ الطّولَى في محاربة دولة غرناطة العربية المسلمة، ومنذ تغلب على هذه الدولة؛ دوَّخَ الأجناسَ الأخرى، وفرض عليهم لغته القشتالية، وآدابه، وصبغ جميع القوميات الأخرى بصبغته الخاصة. (منه).

مـن الرذائل، حتى إن بعض الطلبة افتُتِنوا بما زخرفوا من البهتان، وصدقوهم في أكاذيبهـم، فكنت أقذف ببراهـين الحق على أباطيـل أولئـك المضللين، وأبين لهم مواضع تلبيسهم وتضليلهم، وأرشدهم إلى الكتب التي تريهم الحق حقًّا والباطل باطلًا، ولكني رأيـت أن أولئـك الطلبـة وأمثالهم ـ وهم كثير ـ لا يستطيعون أن يخوضوا بحور التاريخ الطامية، وأنهم في أشد الحاجة إلى كتاب يجمع لهم فذلكةً نافعةً في تاريخ الدول الإسلامية بالأندلس، ويكون في الوقت نفسه حجة بأيديهم يصكون بها وجوه المحرفين للتاريخ.

وكنت أتذاكر يومًا مع الأستاذ العبقري الذي يقل نظيره من الأدباء في الشرق الأدنى والأقصى، بل ولا نظير له حتى في الغرب؛ لأنه جمع فضائل الشرق وأخلاقه الكريمة، وأخذ من أدب الغرب أحسن ما فيه، ألا وهو الأستاذ محمد أحمد رئيس لجنة انضباط المحامين بالبصرة، فأخرج لي كتيبًا صغير الحجم اسمه: «مدنية العرب في الأندلس»، وأباح لي خزانة كتبه العظيمة، وأرشدني إلى المصادر الإنجليزية، وكان معينًا لي في بعـض المشاكل اللفظيـة، فترجمت الكتاب ووضعت له مقدمة، وعلقـت عليـه حواشي مفيدة، وراعيت في الترجمة: المحافظة ـ **أولًا** ـ على المعنى. **وثانيًا**: عـلى جمال الأسلوب العـربي، وعـدم خدش محياه بالمفردات الأجنبية غير المنسجمة، والتراكيب الفاسدة التي يتبرأ منها الأدب العربي الخالص، فجاء وافيًا بالمراد، قاهـرًا لأهل العناد، وما أبرئ نفسي ولا أدعي الكمال؛ فقد تفرد به الكبير المتعال.

تقي الدين الهلالي

* * *

* إعجاب رجل عظيم برجال «الفتح»[1]

كتب إليَّ سعادة الوجيه السيد عبد المنعم ابن السيد يوسف الزواوي في كتاب خصوصي ما نصه ـ بعد كلام في استحسان ما كتبته عن القاديانيين ـ:

وقد أحسنتم بترغيب ذلك العربي المتهنِّد في الاشتراك في «الفتح»، يعلم الله أنني مغتبط بتلاوتها وأني أشعر أنها سدَّت فراغًا كبيرًا ولا سيما بعد وقوف «الشورى»، وأنا حزين لعدم اشتراكي بها في السنين الماضية.

...وكم كنت مسرورًا بما حرره الأستاذ محب الدين من قبل (يعني: في شأن القاديانيين)، وقد أجدتم بإطرائكم معلوماته عن هذه الفئة؛ إذ ما كنت أظن أنه خبير بهم لهذه الدرجة، وأكثر ما يعجبني وربما يعجب الأكثرين من قرَّاء «الفتح»: مذكرات الأستاذ الرفاعي اللبان عن المضللين، فيا لها من حجج دامغة ينشرها أدام الله بقاءه. اهـ. كلام السيد الزواوي.

وأنا أهنئ الأخ العزيز الأستاذ الرفاعي بهذه الفتوحات التي يجريها الله على يده، وألتمس منه أن يلطف الحملة بعض الشيء على نصارى العرب الذين بمصر والشام والعراق، من غير أن يسكت عن شيء من الأباطيل[2]؛ فإنه لا طاعة لمخلوق

---

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، عدد (٣٢١)، بتأريخ ٣ شعبان ١٣٥١هـ، (ص١٢).

(٢) كتب الأستاذ مصطفى أحمد الرفاعي اللبان في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، عدد (٣٢٢)، بتأريخ ١٠ شعبان ١٣٥١هـ (ص١٣) ـ ملبيًا دعوة أستاذنا الهلالي ـ ما نصه: «شكر وبيان: ما زدت ـ عند نفسي ـ على جندي صغير في المعسكر الإسلامي العام، عليه أن يأتمر بأمر قواده العظام، ولكن ذوي القيادة يتطولون كرمًا ونبلًا وتشجيعًا فيثنون عليَّ بما هم أهله، ويفيضون عليَّ خِلع الحمد سابغة. =

= وأنا لا يسعني في مثل هذه الحال إلا إزجاء الشكر الوافر لمن يشعون عليَّ من أنوارهم.
وقد تفضل سعادة السيد عبد المنعم ابن السيد يوسف الزواوي فأهدى إليَّ طاقة رياحين من إعجابه بمذكراتي عن المضللين، فحيهلًا بهديته وشكرًا له على عطيته.

وقفى بعده المجاهد الإسلامي العالي، السيد محمد تقي الدين الهلالي؛ فمنحني تهنئة سنية، ورجاني أن ألطف الحملة على نصارى العرب الذين بمصر والشام والعراق، فمرحبًا بالتهنئة وقبولًا للرجاء.

وإني بعد هذا أذكر كلمة قصيرة في بيان ما أقصد من كتابتي عن المضللين الذين يسمون أنفسهم (المبشرين) زورًا وبهتانًا: منذ قرن ونيف كان النصارى العرب في الشرق الأدنى يعيشون مع إخوانهم العرب المسلمين في وفاق ووئام، فلا ترى نصرانيًّا يسيء إلى الإسلام الحنيف بكلمة؛ بل يدافع عنه إذا اعتدى عليه معتدٍ، فلما جاس المضللون خلال الديار وعاثوا فيها فسادًا ونشروا مؤلفاتهم السخيفة المشحونة بالأكاذيب والمفتريات والنقول الخاطئة عن الدين الإسلامي، وانتشرت مدارسهم هنا وهناك؛ جعلوا من مواطنينا النصارى شيعًا وطرائق قددًا، ووضعوا في نفوس بعضهم بذور الطعن المرفوض على الإسلام ورجاله، فشاهدنا أن رجالًا منهم ـ وهم معنا منذ مئات السنين ـ يكتبون في المجلات المسيحية ما يهيج له غضب الحليم، متبعين في ذلك خطة المضللين الأجانب.

ومن عقائدي التي لا أحيد عنها أن أولئك المضللين هم جراثيم الضعف في الشرق، ودعاة الاستعمار الفكري والنقلي والديني والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، فلبنات الاستعمار آخذ بعضها برقاب بعض.

فأنا بما أكتب عن المضللين أرمي إلى أهداف شتى؛ منها:

أولًا: بيان عوار المضللين وبهتانهم وجهلهم بالإسلام وبالمسيحية التي يقيمون أنفسهم دعاة وحماة لها.

ثانيًا: وضع أصابع نصارى العرب على قرقوس (بركان) الخطر الذي يتطاير شرره من جرَّاء اتباعهم للمضللين. =

في معصية الخالق، ولكنَّ إشعار هؤلاء الجبرة باللطف والتسامح لا تخفى نتائجه الحسنة، وأسأل الله أن يحق الحق على يده وأيدي إخوانـه المجاهدين مع من كان، ويبطل الباطل على أيديهم مع من كان.

لكنو (الهند)

محمد تقي الدين الهلالي

***

* ضيف مصري كريم[1]

ورد مدينة (بُن) لغرض علمي الدكتور فؤاد حسنين علي، أحـد المبعـوثين من الجامعة المصرية إلى جرمانية لدرس اللغـات الـسامية، وبعـدما أتـم دراسـته ونجح نجاحًا باهرًا أدهش أساتذته؛ طلب تمديد مدة الدراسة للتعمق في البحث

= ثالثًا: تفهيم نصارى العرب مدى فضل الإسلام عليهم منذ أربعة عشر قرنًا.

رابعًا: كمش المضللين وفل جموعهم وفض صفوفهم ليزول كابوسهم عن الشرق المبتلى بهم.

خامسًا: تعاون النصارى العرب مع إخوانهم المسلمين على طرد المضللين بالبعد عنهم وعدم التعاون معهم؛ لما في التعاون معهم من الضرر المحقق على الوطن.

وبعد هذا كله فالإسلام يأمرنا بالإحسان إلى مواطنينا والدفاع عنهم كما ندافع عن أنفسنا، ونحن نحبهم ونعجب بكثيرين من منصفيهم.

فلعل أخي الجليل تقي الدين يرضيه بياني هذا.

وفقنا الله جميعًا إلى خدمة ديننا على شريطة عدم الشدة إلا على المعتدين علينا».

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الثاني عشر، عدد (٥٧٢)، بتـأريخ ١٦ شـعبان ١٣٥٦هـ، (ص٨).

والازدياد من العلم، فأجيب إلى ذلك، وهو الآن على وشك إتمام الدراسة المؤهلة للقب (دكتور هابلتا سيون)، وهي درجة الأستاذية.

وهذا الشاب يمثل النبوغ المصري من جميع وجوهه: الذكاء، والشهامة، والبراعة في العلم، وكرم الأخلاق، والجد في العمل، واغتنام كل فرصة، وأنا أتفرس فيه أن يكون نابغة من نوابغ زمانه، ويعلم الله أنه سرَّني أن ترمي مصر من كنانتها بمثل هذا السهم المصيب كبد العلم والحقيقة، وقد سرَّت عني رؤيته ما رأيت من بعض الطلبة، فأرجو له أن يتم مطلوبه في جامعة بُن بتفوق باهر، كما هو شأنه في كل خطوة من خطوات درسه، وأن يكون علم هدى في الجامعة المصرية.

تقي الدين الهلالي

❊ ❊ ❊

❊ هنيئًا هنيئًا[1]

تحت هذا العنوان جاءنا من الأخ الصديق الأستاذ المجاهد صاحب الإمضاء ما يلي:

تلقيت بسرور عظيم خبر تعيين المكرم السيد محمد بن زبان الصمغوني أميرًا لبلد أبي صمغوني، وتكلل مساعي أصدقائنا الصمغونيين بالنجاح للصداقة القديمة التي بيني وبين أهل هذا البيت الكريم، وقد اشتمل هذا النبأ على شيء آخر كان فرحي به أعظم وجذلي به أتم؛ ألا وهو: كون الصديق الكريم الحميم السيد الطاهر ابن زيان ركنًا من أركان الإصلاح في ذلك البلد، فقد كان هذا الأخ الكريم من

---

(١) نشرت في صحيفة «الصراط السوي» الجزائرية، السنة الأولى، العدد (١٦)، بتأريخ ١٥ رمضان ١٣٥٢هـ، (ص٣ ـ ٤).

خالص أحبائي في زمان الانحراف من المحجة البيضاء، وأظن أنني بعدما اهتديت إلى توحيد رب العالمين واتباع حجة الله على العالمين محمد خاتم النبيين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كتبت إلى جميع أصدقائي في تلك النواحي ـ ومنهم السيد الطاهر ـ ونصحت لهم بالرجوع إلى الجادة، وبلغني أن كثيرًا منهم سبوني وشتموني، ولم آسف لذلك؛ وإنما أسفت لبقائهم محرومين من بركة ونعمة اتباع الرسول والسلف الصالح، فلما جاءني البشير بأن السيد المذكور تخلص مما كان فيه؛ حمدت الله على ذلك، فعسى أن يكون صحيحًا، وعسى أن كثيرًا من أصدقائي هناك أتحفوا بهذه النعمة الكبرى.

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم[1]

نسأل الله أن يجمع كلمة إخواننا أهل المغرب على الهدى، ويؤيد بهم الإسلام كما صنع بأسلافهم، إنه على ذلك قدير.

تحية ودعوة من الشمال الشرقي في الهند إلى الغرب، وربنا أكرم من أن يردها.

محمد تقي الدين الهلالي

* * *

* نفي تهمة ودفاع عن النفس[2]

اطلعت على كلمة نشرها رئيسنا الجليل صاحب السماحة الأستاذ الشيخ

---

(١) البيت في: «طبقات الشافعية الكبرى» (٩/ ٣٧٩) و«الدر الفريد» (٧/ ٨٨) و«مرآة الجنان» (٣/ ١٦٠) و«أنوار الربيع» (ص٥٥٩).

(٢) نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد العاشر، العدد السابع، شعبان ١٣٩٨هـ ـ يوليو ١٩٧٨م، (ص٦٥ ـ ٦٦).

عبد العزيز بن باز في مجلة «الجامعة السلفية» في جزئها الرابع من المجلد العاشر في ربيع الآخر سنة ٩٨هـ[1].

---

(١) نشرت في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد التاسع، العدد التاسع، شوال ١٣٩٧هـ ـ أكتوبر ١٩٧٧م، (ص٥٧ ـ ٥٩)، بعنوان: (من شعر فضيلة الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، مكناس ـ المغرب)؛ فلمَّا اطلع الشيخ ابن باز ـ رحمه الله تعالى ـ على القصيدة أرسل ـ رحمه الله ـ في ٢٣/ ٣/ ١٣٩٨هـ تعقيبًا، إليك نصه:

«من عبد العزيز بن عبدالله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ عبد الوحيد الرحماني؛ مدير مجلة «الجامعة السلفية» في بنارس ـ وفَّقه الله للخير، آمين ـ:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛ فقد اطلعت على قصيدة نُشِرَتْ في (العدد التاسع) من مجلتكم، لفضيلة الدكتور تقي الدين الهلالي، تتضمن الغُلوَّ في المدح لي ولعموم قبيلتي، وقد كدَّرتني كثيرًا؛ فرأيت أَنْ أكتب تنبيهًا للقُرَّاء باستنكاري لذلك، وعدم رضائي به، وإليك ما كتبتُ برفقه راجيًا المبادرة بنشره في أول عدد يصدر في المجلة، أثابكم الله، وشكر سعيكم.

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد»

وإليكم أخي القارئ نص ذلك التنبيه:

«الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه.

أما بعد؛ فقد اطلعت على قصيدة نُشِرَتْ في العدد التاسع من مجلة «الجامعة السلفية» في بنارس ـ الهند لفضيلة الدكتور تقي الدين الهلالي، وقد كدرتني كثيرًا، وأسفت أَنْ تصدر من مثله، وذلك لِـمَا تضمنته من الغلو في المدح لي ولعموم قبيلتي، وتنقصه للزاهد المشهور إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ، وتفضيلي عليه في الزهد، وعلى حاتم في الكرم، وتسويتي بشريح في القضاء ...إلى غير ذلك من المدح المذموم الذي أَمَرَ الرسول ﷺ بحثي =

= التراب في وجوه مَن يستعمله، وإنِّي أبرأ إلى الله من الرضا بذلك، ويعلم الله كراهيتي له، وامتعاضي من القصيدة لَـمَّا سمعتُ فيها ما سمعتُ.

وإني أنصحُ فضيلتَهُ من العَوْد إلى مثل ذلك، وأَنْ يستغفر الله مما صدر منه، ونسأل الله أَنْ يحفظنا وإيَّـاه وسائر إخواننا من زلات اللسان، ووساوس الشيطان، وأَنْ يعاملنا جميعًا بعفوه ورحمته، وأَنْ يختم للجميع بالخاتمة الحسنة؛ إنه خير مسؤول.

ولإعلان الحقيقة، وإشعار مَن اطلع على ذلك بعدم رضائي بالمدح المذكور جرى نشره، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه، ومَن اهتدى بهداه إلى يوم الدين.

الرئيس العام

لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

عبد العزيز بن عبدالله بن باز»

ونشرت الأبيات ـ أيضًا ـ في كتاب «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» (٥٨٩ ـ ٥٩١) لعبد الرحمن بن يوسف الرحمة، وسقط منه بعض الأبيات، والقصيدة مع التعقيب المذكور في كتاب «جوانـب من سيرة الإمـام عبد العزيز بن باز» رواية الشيخ محمد بن موسى الموسى، إعداد محمد بن إبراهيم الحمد (ص١٤٢ ـ ١٤٦).

ثم وجدتُ رسالةً للهلالي مُوجَّهةً للشيخ العلامة ابن باز ـ رحمهما الله ـ محررة في الثامن من شعبان سنة ١٣٩٧هـ إبان وجوده في المدينـة النبوية زائرًا؛ إذ كتبها في فندق (رحاب) بالمدينة النبوية، غرفة رقم (٢١٥)، يقول فيها بعد كلام:

«إني منذ زمن طويل ألوم نفسي وأقول لها: كيف تقولين القصائد في مدح مَن لم يُساوِ ظُفْرَ أخيك عبد العزيز بعدما يقلمه ويلقيه؟!

وكم هممتُ بذلك؛ فتجيئني أبيات ركيكة لا أرضاها لكم، وفي الأيام التي أقمتها ببيتكم في الرياض مُكرَّمًا مُبجَّلًا كنـتُ ـ أيضًا ـ أُحـدِّثُ نفسي بذلك؛ ففي اليومين الأخيرين نظمتُ البيتين الأولين من القصيدة، وصعَّب عليَّ النظم أن ماكنة كتابة المكفوفين لم تكن معي؛ لأني استثقلتُ حملها من المغرب؛ فكان عليَّ أن أنظم البيت والبيتين والثلاثة =

لقد بالغ رئيسنا الجليل في التواضع والتبري من المدح، مع أن كل قول يسأل عن قائله، والمقول فيه غير مؤاخذ بما قيل فيه إن لم يكن متشوقًا إلى ذلك ولم يسع إليه، وقد مدحت أستاذه صاحب السماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ؛ فلم يقابل مدحي بهذا، بل بعكسه، وكذلك أخوه الشيخ عبد اللطيف.

وما زال أهل الفضل يمدحون، وقد مدح كعب بن زهير سيد ولد آدم محمد ﷺ وكان مهدر الدم، فلم يقتصر النبي ﷺ على العفو عنه؛ بل وصله بجائزة.

= وأكررها لئلا تضيع، حتى ألتقي بأبي مساعد محمد الدرعاوي؛ فيكتبها، وقد أعانني الله ـ تعالى ـ؛ فتمَّتِ القصيدةُ أمس في ستة وأربعين بيتًا، وأنشدتُها الشيخَ حمادًا، فأُعجب بها، وطلب تصويرها، وهي عنده.

وكذلك أطلعتُ عليها أبا خالد عبد الرحمن بن سيف ابن أخيكم؛ فأعجبتهُ وطلب منها نسخة؛ فأحلتُهُ على الشيخ حمَّاد، وسأبعث لكم مع هذا نسخة منها مع الاعتذار بانشغال البال، وعدم الاستقرار، وعدم كتب اللغة لمشاورتها في بعض الألفاظ».

وهي منشورة في كتاب «الرسائل المتبادلة بين الشيخ ابن باز والعلماء» (٣٣٥ ـ ٣٣٩) مع أصلها الخطي الذي هو بخط محمد الدرعاوي، وفيه ـ أيضًا ـ (ص٣٤١ ـ ٣٤٣) خبر مجلة «الجامعة السلفية» واعتراض الشيخ ابن باز على الهلالي في الإطراء عليه في المدح.

ثم وجدتُ الدكتور محمد بن سعد الشويعر أشار إلى هذه القصيدة في مقالة «الشيخ محمد تقي الدين الهلالي»؛ المنشورة في صحيفة «الجزيرة» السعودية، الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٤٢٩هـ، العدد (١٢٩٥٨)، وأورد الأبيات (١، ٣، ٦). وانظرها في: ديوان الهلالي المسمى «منحة الكبير المتعالي في شعر وأخبار محمد تقي الدين الهلالي» (ص٧١٥ - بتحقيقي).

وكما تألم سماحته من هذا المدح تواضعًا لله ـ تعالى ـ؛ فقد تألمت أنا لاعتباره إياي مذنبًا وأمره لي بالتوبة، وأنا ما كذبت في مدحي، ولا قصدت به التملق كما صرحت به في القصيدة، وإنما أردت به بيان الحقيقة على طريقة الشعراء التي لا يمكن المدح إلا بها، وبدونها لا يمكن المدح، ولم يحملني على قولها طمع، وإنما قلتها من قلب مخلص، يعتقد ما يقول.

وكان يكفي رئيسنا الجليل أن يقول ـ كما جاء عن السلف ـ: «اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون»[1]، أما التشنيع على محب مخلص فلا لزوم له، ولما مدح أبو تمام سيف الدولة وشبهه بحاتم الطائي في الكرم والجود؛ قال بعض حساده: لقد تنقصت الملك إذا شبهته ببدوي هو أجل وأكرم منه. فارتجل أبو تمام الجواب وقال:

لا تنكروا ضربي له من دونه ... مثلًا شرودًا في الندا والبأس

فالله قد ضرب الأقل لنوره ... مثلًا من المشكاة والنبراس[2]

أنا أصر إلى الآن على أن رئيسنا الجليل أكرم من حاتم الطائي، وحاتم كان نصرانيًّا يريد بجوده ثناء الناس ومدحهم، وأما رئيسنا الجليل الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبدالله ابن باز فهو عالم عامل منيف، ولا أسلم أنني غلوت في

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٥٣٣) من قول الأوزاعي؛ **وإسناده صحيح.**

ويروى عن غير واحد من السلف نحوه، ويروى عن أبي بكر الصديق ﷺ **ولا يصح** ـ مع شهرته ـ.

(٢) البيتان في: «البداية والنهاية» (١٤/ ٣٠٠) و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٦٨) و«الوافي بالوفيات» (١١/ ٢٢٨) و«فيات الأعيان» (٢/ ١٥).

مدحه، ولا أعتبره ذنبًا يحتاج صاحبه إلى توبة؛ بل أعتبره اتباعًا لسنة النبي ﷺ حين قال له المهاجرون ما معناه: لقد ذهب إخواننا الأنصار بالخير والفضل وبقينا محرومين. فقال لهم النبي ﷺ: «**لا؛ ما دعوتم لهم وأثنيتم عليهم**»[(١)]، فلي أسوة بالمهاجرين، وما أبرئ نفسي من الزلل، ولكني أرجو من فضل الله أن لا يضيع إخلاصي وحسن نيتي واعترافي بالجميل.

إني أحاكم سماحته إلى أديب آل باز صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ سعد بن عبد المحسن؛ وهو أسن منه بكثير، وأعلم بالأدب العربي عامة وبالشعر خاصة، وأرضى بحكمه لي أو عليَّ، والله يغفر لنا جميعًا، ويحفظنا من الزلل في القول والعمل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني

* * *

❊ نابغة المغرب أحمد بن عبد العزيز الهلالي[(٢)]

وبعد، فلقد كان الاحتفال بمرور أحد عشر قرنًا على تأسيس جامعة القرويين مناسبة أتاحت للأدباء والباحثين في الشرق والغرب فرصة تخليد هذه الذكرى بأبحاث وكلمات وقصائد، التزم فيها الكُتَّاب والأدباء بالكشف عن الدَّور[(٣)] الذي

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢١٧) من حديث أنس؛ وإسناده صحيح.

(٢) سُطور من مقال لم ينشر للهلالي، نشرت في «الكتاب الذهبي: جامعة القرويين في ذكراها المئة بعد الألف ٢٤٥ ـ ١٣٧٩/ ٨٥٩ ـ ١٩٦٠»، الصادر عن وزارة التربية الوطنية في المملكة المغربية ـ إدارة الشؤون الثقافية، تحت عنوان: (حول الذكرى) (ص٢١٤).

(٣) في الأصل: «الدلور».

مثّلته جامعة القرويين على مسرح الحياة الفكرية، عبر ما ينيف عن ألف سنة.

وقد توصّلت اللجنة المشرفة على إقامة الذكرى - زيادة على ما حرصنا على نشره كاملًا حتى الآن - بكلمات أخرى، سنكتفي - مع تقديرنا واعتذارنا لأصحابها - باستعراضها فيما يلي من الصفحات؛ حتى لا يُحرَم قُرَّاء هذا السِّجِل من أخذ صورة عنها.

فمن ذلك: ما كتبه الدكتور تقي الدين الهلالي بعنوان: «نابغة المغرب أحمد بن عبد العزيز الهلالي»؛ وهو عبارة عن ترجمة مطوّلة لهذه الشخصية التي عاشت في القرن الثاني عشر الهجري، نقل فيها الدكتور الهلالي ما كُتب[1] عنها في مختلف المصادر التاريخية.

ثم عقَّب على ذلك بقوله: «كأني ببعض القراء يقول - وقد أضناه الملل، واستولت عليه السآمة -: لقد أطلت علينا هذا النقل المسهب؛ كأنك ناسخ، لا عارِضٌ نماذج للتعريف بفضل هذا الأديب!

فأقول: على رِسلك! إن لي من وراء هذا النقل - وما سيأتي بعده - أهدافًا وأغراضًا، قيمتها غالية، ومراميها عالية؛ منها: الاستمتاع بهذا الإنشاء الذي هو قوت قلوب الأدباء، وروح أرواح العلماء، ومنها: تعريف المؤلِّف بنفسه، وذِكره لأساتذته بلفظه، وذلك خير وأكثر تمكينًا للقارئ الذي يستسهل الغَوص لاكتساب اللآّلئ، ومنها: إقامة البرهان على أن المترجَم له كان نادرة بين الأقران، ونابغة في ذلك الزمان».

ويختم الدكتور الهلالي جمعه لِمَا كتب عن أحمد بن عبد العزيز الهلالي بقوله:

---

(١) في الأصل: «كتبت».

«ربما يُظنُّ أني اخترت الإمام الهلالي دون سواه لأن نسبي متصل بنسبه!

فإن وُجـد مَن يَظن ذلك؛ فظنُّـه خطأ، فإن الهلاليين في سجلماسة أكثر من بيت واحد، ولكل منهم نسبه، ولم أختره إلا لإعجابي بعِلمه وعمَله، وإنما يجمعني به:

أولًا: الإسلام؛ وهو أعلى نسب في الدنيا، كما قال الشاعر:

أَبِي الإِسْــــلاَمُ لاَ أَبَ لِي سِـــوَاهُ   إِذا افْتَخَــرُوا بِقَــيْسٍ أَوْ تَمِــيمِ[1]

وثانيًا: أنّنا من المغرب العربي.

وثالثًا: أنَّ كِلَينا من سجلماسة الغرَّاء؛ موطن العلم والعمل والاجتهاد».

* * *

* بين المشرق والمغـرب: على أيِّ جسر عَـبَر الشيخ عبـد الحي الكتاني إلى مشيخة الطريقة؟[2]

لحضرة العالم البحاثة الأستاذ تقي الدين الهلالي المراكشي

نزيل الهند

مما يفرج عن القلب الكئيب شيئًا من غمِّه، وينفِّس شيئًا من حزنه؛ أن الخائنين

---

(١) البيت منسوب لسلمان ﷺ في: «ربيع الأبرار ونصوص الأخيار» (٤/ ١٨٧) و«المستطرف في كل فنٍّ مستظرف» (١٤٣).

ونسب لنَهار بن تَوسِـعة اليَشكُري في: «الكامل في اللغة والأدب» (٣/ ١٣٣) و«الدر الفريد وبيت القصيد» (٢/ ١١٥).

(٢) نشرت في مجلة «العرب» المقدسية، السنة الثانية، العدد (٥١)، السبت ١٩ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ ـ ٩ أيلول ١٩٣٣م، (ص٧ ـ ٨).

لأممهم ولربهم ودينهم أخذت مراكزهم تتزعزع، وجعلوا يذوقون جزاء بعض ما يبيِّتون ويجترحون من الآثام، وإن مكرهم الذي تزول منه الجبال أخذ يظهر لعامة الناس؛ بله خاصتهم، وإن سهامهم التي يريِّشونها لهذه الأمة صارت تطيش، وأن شبح ذلك اليوم الذي يصلون فيه إلى مقر هوة الهوان بدأ يتراءى لهم من بعيد.

ولا أدلَّ على ذلك من قضية الشيخ عبد الحي الكتاني الفاسي المغربي، فمنذ عزم على الحج قبل أيامه بشهرين؛ أخذت الصحف العربية في جميع البلاد الضادية المحمدية تنشر المقالات الطوال في شرح سيرته وكشف خيانته والتحذير من الوقوع في شَرَكه، فما كاد يصل إلى الشرق إلا وقد صار التحذير منه والخوض في شأنه حديث النوادي.

ولقد صدقت الحملة في قضيته صحفنا الشرقية؛ فكانت حملتها على رجل لم تعرفه من قبل دليلًا جديدًا على سير العرب الحثيث إلى الاتحاد والاجتماع والتعاضد، فمتى خفق قلب العربي في المغرب الأقصى اضطرب قلب أخيه في مصر والشام والعراق والجزيرة وسائر الباد العربية، ومتى نادى العربي في مراكش بحياة أمة أو فرد أو موتها جاوبه صوت أخيه في الشرق بمثل ذلك، وهذا الطريق الذي أخذت الفلول العربية المنكوبة تسير فيه هو الصراط القويم الذي سارت عليه الأمم العزيزة في زمان جهادها، فوصلت إلى ما وصلت إليه من العزة القعساء.

نعود إلى الغرض الذي له قَصَدنا؛ فنقول: إن الشيخ عبد الحي الكتاني من بيت علوي شريف، أهله معروفون بالعلم والفضل من قديم، ووالده سيدي عبد الكبير الكتاني كان من كبار العلماء وأفاضل المحدثين في زمانه، إلى ديانة وصيانة وتقوى، وكانت منزلته رفيعة في نفوس أهل المغرب الأقصى والأوسط،

وأخوه سيدي محمد بن عبد الكبير الكتاني كان نابغة في العلوم الدينية والعربية، ونشأ مولعًا بالتصوف على طريقة المتأخرين؛ فالتزم الرياضة إلى أن ظهر له أن فاز بمطلوبه فأنشأ الطريقة الكتانية، وإن شئت المجاز لا الحقيقة فقُل: جددها، إذ لم يكثر أتباع الكتانية ولم تدخل في دور منظم ودعاية محكمة كأرقى الطرق في العصر الحاضر إلا بعمل السيد محمد ومن قبل كانت كالمعدومة.

ادعى سيدي محمد أن الرسول ظهر له يقظة لا منامًا وأتحفه بصلاة لها من الفضل والمزايا والخواص شيء لا يأتي عليه الحصر؛ ونصها: «اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا ومولانا أحمد الذي[1] جعلت اسمه مشتقًّا من اسمك وصفتك، وفجَّرت ينبوع مادته من عين آنية أنا الله حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه وعلى آله وصحبه وسلم» اهـ.

كذا سمعتها من أتباعه، وربما يكون فيها تغيُّر قليل جدًّا في حرف أو حرفين، وهذا النوع من الدعاية شاع في المغرب منذ ١٦٢ سنة حين ادعى الشيخ أحمد بن محمد التجاني الجزائري أصلًا الفاسي دارًا ومدفنًا، فإن هذا الشيخ أول من ادعى رؤية النبي يقظة، وأخذ صلاة تعجز المطابع بله الأقلام ويغني قرطاس الدنيا دون إحصاء فضائلها، قال: إن النبي ﷺ أتحفه بها، وجعل ما فيها من الفضائل متوقفًا على إذن التجاني والتزام شروطه، فكثرت بعده أمثال هذه الدعوى، ولما ظهر سيدي محمد بهذا المظهر؛ أنكر عليه بعض العلماء، واتبعه بعضهم وأعرض عنه بعضهم، ونجح في دعوته وراجت طريقته رواجًا عظيمًا، وحصلت له بذلك رئاسة روحية ودولة صوفية لم تحصل لأحد من أسلافه فيما نعلم، واستفحل أمره فصار ينازع في أمور السلطنة، وحدثني بعض العلماء من

---

(١) في الأصل: «التي».

أهل فاس أن سيدي محمد كان يعقد المؤتمرات بضريح مولانا إدريس، ويجبر العلماء والأعيان على حضورها بقوة أجناده من القبائل التي تحت سلطانه الروحي، فيخطب ويذكر أعمال الباشوات (الولاة) ويقبحها، ثم يذكر فساد أحوال الحكومة، وينبه الناس إلى ما فيها من العيوب، فلا يسع الحاضرين إلا الموافقة، وانتهى الأمر بالسير إلى الخروج من فاس إلى القبائل وإعلان الثورة في نحو سنة ١٣٢٦هـ، فجهز له مولاي عبد الحفيظ (السلطان الذي خلعه الفرنسيون بعدما أدخلهم إلى مراكش وأباحها لهم، وهو الآن مقيم تحت رحمتهم بباريس) جيشًا لقتاله، فانهزم أتباعه وأُخذ أسيرًا إلى حضرة السلطان، فيقال أنه قتله جلدًا بالعصي والسِّياط، ولم يدرِ أحد الحقيقة في قتله، وأنكر عامة أصحابه موته، وزعموا أنه اختفى، وسيظهر على حد اعتقاد الشيعة الإمامية في الإمام الثاني عشر عندهم، وبذلك فقدت البلاد عالمًا من علمائها العبقريين، وكانت ثورته وقتله كلاهما من نكبات البلاد التي أنهكت قواها وأسقطتها فريسة في يد العادي الغاصب.

أما الشيخ عبد الحي الكتاني فكان إذ ذاك حَدَثًا مشتغلًا بطلب العلم، ثم مضت الأيام وتوفي سيدي عبد الكبير وصار الشيخ عبد الحي كبير هذا البيت، ورأى الرئاسة والعيش الخافض والرفاهية لا سبيل لها إلا مشيخة الطريقة، ولا سيما بعد دخول الأجانب واحتكارهم الرئاسة الحكمية والسلطة، ونزعها بغتة من أيدي الوطنيين، ولم تبق إلا الرئاسة الغيبية؛ وهذه ـ أيضًا ـ تتوقف على خدمة هؤلاء الأجانب، وكون الشيخ آلة صماء بأيديهم قد وقف سلطانه الروحي وصناعته الطرقية على تثبيت أقدامهم، وتجريد الأمة من كبير القوى وصغيرها، فعلى هذا صارت مشيخة الطرائق ـ أيضًا ـ في أيدي الأجانب.

وكانت أمام الشيخ عبد الحي عقبات في هذه السبيل؛ أوعرها: وجود السيد

المهدي بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، وقد أخذه وسائر أهل بيته بعد قتل والده خالصة المخلصين من أتباع أبيه وهم أهل مدينة سلا، وعزموا على اتخاذه خليفة لأبيه فيهم كما هي العادة، وأخذوا يعملون له دعاية ليخلفه وتأتيه النذور والفرائض المالية من الكتانيين في سائر البلاد، فأحس الشيخ عبد الحي بالخطر، ونظر فلم ير له وليًا ولا نصيرًا إلا الحاكم الفرنسي؛ فاستغاث به فأغاثه، وأصدر أمره إلى الكتانيين أينما كانوا باتباع الشيخ عبد الحي وترك السيد المهدي، وكبر ذلك على جميع أهل المدن من الكتانيين؛ لأنهم لا يعترفون للشيخ عبد الحي بشيء من الولاية، ولم يظهر له الرسول يقظة ولا آراه حتى في المنام، ولم يعطه صلوات تضمن السعادة الأبدية لقارئها.

وزاد في الطين بلة وفي الطنبور غنة أن الشيخ عبد الحي سلك إلى هذه الغاية مسلكًا آخر نفر منه الناس ولا سيما الكتانيين؛ ألا وهو تأليفه كتابًا في مجلدين ملأه بالطعن في أخيه السيد محمد، ومن جملة ما رماه به أنه كاذب في ادِّعائه رؤية النبي ﷺ، وأخذه منه الطريقة وأورادها ومناقبها، وقال أن عنده كتابًا كان السيد محمد قد بعثه إلى والدهما السيد عبد الكبير يستشيره فيه في إنشاء الطريقة وأورادها، ويبين له ما يجني منها من الفوائد، واستدل بذلك على أن السيد محمد افتعل الطريقة من عنده.

وهناك عقبة أخرى زادت «الفقراء» المريدين نفورًا منه؛ ألا وهي طعنه في جميع الصوفية والمشايخ، ورميه لهم بالاحتيال والنصب والمخرقة، ولكن السلطة الفرنسية هددت كل من تحدِّثه نفسه برفض قبول السيد عبد الحي شيخًا أو يتردد في إرسال النذور والفرائض السنوية أو يمتنع من حضور المحافل الطرقية؛ بالعقاب الصارم.

أما أهل البادية والبربر سكان الجبال فلم يترددوا في قبوله؛ لأنهم غنم، فأي راع نعق بهم وساقهم انساقوا، وأما أهل المدن فأظهروا القبول خوفًا من عذاب الحاكم الفرنسي، وأضمروا العداوة في قلوبهم.

فلو رأيت الشيخ عبد الحي في الزاوية الكتانية بفاس وهو جالس على عرش المشيخة والمريدون حوله يذكرون ويرقصون ويتمايلون، وجل دعائهم كان على شيخهم الجديد؛ لرأيت عجبًا! الشيخ لا يصدق بمشيخته ولا بمشيخة غيره، بل هو على حسب اصطلاح العامة: «وهابي» في الدرجة الأولى من حيث الطرق وشيوخها، والمريدون في الظاهر يستمدون منه، وفي الباطن يحرقون عليه الأرم ويدعون عليه.

وهذه بدعة لطيفة أحدثتها السياسة الفرنسية في جملة محدثاتها، أما الكتانيون في سلا فقد تخلصوا بحيلة لطيفة جدًّا؛ وذلك أنهم اجتمعوا في زاويتهم وفكروا في الخلاص، فأجمعوا أمرهم على أن يجمعوا «سُبَحَهم» ويبعثوا بها إلى الحاكم الفرنسي مع وفد منهم ليسلِّمها إلى الشيخ عبد الحي إعلانًا منهم أنهم خرجوا من الطريقة ورفضوها رفضًا تامًّا، فلم تبق لشيخ أيًّا كان عليهم سلطة، وكذلك عملوا، فبهت الحاكم ولم يَحِر جوابًا، وتخلصوا بهذه الحيلة اللطيفة واستمروا في اتباع السيد المهدي.

ولم يبق في بلاد المغرب للشيخ عبد الحي مريد واحد من أهل المدن، والكتانيون لا يبلغون مائة ألف ـ فيما أعلم ـ، فضلًا عن مئات الألوف.

فما نشرته صحيفة «العرب» الغرَّاء فيه مبالغة، ولكن بقية مشايخ الطرق ـ أيضًا ـ في السلطة كالشيخ عبد الحي أو أقبح، بل ما فتح المغرب إلا مشايخ السوء؛ فإنهم عملوا للفرنسيين ما لا تعمله القنا والقنابل، وعلى هذا يكون قول

«العرب» الغراء في المعنى صحيحًا؛ فإن في المغرب مئات الألوف لا يمنعها من الجهاد في سبيل الله ومدافعة أعداء الحق والسلام إلا مشايخها قرون الشيطان، طهر الله الأرض منهم.

لكنو ـ الهند

محمد تقي الدين الهلالي المراكشي[1]

❐ ❐ ❐

---

(١) كتبت المجلة بعده:

«العرب»: مع هذا المقال الكاشف عن حقيقة الشيخ عبد الحي الكتاني؛ أبيات شعرية، ننشرها في فرصة تالية مع كلمة تعليق ـ إن شاء الله ـ.



القِسمُ الرَّابِعُ

مَن ردَّ عليهم الهلالي

وفيه:

- مقدِّمة رد الشيخ تقي الدين الهلالي على كتاب «الأغلال».
- السعيد الزاهري يفتري الكذب على المجاهدين، ويخلع العذار في خدمة الاستعمار، ما هو الزاهري؟ (١).
- السعيد الزاهري يفتري الكذب، من هو الزاهري؟ (٢).
- السعيد الزاهري يفتري الكذب، من هو الزاهري؟ (٣).
- السعيد الزاهري يفتري الكذب، من هو الزاهري؟ (٤).
- اعتداء فظيع على الشيخ الزاهري محرر «الشريعة».
- اشهدوا أيها المسلمون على عداوة بعض الدجالين للإسلام.
- عصا موسى على رأس فرعون (١).
- عصا موسى على رأس فرعون (٢).
- عصا موسى على رأس فرعون (٣).

* مقدمة رد الشيخ تقي الدين الهلالي على كتاب «الأغلال»[1]

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، والصلاة والسلام على نبي الرحمة، وهادي الأمة، وكاشف الغمة، خاتم النبيين وإمام المصلحين، من بعث بدعوته الأموات، وجمع الأشتات، وعلى آله وأصحابه المتصفة بأحسن الصفات.

أما بعد؛ فهذا «مظهر الضلال في كتاب الأغلال»، نسأل الله أن يوفقنا فيه لإصابة الصواب، ورفع الريبة عن كل مرتاب.

المقام الأول قوله: «سيقول مؤرخو الفكر أنه بهذا الكتاب قد بدأت الأمم العربية تبصر طريق العقل».

كان العرب قبل الإسلام متصفين بصفات من أقبح ما وصلت إليه أمة منحطة؛ منها: الجهل، ولذلك سمي زمانهم زمان الجاهلية، ومنها: تفرق الكلمة، ومنها: الذلة بالنسبة إلى الأمم الأخرى، ومنها: الفقر المدقع، ومنها: الجفاء وغلظ الطبع، ومنها: مساوئ الأخلاق؛ كوأد البنات، وعدم توريث النساء والصبيان؛ بل كانوا يورثون النساء في بعض الأحوال، وأكل مال اليتيم، وقتل النفوس، وشن الغارات، والنهب والسلب، واسترقاق بعضهم بعضًا، والتفاخر بالأنساب لا بالأعمال، واستلحاق أولاد الزنا، إلى غير ذلك مما هو معروف.

---

(١) نشرها عن أصل خطِّيٍّ: فضيلة الشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة في كتاب «تنزيه الدين مما افتراه القصيمي في أغلاله» للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ص١٢٩ ـ ١٣٣)، وعنه الشيخ سليمان الخراشي في كتابه «عبدالله القصيمي: وجهة نظر أخرى» (ص٥٩٩ ـ ٦٠٤)، وقال معلّقًا على آخره: «انتهى ما وُجد من كتاب الشيخ الهلالي ـ رحمه الله ـ، ويظهر أنه لم يتمه؛ إنما كتب مقدِّمته».

فجاء محمد رسول الله ﷺ بكتاب من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من تمسك به نجا، ومن زاغ عنه هلك، فأحيا الله به العرب بعد الموت، وجمعهم بعد الشتات، وأغناهم بعد الفقر، وأعزهم بعد الذلة، وجعلهم سادة لمن كانوا لهم عبيدًا ـ أي: الفرس والروم ـ، وأبدلهم من القسوة رحمة، ومن الخشونة والجفاء لطفًا ولينًا، وبالجملة جعلهم سعداء بعد أن كانوا أشقياء.

وقد أخبر الله في هذا الكتاب وفي بيانه ـ وهو كلام رسوله[1] [ﷺ][2] ـ أن العرب وسائر المسلمين لن يزالوا الأعلين ما تمسكوا بهذا الكتاب واهتدوا بهدي النبي الكريم، ومتى تركوه وابتغوا الهدى في غيره؛ أضلهم الله وهيَّب سعيهم وردهم إلى ما كانوا فيه من الشقاء؛ وهذا ما وقع، وهذا الرجل يقول: (إن الأمة العربية بكتابه هذا تبدأ تبصر طريق العقل)، كأن كتاب الله وبيان رسوله الذي حييت به الأمة وسعدت باتباعه، ثم ماتت وشقيت بتركه ـ والتاريخ أصدق شاهد ـ لا يكفي لبعث العرب وإبصارهم طريق العقل والرشد، وكل ما ألَّفه علماء الإسلام في زمان مجدهم لا يكفي لإبصارهم طريق العقل، حتى يأتي هذا الكتيب فيفتح أعينًا عميًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا، ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ [أَبَدًا][3] إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[النور: ١٦ ـ ١٧].

والمهم أن هذه أمنيته، وخيال تخيله المصنف، وفرح به واستهواه وأغواه،

---

(١) قلت: ودليل ذلك قول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وغيرها من الأدلة؛ لأن السنة مبينة لما عممه، ومفصلة لما أجمل من كتاب الله، مقيدة لما أطلق منه، فهي وحي من الله، لا نطق عن الهوى.

(٢) زيادة يقتضيها الحال.

(٣) سقطت من الأصل.

وأخذ يتكهن بمستقبل كتابه، ويهيم في أودية الأحلام، (إن الأماني والأحلام تضليل)[1].

المقام الثاني قوله في صفحة (٣): «إن ما في هذا الكتاب هو من الحقائق الأزلية الأبدية، التي تفقدها أمة فتهوي؛ لأنها فقدت حقيقة من حقائقها الطبيعية، وتأخذ بها أمة أخرى فتنهض؛ لأنها قابلت الطبيعة الكاملة بطبيعتها الكاملة؛ ولن يوجد مسلم واحد بين الأربع مائة مليون مسلم يستغني عن هذه الأفكار إذا أريدت له حياة صحيحة طبيعية».

الحقائق الأزلية ليست إلا صفات الله ـ تعالى ـ؛ لأن كل ما سواه حادث، إلا إذا كان المؤلف يقول بقدم العالم فتلك مسألة أخرى، والمسلمون يخالفونه في ذلك، وأما كون هذا الكتاب لا يستغني عنه مسلم يريد أن يحيا حياة صحيحة طبيعية؛ فهذه دعوى وأماني.

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن[2]

يا لله العجب! لقد ألَّف الحكماء من المسلمين وغير المسلمين كتبًا كثيرة، متواضعين لله ـ تعالى ـ، متبرئين من الدعوى؛ فرفعهم الله ـ تعالى ـ ونفع الناس بعلمهم، ولا نعلم أحدًا منهم ادعى لكتابه مثل ما ادعى هذا الرجل، كأنه نبي أوحي إليه.

والدعاوي ما لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء[3]

---

(١) البيت لكعب بن زهير في «ديوانه» (ص٩ ـ مع «الشرح») وصدره: «فلا يَغُرَّنْكَ ما مَنَّتْ وما وعَدتْ».

(٢) البيت للمتنبي في «ديوانه» (ص٤٦٩).

(٣) البيت للبوصيري في قصيدته «الهمزية»، انظر: «الإشادات الربانية بالفتوحات الإلهية =

ـ فصل:

لا نريد أن نناقش المؤلف في الألفاظ؛ لأن خطأه فيها غير مهم، لا يستحق تضييع الوقت في تتبعه والرد عليه، ولكننا رأيناه يستعمل لفظ (الرومان) في جمع (رومي)؛ وهو خطأ، إن اغتفرناه لعامة الكتَّاب الذين يتعلمون الإنشاء في الصحف والمجلات؛ فلا نغتفره لكاتب تعلم في المساجد وقرأ القرآن وفيه: ﴿الٓمٓ ① غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ١ ـ ٢]، وبهذا اللفظ سميت السورة نفسها، وهو الموجود في الأحاديث وكتب التاريخ والأدب العربي، ولم يستعمل لفظ (الرومان) إلا في هذا الوقت الذي ضربت فيه الفوضى أطنابها في الإنشاء؛ فضاع بذلك أسلوب اللغة العربية، ووقع الفساد في مفرداتها وتراكيبها بسبب ما ترجم من اللغات المتغلب أهلها على يد تراجمة جاهلين، فأخذ الناس يحاكونهم ويقتدون بهم، حتى صار الفقيه يترك الألفاظ الصحيحة التي يعرفها من القرآن وكلام العرب ويستعمل الألفاظ الفاسدة، ظنًّا منه أن ذلك يرفعه إلى درجة الفلاسفة ويجعله عصريًّا.

وهذه الألف والنون التي في لفظ (الرومان) هي في بعض اللغات الأوروبية بمنزلة ياء النسبة في اللغة العربية، فـ (الرومان) في اللغة الإنجليزية ـ مثلًا ـ: صفة كـ (الرومي) بالعربية في قولك: (العصر الرومي)، وتكون اسمًا بمنزلة (الرجل الرومي) أو (الرجال الروميين)[1]، ويظهر لنا أن المؤلف في هذا الكتاب لا يصيغ قلمه فكرة؛ بل ينتهب المعاني والألفاظ من كلام كتَّاب آخرين يسمون أنفسهم عصريين وأحرار الفكر ليكونوا مثلهم، وقد خيل إليه أنه بهذا يصير فيلسوفًا عظيمًا.

وقد استعمل ـ أيضًا ـ (الإنتاج) وإنما هو (النتاج).

= على متن الهمزية في مدح خير البرية» (٢٥٠).

(١) انظر: «تقويم اللسانين» للهلالي (ص٣٥ ـ بتحقيقي).

قوله في صفحة (٧): «ولقد صار معلومًا أن عظمة الشعوب، ليست في الاستقلال السياسي...» إلى أن قال: «ولكن عظمة الشعوب الحقيقية التي تطأطئ لها الدنيا أمامها إجلالًا ورهبة تتجلى في شيء واحد لا ثاني له؛ هذا الشيء الواحد هو قدرة الشعب الذاتية على الإنتاج العقلي والمادي من ناحية الأفراد، فالشعب الذي يتفوق أفراده في هذا الإنتاج هو الشعب الذي له التفوق المطلق وله السيادة المطلقة، وهو[1] الشعب الذي تخفض له الدنيا رأسها، والفرق بيننا وبين شعوب أوروبا وأمريكا لا يعدو الفرق بين أفرادنا وأفرادهم في هذا الإنتاج، فإنه لما وفر إنتاج أفرادهم العقلي والمادي وضعف إنتاج أفرادنا أو أضحى مفقودًا؛ أضحوا أقوى منا في كل شيء، فسادوا وتأخرنا ...إلخ».

ذكر المؤلف في هذا الكلام سبعة أسباب للعظمة والسيادة المطلقة؛ فنفى منها ستة، وحصر الأمر في سابعها وهو ما سماه: قدرة الشعب الذاتية على الإنتاج العقلي والمادي من ناحية الأفراد، ولا نريد أن نناقشه في نسبة ذلك إلى الأفراد دون الجماعة مع ما فيه، ولكننا نقول: من أين عرفت هذا؟ وما دليلك عليه؟ والحق أن رقي الأمة وسيادتها متوقف على أمور كثيرة، لا يغني أحدها عن غيره، فالأمة القليلة العدد - مثلًا - لا تحصل بها السيادة المطلقة، ولا تستطيع أن تحافظ على استقلالها، وإن بلغت الذروة العليا في النتاج من حيث الأفراد ومن حيث الجماعات، وقد رأينا ما وقع لفلندة؛ ولم تغلب هذه الدولة التي بلغت أوج الرقي في كل شيء إلا بسبب قلة عددها، والدولة التي غلبتها لا تساويها في الرقي؛ وإنما غلبتها في كثرة العدد، فظهر أن كثرة العدد جزء من سبب السيادة، ولا ندعي أنها هي السبب كله، وكذلك ثروة البلاد الطبعية لا الطبيعية هي من أسباب عظمتها، فإن الأمة إذا كانت بلادها

---

(١) في الأصل: «وهو الإنتاج هو».

فقيرة لا تملك المواد الأولية الضرورية؛ تكون دائمًا تحت رحمة الأمم التي تمدها بذلك، وكذلك الوطنية والحماسة فإنها سبب لابد منه في...[1]

اهـ الموجود منه على حسب النسخة الخطية المكتوبة بخط علامة القصيم عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـ رحمه الله ـ بدون تاريخ.

***

*** السعيد الزاهري يفتري الكذب على المجاهدين ويخلع العذار في خدمة الاستعمار، ما هو الزاهري؟[2] (١)**

تلقينا هذا المقال القيم من الأستاذ الهلالي المجاهد المغربي الشهير، ونظرًا لطوله لما حواه من الدلائل والبراهين المفحمة لخصوم الملة والوطن وعلى رأسهم الزاهري خادم الشيوعية وخاذل المسلمين؛ ها نحن ننشره تباعًا، شاكرين هبة صاحبه، أكثر الله من أمثاله المخلصين في أمتنا.

قلم التحرير

إن من أبغض القول إلي المهاترة على صفحات الجرائد، فإن نزلت إلى الطعن في الأشخاص فذلك أخبث وأبغض.

كتب إلي أحد الفضلاء من أهل الجزائر أن السيد السعيد الزاهري نزيل وهران حالًا غضب علي لأني رددت عليه ما كتبه في شأن أهل الريف من الدعاية الشيوعية الحمراء المخالفة للحقيقة مع كونها فضولًا، وأنه رد علي ردًّا قبيحًا لم يقتصر فيه على الموضوع؛ بل تعداه إلى الطعن الشخصي وافتراء الكذب الفاضح،

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) نشرت في جريدة «الوحدة المغربية» التطوانية، السنة الثانية، العدد (٧١)، الجمعة ١ ذو القعدة ١٣٥٧هـ ـ ٢٣ دسمبر ١٩٣٨م، (ص١ ـ ٢).

وقد خاب من افترى، فلم أحفل بذلك لأني - عَلِمَ اللهُ - حين كتبت ما كتبت لم أقصد أذاه؛ وإنما قصدت خدمة وطني ببيان الحقيقة.

ثم بعث إلي ذلك الأخ الفاضل بوريقة «الوفاق» جزء (١٨)، واسمها يدل على وفاق المستعمرين.

وقَلَّما أبصَرَتْ عَيناكَ ذا لَقَبٍ ... إلَّا وَمَعناهُ إنْ فَكَّرتَ في لَقَبِه[١]

وهي التي نشر فيها الزاهري ذلك البهتان الذي سود به وجهه وفضح نفسه، وكان فيه كالباحث على حتفه بظلفه[٢]، وكالجادع[٣] مارن أنفه بكفه.

وَإذا استَوَت للنَّملِ أجنِحَةٌ ... حتَّى يَطيرَ فَقَد دَنا عَطَبُه[٤]

- لماذا طرد الزاهري من جمعية العلماء الجزائريين؟

كان هذا الرجل قبل سنتين (عضوًا) في (جمعية العلماء الجزائريين) التي هي النفحة الربانية التي نفح الله بها بلاد الجزائر فأحيى بها الموتى، وبصر بها العمي، وأسمع بها الصم، وجدد بها الدين والعلم والأدب والأخلاق، وخلق بها الوطنية المبنية على تقوى من الله ورضوان.

كان الزاهري في بادئ أمره يكتب كتابات حسنة في الوعظ والتوحيد والإصلاح العام[٥]، والحق يقال، وأعوذ بالله من غمطه، ولما اعتدى عليه أحد أعدائه

---

(١) البيت في: «نور القبس» (١/ ١٢١) و«الطراز الأول» (٣/ ٧٦) و«المفردات» (٤٥٢) للراغب.

(٢) في الأصل: «بأنفه».

(٣) في الأصل: «وكالجاذع» بالذال.

(٤) البيت لأبي العتاهية في: «ديوانه» (٦١).

(٥) نشر له في مجلة «الشهاب» الجزائرية مقالات عديدة مليحة، انظرها في فهارسها =

قبل سنوات بالضرب؛ آلمني ذلك وكتبت مقالًا في التشنيع على ضاربه[1]، ولكنه لم يكن ظاهره كباطنه! فلما تحققت جمعية العلماء أنه يتجسس عليها ويعاملها معاملة ذات وجهين؛ طردته وأخرجته من سلكها، فكتب إلي كتابًا يشتكي فيه ويطعن في الجمعية، فبادرت بنصحه أن يرجع إلى حظيرتها فإنها السنة والجماعة في الجزائر، ومن خرج عليها وقاومها بعد ما كان من أعضائها وأهلها فلا يرجى له إلا الخيبة، فإن لم يمكن فليكف عنها لسانه وأذاه، وليعمل صالحًا خارجها، فلم ينفعه نصحي واستمر في محاربة الجمعية، وهي الأمل الوحيد للحياة والإصلاح في الجزائر، وصار عدوًّا بينًا للإصلاح حتى والى أعداءه وتزلف إليهم.

ـ وشايته:

ثم نزل في دركة سوء العمل إلى أن صار ـ والعياذ بالله ـ على ما كتب إلي به أحد مواطنيه، والعهدة عليه ـ يشي بالعلماء الأبرار وينقل عنهم الأخبار المختلقة إلى حكومة الاستعمار الفرنسية.

ـ تعرضه لإمام المجاهدين وزعيم العرب (الأمير شكيب أرسلان):

ثم صار يبلغني عنه أنه أخذ يطعن في الأمير شكيب أرسلان، ويتزلف بذلك للفرنسيين واليهود، قال ذلك الفاضل: والفرنسيون ـ أيضًا ـ يحتقرونه، وإنما يقبل

= (١٦/ ٥١٥ ـ ٥١٦)، وللهلالي ذم له نشره في صحيفة «الصراط السوي»، السنة الأولى، الأعداد (٦، ٧، ٨، ١٧)، وهو في هذه المقالات تحت عنوان (في سبيل الإصلاح) (رقم ١٦ و٥١ ـ ٥٣).

(١) نشر في صحيفة «الشريعة النبوية المحمدية»، السنة الأولى، العدد الثالث، بتأريخ ٨ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ (ص٦) مقالة بعنوان (اعتداء فظيع على الشيخ الزاهري، محرر الشريعة)، وهي من مقالات (في سبيل الإصلاح)، وسيأتي.

منه ما يقول، ويستغله اليهود والشيوعيون. قال الأخ الجزائري الفاضل: وقد نصح له كل من يريد به خيرًا من الناس، وقالوا له: ويلك! إن الأمير شكيبًا أعظم من أن تقدر بوشايتك على ضرره، وإنه مقدس في الشرق والغرب، فوقوعك فيه إنما تعرض نفسك به للهلاك. فلم يرعوِ، وبلغ به الخذلان إلى أن جعل يتجسس على العلماء والوطنيين، فإذا رأى أحدًا منهم سافر أو مرض وغاب أيامًا؛ أخذ يشيع عنه أنه سافر خفية إلى فرنسة، ومنها إلى جنيف ليلتقي بالأمير شكيب أرسلان هناك، ويتلقى منه الدعاية الفاشيستية ويرجع لبثها في الجزائر. إلى هذا الدرك الأسفل نزل هذا الرجل، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور.

(يتبع)

* * *

*** السعيد الزاهري يفتري الكذب، من هو الزاهري؟[1] (٢)**

(تابع لما نشر بالعدد السابق للأستاذ الهلالي تحت العنوان أعلاه).

- خلعه العذار في الدعاية للشيوعيين الإسبانيين وأخذه المال لذلك:

وحسبما أخبرني مكاتبةً أهل بلده: أخذ أموالًا من سماسرة الشيوعيين الفرنسيين قبضوها من إسبانية الحمراء؛ فأنشأ بها وريقة للدعاية للحمر يمزجها ببعض أخبار البلاد العربية ليخدع القراء، فلم ينخدعوا، ورفضوا تلك الصحيفة ونبذوها نبذ النوى، فهو يطبعها ويزيد على ذلك أجرة البريد ويبعثها للناس فترجع إليه محلاة بهذه الكلمة (Refuse) ومعناه بالفرنسية: مرفوضة.

---

(١) نشرت في جريدة «الوحدة المغربية» التطوانية، السنة الثانية، العدد (٧٢)، الجمعة ٨ ذو القعدة ١٣٥٧هـ - ٣٠ دسمبر ١٩٣٨م، (ص٣، ٧).

إن الطعن الآتي من رجل هذا شأنه يطعن في جمعية العلماء وفي الأمير شكيب وفي جميع الوطنيين في المغرب والجزائر وتونس، ويشيع عنهم أكاذيب المستعمرين؛ كزعمهم أنهم مدفوعون إلى الدفاع عن وطنهم بإغراء الدعاية الجرمانية والإيطالية، إن الطعن الآتي من مثل هذا خير من المدح؛ بل هو المدح نفسه.

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل[1]

والآن وقد عرف القارئ الكريم ما هو هذا الرجل؛ نعرض إلى أكاذيبه وننقضها واحدة بعد واحدة ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

- زعمه أنني أسبح بحمد فرانكو، وأمضي في الثناء على طغيان هتلر وموسوليني الطاغيتين، وأشتم الديموقراطية الفرنسية بكلام غير واقع ولا معقول:

هذا الكلام يدور بين الكذب والتحريف، وقبل التعرض لإبطاله؛ أواخذه على شتمه المغرب بقوله: (المغرب الإسباني).

فأقول: اخسأ يا عدو الوطن! بفيك الحصى والروث والجنادل، لا يوجد عندنا ولا في الحقيقة مغرب إفرنسي ولا إسباني، (المغرب للمغاربة أولًا وأخيرًا وإلى يوم الدين) هذا شعار الوطنيين الذين تنبحهم تزلفًا لليهود والمستعمرين من أجل لقمة سحت سيحاسبك الله عليها حسابًا عسيرًا، أمن الغيرة على أهل المغرب أن تسمي بلادهم إسبانيا؟

وزعمك الرأفة على أهل الريف؛ كذب وفضول وتغطية لأكل السحت، وأنت قد خنت وطنك، وخنت جمعية العلماء، وعاديت (حزب الشعب)، وواليت

(١) البيت للمتنبي في «ديوانه» (ص١٦٦).

أعداء بلادك، وأخذت جهارًا بلا حياء تنافح عن المجرمين، فكيف يمكن أن تعطف على أهل المغرب وأنت خائن الوطن والدين وخادم العدو الغاصب؟!

ثـم إن قوله: (أسبح بحمد فرانكو) كذب؛ فإن أراد أنني كتبت ما أعتقده ويعتقده معي جميع الوطنيين من أهل وطني (مراكش الشهيدة) أن فرانكو قد عامل أهل الريف معاملة حسدهم عليها أهل الجنوب الذين هم تحت عذاب استعمار الديموقراطية الملعونة؛ فهو حق وصدق، والدلائل عليه واضحة كالشمس، ففي بلاد الريف توجد صحف وأحزاب، والأوقاف حرة، وأمير البلاد الخليفة المحبوب هـو المشرف عليها، والتعليم حر، والباب مفتوح أمام البعوث إلى الخارج، وغير ذلك من الأعمال، وإن لم يتم تحريره كما نريد، إلا أنه نال من الحرية ما لا يوجد منه شيء في الجنوب المصاب باللغة الفرنسية، وهؤلاء زعماء الريف وأقطابه شهود.

والمجازر الدموية والتعذيب الذي وقع ولا يزال واقعًا، وعرفه وتحققه حتى أهل الصين، في الجنوب على يد السفاح نوجيس النجس وأعوانه المجرمين أدعياء الديمقراطية الملعونة المجرمة السفاكة الضاربة؛ لم يقع شيء من ذلك في بلاد الريف على ما بلغنا بالتواتر في الناحيتين جميعًا، فهذا ما أعتقده، ولم أقله لأجل فرانكو؛ بل قلته اعترافًا بالحق ونكاية لأعداء الحق والشمال الإفريقي الذين تخدمهم أنت.

ـ الاستعمار كله ملعون:

لولا أن هذا النذل المجاهر بخدمة عدو الوطن يريد الافـتراء عـلي لينـتقم مني لأولياء نعمته المستعمرين؛ لما رماني بما أنا منه بـريء وأصرح بـضده في كـل مقال سياسي أكتبه؛ وهو أن الاستعمار كله ملعون كيفما كان، ومن رضي به ملعـون، أما إذا خدمه فهو شيطان رجيم، وأنا أصرح هنا أني أشهد الله والملائكة والنـاس على أني ألعن كل استعمار يقع على أمتنا أو غيرها، وسواء وقع من الـديمقراطيين

أم من الفاشستيين أم من النازيين، كله شر وظلم وفساد، وأنا أصرح بـذلك هنـا في هذه البلاد التي يزعمون أن الحرية فيها معدومة بالمرة، ولو كنت في بلاد مـصابة بالجذام الفرنسي ما قدرت أن أفوه بهذا، ولو فهت به لتخطفتني زبانية العـذاب، فأنا أتحدى الزاهري خادم الاستعمار العلني أن يكتب مثل هذا، وكيف؛ وهو قد باع دينه وشرفه ووطنه؟!

ـ الكذبة الثانية:

أني أنقل كل ما أكتبه من إذاعة باري الإيطالية.

أقول في هـذا: لعنـة الله على الكاذبين! لماذا أنقـل من محطة باري؟ أيعوزني الإنشاء أم أنا جاهل بما يعمله المجرمون المستعمرون حتى أتعلمه من محطة باري؟ وكيف أنقل من محطة باري وأنا لم أذكر سياسة إيطالية أصلًا؟ وأتحدى هذا الكذاب أن يجـد لي حرفًا واحدًا في مدح موسوليني كما زعم ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ٥٦]، بـل نشرت مقالًا في «الفتح» يلتهـب غيظًا على السلطان عبدالله سلطان جمـة بأرض الحبشـة حين ألقى خطبـة في محطـة رومية ومدح فيها استعمار إيطالية، ثم تلا قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وزعم أن المستعمرين الإيطاليين في الحبشة داخلون في أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهـم [«الفتح» جزء (٦١٠)]، وهذا المقال وحده كافٍ لفضيحة هذا الخراص.

ـ الكذبة الثالثة:

زعمه أن ما كتبه السيد بديع شريف في صحيفة «الشباب» المصرية أنه مني، وأن السيد بديع شريف لا وجود له، وإنما هو اسم بلا مسمى، وزاد على ذلك أني نقلت ذلك بالحرف من إذاعة باري، ألا لعنة الله على الكاذبين!

السيد بديع ابن الشيخ شريف أستاذ من بغداد، تخرج في دار العلوم بمصر ثم رجع إلى العراق، وكان مدرسًا هناك مدة، وهو اليوم منذ سنتين يدرس في جرمانية، أقام سنة في برلين وأخرى في بُن، وهو الآن في بغداد على أن يعود في أول السنة الدراسية إلى هنا إلى بُن، وهذا السيد من خيرة أدباء العراق، ومن الطبقة العليا في الوطنية والجهاد، وهو ليس نكرة؛ فهو مشهور، وهذا الخراص جحده وأنكر وجوده خرصًا وبهتًا لأجل أن يشنع علي، وما درى أن هذه الأكاذيب إنما يسود بها وجهه ويزداد بها مقتًا عند الله والناس.

والسيد بديع هذا عربي مخلص في عروبته، يستحيل أن يكتب حرفًا واحدًا يمدح به إيطالية أو غيرها، وما كتبه في التنويه بإصلاح أدولف هتلر، وما كتبته أنا ـ وهو قليل عند المناسبات ـ، وما كتبه الأستاذ السيد محب الدين الخطيب نفسه في «الفتح»، وآلاف الكتاب من الناطقين بالضاد؛ إنما يراد به دعوة أمتنا إلى الاعتبار والانتباه لشحذ العزائم وإعلاء الهمم، ليجد الناس في طلب المعالي ورفع مستوى الأمة ومنافسة العاملين، ولم نقصد قط دعاية بذلك؛ بل الفرنسيون أنفسهم يكتبون مثل ذلك.

ـ تصريح مهم:

نحن إذا قلنا أن أدولف هتلر جمع شمل جرمانية ورفع شأنها وجدد حياتها ومجدها؛ لا يكذبنا أحد في ذلك، حتى ولو كان روسيًّا من حواريي[1] ستالين.

وليس مقصودنا أن هذا الإصلاح يقصد به نفع العرب أو ضررهم؛ فإن ذلك ضرب من الجنون، هتلر يعمل لأمته فعلينا أن نعمل لأمتنا، ونحن لا نستفيد

---

(١) في الأصل: «حواري».

من أعمال القضاة الأجانب إلا العبرة إن كنا أحياء شاعرين، وأنا لم أدَّعِ قط أن جرمانية أو إسبانية الوطنية تعملان لإصلاح وإنقاذ الأمم الأخرى كالعرب - مثلًا - كل أمة تعمل لمصلحتها ولنفسها؛ فعلينا أن نعمل لأنفسنا.

والأمة التي لا تريد الإنقاذ ولا تعمل له؛ لا يستطيع أحد أن ينقذها، وإذا رجونا نحن معاشر أهل شمال أفريقية من الأجانب أن ينقذونا؛ فقد رجونا المستحيل.

وإذا رجوت المستحيل فإنما تبني الرجاء على شفير هار[1]

هكذا أقول دفعًا ونقضًا لإفك الأفاك الأثيم!

نعم؛ قلت أننا نتعاون مع إسبانية إن حسنت نيَّتها، وقلعت ضرس الاستعمار من فمها، وأرادت أن تكون معنت كبريطانية مع العراق ومصر، هذا قلته، وأنا ثابت عليه، ولو أن الفرنسيين يتركون طباعهم، ويميلون إلى سلوك هذا المسلك؛ لبادرنا إلى مد اليد لهم، وصالحناهم وعاهدناهم، ووفينا لهم، بل وشكرناهم - أيضًا -، فنحن لا قصد لنا إلا إنقاذ بلادنا من براثن الاستعمار، فكل من أبدى لنا حسن النيَّة؛ أبدينا له أضعاف ذلك، وتناسينا سالف إجرامه.

يتبع

- السعيد الزاهري يفتري الكذب، من هو الزاهري؟[2] (٣)

(تابع لما نشر بالعددين السابقين للأستاذ الهلالي تحت العنوان أعلاه).

---

(١) البيت في «ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي» (٣٠٨).

(٢) نشرت في جريدة «الوحدة المغربية» التطوانية، السنة الثانية، العدد (٧٣) الجمعة بتأريخ ١٥ ذو القعدة ١٣٥٧هـ - ٥ يناير ١٩٣٩م، (ص٥).

ـ الكذبة الرابعة:

زعم أني نقلت المقال الذي نشرته في «الفتح» بعنوان (الشيوعية أعظم لعنات هذا العصر)[1] من محطة باري وأنها أذاعته بالعربية ونقلته عنها.

وهذا بهتان عظيم! يكذبه جميع قراء «الفتح»؛ لأني كتبت ذلك المقال محذرًا المسلمين من شر هذه النحلة التي بناؤها على جحود رب العالمين ومعاداة كتابه وأنبيائه، وعقاب كل من يذكر اسمه، ومصادرة أموال الناس وعقائدهم وكسبهم، واحتيالهم لسلب أرزاقهم وسلب كل حرية، ومن اختار هذه النحلة فله دينه ولي دين، وما أنا عليه بمسيطر، وأرجو أن لا يلبس على الناس فيكون اليوم مسلمًا بل وإمامًا في الدين، وغدًا شيوعيًّا، وبعد غد خادمًا للاستعمار.

ـ الدليل على كذبه:

بعدما نشرت «الفتح» ذلك المقال بمدة نحو شهرين؛ ذكرت مجلة «الفتح» نفسها أن الدكتورة المستشرقة الإيطالية فلانة ـ نسيت اسمها ـ ترجمت مقالي إلى الإيطالية ونشرته في مجلتها.

فكيف يمكن أن أكون نقلت ذلك المقال عن إذاعة باري الإيطالية بالحرف ـ بزعمه ـ وكل ما يذاع هناك فهو مترجم من الإيطالية، ثم تنقل المجلات الإيطالية المقال من صحيفة «الفتح» وتترجمه إلى لغتها ليطلع عليه قراؤها، والغرض أنهم قد قرؤوه وعرفوه وأذاعوه؟! ألا لعنة الله على الكاذبين.

---

(١) نشر في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الثاني عشر، عدد (٥٨١)، بتأريخ ٢٠ شوال ١٣٥٦هـ، (ص٦ ـ ٧)، انظره في: (الأديان والفرق والمذاهب) رقم (٨/ ١) من جمعنا لـ «مقالات الهلالي».

ـ الفرية الخامسة:

زعم أني مدرس للغة العربية في جامعة بُن ظاهرًا فقط لا حقيقة، وأني إنما أُتيَ بي للدعاية للاستعمار الجرماني والإيطالي.

وهذا بهتان وخذلان! عندي براهين بينات لا مرد لها في تكذيبه.

فأقول: إنى دعيت إلى تدريس اللغة العربية من جنيف؛ وذلك أن زعيم العرب ونابغتهم الأكبر الأمير شكيب أرسلان عرَّف بي كثيرًا من أصدقائه أثناء إقامتي بجنيف في ضيافته، وبسبب ذلك جاءت الدعوة إلى التدريس، والأستاذ الذي هو رئيس القسم الذي أنا موظف فيه عالم مستشرق وهو الأستاذ باول كال (P.Kahle)، ولم يكن قط لا في الحال ولا في الماضي من الحزب الناتسي ـ لا النازي كما يلفظ به من يجهله ـ.

ومع قيامي بالتدريس في فصلي الدراسة الشتائي والصيفي؛ لم أزل أشتغل مع هذا الأستاذ، وقد أكملنا إلى الآن في سنتين فقط ـ وهي مدة إقامتي ـ هنا أربع مجلدات نقلًا ومقابلة وتصحيحًا وترجمة إلى الجرمانية: المجلد الأول كتاب «البلدان» لابن الفقيه الهمذاني ـ كان عائشًا في أواخر القرن الثالث الهجري ـ، والمجلدات الثلاث هي كتاب «طيف الخيال» لمحمد بن دانيال الموصلي ثم المصري، وفي النية تقديمه للطبع قريبًا.

ـ الدليل على صحة قولي:

أولًا: أن المجلة السنوية التي تصدرها جامعة بُن تسجل فيها الحوادث التاريخية في الجامعة، نشرت ـ بغاية الثناء والإطراء ـ أعمالي العلمية هنا بقلم رئيس القسم الأستاذ المذكور، ولم يكن لي علم بذلك حتى نبهني بعض الرفقاء، مع أن المجلة أهديت إلي كسائر المدرسين، وهذه المجلة علمية لا دخل فيها للسياسة البتة.

البرهان الثاني: أن الأستاذ كال المذكور ألقى محاضرة في مؤتمر المستشرقين العالمي في بروكسيل في شهر شتنبر الماضي في التعريف بكتاب ابن دانيال المذكور، وأثنى في خطبته علي، وصرح أمام الأشهاد ـ وكان هناك مندوبون ثلاثة من مصر؛ وهم الأساتذة أحمد أمين وعبد الوهاب عزام وطه حسين ـ صرح بأنه ما كان ليقدر على إخراج هذا الكتاب وترجمته لولا عملي معه، وبالغ في الثناء، وكان الأستاذ ماسنيون الفرنسي الشهير حاضرًا، ولما جاء الأستاذ ماسنيون إلى بُن؛ بعث إلي وطلب مني موعدًا للقاء، مع أنه لم يسبق لي معه تعارف، فضربت له الموعد وزارني وبجلني كثيرًا، هذا وهو فرنسي قح، وهو يعلم عداوتي للاستعمار الفرنسي، فلو كنت ـ كما زعم الأفاك الزاهري ـ يومًا من أبواق الدعاية ولا عمل لي علمي؛ ما تكلف أكبر الأساتذة المستشرقين الفرنسيين زيارتي، وكيف يحرص على زيارة بوق دعاية ضد أمته ودولته؟! أستغفر الله! ليس ضد أمته؛ بل ضد الظالمين الغاصبين أولًا وبالذات، وأما من يتبرأ من أعمالهم من أحرار الفرنسيين فلست ضده.

البرهان الثالث: إن الإدارة هنا منظمة أحسن تنظيم، وبعيدة كل البعد عن الفوضى والتخليط، فلا يمكن بوجه أن يؤتى برجل للدعاية ويعين مدرسًا في جامعة؛ بل كل الموظفين في وزارة الدعاية ملازمون لها يتقاضون مرتباتهم منها، ولا علاقة لهم بدائرة التعليم، وأنا منذ قدمت هنا لم ألق أحدًا من رجال السياسة لا كبيرًا ولا صغيرًا، وجرمانية ملأى من العرب والهنود وغيرهم، وأخص ذلك النادي العربي ببرلين، فليكتب من كان عنده ريب إلى النادي العربي ويسأله: هل أنا منخرط في سلك سياسي أم في سلك علمي؟

البرهان الرابع: إن جرمانية ـ وقد أقمت فيها سنتين ـ ليس لها أدنى توجه لمضادة فرنسة أصلًا، لا في فرنسة نفسها ولا في الأراضي التي تحت نفوذها، وقد

صرح أدولف هتلر في خطبه مرارًا أنه لا يريد شيئًا من فرنسة، وآخر مرة صرح بذلك كانت في شهر شتمبر الماضي في نور نبرك، وقد ظهر لي صدق ذلك؛ فإني لم أر قط ميلًا من حكومة جرمانية إلى مضادة فرنسة، وهذا طبعًا يسوؤني؛ لأن فرنسة ما دامت ممعنة في قهر أهل بلادي وظلمهم فأنا أريد أن جميع العالم يعاديها ويؤذيها، وحب الانتقام جبلة في البشر ولا سيما الانتقام من عدو الأمة.

البرهان الخامس: هذا البرهان عجيب يصعب تصديقه! في شهر أكتوبر الماضي من سنة ١٩٣٧م الإفرنجية قدمت طلبًا لنيل مساعدة علمية ينالها جميع الناس هنا من هنود وعرب وأمريكيين وغيرهم، فعلمت أن هذه المساعدة ممنوعة على أهل شمال إفريقية، ولا أعرف العلة في ذلك، ومع هذا يفتري الأفاك ويقول أنني هنا موظف للدعاية!

ـ الكذبة السادسة:

زعم أنني لا أعرف لغة ما عدا اللغة العربية، وليت شعري! من أين عرف ذلك هذا الكذاب الخراص؟

إذا كنت لا أعرف لغة أجنبية؛ فكيف تمكنني الإقامة هنا فضلًا عن العمل؟ وإذا كنت موظفًا بزعمه للدعاية؛ فهل يعقل أن يختار للدعاية رجل لا يعرف لغة الأمة التي يدعو لها ولا لغة أوروبية أخرى، مع أنه يوجد آلاف من العرب كل منهم يعرف عدة لغات أوروبية؟ كذلك يطبع الله على قلوب الكاذبين.

إن المجلدات الأربعة التي اشتغلت بها أنا والأستاذ كال كلها كان العمل فيها في السنة الأولى بالإنكليزية؛ أعني: أني كنت أترجم الكلام من العربية إلى الإنكليزية، فيكتبه الأستاذ بالجرمانية بعد المباحثة والتحقيق، ومنذ ثمانية أشهر استغنيت عن اللغة الإنكليزية وصرت أشتغل معه بالجرمانية، وأزيد الزاهري

على ذلك أنني دخلت الامتحان رسميًّا في الجامعة فنجحت ونلت دبلوم في اللغة الجرمانية.

نعم؛ إن أراد أنني لست أديبًا في اللغة الأجنبية فهذا حق، وهو ليس بعار؛ لأني لم يتأت لي في حداثة سني درس لغة أجنبية، وإنما بدأت بدرس اللغة الإنكليزية في الهند منذ ست سنين فقط، حين كنت رئيس أساتذة الأدب العربي في ندوة العلماء، وأما اللغة الجرمانية فبدأت في تعلمها هنا، وكل ذلك مع أشغال أخرى كثيرة، وإني أخجل من ذكر هذا، لولا أن هذا الكذاب تعرض له ما أحببت ذكره، فمعذرة أيها القراء الكرام؛ فإني ما قصدت التبجح وإنما قصدت بيان كذبه، وقد نشأت في بلادنا بالمغرب وهي طاهرة من نجاسة الاستعمار ومن الأجانب، وبقيت بها إلى أن تجاوزت العشرين، ولو نشأت في الجزائر ودخلت المدارس الاستعمارية النجسة المميتة للقلوب ولم أنجح في اللغة الإفرنسية لكان ذلك عارًا يمكن هذا الطعَّان أن يعيرني به.

ومع ذلك فأنا أعرف اللغة الإنكليزية، وهي لغة لا تغيب الشمس عن المتكلمين بها، وهي خير من الإفرنسية إن كان هذا الأفاك يعرفها ويتبجح بها.

زعمه ـ أيضًا ـ أن الفاشيستية ترزقني وتطعمني وتسقيني؛ فلذلك لا أقدر على مخالفتها.

أقول في رده: ألا لعنة الله على الكاذبين!

وما أحسن ما قال أبو الطيب:

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدق ما يعتاده من توهمه[1]

---

(١) البيت للمتنبي في «ديوانه» (ص٤٥٦).

لما باع الزاهري دينه وشرفه بدراهم معدودة لأراذل المستعمرين واليهود لبطالته وكساد بضاعته؛ أراد أن يرميني بدائه وينسل، وظن لفرط غباوته أن ذلك يلصق بي، وما علم أن الكذب والبهتان لا يجد سبيلًا إلى اللصوق بالطاهر البريء، فيرجع إلى مفتريه ويسود وجهه.

خرجت من الوطن العزيز منذ ١٧ سنة، قضيت منها سنوات قليلة في السياحة، وبعدها تأهلت، ومنذ ذاك لم أبق عاطلًا بلا عمل أصلًا، أينما كنت - في العراق والحجاز والهند في مناصب شريفة كافلة لي معيشتي، فلم أخضع قط لفرد ولا لدولة على طمع، وإنما رزقي من الله وحده، وسببه من عرق جبيني، وهؤلاء العرب في جرمانية، بل ههنا السفير الفرنسي في برلين، وأنا أؤمل من السفير الفرنسي - وإن كنت أشتغل ضد دولته ولست على دينه ولا من قومه - من الصدق ما لا يوجد عند الأفاك الزاهري الذي يزعم أنه مسلم مغربي، ولا غرو؛ فالعدو النبيل أشرف من الخائن لأمته.

ومع أنه لا علاقة بيني وبينه - ولله الحمد فإن جنسيتي عراقية - فأنا أقبل قوله، فليكتب من شاء إلى السفير الفرنسي ببرلين أو إلى الأستاذ ماسينون بباريس ويسأل من أين أعيش؛ أمن السحت النجس - كما يزعم هذا الأفاك - أم من عرق جبيني وحده؟

أما أني لا أخالف ما تفرضه وزارة الدعاية الجرمانية؛ فهو وهم وخيال، وفي غير موضعه؛ لأن الجهة مختلفة، فجرمانية ليس لها مستعمرات أصلًا، لا من قومنا ولا من غيرهم، فوزارة الدعاية لا تفرض المراقبة إلا على المشتغلين بالسياسة الجرمانية، وأنا لا حاجة لي في هذه السياسة؛ فإني لست مأجورًا لليهود ولا للشيوعيين، وجرمانية ليس لي عندها ثار فأطلبه؛ إنما ثأري عند فرنسة التي

قضت على بلادي، وعند إسبانية - أيضًا - وإن لم يكن مساويًا ولا مقاربًا لما عند فرنسة الدموية؛ لأن بلاد الريف كلها إنما تساوي عشر المغرب الأقصى ونصف عشر الشمال الإفريقي، ولا يمكن لها قط أن تكون مستقلة وحدها، بخلاف القسم الذي في براثن الذئب الفرنسي؛ وهو المغرب والجزائر وتونس، فهذه البلدان يمكن أن تكون منها دولة عظيمة تقدر أن تحافظ على استقلالها على شواطئ البحرين الأبيض والمحيط، زد على ذلك أن إسبانية مادة إلى أهل الريف يد المسالمة والتعاون، وهؤلاء زعماء الريف شهود، وأهل مكة أدرى بشعابها، ولو أن وزارة الدعاية تعرضت لمنعي من الدفاع عن وطني وحرَّمت علي منابذة عدو الوطن وهو الاستعمار الفرنسي؛ لما بِتُّ هنا ليلة واحدة، فإن أعز شيء عليَّ بلادي، وقد حرمت نفسي منها لأكون حرًّا مجاهدًا أعداءها، فما أهون علي مفارقة غيرها، ولا سيما أوربة؛ فإنما أقيم فيها لغاية شريفة، وقد صرحت أنني إنما أكره تغلب الإسبانيين الجمهوريين؛ لأنهم عجينة في يد فرنسة، وفرنسة هي خصم المغرب وعدوه المبين، وإذا قطعنا النظر عن ذلك؛ فإني لا أبغض الجمهوريين لشيوعيتهم، فليفعلوا في بلادهم ما أرادوا، فلا ضير علي ولا على قومي في ذلك إن لم يتعد إلى الوطن العزيز.

- توجعة الكاذب للمتطوعين من أهل الريف:

قد بيَّنا في غير موضوع أن هذا الداعي لو كان صادقًا لتوجع لمآت الألوف من أهل وطنه الخاص ومسقط رأسه الذين قدمتهم فرنسا حطبًا لنيران حروبها بلا أجر ولا أجرة، ولم تِعد الأمة الجزائرية حتى ولو وعدًا كاذبًا، ولا وفت لهم ولا جازتهم إلا بالإهانة وزيادة العذاب، ومن شاهد كيف كانت فرنسة تخطف الأولاد من بين آبائهم وهم يبكون، وتتبع من هرب منهم إلى الغابات وتصيده، وتتجنى بواسطة سماسرتها - مثل صاحبنا هذا - على الشبان الأصحاء لتعاقبهم

على الخيانة الملصقة بهم كذبًا بالتجنيد الإجباري، وتضرب من يأبى ذلك بالسياط حتى يصير طوع أمرها، وهذا الأفاك يعلم كل ذلك ولم ينكره لا بقلبه ولا بلسانه ولا بقلمه المأجور، وتأخذه ـ قال ـ الشفقة على إخوانه أهل الريف، بخٍ! بخٍ!

ليس لك إخوان في الريف؛ إنما اخوانك سماسمرة الاستعمار والصيهونية اليهودية المتسترة، وليس لك إخوان ـ أيضًا ـ في الصالحين من أهل الجزائر؛ فإنك خنتهم وغدرت بهم، فنبذوك وقاطعوك، فلا تفترِ على الله كذبًا فيسحتك بعذاب.

(يتبع)

* * *

* السعيد الزاهري يفتري الكذب، من هو الزاهري؟[1] (٤)

ـ افتراؤه على الأستاذ الناصري:

قال ـ فض الله فاه ـ:

وقد بالغ الأستاذ الهلالي في تملق فرانكو (كذا) ـ يعني: في التملق لفرانكو ـ وفي التزلف إليه بإطراء مطاياه المأجورين؛ كالناصري وأضرابه من الخونة... والهلالي يريد بهذا التزلف أن ينال الحظوة عند فرانكو لكي يعهد إليه بمثل ما عهد به إلى الناصري وأمثاله ممن يتقاضون أجورًا ضخمة على الضحايا من إخواننا الريفيين ...إلى آخر هرائه.

---

(١) نشرت في جريدة «الوحدة المغربية» التطوانية، السنة الثانية، العدد (٧٤)، الجمعة ٢٢ ذو القعدة ١٣٥٧هـ ـ ١٣ يناير ١٩٣٩م، (ص٣).

ـ جوابه عن الأستاذ الناصري:

جوابه: أن الأستاذ الناصري زعيم مغربي، مجاهد من أول نشأته إلى الآن، وقد عرف جهاده وعلمه وفضله وإخلاصه صاحب السمو الإسماعيلي الهاشمي مولانا الحسن بن المهدي نائب ملك المغرب وخليفته في شمال المغرب؛ فقربه وأدناه وأسند إليه أسمى المناصب، وشرفه أخيرًا بأن أوفده مندوبًا له إلى حكومة مصر وملكها المعظم لربط الثقافتين المصرية والمغربية بعضهما ببعض وللتعاون الثقافي والصناعي، وأسس هناك بيت المغرب العظيم في القاهرة، واحتفلت مصر بالأستاذ الناصري حكومة وشعبًا، وكتبت الصحف على اختلاف نزعاتها مقالات ضافية في التنويه بسمو الخليفة وبالأستاذ الناصري، ونال هذا...[1] فلا شك أن كبده تصدعت واحترق قلبه المريض مما قرأ من الاحتفال والاحتفاء الذي ناله هذا الأستاذ، فهل حكومة مصر وأدباء مصر وعلماء مصر ـ ومنهم شيخ الأزهر ووزير المعارف ـ لا يميزون الخونة المأجورين من الزعماء المشهورين؟! إذًا فليذهب الزاهري إلى مصر وليستنجد بسادته المستعمرين، وليحاول أن ينال جزءًا من ألف مما ناله الناصري!

إن السب والشتم سهل، ولكن الحقائق شيء آخر، ولكن الناصري بجهاده ووطنيته وعبقريته أوغر صدور أعداء المغرب المستعمرين، وعرف ذلك كلبهم فنبح لهم ليطعموه من جوع وينفقوا عليه؛ لأنه عاطل منذ خلقه الله إلى اليوم، وإن كانت الدعاية الخاطئة ـ كما يتوهم ـ سبيلًا إلى نيل المناصب؛ فَسَيُعَيِّنه سادته المستعمرون مدرسًا للغة العربية في جامعة السربون، عندما يقوم عيسى ابن مريم وقبل أن يقتل الدجال، وتالله! إن الخرَّاصون إلا في غرور.

---

(١) صوِّرت المقالة لي ناقصة ـ للأسف!ـ.

ـ زعمه أني فررت من الزحف:

قال ـ شفاه الله ـ أنه يحارب الاستعمار، ولا يريد بذلك إلا رضى الله ورسوله. وأظرف من ذلك قوله: وأما الأستاذ الهلالي فقد فر من الزحف وهرب من ميدان الشرف والنضال إيثارًا للراحة وطلبًا للمعاش، ثم لم يقل كلمة ضد الاستعمار الفرنسي إلا حينما أراد أن يخدم الاستعمار الإيطالي...[1]

بلى! سيحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون، أي زحف حضره هذا الأفاك وفررت منه؟!

لقد حضرت بحمد الله قتال أعداء الدين والوطن الفرنسيين وأنا صبي في بلادنا، ثم انقطعت لطلب العلم إلى أن نلت فيه ما قدر لي، ثم رحلت إلى الشرق للازدياد من العلم وللحج وغير ذلك من الأغراض الشريفة، وأما هذا الرجل فقد نشأ في الجزائر في حضن الاستعمار وعشه، ومعلوم أنه من عهد الإمام عبد القادر الجزائري ـ رحمه الله ـ لم يقع زحف في الجزائر فيما نعلمه، فأين الزحف الذي حضره هذا الرجل؟ فهل ميدان الشرف والنضال هو التجسس والخيانة وأكل السحت من يد عدو الدين والوطن ومحاربة المجاهدين؟ إن كان هذا هو النضال فأنا أتركه له؛ فبئس النضال وبئست التجارة! إذا كان عملك هو النضال والشرف؛ فماذا يكون عمل الزعماء في الجزائر كالأستاذ ابن باديس والأستاذ العقبي والأستاذ مصالي الحاج؟

ويلك! هذه مجلدات «الفتح» تشهد لي بأني لم أترك الجهاد بقلمي منذ زمان طويل من قبل أن توجد محطة إذاعة باري أو رومية العربية بزمان طويل، وهذه

---

(١) نقص في التصوير ـ أيضًا ـ.

«الجامعة الإسلامية» و«الجامعة العربية» و«صدى الشبان المسلمين» و«الثغر» و«الناس» ومجلة «الشبان المسلمين» بالقاهرة وغيرها[1] من صحف الشرق، وهذا «الشهاب» و«البصائر» وغيرهما من صحف الإصلاح الجزائري؛ بله صحف المغرب، كله ميادين عمل وجهاد بقلمي؛ بل صحف كابل في أفغانستان حين كنت هناك في سنة ١٣٥٢ وكان جواز سفري إذ ذاك لا يزال مغربيًّا، وترددت خوفًا من السفير الإفرنسي إذا اطلع على جهادي في الصحف الكابلية أن ينزع مني الجواز، ثم أقدمت وتوكلت على الله، ولم أزل متخوفًا، ولما ذهبت إلى السفارة الإفرنسية وأنا خائف أترقب نزع الجواز، وتكلمت مع مستشار السفير؛ أعجب بي وأكرمني، وتعجب من تعلمي للإنكليزية على الكبر في مدة سنتين فقط، وقال لي: أني كنت في المغرب والجزائر مدة طويلة، ولقيت الأدباء، وما رأيت أحدًا يتكلم بالعربية بمثل فصاحتك، ولذلك أتنازل عن رسم تجديد الجواز إكرامًا لك.

وكذلك لطف الله ـ سبحانه ـ فهذه أعمالي يا زاهري يا مسكين! لا ما تفتريه من البهتان العريان.

أتبتغي رضى الله ورسوله بمحاربة جمعية العلماء والحزب الوطني وجميع المجاهدين في الشمال الإفريقي وبخدمة الشيوعيين واليهود، وهل رضى الله في خدمة الشيوعيين الذين يجحدون الله؟!

* * *

(١) بيَّنتُ في هيكل المقالات أسماء المجلات والجرائد التي نشر فيها الهلالي، وهي كثيرة جدًّا، بل ذكرت في مقدمتي لهذا الكتاب، أسماء مجلات غير هذه، فالذي فاته أضعاف أضعاف ما ذكره هنا.

* اعتداء فظيع على الشيخ الزاهري محرر «الشريعة»[1]

كان الأستاذ محمد السعيد الزاهري المحرر بجريدة «الشريعة» يمشي في الطحطاحة الكبرى في وهران على الساعة ١١و٢٠ دقيقة، وكان يرافقه حضرة السيد محمد مكروس العضو البلدي بوهران، وحضرة السيد محمد رمعون إلى منزله، فلما توسط الطريق وكان في غمرة من الأنوار والأضواء الكهربائية، وفي كثرة الناس (السمار)؛ خرج عليه ثلاثة أشقياء، وضربه أحدهم بهراوة على مقدم رأسه ضربةً قويةً جدًّا، خر بعدها إلى الأرض مغشيًّا عليه، ولاذ الجاني الآثم بالفرار، وأفاق الزاهري من غشيته، وتحامل على نفسه إلى أن دخل إلى داره التي رافقه إليها ناس كثيرون، وانتشر الخبر في المدينة بسرعة البرق، فأصبح الناس يستنكرون كل الاستنكار هذه الجريمة الشنعاء المنكرة، التي يقوم بها الدجاجلة الأرذال.

وأخذ الزاهري تقريرًا طبيًّا يضطره إلى أن يلتزم الراحة (في الأقل) ثمانية أيام، ودخلت القضية في يد الشرطة، ثم انتقلت إلى الشرطة السرية للبحث عن الجناة المجرمين.

وقد سمعت الشرطة إفادات بعض الشهود؛ فحواها أن هذه الجريمة قد دبِّرت وحيكت في مسجد.

وقد عجب الناس هنا كل العجب! كيف يرضى صاحب المسجد الذي بناه لله أن يصير (مغارة) لقطاع الطريق؛ يدبرون فيه (المؤامرات) للقتل والاغتيال؟

---

(١) نشرت في صحيفة «الشريعة النبوية المحمدية»، السنة الأولى، العدد الثالث، بتأريخ ٨ ربيع الثاني سنة ١٣٥٢هـ، (ص٦).

وهم يتمنون له أن يتدارك الأمر قبل أن يفوت الأوان.

وسنوافيكم ببقية التفاصيل.

وهران

هكذا ما تزال جنود الله يصرعون في سبيل الله من الأيدي الأثيمة لجنود الشيطان، ولكن حزب الله هم الغالبون.

هكذا ما نزال نكتب حروف الإسلام على هامة هذا القطر الجزائري بدمائنا الزكية، حتى يشهدها العالَم واضحة جلية ليس عليها غشاوة من سحب الدجل والبدع والضلالات.

فنهنئ فضيلة الأستاذ الزاهري بما أصابه في سبيل الله والدعوة إليه، ونهنئ حزب الله بفَلَس حزب الشيطان من جميع شبهه التي فضحتها الأيام، حتى صار لا يجد أمامه إلا الاعتداء الوحشي، ثم الفرار من العدالة، شأن الجناة الجبناء الأشرار.

ونلفت نظر الأمة والحكومة إلى هذه الناحية الظالمة، التي تكررت اعتداءاتها على أهل العلم وهم لها صابرون، وعنها معرضون، لتعرفا في الشر والفتنة قدرها، وتكف عن هذا الوطن وأهله شرها وضررها، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[الشعراء: ٢٢٧][1].

* * *

---

(١) وفي الصحيفة نفسها، العدد الرابع، بتأريخ ١٥ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ (ص٥)، تحت عنوان (الاعتداء على الأستاذ الزاهري) ما نصه: =

* اشهدوا أيها المسلمون على عداوة بعض الدجالين للإسلام[1]

سمعت الآن مساء يوم السبت ٢ صفر ١٣٥٧هـ من إذاعة باريس العربية

= «نشرنا في العدد السالف من هذه الجريدة خبر الاعتداء الشنيع الواقع بمدينة وهران على الأستاذ محمد السعيد الزاهري، ووعدنا بنشر كل ما يرد علينا من التفاصيل المتعلقة بهذا الحادث المزعج، الذي استاء وأسف له جميع العقلاء من المسلمين، وحتى من غير المسلمين.

أهم ما استفدناه إلى حد الآن أن الجاني لم يكن إلا منفذًا لأمر دُبِّر في خفاء، لإذاية الجمعية والطائفة الإصلاحية في شخص الأستاذ الزاهري، وأن الشرطة مهتمة بالقضية اهتمامًا وصلت به إلى إلقاء القبض على (اليد الضاربة)، وأوشكت أن تكشف الغطاء عن حقيقة القضية من جميع نواحيها، وأن الرأي العام بوهران هائج ناقم على المعتدي وعلى البغاة الذين اتخذوه آلة عمياء لقضاء حوائجهم الخسيسة، وتنفيذ أغراضهم الأثيمة.

نشرت جريدة «أوران ماتان» اليومية بعددها الصادر يوم الثلاثين جوليت، فصلًا إضافيًا حارًا؛ أمضاه فريق من الأعيان المسلمين احتجاجًا على عمل هذا الجاني ومن شاركه في جنايته بالقول أو بالفعل أو بغيرهما، وقد علقت الجريدة على ذلك الفعل بما يفيد أنها ـ وهي ترجمان الرأي الفرنساوي ـ ساخطة على كل من له يد في هذا الحادث أو حصة من مسؤوليته.

ونحن وإن وجدنا بعض السلوى في موقف أعيان وهران وصحافتها الفرنساوية؛ لا نفتأ نسجل بكل قوانا على السطو الوحشي الذي أسال دم ركن من أركان الإصلاح الديني والنهضة الجزائرية، ونشكو إلى الله دناءة وسفالة خصومنا، الذين يحاربوننا بالنميمة والوشاية، ويجادلوننا بالمدية والهراوة، وننتظر من الهيئة الحاكمة مؤاخذة المعتدي ومعاملته بما يستحق، واثقين برجال العدالة، وشاكرين كل من قام بواجبه».

(١) نشرت في جريدة «الحرية» المغربية، السنة الثانية، العدد (٦)، الخميس ٢٠ صفر ١٣٦٧هـ - ٢١/ ٤/ ١٩٤٨م، (ص١ ـ ٣).

أن الطاغوت الفرنسي السفاح نوكيس سافر إلى تونت من بلاد الريف القسم الواقع تحت عذاب الفرنسيين وقلد شيخ الطريقة الدرقاوية المسمى محمد بن عبد الرحمن وسام جوقة الشرف جزاء له على استخدام نفوذه في نواحي المغرب في خدمة فرنسة ضد الوطن، ضد الإسلام، ضد الإنسانية، هذا الشيخ رأى ـ طبعًا ـ ما حل بأهل المغرب في هذه السنة المشؤومة من عذاب الفرنسيين؛ من نهب وإجاعة وتقتيل وتعذيب بكل وسيلة جهنمية وصل إليها علم البشر، بالضرب وبالكهرباء وبالغازات المدمعة المعمية للعيون وبالحبس والنفي والأشغال التي لا تطاق، وخاصة ما فعله هؤلاء الأعداء ببيوت الله المساجد ومدارس القرآن وأوقاف المسلمين، فكان هذا الشيخ مع الفرنسيين على المسلمين المستضعفين الذين رحمهم كل أحد حتى غير المسلمين، فقد قرأت مقالًا أفاتتني الأشغال ترجمته ونشره في وقته، قرأته في صحيفة[1] «تايمس» البريطانية بقلم بريطاني يقيم بالمغرب، وقد شاهد حوادث الخريف الماضي من أولها إلى آخرها، ولم يملك نفسه أن أظهر رثاءه لحال أهل المغرب، وشهد أنهم كانوا منصفين ومحقين في جميع ما طلبوه، ومن هذا تعلم[2] أن عداوة من يتسمى بمحمد بن عبد الرحمن وينزل نفسه منزلة الله في قبول وإيجاب عبادته على أتباعه، أن عداوة هذا للإسلام والوطن أشد من عداوة المستعمرين الأوربيين، فمن يلوم المخلصين لدينهم ووطنهم إذا حاربوا هذا الدجال المفسد ومن على شاكلته من الذين هم عنوان اللعنة والغضب من الله والبلاء العظيم؟! فهل بعد هذا يلام الناس على إساءة الظن والحذر من كل شيخ طريقة

---

(١) في الأصل: «صحة».

(٢) في الأصل: «تلعم».

ومحاربة هذه النحل؟! وما رأينا هذا الصنف من الناس كثر وصار له سلطان ونفوذ في بلد إلا حقت كلمة العذاب على ذلك البلد، وصب عليه العذاب المهين من أعداء الإسلام المستعمرين، ومتى صارت كلمة الذين كفروا ـ وهم الفرنسيون ـ وأمثالهم العليا، وجعلت كلمة الله السفلى المضيَّعة المحقَّرة؛ فأي إسلام يبقى هناك؟ هل يوجِد الإسلام مع الاستعمار إلا لائم؟ لا، ألف مرة لا! وهل جاء الإسلام ليعلم الناس كيف يملأون بطونهم من طعام غيرهم وشراب غيرهم بالمكر والخديعة ويتخذون أكمامًا كالأخراج وعمائم كالأبراج من أموال البله؟ أهذا هو الإسلام الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة أعدائه السفلى، لتكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين؟ وهؤلاء المارقون يعملون ويدأبون لتكون العزة للشيطان ولأعداء الإسلام، ويبقون مع ذلك ليسوا[1] مسلمين أبرارًا فقط؛ بل أولياء الله ـ أيضًا ـ؛ بل خلفاء الله في أرضه، الذين يتصرفون في السماوات والأرض؛ فينزلون الأمطار أو يمنعونها، ويعطون الأولاد، ويبرئون المرضى ويمرضون الأصحاء؛ بل ويميتونهم إذا امتنعوا من عبادتهم والإيمان بهم!

أعود فأقول: قلِّب[2] طرفك في بلاد الله؛ هل ترى أمة فشا فيها هذا التدجيل ولم ينزل الله عليها غضبه العظيم ويدخلها جهنم الاستعمار؟ ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾[فصلت: ١٦].

أرجو من إخواني الكتَّاب أن يشهروا أقلامهم ويكتبوا في هذا الباب، ويحذروا

---

(١) في الأصل: «ليس».

(٢) في الأصل: «قلبك».

إخوانهم المسلمين من الدجالين، إلا من كان منهم يؤمن بالله ويجاهد في سبيله؛ مثل السنوسيين وأتباع الشيخ ماء العينين في جنوب المغرب، ويقل جدًّا مثل أهل هاتين الطريقتين الذين لم يبدلوا كلام الله في كتابه فيما أمرهم به من الجهاد ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾[البقرة: ١٩٣] لا لفرنسة ولا لغيرها من ذئاب الاستعمار، ونجد غالب المدعين في البلاد كلها من برقة إلى شنقيط إما مناصرين لأعداء الإسلام جهارًا بالأحياء ولا خوف لا من الله ولا من المسلمين كهذا الرجل السابق ذكره، وهؤلاء هم الأكثر، أو ساكتين خاشعين متماوتين، راضين بكفر الاستعمار ولعنته، جاهدين لاغبين في أكل أموال الناس بالباطل، على أن هؤلاء لم يصدر منهم جزء من ألف مما صدر من أولئك، وقد كان علماء المسلمين وأئمتهم يعيبون على الصوفية القعود عن الجهاد، والركون إلى البطالة، وترك العمل، والدعاء للظلمة من المسلمين عندما يهدون إليهم شيئًا، وهم في أربطتهم - زواياهم - خامدون، ومصاحبة الـمُرد، وأقوالًا شطحوا بها، ظاهرها مخالف لكتاب الله وسنة نبيه وما يعتقده المسلمون سلفًا من قتلٍ بسيف الشرع، فما بالك بمن بلغت به الوقاحة وعداوة[1] الله ودينه والمسلمين إلى أن يرى أعداء الإسلام بعدما أغاروا على بلاد المسلمين، وأبادوا خضراءها، وهدموا دينها ودولتها، ونهبوا مالها، وخربوا البلاد، وأهلكوا العباد، وسعوا في الأرض الفساد، ولا تخريب هولاكو وجنكيز وتيمورلنك، ولم يكتف بإثم السكوت والتخلف عن الجهاد؛ حتى انضم إلى أعداء الإسلام يعينهم على هدم الإسلام وإهلاك أهله والفتك بالمسلمين؟ ليس هذا المروق والارتداد والتدجيل من المسائل الجزئيات التي تقع من هؤلاء المدعين وتكون مخالفة للشرع فيكون تنبيههم عليها بالتي هي أحسن، وإرشادهم إلى الحق بالدليل، وإنما هذا كفر بواح

---

(١) في الأصل: «وعدواة».

ومحادة لله ولرسوله، وخيانة للدين وللوطن علانية.

يزعم نوكيس أنه بأعماله الشيطانية الملعونة يحافظ على حكومة السلطان، فهل عزله جلالة السلطان من الحكم داخل بلاده والحيلولة بينه وبين أمته، والاتصال بكل دجال وشيطان مارد ولص خائن وصعلوك مهين، وتقليدهم الأوسمة؛ هو من الحماية لحقوق السلطان أو الاعتداء عليها؟!

ـ أولياء الله:

أولياء الله هم الذين عذبوا بأنواع العذاب على يد السفاك نوكيس وثبتوا على إيمانهم، أولياء الله في قابون والريساني واغريس وقصر السوق وبوذنيب وغيرها من أماكن سجون العذاب، أولياء الله هم شهداء مكناس ومن بقي في الحياة ممن غيَّروا المنكر جهدهم، وأرخصوا النفوس النفائس، وقدموا صدورهم لرماح ونيران أعداء الله، وصدعوا بالحق ولم يتهيبوا، وباعوا تلك النفوس الكريمة المؤمنة لله، أولياء الله هم بنو بازغة الذين خيروا بين أن يرتدوا عن دينهم أو يعرضوا على[1] السيف والعذاب والموت الزؤام؛ فاختاروا الله وصدعوا بالحق، وسيخلد لهم التاريخ على صفحاته مجدًا يبقى مقدسًا إلى الأبد في حي بني بازغة الذي أنزل عليهم فيه عذاب الظالمين، يجب على الأجيال المقبلة أن تبني التذاكير، وتنصب الأعلام، وتشد الرحال لمشاهدة ذلك المكان المبارك[2]، أولياء الله هم الذين صدعوا بالحق وعرضوا أنفسهم للهلاك في فاس ومكناس والدار البيضاء ومراكش والخميسات وغيرها، القطب الأكبر هو محمد القري الذي جلده أعداء المغرب حتى مات مجاهدًا محتسبًا، وطريقة هذا القطب الرباني هي الموصلة إلى الله في أقرب وقت،

---

(١) في الأصل: «عن».

(٢) فيه ما يراه طلاب العلم! وجره إليه اندفاعه وحماسه!

ولم يكن ـ رضي الله عنه وأرضاه وأعاد علينا بركاته ـ مخترعًا لهذه الطريقة؛ بل هو متبع لها، وهي طريقة محمدية خالصة دخل فيها أصحاب رسول الله كخبيب ﷺ؛ وهو القائل:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع[1]

إن شهداء المغرب في هذه السنة هم بلا ريب في الدرجة التي تلي شهداء بدر وأحد[2]، هؤلاء هم أولياء الله: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾[الأحزاب: ٢٣ ـ ٢٤]، فأين السالكون إلى الله فهذه سبيله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾[الأنعام: ١٥٣] ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨]، فهل الدجال دجال وادي ورغة محمد بن عبد الرحمن متبع لهذا السبيل؟ فبأي وجه يلقى الله ويلقى نبيه محمدًا ﷺ هذا الخائن المهين؟ ولعمري! لو كان هذا الوسام من أحد سلاطين الإسلام، وكان محمد بن عبد الرحمن استحقه بغزوات استرد فيها بلاد المسلمين وأنقذها من أيدي العدو لما رضي الصوفية له ذلك؛ لأن الصوفي يعمل لله خالصًا بعيدًا عن الظهور وحب المباهاة بالأوسمة؛ كالجبارين الذين يريدون علوًّا في الأرض وفسادًا، وكيف والوسام آت من أكبر عدو للإسلام ولمسلمي المغرب خاصة، وهو ليس جزاء على

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٥ و٣٠٨٦ و٧٤٠٢).

(٢) فيه ما يراه طلاب العلم! وجره إليه اندفاعه وحماسه!

عمل صالح وجهاد في سبيل الله؛ بل هو جزاء على خيانة الله والمسلمين؟ ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾[الأنفال: ٧١] ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢ - ٦٣]، ألا يظـن محمد بن عبد الرحمن أنه مبعوث ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين؟ فهل يريد محمد بن عبد الرحمن أن يقدم على الله ووسام نوكيس على صدره؟ وهل يرضى أتباعه أن يكون لهـم أمام الله إمامًا؟ ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[الإسراء: ٧١ - ٧٢]، ما يُجِبْ محمد بن عبد الرحمن ربه إذا سأله عن ذلك الوسام الذي على صدره: ما هي اليد التي[(١)] وضعَته على صدره؟ ولماذا قلد ذلك الوسام؟ يوم يقوم الأشهاد، أيرجو محمد بن عبد الرحمن الورغي أن يقدم على الله بذلك الوسام وتتلقاه الملائكة بقولها: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا﴾[فصلت: ٣٠ - ٣٢]؟ يا ويله! إذا جاء شهداء مكناس يتقدمهم محمد القري ﷺ ودماؤهم تسيل من أجسادهم أمام الله والناس والملائكـة، وجاء هو يحمل وسام نوكيس؟ وقد جاء في الخبر أن الله يضحك إلى رجل جاهد في سبيل الله حتى قتل[(٢)]،

---

(١) في الأصل: «الذي».

(٢) ولفظه: «يَضحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَينِ، يَقتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ كِلَاهُمَا يَدخُلُ الـجَنَّةَ»، فَقَالُوا: كَيفَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ فَيُستَشهَدُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى القَاتِلِ فَيُسلِمُ، فَيُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ فَيُستَشهَدُ»، أخرجه البخاري (٢٨٢٦) ومسلم (١٨٩٠) واللفظ له.

فهل يظن محمد بن عبد الرحمن إذا قدم على الله بوسامه أن يضحك إليه وأن يكلمه؟ بل إن لم يتب ويعُد إلى الإسلام فسيكون من الذين لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

لا حاجة بنا أن نذكر ذلك الدجال وأتباعه بقول الله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾[المائدة: ٥١] لأنه ما أقدم على الجهاد في سبيل الشيطان مع نوكيس النجس وأعوانه المستعمرين حتى كفر بالقرآن كله واتخذه وراءه ظهريًّا ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[البقرة: ٢٦٩].

ـ مفترق الطرق:

مفترق الطرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان هو الجهاد، هو الإخلاص لله ولدينه ولأمته[1]، هو مجاهدة أعداء الله بقدر الطاقة، فمن شاء ولاية الله فقد حفت الجنة بالمكاره؛ فليختر الله ورسوله وكتابه والمسلمين، ومن شاء الشيطان فإنه لا يفلح الكافرون، ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[هود: ١١٣] قال أحمد بن حنبل: «لو لاق رجل الدواة لظالم لكان ذلك ركونًا إليه» يعني: إذا وضع ماء في الدواة يكتب بها الظالم ظلمه وحركها؛ فإنه يكون شريكًا له في ظلمه، هذا في الظلم المطلق؛ فكيف بأعمال نوكيس وأعوانه المجرمين؟! كل من سمع إذاعة راديو كولونيال ـ أي: الاستعماري ـ قد لعن ذلك الدجال وود أن لو قدر على إحراقه وإلقاء رماده في بيت الخلاء، وكل من يسمع معاونة شيخ يزعم أنه رئيس ديني للمستعمرين أعداء الأمة؛ يلعنه ويبصق في لحيته كائنًا من كان في الدنيا كلها.

قلنا: إن فرنسا عدوة الإسلام عمومًا والمغرب خصوصًا هي قسيم الجحيم؛

---

(١) في الأصل: «وللأمته».

فمن عاداها فقد زحزح عن النار[1]، ومن والاها فهو أكفر منها؛ لأنه مرتد، والمرتد شر من الكافر الأصلي، ولأنه كافر خائن لأمته، والفرنسي ليس بخائن لأمته، فالكافر الخائن شر من الكافر غير الخائن.

ـ الأمير شكيب، عبد الخالق الطريس، علال الفاسي:

هؤلاء الثلاثة تذكرهم فرنسة بسوء وتحاق عليهم، ويذكرهم الله بخير في الملأ الأعلى[2]، ويذكرهم المسلمون ـ ولا سيما أهل المغرب المخلصين ـ بخير ويمجدونهم؛ لأن أعداء أعداء الله هم أولياء الله وأولياء أوليائه، وأولياء أعداء الله هم أعداء الله وأعداء المؤمنين، هذا زمان محنة وابتلاء على أهل المغارب: المراكشيين والجزائريين والتونسيين؛ كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ[3] ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ[4] ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[العنكبوت: ١ ـ ٣]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[الأنفال: ٣٧]، فويل! ثم ويل! لمن يذكره الفرنسيون في مذياعاتهم أو صحفهم بخير، وويل! لمن يعلقون على صدره الخرب من الإيمان أوسمتهم التي يسخرون منه بها ويسخرونه ويشلونه كلبًا عقورًا على أبناء وطنه، ويل! له يوم الحساب؛ فإن أبناء المغرب الأحرار في يوم من الأيام سينبشون قبور الخائنين ويحتفلون بإحراق عظامهم وجعل رمادها مع القاذورات، فويل للخائنين!

---

(١) فيه ما يراه طلاب العلم! وجره إليه اندفاعه وحماسه!

(٢) فيه ما يراه طلاب العلم! وجره إليه اندفاعه وحماسه!

(٣) في الأصل: «فليعلمهم».

(٤) في الأصل: «ويعلم».

ولشيعتهم؛ إن زمان المحنة لا يدوم، ولن يصير المغاربة فرنسيين حتى يصير الفرنسيون زنوجًا وثنيين يأكلون لحوم البشر ويمشون حفاة عراة، بل ذلك أقرب وأهون من محو الشعب المغربي المجيد الذي له تاريخ كله مجد وفخار وآيات معجزات، لو بخع الفرنسيون أنفسهم ما استطاعوا أن يأتوا بمثله.

هو الفرد الذي شاع ذكره   يعز على من رامه ويطول[1]

إن الاستعمار باطل وأجل الباطل قصير، أما كان خيرًا لنوكيس أن يذهب إلى فرنسة ليساعد دلاديي على حل معضلات فرنسة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية من الفتك بأبناء المغرب الأعزل، هناك يظهر نوكيس شطارته؛ فهناك أدواء فرنسة وعللها القديمة والحديثة، يجب على نوكيس أن يقلد الأوسمة من يقدر على إيجاد علاج لداء سقوط الفرنك، وتطاحن العمال، وتضارب الإضراب، وهبوط عدد النفوس المستمر، وعدم الكفاءة الحربية؛ فإن أميركا تابت من حماية فرنسة إلى الله توبة نصوحًا، وبريطانية تقول: نفسي نفسي! وإسبانية جارة المغرب قد سقيت من دائها، وقامت على قدميها، ولن تكون لعبة بيد فرنسة تارة أخرى، والشمال الإفريقي -وخاصة المغرب- يتربص وينتظر الفرصة، لا ليغسل الدم بالدم، ويقضي الدين بالدين، كما يظن المستعمرون المتهوسون؛ بل ليغسل عنه العار، ويمد يده لأصدقائه، ويصوب بناءه لأعدائه.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٧].

تقي الدين الهلالي

* * *

---

(١) البيت في: «ديوان صفي الحلي» (٣٨).

* عصا موسى على رأس فرعون (١)[١]

للأستاذ الفاضل محمد تقي الدين الهلالي

نزيل الهند

﴿ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾[الشعراء: ٤٥] ﴿ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴾[الأعراف: ١١٨ ـ ١١٩].

إذا جاء موسى وألقى العصا فقد بطل السحر والساحر

زعم الضرير[٢] أن الغرب فتحوا مصر، وعلوا فيها، وعثوا في حقوق أهلها، وتفرعنوا وكانوا قومًا جبارين؛ اقتفاء لمن سبقهم من الطاغين، ونظمهم بلا حياء في سلك البغاة المعتدين؛ ليلبس على عامة الناس، ويؤدي الخدمة التي ترضي أولياء نعمته من الأجانب، ويوقظ في مصر فتنة كانت نائمة، ويقذف الشر والاختلاف في قلوب الدهاء، وكان موسى حاضرًا على مرأى منه ومسمع؛ فألقى عصاه فتلقفت ما أفكه، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[الأنبياء: ١٨]، كذلك فعل المجاهد العظيم الأستاذ عبد الرحمن عزام، وهذه إحدى عزماته العظام.

وقلَّما أبصرت عيناك ذا لقبٍ إلا ومعناه إن فكَّرتَ في لقبه[٣]

فقامت لذلك المكر الكبّار الذي مكره الضرير قيامة العرب، وقاموا على ساق الجد قومة عربية يجزون كلا الرجلين بما يستحقه جزاء وفاقًا؛ فرفعوا أولًا

---

(١) نشرت في مجلة «العرب» المقدسية، السنة الثانية، العدد (٥٩ و٦٠)، السبت ٨ شعبان ١٣٥٢هـ ـ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٣م، (ص١١ ـ ١٢)، وهذا العنوان من المجاز.

(٢) هو الدكتور طه حسين.

(٣) سبق توثيقه.

عاطر الشكر وطيب الثناء للأستاذ العزام لقيامه بالواجب خير قيام، وراشوا سهام العقاب لذلك الماكر، ليكون نكالًا لمن خلفه من أيدي الأعادي المحركة، وليس العرب كمن قيل فيهم:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانًا

كأن ربك لم يخلق لخشيته ... سواهم من جميع الناس إنسانًا[1]

بل هم كما قال قائلهم:

ولا يجزون من حسن بسيء ... ولا يجزون من غلظ بلين

ولا تبلى بسالتهم وإن هم ... صلوا بالحرب حينًا بعد حين[2]

فجعلوا على ذلك المفتعل حملة صحفية صادقة، واقترح بعضهم تحريق ملفقاته ليعلم أن أكل لحوم العرب لم يبق بعد هنيئًا مريئًا، فاستيقظ ذلك المخلوق من نومته، وأخذ يدرك سوء عاقبة فعلته، فكتب له مقال في الرد على الأستاذ عزام، وآخر وجهه إلى أبناء العروبة في بلاد الشام، وكان في كلا المقالين ـ كعادته ـ مماذقًا ومؤاربًا، إلا أنه في هذه المرة أسرف في التملق، فحاك حللًا جميلة ألبسها غول فتنته، ووارى بها شيطان تفرقته، ولما اطلعت على المقالين في الجزء (٥٢)[3] من صحيفة «العرب»

---

(١) البيتان في: «ديوان الحماسة» (١/ ٥).

(٢) البيتان في: «ديوان الحماسة» (١/ ٦).

(٣) في الأصل: «٥١»، والصواب المثبت.

ونشر المقالان في السنة الثانية للمجلة، العدد (٥٢)، يوم السبت ٢٦ جمادى الأولى ١٣٥٢هـ ـ ١٦ أيلول ١٩٣٣م، (ص٣ ـ ٥)، تحت عنوان: (العربية والفرعونية والمصارحة الجلية حولها): =

الغراء ـ على أني رهين الفراش ممتنع من العمل البتة ـ لم أملك نفسي من إملاء رد ـ ولو موجزًا ـ على مقاليه؛ قيامًا بواجب العروبة المقدس، فإني ـ بحمد الله (وإن كانت بلادي مراكش من عرائس البلدان، ذوات المجد القديم والسلطان) ـ لا أقول قول الماذقين: أنا فلاني أولًا، وعربي ثانيًا! بل أقول: أنا عربي أولًا وثانيًا وثالثًا ...إلخ الحساب؛ لأن الساكت على الباطل (كما قيل) شيطان أخرس، ذلك ليعلم الضرير أن ريحه لاقت أعاصير لا تحصى، لا إعصارًا واحدًا فقط، وليتجلى الحق لقوم يعقلون.

ـ الرد على المقال الأول:

الموقف الأول:

وقف ذلك الآدمي فيه متهكمًا بالأستاذ عزام في صورة مادح (يسر حسوًا في ارتغاء)[1]، ولست بمجيبه على ذلك لئلا أكون مفتاتًا على الأستاذ عزام، فلسان الأستاذ أطول من لسان هذا المخلوق، وقلمه أبلغ من قلمه.

الموقف الثاني:

مسح فيه السماء ليطمس دراريها، وزعم أن أحدًا لم يهاجم العرب، ولم ينكسر مجدهم، ولا غض من كرامتهم، وفي المثل: (إذا كنت كذوبًا فكن ذكورًا)[2]، أفنى

= الأول: بعنوان (بغي...) للدكتور طه حسين.

والثاني: رد عليه بعنوان (أليست مصر عربية) للأستاذ عبد الرحمن عزام.

(١) أي: يظهر أخذ الرغوة وهو يحسو اللبن، يضرب مثلًا لمن يظهر أمرًا، ويعمل خلافه.

(٢) أي: تذكَّر ما كذبتَ لئلَّا تَناقض فتخجل إن نبِّهت على كذبك.

ذلك الشخص ما أبداه لساناه[1] من بذاءة ودس وكيد وتهكم واختلاق في تاريخ العرب وآداب وأيـام العرب ولغـة العرب، ولم يستثن من ذلك محمدًا سيد العالم ومنقذ العالم بشهادة سادته الذين أعطوه العكاز وبهم يصول.

انظر! فلا عجب يومًا لمعتبر أشد من ذي عمى يسطو بقائده، وقد أقر القائد واعترف وأصر المقود على جحوده، ولم يستثن من ذلك القرآن الكريم الذي شهد له أربابـه واعترفوا بأنه[2] المعجزة الخالدة؛ على أن العرب لم يطردوه من الأزهر، ولا حرموه من شهادته؛ بل أباحوا له السحر الحلال يتعيش به، ويتأكل منه؛ فجزاهم جزاء سِنِمَّار، وكان كنودًا.

سـيقول الكنود: إن كل تلك المطاعن والمغامـز إنما قلتهـا في مقام التحقيق العلمـي، ولم أقصـد بهـا غمـزًا ولا همـزًا، حاسـبًا أن العرب أغبياء، لا يفقهـون هـذه المؤاربة الباطنية، إلا أنـه قـد أخطأ في حسابه، ونحن نكيل له بذلك الصاع نفسه، وننسج معه على ذلك المنوال عينه؛ فنقول: إن كل ما كتبناه ونكتبه في شأنه إنما هو تحريـر عملي[3]، وتحقيـق فكري، وقف بنا عنـده الدرس الطويل لسيرته، والبحث الوفي لجليته وسريرته؛ فحذار أن يغضب من العمل بسنة سنها، وبحكم شرعه.

فـلا تغـضبن مـن سـنة أنـت سِرتهـا   فـأول راضٍ سـنةً مَـن يـسيرها[4]

---

(١) العرب تقول: (القلم أحد اللسانين)، وانتقده بعض النحاة. (منه).

(٢) في الأصل: «بأن».

(٣) كذا في الأصل، وصوابه: «علمي».

(٤) البيت في: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٣٤) و«تاج العروس» (١٢/ ١١٦).

وحرية الفكر التي لا يزال يطالب بها، وسعة البال التي ما فتئ يسترعيها من شباب دمشق الغطاريف؛ يقضيان عليه أن يتصف بما التمسه منهم، ويتحلى بتيك الحليتين اللتين لا يسمح لأحد أن يخل بشيء منهما، وليذكر دائمًا قول أبي الأسود الدؤلي:

لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتَأتي مثلَهُ عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عَظِيمُ[1]

ولو فعل ذلك لم يكن بذيء اللسان، سبابًا للأحياء والأموات، طعانًا في السابقين واللاحقين، يغلي مرجله بأدنى شررة تصل إليه من خصومه.

تقريعه لصحيفتي «البلاغ» و«الشعب»:

عملًا بحرية الفكر، وحرية النشر، وعدم مصادرة الناس في آرائهم؛ بل في دفاعهم عن أنفسهم، همز ذلك الفيلسوف الكبير! صحيفة «البلاغ» الحرة التي لها قدم صدق في مصر والخارج همزات حادة، أما صحيفة «الشعب» الغراء فقد أجبرته فلسفته العالية أن يسبها وينال منها ويرميها بألوان الكذب والتجني، ولم ير أن ذلك مصادرة للناس في آرائهم ومذاهبهم ودفاعهم، فهكذا تكون الفلسفة والحكمة العالية وإلا فلا!!

قال ذلك الإنسان: «وقد أثار مقال صديقي عبد الرحمن عزام في دمشق حركة أو شيئًا يشبه الحركة!!! لو كنت مكانه لاستحييت؛ لأني كنت سببًا لإثارته، لأن إغراء الناس بالناس عمدًا أو من غير عمد، ودعوة الناس إلى الجناية على حرية الرأي عمدًا أو من غير عمد ليست من الأشياء التي

---

(١) البيت في: «ديوان أبي الأسود الدؤلي» (ص٢٣١)، وانظر: «جامع بيان العلم» (١/ ٦٧٤).

يبتهج بها...» إلخ.

في هذه الكلمات أباطيل وألاعيب؛ منها: استخفافه بهيجان شباب العرب في دمشق إلى جعل ثورتهم الأدبية شبه حركة فقط! إذا كانت حركة أولئك الأبطال ليست حركة وإنما هي شيء يشبه الحركة؛ فما هي الحركة؟! لعله لا يستحق عمل من الأعمال أن يسمى (حركة حقيقية) إلا إذا كان من فعلات هذا الإنسان، إذا لم تكن حركة حقيقية فلماذا أقضت مضجعه، وأقلقت باله، واضطرته إلا تملاق كثير لم يبده قط للعرب قبل هذه الحركة؟! كلا؛ سيعلم ذلك الشخص علم اليقين أن حركة العرب ليست من الحركات التي تتجاهلها أو تستخف بها الأمم، فضلًا عن الأفراد الذين ليسوا في العير ولا في النفير.

زعم هذا الشخص أن المجاهد الكبير، العلم الشهير، الأستاذ عبد الرحمن عزام؛ أتى أمرًا مخزيًا إمرًا، وشيئًا نكرًا، في دفاعه عن أمته، وأنه لو كان مكانه لاستحى وخجل من هذا العمل الشائن! واللبيب يعلم من جميع ما يقوله هذا الشخص أنه يسلك فيه سبيل الباطنية من المراوغات والمؤاربات ولا يبالي أن يتناقض في كل سطر، ويكذب نفسه بنفسه، ويتناسى في يومه ما قاله في أمسه، وإلا؛ فهلا استحى من سيرته المملوءة بالإثارات، والوساوس، وبث الفتن، وإغراء الناس بالناس، مما هو معروف ومشهور عنه من يوم بيَّت مع أربابه في فرنسا ما بيت؛ ليكون سوسة أو مكروبًا في جسم الشرق عمومًا، وفي جسم الإسلام والعرب خصوصًا، وفي جسم مصر المضطهدة بالأخص.

ويلبس مسك الضأن سيد عملس — لإهلاك أغنام وخدع رعاة

وهلا استحى من التذبذب في المذهب! فبينما هو كاثوليكي يؤمن بأكل

لحم المسيح وشرب دمه حقيقة لا مجازًا في فرنسا؛ إذا هو ملحد في الدرجة الأولى وداعية لذلك ـ أيضًا ـ، يقول في خطبته بالجامعة المصرية: «إن الإله لم يوجد بعد، ولكن العلماء حدثونا بأنه سيوجد، فما هو هذا الإله؟ هـو الرقـي! إذًا يمكننـا أن نقول: لا إله إلا الرقي! (قهقهة صاخبة مع لغط تجاوبت أصداؤها في جو القاعـة، واستكبار وتعال وشموخ من الخطيب البارع الذي جعل الكلمات في خطبته كلهـا مبنية على السكون وأراح نفسه من عناء الإعراب، هذا وهو يـزعم أنـه سـيبويه العصر)، ثم هو هذا يشهد على نفسه في النيابة أنه مؤمن ويقول: آمنت بـالله وملائكتـه وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن ما أصابك لم يكـن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، فلا يملك النظارة أنفسهم من أن يقهقهـوا كما قهقه سامعو خطبته بالجامعة على الخادم المصطنع، فلا هو نصراني، ولا ملحـد، ولا مسلم، فأناشده الله الثالث وهو الرقي! أليس هذا التذبذب موجبًا للخجل؟ بل لأن يئد نفسه ويدس جسمه في التراب؟

وأما التذبذب السياسي بين الأحزاب؛ فهذا أتركه لفرسان الميدان في مصر، فهم أعلم به، وما راء كمن سمعا.

أيريد من الأستاذ عزام أن يستحي ويخجل وسيرته من أولها إلى الآن لـبن حليب أو عسل مصفى، لا يجد فيها المتعقب من الدنايا ولا قلامة ظفـر؟ ولكـن إذا لم تستح فقل ما شئت.

نعم؛ كل ذلك وغيره مما شغل كاتب الشمال شغلًا مؤبدًا؛ لا يوجـب عنـد ذلك المتلوّن حياء ولا خجلًا، حتى إذا قام كاتب من وجوه الأمة يذود عن حماها من الذين يحق لهم أن ينشدوا:

أنـا الذائـد الحـامي الـذمار وإنـما ... يدافع عـن أحـسابهم أنـا أو مـثلي[1]

لكنو

محمد تقي الدين الهلالي

***

* عصا موسى على رأس فرعون (٢)[2]

للأستاذ الفاضل محمد تقي الدين الهلالي

نزيل الهند

قام ليزجر غرابًا نعب ليجلب خسرًا على نفسه، «وعلى أهلها براقش تجني»[3]،

---

(١) البيت في: «ديوان الفرزدق» (ص٤٨٨)، وفيه: «الضامن الراعي عليهم» بدل «الذائد الحامي الذمار».

والبيـت في: «الفوائـد الغياثيـة» (ص٥٠٥) و«إعـلام النبـلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٥/ ٤٦٠).

(٢) نشرت في مجلة «العرب» المقدسية، السنة الثانية، العدد (٦١ و٦٢)، السبت ١٥ شعبان ١٣٥٢هـ ـ ٢ كانون الأول ١٩٣٣م، (ص٩ ـ ١٠).

(٣) زعموا أن براقش ابنة تقن كانت امرأة لقمان بن عاد، وكان بنو تقن من عاد أصحاب إبل، وكان لقمان صاحب غنم، وكان لا يطعم لحوم الإبل، فأطعمته امرأته براقش من لحوم الإبل، فنحر إبلهم التي يحتملون عليها فأكلها، ثم قاتل إخوتها على إبلهم، فقيل: (على أهلها تجني براقش)، فأرسلت مثلًا.

والمثل في: «جمهرة العسكري» (٢/ ٥٢)، و«الميداني» (١/ ٣١٠)، و«المستقصي» (٢٤٣)، و«اللسان» (برقش)، و«الحيوان» (٢/ ٢١، ٢٦٠، ٢٩١)، و«البيان» (١/ ٢٦٩)، و«العقد» (٣/ ٥٤)؛ وعند بعضهم أن براقش كلبة نبحت جيشًا كانوا قصدوا أهلها وقد اختفوا، فلما نبحتهم عرف مكانهم، فاجتاحهم الجيش، فقالت العرب: (أشأم من براقش).

دون أن يضير العرب شيئًا، كأنه لا يعلم أن العرب هم الصخرة التي قال عنها التي قال عنها المسيح عيسى إلهه الثاني في الإنجيل: «من وقعت عليه حمته، ومن وقع عليها كسرته».

ما ضر بدر السما في الأفق تنبحه سود الكلاب وقد مشى على مهل[1]

لا يضر البحر أمسى زاخرًا إن رمى فيه غلام بحجر[2]

نعم؛ إذا قام أحد أبطالها يدافع عن أمته يكون في نظر الفلسفة العوجاء والمنطق الأعمى قد جاء شيئًا فريًّا، واقترف عارًا وشنارًا، وعبث بحرية الرأي (بل بحرية الطعن إن شئت الحقيقة)، واجترح الذنب الأكبر، الذي لا يغتفر.

ولعله أخذ هذه الحكمة من أربابه الفرنسيين؛ فإن فلسفتهم في استعمار البلدان، واستعباد الأحرار، وتخريب الديار، جارية على هذا المنوال، فهي تأمر من ساقه نحس جدِّه وأوقعه في ربقتها؛ أن يعمل بالإنجيل وإن كان مسلمًا، وتقول: «إذا ضربتُ أحدَكم على خدِّه الأيمن فمن المروءة والشرف وحسن الذوق والحكمة أن يدير إليَّ الخد الآخر لألطمه عليه ـ أيضًا ـ، وإذا سلبتُ أحدَكم قباءه فحتم عليه أن يتبعه قميصه، وإذا أمرتُ أحدَكم أن يسير معي ميلًا فليَسِر ميلين، وكلما عذبتُكم وأسأتُ إليكم فصلُّوا عليَّ واشكروا لي ولا تكفرون، واحذروا كل الحذر أنتدافعوا عن أنفسكم بقليل أو كثير؛ لأن ذلكم في نظر فلسفتي الاستعمارية إثارة شرور، وفساد، وفتنة، وتوحش، وهمجية، وعبث بحرية الرأي والفكر، وتعصُّب ممقوت، واحذروا أن تطالبوني بالعمل بما جاء في الإنجيل وإن كنتُ نصرانية؛ لأني دولة

---

(١) البيت بلا نسبة، انظر: «نشر العبير في منظومة قواعد التفسير» (٣٤).

(٢) «مجموعة المعاني» (٧٥) ونسبه للفرزدق، والبيت في «ديوان الأخطل» (١٧٥)، وإليه نسبه في «الدر الفريد» (٩/ ٢٢١).

قويـة، إحدى أساطين عصبـة الأمـم، وإنما يجـب العمل بالإنجيـل على أمثالكم المتوحشين».

وقد سمع العرب وأطاعوا وعملوا بالإنجيل دهرًا طويلًا، ولكنهم أخيرًا أخذوا ينتبهون إلى أن هذه المعاملة لا يرضى بها إلا الأذلان.

ولا يقـيم عـلى خـسف يـراد بـه ... إلا الأذلان عـير الحـي والوتـد

هـذا عـلى الخـسف مربـوط برمتـه ... وذا يـشج فـلا يرثـي لـه أحـد[1]

وقد شافه العرب الإنكليز والفرنسيين أنفسَهم ـ أعينَهم وآذانَهم ـ، كفاحًا في غير مداجاة، وقالوا لهم: زمان العمل بتلك الآية الإنجيلية قد انقضى، وجاءت نوبة العمل بالآية القرآنية ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾[الشورى: ٤٠]، وقول زهير:

ومـن لا يـذد عـن حوضـه بـسلاحه ... يهدم ومن لا يظلـم النـاس يظلـم[2]

والدكتور الذي أخذ الدكتورية في الأدب العربي من طماطم أعجام فرنسا؛ جدير أن يفهم هذه الحقيقة ويُنكِّب عن المراوغة جانبًا، وإن أشلاه مُشل على

---

(١) للمتلمس الضبعي في: «صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم» (١/ ٢٧٠)، «بلوغ الأرب شرح لامية العرب» (ص٣١ ط دار الحديث)، وأوردها ـ أيضًا ـ البحتري في «الحماسة» (ص١٩ ط الرحمانية) منسوبة إلى المتلمس، وبلا نسبة في «حياة الحيوان الكبرى» (٢/ ٢٣١).

(٢) «معلقة زهير بن أبي سلمى المزني»، انظر: «فتح الكبير المتعال إعراب المعلقات العشر الطوال» (٢/ ٢٦٧)، «جمهرة أشعار العرب» (١٦٧)، «الأمثال» لابن سلام (١١٣)، «عيار الشعر» (٨٣).

العرب؛ فخير له[1] أن يعصيه.

الموقف الثالث:

قال: «وأحب أن أقول للبلاغ ولصديقي عبد الرحمن عزام: أني لم أحجم عن الرد ولم أمتنع من المناقشة اعترافًا بالخطأ أو عجزًا عن الرد، وإنما عرفتُ نيَّة القوم فأعرضتُ عن جدالهم، وكرهتُ أن أشغل المصريين بالكلام الذي لا غناء فيه، وبالجدال في أمر لم يُرَد به وجه الله، ولا وجه آخر من هذه الوجوه المشرقة الطلقة، وإنما أريد به وجه قاتم مظلم، لا يستطيع أن يجلو نفسه للناس».

يقول هذا الإنسي: (وإنما عرفتُ نيَّة القوم فأعرضتُ عن جدالهم).

وكان مقتضى المقام أن يقول: (وإنما عرفتُ نيَّتكما يا أيها «البلاغ» ويا صديقي عبد الرحمن فأعرضتُ عن جدالكما)، فهذا وجه الكلام الذي لا يحتمل غيره، ولكن المراوغة أوحت إليه أن يجعل الظاهر في محل الضمير، ويحيد إلى ضمير الغيبة ويجعله ضمير جمع للإبهام، ومن ذا الذي يصدق أن صديقه ـ على زعمه ـ عبد الرحمن عزام له نية أخرى في مناجزته سوى نصرة الحق وإبطال الباطل؟! أوَمِن واجب الصداقة وصدقها أن يتهم الصديق صديقه بمثل هذه التهم؟!

إن عبد الرحمن عزام رجل من نبلاء مصر، يعيش معيشة الأشراف، بعيد عن التلوُّن، ومنصبه وحسَبُه يغنيانه عن التلون والمؤاربة، والناس يعرفون من يتعيَّش بالمؤاربة والنفاق، ومن ضاقت عنه سبل المعيشة فعمد إلى توسيعها بكل وجه، وتلوَّن لذلك ولا تلوُّن أبي براقش، فغُضَّ الطرف إن كان لك طرف أيها الشخص!

---

(١) في الأصل: «لهه».

يقول: (إنه لا يحب أن يشغل المصريين بأمر لا غناء لهم فيه).

بخٍ بخٍ! كل أمر شغلتَ به المصريين وأوقعتَ العداوة والفتن بينهم من زمان طويل؛ كان لهم فيه غناء، وهل جنى المصريون من وجودك من يوم هبطتَ مصر مرسلًا من باريس برسالة شرُّها مستطير إلا شرًّا وشؤمًا؟!

لقد جاوزتَ القصد في الرأفة على مصر كأنك سعد أو النحاس أو شيعتهما، وما أنت إلا آكل بما أمكن من طرق الأكل.

أما قوله: (لم يُرَد به وجه الله، ولا وجه آخر من هذه الوجوه المشرقة).

فهو بديع طريف، ما يريد بلفظ (الله)؟ أهو الذي كان يؤمن به في الأزهر؟ أم هو إلهه الثاني الكاثوليكي؟ أم هو إلهه الثالث؛ وهو الرقي؟ أم الرابع الذي آمن به في النيابة؟ فلا درَّ درُّه، لا در المخاتلة، كأنَّ كلَّ ما عمله في حياته لا يراد به إلا وجه الله، وأما ما كتبه المجاهد عزام و«البلاغ» فلا يراد به وجه الله! وهذا هو المضحك المبكي.

وقوله: (من هذه الوجوه المشرقة).

لعله يريد: وجوه الفرنسيين؛ فإنها بيض مشرقة اللون، وإن كانت قلوبهم حنادس حالكة، وأما الوجه القاتم؛ فلا ندري ما هو! ولعله الشرق المعذَّب.

الموقف الرابع:

يقول: «وإلا فإن صديقي عبد الرحمن عزام والذين يكتبون في «البلاغ» جميعًا ليسوا من الجهل بالتاريخ والغفلة من حقائقه بحيث يعتقدون أن حكم العرب في مصر قد كان كلُّه خيرًا وبرًّا، وعدلًا وإنصافًا، قد برئ من الجور والحيف، وخلص من البغي والطغيان، هذا كلام يقوله العامة وأشباه العامة...» إلخ.

سماعًا سماعًا! فهذا بيت القصيد، وهنا أصل المخاتلة، ومحط التحريف والمؤاربة.

أقول: إما أن يكون قد كان للدولة العربية حين حُكمها مصر نظام وشِرعة تسير عليها، وسواء أكانت هي الشريعة الإسلامية أم شيئًا آخر يفرضه فارض أولًا، فإن قال: (إن الدولة العربية كانت بلا قانون ولا منهاج) كذَّبه كل مؤرِّخ على وجه الأرض، وكان أول المكذِّبين له أربابه أنفسهم، وهذه شهاداتهم محفوظة عندنا، مَن طالَبنا بها أبديناها له، وإن اعترف بأنهم كانت لهم شريعة رضوها لأنفسهم، وحكَّموها في رقابهم وأموالهم؛ يبقى علينا أمر واحد وهو: هل كانت تطبَّق تلك الشريعة بحذافيرها تطبيقًا تامًّا في كل قضية حدثت في المملكة العربية أم كانت ـ أحيانًا ـ يسيء إليها بعض الحكام بعدم تطبيقها وتحكيم شهواتهم وأهوائهم؟ ولا شك أنه يقول: إنها لم تكن تحكَّم ويُعمل بها بتدقيق، ومن ذلك نشأ ما سمَّيناه جورًا وبغيًا وطغيانًا، ونسبناه للعرب.

ثم نسأله: هل هذا الخلل في تطبيق القوانين كان يخص مصر أم لا يقع منه في مصر إلا ما يقع في خراسان والعراق والبحرين ونجد وتهامة والمغرب والشام ومكة والمدينة اللتين هما أقدس مكان عند تلك الدولة؟ فإن قال: (كانت مصر من دون سائر المملكة الإسلامية قد خُصَّت بعدم العدل وبالجور والظلم والهضم) كذَّبه ـ أيضًا ـ كلُّ شيء، وإن قال: (إن الظلم وعدم تحكيم الشرع في بعض القضايا كان يجري في مصر كما يجري في بغداد ودمشق) فهذا ظلم الفرد لا ظلم الشريعة ولا ظلم الدولة ولا ظلم الأمة.

فهل يمكن يبلغ الجهل بهذا الشخص إلى أن لا يفرِّق بين ظلم الفرد وظلم الدولة، حتى يجعل ظلم فرنسا في المغرب الآن كظلم بعض الحكام في زمن الخلفاء

الراشدين والدولتين الأموية والعباسية؟ أيبلغ به الجهل والتجاهل أن ينكر أن مصر كانت من زمان الخلفاء آخذة أعظم نصيب من الحكم، وكانت من أعظم أركان الدولة العربية، ولم تكن تعامَل إلا معاملة عضو قوي من أعضاء المملكة الرئيسية؟ ألم يكن أهل مصر في مقدمة من حاصر عثمان وأنكر عليه أمورًا؟ فهل قام أحد من أشراف العرب في وجوههم وقال لهم: (لستم هناك، ارجعوا وراءكم فافلحوا شواطئ النيل، وادفعوا لنا الخراج، وإياكم أن تفكروا في شأن الخلافة)؟ ألم يكن المصري إلى جانب العربي شريكًا له في إسقاط دولة وإقامة أخرى؟ ألم يوصي النبي محمد ﷺ بأهل مصر خيرًا وهم كافرون بدينه، وقال: «**إن لهم رحمًا**»[1]، وهم أخوال إسماعيل بن إبراهيم جد محمد وإبراهيم بن محمد النبي ﷺ؟ ألم يأمر عمر بن الخطاب القبطي بضرب ابن عمرو بن العاص على رؤوس الأشهاد وجموع المسلمين من كل فجٍّ عميق؟[2] هذا وهو ذمي فكيف بالمصري المسلم؟ وهنالك قال كلمته الذهبية: «يا عمرو! متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا»[3].

لقد أساء هذا الرجل إلى مصر حيث يتظاهر بإرادة الإحسان إليها؛ إذ جعلها في عهد الدولة العربية أمة لخناء تلطم على وجهها، ولقد كذَب فيما خلقه لحاجة أجنبية في نفسه، ومن ذا الذي يجهل أن مصر كانت يدًا قوية من أيدي الدولة؟ ومن ذم تلك الدولة في تشريع أو حكم فقد ذم مصر؛ لأنها كانت من أشرف أجزائها، وأي طفل من أطفال أميركا يدرس التاريخ الإسلامي ولا يعلم أن الدولة كانت إسلامية لا أثر فيها للعصبية القومية؟ لو ذهبنا نعد العبيد الذين ابتيعوا من

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٣) من حديث أبي ذر.

(٢) القصة منكرة سندًا ومتنًا، أخرجها ابن عبد الحكم في «فتوح مصر» (ص١٩٥).

(٣) قطعة من القصة السابقة.

يد النخاس، ثم صاروا قوّاد جنود وأمراء يحكمون على العرب العرباء؛ لأعيانا الإحصاء، وكل ذلك يعلمه المراوغ المخادع.

ألم يقل محمد ـ صلوات الله عليه ـ: «**اسمعوا وأطيعوا وإن تأمّر عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة**»[1] أهذا كلام من يريد أن يجعل أمّته سادة وغيرها من الأمم عبيدًا كما يفعله الأوربيون اليوم؟ ألم يقل عمر بن الخطاب: «لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًّا لعهدت إليه الخلافة»؟ [2] أوجدتَ أمّة قبل العرب أو بعدهم أخرجت الديمقراطية الخالصة إلى العمل وأدهشت المؤرِّخين بأعمالها في ذلك مثلهم؟

لكنو

محمد تقي الدين الهلالي

البقية يأتي

* * *

* عصا موسى على رأس فرعون (٣)[3]

للأستاذ الفاضل محمد تقي الدين الهلالي

نزيل الهند

ما أضر العرب وشتَّت شملهم إلا إنكار حقوق أنفسهم، وإيثارهم وجبلتهم على الإنصاف، وعدم تمييزهم بين من يستحق المعاملة بالإحسان والبر ومن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣ و٦٩٦ و٧١٤٢) من حديث أنس.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٠) وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٤٢)، ومداره على علي بن زيد بن جُدعان؛ وهو ضعيف.

(٣) نشرت في مجلة «العرب» المقدسية، السنة الثانية، العدد (٦٣)، السبت ٢٢ شعبان ١٣٥٢هـ ـ ٩ كانون الأول ١٩٣٣م، (ص٧ ـ ٨).

لا يستحقها، فأطرِق كَرَا، إن النعامة في القُرى[1]، ودعِ اللَّبس.

إذا كان ظلم الأفراد تؤاخَذ به الأمَّة ويُنسب إليها؛ يكون كل ما يشكو منه أفراد المصريين وأحزابهم وجمعياتهم في عهد الوزارة الصُّدقية في عنق دولة النحاس باشا وحزبه؛ بل في عنق كل مصري، ولا يزيد عنهم إسماعيل صدقي باشا ووزراؤه بقليل ولا قطمير، وحينئذ يصح أن يقال: (إن الأمة المصرية والدولة المصرية ظالمة طاغية باغية)، بل متى وقع الظلم من مدير في أي مديرية أو محافظ أو عمدة أو شيخ بلد أو شرطي أو خفير؛ ينسب ذلك كلُّه إلى الأمة المصرية، وإن كانت لا ترضى به ولا يقِرُّه دستورها ولا شرعها، وهكذا يقال في بريطانيا وأميركا وفرنسا في غير مستعمراتهم، ثم يقال في كل دولة فيَعُم، وإذا عمَّت المصيبة هانت، فحينئذ لا يصح أن يتصف بالعدل والإحسان إلا دولة يكون موظفوها كلُّهم ملائكة معصومون ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

---

(١) تمام المثل: (أَطْرِقْ كَرَا أَطْرِقْ كَرَا؛ إِنَّ النَّعَامَةَ فِي القُرَى)، يُقال: الكَرَا هو الكَرَوَان نفسُه، ويقال: إنه مُرَخَّمُ الكروان، وجمع الكَرَوَان: كِرْوَان، ومثله: (فرس صَلَتَان) وهو النَّشِيط، و(صَمَيَان) وهو الصُّلْبُ، والجمع: صِلْتَان وصِمْيَان و(رجل غَذَيان) أي: نشيط، والجمع: غِذْيان ـ أيضًا ـ وكذلك: الوَرَشَان، وجمعه: وِرْشَان، قال الخليل: الكَرَا الذكر من الكِرْوَان، ويقال له: أطْرِقْ كَرَا إنك لن ترى. قال: يصيدونه بهذه الكلمة، فإذا سمعها يلبد في الأرض، فيُلْقَى عليه ثوبٌ فَيُصَاد. وقال أبو الهيثم: هو طائر شبيه البطَّة لا ينام بالليل، فسمِّي بضده من الكَرَى، قال: ويقال للواحدة: كَرَوَانة، وللجمع: الكِرْوَان والكَرَى.

يضرب للذي ليس عنده غَنَاء، ويتكلم فيقال له: اسكت وتَوَقَّ انتشار ما تلفِظ به كراهة ما يتعقبه. وقولهم: (إن النعامة في القرى) أي: تأتيك فتدوسُكَ بأخفافها. انظر: «مجمع الامثال» (٤٣١ ـ ٤٣٢).

الموقف الخامس:

قال: «وقد ضاقت مصر به (جور العرب)، وجدَّت في الثورة حتى ظفرت باستقلالها من السلطان العربي، وحتى كلَّفت الخلفاء من بين أمية وبني العباس عناء غير قليل، وإنه لَمِمَّا يُحزن أن يُحتاج إلى تقرير مثل هذه الأشياء... » إلخ الهراء والبهتان.

كلامه هذا استهزاء بالعلم والعلماء، وهو شعر وخطابة من أسمج الخطابات، وإقناع من أقبح ضروب الإقناع، ألا فليعلم أن مصر وهي مصر القبطية النصرانية التي كانت تحت سلطان الروم، لم يكن فتحها إلا شربة ماء باردة في القيظ من دجلة أو النيل، ولم تكلِّف العرب عناءً قليلًا ولا كثيرًا، بل سيدتها دولة الروم لم تكلف عناء كبيرًا فكيف بمصر؟ أما مصر العربية المسلمة فلم تكن إلا بلدًا من بلدان المملكة الإسلامية ولم تعمل في الثورة باسم مصر قليلًا ولا كثيرًا، ولم تكن في ذلك الزمان عصبية الأوطان قد ظهرت، وما كان الناس يعملون إلا باسم الأديان، وكل ما وقع من الثورات الدينية وإخمادها فلم تختص فيه مصر بمثقال ذرة.

وإن كنت للخطابة؛ فاذهب فاخطب، واجمع أطفال الأزرقة ولقِّنهم هذه الفِرى، نعم؛ إن الشرق الطِّفل أرض خصبة لترويج الأكاذيب والمخترعات، بالغة ما بلغت من الاستحالة، ولو ترجم هذا الكلام ونشر في مجلة أوربية لكان صاحبه مسخرة للساخرين، فثورة مصر على الدولة الأموية والعباسية من بنات غير.

إذا ما جِئْتَ جاءَ بناتُ غَيْرٍ ... وَإِنْ وَلَّيْتَ أَسْرَعْنَ الذَّهَابَا[1]

---

(١) بلا نسبة في: «لسان العرب» (٤/ ٥٣٣) (عبر)، و«المخصص» (٣/ ٨٩)، و«أساس البلاغة» (ص ٣١) (بني) و(ص ٣٣١) (غير)، و«تاج العروس» (١٢/ ٥٠٧) (عبر) و(١٣/ ٢٨٩) (غير).

وعجيب! كيف يستهزئ هذا بالعقول ويسخر من الناس فينشر هذا الخزي المبين ويغير[1] أمر التاريخ، ويجعل علمه خاصًا به؟ كأن التاريخ شيء رواه هو وحده عن شمهروش، ثم مات شمهروش ولم يخبر به أحدًا، أو كان يلقِّن قبائل إسكيمو في (الأرض الخضراء).

الموقف السادس:

اتهامه لكل من كتب في الرد عليه من المصريين بالجبن والنفاق، وأنهم يريدون شيئًا فيسلكون إليه طريق الذَّود عن العرب، ولا يستطيعون أن يسلكوا إليه طريقه الواضحة المستقيمة، ولو سلكوها لوجدوا شوكًا وحسكًا كثيرًا... إلخ تلك التهم، ولا يجمل بي أن أفتات على أولئك الأفاضل بالجواب عنهم؛ فهم أعلم بما يجيبون به.

الموقف السابع:

قال هذا الشخص في موضع آخر: «إن مصر أفنت بعض الأمم في نفسها».

يريد: العرب، وهذا ـ أيضًا ـ من الكذب البيِّن، وعَكْس الحقائق، فإن العرب هم الذين أفنَوا مصر وابتلعوها في أنفسهم؛ لعدلهم وإنصافهم وإحسانهم، ولم تستطع دولة قبلهم ولا بعدهم أن تفعل ذلك، وقد مرَّ على الإنكليز زهاء خمسين سنة في مصر، ولو أقاموا بها (لا قدر الله ذلك) ما أمكنهم أن يفنوا مصر في أنفسهم، وأن يميتوا لغتها وأخلاقها وآدابها ويُنكْلِزوها.

أما العرب فقد استطاعوا ذلك لا في مصر وحدها؛ بل في أقطار كثيرة كما هو معلوم، وهذا أوضح دليل على أن الفتح العربي كان رحمة خالصة، وأن

---

(١) في الأصل: «يعير».

أخلاق العرب ومعاملتهم للمفتوحين كانت كلُّها حنانًا وبِرًّا جذب إليهم القلوب جذبًا، حتى أنك اليوم لا تقدر أن تميز بين القبطي والنصراني العربي في خُلُق أو عادة أو ذوق، فصارت مصر منذ أزمان عربية خالصة، مُسلِمها كمسلمي العرب، ونصرانيُّها كنصارى العرب، وأهل الأرض لا يعدُّون مصر إلا عربية كما يعدون دمشق وبغداد، فعروبة مصر أمر واقع، أما السعي في محوها؛ فذلك ما لا تقدر عليه أعظم الدول في هذا العصر لو حاولته دولة، فكيف بفرد متلوِّن، لم يُعرف له مذهب ولا رأي ثابت، وإنما هو يدور كالمجنون(١) مع المنافع الوقتية حثيما دارت.

والدعاوى اليوم في مصر ـ ككل بلد أصيب في صميمه ـ كثيرة، ولا يزال الحابل مختلطًا بالنابل، وإذا طهَّر الله مصر من الدَّخَل، وأكمل لها استقلالها؛ تخفِت أصوات المنافقين الذين يحاربون مصر، ويدَّعون مع ذلك الإخلاص، ويَمنُّون على مصر، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[إبراهيم: ٢٠]. انتهى.

محمد تقي الدين الهلالي

لكنو ٢٩/ ٧/ ١٣٥٢هـ

❑❑❑

(١) في الأصل: «كالمنجنون».



القسم الخامس

تراجم شخصيات غير عربية

وفيه:

- عبدالله دَي: أخٌ مسلمٌ إنكليزي يسقط من صفوف الجهاد.
- خالد شلدريك في الهند: حديث له مهم عن الشؤون الإسلامية.
- إسلام أحد النبلاء العظام.
- إسلام السر توماس لودر برنتن.
- خطبة الدكتور جرمانوس في فضائل الإسلام.
- البارون عمر رولف النمسوي أسلم إسلامًا قاديانيًّا.
- احتفال إسلامي في لندن.
- ريكارد هارتمن؛ أستاذ اللغة العربية في جامعة برلين بريء من الطعن في العرب، وهو عالم حرٌّ.
- هل كان نابليون مسلمًا عندما كان في مصر؟
- ترجمة الأستاذ جوزيف ماك كيب.
- هل كان إمامُ طائفة (السِّيك) مسلمًا؟

* عبدالله دَي أخ مسلم إنكليزي يسقط من صفوف الجهاد[1]

نشرت مجلة «بيس ميكر» (عامل السلام) التي تصدر بمدارس (الهند) في جزء جمادى الثانية ١٣٥١هـ بقلم قطب الدعوة الإسلامية في أوروبة خالد شيلدريك ما نص ترجمته:

«مدير «ذي بيس ميكر»:

السلام عليكم: إشارتك المؤثرة في شأن صديقي العزيز وساعدي الأيمن المتوفى (إلى رحمة الله) السيد عبدالله دَي جعلتني أشعر بأنك تريد أن تعرف شيئًا من سيرته.

ولد في (جوهنسبورك) من جنوب إفريقية، وكان أبوه إنكليزيًّا وأمه هولاندية، فلذلك كانت لغته خليطًا من الإنكليزية والهولاندية في زمن صباه، وساح في الأقطار الشرقية؛ فجاوا وأستراليا وبولينسيا كانت مألوفة عنده مثل الهند أو إنكلند، وفي أثناء الحرب العظمى كان يعمل في العراق، ثم رجع إلى الهند، ثم جاء إنكلند فكان في (دوائر الاتحاد التجاري)، وهنالك عرفته لأول مرة فوجدته رجلًا قد ألقي عليه القبول؛ فلا يراه أحد إلا أحبه، فتحدثنا في شأن الإسلام، وفي سنة ١٩٢٩م أعلن إسلامه رسميًّا وتسمى بـ (عبدالله)، وكان جد فخورًا[2] بهذا الاسم[3]، وقد رسم ذلك الاسم في الرخامة المعلم بها قبره.

---

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، عدد (٣٢٥)، غرة رمضان المبارك ١٣٥١هـ، (ص١١).

(٢) في الأصل: «فخور».

(٣) قابل هذا باستنكاف بعض الخونة في الشرق أن يسمي أولاده بأسماء عربية؛ تعلم أنما يضفه هؤلاء الخونة من لفظ (الرقي والمدنية) غطاء من خداع يسترون به خيانتهم. (منه).

لقد أعانني بكل طريق ممكن، فما أشد حزني لفقده، وكان يزداد يومًا فيومًا إيمانًا وحبًّا في وقف أوقاته على مساعدة إخواننا الفقراء، وكان يسره أن يبذل ماله ووقته الثمين في سبيل الله، وكان الأطفال الصغار يحبونه، وأنا على يقين أنه لم يكن له عدو على وجه الأرض، وكتاباته تريك أنه كان شجاعًا شريف النفس، قلما يبالي بحملات الخصوم.

وكان يعلن بحرية كراهيته للغش والنفاق، فكانت حياته طاهرة نزيهة عن كل ما يوجب ملامًا، وكان داعية صدق إلى الإسلام ومبشرًا به، وما فتئ يؤثر بدعوته في كل من كانت بينه وبينه مخالفة.

مات فجأة؛ فكان فقده صدمة هائلة علينا جميعًا، حضر جنازته جم غفير؛ منهم: الكولونيل (ذي هن)، والنواب مالك، والسر عمر حيات خان تيوانا عضو مجلس الشورى لإدارة (سكرتارية) حكومة الهند، وممثلو السفارات الإسلامية، وكثير من تجار الهند، كل هؤلاء وقفوا جنبًا لجنب ما بين عربي وصومالي وإنكيلزي وغيرهم من المسلمين، فصلينا عليه الصلاة الأخيرة، ثم رأيت التابوت يدلى في القبر فاضطربت نفسي اضطرابة شديدة، فيا لهول ما رأيت! لقد خسرت أخًا عزيزًا وصديقًا بارًّا، فلا أجد ألفاظًا كافية للتعبير عما أحس به من الأسى.

كان عبدالله يتمنى أن يكون لأولادنا المسلمين مركز في الجانب الشرقي من لندن، وأن يرى جامعًا ومجتمعًا علميًّا لمسلمينا ومسلماتنا، وليس في وسعنا إلا أن نعمل على أمل أن نحقق ما كان يتمناه.

خالد شيلدريك»

لكنو ـ الهند

محمد تقي الدين الهلالي

* * *

* خالد شلدريك في الهند:

حديث له مهم عن الشؤون الإسلامية[1]

نشرت صحف الهند الإسلامية تفاصيل الحفاوة التي استقبل بها السيد خالد شلدريك رئيس الجمعية الأوروبية الإسلامية عند وصوله إلى الهند، وأحاديثه عن وقع هذه الحفاوة في نفسه، ونحن نترجم ذلك لقراء «الفتح» لأهميته:

الدكتور خالد شيلدريك رئيس الجمعية الإسلامية الغربية: رجل غيور وداعية عظيم إلى الإسـلام في أوروبا، وصل بمباي في الثاني والعشرين من نوفمبر فتلقاه في بلاد (ببير) جم غفير مرحبين بـه، وكانوا من جميع الطوائف، وكان هذا المظهر الجميـل للأخوة الإسلاميـة معتبرًا جدًّا عند الدكتور شيلدريك؛ فقد قال للذين اجتمعوا به: إن جميع الطوائف الإسلامية تلقوني ورحبوا بي يوم نزولي في بمباي، فامتلأ قلبي سرورًا بذلك، إن كان حضوري إلى الهند يقدر أن يجمع شمل المسلمين ويوفق بينهم فيجتمع كل واحد منهم مع أخيه على المحبة والأخوة الصادقة؛ فما أسعدني بذلك.

وقال صحفي عن وقع حفاوة مـسلمي الهنـد في نفـس ضـيفها: سـمح لي الدكتور خالد شيلدريك بلقائه في فندق (تاج محل) الذي يقيم به في ضيافة الحاج قاسم جيرز بهوي، فلما دخلت عليه في غرفته حياني بتحيـة الإسـلام، ثـم أذن لي بالجلوس وعرفني بأخ مسلم آخر وهو السيد خالد كنْرادْ سَمْسُون؛ الذي تشرف بالإسلام مع ابنة عمه صاحبة الـسمو (خـير النـساء) المنتميـة إلى سرواك، وهـو رفيق الدكتور في رحلته، وسألت الدكتور أن يتفضل بكلمات لتنشر بـين إخوانـه

---

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، عدد (٣٢٦)، بتأريخ ٨ رمضان ١٣٥١هـ (ص٦).

المسلمين؛ فلبى الطلب.

سألته عن سبب زيارته للهند؟ فأجابني بأنه جاء إلى الهند لشغل له؛ لأنه مشتاق إلى لقاء إخوانه المسلمين في الهند ـ أيضًا ـ.

ثم سألته: كم تريد أن تقيم في الهند؟ فقال: قد تلقيت كثيرًا من الدعوات من مختلف أنحاء الهند، ولكني لست على يقين أنني أستطيع أن ألبيها كلها؛ لأني لا أريد أن أطيل الإقامة في الهند.

وسبب استعجالي بالرجوع إلى أوروبا بأسرع ما يمكن: هو قرب انعقاد مؤتمر مسلمي أوروبا في جنيف في مايو سنة ١٩٢٣.

وسألته عن هذا المؤتمر؟ فقال: إنه أول مؤتمر يعقده مسلمو أوروبا، والغرض منه هو اتحاد مسلمي أوروبا كلهم، ويشمل الترك والروسيين، وسيدعى إليه المسلمون في الأقطار الأخرى لمشاركة إخوانهم، ولا يكون لهذا المؤتمر أية صبغة سياسية، فسينحصر كلام المتكلمين في أحوال الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر في أوطانهم الخاصة، ويعالج المؤتمر ـ أيضًا ـ الأمور التي تتعلق بالدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه في الغرب.

ثم سألته: أتتكرمون بذكر شيء في قبولكم للإسلام؟ فأجاب: قد ذكرت شيئًا من ذلك لوكيل صحيفة «كرونيكل» حين تلقاني عند وصولي، وإن أردت سأعيده بتفصيل أكثر: كان والدي قد قصد أن أكون قسيسًا، لكن من أول ابتدائي لتعلم اللاهوت فقدت كل ثقة في الدين النصراني، وصرت ملحدًا ماديًّا صرفًا، ثم رجعت إلى التدين والاعتقاد بالألوهية، وأخذت أتعلم الدين القياسي.

ومع أني ما قرأت عن الإسلام إلا ما في الكتب التي نشرها النصارى؛ وجدت

أن الدين الذي يتفق تمام الاتفاق مع أفكاري ليس شيئًا إلا الإسلام.

ثم سألتـه السؤال الأخير: ألكم رسالة خاصة للمسلمين في الهند؟ فتبسم الدكتور وقال: أنت تعلم أنني لست رجلًا عظيمًا، ولا أدَّعي أنني أصدر الرسائل، ولكن هنالك شيء أشعر به أشد الشعور، ولابدَّ أن أقوله؛ ألا وهو الحاجة القصوى للاتحاد وللتآخي بين جميع فرق المسلمين وأجناسهم، وفي مجيئي للهند أريد أن أصرح تمام التصريح بأن التفرق لا ينبغي بوجه من الوجوه، وعندي أن السنيين والشيعيين لا ينبغي أن يبقوا مفترقين[1]، وقد أديت صلاة الجمعة في المسجد الجامع، ثم بعد ذلك صليت في مسجد الشيعة؛ لأن الفرقتين كلتيهما إخواني. اهـ.

كراتشي (الهند) ٢١ شعبان ١٣٥١هـ

ترجمة محمد تقي الدين الهلالي

* * *

*** إسلام أحد النبلاء العظام:**

الإسلام يجيب على هراء القسيسين بالفعل دون القول[2]

نشرت الصحف الهندية ـ على اختلاف لغاتها ومقاصدها ـ النبأ العظيم؛ ألا وهو إسلام المستر ك. ل. كوبا من سكان لاهور، من آل هاركيش، من أعرق

---

(١) الواجب الاجتماع على الكتاب والسنة، وتحرير الخلاف بينهم، ولاسيما معايير قبول الأخبار، فهذا الخلاف هو أساس الافتراق، فلو وافق الشيعة على ما عند المحدثين من أهل السنة على ذلك، لتلاشى الخلاف أو اضمحل!

(٢) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، عدد (٣٤٠)، بتاريخ ١٨ ذي الحجة ١٣٥١، (ص١٣).

بيوتات هندو في الحسب والنسب، وعمه هو الذي كان وزيرًا لراجا كشمير إبان الفتنة التي وقعت بين المسلمين والوثنيين هناك، وهو الذي أذاق المسلمين ألوان العذاب.

في أول مارس ۱۹۳۳ اهتزت مدينة لاهور لأجل إسلام هذا الرجل العظيم هو وزوجته وولداه، ووقع احتفال عظيم بإسلامه في الجامع الكبير، حضره خلق لا يحصون؛ نخص بالذكر منهم: الدكتور محمد إقبال والسير فيروزخَانْ نون والنواب شاه نوازخان والنواب مولى بخش، وقد تسمى المستر كوبا بـ (خالد)، وزوجته بـ (حسن أدا)، وكذا الولدان سميا باسمين إسلاميين.

- إشارة إلى مناقب المستر خالد:

والمستر خالد قانوني عظيم كبير، له تآليف باللغة الإنكليزية نالت إعجاب العالم المتكلم بهذه اللغة؛ منها: «العم سام» قصة بديعة رد بها على قصة لمؤلفة إنكليزية نالت فيها من الهنديين، فكانت قصته كعصا موسى تلقفت ما أفكت تلك المؤلفة وأبطلت كيدها، وكان محررًا لصحيفة أسبوعية مصورة من الدرجة الأولى اسمها «صندي تايمز»، وزوجته متعلمة تعلمًا راقيًا ومهذبة، ولا تزال مقالاتها تنشر في الصحف الإنكليزية وفي الصحف الهندية، وتنال إعجاب القراء وتقديرهم، ووالده كان من مشاهير الرجال الذين قاموا بجلائل الأعمال؛ فكان ماليًّا كبيرًا أسس عدة مصارف (بنوك)، وأنشأ عدة معامل، وكان وزيرًا لحكومة بنجاب، فنهنئ هذا الأخ الكريم بما أنعم الله عليه من الهداية، وقد أضربنا صفحًا عن ذكر الخطب التي ألقيت في الاحتفال، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام.

- إسلام مدير أعظم صحيفة في الهند:

في ٢٦ شوال ١٣٥١ تشرف بالهداية إلى الإسلام الصحفي الكبير المستر م. بول دير الإنكليزي على يد الحاج قاسم علي جيروز بهوي، وتسمى بـ (محمد حامد دير)، وهو مدير جريدة «تيمز أوف إنديا» التي تصدر في بمباي، وأول علاقة وقعت بالإسلام حين كان[1] مساعدًا لمدير صحيفة «أجيشان غزيت» بالإسكندرية قبل سبع سنين، وفي رجوعه إلى أوروبا استمر على درس القرآن والحضارة الإسلامية العربية حتى اقتنع بأن الإسلام هو الدين الذي يتفق مع معارفه وعلومه، وتسمت زوجته بـ (مريم)، وولده الصغير عبد الكريم، وتكلم المستر محمد حامد فقال: إن الإسلام الذي يؤثر في القلوب المتعطشة للحق ويأسرها بمحاسنه قد يعرض من يتبعه لبعض الأخطار؛ ليعلم صدقه وحسن بلائه، وأني لا أفكر البتة في وظيفتي أتبقى بعد الإسلام أم تزول. قال الراوي: لقد ذكَّرنا المستر محمد حامد بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين كانوا لا يبالون بما لقوا في سبيل الله وقاسوا العذاب الأليم على أيدي أعداء الإسلام، ولكنهم بقوا ثابتين على دينهم الإسلام دين العالم.

وقد أخذ شريط مخيل (فلم سينما) للحفلة أثناء إمضاء المستر محمد حامد صحيفة إسلامه بحضرة القاضي وجماعة من الأعيان، فنهنئه بالإسلام، ونهنئ المسلمين بهذا الأخ الكريم، اللَّهمَّ! ثبتنا على دينك واجعلنا من أنصاره حتى نلقاك؛ آمين.

لكنو ٢٧ ذي القعدة ١٣٥١هـ

محمد تقي الدين الهلالي

* * *

---

(١) سقطت من الأصل.

* إسلام السر توماس لودر برنتن[1]

أرى العَنْقــاءَ تكـبُرُ أنْ تُـصادا فعانِـدْ مَـن تُطِيـقُ لـه عِنـادا[2]

ننشد هذا البيت بين يدي هذه البشرى التي نريد أن نزفها للقراء، ونوجه إليها نظر المنفرين وأشياعهم الذين يحاولون عبثًا ضد سيل الإسلام الجارف، ويحسبون أن محاولاتهم تقف سدًّا في سبيله، وقد يفرحون فرحًا جمًّا إذا صادفوا واحدًا من ملايين ممن ينتسب إلى الإسلام بلسانه؛ وهو ليس منه في قبيل ولا دبير، فيستهوونه بأنواع الحيل وبذل المال، فينخدع المغفل ويتبعهم لجهله بالإسلام، ويعدون انخداع هذا المغفل غنيمة عظيمة، نرجو من هؤلاء أن يقرؤوا بإمعان ما يلي:

انضم إلى الأخوة الإسلامية السر توماس لودر برنتن المتخرج في جامعة أكسفورد، والحاصل منها على شهادة. M.A، والحاصل على شهادة. F.R.S من جامعة أدنبره، والحاصل على شهادة. F. E.C.E (كُبر ميل).

ولد سنة ١٨٦٦م، ولما مات أخوه ورث لقب (بيرونت)، كان رئيس مهندسي السكك الحديدية في السند وبنجاب ودهلي، وأقام في هذه الوظيفة ٤٦ عامًا، وهو مالك لمقاطعة في مونتريل (كندا)، وهي ولاية واسعة، له تسعة أولاد: خمسة منهم ذكور، وأربع إناث، كلهم يشغلون وظائف عالية، وقد صنف كتبًا عديدة، وشارك في تحرير صحف شتى، وكان يسكن في نواحي هوشياربور وشيخوبورا وكرداس بور من أعمال لاهور، وسكان هذه البلاد من البارية عبيد أو عباد البراهمة، فتأثر

---

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السادس، عدد (٢٨٢)، بتأريخ ١٤ شعبان ١٣٥٠هـ (ص٨).

(٢) البيت لأبي العلاء المعري في: «سقط الزند» (ص١٩٧) و«الدر الفريد» (٣/ ٣١٠).

بالسكنى بينهم من حيث المعيشة، فصار يعيش عيشة ساذجة في غاية البعد عن البذخ، ولم يزل يبحث في الأديان عن عقيدة تتفق مع معارفه الواسعة، وقضى في ذلك زمنًا طويلًا، ولم يجد ضالته المنشودة إلا في دين الإسلام دين الفطرة، فعند ذلك نبذ عقيدة التثليث وأقبل على عقيدة التوحيد.

ونتحف القراء برسالة كتبها بيده إلى السيد أمين الدين محاسب بنك لايد؛ يذكر له فيها ما عزم عليه من التشرف بدين الإسلام، وقد أذيعت في جريدة «انقلاب» اللاهورية:

«صديقي السيد أمين الدين:

أشكرك كثيرًا لأنك أرسلت إليَّ تكرمًا منك ثلاثة أجزاء من المجلة الإسلامية «Islamic Revue» «إسلاميك ريڤيو»؛ فقد لذَّت لي مطالعتها فعكفتُ عليها، وخرجتُ منها بفوائد نفيسة، ولا يزال الحديث الذي دار بيني وبينكم في الأسبوع الماضي حين شرفتم منزلي راسخًا في ذهني، ثم لقيت بعد ذلك الدكتور أمير الله شاه، فأخبرته أنني عزمتُ على ترك دين التثليث، واخترتُ الدخول في دين التوحيد، لذلك يمكنك أن تعلن إسلامي في أي مسجد تريده يوم ٦ نوفمبر الجاري (الجمعة ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٥٠)، وأعلمني بذلك وعَيِّن الوقت الذي أصل فيه إلى المسجد لأعلن إسلامي على رؤوس الأشهاد، فقد أيقنت أن دين الإسلام أفضل من جميع الأديان، وفيه من الأخوة ما لا مطمع فيه في غيره، ولم أزل متعطشًا لمثل هذه الأخوة الحقيقية، فلم أظفر بها إلا في الإسلام، وأنا أصرح ولا أستحي أنني ما كنت متبعًا قبل الآن إلا خيالًا غير حقيقي، والآن فقط وجدت الحقيقة، وقد وجدت في الإسلام لذَّة روحية عجيبة لا تحصل إلا فيه؛ بل الإسلام فوق ما أقدر على وصفه، ألا إني أشعر وأتيقَّن أن في الإسلام قوة روحية عالية تسيطر على الإنسان

وتجربه على الأخوة الصادقة هو الأمر الذي لا يوجد في أي دين سواه، فأرجو من إخواني المسلمين أن يمدوني بما يرون من النصائح لأزداد هدىً وتوغُّلًا في الدين الحنيف، وأعدكم أني أتبع الإسلام كخادم حقير ولا أقول أكثر من هذا؛ لأني أعلم أنني لا أستطيع أن أشكر نعمة الإسلام وإن بالغتُ في العمل.

فالحمد لله الذي نوَّر قلبي بنور الإيمان، وأخرجني من ظلمة الكفر، ولا أنسى أن أشكر كل من تفضل عليَّ بإرشاد، بل أشكر جميع المسلمين، والسلام».

ووقع الاحتفال بإسلامه في المسجد الجامع لعالم كيرو أورنك زيب في مدينة لاهور، وبلغ عدد المحتفلين ستين ألفًا.

ـ إسلام الدكتور جوليس جرمانوس:

لم أجد فرصة لكتابة كلمة أخرى في إسلام هذا الرجل العظيم، ولعلي أفعل ذلك في الأسبوع التالي ـ إن شاء الله ـ.

لكنو (الهند) ٢٢ رجب ١٣٥٠هـ

محمد تقي الدين الهلالي

* * *

*** خطبة الدكتور جرمانوس في فضائل الإسلام[(١)]:**

رفعتُ من قَبْلُ إلى إخواني ـ قراء «الفتح» ـ كلمة في سيرة الدكتور جرمانوس[(٢)] وإسلامه، ووعدتهم بالسعي في الحصول على خطبته النفيسة التي

---

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السادس، العدد (٢٨٧)، بتأريخ ٤ شوال ١٣٥٠، (ص٨).

(٢) هو المسلم المَجَري الشهير عبد الكريم جرمانوس، وظفرت له بمقالة بعنوان: «قصة =

ألقاها بلغة القرآن في دهلي في محفل عظيم.

ووفاء بذلك الوعد؛ كتبتُ إلى حضرة الدكتور راجيًا منه أن يتحفنا بتلك الخطبة؛ لتنشر على أعمدة «الفتح»، وتقرَّ بها أعين القراء الكرام، وتسخن بها أعين أعداء الإسلام والسلام؛ فبعث جوابًا لطيفًا يفيض محبة وأُخُوَّة، وإن لم يشتمل على ألفاظ الخطبة التي خطبها في دهلي، فقد اشتمل على معناها وزيادة، وها أناذا مرسل بجوابه نفسه بخطِّ يده إلى «الفتح»؛ لينشر بنصِّه عقب هذه السُّطور.

لكنو (الهند)

محمد تقي الدين الهلالي

بسم الله الرحمن الرحيم

* أستاذي المحترم:

أيُّها الأخ في الإسلام؛ السلام وبركة الله عليكم.

أما بعد؛ استلمتُ كتابكم اللطيف، مكتوبًا باللسان العربي الذي تعلَّمتُه من نفسي، بلا أستاذ لي، وبدون معاونة من الناطقين بالضاد.

كان لي أستاذ كريم الشأن عظيم، دخل في قلبي أول ما أخذ بدماغي، وألهمني لأتوفر لتعلُّم[1] كلمة الله، وكان هذا الأستاذ: القرآن الكريم وحديث النبي ﷺ.

إني غير عارف اللسان العربي إلا قليلًا، ولا أتكلَّمه قط، كنت شائقًا إلى تاريخ

= دخولي في الإسلام» منشورة في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الرابعة، الجزء الثامن، بتأريخ شوال ١٣٦٩هـ ـ غشت ١٩٥٠م، (ص١٩ ـ ٢٢) نقلًا عن «المجلة الإسلامية» الإنكليزية، ترجمة الأستاذ أحمد الحرشني.

(١) كذا في الأصل! وصاحب الكلمات أعجمي، وفي تركيب الألفاظ ما ترى!

الشرق منذ شبوبتي، وهذا الشَّوق ساقني إلى تتبُّع التواريخ والأديان الشرقية، وخلال تحرِّياتي أثَّر فيَّ الدِّين المبين ـ الإسلام ـ تأثيرًا عميقًا لا يقبل تعريفًا، وجذبني إحساس الأخوَّة الذي يحيَى ويقوَى في قلوب المسلمين، وكان تحت هذا التأثير أني ابتدأت تعلُّم لسان القرآن الكريم.

معرفتي في اللسان قليلة جدًّا، أما حبِّي للدِّين وللمسلمين فبدون حَدٍّ، وتكون هذه المحبَّة التي ساقتني إلى دهلي، وجعلتني أورد خطبة في محفل الجامعة الإسلامية، وبعده في اللسان العربي أمام جماعة في مسجد الجمعة بعد صلاة الظهر، ليس لي فضل على أحد لا في علم ولا في معرفة، وإن اكتسبتُ ألطاف الناس ولفتُّ أنظارهم إليَّ؛ فقد صدر هذا من تجانس إحساسنا، وإن جذبت خطبتي تقدير السامعين، وأخذت خاطرهم؛ فإن الفضل لهم لا لي.

يُلْهَمُ الإنسان الودَّ والاعتقاد، وكانت هاتان القوَّتان الوازع الكبير الذي حرَّكني في كلامي، وقرَّبني من قلوب إخواني المسلمين.

كتابكم العزيز القيمة؛ سرَّني تمام السرور، ووثَّق العُرى بيني وبين العلماء المسلمين، وعقد محبَّتي لجماعتكم المتعلِّمة، خذوا تشَكُّري من صميم قلبي.

أما ما يختص بمتن خطبتي التي ألقَيتها في مسجد الجمعة؛ فأتأسَّف كل تأسُّف لأني أملك منها نسخة، كتبتُها على كاغذ أخذه مني ـ بعد إلقائها ـ أحد الحاضرين ليرسلها إلى مكة المشرَّفة لجريدة، ويحتمل أن قد نُشرت فيها.

كانت زبدة خطبتي أن محمدًا ﷺ كان نبيًّا أنار ظلمة العصور بنبوَّته، وإن أردتَ برهانًا ماديًّا لهذا؛ انظر إلى تاريخ البشر برهانًا!

أجل؛ إنَّه نشر الدِّين بسرعة البرق، وحرَّر الأمم من جهلهم، وأعطاهم

مَدَنيَّـة تفوَّقت وأكملت المدنيَّـات القديمـة، وظلَّ الإسلام قـوَّةً حيَّـةً في وُجدان الناس؛ هـذَّب أخلاقَهم، أمـر ونهـى، ورفع الإنسان من درجـة سفيلة إلى رتب الإنسانية العُلى، وأصبح الإسلام سائقًا لتكامل العلوم والفنون والصنائع النفيسة.

تاريخ الإسلام طريق طويل من أحوال الهمجية نحو حالة التديُّن والتمدُّن، لا يُعقل أن تبدُّلًا فجـأة كهذا يمكن أن يحدث بغير وحـي إلهـي، يتمركز في ذاتيَّة النبي ﷺ، وكما كان في الماضي ينبغي في المستقبل، إن الإنسانية تُبنى على بنية التقوى والتديُّن اللَّذين لا يخالفان، بل يعاونان الترقي الإنساني.

تراءى لي أنه كان من واجبي إلقاء وبثُّ آراء كهذه؛ لأجل أن أشدِّد حسيَّات الدِّين في قلوب المسلمين، في حين أن نشر الشكِّ والرَّيب فيهم يضرُّهم ويدمِّر أخلاقهم أولًا، ويزلزلهم ثانيًا.

يا أستاذي المحترم! كان هذا كُنه خطبتي، وإن ظننتم أن ذيوع هذه الآراء يفيد مصلحة المسلمين؛ فانشروها في أيِّ شكل وفي أيِّ مكان أردتم، وأنا شاكر لكم.

ومن البعـد الذي يحول بينـي وبينكـم؛ أحس أن قلوبنا تخفق بالمَودة، وإنْ أخطـأتُ في الصرف والنحو اغفروا لي؛ فإني ما أخطأتُ قطُ في صميمية حسيَّاتي نحوكم، أرجو من الله ـ تعالى ـ أن ينزِّل بركاته عليكُم في جهدكم؛ لتهذيب الأخلاق وتنوير العقول.

كتبه الفقير المخلص، طالب العلوم التاريخية

دوكتور جولبوس جرمانوس

❊ ❊ ❊

* البارون عمر رولف النمسوي أسلم إسلامًا قاديانيًّا[1]

اقتراحٌ مُوجَّهٌ إلى مجلة «نور الإسلام»، وإلى جمعية (الشبان المسلمين):

قالت صحيفة «Light» القاديانية الإنكليزية بتأريخ ١٦ فبراير ١٩٣٣م:

البارون عمر رولف إرنفلز؛ رجل نبيل، ومثر ذو أراض وضياع، دخل في الإسلام منذ ثلاث سنين، وهو الآن مقيم في دهلي لأيام قليلة ضيفًا كريمًا عند السر فاضل.

والبارون إرنفلز جاء لقضاء حاجة في الهند، وتلك الحاجة هي طلب المساعدة على ترجمة القرآن باللغة الألمانية، والمولوي صدر الدين ـ مؤسس مسجد برلين ـ والدكتور منصور مشتغلان الآن بإعداد الترجمة[2].

ويوجد في الوقت الحاضر عِدَّة تراجم للقرآن الكريم بالألمانية، ولكن ليس فيها واحدة ألَّفها مسلم، وكان ينبغي أن يقيم البارون في الهند زمانًا كافيًا؛ إلا أنه يريد الرجوع إلى بلاده النمسا ليتم عمله.

والبارون إرنفلز يستعدُّ لتأليف إرسالية تدعو إلى الإسلام، وبناء مسجد في عاصمة وطنه (ڤينا)، وقد أنشأ جمعية الثقافة الإسلامية في (ڤينا) قبيل سفره إلى الهند، وله مقصد آخر في التجول في الهند؛ وهو الازدياد في العلوم الإسلامية.

---

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، العدد (٣٣٧)، بتأريخ ٢٧ ذي القعدة ١٣٥١هـ، (ص٩ ـ ١١).

(٢) مولوي صدر الدين والدكتور منصور كلاهما من القاديانية، ومسجد برلين ـ أيضًا ـ مسجد قادياني. (منه).

ـ خطبته في دهلي:

خطب البارون إرنفلز بالإنكليزية في جمع عظيم في بستان الملكة بدهلي عشية أمس (١٥/ ٢/ ٣٣)، ومما قاله في بيان سبب إسلامه:

إنني ما تعلمت شيئًا من الإسلام عند أي رجل حكيم، وكلُّ ما عرفت إنما هي التعاليم الإسلامية البسيطة[١]، والذي أثَّر عليَّ أكثر من كل شيء من هذه التعاليم هو الاعتقاد الحق بتوحيد الله ـ تعالى ـ والأُخوة الإسلامية؛ هذان الأمران هما اللذان قاداني إلى الدخول في هذا الدين.

وأوَّل علاقة وقعت بيني وبين الإسلام: أني كنت صغيرًا، فدخل علينا أبي يومًا البيت، وأخبرنا بأن حربًا عظيمة وقعت في إفريقية، وتلك الحرب هي غزوة إيطالية لطرابلس، ولكني لم أَدْرِ لأَيِّ الفريقين المتحاربين أميل.

قال: فنظرتُ إلى أبي؛ وكانت له لحية عظيمة، وكانت تلك هي العادة في بلادنا، وتذكرتُ أني رأيت صورًا لأسارى من الترك ولهم لحى مثل لحية أبي؛ فلذلك سرعان ما شعرتُ بالميل إلى أهل طرابلس، لكن كان يعتريني شك: هل الترك نصارى يؤمنون بالمسيح ويتبعونه أم لا؟ فلذلك كان عندي تردد في الميل إليهم.

ثم شرعت في تعلُّم الدين الإسلامي، والفضل في إسلامي يرجع إلى شعور أبي؛ فإنه كان فلسفيًّا دينيًّا، فقادنا ذلك كلينا إلى الإسلام، ثم شرعت أتعلم سائر الأديان؛ كالبوذية، والتاوتوية ـ عقيدة الصينيين ـ، والعقائد الوثنية الهندية، وأديان

---

(١) استخدامها غير صحيح، وللهلالي كلمة قوية في ذلك، تنظر في: (الحديث وعلومه) رقم (١٩) من جمعنا لـ «مقالاته».

أخـر، ووجـدت في كل من هـذه الأديان خصـالًا حميـدة، ولكن ما جذبنـي إلا الإسلام.

ـ درس في تركيا:

وأول ما عرفت قيمة الإسلام حين زرت تركيا؛ فلم أجد هناك فَرْقًا بـين الغني والفقير، ولا بين أصحاب المناصب العليا وعامة الناس؛ بل وجـدتُ بـين الجميع أخوة صادقة، لكني مع ذلك لم أستطع أن أدخل في الإسلام حينئذٍ؛ لأنـه لم يكن هناك مسلم يتكلم بالألمانية ـ أي: لم يسلم أحد من أهل ألمانيـا ـ، فرجعـت إلى ألمانيا، وصارت بيني وبين الإرسالية الإسلامية[1] علاقة، فأُعْجِبْتُ بتفاصيل الـدين الإسلامي وبعض عادات المسلمين، وفي بعض نواحي أوروبا مَن له ميل جـلي إلى محاكاة أهل البلاد الإسلامية في بناء البيوت وأثاثها.

وأمر آخر كنتُ أحبه كثيرًا؛ وهو سماع قراءة القرآن.

ثم قال البارون: إنني تأثرت جدًّا بالترحيب والإكرام الذي لقيته في الهند.

وبعد أن تكلَّم على أمور مختلفة؛ قال: يجب على المسلمين أن يُدرِّبوا أولادهم على الألعاب الرياضية ليكونوا أقوياء، ويجب أَنْ تكون النساء مساعدات لأزواجهن حسب ما هـو مبـين في القرآن، فلذلك يجب على المسلمين أن يعلِّموهـن كما فعل المسلمون في بلاد العرب[2] والوثنيون في الهند.

ثم قال: كما أن أوربا استفادت آراء روحانية من الهند، لذلك يجب على الهند

---

(١) يعني: الأحمدية اللاهورية. (منه).

(٢) لعله يريد: بلاد العرب المتحضرة، ولكن تعليم النساء في هذه البلاد ما زادها إلا خبالًا؛ لأن تعليمهن لم تكن له روح خُلُقية فَجَرَّ مفاسد كثيرة. (منه).

أن تأخذ آراء عملية من أوروبا.

ثم ذكر صاحب الصحيفة الدعوات والحفلات التي أقيمت في دهلي للبارون، وأسماء مَن أقاموها وحضروا فيها وخطبوا بالتفصيل، وختم المقال بما نصه:

البارون شاب غني شريف من النمسا، دخل في الإسلام حديثًا، وهو متجول في جميع أنحاء الهند ليقف على أحوال المسلمين في الهند، وهو يريد ـ أيضًا ـ أن يعيد النظر في ترجمة القرآن المقدس تحت إرشاد الجمعية الأحمدية اللاهورية. اهـ.

ـ تعليق:

يعرف القراء البارون إرنفلز؛ فقد نشرت «الفتح» عنه عدة مقالات، وأنه منشئ رابطة الثقافة الإسلامية في (ڤـينا) عاصمة النمسا، ومن جميع ما قرأناه عنه يتبين لنا أن زيارته للهند عمل اقتصادي قامت به الجمعية الأحمدية اللاهورية، وهي وحدها التي تغنم ربحه الأدبي والمادي.

ورفيقه في هذه الرحلة هو محمد عبدالله إمام مسجد برلين القادياني اللاهوري، وتبين ـ أيضًا ـ أن البارون أسلم على يد الإرساليـة القاديانيـة في ألمانية، وأهم من ذلك أن ترجمة القرآن التي تجمع لنشرها هذه الأموال لا شك أنها ترجمة قاديانية، وبالقياس على هذا نقول: إن رابطة الثقافة الإسلامية في (ڤـينا) ـ أيضًا ـ قاديانية[1].

---

(١) كانت جمعية رابطة الثقافة هذه قد كتبت إلى جمعية الهداية الإسلامية بالقاهرة تخطب ودها، وتطلب عقد الصلة معها، فكان من أبرع ما قرأناه في جواب الهداية الإسلامية على كتاب رابطة الثقافة: «وجمعيتنا يسرها التعاون مع جمعية الثقافة الإسلامية على كل ما فيه رضا الله ﷻ، وفي اعتقادنا أن جمعية الثقافة الإسلامية لا تحتاج إلى توصية بالابتعاد عن أهل النزعات المخالفة لأصل الإسلام؛ كالطائفتين القاديانية، والبهائية، فإن براعتهما في الدعاية المموهة بستار الخداع لا يمكن أن تلوث أهل النباهة والفضل». (**الفتح**).

وفي مقال البارون: أنه جاء إلى الهند؛ ليزداد معرفة بالعلوم الإسلامية، والأغلبية في الهند في العلم والثروة والجاه والعدد ـ وفي كل شيء ـ للكفار؛ فلماذا ترك البارون مصر، والحجاز، ونجدًا، واليمن، والشام، ولم يرحل إليها؛ ليزداد معرفة بالعلوم الإسلامية ـ وهي كلها إسلامية خالصة ـ واختار الهند؟!

ذلك؛ لأن الإسلام القادياني ليس له في تلك البلاد العربية وليّ ولا نصير؛ بل كل أهلها أعداء له!

وأما الإسلام المحمدي؛ فلا يريد القاديانيون أن يدنو منه البارون، ولا يحبون أن يتعرف بأهله، لئلا ينكشف له لبس القاديانية وتضليلهم، وقد استطاع القاديانيون أن يروجوا دينهم، وأن يستفيدوا من كل فرصة، فإذا كنا نريد أن نرد باطلهم، ونرفع الستار عن تلبيسهم؛ وجب علينا أن يكون لنا من الحزم والعزم والبذل مثل ما لهم.

ـ اقتراح موجه إلى مجلة «نور الإسلام» وإلى (جمعية الشبان المسلمين):

للقاديانيين مجلات وصحف كثيرة باللغة الإنكليزية، أسسوا بها لضلالتهم كثيرًا من الحصون في الهند وأوروبا، فإذا أردنا أن نرد عليهم أو ـ على الأقل ـ أن نبصر من وقع في حبائلهم بما يُسِرُّون؛ وجب علينا أن نؤسس مجلات وصحفًا، وأن نؤلف كتبًا بالإنكليزية بأسلوب حكيم، يشرح جميع المسائل التي حرَّفها القاديانيون بما يطابق الإسلام والعلوم الكونية معًا، بغير سباب ولا شتم؛ بل بالاقتصار على الحقائق، إلا في المواضع التي يتهوَّر فيها القاديانيون ويتهكمون بمن يخالفهم؛ فينبغي أن يقابلوا فيها بشيء من الخشونة.

إذا كنا نريد أن نردَّ على القاديانيين والنصارى؛ يجب علينا أن ننشئ إرساليات (Missions) نوفدها لجميع البلاد، ونؤسس مراكز للدعاية تكون مثل أو أحسن

من مراكز النصارى والقاديانية.

أما ونحن ضنينون على ضمان بقاء صحيفة أسبوعية بلُغتنا فقط؛ فأرى أن مقاومتنا ضئيلة في بلادنا، وأما في الخارج فلا أثر لها؛ فجميع ما ينشر باللغة العربية لا يفيد شيئًا في الهند، وأوروبا، وغالب الأقطار العجمية.

وها أنا ذا مقترح اليوم اقتراحًا ـ إن وجد أذنًا صاغية ـ يكون أول حجر يوضع في أساس الحصن الذي يَرْمِي أعداءَ الإسلام بالصواعق التي تبيد جميع ما مكروا من قبل:

ذلك أن إدارة مجلة «نور الإسلام» الغراء تُوسِّع نطاق القسم الإنكليزي منها حتى يكون في حجم القسم العربي، أو تصدر القسم الإنكليزي على حدة، وتسميه كذلك «نور الإسلام» ـ «The light of Islam»، وهذا القسم أو المجلة الأزهرية الإنكليزية تتبع حركات المخالفين للإسلام في الخارج بكل يقظة، وتتبادل مع جميع المجلات والصحف الإنكليزية، وتنقب فيها عن كل شيء يتعلق بالإسلام؛ فتوسعه شرحًا وتحقيقًا، وتكيل لأعداء الإسلام صاعًا بصاع.

فإذا فعلت ذلك، ووزنت الرجال والأقوال بميزان الإسلام وحده، وتوخت في ذلك إرضاء الله وحده؛ فحينئذٍ يحسُّ القاديانيون والدكتور زويمر وكل أعداء الإسلام أن الإسلام المحمدي قد أرسل عليهم أول شهاب ثاقب، وحينئذٍ ـ فقط ـ يحسبون للإسلام حسابًا.

نعم؛ إن ههنا في الهند صحفًا إسلامية بالإنكليزية، ولكن الثابت المتقن منها للقاديانيين، وسواه لا يسدُّ الخلة.

فإلى فضيلة الشيخ الأكبر، وسائر رجال إدارة الجامع الأزهر، وإلى جمعية الشبان المسلمين، وإلى سائر العلماء والحكماء في مصر؛ أرفع هذا الاقتراح، والظن

بالله ثم بهم جميل، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

لكنو - (الهند) ٣ ذي القعدة ١٣٥١هـ

محمد تقي الدين الهلالي

❊ ❊ ❊

❊ احتفال إسلامي في لندن[1]

طلع علينا جزء ذي القعدة من «المجلة الإسلامية» الإنكليزية، وقد زين الوجه الأول من الصحيفة الأولى منه بصورة جلالة الملك عبد العزيز بن سعود، وفي الوجه الثاني صور أكثر من ٢٥٠ شخصًا محتفلين بذكرى مولد النبي القدسي محمد ﷺ في فندق ميتروبول بلندن، ثم نشرت المجلة دليل الحجاج الذي أذاعته الحكومة العربية السعودية بالعربية والفارسية وغيرهما من اللغات الشرقية بتفاصيله، فشغل تقريبًا نصف المجلة.

أما الاحتفال المذكور فقد اشتمل على أعضاء الجمعية الإسلامية الإنكليزية كلهم، وحضره كثير من النبلاء من الشرقيين والغربيين من مسلمين وأجانب؛ أخص بالذكر منهم: آغا خان، وصاحبة السمو خير النساء داياك مودا، ووزير فارس، ووزير مصر، ووزير ألبانية، ووكيل الأمور السعودية العربية، والوزير الأول لدولة باتيالا (الهند)، ومهارجا دهيرجا، واللورد لِمينكستون، واللورد هيدلي، والجنرال بلاكيني، وليدي (حرم) عباس علي بك، والسردار مقبول محمد وحرمه، والسردار والسردارة علي شاه، والدكتور شفاهت أحمد، والمستر جينا، والمستر ا. هـ. الغزنوي، والسيد رودلف سعيد دويت، والسردار شيفدار سنك، والسردار هارديت

---

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، عدد (٣٤٣)، بتأريخ ٩ محرم ١٣٥٢هـ، (ص٨ - ٩).

سنك، والنواب السر عمر حياة خان، والليدي حيدري، والسر محمد إقبال، ورأس الاحتفال النـواب السر محمد أكبر الحيدري، وفتـح الاحتفال المستر بشير بيكارد بقراءة شيء من القرآن الحكيم.

ـ الخطباء:

تكلم الجنرال بلاكيني كلام عاطف على المسلمين، وإن لم يكن منهم؛ فقال:

يجب على المسلمين أن لا يسكنوا إلى المستقبل ويعلقوا عليه آمالهم، وأن يطالبوا بحفظ حقوقهم.

ثم تلاه الشاعر الوطني السوري محمد علي الحوماني فأنشد قصيدة باللغة العربية.

ثم قام المستر أحمد بنيت كاتم سر الجمعية (وهو من الإنكليز الذين تشرفوا بالإسـلام) فخطب خطبة جميلة ألخص لقراء «الفتح» أهمها، قال ـ لا فض فوه ـ: إن مصنـع التمدن الغربي آخـذ في التحطيـم والاضمحلال، كان رجـال التمدن والعظمـة الغربية أشبه بموجة المد، فلما انتهت مدتـه أخذ في الجزر، وجرف معه ما أحدثوه من تمدن ورقي، فقد تحير القادة في العالم ولم يدروا ماذا يصنعون، ولا في أي طريق يسيرون.

التقدم السريع في العلم يضع في أيديهم كل حين أمضى سلاح لإبادة البشر، لئن لم يتخذوا توازنًا روحيًّا، لئن لم يبثوا روح الأخوة والمحبة ويرسخوها في الأذهان؛ لتكونن العاقبة وخيمة جدًّا، فالتمدن يبيد نفسه، إن روح الأخوة المنشودة موجودة يقينًا في الإسلام بل محصورة فيه، فلذلك أدعو القابضين على زمام الحكم في العالم، وأدعو إخواني المسلمين أن يبذلوا جميع ما عندهم من قوة في تعريف الغرب قواعد الإسلام، وأن الناس لم يكونوا قط في غنًى عن الحرب وفي حاجة للسلم مثل ما هم

الآن، فأنا (النذير العريان) لأهل أروبة، الثمن الذي كلفتكم الحرب الأخيرة لا يزال يدفع إلى الآن، ولا تحسبوا أن الحرب المقبلة ستجعلكم مقعدين زَمْنى كما فعلت الأولى، كلا؛ ولكنها ستبيدكم وتقضي عليكم القضاء التام، ولن تجدوا وسيلة لحفظ أرواح البشر إلا في الأخوة والتعاون والاتحاد، فإذا شاء الغرب أن ينجو من الهلاك التام الذي تنطوي عليه القوات المكنونة فيه، فحاجته إلى درس الإسلام واتخاذه إمامًا شديدة؛ بل هو في أشد الحاجة إلى الإسلام، يجب أن يكون على كل منضدة نشرة من نشرات (الجمعية الإسلامية) البريطانية، هذه الجمعية التي جعلت هدفها كسر حواجز الجهل التي تحول بين الغرب وبين الإسلام، بعض الأدمغة الراقية في التفكير من أهل أروبة من أهل آسية اليوم مناصرون لها، أما نحن وحدنا فإننا لا نستطيع أن نعمل إلا عملًا ضئيلًا، ونحن نلتمس المساعدة من كل واحد منكم أيها المسلمون لأنكم أعضاء رسميون، ومن غير المسلمين لأنهم أعضاء شرف.

أضع الآن بين أيديكم مسألة بناء مسجد في لندن، وليس لي في بنائه غرض شخصي؛ لأني أعتبر أن الأرض كلها مسجد الله، وكذلك جمعيتنا ليس لها نفع شخصي في ذلك، ولكني أعرف عقلية الأمة البريطانية، فلذلك أقول: إن وجود بناء كهذا في لندن ليجني منه أهل هذه البلاد خيرًا عميمًا، إني أعمل جهدي لرفعة شأن أمراء المسلمين ودول المسلمين والأمم الإسلامية والإسلام نفسه أمام الرأي العام في هذه البلاد، وأخص بالذكر صاحب السمو النظام (ملك حيدر آباد)؛ فإن شيد هذا البناء سريعًا فإن الأخبار ستطير من بلد إلى بلد، ومن قوم إلى قوم، ومن مدينة إلى مدينة، بأن صاحب السمو النظام قد أنجز مراده، لكن إذا لم يشيد؛ أتظن أن الخبر لا يسير وينتشر في جميع الدنيا، ولا سيما في المملكة البريطانية التي تحتوي على ١١٥ مليونًا من المسلمين بأنه ليس هناك مسجد في عاصمة الدولة؛ لأن النظام

ـ وهو من أوسع أمراء العالم ثروة ـ يريد ذلك وإلى الآن لم يبن؟

يجب على الجمعية أن تعرف قوتها وتعتبر الاقتراحات، سواء صدرت من أعضائها أو من مصدر آخر.

إن الإسلام بعد سبات طويل عاد فاستيقظ، وقد أخذ المسلمون يشعرون بذلك في كل مكان، **وكل من جعل الإسلام قائده الأعلى؛ فهو أقوى الناس.**

في الهند ٦٠٠٠٠٠٠٠ مسلم، وفي غير الهند في المملكة البريطانية ٥٠٠٠٠٠٠٠ مسلم، وإني ألتمس أن تكون بين بريطانية وبين الأمم الإسلامية سياسة التعاون والتسامح، لا سياسة الاستئثار وسوء التفاهم والشقاق، فأرجو أشد الرجاء في ختام مقالي هذا من المسلمين وأنصارهم أن يعملوا جميعًا لترقية وتقوية هذه الجمعية؛ لتكون قوة حقيقية عظيمة، ليس فقط في بريطانية؛ بل في جميع العالم، وتحارب رأي الملاحدة الاشتراكيين وغيرهم أينما وجدوا، وتحفظ العالم من شرهم، وتبث في العالم روح الوداد والأخوة التي لا تستطيع عصبة الأمم أن تبثها أبدًا. اهـ.

لكنو

محمد تقي الدين الهلالي

* * *

*** ريكارد هارثمن أستاذ اللغة العربية في جامعة برلين بريء من الطعن في العرب وهو عالم حر**[1]

إنني لم أكن قط ولن أكون ـ إن شاء الله ـ داعية لأية دولة أجنبية، ولكني

---

(١) نشرت في جريدة «الحرية» المغربية، السنة السادسة، العدد (٧٩٧)، الخميس ٢٤ جمادى الثانية ١٣٦١هـ ـ ٩ يوليه ١٩٤٢م، (ص١، ٢).

أدافع عن الحق بقدر طاقتي وأقوله ـ إن شاء الله ـ وإن كان مرًّا، ولا أنكر فضائل أعدائي ولا أرميهم بالعيوب التي ليست فيهم.

فدفاعي اليوم عن أستاذي هارتمن هو مطابق لخطتي موافق لها، وما تتبادله الدولتان الجرمانية والبريطانية من المطاعن الحسية والمعنوية هو من شأنهما وحدهما ومن شأن حلفائهما، وأما هذا الدفاع الآن فهو حر علمي إنساني لا علاقة له بالتحيز إلى أحد الجانبين.

الأستاذ هارتمن أستاذي، وعلى يده تخرجت وتخرج كثير من طلبة العلم من الشرقيين والأوروبيين، وقد نفع الله بعلمه نفعًا عميمًا، لم يتهيأ إلا لأفذاذ قليلين من العلماء في الحال والماضي، وذلك بسبب المزايا التي خصه الله بها؛ وهي العلم والتحقيق، والحرية من هوى النفس وحب السمعة، وحسن الخلق مع جميع الناس، ومع ما آتاه الله من الهيبة والإجلال لدى جميع الناس، تراه متواضعًا صارفًا كل جهده في خدمة العلم للعلم لا يصده عن ذلك شيء، وقد وحَّد همَّه وقصده وهو خدمة العلم الحر، وجعل كل شيء سوى ذلك دبر أذنه.

وغاية ما سمعت بعض الطلبة وبعض العلماء يرميه به هو تشدده في امتحان الأطروحات والامتحان الشفاهي، وذلك في الحقيقة من الفضائل والمزايا؛ فإن الرجل قد حبب إليه الصدق والتحقيق في جميع ما يقوله ويكتبه، لا يقنع ببادئ الرأي؛ بل يمحص المسائل تمحيصًا، ومع أني أنا بنفسي عانيت شيئًا؛ فإني بقيت أدارسه أطروحتي زمانًا طويلًا، تخللته فترات مرض كانت تعرض له، وكتبت الأطروحة بالآلة ست مرات؛ لأنه كانت تظهر له أخطاء ونقائص بعد التدبر والتدقيق في كل مرة منها فنصلحها فيأمر بإعادة الكتابة، ولم يجز تقديم الأطروحة لعميد كلية الآداب ليقدمها للجنة التي تختبرها إلا بعد المرة السادسة، وكان يجب

علي في كل مرة أن أتحمل تعبًا بالحضور مع الكاتبة وإملاء الكتاب عليها لتكتبه على الآلة، مع ذلك كله لم أزدد إلا محبة له وتعظيمًا؛ لأنه لم يفعله تعنتًا ولا لحدة مزاج كما يفعل بعض الأساتذة، وإنما فعله تحريًا للصواب، وقد شاهدت ـ أثناء درسي وسماعي لمحاضراته ـ من إنصافه لعلماء الإسلام وأمرائه، وإعطائهم حقوقهم كاملة، ما أتمنى أن يتصف به كل مستعرب أوربي، وفي ذلك نسيج وحده، فإن كثيرًا من المستشرقين يغلبهم الهوى والعصبية إذا تكلموا أو كتبوا في شؤون الإسلام، ولا أتهم بذلك مستشرقي أمة بعينها؛ بل هو في كثير من المستشرقين من جميع أمم أوربة، وهو داء عضال، ولا علاقة لذلك غالبًا بالسياسية، إذ يوجد في بعض علماء إسكندنافيا مع أن دولها ليست مستعمرة لأي بلد إسلامي، وإنما يجيء ذلك من تعصبهم للنصرانية.

قلت مرة للأستاذ هارتمن: إن الكتابة العربية ناقصة، وبذلك النقص يتعب القارئ ويكثر التصحيف والغلط، فزيادة على فقدان الشكل فيها، يوجد تشابه في الحروف؛ فالباء والتاء والثاء والياء والنون لها شكل واحد، لا يتميز بعضها عن بعض إلا بالنقط. فأجابني بأناة وتؤدة على عادته بقوله: «لقد تعلمت كثيرًا من الكتابات القديمة والحديثة، فما رأيت واحدة منها تساوي الكتابة العربية في الجمال، إذا كان الكاتب جيد الخط».

نعم؛ إن هذا الأستاذ مع تحقيقه وعلو كعبه في الأدب العربي لا يتكلم ولا يكتب باللغة العربية؛ لعدم تعاطيه ذلك وتعوده إياه، وهو أحد أركان مؤلفي دائرة المعارف الإسلامية.

والحامل على كتابة هذا المقال أن مجلة الإذاعة العربية البريطانية المسماة (المستمع العربي) تعرضت لرمي هذا الأستاذ وغيره من أساتذة جرمانية المستعربين بأمور

فيها غلو وظلم، فمما قالته في جزئها الثاني من سنتها الثالثة في (ص٨) ما نصه: «فمن ذلك ـ مثلًا ـ ما كتبه مارتين هارتمن، أستاذ اللغة العربية بمعهد الدراسات الشرقية ببرلين: «إن عيوب العرب كثيرة متعددة لها من الأهمية بحيث تجعلهم عاجزين عن تقرير مصيرهم». وقال في مكان آخر: «إننا ننوي غرس اللغة الجرمانية والثقافة الجرمانية في سوريا»، إلى غير ذلك من العبارات العديدة الشبيهة بهذا». [انتهى] كَلامُه.

أقول: هذا[1] الكلام واه مهلهل، وفيه علل من وجوه:

الأول: إن أستاذ اللغة العربية في المعهد المذكور التابع لجامعة برلين اسمه ريكارد هارتمن، والكاف في ريكارد تلفظ بين الكاف والياء، كما: (رايخ)؛ أي: الحكومة الجرمانية، وليس اسمه مارتين هارتمن كما زعم كاتب ذلك الطعن، وهو ـ فيما تقول المجلة ـ يوسف شخت.

الثاني: أننا لم نر ولم نسمع أن مستشرقًا جرمانيًا ولا غير جرماني ينقل شيئًا من كتاب ليرده ويقدح فيه ثم لا يذكر اسم ذلك الكتاب ولا صفحته، فهذا تقدم إلى الوراء في الاستشراق، فلو كان صادقًا لذكر اسم الكتاب وأين طبع وعدد الصفحات[2]، ولكنه لم يهتم ولم يفكر في هذه العلة؛ لأنه يظن أن العرب منحطون لا يتفطنون إلى ذلك.

الثالث: يظهر أن هذا الكاتب يهودي مهوس مشاغب وليس بعالم جرماني مستشرق؛ لأنه سلك في انتقاده غير سبيل العلماء الجرمانيين والبريطانيين؛ وفيهم علماء مستشرقون أجلاء، فلم يتنزلوا لكتابة مثل هذه المقالات التهويشية.

---

(١) في الأصل: «هذه».

(٢) في الأصل: «الصفحة».

الرابع: من العجب العجاب أن تعد إذاعة بريطانية قول رجل جرماني[1] ـ لو سلمنا صحة النقل ـ: «إننا ننوي غرس اللغة الجرمانية والثقافة الجرمانية في سورية»؛ أن تعد الإذاعة البريطانية ذلك عداوة للعرب، وهي تخصص وقتًا في إذاعتها العربية تلقي فيـه دروسًا في تعليم اللغة الإنكليزية، وتبعث كراريس تلك الدروس مجانًا لمن يريدها، فهل ترى الإذاعة البريطانية من المعقول أن تقول للعرب: تعلموا اللغة الإنكليزية والثقافة الإنكليزية وحدهما لا شريك لهما، وتكون في ذلك محبة للعرب وناصحة لهم، فإذا أرادت دولة أوربية أخرى أن تعلم العرب لغتها وثقافتها تكون معادية للعرب ومريدة بهم سوءًا؟ هذا إذا غضضنا النظر عن فظائع بريطانية وجوابها مطالب العرب في عمان والعراق واليمن وحضرموت وفلسطين بالنار والحديد، وقتل الرجال والنساء والأطفال وتسليح اليهـود، وتركهم يقتلون العشرات من العرب بالقنابل في فلسطين، وهجومها على بلاد الشام وأعمالها الإرهابية فيها التي لا تزال جاريـة حتى الآن، وقـد امتلأت البلاد التركيـة بل والجرمانية من زعماء العرب ورجالهم الوطنيين الفارين من وجه الإرهاب البريطاني في سورية التي تعد نية الجرمانيين أن يعلموها لغتهم عدوانًا[2] للعرب.

ما هذا التناقض؟ شيئًا من المنطق يا ناس! هل أنتم مجانين أم يهود؟

إن العرب بأنفسهم يحبون تعلم اللغة الجرمانية والثقافة الجرمانية، وها هم حتى الآن في جرمانية لهم عدد عديد، ويحبون كذلك تعلم اللغة الإنكليزية والثقافـة الإنكليزية، وأنا واحد منهم أحبهما، وقد ضربت بسهم ولله الحمد فيهما معًا، ولكـن العرب لا يحبون الاستعمار كيفما كان، فكل من أراد استعمار بلادهم واستعبادها،

---

(١) في الأصل: «جرمنا».

(٢) في الأصل: «عدوان».

أو فعل ذلك تحقيقًا مثل بريطانية وفرنسة عدوة العرب والإسلام؛ فهو عـدوهم سواء أكان جرمانيًّا أم بريطانيًّا[1] بلا فرق.

وأنا من أشد الناس شغفًا بالأدب الإنكليزي، ومعجب به كل الإعجاب، بخلاف الظلم الإنكليزي فإني أكرهه جدًّا؛ لأني أجد في الثقافة الإنكليزية متعة ولذة وفائدة، وأما الظلم البريطاني فله طعم آخر مخالف كل المخالفة لطعم الثقافة البريطانية[2].

على أننا نعلم أن في البلاد البريطانية علماء جرمانيين في الأصل وبريطانيين محققين، لهم في ملأ الاستشراق قدم صدق، فلماذا لم ينزلوا إلى كتابة هذا النقد وهم أعلم بأحوال الاستشراق في جرمانية من هذا الشخص المجهول النكرة الذي هو هيان ابن بيان لا يعرفه ملأ المستشرقين؟

وقد قرأت هذا المقال المنشـور في مجلة الإذاعة البريطانية لأن ترجمته خلابة مزخرفة وهي: (الدراسات العربية في ألمانيا النازية) للأستاذ الدكتور يوسف شاخت. فظننت أني أجد فيه فائدة علمية لزخرفة العنوان وتلقيب الرجل بالأستاذ والدكتور، ولكن ظني خاب، وما ورد في مقاله من التحامل على المستشرقين الجرمانيين أتركه للإذاعة الجرمانية تجيب عنه أو تتركه كما يحلو لها.

ولكن قبل أن أختم هذه الكلمة؛ أرى من واجب الرابطة العلمية أن أذب عن عالم آخر جرماني ظلمه كاتب ذاك المقـال، وهـو المستـشرق الكبـير الأسـتاذ بروكلمن، ولا أريد أن أعدد فضل هذا العالم المؤلف، الموفق في تأليف الكتب في

---

(١) في الأصل: «بريطانية».

(٢) في الأصل، «البريطانيا».

العلوم واللغات المختلفة؛ منها: العربية والسريانية والعبرانية واللاتينية وغيرها؛ فإن ذلك يطول، وقد قال فيه صاحب ذلك المقال ما نصه:

«أما سلفه ـ أي: سلف أستاذ اللغة العربية حالًا في جامعة برسلاو ـ الذي اعتزل الخدمة على إثر بلوغه السن المحددة؛ فهو مؤلف «تاريخ الأدب العربي»، وهذا الكتاب مجموع جمعه من غير تصنيف مملوء بالأخطاء التي تعود إلى الإهمال». اهـ.

وهذا الغمط لا يصدر إلا من اليهود وأشباههم؛ فإن تأليف بروكلمن بلغ من الرواج والإقبال إلى أن صار رائدًا لكل من يشتغل بالأدب العربي، ولم أر عالـمًا في جرمانية يشتغل بالعلوم العربية والإسلامية إلا وهذا الكتاب موضوع أمامه في متناول يده، ولا تخلو منه خزانة كتب في جميع الدنيا، ومع أن الخزانة العامة بتطوان صغيرة بالنسبة إلى خزائن المدن الكبرى؛ فقد احتجتُ إلى هذا الكتاب فوجدته فيها، ولم يؤلَّف مثله في بابه بأية لغة إلى حد الآن، لا بالعربية ولا بغيرها، فهل يجحد فضل هذا الكتاب على الأدب العربي إلا من يهرف ويهوس ولا يستحيي من البهتان؟

أما الأخطاء فلا تعيبه إلا لو زعم أحد أنه وحي من الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهل وجد أو يوجد كتاب في الدنيا ليست فيه أخطاء؟ فالكمال لله، وأسعد الناس من قلَّت أخطاؤه، وغلبت حسناته على زلاته.

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها   كفى المرء نبلًا أن تعد معايبه[1]

---

(١) البيت في: «ديوان المعاني» (٢/ ١٩٦) و«سلافة العصر» (١/ ٣٥٠) وفيها: «فخرًا» بدل «نبلًا»، والبيت ليزيد المهلبي في «الحماسة المغربية» (٢/ ١٢٤٧).

على أني لا أظن كاتب ذلك المقال التهويشي يعرف الخطأ من الصواب، فهلا أورد بعض أخطائه التي ادعى أنه وجدها في مقاله؟

والحق أن كل من اطلع على هذا المؤلف والبالغ حتى الآن خمسة من المجلدات الضخام، وشاهد ما عاناه مؤلفه من العناء في تأليفه وتنسيقه؛ يخضع أمام جده وجهاده ونبوغه وانخراق العادة له في التأليف، مما لا يقع إلا للنوابغ النادرين الذين لا يوجد منهم في كل زمان إلا الواحد أو النفر القليل في نادر الزمان حين يكون العلم سعيد الطالع.

وقبح الله السياسة والهوى والحروب التي يعدم فيها الإنصاف حتى يصل الأمر إلى مثل ما أشرنا إليه.

والمجد والسمو للمغرب.

الدكتور تقي الدين الهلالي

* * *

*** هل كان نابليون مسلمًا عندما كان في مصر؟[1]**

وزعت (شركة الأخبار الهندية) التي اعتادت الصحف الإشارة إليها بهذه الأحرف (A. P. I.) البرقية الآتية تتضمن حديثًا لطيفًا مهمًّا دار بين مندوب الشركة وبين السيد خالد شيلدريك الإنكليزي رئيس الجمعية الإسلامية الغربية،

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد السابع، عدد (٣٢٧)، بتأريخ ١٥ رمضان ١٣٥١هـ (ص٨ ـ ٩)، ووضعت المجلة صورة لنابليون وعليه جُبَّة، وعلى رأسه عمامة مكوَّرة، وانظر في إسلام نابليون ما كتبه السيد محمد رشيد رضا إلى الأمير شكيب أرسلان، ونشر أرسلان ذلك في كتابه: «السيد رشيد رضا وإخاء أربعين سنة» (ص٣١٦).

ونشرته صحيفة «تربيون» الهندوانية اللاهورية الشهيرة كما يلي:

- كان نابليون مسلمًا - ادعاء رجل إنكليزي - القرآن رفيقه في منفاه:

حيدر أباد دكن في ١٤ ديسمبر: هل كان نابليون مسلمًا؟ هل أعلن إسلامه في غزوته الشهيرة المشؤومة في مصر؟

لم يذكر في الأخبار النابليونية المختلطة نسبيًّا في شأن دينه إلا شيء قليل، ولا يزال طالب العلوم التاريخية غير واجد شيئًا محققًا في عقيدة الكوريزل[1] الصغير ووجهة نظره في الحياة، وتنمية هذه الذخيرة العلمية الضئيلة، وأن يثبت من وراء ظلال الشكوك أن نابليون دخل في الإسلام أثناء غزواته في مصر، وبقي مسلمًا شديد التمسك بدينه إلى وفاته سنة ١٨١٣ هي رغبة مستر خالد شيلدريك[2]، وهو مسلم إنكليزي زار حيدر آباد وهو في ضيافة صاحب السمو الملكي (النظام) ملك حيدر آباد.

لقيته اليوم واستفتح البحث فقال: عندي براهين كافية لإثبات أن نابليون صار مسلمًا حين كان غازيًا بمصر، وأعظم شاهد على ذلك أن القرآن المقدس (بالفرنسية) كان رفيقه على الدوام في غزواته وفي منفاه، قد حفظ لنا التاريخ المصري بأمانة هذه الشهادة القيمة، لقد أعلن نابليون إسلامه للعالم، ومن الحقائق أنه في سنة ١٧٩٨ أو حولها أظهر إسلامه علانية في المسجد بالجامع الأزهر بالقاهرة، ولذلك كان رستم الملوك ذو الحظوة عند نابليون يرافقه دائمًا، ويحمل له القرآن المقدس؛ لأن نابليون كان يقرؤه يوميًّا في جميع أسفاره تقريبًا.

---

(١) اسم رتبة عسكرية كانت، أو رتبة تولاها نابليون. (منه).

(٢) سبق ترجمة الهلالي له.

- امتناعه من تتويج البابا له:

ثم قال مستر شيلدريك: ومعلوم - أيضًا - أنه كان محافظًا على رفعته حتى أنه رفض أن يتوجه البابا؛ بل وضع التاج بيده على رأسه، ثم توج هو بيده جوزيفين، والمضادة الشديدة تظهر لك جليًّا - بينه وبين النصرانية - في تقديسه لأئمة الصلاة باعتبارهم أولياء الله، فكان يسجد ويركع خلفهم مقتديًا بهم في صلاته، وانظر معاملته للقسيسين تجد أنه لم يعظم قسيسًا قط مثل هذا التعظيم، كل هذا يمكن تحقيقه لأي طالب من طلبة العلوم التاريخية، وكان نابليون أثناء إقامته بمصر يستفتح منشوراته كلها بالدعاء الذي هو سنة إسلامية: بسم الله الرحمن الرحيم؛ ومعناه: أبتدئ باسم الله ذي الرحمة، وبعد ذلك - أيضًا - حين كان في فرنسا، وأخيرًا في جزيرة الراهبة[1] هيلانة، كان يقول إذا تكلم في المباحث الإسلامية: «نحن المسلمين».

أيُّ دليل عندك على أن نابليون أعلن إسلامه في المسجد بالجامع الأزهر بالقاهرة؟

إن إعلانه الذي أصدره حينئذٍ موجود في سجلات القاهرة، وبعد؛ فإن أردت زيادة على ذلك تجدها في كتاب «بلانت» (مستقبل الإسلام)، وأيضًا هناك شيء هو أعظم إقناعًا وأبعد عن الشبهة من جميع ما ذكرت لك، ألا وهو «مذكرات لاس كيبتر» معاصر نابليون ورفيقه الملازم له، ففي هذه «المذكرات» أدلة شافية في المسألة، وهذه «المذكرات» لم تنتشر حتى الآن، وهي في قبضة الدولة الفرنسية، وهي لا تسمح لأحد أن يصل إليها، ولم ذلك؟ ذلك لأن فرنسة صرحت بأنها

---

(١) عبارة النصارى: (st) ومعناه: القديسة، ولم أشأ متابعتهم. (منه).

حامية للعالم الكاثوليكي، فهي لذلك لا ترى أن تسمح بما يكـون حجـة عليهـا، وهو إثبات[1] إسلام نابليون، هـب أن أدلتـك عـلى أن نـابليون أعلـن إسـلامه بالقاهرة مسلَّمة صحيحة، فهل تظن أنـه كـان مخلـصًا، أم هـي وسـيلة سياسـية تسهل له الحصول على أمنيته في فتح الهند؟

جوابي هو: أن نابليون أعلن إسلامه، وتكريره لقوله «نحن المسلمين» في محادثاته يمحو هذا الشك، لقد كان نابليون مسلمًا مخلصًا، وليس هناك كتاب من كتب التاريخ يقول أنه لم يكن مخلصًا في إسلامه.

مستر شيلدريك الذي دخل في الإسلام سنة ١٩٠٣ هو الآن في زيارته للهند لأول مرة لتجديد وتوكيد تعارفه مع الناس الذين عرفهم وهو في لندن، وهو ـ أيضًا ـ رئيس (الجمعية الغربية الإسلامية) التي يشرف عليها صاحب السمو الملكي النظام ملك حيدر آباد و... آغا خان.

بعـد إبـاء قصَّ علينا مسـتر شيلدريك قصـة إسلامـه الذي كـان السـبب الأعظم فيه درسه لترجمة القرآن لسيل (سيل: رجل إنكليزي، هو أول من ترجم القـرآن إلى الإنكليزيـة)، ودرس ـ أيضًا ـ كتبًا أخـرى ألفهـا النصـارى في شـأن الإسلام.

قال مسـتر شـيلدريك: كنـت تلميذًا للدين القياسي (كمبراتيف) إلى سنة ١٩٠٣، وحينئذٍ صرت مسلمًا، والذي أثر في نفسي أكثر من غيره هو رابطة الأخوة في الإسلام، وكان إسلامي قبل أن يوجد في إنكلند أي دعاية إسلامية، وقبل أن تكون هنالك أي إرسالية بمدة طويلة، ولم أزل من ذلك العهد مبشرًا وداعيًا إلى

---

(١) في الأصل: «لثبات».

الإسلام، وبهذه العلاقة صرت متصلًا بالأندية الإسلامية، ليس في جزائر بريطانيا وقارة أوروبة فقط؛ بل في سائر الأقطار حتى أمريكا.

وسألته: هل أسلم على يدك أحد؟

فقال: نعم. واقتصر على ذكر ثلاثة؛ وهم من عِلْيةِ الناس:

أولهم: سمو (دايانك مدا) المنتمية إلى سراواك، الزوجة الإنكليزية لولي عهد راجابروك صاحب سراواك، تلقيتها داخلة في الإسلام ونحن طائران معًا فوق نهر المانش في شهر فبراير الأخير (١٩٣٢).

وثانيهم: ابن عمها السيد كنراد سمسون، واسمه الإسلامي: خالد سمسون.

وثالثهم: أمير أوروبي مشهور جدًّا، إلا أنه لا يريد أن يعلن اسمه، واسمه الإسلامي: علي.

ثم ذكر مستر شيلدريك في معرض جِدِّهِ ونشاطه أن له اتصالًا تامًّا بالمسلمين في طرابلس ومراكش، وبهذا السبب صارت له علاقة بدولتي فرنسة وإيطالية.

وأخبر ـ أيضًا ـ أنه هيأ مؤتمرًا يعقده المسلمون الأوروبيون البالغ عددهم سبعة ملايين باعتبار مسلمي روسية منهم، وسيكون المؤتمر في جنيف قريبًا، وموضوع الخطب التي تلقى فيه: الإسلام في أوروبة.

ثم قال: إن الترك والبلقانيين وأهل أستريا وهنكاريا وبولاندا قد قبلوا الدعوة إلى المؤتمر، وهو غير يائس من مشاركة الروسية فيه ـ أيضًا ـ، ويأمل أن الوفود من جميع أنحاء الدنيا ستشترك في هذا الجمع.

وبعد إقامة قصيرة يتوجه مستر شيلدريك إلى شمال الهند: سيلون وسنغافورة.

وفي الختام أثنى مستر شيلدريك على حيدر آباد وحاكمها ثناء جميلًا وقال:

إنه حاكم عظيم وأمير محبب.

كراتشي (الهند) ٢٢ شعبان ١٣٥١هـ

ترجمه حرفيًا محمد تقي الدين الهلالي

* * *

* ترجمة الأستاذ جوزيف ماك كيب[1]

ينبغي لنا أن نذكر بين يدي الكتاب شيئًا في التعريف؛ فنقول:

هو العالم الشهير، المصنف الكبير الطائر الصيت في الدنيا كلها: جوزف ماك كيب (Joseph Macabe)، ولد في سنة ١٨٦٧م، وكان أبوه كاثليكيًّا، وأمه انتقلت من الكاثليكيـة إلى البروستانتية، فأرسـلاه إلى ديـر كثليكي وتعلم مبادئ العلوم هناك، وكانت أمه ترى في المنام أن ابنها سيكون قسيسًا، فانخرط في سلك الرهبان وسنه إذ ذاك خمسة عشر عامًا، ويخبر عن نفسه أن المبادئ التي حصلها لذلك العهد كانت تافهة جدًّا رَدِيَّةً؛ لأنها كانت معجونة من اللاتينيـة ولكن في أسفل دركاتها وأقبح لهجاتها، وقليل من تاريخ المذهب الكاثليكي، والمنطق بالشكل الذي كان يعلم بـه قبل مائـة سنة، وما وراء الطبيعـة بالشكل الذي كان يعلم بـه قبل سبعة قرون، والأخلاق بالشكل الذي كانت تعلم به في الأزمان الغابرة، حتى الفلسفة التي كان ماك كيب يتعلمها في جامعة لوفين (Leuvain) التي يبالغون في مدحها

---

(١) مؤلف كتاب «مدنية المسلمين في إسبانيا»، وهذه الترجمة موجودة في أول ترجمة الهلالي له عن اللغة الإنكليزية (ص١٩ ـ ٢٥)، طبع مكتبة الثقافة ـ الرباط، الطبعة الثانية، وأما الطبعة الأولى فكانت في العراق، ثم قدمتُ له وعلقتُ عليه ووضعتُ في آخره ستة ملاحق، ونشرته قريبًا عن دار اللؤلؤة ـ بيروت.

كانت بالية، ولم يكن هناك في الدير أثر للزهد في الأكل والشرب، بل كان الأمر بخلاف ذلك؛ لأن التلاميذ كانوا يجبرون على شرب الجِعَةِ والكلاريت (نوعان من المسكرات) كل يوم، وهذان المشروبان مع الطعام النفيس الذي كان وافرًا في الدير أثرت في معدته.

ويقول ماك كيب: «إن الأثر الوحيد الذي تركه الدير في نفسي من البركات والتقديس هو اختلال في معدتي».

ولكن يظهر أن تلك الإقامة نفعته من جهة أخرى؛ إذ صار عالـمًا بما يجري في خبايا النظام الكاثليكي، فترك الدير بعد أن قضى فيه اثنتي عشرة سنة، وألف كتابه الشـهير «اثنتا عشرة سنة قضيتهـا في الديـر»، ومـن ذلك الحـين صار عدوًّا مبينًا للمذهب الكاثليكي؛ بل لجميع الأديان، وأخذ يمضي أوقاته في البحث والتنقيب والفكر والتحقيق، ويؤلف الكتب، فبلغت مؤلفاته حتى الآن ٢٥٠ كتابًا، وألقى ألوفًا من المحاضرات.

سافر إلى نواحي أميركا وميكسيكو وأوستراليا ونيوزيلاندا لإلقاء المحاضرات، هذا عدا المحاضرات التي ألقاها في ربوع بلاده الإنكليزية، والمناظرات التي ناظر فيها كبار المفكرين مثل سر كونن دويل (Conan Doyle) في الأمور الروحانية، وهو فارس فذ في ميدان المناظرة؛ يكثر من إيراد البراهين ويتفنن في العبارات البليغة التي تخلب ألباب المستمعين وتجعلهم لآرائه مذعنين، وعلى ذلك؛ فالشهرة الواسعة التي حصلها جاءته من ناحية الكتابة والتأليف؛ لأن المزية الخاصة التي يمتاز بها هي عـدم حصر أفكاره واستقراءاته في شعبة واحدة من العلم؛ بل جعل جميع العلوم أمامه واتخذها مقاصد للبحث والتحقيق، فصار عارفًا لجميعها، وله براعة فائقة في الفلسفة والتاريخ، ومعرفة بالأدبيات وإحاطة بجميع النهضات العلمية والفكرية

في تاريخ البشر، وقد تكلم في المدنيات القديمة؛ بل في العصور التي قبل التاريخ بسهولة كأنما يذكر أمورًا شاهدها في زمانه.

وأما في المباحث الدينية وتواريخ الأديان فيمكننا أن نقول: إن ذلك من اختصاصه، ونظرًا لعلمه الغزير بالتاريخ والعلوم أصبح منتقدًا عظيمًا في هذا المقصد، وناهيك ما يقول في شأن الكنيسة النصرانية، وننقل لك كلامه بلفظه:

«إن ما عملته الكنيسة في ألف سنة ـ وهي مدة حكمها وسلطانها ـ كان ضئيلًا، حتى أن أكثر من تسعة وتسعين في كل مائة من الناس لم يكونوا يعرفون القراءة والكتابة، فإذا أراد النصارى أن يفتخروا بهذا التسجيل التاريخي فمرحبًا».

ومن مزاياه أنه لا يقنع بالأقوال المجردة؛ بل يحقق المدعياتِ كلها بنفسه، ويستنطق البراهين، وينقب في أعماق التاريخ، ثم يحكم.

وهو متضلع في اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسية والألمانية وسواها من اللغات الأوروبية، وعلاوة على ما ألف من الكتب في بلاده (إنكلند) ذهب إلى أمريكا في سنة ١٩٢٤ واتفق مع هلدمن جوليس (Hildman Julius) الناشر الشهير أن يؤلف له خمسين كتابًا من الأجزاء الصغيرة ينشرها له، ولكن هولدمن يقول في سنة ١٩٣٤: إن جوزيف ماك كيب ألف أكثر من سبعين كتابًا في فنون مختلفة، وألف ـ أيضًا ـ كتبًا كبارًا في تلك المدة.

ويمكنك أن تعرف أهمية هذه الكتب إذا ذكرنا لك بعضها هنا؛ وهي:

١ ـ «مفتاح التهذيب»	أربعون جزءًا
٢ ـ «كتاب الأخلاق»	اثنا عشر جزءًا
٣ ـ «مفتاح الحب والزواج»	ثمانية من المجلدات

٤ ـ «الرجال المئة الذين حركوا العالم» سبعة عشر جزءًا

٥ ـ «الحكاية الحقيقية عن الكنيسة الكاثليكية» ستة من المجلدات الكبار

٦ ـ «خلاصة علوم هذا العصر» جزء واحد

٧ ـ «أفكار كبيرة بعبارات سهلة» جزء واحد

٨ ـ «حقيقة الكنيسة الكاثليكية» جزء واحد

٩ ـ «الكتب المحرمة من قبل الكنيسة اللاتينية» جزء واحد

١٠ ـ «الخرافات العامة» جزء واحد

وقد بجله الأمريكيون حتى جعلوه أكبر عالم في الدنيا، وهو يحسن عشر لغات، وقد كتبوا كثيرًا في التنويه به.

يقول أحد الكتاب البارعين: إن مواجهة جوزيف ماك كيب مثل الصدمة الكهربائية.

أما كتابنا هذا «المدنية المغربية في إسبانيا»، فهو ـ كما ستراه ـ فريد في بابه على صغر حجمه، يحتوي فوائد جمة وأخبارًا مهمة في ناحية من نواحي عظمة أهل إسبانية بغاية الإنصاف والبعد عن التأثر بالعصبية الدينية أو الوطنية، قلما تجد مثل ذلك فيما كتبه الأوروبيون وعِبدانهم المقلدون لهم الإمعات من الشرقيين، حتى انطمست معالم الحقيقة بمكايد الكنيسة الغربية ودسائسها أو كادت.

ولو أردنا أن نجمع كل ما قاله هذا المؤلف في تضاعيف كتبه في مدنية أهل إسبانية لاجتمع لنا من ذلك مجلد كبير، ولكننا اخترنا هذا الجزء الصغير؛ لأنه جامع ملخص أتى على المهم في الموضوع.

أما إنصافه في الحكم فيمكننا أن نستشهد عليه بما نذكر أدناه:

قال المؤلف في تصنيفه المشار إليه أعلاه:

خلاصة علوم هذا العصر: لا ريب أن القرون الطوال التي اتسعت فيها هذه المدنية المحمدية من البرتغال غربًا إلى بلاد فارس والهند شرقًا، كانت تتخللها بعض الفترات، وهـي الأوقات التـي يكون الحكم والسلطان فيهـا للمتعصبين، ولكن الحقيقة المثلى التي يتجاهلها مؤرخونا في تآليفهم بصورة فظيعة: هي أنه من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر وصلت الفنون والآداب والإنسانية عند (المور) إلى المسـتوى الذي كانت قد وصلته في المدنيـة اليونانية الرومية إن لم نقل أنها فاقتها، وسأعرض للفنـون والآداب فيما بعـد، ولكن لابـد لي أن أذكـر هنا ما ذكرته في مؤلفـاتي أن في المدنية التي تسمى (مورية) ارتقى النوع البشري في إسبانيا خلال قرون عديـدة إلى أعلى درجات الهنـاء والغبطة والسعادة والشـغف العام بكسب العلوم والفنون والإحسان إلى البؤساء وترقية الفنون والتهذيـب، ولعله إلى هذه الأيـام الأخيرة لم تطلع الشمس على أمـة أسعد ولا أهنأ ولا أرغد عيشًا ولا أكثر رغبة في التمتع بالجمال والعلوم والأعمال المجيدة من المغربيين في إسبانية، ولا مراء في أن مؤرخينا لا يبسطون القول في هـذا الفصل الذي هـو أهم فصل في التاريخ لأسباب أربعةٍ:

أولها: إن حال إسبانية وصقلية والشرق من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر هي ضد ونقيض لحال أوروبة النصرانية القذرة إلى حد لا يتصور.

الثاني: مع أن العرب ابتدأ رقيهم من دركة متوحشة مثل القوط والفنداليين؛ فقد شجعتهم بقايا مدنية يونان وفارس على أن يشيدوا مدنية زاهية في أقل من قرنين،

والحال أن النصارى قطان أوروبة تحت السلطان (البابوات) البوابي[1] مضت عليهم سبعة قرون قبل أن يصلوا إلى درجة هي أدنى بكثير من مستوى العرب.

الثالث: إن هؤلاء الذين شيدوا هذه المدنية الزاهرة كانوا من المتساهلين في الدين، ولم يكونوا من المتعصبين القشريين.

الرابع ـ كما سنبسطه في هذا الكتاب ـ: إن مدنية أولئك العرب كانت مقدمة للتجديد والترقي الذي نحن فيه اليوم؛ إلا أني أختصر القول هنا فأقول: إن هذه المدنية هدمها المتعصبون من نصارى إسبانية في بلادهم، والأتراك في المشرق في بدء نهوضهم إلى خدمة الإسلام.

ثم قال: لقد مضى ألف سنة إلا قليلًا على الناس بعد اندراس مدنية العرب قبل أن يوجد كتاب يستحق إضاعة الوقت في قراءته.

وبعبارة أخرى: كانت للعرب في زمان مجدهم كتب قيمة، فلما مضوا وأحرق أكثر تصانيفهم؛ بقي الناس ألف سنة تقريبًا لا يجدون كتابًا يستحق أن يقرأ.

ثم قال: قال استوارت في كتابه «تاريخ الآداب العربية»: كان في إسبانية ألفا ألف مصنف، ولم يصلنا من كتبهم إلا شيء قليل.

وقال المؤلف في الجزء السادس من كتابه «الأخلاق»: «كان في المملكة الواسعة الإسلامية التي امتدت من البرتغال غربًا إلى كردستان شرقًا، وكانت على وشك الاتساع إلى الهند، كانت هناك طوائف عشرين دينًا منقسمين إلى مائة مذهب، وكلهم كانوا يعيشون بسلام وتسامح، والخراج القليل الذي كان يفرض على غير المسلمين كان في الحقيقة مددًا لبيت المال، ولم يكن بِقَصْدِ التعالي عليهم وإهانتهم، والخلفاء

---

(١) كذا في الأصل، ولعله: «البابوي».

كانوا يعلمون كيف كان النصارى يعاملون المنحرفين عن الدين في أوروبة، فحق لهم أن يفتخروا بأنهم أفضل وأعدل ملوك الأرض.

وقال في الجزء نفسه بصدد البحث في تاريخ المسلمين في مصر: وبعد بضع سنين من فتح المحمديين للإسكندرية ثار أهلها وشقوا عصا الطاعة، فاضطر العرب إلى هدم جانب من تلك البلدة الجميلة، ولكن حتى مؤرخو النصارى الحاضرون يعترفون بأنهم لم يقصدوا بذلك تخريبًا وانتقامًا، وإنما ألجأهم إليه المحافظة على البلدة، أما الرواية القائلة بأن العرب وجدوا من بقايا خزانة الإسكندرية كتبًا كثيرة فأخذوا يوقدون بها أتاتين الحمامات مدة ستة أشهر؛ فالمؤرخون اليوم يرون ذلك حديث خرافة[1]، ولم توجد هذه الرواية في كلام أي مؤرخ إلا بعد مضي ستة قرون من فتح العرب مصر، وقد بحث أ. ج. بتلر (A.J.Butler) بحثًا دقيقًا في هذه المسألة في كتابه «فتح العرب مصر...»، وختم كلامه بأن هذه الرواية أسطورة حقيرة[2]، وليس لها أساس تاريخي البتة، وقد ذكر استانلي بول هذا الكلام نفسه في الجزء السادس في كتاب «تاريخ مصر» تأليف فيندرس بتري (Finders Petrie)، وليس هناك بينة على أنه كانت بالإسكندرية خزانة كتب عمومية في ذلك الزمان، والظاهر أن النصارى كانوا قد أحرقوا جميع الكتب، وأتلفوا ما بقي منها تدريجيًّا في مدة طويلة قبل ذلك بزمان.

---

(١) خرجته في: كتابي «من قصص الماضين في حديث سيد المرسلين» (ص٤١٩ - ٤٢٤)، وصار مثلًا على ألسنة الناس.

(٢) فصلتُ في ذلك، وبيّنتُ أن حرق مكتبة الإسكندرية خرافة، فيما علقته على هذا الكتاب (ص٥٤ - ٥٧)، فانظره.

وقال المؤلف في الجزء نفسه: «لا أعتقد أن الرق كان من سيئات المور[1] أو العرب؛ لأن عبيدهم كانوا أسعد حالًا من معظم سكان أوروبة، وإذا علمنا أن النصرانية لبثت ثمانية أو تسعة قرون تذم الرق، ثم باركت على استرقاق السود، فكيف ننتظر من العرب أن يبطلوا الرق في ثلث تلك المدة.

ولعل المؤلف يشير بقوله: [ثم باركت على استرقاق السود][2] إلى ما تقرر: أن النخاسة كانت شائعة في جميع بلاد أوربة إلى أوائل القرن التاسع عشر.

وقال المؤلف في الجزء المذكور: ولست الآن بصدد التحقيق في آدابهم في النكاح، ولكني من حيث أنا مؤرخ في الأخلاق أستنكر ما يقول بعض من لم يحقق الأمر من عامة المؤلفين: أن العرب كانت أخلاقهم في تلك الناحية فاسدة، وأنهم كانوا مستهترين هادمين لصلاح أهل مُجْتَمَعِهِمْ. فإن الحقائق التاريخية تكذب هذا القول، وكل كتاب معتبر في المدنية المحمدية؛ بل حتى الفصول القليلة من «تاريخ القرون الوسطى» المطبوع في كمبرج ـ وهي في الحقيقة قسمة ضيزى لناحية مهمة كهذه ـ تشهد أن العرب كانوا يعطون الحياة حقها، وكانوا خير أمة أخرجت للناس من أول التاريخ إلى الآن.

وإذ قد عرفت أخلاق العرب واعتدالهم في أمور المباشرة؛ فدونك لمحة تبين لك أخلاق رجال الكنيسة ـ فضلًا عن غيرهم من الأوروبيين ـ في ذلك الزمان:

إن عمل قوم لوط كان شائعًا في ذلك الزمان في جميع أنحاء أوروبة، وفي أواسط القرن الحادي عشر ـ الذي هو آخر زمان نتكلم في شؤونه في هذا الجزء ـ رأى الكاردينال داميان أن اللواط شائع بين القسيسين والرهبان في إيطالية، وبلغ

---

(١) المقصود بالمور: المغاربة. (منه).

(٢) ما بين المعقوفتين من الطبعة العراقية فقط.

الأمر إلى أنه ألف كتابًا في ذلك وأرسله إلى البابا (ليو التاسع) (Leo IX)، والتمس منه أن يتدارك ذلك الأمر ويأخذ في قطع ذرائعه وأسبابه، يستغيث به أن يعاقب كل راهب أو قسيس يثبت عليه اللواط بحلق رأسه والبصاق في وجهه وحبسه في حجرة مظلمة، ولما وصل كتابه إلى البابا تقبله وأظهر الارتياح به؛ إلا أنه رأى أن لا يبلغ العقاب بأولئك الفساق إلى الحد الذي اقترحه الكاردينال المذكور، ولكن يعاقبون بما هو أخف وأليق بالرحمة والشفقة، فبقيت تلك الفاحشة جارية كما كانت، واسم كتاب داميان الذي أهداه إلى البابا: «عمورة»؛ وهو اسم قرية قوم لوط.

وفي كتاب داميان ما هو أدهى وأمر مما يدل على تمام الهمجية؛ وهو الزنا بالمحارم، وأنه كان شائعًا هناك ـ أيضًا ـ ولهم أعمال من وراء ذلك كانوا لها عاملين هي الغاية في الخسة والهمجية نضرب عنها صفحًا؛ لأن القلم يخجل عن ذكرها. اهـ. من الجزء الخامس من كتاب «الأخلاق».

وهذه لمحة ونموذج من غوص هذا الرجل على الحقائق التاريخية واستخراجه مكنون ما في أحشائها، ومن يقرأ الكتب الإنكليزية يمكنه أن يطلع من ذلك على العجب العجاب.

وليعلم من يقف عليه أنه ليس قصدنا بما ترجمناه هنا الإساءة إلى أحد من الناس كائنًا من كان، وإنما نريد أن نطلع قراء اللغة العربية على ما هو رائج ومتداول في النوادي الإنكليزية والأمريكية، وليس ذلك بسر يمكن إخفاؤه، كيف؛ وقد طبعت منه مئات الألوف وعرفه الهادي والبادي، فهذا عذرنا (والعذر عند كرام الناس مقبول).

* * *

* هل كان إمام طائفة (سيك) مسلمًا؟[1]

طائفة السِّيكيين طائفة مشهورة في الهند، تمتاز عن سائر الطوائف الوثنيَّة بشدَّة التعصُّب؛ ولا سيَّما على المسلمين، وبالشَّجاعة وعظم الأجسام، والاعتزاز بشرف النَّسب.

وبالجملة؛ فأهل هذه النِّحلة يعتقدون أنَّه قد اجتمع لهم من المزايا التي تؤهِّلهم لأَنْ يسودوا على جميع أجناس الهند ومِلَله ما لم يتسنَّ لمن عداهم.

أمَّا عداوتهم للمسلمين؛ فمن الأمور المشهورة، وقد قال لي غير واحد: إنَّ تَرْكَهم لشعورهم لا يأخذون منها شيئًا؛ إنَّما هو حزن على دخول الإسلام أرض الهند، فلذلك شَرَعَ لهم بعضُ شركائهم أنَّهم لا يحلقون، ولا يقصِّرون رؤوسهم إلَّا إذا خرج الإسلام من الهند.

أمَّا العلم والأدب والوظائف الحكوميَّة على اختلاف أنواعها ـ وبالخصوص العسكريَّة ـ؛ فلهم في كلِّ ذلك الحظُّ الأوفر الذي لا أظنُّ طائفة تساويهم فيه، وربَّما كانت رجاحة عقولهم، وذكاؤهم مناسبًا لعظم أجسامهم، وقلَّة السَّواد والسُّمرة الشَّديدة ممَّا يختصُّون به دون سائر الهنادك.

ومن دواعي الدَّهشة بالاستغراب؛ أَنْ نَرَى إمامهم ومعبودهم (گورونانك) كان مسلمًا، وقد حدَّثني جماعة من أهل العلم بالهند أنَّ هذا الرجل دَرَسَ الإسلام، وعَلِمَ أنَّه الحق؛ فأسلم[2]، وأخذ يجذب قومه بالتَّدريج إلى حظيرة الإسلام؛ فأحلَّ

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، العدد (٤٠٩)، بتأريخ ١٣ جمادى الأولى ١٣٥٣هـ، (ص٨ ـ ١٠).

(٢) نعم؛ «نانك» لم يكن هندوكيًّا يتَّبع جميع عاداتهم وتقاليدهم وأحكامهم؛ بل كان يأخذ من الهندوسيَّة ما صفا وكان حقًّا، ويترك ما لم يكن كذلك. =

= ويبدو من قراءة كتابه أنَّه درس من تعاليم الإسلام ما استطاع، وكان قد تأثَّر ببعضها فآمن بها، ولو أنَّه بلغه الإسلام الصَّحيح أو وجد كتبًا إسلاميَّة بلغته؛ لكان أسلم، والهداية بيد الله، إنَّما نظنُّ به هذا؛ لبعض تعاليمه، وقد كتب بعض المؤرِّخين أنَّه كان مسلمًا مخلصًا ويترحَّمون عليه ـ أيضًا ـ ولكنَّ هذا بعيد جدًّا؛ فإنَّه لو كان مسلمًا حقًّا لما احتاج إلى اختراع دين جديد، بل أعلن إسلامه على ملأ من النَّاس.

ولم يثبت أنَّه قال يومًا إنَّه مسلم أو مؤمن، وقد استدلَّ من يقول بإسلامه من بعض كلامه؛ مثل:

* اعتقاده في كلمة الشَّهادة:

«اقرأ كلمة الإله التي معها اسم محمَّد محبوب، وقد ضحَّى محمَّد بما لديه في سبيل الله».

ويقول في موضع آخر عن أصول الإسلام: «يا أيُّها النَّاس! يقول لكم «نانك» والإله القادر المطلق ـ أيضًا ـ يقول: إنَّما يدخل جهنَّم من أعرض عن ثلاثين صومًا وخمس صلوات والكلمة الطيِّبة، فهؤلاء ـ المعرضون عن الإله ـ طعامهم وشرابهم حتَّى مشاهم نجس، والذين تركوا الصِّراط المستقيم وسلكوا سبيلًا أعوج فأنَّى لهم الكلمة الطيِّبة والصَّلاة والصَّوم؟ أولئك الذين ظلموا أنفسهم.

نعم؛ يرث الجنَّة من حافظ على الصَّلوات الخمس، وثلاثين صومًا، وأقرَّ بكلمة الشَّهادة، وأولئك يرزقون في الجنَّة رزقًا حسنًا.

ويحرم من الرِّزق الحسن والجنَّة من عصى الله وأعرض عن الكلمة، ومن مات على الإسلام بُوعد بينه وبين النَّار، وتفتح له أبواب الجنَّة يوم الحساب والعرض».

وكذلك يذكر في كتابه القرآن والرَّسول واليوم الآخر والرَّحمن والرَّحيم وغيرها من الكلمات في مواضع كثيرة، ولكن مع ذلك لا نستطيع أن نقول إنَّه مسلم.

ومن هنا نقول «السِّيخ» ـ أيضًا ـ: إنَّ «نانك» لم يكن مسلمًا ولا هندوكيًّا، إلَّا أنَّه كان يحب فقراء المسلمين وفقراء الهنادك ـ أي: المتجرِّدين عن الدُّنيا ـ ويتَّبع تعاليمهم ويستفيد من فكرتهم. =

= ذكر في كتاب «شمشير خالصة» أنَّ الإمبراطور المغولي «بابر» قابل «نانك» وبقي معه بعض الوقت؛ فبشَّره «نانك» أنَّه يفتح بلاد الهند ويبقى الملك في ذرِّيته على سبعة أبطن، فأراد الإمبراطور أن يكرمه ببعض الجواهر لكنَّه لم يقبل هديَّته إظهارًا لغناه.

والمكان الذي ولد فيه «نانك» موجود الآن في «باكستان» قريبًا من لاهور ويسمَّى «نن گانه صاحب»، ويحجُّ إليه السِّيخ مرَّة كلَّ عام.

وخلف «نانك» خلفاء؛ منهم: ابنه «شري شند»، ثمَّ ابنه الثاني الذي يلقب بـ «صاحب زاده» أي: ابن الرئيس.

* الإمام الثاني للسِّيخ (خليفة نانك) «أنغد» (١٥٠٤ ـ ١٥٥٢م):

ولد «أنغد» في زمن الملك «إسكندر اللودي» في فيروز فور عام ١٥٠٤م وخلف «نانك» بعد وفاته، وعمره يومئذ خمسة وثلاثون عامًا.

* والإمام الثالث «أمر داس» (١٤٧٩ ـ ١٥٧٤م):

وهو الذي نجح في إدخال كثير من التَّعاليم السِّيخية الجديدة التي تميِّزهم عن الهندوس، فمهَّدت تلك التعاليم بعد ذلك للفصل بين العقيدتين وكسر جسور الانتساب لهم، فأقام طقوسًا خاصَّة بالمواليد والوفيات تختلف عن طقوس الهندوس، وكذلك أبطل عزلة المرأة ودافع عن الزَّواج بواحدة، وشجَّع الاتِّصالات بين الطَّبقات وزواج الأرامل من النِّساء، كما منع بشدَّة ممارسة عادة الساتي (Sati) أو حرق النِّساء الأرامل بعد موت أزواجهنَّ.

* ثمَّ خلف «أنغد» «رام داس» (١٥٣٤ ـ ١٥٨١م) في عهد الإمبراطور «همايون».

* الخليفة الخامسة «أرجن» (١٥٦٣ ـ ١٦٠٦م):

أنجب «رام داس» ثلاثة من البنين، واستخلف على سرير الخلافة أصغر أبنائه «أرجن».

ولد أرجن في زمن الإمبراطور المغولي «أكبر» في عام ١٥٧٣م في مدينة «غوبندوال»، وكرَّس جهوده بعد الاستخلاف لتجميع صفوف السِّيخ وتوحيدها، ودخل في عهده آلاف النَّاس في الدِّيانة السِّيخية. =

= * الخليفة السادس «هر غوبنده» (١٥٩٥ ـ ١٦٤٤م):
وظهر أمام الدنيا كملك لا كناسك، وجعل في حقويه سيفين.
* الخليفة السابع «هر راي» (١٦٣٠ ـ ١٦٦١م):
نصب «هر غوبنده» حفيده «هر راي» خليفة له، ولم يحصل في زمانه كبير شيء، وتـوفِّي وهو ابن إحدى وثلاثين سنة.
* الخليفة الثامن «هاري كرشن» (١٦٥٦ ـ ١٦٦٤م):
ثمَّ جلس على سرير الخليفة ابن «هر راي» «هر كرشن».
* الخليفة التاسع «تيغ بهادر» (١٦٢١ ـ ١٦٧٥م):
ثمَّ جلس على سرير الملك «تيغ بهادر» أصغر أولاد «هر غوبنده» (الخليفة السادس).
* الخليفة العاشر والأخير «غوبند» (١٦٦٦ ـ ١٧٠٨م):
ولما قتل «تنغ بهادر» استخلفه ابنه «غوبند»، وهذا الخليفة كان من أشجع خلفاء السِّيخ وأخبرهم بأمور الحرب، وهو الذي صرف همَّه كلَّه لتوحيد صفوف السِّيخ، وبثَّ فيهم روح العداء للمسلمين، وفتح الباب لجميع من أراد الدُّخول في الديانة السِّيخية، ولم يفرِّق بين الطَّبقات، فدخل النَّاس في دينه أفواجًا.
ثمَّ جعل لقومه زيًّا خاصًّا يتميَّزون به عن الآخرين، وأوجب على كلِّ سيخيٍّ أن يتَّخذ لديه قطعة من الحديد، وذلك دليلًا على شجاعته وصلابته، وألَّا يحلق شيئًا مـن شـعر جسده، وأن يكون عنده مشاطة، وأوجب تعظيم البقرة، ورفع القيود عن المأكل والمشرب حتَّى أباح الخمر، وأوجب على كلِّ سيخيٍّ إذا قابل أخاه أن يقول: «بول واه غرو جـي كا خالصة» لتحيَ فكرة حرِّية الحرِّية ـ غوبند رائي، والآخر يرد: «سري واه غرو جـي كـي فتح» ومعناها: يا للعظمة لفتوح السيخ.
واتَّخذ مع اسمه لقب «سنغ» أي: الأسد، ثمَّ أطلق هذا اللَّفظ على كلِّ سيخيٍّ؛ فـما مـنهم من أحد إلَّا وفي اسمه (سنغ)، وهو الذي لقَّب السِّيخ بـ «الخالصة» أي: القوم الأحـرار، وهـو الذي فصل الأمَّة السِّيخيـة عن الأمَّة الهندوسيَّة فصـلًا تامًّا، وحرَّم التَّدخين =

= عليهم، وشرب الخمر، وعدم قصِّ أيِّ شعر في أيِّ جزء من أجسامهم.

وفي عهده أصبح السِّيخ أعدى أعداء المسلمين، وانتقموا منهم في كلِّ فرصة سنحت لهم، وقد نسجت حول شخصيته حكايات عجيبة غريبة تتحدَّث عن شجاعته وهمَّته، حتَّى أنَّه يقال إنَّه قاتل الأعداء إلى أربعة عشر ميلًا في الميدان بعد أن فصل رأسه عن جسده، والحامل إذا سمعت اسمه ألقت ما في بطنها...، وغيرها من الحكايات، فلا شكَّ أنَّه وحَّد قومه وجمعهم على بغض المسلمين وكرههم، وجعل في قتال المسلمين مجدًا وشرفًا ولا يتخلَّفون عنه أبدًا.

وكان «غوبند رائي» آخر الخلفاء العشرة، وانتهت به سلسلة الخلافة في الدِّيانة السِّيخية.

وانقسم السِّيخ في هذه الأيام إلى طائفتين لكلٍّ منهما أتباع، وتتقاتلان فيما بينهما ـ أحيانًا ـ وليست حقيقتهما إلَّا مثل «الكاثوليك» و«البروتستانت».

فطائفة «أكالي خالصة» تعتقد أنَّ الوصول إلى الألوهية لا يمكن إلا بالطرق التي سلكها مؤسِّس الدِّيانة وخلفاؤه، وأنَّه يجب اتِّباع التَّقاليد والعادات الموروثة فيهم، وتعتقد في أنَّ كلَّ سيخيٍّ إنَّما هو «سنت» ـ أي: ناسك ـ وليس «سباهيًّا» ـ أي: جنديًّا ـ، فيحرم عليه حمل السِّلاح إلَّا إذا طلبت منه الحكومة، وأنَّ سلسلة الخلافة انتهت بموت الخليفة العاشر، وغير ذلك من العقائد.

وطائفة «نرن كاري» لا توجب التزام التَّقاليد الموروثة، وتعتقد في أنَّ السِّلسلة الخلافيَّة لم تنته، وإنَّما توقَّفت لمدَّة، وأنَّ الخليفة الحالي هو «باب غريشن سنغ»، ويجب اتِّباعه فيما أمر ونهى، وأنَّ حمل السِّلاح ليس محرَّمًا عليهم؛ بل إذا استطاع فليحمل السِّلاح معه دائمًا للحفاظ على نفسه...، وغير ذلك من معتقداتهم.

بقي أن تعرف أنَّ مقصودهم من حمل السِّلاح هو الحماية من المسلمين ومن معتقداتهم، وأنَّه لا بدَّ للسِّيخي قبل أن يموت أن يقتل مسلمًا حتَّى يحوز على رضا الإله.

ولقد وقفوا مع الإنجليز؛ بل انضمُّوا إليهم في حربهم ضدَّ الأفغان سنة ١٨٣٨م. =

= انظر: «الهندوس والسِّيخ» لأخينا فضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم الشَّيباني (ص١٧ ـ ٢٠)، وفصَّل فيه بذكر (مجازر السِّيخ والهندوس بالمسلمين)، انظره؛ فإنَّه مفيد.

وللدكتور خليل عبد الحميد «تاريخ السِّيخ الدِّيني والسِّياسي»، وفي «المجلة السَّلفية» عدد مايو ـ يونيو ١٩٨٣م مقالة عنهم للدكتور عبد المعيد عبد الجليل، وينظر عنهم كتاب «فصول في أديان الهند» (ص١٦٦ ـ ١٢٩) للدكتور محمد ضياء الأعظمي، ومن كلامه فيه بعد أن نقل كلامًا لـ (نانك) ـ ويبدو فيه تأثُّره بعقيدة الإسلام ـ:

«هذه الاقتباسات وغيرها تدلُّ دلالة واضحة على مدى تأثُّر «نانك» بالإسلام، إلَّا أنَّه اختلط عليه بعض العقائد الوثنية فلم يستطع التخلُّص منها، وفشل في محاولته التَّوفيق بين الملل والنِّحل، فإنَّ كتابه الذي نال منزلة التَّقديس عند السِّيخيين مجمع للأفكار المتضاربة، والأديان المختلفة، والملل المتفرِّقة، فإنَّك تجد فيها ترَّهات فلاسفة الهنادك من أمثال «كبير داس» و«روي داس» و«سورداس» و«برومانتيد» وغيرهم، وبعض الحقائق والمعارف التي ينقلها من مشايخ الصُّوفية من المسلمين من أمثال: «بابا فريد كنج شكر» و«بابا مردان خان» و«بابا ستا» وغيرهم، ولا شكَّ أنَّه كان بين هؤلاء المتصوِّفين وبين فلاسفة الهندوس نزاع شديد في الأفكار والآراء والطُّرق، وإن كان بينهم تلاحم في الغاية.

وأكثر من هذا؛ أنَّ دعاة السِّيخيين يفتخرون بهذا التجميع الفكري بدون أن ينظروا إلى المتناقضات الموجودة فيه وما حدث من أجله من البلايا والمشاكل في فهم أصل الفكرة السِّيخية»، ثمَّ قال تحت عنوان: «القواعد الخمسة عند السِّيخين» ما نصُّه:

«هذه القواعد الخمسة التي يلتزم بها كلُّ سيخيٍّ أينما كان:

الأولى: «الكيشو»: وهو استرسال الشَّعر من الرَّأس وإعفاء اللِّحى؛ فإنَّه يحرم على سيخيٍّ أن يحلق رأسه ولحيته.

الثانية: «الكانغا»: وهي عبارة عن الضَّفائر المجدولة فوق الرأس؛ وذلك تعويضًا عن المشط. =

لهـم كثيرًا ممَّا تحرِّمه الوثنيَّـة الهنديَّة؛ كأكل اللُّحوم ما عدا لحم البقرة، ولكن المنيَّة اخترمتـه قبل أن يبلغ مراده؛ فبقيـت تعاليمه غـير معمول بهـا إلَّا القليل، وبدل أن يكـون هؤلاء القوم أقرب الهنادك مودَّة إلى المسلمين؛ كانوا أشدَّ الناس عداوة لهم.

ولئن فات (گورونناك) أَنْ يبثَّ تعاليمه كلَّها في قومه ويدرِّبهم على العمل بها؛ فلم يفته تسطيرها في كتابه المقدَّس عند قومه؛ لتكون نورًا يستضيء به مَن شاء الله سعادته منهم ـ ولو بعد حين ـ وحجَّة قائمة على سائرهم؛ ليهلك مَن هلك منهم عن بيِّنة، ويحيى مَن حيَّ عن بيِّنة.

= **الثالثة**: «الكانشا»: يعني اختيار سروال متَّسع يضيق عند الرُّكبتين، وتحريم لبـاس «دهـوتي» الذي يلبسه الهندوس؛ وهو رداء ستَّة أمتار يلفُّ حول الجسد من تحت السُّرة.

الرابعة: «الكارا»: وهو سوار من حديد يلفُّ حول المعصم، ويحرُم جميـع أنـواع الحـليِّ والجواهر.

الخامسة: «الكربال»: وهو عبارة عن نوع من السُّيوف يتحلَّى بـه سـيخيٌّ؛ لأنَّـه يحتـاج إليه لمحاربة أعدائه».

ثمَّ تكلَّم عن فكرة الرِّسالة والنبوَّة، وقال تحتها بما يتبرهن لكلِّ ذي لبٍّ كُفر (السِّيخة) الآن؛ قال: «إنَّ الفكرة المنتشرة بين الهنادك هي عقيدة «أفتار» (ومعناها: أن ينـزل الـربُّ على الأرض بصورة البشر)، وبيَّنتُ استحالتها ـ فيما سبق ـ في العقائد الهندوسيَّة، ولكـنَّ هذه هي الفكرة السَّائدة بين الهنادك، فهم لا يزالون يؤمنون بألوهيَّة كلِّ مصلح دينيٍّ بـما في ذلك «نانك» وغيره، إلَّا أنَّ مؤسِّس الـسِّيخية لم يقتنـع بهـا، وتـأثَّر بعقيـدة الإسـلام في إرسال الرُّسل والأنبياء من بني آدم، وبقيت هذه العقيـدة معروفـة عنـد الـسِّخين إلى زعيمهم الخامس وهو «أرجن داس» المولود في سنة ١٥٦٣م، والمتوفَّى ١٦٠١م، ولـمَّا تولَّى رئاسة السِّيخيين هذا المصلح؛ أعلن بألوهيَّة جميع المصلِّين الـسابقين، وأدخـل في السِّيخية عقيدة «أفتار»».

لقد أتحف السردار (يباراسنگه) ـ عالِم العلم والأدب ـ بقِطَعٍ نقلها من الكتاب المقدَّس عند (سيك) إلى اللُّغة الإنكليزيَّة، ونشرها في مجلة «ذي مسلم ريڤايڤل» اللَّاهورية بنصِّها الكجراني متلوًّا بالتَّرجمة، ولـمَّا لم يكن في إمكاني إثبات النَّص الكجراني، ولا في قرَّاء «الفتح» مَن يعرفه؛ فسأقتصر على ترجمة التَّرجمة من الإنكليزيَّة إلى العربيَّة؛ لتكون آية جديدة على أنَّ العظماء ذوي العقول الكبار ـ من المتقدِّمين والمتأخِّرين ـ انجذبوا إلى الإسلام طوعًا وكرهًا؛ أكرهتهم حججه الدامغة على السُّكون إليه، والاطمئنان به، والاستقاء من بحره العذب الزُّلال.

وسيتجلَّى لك بعد الاطِّلاع على هذه الكلمة: أنَّ گورونناك ـ إلٰه طائفة سيك ـ كان صوفيًّا مسلمًا يصلِّي، ويصوم، ويُوصِي بالزكاة، وقد حجَّ البيت الحرام، وله كلام حسن، ونفس عالٍ في التصوُّف، ولا غرو؛ فإنَّ التصوُّف نشأ في الهند قبل أن يعرفه العالَم.

«قال گورونناك حاضًا على الصَّدقة:

(١) اكْسَبْ معيشة شريفة بالعمل، وأنفق من ذلك شيئًا تدفعه بيدك في سبيل الله، وحينئذٍ يمكنك أن تكون على صراط مستقيم.

(٢) لا ينفع المرءَ في الحياة الأُخرى إلَّا ما اكتسبه بالعمل، وأنفقه في سبيل الله.

قوله في الصِّيام والصَّلاة:

(١) إنَّما يستطيع التقيُّ أَنْ يكسر سلاسل الدُّنيا وأغلالها بتقليل الأكل والشرب.

(٢) تعسًا للحياة التي ليست شيئًا إلَّا الأكل ونفخ البطن ـ أي: بكثرة الأكل ـ.

(٣) اجعل أيام الصَّوم الثلاثين حُرَّاسًا وحُمَاةً لـك، والـصَّلوات الخمـس رفقتك؛ وإلَّا فإنَّ الشَّيطان يفتنك، ويتسبَّب في محو اسمك.

(٤) المسجد يُعلِّم الألفة والمحبَّة، والصَّلوات تثمر التَّقوى، وقد بيَّن القرآن ما هو حلال وما هو حرام.

وباتِّباع السُّنة يكسب الإنسان العفاف، والصَّوم يُعلِّم الصَّبر والورع، وبهذا تكون مسلمًا.

الحجُّ:

وهناك بَيِّنَاتٌ في غاية الوضوح تُثبتُ لنا أنَّ گورونناك أدَّى فريضة الحجِّ إلى مكَّة، وقد كان في رفقة گورو بعضُ الفقهاء الجامدين، وكانوا جاهلين بحكم الحجِّ وأسراره وعظمته، وكانوا يعتبرون الحجَّ إنَّما هو حيلة صمَّاء في تكفير ما سلف من الذُّنوب.

وكلام گورو، ومعارفه العالية، وحقائقه العلميَّة، لم تتَّفق مع إدراك أولئك الفقهاء؛ فافترقوا، فتقدَّم الفقهاء في طائفة من الحجَّاج، وتأخَّر گورو في رفقة مُلائمة، لـمَّا رأى گورونناك أنَّ أولئك الفقهاء يشاغبونه ويسارعـون إلى أذاه؛ تأخَّر عنهم عمدًا، ثمَّ قال مخاطبًا (ماردانه) ـ وهو أحد رفقته الذين بقوا معه ـ:

«يا ماردانه! دع هؤلاء الحجَّاج يذهبون، إنْ كان من قسمتنا أن نصل إلى الكعبـة المقدَّسة؛ فإنَّنا نحن ـ أيضًا ـ سنصل إليها يا ماردانه، هذه سبيل لا يمكننا أن ننال بركتها إلَّا إذا أحكمنا حبـل المودَّة والأُخوَّة فيما بيننا، ولا نؤدِّي الفريضة الدينيَّة إلَّا بذلك، ومتى أطلقنا ألسنتنا في الهذر، والكلام الفارغ، والهزؤ، والمشاغبة؛ فلسنا حُجَّاجًا البتَّة» اهـ. من كتاب «سيگهى بهاي بلا» صفحة (١٣٠).

ولقد صدق گورونناك؛ فإنَّ الحجَّ أمر اجتماعيٌّ يجب أن ينزَّه عن اللَّغو والأذى، وتكون المحبَّة والوئام والأخوَّة سائدة بين الحجَّاج؛ وإلَّا فإنهم لا ينالون من حجِّهم إلَّا الخسران.

وفي السُّطور التالية نرى الأخ كورداس يُبيِّن لنا كيف كان حجُّ گورونناك؛ قال:

«لـمَّا ذهب گورونناك إلى الحجِّ؛ كان لابسًا ثيابًا زرقًا، ممسكًا بيده عصًا طويلة، مُعلِّقًا المصحف في عنقه، وكان عنده إبريـق الوضوء ومصلًّى ـ سجَّادة ـ للصَّلاة، وكان يُؤذِّن لكلِّ صلاة ويصلِّي، حتَّى وصل الكعبة، وكانت إقامته بالمسجد الحرام نفسه.

فلمَّا كان الليل نام گورو وَرِجْلَاهُ إلى الكعبة، فرآه مُلَّا جيوان كذلك؛ فركله برجله، ودحرجه كالكرة، وقال له: يا مجرم! يا كافر! لِمَ تنام ورِجلاك إلى بيت الله؟!

ثمَّ أخذ مُلَّا جيوان رِجْلَيهِ ليديرهما إلى جهة أخرى، فالتفت؛ فرأى الكعبة قد دارت إلى الجهة التي وجَّه إليها رِجْلَيْ گورو، ثمَّ أدارهما إلى جهة أخرى؛ فدارت الكعبة ـ أيضًا ـ، وهكذا أراهم گورو كرامته».

هذا النَّقل يُظهر لنا من بين ظلال الشُّكوك؛ أنَّ گورو ذهب حاجًّا إلى البيت الحرام، وأنَّه لم يحمل معـه من الزَّاد إلَّا ما يحمله الزُّهـاد الصَّـالحون[1]: المصحف والإبريق والمصلى، ويدلُّنا ـ أيضًا ـ على أنَّه لم يحبَّ الإقامة في بيت من بيوت مكَّة؛ بل اختار أن يقيم في المسجد الحرام عند الكعبة.

---

(١) أهكذا يكون الزُّهد المشروع؟ وهل حمل (مصلًّى) معه من شعائر الدِّين ـ وإنْ كانت جائزة بصورتِها الشَّرعية دون زخارف ـ التي تذكر كمناقب للرَّجل؟ أم أن السُّنة حمل السُّترة ـ العنَزة ـ معه في السَّفر؟

وأما حادثـة النَّوم عند الكعبـة؛ فهـي متوقَّعة أن تقع بين گورو وبين ذلك الـمُلَّا الذي يمثِّل ضيـق أخـلاق الملالي ـ جمع مُلَّا ـ من أهل بنجاب، وليريه الله ـ تعالى ـ أنَّ البِرَّ ليس هو مجرد تعظيم الكعبة بعدم مَدِّ الأرجل إلى جهتها؛ أبدى له تلك الكرامة التي جعلت الكعبة تدور، وليس ذلك الدوران حقيقيًّا[1]؛ فإنَّ الكعبة لم تتحرَّك عن حالها، وإنَّما ذلك سرٌّ من أسرار التَّصوُّف يسمَّى (الكشف)[2].

ومَن يتأوَّل توجُّه گورونناك إلى مكَّة بأنَّه ذهب ليـدعو هنـاك إلى مـذهب هندو ـ أي: إلى دين مشركي الهند ـ فقد ضلَّ ضلالًا بعيـدًا! لأنَّـه إن تـأوَّل أداءه الصَّلاة ومناسك الحجِّ بأنَّه مبالغة في التنكُّر والاستخفاء؛ فقـد حَقَّـرَهُ وانتقـصه أعظم انتقاص، بل هذا التأويل مع ما مَرَّ من أقوال هذا الرَّجل وأعماله، بـل ووعظـه وإرشـاده ودعوتـه النَّاس إلى الرُّقـي إلى حقائق الإسلام العليا؛ بعض ذلك ـ بله سائره ـ يجعل ذلك التأويل مكابرة صريحة، وتمويهًا ظاهرًا.

والحقُّ الحقيق بالقبول: هو أنَّ گورونناك كان مسلمًا حنيفًا صوفيًّا عارفًا، توجَّه إلى البيت الحرام وأدَّى فريضة الحجِّ بإخلاص وزهد وتقوى، كما يفعل أولياء الله الصالحون[3].

وإذا دعـاه المسلمون: (الحاجُّ[4] گورونناك)، وترحَّموا عليه تعظيمًا وتوقيرًا

---

(١) في مطبوع «الفتح»: «حقيقا».

(٢) ليس الكشف الذي يقوله الصُّوفية من ديـن الله في شيء، وانظـر هدمـه في «القائـد إلى العقائد» (٧٩ ـ ٨٣) للعلَّامة المعلِّمي اليماني، فإنه مهم جدًّا.

(٣) أولياء الله الصَّالحون هم العلماء المتَّبعون، ولذا قال الشَّافعي: «إذا لم يكن العلماء هم أولياء الله ـ تعالى ـ؛ فلا أعلم من هم».

(٤) يكثر المصنِّف في مقالاته ورسائله من إطلاق لفظة (الحاجِّ) على بعض معارفه! ويرى =

له، كما يفعلون مع سائر سلفهم الصَّالح؛ فإنَّهم إنما يفعلون شيئًا واجبًا عليهم.

أما السِّيكهيون؛ فبدلًا من أن يشمئزُّوا من نسبة گورو إلى الإسلام؛ كان يجب عليهم أن يعترفوا بحسن نيَّة المسلمين وتعظيمهم للحاجِّ گورو الذي هو متبوعهم، فإن لم يجعلهم ذلك يميلون إلى الإسلام؛ فلا أقلَّ من أن يُكافئوا المسلمين على تعظيمهم لإمامهم بتعظيم السِّيكهيين لنبيِّ المسلمين، ويقولون: كما أنَّ المسلمين عظَّموا إمامنا؛ فكذلك يجب علينا أن نعظِّم إمامهم محمَّدًا ﷺ، ويعتقدون في هذا النَّبي ـ على الأقل ـ مثل ما يعتقد المسلمون في صاحبهم، وبذلك تنشأ الألفة والمحبَّة بين الفريقين». إلى هنا انتهى كلام صاحب المقال المشار إليه.

وقد راجعتُ ما كُتِبَ في «دائرة المعارف الإنكليزيَّة» في ترجمة هذا الرَّجل؛ فعلمتُ أنَّ اسمه (نناك)، وأما (گورو) فهو اسم رتبة دينيَّة، ولم أجد شيئًا ممَّا في هذا المقال؛ إلَّا أنَّ الگورو كان موظَّفًا عند أحد كبراء المسلمين، ولم تنشر تعاليمه إلَّا بعد وفاته، وذكر أنَّ وفاته كانت سنة ١٥٣٣م، وذكر ثَمَّ ـ أيضًا ـ أنَّ بعض خلفائه أدخل شيئًا من التصوُّف الإسلاميِّ[1] في عقائد السِّيكهيين، ثمَّ سرد الحروب العظيمة التي وقعت بين هؤلاء وبين المسلمين.

= شيخنا الألباني في «مناسك الحجِّ والعمرة» (ص٢٥) أنَّ تلقيب من حجَّ بـ (الحاجِّ) بدعة، وقرَّر الحنابلة تعزير من يطلق على الذِّمي: (يا حاج) لأنَّ فيه تشبيه قاصد الكنائس بقاصد بيت الله، وكذا تسمية من زار القبور والمشاهد، انظر: «منتهى الإرادات» (٢/ ٤٧٩) و«كشَّاف القناع» (٦/ ١٢٨) و«مطالب أولي النُّهى» (٦/ ٤٢٤).

(١) في شرعنا زهد وتزكية، ولفظة (التصوُّف) لا توجد في نصوص الوحيين الشَّريفين.

وإذ لم أجد هناك شيئًا يتعلَّق بهذا المقال؛ لم تقع لي عناية بترجمة شيء من أحوال هذه الطَّائفة؛ فمن أراد الوقوف على أحوالها؛ فليراجعها في لفظ (سيكه ـ Sikhs)، والله أعلم.

البصرة ـ ٧ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ

محمد تقي الدين الهلالي

❑ ❑ ❑

القسم السادس

مقدِّمات الكتب، والتقاريظ لها
وما نشر منها في بطون المجلات

وفيه:

- تقريظ كتاب «الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا.

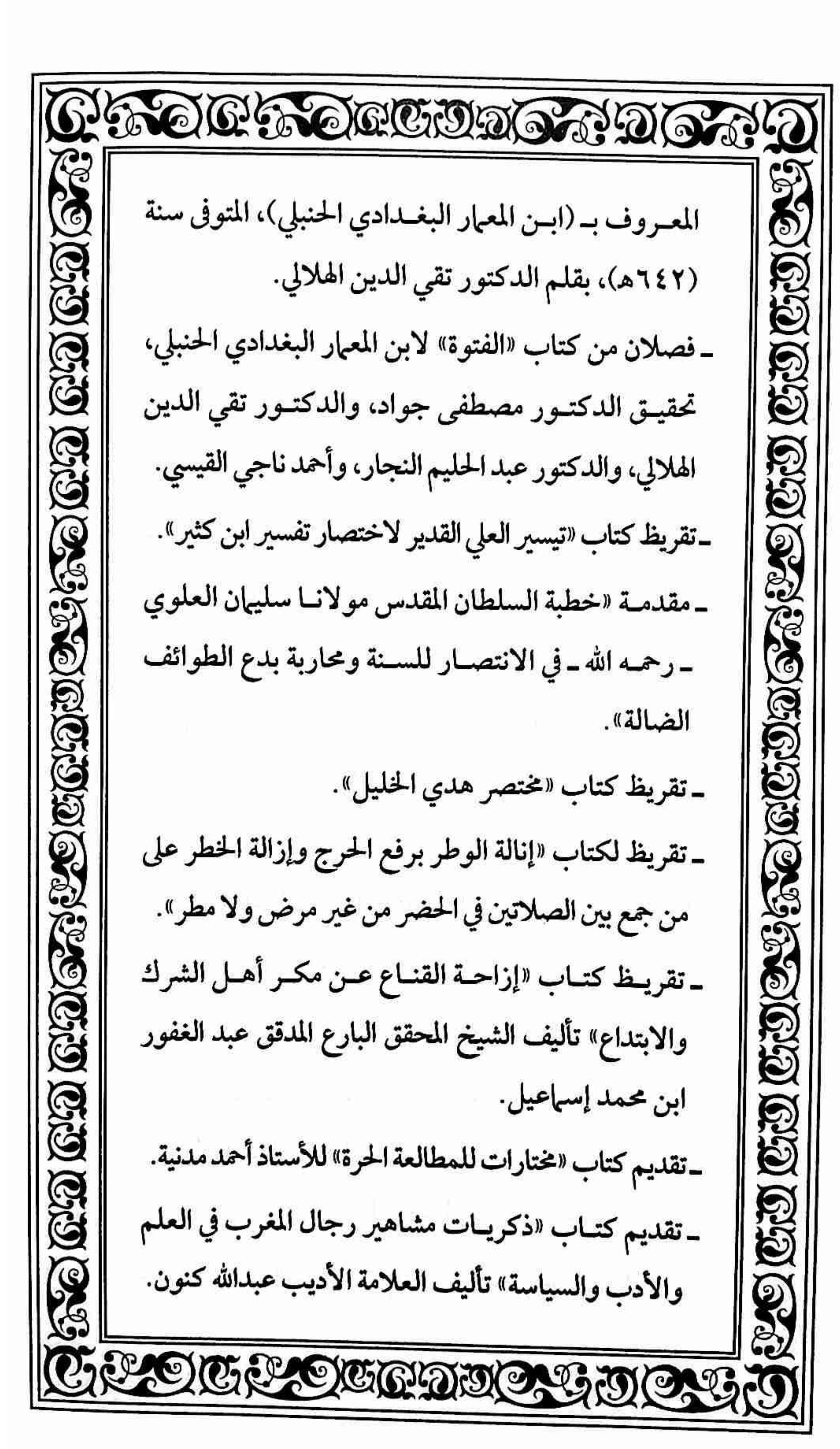
- مقدمة لكتاب «محمد بن عبد الوهاب؛ مصلح مظلوم ومفترى عليه» تأليف العلامة مسعود الندوي ـ رحمه الله ـ ترجمة وتعليق الأستاذ عبد العليم عبد العظيم البستوي، ومراجعة وتقديم العلامة الأديب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي، (ص٥ ـ ٨).

- كتاب «الجماهر في الجواهر» للبيروني، نشرة الأستاذ الدكتور كرينكو.

- تقريظ كتاب «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي».

- تقريظ كتاب «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» ومؤلفه العلامة عبد الحي الحسني ـ رحمه الله ـ في نظر الأستاذَين الجليلَين: علي الطنطاوي وتقي الدين الهلالي.

- قصة كتاب «الفتوة» للشيخ أبي عبدالله محمد بن أبي المكارم،



المعروف بـ (ابن المعمار البغدادي الحنبلي)، المتوفى سنة (٦٤٢هـ)، بقلم الدكتور تقي الدين الهلالي.

- فصلان من كتاب «الفتوة» لابن المعمار البغدادي الحنبلي، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، والدكتور تقي الدين الهلالي، والدكتور عبد الحليم النجار، وأحمد ناجي القيسي.

- تقريظ كتاب «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير».

- مقدمة «خطبة السلطان المقدس مولانا سليمان العلوي - رحمه الله - في الانتصار للسنة ومحاربة بدع الطوائف الضالة».

- تقريظ كتاب «مختصر هدي الخليل».

- تقريظ لكتاب «إنالة الوطر برفع الحرج وإزالة الخطر على من جمع بين الصلاتين في الحضر من غير مرض ولا مطر».

- تقريظ كتاب «إزاحة القناع عن مكر أهل الشرك والابتداع» تأليف الشيخ المحقق البارع المدقق عبد الغفور ابن محمد إسماعيل.

- تقديم كتاب «مختارات للمطالعة الحرة» للأستاذ أحمد مدنية.

- تقديم كتاب «ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة» تأليف العلامة الأديب عبدالله كنون.

* طائفة من التقاريظ التي رأيناها في المجلات والجرائد:

كتب الهلالي كثيرًا من التقاريظ لكثير من الكتب، وأطال في بعضها، وعرَّف بأصحابها، وأثنى عليهم، فرأينا إلحاقها بقسم (التراجم) من «مقالاتنا» التي جمعناها له، وسأذكر في الحواشي مزيد تعريف بالكتب التي قرَّظها، ولعلِّي أرفق مصوَّرة خطِّه بذلك.

* تقريظ كتاب «الوحي المحمدي» لمحمد رشيد رضا:

تقريظ الأستاذ العلامة الشيخ محمد تقي الدين الهلالي (محرر مجلة «الضياء» الهندية في لكنهو ونشر فيها)[1]

هدية ثمينة وتحفة نفيسة وثمرة علمية يانعة أنتجها قلم إمام هذا العصر وحكيمه الأكبر: مولانا السيد محمد رشيد رضا؛ لا زال بحر بره زاخرًا يقذف بالدرر، ووابل علومه يحيي القلوب الميتة، وظله الوارف حماية للإسلام والمسلمين.

هذه الدرة اليتيمة فكرة خطرت لحضرة السيد حين اشتغاله بتفسير كتاب الله (القرآن)، واستخراج نفائس كنوزه ـ وأين منها الياقوت والمرجان؟ ـ، وهي بلا شك من التحديث الرباني والإلهام الرحماني، قدمها حضرته للعالم الإنساني في شهر ربيع الأول الذي كان فيه مولد المنقذ الأكبر للنوع الإنساني محمد ـ صلوات الله عليه ـ، فكانت خدمة جليلة وتكريمًا لذلك الجناب المقدس، ولعمري! إن بمثل

---

(١) نشرت في مجلة «المنار» المصرية، الجزء العاشر من المجلد الثالث والثلاثين، سلخ ذي الحجة ١٣٥٢هـ ـ إبريل ١٩٣٤م، (ص٧٧٢ ـ ٧٧٤)، وعنها في مقدمة كتاب «الوحي المحمدي» (ص٣٣ ـ ٣٥ ـ ط عز الدين) الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

هذا العمل المبرور يكون التكريم والتعزيز، وهو الآية المحكمة على المحبة العلمية الإيمانية، لا التمسح على الأحجار أو تعليق الخرق المزوقة، وإيقاد الأنوار الكهربائية الملونة، والفقراء ذات اليمين وذات الشمال يتضوَّرون جوعًا ويموتون بأمراضهم ولا معالج لهم ولا آس، وراية الإسلام منكوسة، وأحواله معكوسة، وشرع النبي الأكرم منبوذ ظهريًّا، وسنته الشريفة متخذة سخريًّا، ولا غرو ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾[فاطر: ١٩ ـ ٢٢].

افتتح الإمام الكتاب بمقدمة بيَّن فيها بحكمة عالية واضحة نيِّرة على ذلك ارتقاء البشر في الأمور المادية في خدمة هذا الغلاف الجسمي، وبلوغهم في ذلك الغاية التي انعكست وصارت شرًّا على الأجساد التي اخترعت لتنعمها وتسعدها، وبين انحطاطهم الروحي وإفلاسهم الأدبي، وما سبب لهم من الشقاء والعذاب الجسمي الذي منه يحذرون ويفرون، وبرهن على أن السعادة البدنية يستحيل الوصول إليها بدون الكمال الروحي والرقي النفسي، ببراهين لا تبقي للشك مجالًا، وراش سهام التأنيب للدول الآخذة بأزمة الأمم في هذا الزمان، وحمل عليها تبعة الخزي والشقاوة اللَّذين تجلبهما على العالم بتكالبها على المادة وتنافسها في التطاول وحب العلو والفساد في الأرض، بإهلاك الحرث والنسل في حروبها المتنوعة: من سياسية، واقتصادية، وأدبية، وغيرها.

ثم ذكر اعتراف حكماء الغرب بهذا الفساد، وتمنيهم أن يبعث نبي يحدث انقلابًا روحيًّا ينقذ الإنسانية من نصبها وشرورها، وإطباقهم على أن أديانهم لا تنجع في علاج هذا الداء؛ بل ربما كانت إحدى عوامله، فأراد هذا الإمام الحجة أن يريهم أن الذي يطلبون بين أيديهم، وأن الدواء الناجع على طرف الثمام، ويرفع عنهم

حجب الجهل والتعصب التي حرمتهم من اقتباس أنوار الدين الأصلي الخالد، دين الفطرة، ويضع أيديهم على محاسنه وفضائله ليتفقهوا فيه باتخاذهم (الوحي المحمدي) دليلًا وهاديًا، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

ولا جرم أن السيد ـ أيَّده الله ـ جمع ما كتب الحكماء والأطباء النطاسيون لأمراض النفوس في هذا العصر وفيما قبله، وزاد عليه بأوجز عبارة وأوضحها، وفتح بابًا جديدًا للدخول إلى خزانة كنوز القرآن، استعصى فتحه على من حاوله قبله من المصلحين بالنسبة إلى طب أدواء عصرنا هذا، وأتى في هذا السِّفْر الصغير الحجم بالأدلة القاطعة عقلًا ونقلًا من الكتب المنزلة والسنن النبوية التي يتضاءل أمامها كل معاند بما يشفي الغليل، ويبرئ العليل في أمهات المسائل التي تشغل أذهان علماء العصر وعامته؛ فمنها: نبوة محمد ﷺ وإثباتها بالحجج التي تجبر مثبتي الوحي ونفاته على الإذعان والبحث الوافي الشافي في الوحي والمعجزات عند النصارى وعند المسلمين والفلاسفة مما لا تجده في غيره.

ومن خواصه أنه أورد فيه جميع الشبهات القديمة والجديدة التي وجهت للوحي العام والخاص، وأجاب عنها بأحسن جواب، ثم خرج إلى المقصود بالذات ـ وهو القرآن ـ مبينًا أسلوبه وحكمة تكرار الآيات فيه، وما أحدثه هذا الكتاب العظيم من تأثير وانقلاب في العالم، ثم حصر مقاصده الأصول؛ نذكرها ـ آسفين ـ إجمالًا لضيق المقام.

وهنا لخَّص الأستاذ مقاصد القرآن العشرة وخاتمة الكتاب؛ فجزاه الله عن نفسه ودينه وأخيه المؤلف أفضل الجزاء.

* * *

* مقدمة لكتاب «محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه»[1]

- تأليف الأستاذ مسعود الندوي - رحمه الله -.

- ترجمة وتعليق عبد العليم عبد العظيم البستوي.

- ومراجعة وتقديم العلامة الأديب الدكتور محمد تقي الدين الهلالي.

الحمد لله الذي نصر نبيه وخليله محمدًا ﷺ بالرعب مسيرة شهر، وجعل النصر حليف من اتبعه إلى آخر الدهر، وصلِّ اللهم على محمد وآله وصحبه وسلم صلاة وسلامًا بلا حصر.

أما بعد؛ فيقول العبد الفقير إلى رحمة ربه المتعالي محمد تقي الدين الهلالي:

لا يخفى أن الإمام الرباني الأواب محمد بن عبد الوهاب قام بدعوة حنيفية جددت عهد الرسول الكريم والأصحاب، وأسس دولة ذَكَّرت الناس بدولة الخلفاء الراشدين وقهرت الشياطين، وأحيت ما اندثر من علوم كتاب الله وسنة النبي الكريم، ولا شك أن معرفة أخبار هذه الدعوة وصاحبها تهم كل طالب علم من الموافقين والمخالفين؛ بل من المسلمين والكافرين، وكذلك وقع؛ فإن المؤلفين في تاريخ هذه الدعوة المباركة لا يحصون كثرةً من جميع أجناس بني آدم على اختلاف لغاتهم وميولهم وأذواقهم، ما بين قادح ومادح ومتوقف محايد، ومع كثرة التآليف التي صنفت في هذا الباب؛ منها المطول الذي يستغرق مجلدات، ومنها المتوسط، ومنها المختصر، لا تكاد تجد من بينها كتابًا جامعًا لأشتات المباحث مع المقابلة والنقد والتحقيق والتمحيص، ويصعب على طالب العلم أن يقرأ كل ما ألف في ذلك، وأن يحيط بها هنالك، ولو فرضنا أنه استطاع قراءة ذلك لشقت

(١) (ص٥ ـ ٨)، طبع بمناسبة انتقال جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إلى المدينة الجامعية، أشرف على طباعته ونشره إدارة الثقافة والنشر.

عليه المقابلة واستخراج الحقيقة من بين تلك الآراء المتضاربة، فبقي طلاب الحقيقة والتلخيص في حاجة إلى من يستخلص لهم زبدة أخبار هذه الدعوة وخلاصتها بدون تحيز، ولا تعصب، وهذا نادر ولا نقول إنه معدوم.

وقد وفق الله تلميذي البر الأستاذ الأديب مسعود عالم الندوي[1] إلى القيام بهذا العمل الشاق، فبلغ فيه ذروة النجاح، وأفلح فيه غاية الفلاح، بعدما طالع بإمعان وتحقيق أكثر من سبعين كتابًا بلغات مختلفة، واستخرج منها المسائل المهمة في العقيدة والتاريخ: تاريخ الدعوة، وتاريخ ملوك آل سعود من أولهم إلى يومنا هذا، وما جرى بينهم وبين خصومهم من حروب ومهادنات باختصار غير مخل وأسلوب غير ممل؛ فوضع بين أيدينا تاريخ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وما نتج عنها من فتوح دينية ودنيوية، ووضع المسائل التي اختلف فيها المؤرخون في ميزان الذهب حتى حققها غاية التحقيق، ونفى افتراء الأعداء وأكاذيبهم بالبراهين القاطعة وبشهادات شهود العيان من المسلمين وغير المسلمين.

ومليحة شهدت لها ضراتها ... والفضل ما شهدت به الأعداء[2]

وكنت عالـمًا أن تلميذي الأستاذ مسعود عالم الندوي ألَّف هذا الكتاب وسماه: «محمد بن عبد الوهاب المصلح المفترى عليه»، ولكن لما كان بلغة أردو لم أقرأه، وما كنت أظن أنه بلغ في العلم والتحقيق وسعة الاطلاع إلى هذا الحدِّ الذي رأيته فبهرني، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾.

---

(1) سبقت ترجمة الهلالي له.

(2) البيت للسَّرِيِّ الرفَّاء في: «ديوانه» (ص٢٦٤) و«ديوان المعاني» (١/ ٢٠٦) و«الدر الفريد» (٩/ ٤٤٤) و(١٠/ ٢٥٧)، وصدره فيها: «وَشَمَائِلٌ شَهِدَ العَدُوُّ بِفَضْلِهَا»، وكالمثبت في «الدر الفريد» (١٠/ ٤١٩) لكن بدل «والفضل»: «والحسن».

وقد أتحف مسعود عالم بهذه التحفة قراء لغة (أردو) منذ زمان، وحرم منها غيرهم، مع أن جميع طلاب الحقيقة في أشد الحاجة إلى هذا الكتاب؛ إذ يصعب بل يستحيل أن يجدوا هذه المسائل محققة كما هي، مجتمعة في كتاب واحد لا تزيد صفحاته على مئتين، فالفضل لله ـ سبحانـه وتعالى ـ في إخراج هذا الكتاب ثم لمسعود عالم الندوي، وقد كان أفضل تلامذتي في كليـة ندوة العلماء التي دعاني إلى التدريس فيها؛ بل إلى رئاسـة أساتـذة الأدب العربي فيها الأستاذان الجليلان السيد سليمان الندوي والدكتور عبد العلي ـ رحمة الله عليهما ـ فأقمت فيها من أول سنة ١٣٤٩هـ إلى شعبان من سنة ١٣٥٢هـ، وما رأيت في الاجتهاد والتحصيل مثل مسعود عالم، وكان كذلك مخلصًا ـ أيضًا ـ في دينه، وذا أخلاق كريمة وشجاعة لا يخاف في الحق لومة لائم، ولم يقتصر على ما حصَّله على يدي في تلك المدة؛ بل سافر من الهند إلى بغداد، وأقام عندي سنة وبصحبة الأستاذ عاصم الحداد، فلازم دروسي في المسجد والبيت، ولم أر فيـه نقصًا إلا التعصب للمذهب الحنفي؛ فقد كان يخالفني في هذا الباب مع شدة احترامه لي.

ولما ورد بغداد قال لـه أحد كبار علماء الحنفية: كيف تصاحب هذا الرجل وهو يطعن في مذهب أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ وقد انتقده أستاذنا الكوثري؟ فقال له مسعود عالم ـ رحمه الله ـ: إليك عني! أنا أعلم به منك ومن الكوثري.

ولكن هذا النقص أبى الله إلا أن يرفعه عنه قبل وفاته؛ فإنه كان ـ رحمه الله ـ أحد رؤساء الجماعة الإسلامية التي يرأسها الأستاذ الزعيم المودودي، فلما قبضت الحكومة الباكستانية على المودودي؛ قبضت عليه وبقي سنين في السجن، فلم يجد سبيلًا إلى التأليف، فعكف على «نيل الأوطار» للشوكاني، فتبين لـه أن التعصب للمذهب لا يرضاه الله ـ تعالى ـ ولا يرضاه السلف الصالح ومنهم الإمام أبو حنيفة نفسه، فرجع عن التعصب واتبع الكتاب والسنة ومات على ذلك، رحمة الله عليه.

وأما قول ذلك العالم الحنفي: إنني أطعن في مذهب أبي حنيفة؛ فهو فرية بلا مرية، فإنني لا أختلف مع أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ حتى أطعن فيه؛ لأن الاختلاف الذي يوجب العداوة إنما يكون في العقائد لا في الفروع، وأبو حنيفة ـ رحمه الله ـ لا يخالف عقيدة السلف من الصحابة والتابعين وسائر الأئمة المجتهدين مثقال ذرة، فأنا لا أطعن في مذهبه أبدًا، أما مخالفته في الفروع؛ فإن كانت تُعَدُّ طعنًا فأول طاعن في مذهبه محمد وأبو يوسف، فقد خالفاه في ثلث المذهب، وقيل: في ثلثي المذهب.

وإذا كان الفضل في إخراج هذه الدرة الثمينة يرجع إلى تلميذي مسعود عالم الندوي؛ فإن الفضل في إخراجها من عالم العجمية إلى عالم العربية يرجع إلى تلميذي عبد العليم بن عبد العظيم المتخرج في الجامعة الإسلامية في السنة الماضية، وهو الأول من بين تلامذة الجامعة كلهم، وهو الآن من طلاب الدراسات العليا في جامعة الملك عبد العزيز بمكة، فقد ترجم ترجمة فصيحة طيبة وأطلعني عليها وقرأها من أولها إلى آخرها، فأشرت عليه بتحسين بعض الألفاظ؛ فجاء هذا الكتاب جوهرة نفيسة وتحفة لا تقدر بثمن، خصوصًا وقد زينه المترجم بحواشي عديدة تكملة لبحث ناقص وإيضاحًا لشيء غامض، وأنا أقترح على سماحة رئيسنا الجليل الأستاذ عبد العزيز بن باز ـ أطال الله بقاءه وأدام في سماء المعالي ارتقاءه ـ أن يقرأ هذا الكتاب، وأن يأمر بطبعه ونشره لتعم فائدته جميع طلاب العلم من المسلمين وغيرهم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أملاه ضحوة يوم الجمعة

الحادي والعشرين من صفر سنة ١٣٩٤هـ

* * *

* كتاب «الجماهر في الجواهر» للبيروني

ـ نشرة الأستاذ الدكتور كرينكو[1]

هذا التأليف النفيس درة من عقد تآليف العالم العبقري أحد أساطين العلوم أبي الريحان محمد بن أحمد البيروني[2].

كل من كان من أهل العلم وقرأ شيئًا من تآليف البيروني الكثيرة في العلوم المتنوعة من تأريخ، وأدب، وطب، وصيدلة، ونجوم، وفلك، وتقويم، وطبيعة، وغيرها؛ يمتلئ إعجابًا بهذا النابغة العظيم ويرى فيه آية من آيات الله، حتى إنك تكاد لا تجد له نظيرًا في علماء عصوره؛ فقد اجتمعت فيه علوم وآداب لم تتأتَّ لغيره فيما علمت؛ فأي كتاب من كتبه تقرؤه تجده مشحونًا بالفوائد والثمرات المختلفة الألوان والطعوم، مع صدق وأمانة وتحقيق.

ومن سوء حظ المسلمين أنهم لا يزالون محرومين من الذخيرة التي خلفها هذا الحبر العظيم، ولنحصر الكلام الآن في الكتاب الذي بين أيدينا وهو كتاب «الجماهر في الجواهر».

رتب المصنف هذا الكتاب على النحو الآتي:

(فاتحة) في حمد الله وشكره، ذكر فيها نشوء المطر كيف يكون، وأنه سبب

---

(١) نشرت في مجلة «الفتح» المصرية، المجلد الرابع عشر، عدد (٦٥٣)، بتأريخ ٢١ ربيع الأول ١٣٥٨هـ (ص٦ ـ ٨).

(ملاحظة) رسالة الهلالي التي نال بها الدكتوراه في برلين هي ترجمة مقدمة «الجماهر في الجواهر» للبيروني، بإشراف هارتمن، وتقدمت كلمة عنها في ترجمة الهلالي له (ص٥٠٤) وستأتي أخرى (ص٥٦٧)، ويسر الله ﷻ لي ترجمتها إلى العربية.

(٢) انظر ما سبق لنا نشره عنه في «الفتح» (العدد ٤٤٧ و٤٤٨ و٤٥١). (الفتح).

حياة الحيوان كله ناطقه وأعجمه والنبات، والفرق بين الحيوان والنبات في الاغتذاء، بتحقيق يطأطئ له علماء الطبيعة الأعناق.

ثم تلا ذلك (مقدمة) قسمها إلى ١٥ ترويحة ذكر فيها الجواهر النفسية؛ وهي الأخلاق الكريمة التي ترفع الإنسان إلى أعلى درجات الكمال، وأشبع الكلام في المروءة والفتوة وشرائطهما وأقوال الناس في حدهما، مرصعًا ذلك بلآلئ آيات القرآن العظيم، مطبقًا ذلك أسمى ما يمكن أن يصل إليه الفكر البشري في الأخلاق، ومستشهدًا بأشعار العرب والأحاديث ووقائع التاريخ، على وجه يشوق القارئ ويلذ له، مع الفوائد النفيسة مما يملأ النفس بهجة وارتياحًا.

ثم يلي المقدمة ذكر الجواهر وأصنافها وأوصافها ومغاصاتها وما قال الشعراء فيها، وجميع الآيات التي جاء فيها ذكر الجواهر في كتاب الله المجيد، وحكايات ومواعظ ولطائف تجدد نشاط القارئ وتدفع عنه السآمة والملل.

ثم يلي ذلك ذكر الفلزات؛ وهي أثمان الحاجات من ذهب وفضة ونحاس وشبهه، وغيرها من المعادن وما يتعلق بها، وأين توجد في البلدان، وقد ذكر معادن كثيرة في بلاد العرب، اهتم بمعرفة ذلك علماء أوروبا الذين يشتغلون بالحفر والتنقيب، كما ذكره الأستاذ الناشر في خاتمة الطبع.

ولأجل أن ترى نموذجًا من كلام البيروني؛ أثبت لك نبذة منه:

قال في فصل (الفضة): «هي بالرومية: أرجوسا[1]، وبالسريانية: سيما، وبالفارسية: سِيم، وبالتركية: كش[2]، وبالهندية: روب، وذكر حمزة أنه عرِّب من

---

(١) أقول: ومنه (أرجان Argent) بإخفاء النون وغنتها، اسم الفضة باللغة الفرنسية. (منه).

(٢) الفضة بلغة الترك الحديثة: (كوموش)، فلا ندري! هل الذي في نسخة البيروني =

الفارسية على السام، والسام: عروق الذهب والفضة في الجبل، وهو بعروق الذهب أعرف... واسم الفضة بالعربية اللجين والصريف، ونظن بالصيرفي أنه منه؛ فإن الصراف مزاولة الصرف بين العين والورق... ويقال لها ـ أيضًا ـ: الصولج، وكأنه صفة لها بالجودة، يقال: فضة صولج وصولجة، وقيل في أسمائها: الغرب؛ لتغيبها في المعدن، وليس هذا التغيب مما يخص الفضة... وقيل في الغرب أنه الذهب، قال الأعشى[1]:

إذا انكب أزهر بين السقاة ... تراموا به غربًا أو نضارا»

وقال في فصل (النحاس): «هو بالرومية: خلقو، وبالسريانية: نحاسًا، وبالعربية: النحاس والمس والقِطْر، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾[الرحمن: ٣٥]، قيل فيه: إنه الدخان، واستشهد عليه بقوله ـ تعالى ـ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾[الدخان: ١٠]، وقيل ـ أيضًا ـ أنه النحاس الذي هو فلزٌّ، ولا محالة أنه عناه مذابًا منصبًّا في قوله: ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧]، ولأن النحاس لحام الحديد؛ قال ذو القرنين: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[الكهف: ٩٦]».

لقد بذل الأستاذ الناشر جهدًا كبيرًا في إخراج هذه الدرة الكريمة صافية متلألئة من صدفتها[2]، ولقي عناءً كبيرًا في تحصيل نسخ الكتاب الموجودة في

= تصحيف من كمش أم إحدى اللهجات؟ (الفتح).

(١) «ديوانه» (ص٨١).

(٢) الأستاذ العلامة كرنكو يخدم العلم من طريق العربية خدمة عظيمة بإخلاص لا يكون إلا من العلماء، ولما شرعنا بنشر «لسان العرب» بعث إلينا بملاحظات وتعليقات =

الدنيا؛ وهي ثلاث: إحداهن في إسكوريال بإسبانيا، والأخريان في القسطنطينية، وقابل بين هذه النسخ، وذكر في الحواشي اختلافها، مع بعض الشرح لما في الكتاب من غوامض، وشكل كثيرًا منـه، ولكن سقم الطبع في الهند في حيدر آباد ـ حيث طبـع الكتـاب ـ حال دون أمنية الأستاذ سالم الكرنكوي (وهـو اسمه بالعربية)؛ فوقعت أغلاط وتحريفات أسف لها الناشر، ولم يمكنه تداركها إلا بجدول الخطأ والصواب، ولعله يتيسر له في طبعته الثانية بلوغ أمنيته.

وسبب عنايتي بهذا الكتاب أنه اقترح عليَّ الأستاذ ب. كال أن أترجم مقدمة كتاب «الجماهر» باللغة الجرمانيـة، وذكر لي أن علماء العربية من الأوروبيين عامة ومن الجرمانيـين خاصة مشتاقون إلى ترجمة هذه المقدمة ليعم النفع والمتعة بها، لما يرون من حسنها ونفاستها، ولكن لم يقدم أحد حتى الآن على ذلك، فاستنسخت المقدمـة من تصوير نسخة إسكوريال[1] الموسومة بالحرف A ومن تصوير نسخة السيد راشد أفنـدي بالقيصرية في القسطنطينية المعلمـة بالحرف B، وأما النسخة الثالثة التي وسمها الأستاذ الكرنكوي بحرف C فلم أرها ولا تصويرها[2].

= ثمينة وسخية، ونحن نأسف على توقفنا عن الطبع وعدم تمكننا من نشر تلك الفوائد. (الفتح).

قال أبو عبيدة: انظر جهود كرنكو في نشر التراث، ومدى عمق علاقته مع أستاذه الهلالي في كتابنا «مراسلات الهلالي» (٤/ ١٧١١ ـ ١٧١٢ ـ الفهارس).

(١) برقم (٩٠٥).

(٢) من الكتاب نسخ في جامعة هارفرد، ومصورة عنها في مركز جمعة الماجد (٢٤٥٤٥٧)، وفي دار الكتب المصرية (٧٤٩ ـ طب)، وفي الخزانة العامة ـ الرباط نسخة ملخصة من (١١٧٠ق).

وبعد ما أكملت ترجمة المقدمة علمت أن الأستاذ المذكور قد طبع الكتاب كله وترجمه بالإنجليزية، وأسفت لعدم علمي بذلك، ولو علمت ذلك قبل البدء في العمل لما أقدمت عليه؛ لأن الكتب النفيسة المدخرة في الخزائن كثيرة فأختار منها ما شئت، ولا أحب مزاحمة أحد ولا سيما رجلًا أجله وأكرمه لعلمه وفضله وأخلاقه، وإن كنت لا أعرفه إلا بالسماع، ولكن فضله وكرم شمائله متواتر، وأفضل ذلك براءته من غمط فضائل الإسلام والعرب، وصفاء سريرته وإشادته بمحاسن ما خلفه علماء الإسلام، على حين نجد كثيرًا من المستعمرين يجازون أشياخهم العرب والمسلمين جزاء سِنِمَّارِ.

ومع أن عملنا مختلف الوجهة نوعًا ما؛ لأن ترجمتي أنا إنما هي لبعض الكتاب، وهي ـ أيضًا ـ بلغة غير اللغة التي ترجم بها الأستاذ الكرنكوي؛ فإني أشكره على هذه الخدمة الجليلة، وأنزل على حكمه في نشر ترجمتي ما وجدت إلى ذلك سبيلًا، وأسأل الله أن يكثر من أمثال هذا العالم في علماء أوروبا ويبارك في حياته.

وليعلم الأستاذ الكرنكوي أني أعوذ بالله وأبرأ إليه من الأثرة والعجب والتنافس لنيل الحطام الحقير وغمط أهل العلم والفضل، بل رأس المال الذي أسأل الله حفظه هو أدب العلم والتشبه بصالحي العلماء.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح[1]

ثم إن من أهم الأمور التي بعثتني على هذا العمل أني قرأت في مقدمة ترجمة كتاب «الآثار الباقية عن القرون الخالية» بالإنجليزية لزخاو (C .Sachau Edward) أكاذيب اخترعها ونسبها للبيروني ما أنزل الله بها من سلطان، فزعم أنه كان يبغض

---

(١) البيت في: «ديوان عبد الغني المقدسي» (ص٨٩).

العرب بغضًا شديدًا، وكان يميل إلى الأسلاف المجوس[1]، وإن الإسلام في بلاده خوارزم في زمانه لم يبلغ من القوة إلى حد أن يؤثر في قلب رجل عالم مهذب مثله، وأنه كان ينتسب إلى الشيعة تبعًا لأهل بلده، وأورد ذلك بأسلوب تهكمي؛ فما أدري من أيهما أعجب: أمن افترائه على رجل مشهور؛ بل ركن من أركان العلم والأدب؟! أم جرأته في فرحه بتلك الأكاذيب وصوغها في قالب التهكم؟! وقد تبعه الأستاذ بروكلمن في كتابه «تاريخ الأدب العربي» في بعض ذلك تقليدًا، ثم رجع عن بعضه في ملحق الكتاب.

أردت أن أنتصر للحق، وأبين بطلان ما نسبه زخاو لهذا العالم الجليل، وقد كتبت ذلك باللغة الجرمانية، وإن تم نشر ترجمته بالعربية ونشرته ـ إن شاء الله ـ، وزبدته أن البيروني كان مسلمًا مخلصًا في إسلامه، سني العقيدة، محبًّا للعرب مشيدًا بفضائلهم، ولو ظفر أحد الدجاجلة الذين يسرقون أكاذيب أعداء الإسلام والعرب ويروجونها بين الجهلة ليبلغوا بذلك مآرب دنيئة بمساعدة أعداء الإسلام والعرب من شياطين الأوروبيين ذوي النفوذ في الشرق، لو علم أحدهم بذلك؛ لطار فرحًا،

---

(١) لما وصلنا في قراءة مقالة الأخ العلامة الهلالي إلى هذا الموضع؛ سمعنا أبا الريحان البيروني ينادي من عالم الغيب بقوله في كتاب «الصيدلة» الذي نشره الدكتور مابرهوف: «ديننا والدولة عربيان وتوأمان، يرفرف على أحدهما القوة الإلهية وعلى الآخر اليد السماوية، وكم احتشد طوائف من التوابع ـ وخاصة منهم الجيل والديلم ـ في إلباس الدولة جلابيب العجمة، فلم ينفق لهم في المراد سوق، وما دام الأذان يقرع آذانهم كل يوم خمسًا، وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفًّا صفًّا، ويخطب لهم في الجوامع بالإصلاح؛ كانوا لليدين وللفم، وحبل الإسلام غير منفصم، وحصنه غير منثلم».

فإذا كان البيروني ـ قائل هذا الكلام ـ يكون مع ذلك مبغضًا للعرب ويميل إلى الأسلاف المجوس؛ فعلى الحقائق السلام... (الفتح).

وألف كتابًا في هذه الكذبة، وجعل دعامته كذب زخاو وما نقل بـروكلمن عنـه، ولأشاع ذلك بين الجهلة وأفسد إفسادًا كبيرًا يعسر على أهل العلم بعد إصلاحه وإزالته من أدمغة الجهلة، وما بالعهد من قدم؛ فقد سرق رجل ينتسب للعلم حَدْسًا حدسه مارجليوث بسبب بغضه اليهود؛ لأن أصله منهم، فبثه في الناس وبنى عليه كتابًا برمته، وفتن الجهلة بذلك فتنة عظيمة شغلت الناس في مصر زمانًا، وقد لقيتُ علماء ثقات حدثوني أنهم سمعوا هذا الحدس في شأن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وابنه إسماعيل من مارجليوث منذ عشرات السنين، وجادلوه عليه ولم يقبلوه منه.

قال لي أحد العلماء: إن مارجليوث يبحث دائمًا بحث تحقيق ما دام الكلام خارجًا من دائرة المسائل اليهودية، حتى إذا جاء الأمر إليها غلب عليه وجدانه وزال تحقيقه، ونحن لا يهمنا طعن مارجليوث في كل ما هو يهودي ما لم يصادم ذلك نصًّا إسلاميًّا، ثـم كل ما صنع واعتقد مارجليوث فهو هين في جنب ما ارتكبه سارق آرائه الباطلة في مسألة إتيان إبراهيم وإسماعيل مكة وبنائهما البيت.

ثم من وقاحة هذا الدجال أنه مع سرقته باطل غيره؛ تبجح بذلك وزعم أنه بحث حر وتحقيق وعلم، فلذلك بادرت إلى كذب زخاو فنقضته وأتيت بنيانه من القواعد، فما هي إلا لحظة حتى صار منهارًا، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[الأنبياء: ١٨]، فعلت ذلك قبل أن يظفر به الدجالون فيسرقوه ويبثوه في الدهماء، ويأخذون عليه ثمنًا من أعداء الإسلام والعرب ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[التوبة: ٣٠].

تقي الدين الهلالي

* * *

* تقريظ لكتاب «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي»[1]

هذه قصيدة تاريخية للأستاذ الشيخ محمد تقي الدين الهلالي المراكشي العراقي تلميذ الشارح، ورئيس أساتذة آداب اللغة العربية بدار العلوم لندوة العلماء سابقًا، أنشدها بعدما أخبره الشيخ الشارح ـ رحمه الله ـ تعالى ـ بإرادته الشروع في طبع الجزء الأول من «تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي» في شهر ربيع الثاني سنة ثلاث وأربعين بعد ألف وثلاث مئة من هجرة النبي ﷺ[2]:

بِسْمِ الإلَـهِ الواحِدِ الرَّحْمنِ	الخَالِقِ الرَّزَّاقِ ذِي الإحْسَانِ
المَالِكِ البَاقِي اللَّطِيفِ لِمَا يَشَاء	رَبِّ الخَلائِقِ مَا لَهُ مِنْ ثَانِ
خَضَعَتْ لِعِزَّتِهِ السَّمَوَاتُ الْعُلَى	أمْلاكُهَا وَالنَّجْمُ والقَمَرَانِ

(١) نشر آخر مطبوع «تحفة الأحوذي» (٤/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ ط الحجرية الهندية و١٠/ ٥٣١ ـ ٥٣٥ ط دار الفكر)، وأشار إلى هذه القصيدة في غير موطن، وانظر التقريظ وما ذكره الهلالي قبله من أخبار مع شيخه المباركفوري في: ديوانه المسمى «منحة الكبير المتعالي» (ص٥٦٥ ـ ٥٧٧ بتحقيقي).

وذكرها ـ أيضًا ـ غير واحد قبل البحاثة الأستاذ صلاح الدين مقبول أحمد السلفي في مقالته «العلامة أبو العلى عبد الرحمن المحدث المباركفوري» المنشورة في مجلة «الجامعة السلفية» الهندية، المجلد التاسع، العدد الأول، صفر ١٣٩٧هـ ـ فبراير ١٩٧٧م، (ص٦٠ ـ ٦٤)، قال عن الهلالي: «وله قصيدة تاريخية تحتوي على سبعة وستين بيتًا في «تحفة الأحوذي» ومؤلفه، كتبها سنة ١٣٤٣هـ، وهي ملحقة بالجزء الآخر من «تحفة الأحوذي»».

(٢) الحواشي على القصيدة من الطبعة الحجرية الهندية فقط.

وَكَـذَا البَسِيطَةُ بَرُّهـا وَبُحُورُهَـا ... دَوَابُهَـا[1] وَالطَّـيْرُ والـثَّقَلانِ

وَبِحَمْـدِهِ كُـلُّ الخَلائِـقِ سَـبَّحَتْ ... حَتَّـى الجَـمَادُ وَذَاكَ فِي القُـرْآنِ

وَالرَّاسِـيَاتُ تَـشَقَّقَتْ وَتَفَجَّـرَتْ ... وَتَدَكْـدَكَتْ مِـنْ هَيْبَـةِ الـرَّحْمَنِ

فَلَـهُ المَحَامِـدُ كُلُّهَـا فِي هَـذِهِ الدُّنْـ ... ـيَا وَيَـوْمَ الحَـشْرِ وَالمِيـزَانِ

هُـوَ رَبُّنَـا وَمَلاذُنَـا وَغِيَاثُنَـا ... لَا نَـسْتَغِيثُ بِغَـيْرِهِ فِي شَـانِ[2]

كـلَّا وَلَا نَـدْعُو سِـوَى رَبِّ الْعِبَـا ... دِ لِنَفْعِنَـا أَوْ دَفْـعِ كَيْـدِ الـشَّانِي

فَهُـوَ القَـدِيرُ عَـلَى الأُمُـورِ جَمِيعِهَـا ... وَسِـوَاهُ لَـيْسَ لَـهُ بِـذَاكَ يَـدَانِ

سُـبْحَانَهُ مِـنْ مَالِـكٍ خَلَـقَ العِبَـا ... دَ وَقَـدَّرَ الأَرْزَاقَ بِـالمِيزَانِ

وَهَـدَى الأَنَـامَ بِرُسْـلِهِ لِـصَلاحِهِمْ ... وَعَلَـيْهِمُ قَـدْ جَـادَ بِالفُرْقَـانِ

كُتُـبٌ مُطَهَّـرَةٌ عَلَـيْهِمْ أُنْزِلَـتْ ... مِـنْ رَبِّهِـمْ لِهِدَايَـةِ الإِنْـسَانِ

حَاشَـاهُ أَنْ يَـدَعَ الْـوَرَى هَمَـلًا بِـلَا ... رُسْـلٍ وَلَا نُـورٍ وَلَا بُرْهَـانِ

خَـتَمَ النَّبِيِّـينَ الهُـدَاةَ بِخَـيْرِهِمْ ... وَالكُتْـبَ بِـالْقُرْآنِ ذِي التِّبْيَـانِ

لِلنَّاسِ كُلِّهِـمُ قَـدَ ارْسَـلَ[3] أَحْمَـدًا[4] ... يَهْـدِيهِمُ لِعِبَـادَةِ الـرَّحْمَنِ

---

(١) بالتخفيف للوزن. (منه).

(٢) بتسهيل الهمزة ألفًا للوزن، وهو جائز حتى في النشر. (منه).

(٣) (أرسل) بالوصل بنقل حركة الهمزة للوزن، وهو جائز بلا ضرورة؛ بل واقع في القرآن في قراءة ورش. (منه).

(٤) (أحمد) بالصرف للوزن. (منه).

وَيُطَهِّرُ الأَخْلاقَ مِنْ شِرْكٍ وَمِنْ ... جَهْلٍ وَمِنْ ظُلْمٍ وَمِنْ كُفْرَانِ

فَوَفَى بِمَا وَعَدَ الإِلَهُ بِهِ مِنَ الْـ ... إِصْلَاحِ لَمْ يَثْنِيهِ[1] عَنْهُ ثَانِ

وَهَدَى العِبَادَ بِنُورِ رَبِّهِمُ إِلَى النَّهْـ ... ـجِ القَوِيمِ بِرَأْفَةٍ وَحَنَانِ

مَا زَالَ مُجْتَهِدًا لإِنْقَاذِ الوَرَى ... وَنَجَاتِهِمْ مِنْ هُوَّةِ الخُسْرَانِ

قَاسَى شَدَائِدَ لَوْ أُصِيبَ بِبَعْضِهَا ... شُمُّ الجِبَالِ لَصِرْنَ كَالقِيعَانِ

فَأَقَامَ يَدْعُو غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِمَا ... لاَقَى مِنَ الجُهَّالِ مِنْ عُدْوَانِ

حَتَّى أَتَى النَّصْرُ المبِينُ وَأَذْعَنَتْ ... زُمَرُ الأَعَادِي أَيَّمَا إِذْعَانِ

مُتَبَتِّلٌ لإِلَهِهِ مُتَعَبِّدٌ ... مَعْسُورُهُ وَالْيُسْرُ مُسْتَوِيَانِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ مَا ذُكِرَ اسْمُهُ ... وَالآلُ مَعْ أَصْحَابِهِ الشُّجْعَانِ

بُشْرى لَنَا يَا مَعْشَرَ الإِخْوَانِ ... ذي نِعْمَةٌ جَاءت مِنَ الرَّحْمَنِ

ذي تُحْفَةٌ للأَحْوَذِيِّ وَمِنْحَةٌ ... للألْمَعِيِّ الطَّالِبِ الْعِرْفَانِ

شَرْحٌ بِهِ انْشَرَحَتْ صُدُورُ أولي النُّهَى ... وَبِهِ المُحَدِّثُ نَالَ كُلَّ أَمَانِي

شَرْحٌ يَحُلُّ المُشْكِلاتِ بِجَامِعٍ ... للتِّرْمِذِيِّ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي

شَرْحٌ عَلا فَوْقَ الشُّرُوحِ بِحِكْمَةٍ ... وَبِغَايَةِ التَّحْقِيقِ والإِتْقَانِ

مَا شَانَهُ مَيْلٌ وَلَا عَصَبِيَّةٌ ... لِمَذَاهِبٍ زَلَّتْ بِهَا الْقَدَمَانِ

بَلْ زَانَهُ الإِنْصَافُ تِلْكَ بحُوثُهُ ... مَوْزُونَةٌ بِالقِسْطِ وَالمِيزَانِ

---

(١) (لم يثنيه) بإثبات الياء للوزن على حد قوله:

ألم يأتيك والأنباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد. (منه)

وَأَبَانَ أَحْوَالَ الرُّوَاةِ جَمِيعَهُمْ مِنْ حُجَّةٍ أَوْ صَالِحٍ أَوْ وَانِ[1]

لَا غَرْوَ إِذْ أَبْدَاهُ بَحْرٌ زَاخِرٌ فَخْرُ العَيَالِمِ عَابِدُ الرَّحْمَنِ

الحَافِظُ الثِّقَةُ الإِمَامُ المُهْتَدِي مَنْ صِيتُهُ قَدْ طَارَ فِي الأَوْطَانِ

وَرِثَ المَكَارِمَ عَنْ أَبِيهِ المُرْتَضَى عَبْدِ الرَّحِيمِ مُحَقِّقِ القُرْآنِ

وَغَدَا سِرَاجًا لِلهِدَايَةِ فِي (مُبَا رَكْبُورَ) بَلْ فِي سَائِرِ البُلْدَانِ

للهِ مَا أَبْدَاهُ هَذَا الحَبْرُ مَنْ بَهَرَتْ مَعَارِفُهُ ذَوِي العِرْفَانِ

فَلَقَدْ أَتَى فِي شَرْحِهِ بِفَرَائِدٍ دُرَرٍ تَفُوقُ قَلَائِدَ العِقْيَانِ

أَحْيَى بِهِ السُّنَنَ الَّتِي قَبَرَ العِدَا مِنْ ظُلْمِهِمْ فِي غَابِرِ الأَزْمَانِ

فَتَبَشَّرُوا أَهْلَ الحَدِيثِ بِذَا الْكِتَا بِ وَقَابِلُوهُ بِوَاجِبِ الشُّكْرَانِ

هُوَ نِعْمَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ عَظِيمَةٌ حَاشَا أَخِي بِدَعٍ جَهُولٍ شَانِ

عَمَّتْهُمُ وَأُولِي الحَدِيثِ ذَوِي العُلَى خَصَّتْهُمُ بِزِيَادَةِ الإِحْسَانِ

إِذْ هُمْ هُدَاةُ الخَلْقِ بَعْدَ المُصْطَفَى المُرْتَقُونَ مَرَاتِبَ الإِحْسَانِ

مَا المُؤْمِنُونَ حَقِيقَةً إِلَّا الَّذِيـ ـنَ قَدِ اقْتَفَوْا قَوْلَ النَّبِيْ[2] الْعَدْنَانِي

جَمَعُوهُ لِلذِّكْرِ الحَكِيمِ فَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ لَهُمُ بِكُلِّ بَيَانِ

لَمْ يَضْرِبُوا بَعْضَ الكِتَابِ بِبَعْضِهِ كَلَّا وَلَا قَوْلَ النَّبِيْ[3] بِقُرَانِ[4]

---

(١) أي: ضعيف. (منه).

(٢) (النبي) بسكون الياء للوزن. (منه).

(٣) (النبي) بسكون الياء للوزن. (منه).

(٤) (بقران) بنقل حركة الهمزة، وهي لغة في القرآن. (منه).

فَهُـمُ مَـصَابِيحُ الهِدَايَـةِ فَـاقْفُهُمْ ... إنْ شِـئْتَ أنْ تَنْجُـو[1] مِـنَ الخُسْرَانِ

حَاشَـا لَهُـمْ أنْ يَتْرُكُـوا قَـوْلَ الرَّسُـو ... لِ لِـمَا رَأَوْهُ أوْ لِقَـوْلِ فُـلَانِ

لَمْ يُحْـدِثُوا حَـدَثًا وَلَمْ يَتَفَرَّقُـوا ... في دِيـنِهِمْ كَتَفرقـة[2] الْعِمْيَـانِ

وَرَمَـتْهُمُ أعْـدَاؤُهُمْ بِعُيُوبِهَـا ... مَـاذَا يَـضِيرُهُمُ مِـنَ البُهْتَـانِ

خَلَقَتْ لَهُـمْ ألْقَـابَ سَـوْءٍ مِثْـلَ مَـا ... نَبَـزَ الـصَّحَابَةَ عَابِـدُو[3] الأَوْثَـانِ

واللهُ طَهَّـرَهُمْ وأعْـلَى قَـدْرَهُمْ ... عَـنْ نَبْـزِ كُـلِّ مُعَطِّـلٍ خَـوَّانِ

مَـا حَرَّفُـوا مِـنْ آيَـةٍ كَـلَّا وَلَا ... رَدُّوا حَـدِيثًا جَـاءَ إلَّا الْـوَاني[4]

هُـمْ وَارِثُـو نُـورِ الرَّسُـولِ فَلُـذْ بِهِـمْ ... إنْ كُنْـتَ تَبْغِـي خَـالِصَ الإيـمَانِ

أهْـلُ الحَـدِيثِ هُـمُ الأُلَى عَمِلُـوا بِـهِ ... لا الـمُكْثِرُونَ ولا ذَوو الإتقـانِ

إلَّا إذَا عَمِلُـوا فَهُـمْ أوْلَى بِـهِ ... مِـنْ غَـيْرِهِمْ حَقًّـا بِـلَا نُكْـرَانِ

فاعْكُفْ عَلَى أسْـفَارِهِمْ تَنَـلِ الـمُنَى ... وَاعْمَـلْ بِهَـا في الـسِّرِّ والإعْـلَانِ

لَا سِـيَّمَا هَـذَا الكِتَـابُ الْـمُنْتَقَى ... فَهُـوَ الـشِّفَاءُ لِغُلَّـةِ الظَّمْـآنِ

وَاشْـكُرْ مُؤَلِّفَـهُ فَكَـمْ قَاسَـى العَنَـا ... غَوْصًـا عَـلَى الْيَـاقُوتِ وَالْـمُرْجَانِ

(١) (تنجو) بسكون الواو للوزن، على حد قول كعب بن زهير: «أرجو وآمل أن تدنو مودتها» (منه).

(٢) كذا بالأصل، وفيها تصحيف، وصحتها: «كتفرق» ليستقيم الوزن. (منه).

(٣) كذا بالأصل، وفيها تصحيف، وصحتها: «عابدي» أو «عابد» ليستقيم المعنى. (منه).

(٤) أي: الضعيف. (منه).

حَتَّـــى أجَـــادَ بِحِكْمَـــةٍ تَرْصِـــيفَهُ فَـــدَنَا جَنَـــى جَنَّاتِـــهِ لِلْجَـــاني[1]

مِـــنْ قَبْلِـــهِ أَبْـــدَى التـــآلِيفَ الَّتِـــي سَارَتْ مَـسِيرَ الـشَّمْسِ في الأَوْطَـانِ

فَجَـــزَاهُ رَبُّ النَّـــاسِ خَـــيْرَ جَزَائِـــهِ وَحَبَـــاهُ في الـــدَّارَيْنِ كُـــلَّ أَمَـــانِ

تَارِيخُهُ (بُـشْرَى لَكُـمْ يَـا مَعْـشَرَ النُّـــجَبَاءِ لُبًّـــا)[2] في رَبيـــعِ الثَّـــاني

يَـــا رَبِّ صَـــلِّ عَـــلَى النَّبِـــيِّ وَآلِـــهِ مَـــا غَنَّـــتِ الْوَرْقَـــاءُ في الأَغْـــصَانِ

وَاغْفِـــرْ لِنَاظِمِهَـــا مُحَمَّـــدٍ الهِـــلَا لِي ذَنْبَـــهُ يَـــا وَاسِـــعَ الْغُفْـــرَانِ

فَـــرِّجْ بَفَـــضْلِكَ يَـــا كَـــرِيمُ كُرُوبَـــهُ وَاخْـــتِمْ لَنَـــا بِـــالخَيْرِ والرِّضْـــوَانِ

❊ ❊ ❊

❊ تقريظ كتاب «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» ومؤلفه العلامة عبد الحي الحسني ـ رحمه الله ـ في نظر الأستاذين الجليلين علي الطنطاوي وتقي الدين الهلالي[3]

وقد أشاد العلامة محمد تقي الدين الهلالي الحسيني المغربي ـ رحمه الله ـ بفضل العلامة عبد الحي ونوّه بنصاعة بيانه؛ إذ يقول في رسالة موجهة إلى تلميذه الأستاذ

---

(١) أي: المقتطِف. (منه).

(٢) سنة ١٣٤٣هـ. (منه).

(٣) نشرت في كتاب «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» (١/ ٦ الطبعة الأولى ـ دار ابن حزم)، وهي من زيادات محققها؛ إذ ليست موجودة في الطبعة الهندية المنشورة ـ أيضًا ـ بعنوان «نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر».

السيد أبي الحسن[1] ما يلي:

«أما ما شهدتُ به وأعجبتُ به من علم والدكم، وفصاحته، وحسن تصنيفه، وبلاغتـه، وجمال أسلوبه؛ فقد جاء عفوًا، ولم أقصد به المدح والثناء، وسرني مجيئه في الوقت المناسب، والعجب من الذين شكُّوا في علمه وتحقيقه، ولا شك أن الحامل لهم على ذلك هو قصورهم في اللُّغة العربية».

❊ ❊ ❊

❊ قصة كتاب «الفتوة» للشيخ أبي عبدالله محمد بن أبي المكارم المعروف بـ (ابن المعمار) البغدادي الحنبلي، المتوفى (سنة ٩٤٢هـ)[2]

بقلم الدكتور تقي الدين الهلالي
الأستاذ في قسم اللغة العربية بكلية التربية
(جامعة بغداد)

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ ١ ـ

الحمد لله الذي جعل آثار الماضين منارًا يهتدي به من يأتي بعدهم من المقتدين،

---

(١) انظرها في: «رسائل الأعلام إلى العلامة أبي الحسن الندوي» (٤٣ ـ ٤٦) وكتابي «رسائل العلامة السلفي محمد تقي الدين الهلالي المغربي للعلماء والوجهاء» (٢/ ٩٥٣).

(٢) مثبتة في أول كتاب «الفتوة» المذكور (ص١٠٣ ـ ١١٢) تحت عنوان (قصة هذا الكتاب)، والمثبت هنا بقلم الهلالي فقط، مع أن الكتاب منشور بتحقيقه وثلاثة آخرين، ونشر الهلالي مع شركائـه في التحقيق فصلين من الكتاب في بعض المجلات العراقية، وفيهما تعريف بالكتاب ومؤلِّفه.

والصلاة والسلام على محمد وآله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فإن نظام الفتوة من الأعلاق النفسية التي خلفها أسلافنا العرب الأماجد، ومن الفضائل التي حازوا فيها قصب السبق، وحملوا فيها لواء الفضل على من اقتدى بهم في هذا المضمار من الأمم والشعوب، ومما لا يحتاج إلى دليل أن نظام الفروسية الذي مثل دورًا عظيمًا من أدوار البطولة في أوروبا هو مقتبس من العرب الأكارم، ومن آكد الواجبات على أبناء العرب الناهضين في هذا الزمان أن يحيوا مآثر أسلافهم، وينفضوا ما علق بها من الغبار، وينشروا لواءها في جميع الأقطار؛ ليهتدي بها السالك على آثارهم، وتكون شهابًا قامعًا لمن يجحد فضلهم من أندادهم.

ولما كنت منتدبًا للتدريس في جامعة بُن سنة ١٩٥٣؛ اجتمعت هناك بالعالم المستشرق الكبير الأستاذ الدكتور باول كاله (Dr. Paul Kahle) عضو الأكاديمية العلمية في برلين وسكرتير مجلة المستشرقين الألمانية، ومدير القسم الشرقي في جامعة (بُن) سابقًا، وكان في جولة قام بها لإلقاء المحاضرات في عواصم أوروبا ـ كعادته ـ بعد تقاعده، وفي هذه الجولة كان يلقي محاضرات في وصف نسخة التوراة المكتشفة منذ بضع سنين في فلسطين، وقد أخبرني الأستاذ كاله أن عنده كتابًا في «الفتوة ونظامها وآدابها» لابن المعمار، المعروف بـ (أبي عبدالله محمد بن أبي المكارم الفقيه الحنبلي البغدادي)، أَلَّفه للخليفة الناصر لدين الله العباسي، وأنه يريد أن يترجم فصولًا منه إلى الألمانية لينشرها بمناسبة بلوغه الثمانين في أواخر سنة ١٩٥٤م، والتمس مني أن أساعده في ترجمة هذه الفصول، ولما كان ذلك لا يمكنني إلا بعد انتهاء فصل الصيف الدراسي في الجامعة، وعدته بأن أسافر إليه في أوكسفورد في بريطانيا في شهر آب من السنة المذكورة فنقوم معًا بهذا العمل، وكذلك فعلت؛

فترجمنا الفصول التي أراد ترجمتها، ولم أكن قد اطلعت قبل ذلك على تأليف في هذا الموضوع، فالتمست منه نسخة فوتوغرافية لعله يتيسر لي نشره بعد العودة إلى الوطن، فوعدني بذلك، ولما عدت إلى بغداد في أواخر السنة المذكورة؛ طلبت منه النسخة الفوتوغرافية فبعث بها إلي، واتفقت مع السيد أحمد ناجي القيسي أستاذ اللغة الفارسية المساعد في كلية الآداب بجامعة بغداد على أن نخدم هذا الكتاب بقدر جهدنا، وأن نعرضه للنشر، ثم ورد علينا بعد ذلك صديقنا الأستاذ المحقق الدكتور عبد الحليم النجار أحد أساتذة كلية الآداب بجامعة القاهرة، وهو الآن أستاذ منتدب بكلية الآداب بجامعة بغداد، فعرضنا عليه مشاركتنا في هذا العمل؛ فرحب بها أيما ترحيب، وبدأنا ثلاثتنا في قراءة الكتاب وإصلاح أخطائه الكثيرة التي لا تُبقي ريبًا في أن الكاتب كان يجهل اللغة العربية جهلًا فاضحًا، ومن سوء الحظ أن هذه النسخة فريدة[1]؛ فلا توجد نسخة أخرى يمكن أن تقابل عليها.

ومن أهم المشكلات التي اعترضت طريقنا في إعداد هذا الكتاب للنشر: كثرة الأحاديث والآثار عن الصحابة وغيرهم، وقد جلبها المؤلف وحشرها في هذا الكتاب، فلم نستطع أن نمر بهذه الأحاديث والآثار مرور الكرام باللغو؛ لأن ذلك ليس من شأن أهل العلم والتحقيق، وغلب على ظني أن هذه الأحاديث موضوعة مكذوبة، وأن احتجاج المؤلف بالآية الكريمة: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾[الكهف: ١٣] وزعمه بأنها تشير إلى الفتوة؛ ليس لهما أصل، وأخبرت بذلك رفيقيَّ في أثناء القراءة، ثم بحثنا في «الجامع الصغير» للسيوطي وكتاب «اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة» له؛ فلم نجد لأحاديث الفتوة أثرًا،

(١) هي نسخة توبنجن ـ ألمانيا، رقم (١٨٤)، وسيأتي بيان ذلك في المقالة الآتية.

حتى في كتب الموضوعات، وهذا مما يدل على أن وضع هذه الأحاديث كان متأخرًا، ولعله لا يبعد عن زمان المؤلف إن لم يكن منه.

ثم وجدنا رسالة صغيرة لابن تيمية[1] عند الأستاذ السيد يوسف يعقوب مسكوني وصلت إليه من الأستاذ اللغوي المرحوم أنستاس ماري الكرملي مخطوطة بيده، كان قد نقلها عن نسخة للأستاذ الكبير المرحوم محمود شكري الآلوسي، فقرأنا هذه الرسالة من أولها إلى آخرها، فاستفدنا منها صحة ما كنت توقعته من كون هذه الأحاديث موضوعة؛ فقد صرَّح الإمام ابن تيمية بأنه لا يصح في هذا الباب شيء، وقد قال الحافظ ابن حجر العسقلاني مؤلف «فتح الباري» ـ والذي إذا أطلق لفظ (الحافظ) عند المحدثين لا ينصرف رأي الباحث إلا إليه ـ: «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية؛ فليس بحديث».

قال ابن تيمية في الرسالة المذكورة: «أما ما ذكر من إلباس[2] لباس الفتوة السراويل وغيره وإسقاء الملح والماء؛ فهذا باطل لا أصل له، ولم يفعل هذا رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه رضي الله عنهم؛ لا[3] علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ولا غيره، ولا من التابعين لهم بإحسان، والإسناد[4] الذي يذكرونه من[5] طريق الخليفة الناصر إلى عبد الجبار إلى ثمامة؛ فهو إسناد لا تقوم به حجة، وفيه من

---

(١) ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل» له (١/ ١٤٨ ط السيد محمد رشيد رضا) بعنوان (لباس الفتوة والخرقة عند المتصوفة)، وسأقابل عليها.

(٢) في الأصل: «فإذا ما ذكر ابن عباس».

(٣) في الأصل: «ولا».

(٤) في الأصل: «وأما الإسناد».

(٥) في الأصل: «عن».

لا يعرف، ولا يجوز لمسلم[1] أن ينسب إلى النبي ـ صلَّى الله ـ تعالى ـ عليه وسلَّم ـ بمثل هذا الإسناد المجهول الرجال أمرًا من الأمور التي لا تعرف عنه؛ فكيف إذا نسب إليه ما يعلم أنه كذب وافتراء عليه؟! فإن العالمين بسنته[2] وأحواله متفقون على أن هذا من الكذب المختلق عليه وعلى علي بن أبي طالب ـ رضي الله ـ تعالى ـ عنه ـ».

وحين انتهينا من تحقيق الكتاب وإعداده للنشر بلغنا أن زميلنا العلامة المفضال الدكتور مصطفى جواد الأستاذ في كلية التربية بجامعة بغداد كان قد شغل نفسه بدراسة موضوع (الفتوة) منذ زمن بعيد؛ فكتب مقالة فيها في مجلة «لغة العرب»، وألقى محاضرتين نفيستين في المجمع العلمي العراقي في آخر موسم المحاضرات من سنة ١٩٥٧، ونشر خلاصة لهما في المجلد الخامس من مجلة «المجمع» المذكور، فرأينا استكمالًا للتحقيق أن نعرض ما عملناه عليه؛ فراجعه مشكورًا، وأقرنا عليه، وأضاف إلى حواشيه تعليقات مهمة ذات بال، فأصبح بذلك شريكنا في عملنا كله، وآثرنا خدمة لموضوع الفتوة أن ننشر أصل محاضرتيه ليكون مقدمة لهذا الكتاب؛ فإن سيادته كان قد استند في إعدادهما إلى مخطوطات نادرة متفرقة في مكتبات العالم، لم تتيسر مراجعتها والاستفادة منها لأكثر الباحثين.

ـ ٢ ـ

أما مخطوطة كتاب «الفتوة» التي أعددناها للنشر؛ فهي نسخة (فريدة) لم نجد ذكرًا لأخت لها فيما بين أيدينا من فهارس خزائن الكتب، وهي من مخطوطات جامعة (توبنكن) في ألمانيا، رقمها (١٨٤).

---

(١) في الأصل: «للمسلم».

(٢) في الأصل: «بالسفه».

وقـد تكلـم عليهـا وروى قصتهـا المستشرق الألماني (كاله) في الصفحات (٢١٥ ـ ٢٦٤) من كتابه: «Opera Minoa, Leiden, E. J. Brill 1956» في مقدمة الترجمة الألمانية للفصلين السادس والسابع من كتاب ابن المعمار، تلك الترجمة التي كنت قد شاركته فيها سنة ١٩٥٤.

وفيما يأتي ترجمة لتلك المقدمة آثرت نشرها هنا لأنها تبين قيمة الكتاب واهتمام المستشرقين به في أوروبا[١]:

«كتاب «الفتوة» لأبي عبدالله محمد بن أبي المكارم المعروف بـ (ابن المعمار) الفقيه الحنبلي البغدادي[٢]، اتخذه (هرمن تورننك) مرجعًا فيما يتعلق بنقابات الفتوة في عهد الخليفة العباسي الناصر المتوفى سنة ٦٢٢هـ (١٢٢٥م)، وفي رسالته الموسومة بـ «مقدمـة لمعرفـة النقابات الإسلاميـة»، وقـد بحث فيها بحثًا دقيقًا في النسخة المخطوطة الوحيدة لهذا الكتاب، وبواسطة هذا العمل الجليل حصل على شهادة الدكتـوراه في الفلسفة من جامعـة (كيل) على يـد جورج يعقوب، وقد نشر هذا الكتاب في برلين سنة ١٩١٣ في سلسلة المكتبة التركية التي كان قد أسسها جورج يعقوب[٣].

---

(١) ولمعرفة المزيد عن الكتاب وأهميته: يراجع مقال فرانتس تشنر في (فتوى الخليفة ناصر) في كتاب «المنتقى من دراسات المستشرقين» للدكتور صلاح الدين المنجـد (ص١٨٩ ـ ٢٠٤) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥٥م. (منه).

(٢) إن الذي أثبته (كاله) في كتابه هو كتاب «الفتوة» لأبي عبدالله محمد الشارم العمار [كذا!] الفقيه الحنبلي البغدادي، والتصحيح من تحقيقات زميلنا الكريم الدكتور مصطفى جواد (تراجع ترجمته للمؤلف في موضعها من هذا الكتاب). (منه).

(٣) ولـد في ٢٦ مـايـو ١٨٦٢م، ومـات في ٤ يوليـو ١٩٣٧م، لـه ترجمـة مطولـة في =

وقد حصلت مكتبة جامعة (توبنكن) سنة ١٨٦٤ على هذا المخطوط مع المجموعة الأخيرة من المخطوطات العربية التي كان يملكها القنصل الدكتور (فيتسن شتاين) وهو مرقم بـ (م/ آ/ ٦/ ١٣٧)، وناسخ هذه المخطوطة شخص اسمه محمد بن أيوب بن محمد، وهو رجل متوسط الثقافة عجز في مواضع كثيرة عن قراءة الأصل المنسوخ منه، وكان ذلك في سنة ٨٤٤هـ (١٤٤٠م)، وقد وصفه تحت رقم (١٣٤) (ماكس فايس فايلر) في «فهرست المخطوطات العربية» (الجزء الثاني) سنة ١٩٣٠، ووصفه بروكلمان وصفًا قصيرًا في «الملحق الأول» صفحة (٦٠٠).

ولكن تورننك لم يقدر هذا النص حق قدره؛ إذ ظن أنه ألف في عصر قد انحطت فيه فتوة الخليفة الناصر بعد مضي عصرها الذهبي، والحقيقة أن هذا الكتاب يرجع إلى عصر الخليفة الناصر، وهو وصف شاهد عيان لعصر هذه النقابات الذهبي، وهذا المخطوط أهم كثيرًا مما ظنه تورننك، ولقد أثبتُّ هذا في مقالتي في «مجموعة جورج يعقوب التذكارية» في الاحتفال بمولده الموفي سبعين عامًا سنة ١٩٣٢ (الصفحة ١١٢ ـ ١٢٧)، وإلى هذا العهد تقريبًا يرجع مرسوم الخليفة الناصر الخاص بالفتوة لسنة ٦٠٤ (١١٠٧) الذي نشرته في «مجموعة الاحتفال بـ (ماكس فراير فون أوبنهايم)» ببرلين سنة ١٩٣٣ (الصفحة ٨٢)، وقد أشار هلموت ريتر في مقاله في «الفتوة» المنشور في مجلة «دير إسلام» (الجزء ١٠) سنة ١٩٢٠ (الصفحة ٢٤٤ ـ ٢٥٠) إلى بحث تورننك الخاص بفتوة الخليفة الناصر استنادًا إلى دائرة معارف فارسية اسمها «نفائس الفنون في مسائل العيون» ألفها

= «موسوعة المستشرقين» (٤٣٥ ـ ٤٣٨).

الآملي سنة ٧٣٥، وقد اتضح لريتر أن هـذه الإشارة لهـا علاقة ما بنص مخطوط توبنكن، ولكن لم يستطع ـ بناءً على بيان تورننك ـ أن يتصور مقدار تشابه النصين، فمن الواضح أن النص الموجود في مخطوط توبنكن كان أمام الآملي، وأنه رجع إليه كثيرًا.

هذا؛ وأن الذي ساهمت به في الاحتفال بجورج يعقوب حفز ريتر لتدقيق النظر في مخطوط توبنكن بواسطة المصورات التي بعثت بها إليـه، فاتـضح لـه في أثناء ذلك أن نص توبنكن أصعب كثيرًا مما كان يبدو، وبحث في بعض المواضـع مع إسماعيل أفندي؛ لأنها لم تكن واضحة وضوحًا كافيًا، هذا ما كتب به إلي مـن استنبولي في السادس عشر من يونيو سنة ١٩٣٢م، وقد اقترح في رسـالته بعـض التصحيحات التي وجد لها مسوغًا عنده.

إن صعوبة النص ناتجة عن الصيغة الفقهية للبحوث في الفتوة، وهذه الصيغ ليست من السهولة بمكان قريب، كما أنها ناتجة عن عدم فهم ناسخ مخطوط توبنكن لما نسخه في مواضع كثيرة، لذلك كان من الضروري أن أعيد النظر في مقالي الذي نشرته في «مجموعة الاحتفال بيعقوب».

وكانت رسالة ريتر أساس هذا العمل، ولقد سررت بأن هذه الرسالة عادت إلى ملكي مع كتبي سنة ١٩٤٨، وأمكنني أن أبحث مرة أخرى في هذا النص مع تقي الدين الهلالي صديقي القديم من عهد (بُن).

وكان أول شيء شغلنا به عند حلول الهلالي في (بُن) في خريف سنة ١٩٣٦ نص يتعلق بالفتوة وهو (باب الفتوة والمروة) من كتاب البيروني المسمى بـ «كتاب الجماهر في معرفة الجواهر» اعتمادًا على المخطوطات الآتية: مخطوط قيسرية، ومخطوط

راشد أفنـدي ذي الرقم (٤٧٦)، ومخطوط إستنبول سراي ذي الرقم (٢٠٤٥)، وهذه المخطوطات لا يستغنى عنها في الأعمال العلمية المتعلقة بهذا النص بعد أن قام كرينكو بطبع الكتاب في حيدر آباد سنة ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م)، ولم تذهب سدى الأيام الأربعة عشر التي صرفناها في الحصول على فهم صحيح لهذا النص القصير الصعب.

أما ترجمة نص البيروني التي قمنا بها في ذلك الوقت إلى الألمانية؛ فنشره فرانس تشنر مع الأصل العربي في الجزء الرابع والعشرين من مجلة «دير إسلام» سنة ١٩٣٧ (الصفحة ٦٩ ـ ٧٤)، وقـد وضعنا النص والترجمـة تحت تصرفـه؛ لأنه كان يريد أن ينتفع بما كتبه البيروني في مقاله في الصوفيـة والفتوة، وكان عملنا المشترك يهم (الهلالي)؛ لأنـه حفزه للبحث في مقدمـة «كتـاب البيروني في الجواهـر»، فاشتغل بتحقيقها على النحو الذي ابتدأنا به، وبهذا العمل نال شهادة الدكتوراه في الفلسفة على يـد ريجارد هرتمن في برلين سـنة ١٩٤١، واسم رسالته: «ترجمة مقدمة كتاب الجماهر في الجواهر للبيروني مع تعليقات عليها»، وهو عمل علمي جليل من الطراز الأول، ثم زارني الدكتور الهلالي في بريطانيا في شهر آب سنة ١٩٥٤ وبحثنا معًا بحثًا دقيقًا في متن كتاب «الفتوة» المصور المأخوذ من نسخة (توبنكن)، وإن ترجمتنا للبابين السادس والسابع من كتاب الفتوة (أعني الأوراق ٣١ ـ ٦٠ من المخطوطة) إنما هي ثمرة أخرى لعملنا المشترك».

الدكتور تقي الدين الهلالي

الأستاذ في قسم اللغة العربية بكلية التربية (جامعة بغداد)

* * *

* فصلان من «كتاب الفتوة» لابن المعمار البغدادي الحنبلي[1]

ـ تحقيق الدكتور مصطفى جواد والدكتور تقي الدين الهلالي والدكتور عبد الحليم النجار وأحمد ناجي القيسي[2]

* أصل الكتاب نسخة فريدة من مخطوطات مكتبة جامعة (توبنكن) في ألمانيا (رقمها ١٨٤)، نسخها محمد بن أيوب بن محمد سنة ٨٤٤هـ عن أصل لا يشير إليه.

* والمؤلف هو الشيخ المحدث أبو عبدالله محمد بن أبي المكارم المعروف بـ (ابن المعمار) البغدادي الحنبلي المتوفى سنة ٦٤٢هـ[3]، ألف كتابه وقدمه للخليفة

---

(١) نشرت في مجلة «كلية الآداب والعلوم» التي تصدرها كلية الآداب والعلوم ببغداد، العدد الثالث، حزيران ١٩٥٨م، (ص١٥٩ ـ ١٧٦)، والهوامش المثبتة جميعها في هذه المقالة بقلم المحققين، ولم يصدر من المجلة المذكورة إلا ثلاثة أعداد، ثم تحولت إلى «مجلة كلية الآداب»، وهذه الأعداد الثلاثة نادرة جدًّا، اقتنيتُها مع سائر أعداد مجلة «كلية الآداب» بالشراء الشرعي في أوقات عصيبة تمر بها بغداد، وجهدت أن أقف على سائر ما طبع للهلالي هناك؛ فلم أفز إلا بشيء قليل، وزعته في محاله من هذه «المقالات»، والله الموفق للخيرات، والهادي للصالحات.

(٢) الكتاب معد للنشر، وسيطبع قريبًا. (منه).

قال أبو عبيدة: طبع برمَّته، وأثبتنا ما قدمه الهلالي وحده في المقالة السابقة.

(٣) انظر: (ج٢، الورقة ٣٢٧) من كتاب «التكملة لوفيات النقلة» لزكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري المصري، نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ١٩٨٢. (منه).

قال أبو عبيدة: لم أظفر له بترجمة في طبعتيه: العراقية ومؤسسة الرسالة، فكلاهما ناقصة من الآخر؛ فطبعة النجف المنشورة سنة ١٣٩١ ـ ١٩٧١ انتهت بوفيات سنة (٦١٦هـ)، وطبعة مؤسسة الرسالة انتهت سنة (٦٤٢هـ)، والمترجم له ساقط منهما.

الناصر لدين الله[1].

* عرَّف بالكتاب المستشرق الألماني (كاله)، وترجم منه فصلين ـ بمشاركة الدكتور تقي الدين الهلالي ـ نشرهما مع التعريف في كتابه:

«Opera Minoa, Leiden, E. J. Brill 1956» (p. 215 – 264)

* ولمعرفة المزيد عن الكتاب ومحتوياته يراجع مقال فرانز تشنر في (فتوة الخليفة الناصر) في كتاب «المنتقى من دراسات المستشرقين» للدكتور صلاح الدين المنجد (ص١٨٩ ـ ٢٠٤) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٥٥.

ـ الفصل الرابع:

ـ في شرائط الفتوة وما يعتبر فيها[2] من القيود الصحيحة والمكملة:

ويشترط لصحتها ست شرائط: الذكورية، والبلوغ، والعقل، والدين، واستقامة الحال، والأصل[3] المروءة، ونحن نشير إلى حالة[4] كل شرط إشارة لطيفة:

الشرط الأول: الذكورية؛ وهو مظنة الشرف والكمال، ولهذا تختص الذكور بالولايات في السياسات والشهادات والأقضية والأموال دون النساء؛ فإنهن ربات حجر، وخيارهن ناقصات عقل ودين، كما قال ـ عليه السلام ـ[5]، ويتخدن مفرشًا

(١) راجع: بروكلمان «تاريخ الآداب العربية» (الملحق الأول، ص٦٩٠). (منه).

(٢) في الأصل: «فها». (منه).

(٣) في الأصل: «وأصل». (منه).

(٤) في الأصل: «إلى إحالة». (منه).

(٥) هو قوله ﷺ: «مَا رَأَيتُ مِن نَاقِصَاتِ عَقلٍ وَدِينٍ أَذهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِن =

للذكور؛ وذلك ذل[1] وهوان، والفتوة صفة شرف وكمال، والرجال قوامون على النسا[ء]؛ فاستحقوا الاختصاص[2] بالفتوة.

الشرط الثاني: البلوغ؛ وهو مظنة كمال البنية، واستنارة[3] العقل، وكمال تصرفه، وخروج القوة الهيولانية إلى ما بالملكة الفاعلية، ولهذا أطلقه الشارع في أنواع التصرفات بعد أن كان ممنوعًا منها في حالة الصبا؛ فإنه مظنة الضعف والقصور، والعجز عن[4] درك المعلومات والوقوف على حقائق الماهيات، ولهذا أسقط الشارع عنه القلم[5]، والمقصود بالقدرة: انبعاث الشخص على الطاعات، واجتنابه الملهيات، والصبي لا يهتدي لحسن ذلك[6] وقبحه؛ فلا يرعوي إن زجر، ولا ينتبه لما أمر.

= إِحدَاكُنَّ». قُلنَ: وَمَا نُقصَانُ دِينِنَا وَعَقلِنَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «أَلَيسَ شَهَادَةُ المَرأَةِ مِثلَ نِصفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟». قُلنَ: بَلَى. قَالَ: «فَذَلِكِ مِن نُقصَانِ عَقلِهَا، أَلَيسَ إِذَا حَاضَت لَم تُصَلِّ وَلَم تَصُم؟». قُلنَ: بَلَى. قَالَ: «فَذَلِكِ مِن نُقصَانِ دِينِهَا»، أخرجه البخاري (٣٠٤ و١٤٦٢) ومسلم (٧٩).

(١) في الأصل: «وذالك دل». (منه).

(٢) في الأصل: «الاخصاص». (منه).

(٣) في الأصل: «واستشارة». (منه).

(٤) في الأصل: «من درك». (منه).

(٥) إشارة إلى حديث: «رُفِعَ القَلَمُ عَن ثَلاثٍ: النَّائِم حَتَّى يَستَيقِظَ، وَالصَّبِيَ حَتَّى يَبلُغَ، وَالسَّاهِي حَتَّى يَذكُرَ». (منه).

قلت: انظر تخريجه في «الموافقات» (١/ ٢٣٧ ـ بتحقيقي).

(٦) في الأصل: «بحسن ذالك». (منه).

(**مسألة**)[١]: فأما[٢] المميز المراهق؛ فله حكم البالغ في كثير من الأمور، فإن القريب من الشيء يأخذ حكمه عرفًا وشرعًا، ولا كذلك الطفل الصغير، ويحتمل أن تصبح فتوة الصبي أخذًا[٣] من صحة إسلامه، وفيه خلاف بين العلماء، والحكمة في صحة فتوته أنه ينشأ متمرنًا[٤] متعودًا لخصال الفتيان، ويربى[٥] في الخير، وقد ورد في الحديث أن الله يحب الشاب المتخلق بأخلاق المشايخ، ويبغض الشيخ المتخلق بأخلاق الشباب[٦]. وإذا قلنا بصحة فتوة الصبي؛ لا يلزمه من أحكام الفتوة إلا حسب طاقته كما أمرناه بالصلاة لسبع، وضربناه على تركها لعشر.

الشرط الثالث: العقل؛ وهو طريق في درك المعلومات، والآلة لنا في إتقان[٧] المصنوعات، والتهدي إلى الخير، وتمييزه عن الشر[٨] والكف عنه.

وإن لسان المرء[٩] ما لم يكن له ... حصاة[١٠] على عوراته لدليل[١١][١٢]

---

(١) في الأصل: «مسلة»، وأكثر القدماء يكتبونها هكذا. (منه).

(٢) في الأصل: «فاما». (منه).

(٣) في الأصل: «أخذًا». (منه).

(٤) في الأصل: «حتميرنا». (منه).

(٥) في الأصل: «وبريا». (منه).

(٦) الحديث لم يثبت.

(٧) في الأصل: «اتفاق». (منه).

(٨) في الأصل: «وتميزه عن الشرك». (منه).

(٩) في الأصل: «المراء». (منه).

(١٠) في الأصل: «حصا على». (منه).

(١١) كتب البيت منثورًا في الأصل. (منه).

(١٢) البيت لطرفة بن العبد في «ديوانه» (ص٦٧).

والمرام لكل ذي[1] لب معرفة الحق ليعتقده، والخير ليعمل به، والشر ليتجنبه.

(شعر)[2]:

عرفـــت الـــشر لا للـــشر لكــــن[3] لتوقيـــه

ومـــن لم يعـــرف الخـــير[4] مـــن الـــشر يقـــع فيـــه[5]

وكان ـ عليه السلام ـ إذا بلغه عبادة عابد يقـول[6]: «كَيْـفَ عَقْلُـهُ؟» فـإن قيـل[7]: نـاقص. قـال: «كَـادَ[8] أَنْ يَـخْلُقَ»، وإن قيـل: كامـل. قـال: «كَـادَ[9] أَنْ يَبْلُغَ»[10]، وقال ـ عليه السلام ـ: «أَعبَدُ النَّاسِ أَعقَلُهُمْ، وَنَحنُ مَعَاشِرَ الأَنبِيَا[ءِ] أُمِرنَا أَن نُخَاطِبَ النَّاسَ عَلَى قَدرِ عُقُولِـهِم، وَمَا أُعطِيَ الرَّجُلُ أَفـضَلَ مِـن عَقـلٍ يَهدِيـهِ إِلَى هُدًى وَيَـرُدُّهُ عَن رَدَى»[11]، وقال ـ أيـضًا ـ عليـه الـسلام ـ: «وَالَّـذِي

(١) في الأصل: «دي لب». (منه).

(٢) في الأصل: «سعر». (منه).

(٣) في الأصل: «لا» (فقط). (منه).

(٤) في الأصل: «الحيز». (منه).

(٥) البيتان لأبي فراس الحمداني في «ديوانه» (ص٣٥٢).

(٦) في الأصل: «فيقول». (منه).

(٧) في الأصل: «فإن كان». (منه).

(٨) في الأصل: «كاذ». (منه).

(٩) في الأصل: «كاذ». (منه).

(١٠) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العقل وفضله» (٩) وغيره من حديث أبي الدرداء، وإسناده واهٍ؛ فيه مروان بن سالم الغفاري وهو متروك.

(١١) لم أقف عليه بهذا التمام، وأخرج العقيلي في «الضعفاء» (٦/ ٣٩٨) بسنده إلى ابن =

أَحصَى رَملَ عَالِجٍ عَدَدًا! إنَّ الرَّجُلَينِ[١] لَيَستَوِيَانِ فِي بِرِّهِمَا وَصَومِهِمَا وَصَلَاتِهِمَا، وَيَفتَرِقَانِ فِي العَقلِ؛ حَتَّى يَكُونَ بَينَهُمَا كَالذَّرَّةِ فِي جَنبِ أُحُدٍ»[٢].

(**مسألة**): فإن طرأ زوال العقل على الفتى؛ لم يقدح ذلك في فتوته كما لا يقدح في إسلامه، ويصح الشرب[٣].

الشرط الرابع: الدين؛ فإنه أصل، والفتوة فرع، ولا فتوة لمن لا دين له، وينبغي أن تعلم أن الفتوة[٤] خصلة من خصال الدين، وليست مخالفة[٥] للشريعة، قال ـ عليه السلام ـ: «**كُلُّ مَا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ**»[٦]، فإذن لا يلزم في الفتوة بما

= المسيب مرسلًا بلفظ: «**إنا معشر الأنبياء كذلك أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم**»؛ **وإسناده ضعيف جدًّا مع إرساله.**

(١) في الأصل: «الرجلان». (منه).

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي (١٠٤٥) بسند واهٍ إلى طاووس مرسلًا.

(٣) أراد بالشرب ما يشربه الفتى من كأس الماء والملح عند التفتي. قال أحمد بن إلياس النقاش في كتابه «الفتوة»: «ثم يأخذ النقيب الملح بيده اليمنى، والشربة بيده اليسرى، ويقول: إن الله ـ تعالى ـ جعل الماء طهورًا والملح مصلحًا، فقال ـ عز من قائل ـ: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾[الفرقان: ٥٣]، وجعلها عهدًا وميثاقًا وذمة؛ فلعن الله ناقض عهده. ويقلب الملح في الماء، ويقف الطالب في جانبه الأيسر ويقول: أيها السادة الحاضرون! إن هذا الطالب الراغب قد قصدكم في شدة الفتوة، الذي يلبي الجد، ويتوسل إليكم بالله العظيم أن يسأل الشيخ فلان ـ أو يقول: المقدم فلان ـ أن يقبله أخًا ورفيقًا. ثم يشده النقيب نيابة عن المطلوب، ويسقيه مقيمًا غير راحل». (منه).

(٤) في الأصل: «الفتوة» دون نقط. (منه).

(٥) في الأصل: «مخالفته». (منه).

(٦) رواه الشيخان عن عائشة بلفظ: «**مَن أَحدَثَ فِي أَمرِنَا هَذَا مَا لَيسَ مِنهُ؛ فَهُوَ رَدٌّ**». وفي =

لا يلزم في الشرع.

(مسألة): فإن ارتد بطلت فتوته، فإن عاد جدد العهد معه أو حرك ما معه[1]، وأما اليهودي والنصراني فسيأتي الكلام في من تصح فتوته وفي من لا تصح.

الشرط الخامس: استقامة الحال، وهو أن يكون على صفة مرضية بألا يكون مخنثًا ولا خنثى ولا أبا بثينة[2]، ولا شين[3] لازم يلحق به وصمة في الدين.

(مسألة): فإن كان المخنث لا داء[4] به لكن لفظه خنث فقط؛ لا بأس بدخوله في الفتوة.

الشرط السادس: المرو[ء]ة؛ وهي الحاملة على المكارم المجنبة للمحارم، فإذا

= رواية لمسلم: «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيسَ عَلَيهِ أَمرُنَا؛ فَهُوَ رَدٌّ». (منه).

قلت: أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

(١) سيكرر المؤلف هذا الاصطلاح مرات بقوله: «فإن ادعى بأن هذا الفعل يبطل الفتوة واحتمل الأمر؛ قُبِلَ عذره وحرك ما معه»، وظاهر معناه: أنه يسأل عن حاله ويطالب بالحجة على دعواه والبرهان على ما يقول. (منه).

(٢) في الأصل: «ولا تصح فتوة المرأة والمخنث والخنثى الملقب أبو بثينة»، وجاء في (بنك) من «لسان العرب» [١٠/ ٤٠٣] قول الفرزدق [في «ديوانه» (ص٣٣٨) وفيه: «تفيهق» بدل «تبك»] يهجو عمر بن هبيرة الفزاري:

تبنك بالعراق أبو المثنى ... وعَلَّمَ قومَهُ أكلَ الخبيص

قال: وأبو المثنى كنية المخنث.

قلنا: وتأخير المؤلف (أبا بثينة) عن المخنث ها هنا يدل على أنه غير المخنث. (منه).

(٣) لعل الأصل: «ذا شين». (منه).

(٤) في الأصل: «لاداً». (منه).

كان لا مرو[ء]ة له، لا يبالي على أي حال كان، ولم يستحي من فعل القبائح، ومن هذه صفته[1] لا يصلح للفتوة. (شعر)[2]:

إذا لم تخشَ عاقبةَ الليالي ولم تَستَحْي فاصْنَعْ ما تَشاءُ

فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء[3][4]

(تنبيه)[5]: ولا يحكم بعدم المرو[ء]ة حتى يدام على ترك المروءات[6]، ويعرف بذلك، وتصير عادته.

(مسألة): فإن علم منه نقصان المرو[ء]ة في بعض الأشياء؛ نقص[7] ولم تبطل فتوته، فإن الجواد قد يكبو، والكمال لله وحده.

فهذه الشروط[8] لا بد أن تعتبر[9] في صحة الفتوة ابتداءً، وما عداها من صفات الفتيان المخلصين وما يندبون[10] إليه من الفضائل والمكارم؛ نحو إغاثة

---

(١) في الأصل: «صفة». (منه).

(٢) في الأصل: «سعر». (منه).

(٣) كتب الناسخ البيتين دون فصل الأشطر. (منه).

(٤) البيتان في: «ديوان أبي تمام» (٤/ ٢٩٧ ـ بشرح التبريزي).

(٥) في الأصل: «تبينته». (منه).

(٦) في الأصل: «المرويات». (منه).

(٧) في الأصل: «نقض». (منه).

(٨) في الأصل: «الشرط». (منه).

(٩) في الأصل: «تغير». (منه).

(١٠) في الأصل: «يندبوا». (منه).

الملهوف، وقرى[1] الضيوف وإعانة الإخوان، وبث الإحسان، وصلة الأرحام، واجتناب الحرام، وكف الأذى، وبذل الندى، وطاعة الرحمن في السر والإعلان، ونحو ذلك [من] الشروط المكملة، وهي خلاصة الجريال[2]، ونهاية الآمال، الموصلة إلى المرام في دار السلام.

ـ الفصل الخامس:

ـ في من تصح فتوته وفي من لا تصح فتوته، وفي ما يبطل الفتوى وفي ما ينقصها، وذكر الكبائر والصغائر:

اعلم أن الناس ينقسمون إلى من ليس له كتاب[3] ولا شريعة كعبدة الأوثان، ولا تصح فتوتهم بحال، وإلى من له كتاب[4] وشريعة كالمسلمين واليهود والنصارى، وسيأتي الكلام في أهل الذمة بعد.

وأما [المسلمون] فصنفان: جن وإنس، فحكمهما في الفتوة واحد، وهما ـ أيضًا ـ صنفان[5]: ذكر وأنثى؛ فالأنثى ليست من أهل الفتوة على ما سبق بيانه في الشروط، وقد شرعنا[6] لها ما تحصل به الثواب الجزيل من طاعة بعلها وملازمتها لبيتها.

---

(١) في الأصل: «واقرا». (منه).

(٢) في الأصل: «الحريال». (منه).

(٣) في الأصل: «كتاب» دون نقط التاء. (منه).

(٤) كالذي قبله. (منه).

(٥) في الأصل: «فسفان». (منه).

(٦) قوله: «شرعنا»، هكذا في الأصل، ولعل المراد: التزمنا في الشرع، وربما كان هناك فعل ساقط، والأصل: «وقد بين شرعنا» ـ مثلًا ـ أو لعل الأصل: «وقد شرحنا» بالحاء. (منه).

وأما الذكور فصنفان ـ أيضًا ـ: عبيد وأحرار، وهما في الفتوة سواء؛ لأن الفتوة صفة دينية[1] غير منقصة للمالية[2].

وسيأتي الكلام في جميع ما أسلفناه آنفًا منفصلًا ـ إن شاء الله ـ تعالى ـ.

ـ القول في من تصح فتوته:

وتصح فتوة كل ذكر[3] بالغ عاقل مسلم، يمكنه التنزُّه[4] عن الأدناس[5] من الجنة والناس، وتصح فتوة الصبي المميز[6]، والمراهق، والجندي[7]، والعبد، والحافد[8]، [و]الخصي، والمجبوب، والنساج، والحجام، والحارس، والنفاط، والوقاد، والكناس، والبصير، وصانع الحمام، والمبتلى في جسده، إذا سلموا في

---

(١) في الأصل: «صفة دينية غير منقصة للمالية» دون نقط التاء في الجميع. (منه).

(٢) «غير منقصة للمالية» هكذا بالأصل، وظاهره التحريف، والمراد: أن العبد وإن لم يكن من ذوي المالية تصح فتوته؛ لأنها صفة دينية محضة، وربما كان الأصل: «غير متوقفة على المالية» أو ما بمعناه، أو لعل الأصل: «غير منقصة للمآلية»؛ فـ(منقصة) اسم مفعول من «أنقصه» الرباعي، وهو مرجوح فصاحة، و(المآلية) اسم ميمي من (المآل) أي: المرجع، وهو المسمى عندهم المصدر الميمي، يعني: أن مآل العبد إلى سيده وكونه مملوكًا له لا ينقصان فتوته. (منه).

(٣) في الأصل: «كل دي ذكر». (منه).

(٤) في الأصل: «النتزه». (منه).

(٥) في الأصل: «الأذناس». (منه).

(٦) في الأصل: «بالمميز». (منه).

(٧) أراد بـ(ذكر الجندي) فيمن يشتبه أمرهم الجندي المأجور؛ لأنهم كانوا يعدُّون من تستأجره الدولة بعيدًا عن ثقتهم. (منه).

(٨) «الحافد»: الخادم، وجمعه: حفدة. (منه).

دينهم، وبالجملة: كل من صح إسلامه وقبلت توبته؛ صحت فتوته، وقد اختلف في قبول توبة الساحر ومن تكررت ردته.

ـ القول في من لا تصح فتوته:

ولا تصح فتوة المرأة، والمخنث، والخنثى الملقب[1] (أبا بنينة)[2]، والطفل اللاغي[3] سماعه للخير، والمختل، والسكران، والمكره، ومن دأبه[4] الجمع بين الشخصين، والخمار، وضامن اللطف[5]، والمحسس، [و]هو الديوث[6] الذي جاء في حقه: «**اقتُلُوا القَرْنَانَ**[7] **الَّذِي**[8] **لَا غِيرَةَ لَهُ عَلَى أَهلِهِ**»[9]، والسفلة والعشار [ومن] يفرق بين المر[ء] وزوجه، [ومن] يخبر عن المستقبل، والمكاس، والساحر، والكاهن، [ومن] يخبر عن الماضي، [ومن] يزعم أن الكواكب تخاطبه، ينسب الحوادث إلى فعل الكواكب، والعراف، والمبخر، والمنجم، وقطاع الطريق،

---

(١) في الأصل: «المغلب». (منه).

(٢) في الأصل: «أبو بثينة». (منه).

(٣) في الأصل: «اللاعي». (منه).

(٤) في الأصل: «داء به». (منه).

(٥) يراد بـ (ضامن اللطف) ـ كما يظهر لنا ـ: الذي يضمن من الوالي الأمور المحرمة، وإنما سميت بـ (اللطف) تلطيفًا لاسمها القبيح، وسيأتي في آخر الكتاب قول المؤلف: «وأصحاب اللطف والحانات». (منه).

(٦) في الأصل: «الديوث». (منه).

(٧) في الأصل: «القرمان»، وفوق الميم نقطة. (منه).

(٨) في الأصل: «الدي». (منه).

(٩) لم أقف عليه.

وخائف[1] السبيل، وأعوان الظلمة، والقائل بأن مدبر العالم الطوالع السعيدة، والحربي، وشاهد الزور، وقاذف المحصنات المؤمنات الغافلات، والمعرض عن المفترضات، والمنهمك[2] في كبائر الخطيئات، والفاسد الاعتقاد، المارق عن الدين؛ كالملحدة والزنادقة، والسفاسطة، والمعطلة، والمجوس، والمتكرر ردته؛ فهؤلاء لا تصح فتوتهم، وهم على صفاتهم.

فأما فتوة الأمرد، والذمي، والآبق؛ فلنا فيها كلام.

ـ القول في فتوة الأمرد:

فإن كان لا يعرف بفساد لكنه نفيس الصورة ضمن وفتي، وإن عرف بفساد وهو المؤاجر؛ توب[3] وأنظر وأرجئ[4] إلى أن يظهر صلاحه ويعرف به ويضمن ويفتي، ولا بأس بتأخير[5] تكميلهم حتى يلتحوا[6].

ـ وأما القول في أهل الذمة:

فيحتمل أن يجوز شدهم من غير تكميل إذا[7] رجي إسلامهم أو خيف شرهم ليخالطوا الفتيان، ويطلعوا على محاسن الفتوة، فربما أسلموا، ويكون ذلك سبب

---

(١) في الأصل: «وخايف»، والمعنى غير ظاهر، إلا أن يريد: «مخيف السبيل»؛ وهو قريب من قاطع الطريق. (منه).

(٢) في الأصل: «والمنهل». (منه).

(٣) في الأصل: «ثوب»، والمؤاجر هو الذي يلاط به بأجرة. (منه).

(٤) في الأصل: «رجي إلي» بوضع نقطتين تحت اليائين. (منه).

(٥) في الأصل: «ولا بأس بتاخير». (منه).

(٦) في الأصل: «حتي يلتحتوا» بوضع نقطتين تحت ياء (حتى). (منه).

(٧) في الأصل: «اذا». (منه).

استعطاف قلوبهم كالمؤلفة في الزكاة، ويكون شربهم بعد المسلمين، وجلوسهم في ذيل المجلس حضيضه[(١)]، ولا يكملو[ن][(٢)] حتى يسلموا، ويحتمل ألا تصح فتوتهم؛ لأن الفتوة صفة شرف وكمال، يبنى على أصل وهو الدين، ومن أضاع الأصل؛ فلا يصح تمسكه بالفرع.

(مسألة): فأما من لا شريعة له كالمجوس؛ لا تصح فتوته قولًا واحدًا على ما سبق، (وأما) الآبق؛ فيتوب ويفتي.

(مسألة): وهل تبطل أو تنقص؟ **الأصح** أنه من المبطلات.

- القول[(٣)] في الناقص الفتوة:

وتنقص فتوة الفاسق بالصغيرة من الذنوب، والمصور، والمحاكي، والرقاص، والزمار، والقراد، والذباب، والكلابزي[(٤)]، والزبال، والقماش[(٥)]، ومنقي الكنيف، [و]هو الطاقيقي، والمشعبذ[(٦)]، والمتمسخر، والمخنث المتزيي[(٧)] بزي النسا[ء]، والآفك[(٨)] - هو الكذاب -، والقتات - هو النمام -، والمغتاب،

---

(١) في الأصل: «وحظيظه». (منه).

(٢) في الأصل: «ولا يكملوا حتى». (منه).

(٣) في الأصل: «العول». (منه).

(٤) الكلابزي: هو مراعي كلاب الأمير والكبير كالسلطان. راجع: «مفيد النعم ومبيد النقم» (ص٢٠٧). (منه).

(٥) ظاهره: أنه الذي يجمع البقايا الحثالات. (منه).

(٦) في الأصل: «والمشبعذ». (منه).

(٧) في الأصل: «والمتزي». (منه).

(٨) في الأصل: «والآفل». (منه).

والمنافق ذي الوجهين[1]، والمتحش[2]، والمحرش يوقع بين الإخوان، والسفيه الوسخ اللسان، والمفتن، ومشاحن الجار، والغاش بخلط الرديء بالجيد[3]، «مَن غَشَّنَا فَلَيسَ مِنَّا»[4]، وجلا المصرف المروس، مظهر الجيد من سلعته: المدلس المخفي العيب من سلعته، الحلاف[5] في بيعه، آكل ثمن عسب الفحل، المنفق سلعته بالأيمان، والعشري؛ فهم[6] أرباب الحيل بأنواع الحرف على أموال الناس، والزطي -هو المتلصص-، والقطوي السيساني[7]، والصلام، والهجام، والطفيلي، والمماطل، والملبس، ومنشئ حمام النسا[ء]، وداخل الحمام بغير مئزر، واللاعب

---

(١) في الأصل: «ذو الوجهين». (منه).

(٢) هكذا بالأصل، وهو المحترف للمزايدة في السلع من غير رغبة فيها؛ إيهامًا لغيره حتى يشتريها، ومواطأة لصاحبها، وأصله (المناجش). (منه).

(٣) في الأصل: «الردى في الجيد». (منه).

(٤) ورد الحديث بهذا اللفظ ضمن رواية لمسلم كما ذكره النووي في «رياض الصالحين» (ص٥٦٣). (منه).

قلت: أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٠١).

(٥) في الأصل: «الخلاق»، واستندنا في تصحيحه إلى ما ورد في حديث مسلم عن أبي قتادة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِيَّاكُم وَكَثرَةَ الحَلفِ فِي البَيعِ؛ فَإِنَّهُ ينفق**». «رياض الصالحين» (ص٦٠٤). (منه).

قلت: أخرجه مسلم (١٦٠٧)، وفي آخره: «**ثم يمحق**».

(٦) في الأصل: «فهما». (منه).

(٧) السيساني: تحريف (الساساني) وهو المحتال بالكدية والشحاذة، وكان الساسانيون طبقة محتالة. (منه).

قال أبو عبيدة: انظر عنهم آخر كتابي «المروؤة وخوارمها».

بالحمام عبثًا وبالشاهين قمارًا وبالنردشير، ومتخذ الملاهي وصانعها، واللاعب بها، والمصغي إلى القينات[1] والمزامير والمعازف[2]، وحاضر الإثم كل ما[3] يأثم به، وحاضر أم الخبائث، والمعين على شربها، ومتخذ المحرم من اللباس، والحلية والآنية، والمستعمل لها، والمتحدث بما يجري له مع زوجته من المباضعة[4]، وماد رجليه من الجماعة، والكاشف رأسه في ملأ[5] من الناس، والأكل على قارعة الطريق، والطامح النظر إلى المحارم، وفاعل الرذائل من الحرف والمهن؛ فهذا وأمثاله ينقص الفتوة، وربما أبطل بالإصرار إن كانت صغيرة، ويخل بالعدالة[6] ويحكم بفسقه، وإذن لا تقبل شهادته، وتكره أمانته[7]، وتبطل في الأموال ولايته، وينقص -أيضًا- بترك المكارم المندوب إليها في عرف الفتيان من اصطناع المعروف، وإغاثة الملهوف، وإجابة المستغيث، وقرى[8] الضيف، وإرفاد القاصد[9]، ونحو ذلك.

هذا تمام الكلام فيما ينقص الفتوى.

---

(١) في الأصل: «إلى القنيات». (منه).

(٢) في الأصل: «والمعارف». (منه).

(٣) في الأصل: «كلما». (منه).

(٤) في الأصل: «المناضعة». (منه).

(٥) في الأصل: «ملاء». (منه).

(٦) في الأصل: «بالعذالة». (منه).

(٧) يريد بـ(الأمانة): أن يسند إليه حفظ أموال اليتامى. (منه).

(٨) في الأصل: «واقرأ»، والظاهر أنه أراد: وإقراء الضيف، وهو غلط؛ لأنه ثلاثي بمعنى إضافة الضيف، أما الإقراء فهو طلب الضيافة، وهو غير مراد. (منه).

(٩) في الأصل: «وإرفاد المقاصود». (منه).

- القول في ما يبطل الفتوى[1] وذكر الكبائر والصغائر:

وتبطل الفتوة بما يبطل به الإسلام، وهل تبطل بالكبائر التي لا يخرج بها عن الملة؟

إن قلنا: إن الفتوة عهد على أصل الدين؛ فلا تبطل إلا بما يبطل الدين، ولا يخرج عن الدين بكبيرة سوى الشرك إلا على قول العلمية.

وإن قلنا: هي عهد على المحافظة على فضائل الدين؛ فإنها تبطل بكل كبيرة وبالإصرار على الصغيرة.

فأما الكبائر: فقد اختلف العلما[ء] في حقيقتها؛ فذهب معظم الفقها[ء] أن الكبيرة ما وجب لها حد في الدنيا، وهو ظاهر كلام أحمد. وقالت المعتزلة: حد الكبيرة ما وجب بها عقوبة مقدرة، وقيل: ما وعد عليها بالنار، وقال أبو هاشم[2]: «حد الكبيرة ما ذم عليها»، وقيل: كل ما[3] نهي عنه فهو كبيرة.

واختلفوا في عدد الكبائر؛ فقال قوم: هي ثلاث، وقيل: أربع، وقيل: سبع، وقيل: تسع، وقيل: إحدى عشرة، وقيل: سبع عشرة[4]، وقيل: هي مبهمة

---

(١) كرر لفظ: «فيما يبطل الفتوى». (منه).

(٢) هو أبو هاشم بن أبي علي الجبائي المعتزلي، كان من رؤوس المعتزلة هو وأبوه قبله، توفي ببغداد سنة ٣٢١ ودفن مع أبي بكر بن دريد في المقبرة الخيزرانية. «أنساب السمعاني» في (الجبائي). والخيزرانية: هي مقبرة الإمام أبي حنيفة بالأعظمية. (منه).

(٣) في الأصل: «كلما». (منه).

(٤) في الأصل: «سبغ» بنقطتين فوق العين. (منه).

قال أبو عبيدة: انظر في تحريرها وعددها مقدمتي لكتاب «الكبائر» (ص٣٤-٦٨- ط الثانية) للإمام الذهبي.

لا يعلم عينها؛ كليلة القدر وساعة الجمعة.

وجملة ما ذكر من الكبائر: الإشراك بالله، والاستهزاء به أو برسله أو بآياته، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأخذ[1] مال الغير بغير حق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والزنا، وإدمان الإثم حتى ليلة الجمعة وليلة القدر، واليمين الغموس[2]، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات، وشهادة الزور، والسعي بالبغي إلى ظالم يقتله، والسحر، وعقوق الوالدين، والتولي يوم الزحف، والانقلاب[3] من الهجرة إلى الأعراب[4]، والإصرار على المعصية، والإياس من رحمة الله، والأمن من مكر الله، والإلحاد بالبيت الحرام، وأكل الجذر[5]، والظلم والغدر.

لا تَظْلِمَنَّ إذا ما كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... للظُّلْمِ عَاقِبَةٌ تَدعو إلى النَّدَمِ

تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالمظلُوم مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو[6] عَلَيْكَ وعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ[7][8]

---

(١) في الأصل: «وأخد». (منه).

(٢) في الأصل: «الغموش». (منه).

(٣) «والانقلاب» النون في الأصل غير منقوطة. (منه).

(٤) في الأصل: «من العجزة إلى». (منه).

(٥) «الجذر» ويجمع على «جذور»: هو أجرة المغنية، وكأنه معدود من السحت، وقد ورد بهذا المعنى في «نشوار المحاضرة» للتنوخي وغيره (ج١، ص٩٠)، واشتقوا منه فعلًا فقالوا: «يجذر بمبلغ كذا كذا» (ص٩٤)، وجذر له غناءً بمقدار كذا (٩٥). (منه).

(٦) في الأصل: «يدعوا». (منه).

(٧) كتب البيتان دون تقسيم الأشطر. (منه).

(٨) البيتان لعلي ﷺ في «ديوانه» (ص١٨٤).

ونحو ذلك من الفواحش المتفاقمة، قال ـ تعالى ـ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾[النساء: ٣١] يعني: الصغائر، وقال ـ تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ﴾[النجم: ٣٢] قيل: اللمم[(١)] هو الصغائر؛ كالنظرة، والقبلة، واللمسة، ونحو ذلك، ومن «الصحاح»: قال ـ عليه السلام ـ: «**اجتَنِبُوا السَّبعَ المُوبِقَاتِ: الشِّركُ بالله، وَالسِّحرُ، وَقَتلُ النَّفسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكلُ الرِّبَا، وَأَكلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَومَ الزَّحفِ، وَقَذفُ المُحصَنَاتِ الغَافِلاتِ المُؤمِنَاتِ**»[(٢)]، وذكر في حديث آخر[(٣)]: «**عُقُوقُ الوَالِدَينِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ**»[(٤)]، وفي حديث آخر: «**الزِّنَا بِحَلِيلَةِ الجَارِ**[(٥)]»[(٦)]؛ فهذه الكبائر، وما عداها من الذنوب صغائر، وهي أكبر من أن تحصى، وبين الكبائر والصغائر ذنوب هي أصغر[(٧)] من الكبائر وأكبر من الصغائر؛ كالكذب، والبهتان، والنميمة، والغيبة، ونحو ذلك؛ فمنهم من عدها كبائر، ومنهم من عدها صغائر، وحكم

---

(١) في الأصل: «اللهم». (منه).

(٢) الحديث في «الصحيحين» من رواية أبي هريرة، وراجع: «فتح البيان» لابن كثير (ج٢، ص٣٥). (منه).

قلت: أخرجه البخاري (٢٧٦٦ و٦٨٥٧) ومسلم (٨٩)، و«فتح البيان» لصديق حسن خان.

(٣) كرر قوله: «وذكر في حديث آخر». (منه).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٧٥ و٦٨٧٠ و٦٩٢٠).

(٥) في الأصل: «الجال». (منه).

(٦) أخرجه البخاري (٤٤٧٧ و٤٧٦١ و٦٠٠١ و٦٨١١ و٦٨٦١ و٧٥٢٠ و٧٥٣٢) ومسلم (٨٦).

(٧) في الأصل: «اصغير». (منه).

الصغيرة إذا داوم عليها حكم الكبيرة، قال ـ عليه السلام ـ: «لَا كَبِيرَةَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ، وَلَا صَغِيرَةَ مَعَ إِصْرَارٍ»[1].

لا تحقـــــرن صــــــغيرة إن الجبـــال مـــن الحـــصى[2][3]

وقال بعضهم: لا تنظر إلى صغر الذنب[4]، وانظر إلى عظمة من تعصيه[5].

ويجب على الفتى أن يجتهد في اجتناب الكبائر والصغائر؛ فإنه ربما استصغر ذنبًا وهو عند الله عظيم.

(مسألة): فإن قتل رفيقه ظلمًا بطلت فتوته[6]؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ[7] جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٩٣].

(مسألة): فإن تاب؛ قيل: تقبل توبته، والآية منسوخة بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ٤٨]، وقيل: الآية محكمة،

---

(١) لم يصح مرفوعًا، انظر تخريجه في: «الموافقات» (١/ ٢١٠ بتحقيقي).

(٢) في الأصل: «الحصبا»، وخلط هذا البيت مع النثر. (منه).

(٣) البيت في: «ديوان ابن المعتز» (ص٢٩).

(٤) في الأصل: «الدنب». (منه).

(٥) أخرجه عبدالله في «زوائد الزهد» (٢٢٦٧) والنسائي في «الكبرى» (١١٨٥٤) وغيرهما من قول بلال بن سعد الأشعري؛ وإسناده صحيح.
ويروى مرفوعًا من حديث ابن عمر؛ أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٥/ ٦٠) بسند واهٍ.

(٦) في الأصل: نقطة تحت التاء ـ أيضًا ـ. (منه).

(٧) في الأصل: «فجزاه». (منه).

ولا تقبـل[1] لـه توبة، ويخلد في النار، وإليه ذهب ابن عباس[2] وأحمد ـ رحمة الله عليهما ـ.

(مسألة): فإن ظلم رفيقه بأخذ[3] ماله أو عرضه أو ناله[4] بسو[ء] بغير شبهة ظاهرة؛ بطلت[5] فتوته.

(مسألة): فإن كان رفيقه الظالم؛ وجب[6] عليه ردعه، فإن لم يفعل مع القدرة؛ فهو الظالم[7]، وعلى الخصوص إن كان الرفيق يظلم بجاه رفيقه.

ومـن يـربط الكلـب العقـور ببابـه ... فعقر جميع الناس من رابط الكلب[8][9]

(مسألة): فإن سعى بظالم إلى عادل يأخذ منه الحق ويكفه عن الظلم؛ استحب للفتي ذلك ولم يزيف به كما ظنه بعض الجهال.

(مسألة): وإذا تخاصم الرفاق وعلم الباغي[10] منهم؛ أجبر ووعظ وأوقف

---

(١) في الأصل: «ولا يقبيل». (منه).

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٩٠) ومسلم (٣٠٢٣).

(٣) في الأصل: «باخد». (منه).

(٤) في الأصل: «تاله». (منه).

(٥) زاد الناسخ هذه الكلمة في الهامش بعيدة عن السطر. (منه).

(٦) في الأصل: «اوجب». (منه).

(٧) في الأصل: «المظالم». (منه).

(٨) خلطه الناسخ بالنثر دون فصل الشطرين. (منه).

(٩) البيت في: «الوافي بالوفيات» (٢٢/ ١٥٠) و«السلوك في طبقات العلماء والملوك» (٢/ ٥٤٠).

(١٠) في الأصل: «الباعي». (منه).

حتى يفيء إلى أمر الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ[1] فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[الحجرات: ٩].

(مسألة): فإن تحاكما عند القاضي، فحكم لأحدهما على الآخر؛ لم يقدح ذلك فيهما؛ لقوله ـ عليه السلام ـ: «**إِنَّكُم لَتحتكِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ أَحَدَكُم أَلحَنُ[2] بِحُجَّتِهِ مِن صَاحِبِهِ؛ فَمَن حَكَمتُ لَهُ بِشَيءٍ مِن حَقِّ أَخِيهِ؛ فَإِنَّمَا أَحكُمُ لَهُ بِقِطعَةٍ مِنَ النَّارِ؛ فَلا يَأخُذهَا، إِنَّمَا أَحكُمُ بِالظَّاهِرِ[3] وَاللهُ يَتَوَلَّى السَّرَائِرَ**»[4].

(**مسألة**): فإن شهد على رفيقه بحق جاز، ويزيف بكتمانه عند الله؛ لقوله ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ[5] قَلْبُهُۥ﴾[البقرة: ٢٨٣].

(**مسألة**): فإن استوفى من رفيقه حدًّا[6] أو قصاصًا وكان أهلًا لذلك؛ جاز لقوله ـ عليه السلام ـ: «**لَو سَرَقَت فَاطِمَةُ لَقَطَعتُهَا**»[7].

---

(١) في الأصل: على الأخرى بنقط الياءين. (منه).

(٢) في الأصل: «الحمن». (منه).

(٣) في الأصل: «بالظاهز». (منه).

(٤) الحديث رواه البخاري. (منه).

قلت: أخرجه البخاري (٢٦٨٠ و٦٩٦٧ و٧١٦٨) ومسلم (١٧١٣)، وزيادة: «**إنما أحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر**» ليست من الحديث، وهي **مما لا أصل له**.

(٥) في الأصل: «اثم». (منه).

(٦) في الأصل: «أحدا». (منه).

(٧) رواه البخاري في (كتاب الحدود). (منه).

قلت: أخرجه البخاري (٤٣٠٤) ومسلم (١٦٨٨).

(**مسألة**): فإن لم ينصر رفيقه على ظالمه كره ولم يبطل[1] لاحتمال العفو[2]؛ لأن العفو أجدر بالفتيان.

(**مسألة**): فإن أكره على ما لو فعله باختياره بطلب فتوته؛ بطل المكرِه دون المكرَه.

(**مسألة**): فإن ادعى بأن هذا الفعل يبطل الفتوة واحتمل الأمر؛ قبل عذره، وحرك ما معه.

(**مسألة**): فإن كره بعض الفتيان زوجته فطلقها؛ جاز لغيره من الفتيان أن يتزوجها، ولم يقدح في فتوته إلا أن يكون قد أفسد ما بينهما.

(**مسألة**): وإذا حلف الفتي بالفتوة على فعل جائز؛ لزمه الوفا[ء] به، فإن حنث نقصت فتوته؛ لأنه اعتقد انعقاد اليمين.

(**مسألة**): فإن قال: «أنا بري[ء] من الفتوة» أو «نزلت عنها»؛ كره، وصح خروجه منها.

(**مسألة**): فإن قال: «لست من أهل الفتوة» تواضعًا واستصغارًا لنفسه؛ لم يقدح ذلك فيه.

(**مسألة**): فإن قال: «ثبت عندي بطلان فتوة فلان»؛ لم يقبل منه إلا ببينة[3].

(**مسألة**): فإن اختل عقله لعلو سنه؛ لم يبطل، ولا يلزم بإحكام الفتوة، ويمنع من الشد والتكميل.

---

(١) في الأصل: «بيتكل». (منه).

(٢) في الأصل: «الاحتمال العدو». (منه).

(٣) الباء الأولى غير منقوطة. (منه).

(مسألة): وإذا اتهم الفتى رفيقه ولم يظهر المحق منهما؛ لم يبطل واحد منهما، ويجب على الفتي أن يتجنب مظان التهم، ويجب على غيره حسن الظن[1] به، ولا يحكم ببطلان الفتي إلا بالعيب المتفق على كونه مبطلًا، ومع الإصرار[2] بعد الإنذار[3]، ويراجع مهما رجي صلاحه، وقد راجع (نوح) قومه ثلاث مئة سنة، وعاتب الحق يونس حين استعجل على قومه بالهلاك[4].

ويجتهد [ألا][5] يثبت على أحد حدًّا ولا عيبًا، ولقد شهد أربعة بالزنا على بعض الناس عند عمر بن الخطاب؛ فلم يزل عمر ينصح[6] الشهود حتى رجع واحد منهم؛ فدرأ[7] الحد عنه وأرسل إلى المذكورة وزوجه بها، ولم يثبت عليه شيئًا.

وإذا أنذرت رفيقك ووعظته؛ فيجب[8] أن تكون رفيقًا ناصحًا، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[آل عمران: ١٥٩]، [وقال ـ تعالى ـ] لموسى وأخيه حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه: ٤٤]، وقال ـ عليه السلام ـ: «**لَا تَكُونُوا عَونَ الشَّيطَانِ عَلَى**

---

(١) «حسن الضر». (منه).

(٢) «ومع الإسرار». (منه).

(٣) «الاندار». (منه).

(٤) استعمل على بألهلاك. (منه).

(٥) في الأصل: «أن» فقط. (منه).

(٦) «ينفع». (منه).

(٧) «قدر». (منه).

(٨) في الأصل: «يجيب». (منه).

أَخِيكُم»[1]، [وفي] المعنى:

[وَ]عِظْ[2] أَخَاكَ بِرِفْقٍ عِنْدَ زَلَّتِهِ	فَاللُّطْفُ يَعْطِفُ مَنْ يَعْتَادُهُ الزَّلَلُ
وَإِنْ تَكُنْ بَيْنَ قَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ	فَامْنُنْ عَلَيْهِمْ بِمَعْرُوفٍ إِذَا جَهِلُوا
فَإِنْ عَصَوْكَ فَرَاجِعْهُمْ بِلَا ضَجَرٍ	وَاصْبِرْ[3] وَصَابِرْ وَلَا يَحْزُنْكَ مَا فَعَلُوا
فَكُلُّ شَاةٍ بِرِجْلَيْهَا مُعَلَّقَةٌ	عَلَيْكَ نَفْسَكَ إِنْ جَارُوْا وَإِنْ عَدَلُوا[4][5]

وتجب[6] التوبة مما يبطل أو ينقص، ومتى اقترف واعترف ثم أناب؛ قبل منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿[و]هو ٱلَّذِى يَقْبَلُ[7] ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾[الشورى: ٢٥]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السو[ء] بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[النساء: ١٧]، وقال ـ عليه السلام ـ: «**النَّدَمُ تَوبةٌ، التَّوبَةُ تَمحُو الحُوبَةَ[8]، التَّوبَةُ تَجُبُّ مَا قَبلَهَا، التَّائِبُ مِنَ الذَّنبِ كَمَن لَا ذَنبَ لَهُ**»[9]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨١).

(٢) في الأصل: «اعظ». (منه).

(٣) كتبها الناسخ مصححًا بالهامش. (منه).

(٤) لم يفصل الكاتب بين الأشطر. (منه).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «ذم من لا يعمل بعلمه» (رقم ١٨).
انظر: «اقتضاء العلم العمل» (ص٣٩) و«الأربعين المغنية» (رقم ١٠٦٢ ـ بتحقيقي).

(٦) «بحب». (منه).

(٧) «بقيل». (منه).

(٨) «التوبة تمحو الجوبة». (منه).

(٩) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٢٢) وغيره من حديث ابن مسعود؛ وهو صحيح دون قوله: «التوبة تمحو الحوبة» فلم أقف عليه.

ٱلذُّنُوبَ[1] جَمِيعًاۚ﴾[الزمر: ٥٣].

لا تحظر[2] العفو إن كنت امرًا حرجًا فإن حظركه[3] بالدين[4] إزراء[5]

ومع التوبة يحرك ما معه تجديدًا للعهد، وإن اعتذر بها يبرئه قبل منه وأحسن به الظن، وقال ـ عليه[6] السلام ـ: «بُرُّوا آبَاءَكُم تبَرُّكُم أَبنا[ؤُ]كُم[7]»[8]، «عُفُّوا تَعِفَّ نِسَائُكُم»[9]، «وَمَن لَم يَقبَل مِن مُتَنَصِّلٍ عُذرًا صَادِقًا كَانَ أَو كَاذِبًا؛ لَم يَرَح رَائِحَةَ الجَنَّةِ»[10]، وقال ـ عليه السلام ـ: «مَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيهِ المَعَاذِير مِنَ الله ـ تَعَالَى ـ»[11]، وقال: «أَقِم لِأَخِيكَ سَبعِينَ عُذرًا، فَإِنْ لَم تَعلَمْ لَهُ عُذرًا؛

---

(١) في الأصل: «الدنوب». (منه).

(٢) «لا يحضر». (منه).

(٣) قال: «حصركهو». (منه).

(٤) «للدين»، والبيت من قصيدة أبي نواس. (منه).

وفي «ديوانه»: «في الدين».

(٥) البيت لأبي نواس في «ديوانه» (ص٢٣٥).

(٦) لم تنقط الياء من «عليه». (منه).

(٧) «أنباكم». (منه).

(٨) أخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٧٢) وغيره من حديث جابر؛ وإسناده باطل.

(٩) هو قطعة من الحديث السابق.

(١٠) أخرجه ابن عساكر في «معجم الشيوخ» (٢/ ٦٥٢) من حديث أنس بسند موضوع.

(١١) أخرجه البخاري (٧٤١٦) ومسلم (١٤٩٩) من حديث المغيرة بن شعبة بلفظ: «...ولا أحد أحب إليه العذر من الله».

فَقُل: لَعَلَّ لَهُ عُذرًا[ا]»[1].

* * *

* كلمة العلامة المحقق الدكتور تقي الدين الهلالي[2]

تقريظ «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» لشيخنا أبي غزوان محمد نسيب الرفاعي

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب، والصلاة والسلام على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب؛ محمد وآله وأصحابه أولي الألباب، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم المآب، أما بعد:

فقد اطلعت على الكتاب المستطاب المسمى «تيسير العلي القدير لاختصار ابن كثير»، وهو اختصار تفسير الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ، فسررت بذلك أيما سرور؛ لأني لم أزل أعتبر هذا العمل من أهم ما يتحتَّم على علماء الكتاب والسنة الناصحين للأمة في هذا الزمان الذي تقاعست فيه الهمم عن بلوغ الغايات، وكثرت فيه المشاغل والعوائق، وزهد أكثر الناس في علوم الكتاب والسنة، وقلَّ من يهتم بها ويجدُّ في طلبها، وكان «تفسير الحافظ ابن كثير» أحسن التفاسير الموجودة في هذا الزمان؛ لما فيه من المزايا التي لا تكاد توجد في غيره؛ أهمها: تفسير

---

(١) لم أقف عليه، وهو يذكر عن بعض السلف.

(٢) مأخوذ من أوائل «تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير» (دون صفحة) لشيخنا الداعية إلى الله على بصيرة أبي غزوان محمد نسيب الرفاعي ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن الجدير بالذكر أن العلامة الهلالي كان ينقل من «تيسير العلي القدير» هذا في «سبيل الرشاد»، ورمز له في غير موطن برمز (خك)، انظر ـ على سبيل المثال ـ: (٣/ ٧٧، ٩٢)، ولم ينصص على ذلك في مقدمته؛ فاقتضى التنويه.

القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال السلف الصالح ثم بالاعتماد على دلائل اللغة العربية، وهو خال من الخصومات الكلامية والآلية والمذهبية، يتحرى الحق وينصره مع من كان، ويدعو إلى الاجتماع وينبذ الفرقة، إلا أنه مع ذلك لا يخلو من أمور تعكر على الطالب والمعلم والواعظ صفو دراسته؛ منها: الأحاديث الضعيفة وتكرار الأحاديث الصحيحة، وذكر أسانيدها واختلاف ألفاظها وتعدد طرقها، ومنها: آراء واهية غفل عنها ـ رحمه الله ـ إلى غير ذلك مما يقتضي اختصاره وتقريبه، حتى يصير في متناول عامة الدارسين والمدرسين، وكم عزمت على القيام بهذا العمل وبدأت فيه فعلًا، ولكن لم يقدَّر لي الاستمرار فيه، ولذلك كان سروري عظيمًا بهذا الكتاب الذي حرره أخونا العالم السلفي المحقق الأستاذ الشيخ محمد نسيب الرفاعي ـ رفع الله في الدارين درجته وأجزل فيهما مثوبته ـ، فقد جاء اختصاره طبق ما يؤمله كل طالب علم، موزونًا بقسطاس مستقيم، نسأل الله أن ينفعنا به كما نفع المسلمين بأصله، وأن يسهل طبعه ونشره كما سهل نشر أصله.

آمين آمين لا أرضى بواحدة ... حتى أضيف لها آلاف آمينا[1]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أملاه الفقير إلى رحمة ربه: محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي الحسيني ـ غفر الله ذنبه وستر في الدارين عيبه ـ، لثمان خلون من صفر سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة وألف بالمدينة النبوية ـ زادها الله تشريفًا وتعظيمًا ـ.

* * *

---

(١) سبق توثيقه.

* «خطبة السلطان المقدس مولانا سليمان العلوي ـ رحمه الله ـ في الانتصار للسنة ومحاربة بدع الطوائف الضالة»[1]

ـ مقدمة الطبعة بقلم الدكتور محمد تقي الدين الحسيني الهلالي

الحمد لله القائل: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ[2] بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة: ٧٢]، وصل اللهم على عبدك ورسولك محمدٍ النبيِّ المختار، وعلى آله وأصحابه الأبرار، وعلى من اتبعهم بإحسان من المؤمنين الأخيار.

أما بعد:

فيقول أفقر العباد إلى رحمة ربه الكبير المتعالي محمد تقي الدين الحسيني الهلالي:

إن الخطبة المباركة التي أنشأها أمير المؤمنين المولى سليمان بن محمد بن عبدالله ابن إسماعيل، الملك المغربي العلوي العظيم؛ هي جيش من جيوش التوحيد والسنة لتطهير العقول من الشرك والبدعة، وتوجيههم لاتباع الكتاب والسنة، إذ لا صلاح ولا فلاح للمسلمين إلا بذلك، وقد عني بها العلماء المخلصين من يوم صدورها إلى يومنا هـذا بالطبع والنشر والشرح؛ لما اشتملت عليه من النصيحة للمسلمين وإبعادهم عن سلوك طريق المجرمين الذين يأكلون خير الله ويعبدون غير الله، وقد

---

(١) نشرت في مكتبة ومطبعة الساحل، حي المحيط ـ الرباط، دون تاريخ، ومقدمة الشيخ الهلالي في (٩) صفحات، والخطبة من (ص١٠ ـ ١٤)، ولذا آثرت نقل الخطبة مع الوثائق التي معها على الرغم من عدم وضوحها جيدًا.

(٢) في الأصل: «يشركه».

صدتهم الشياطين عن التمسك بسنة سيد المرسلين، وقد وفق الله جماعة من الحنفاء ذوي الغيرة على الدين إلى طبعها ونشرها؛ تنويرًا وإصلاحًا لقلوب إخوانهم المسلمين ـ جزاهم الله خير ما يجزي به المحسنين ـ، والتمَسُوا مني أن أجعل لها مقدمة تكشف النقاب عن سبب إنشائها والغرض المراد بها، فلبيت الدعوة راجيًا أن ينفع الله بهذا العمل كل قارئ وسامع، ويهدينا جميعًا صراطَه المستقيم، ويجعلنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

ـ سبب إنشاء هذه الخطبة وتعميمها في جميع المساجد المغربية من قبل الملك المذكور ـ أحسن الله إليه، وقدس روحه ـ:

قال صاحب «الاستقصا في تاريخ المغرب الأقصى» الشيخ أبو العباس أحمد ابن خالد الناصري ما نصه ـ باختصار وتصرف ـ:

وفي سنة ست وعشرين ومئتين وألف وجه السلطان المولى سليمان ـ رحمه الله ـ ولده الأستاذ الأفضل المولى أبا إسحاق إبراهيم بن سليمان إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مع الركب النبوي في جماعة من علماء المغرب وأعيانه؛ مثل: الفقيه العلامة القاضي أبي الفضل العباس بن كيران، والفقيه المولى الأمين ابن جعفر الحسني الرتبي، والفقيه العلامة الشهير أبي عبدالله محمد العربي الساحلي، وغيرهم من علماء المغرب وشيوخه، فوصلوا إلى الحجاز وقضوا المناسك وزاروا مسجد رسول الله ﷺ، وصلَّوْا فيه في الروضة المباركة، وسلموا على النبي ﷺ.

حكى صاحب الجيش: إن المولى إبراهيم ذهب إلى الحج واستصحب معه جواب السلطان؛ فكان سببًا لتسهيل الأمر عليهم وعلى كل من تعلق بهم من الحجاج شرقًا وغربًا، حتى قضوا مناسكهم وزيارتهم على الأمن والأمان والبر والإحسان.

قال: حدثنا جماعة وافرة ممن حج مع المولى إبراهيم في تلك السنة أنهم ما رأوا من ذلك السلطان ـ يعني: ابن سعود ـ ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شهدوا منه ومن أتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام؛ من صلاة وطهارة وصيام ونهي عن المنكر الحرام وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تفعل بهما جهارًا من غير نكير، وذكروا أن حاله كحال آحاد الناس لا يتميز عن غيره بزي ولا مركوب ولا لباس، وأنه لما اجتمع بالمولى إبراهيم أظهر له التعظيم الواجب لأهل البيت الكريم، وجلس معه كجلوس أحد أصحابه وحاشيته، وكان الذي تولى الكلام معه هو الفقيه القاضي أبو إسحاق إبراهيم الزداغي، فكان من جملة ما قال ابن سعود لهم: أن الناس يزعمون أننا مخالفون للسنة المحمدية، فأي شيء رأيتمونا خالفنا السنة، وأي شيء سمعتموه عنا قبل اجتماعكم بنا؟! فقال له القاضي: بلغنا أنكم تقولون بالاستواء الذاتي المستلزم لجسمية المستوي. فقال لهم: معاذ الله! إنما نقول كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة. فهل في هذا من مخالفة؟! قالوا لا؛ وبمثل هذا نحن نقول ـ أيضًا ـ. ثم قال القاضي: وبلغنا عنكم أنكم تقولون بعدم حياة النبي ﷺ وحياة إخوانه من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ في قبورهم؟! فلما سمع ذكر النبي ﷺ ارتعد ورفع صوته بالصلاة عليه وقال: معاذ الله! إنما نقول: أنه ﷺ حي في قبره، وكذا غيره من الأنبياء، حياة فوق حياة الشهداء. ثم قال له القاضي: وبلغنا أنكم تمنعون من زيارته ﷺ، وزيارة سائر الأموات مع ثبوتها في «الصحاح» التي لا يمكن إنكارها. فقال: معاذ الله! أن ننكر ما ثبت في شرعنا، وهل منعناكم أنتم لما عرفنا أنكم تعرفون كيفيتها وآدابها؟! وإنما نمنع منها العامة الذين يشركون العبودية بالألوهية من الأموات؛ أن تقضي لهم أغراضهم التي لا يقضيها إلا الله، وإنما سبيل الزيارة الاعتبار بحال

الموتى، وتذكر مصير الزائر إلى ما صار إليه المزور، ثم يدعو له بالمغفرة ويسأل الله ـ تعالى ـ المنفرد بالإعطاء والمنع؛ هذا قول إمامنا أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ، ولما كان العوام في غاية البعد عن إدراك هذا المعنى منعناهم سدًّا للذريعة، فأي مخالفة للسنة في هذا القدر؟

هذا من الجزء الثامن صفحة (١٢٢) من الكتاب المذكور، طبع دار الكتاب بالدار البيضاء ـ المغرب.

قال محمد تقي الدين الهلالي: وسبب إيفاد السلطان المولى سليمان المذكور هذا الوفد واهتمامه به هذا الاهتمام: أن الملك السعودي عبدالله بن سعود ملك الدولة السعودية المشتملة على نجد والحجاز، لما فتح الله له الحجاز وتوطدت دولته كتب إلى جميع ملوك المسلمين وأمرائهم يشرح لهم دعوة الدولة السعودية وعقيدتها المطابقة للكتاب والسنة، وينفي عنها ما نسبه إليها فقهاء السوء في جميع البلدان من أنها تكفر المسلمين، ولا تعظم النبي ﷺ كما ينبغي لكل مسلم حنيف أن يفعله، وقد أغرى رجال الدولة العثمانية فقهاء السوء في جميع البلاد الإسلامية التي يشملها حكمهم، وطعنوا في الدولة العربية السعودية؛ لأنها طهرت الحرمين الشريفين من الشرك والعقائد الفاسدة، ومنعتهم من التسلط عليهما، وعلى ما جاورهما من البلاد؛ كنجد والعراق.

ومن جملة الملوك الذين كتب إليهم ملك الدولة السعودية عبدالله بن سعود: ملك المغرب المولى سليمان بن محمد بن عبدالله العلوي من آل بيت النبي ﷺ، ولم يستطع غيره من الأمراء والرؤساء أن يبعثوا وفودًا إلى الحرمين للاجتماع بالملك السعودي ومعرفة ما يدعو إليه؛ لأنهم لم يكونوا مستقلين أحرارًا أقوياء كما كان ملوك المغرب، لأن الدولة العثمانية كانت مستولية على بلاد العرب ومصر وبلدان

الشمال الإفريقي كلها إلا المغرب الأقصى؛ فإنها لم تستطع أن تستولي عليه مع استيلائها على الجزائر المجاورة له، ولذلك انفرد المولى سليمان ـ رحمه الله ـ ملك المغرب بهذه المزية، وأنشأ هذه الخطبة المباركة، وأمر جميع الأئمة في المساجد أن يخطبوا بها على الشعب المغربي؛ لتنوير العقول وإعلان براءة الدولة وسنة رسوله، فقدس الله روحه ورحمه وسائر ملوك هذه الدولة العلوية.

بسم الله الرحمن الرحيم

السلطان مولاي سليمان بن سيدي محمد بن عبدالله، من مفاخر ملوك المسلمين في القرن الثاني عشر؛ إذ كان علَّامةً مشاركًا نحريرًا سلفيًّا مصلحًا كبيرًا عاملًا بعلمه، آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، داعيًا للسنة محاربًا للبدع، معلمًا للأمة ما علمه الله، منفذًا فيها لأحكام الله، ومن ذلك منعه للمواسم التي اعتاد المغاربة إقامتها لصالحيهم، قال في «الاستقصاء»[1]: «وهي جديرة بالإبطال، فسقى الله ثراه وجعل في عليين مثواه».

وكتب رسالته المشهورة «التي تكلم فيها على حال متفقرة الوقت، وحذر فيها ﷺ من الخروج عن السنة والتغالي في البدعة، وبيَّن فيها بعض آداب زيارة الأولياء، وحذر من تغالي العوام في ذلك، وأغلظ فيها مبالغة في النصح للمسلمين ـ جزاه الله خيرًا ـ»[2].

ووجه خطبته المعروفة ـ من إنشائه وبلاغته ـ لخطباء المساجد يخطبون بها في الجُمَع؛ حذر فيها من اتباع أهل البدع وأنكر عليهم ونهى عن الاجتماع في المواسم

---

(١) «الاستقصا» (ج٤، ص١٤٦). (منه).

(٢) (ج٤، ص ١٤٦). (منه).

بالإنشاد والآلات والرقص وأوعدهم بالعقوبة إن لم ينتهوا[1].

وهي خطبة جليلة دلت على مقامه ﵁ في الدين، ومبلغ غيرته عليه وإخلاصه له، فما أجدرها بأن يعيد جميع خطباء المغرب الخطبة بها في كل مناسبة اقتداءً بهذا الإمام الجليل، وما أجدر الوعاظ والمدرسين أن يدرسوها للعامة ويعظوهم بها رغبة في إسماعهم كلمة الله، وتبليغهم ما يجهله الكثير منهم من أحكامه التي هي من الأهمية بالمقام الأول؛ بل ما أجدر أساتذة المدارس والواضعين لبرامج التعليم فيها أن يجعلوها ما بين مواد الدراسة والحفظ للتلاميذ؛ لينشؤوا عارفين بدينهم ونقاوته مما يلصقه به أعداؤه المبتدعون، مقدرين فضل أسلافهم العاملين المجدين؛ خصوصًا من كان مثل مولانا سليمان ـ عليه من الله الرحمة والرضوان ـ.

وأنه ما زال العلماء والمصلحون مهتبلين بهذه الخطبة مقدرين لها قدرها، فهذا الفقيه[2] الأديب اللوذعي الأريب السيد الحبيب الرشيدي لما سمعها؛ مدحها ومدح منشئها بقصيدة غراء اشتملت على ٤٠ بيتًا؛ منها:

يا حسنها من خطبة أحيا بها ... ما مات من سنن الشيوخ المجد

ومنها:

فِيْهَا دَعَا للهِ قَوْمًا أَعْلَنُوْا ... بِالشَّطْحِ وَالتَّصْفِيْقِ وَالْفِعْلِ الرَّدِي

جَعَلُوْا مَوَاسِمَ مَا لَهَا مِنْ[3] سُنَّةٌ ... أَصْلٌ بِأَضْرِحَةِ الْفُحُوْلِ الزُّهَّدِ

رَفَضُوْا عُلُوْمَ الشَّرْعِ إِيْغَالًا كَمَا ... جَلَسُوا لِتَنْقِيْصِ الشُّيُوْخِ بِمَرْصَدِ

---

(١) «الترجمانة الكبرى» (مخطوط). (منه).

(٢) نفس المصدر. (منه).

(٣) زيادة منَّا ليستقيم وزن البيت.

فَهُمُـوا عَـلَى دِيْـنِ النَّبِـيِّ أَضَرُّ مِـنْ مَتْبُـوْعِهِمْ وَالْكُـلُّ عَـادٍ مُعْتَـدِ

حَتَّـى رَمَـاهُمْ رَبُّنَـا بِثَوَاقِـبٍ مِـنْ عَـدْلِ سَـيِّدِنَا الْهُمَـامِ الأَوْحَـدِ

فَأَقَـامَهُمْ «وَاللهُ رَاضٍ عَنْـهُ» فِي سِـجْنِ الْـمَهَانَةِ بِالمَقَـامِ الأَبْعَـدِ

وهذا أبو القاسم الزياني يقول فيها في «الترجمانة الكبرى»[1] التي جمعت أخبار العالم برًّا وبحرًا: «الخطبة التي لم يسمع مثلها فيما مضى من العصور ولا ذكرها ملك ولا عالم مشهور، فهي سادسة خطب الخلفاء الأربع اللواتي انتفع الناس بها أجمع مع خطبة الإبريز التي أملاها عمر بن عبد العزيز، فمن سمع هذه الخطبة وتأملها عَلِمَ عِلم اليقين وتحقق أنها برزت من قلب خالص عارف بما أعد الله في الآخرة للمتقين، وأن ذلك من المواهب الربانية وفوق المواهب اللدنية، وأن أمير المؤمنين ممن يقال فيه ـ ويكون القائل قصر عما فيه ـ: الإمام الذي ضاهت أسرار كلامه كلام «الإحياء»، وهي «قوت القلوب» إلى الأموات والأحياء، وحاذى بعبارة «حكم ابن عطاء الله» و«التنوير»، فكان ما فيهما من «لطائف المنن» ما هو طبق الحديث والتفسير...» إلى آخره، وهو ثناء طويل من نسق ما قبله، فراجعه إن شئت.

ومثلها في المتقدمين كثير، وكذلك من المتأخرين، فقد ذكر جلها وأثنى عليها وعلى منشئها من أجلها فقيد السلفية والدعوة للإصلاح الديني العلامة عبد السلام السرغيني ـ برد الله ثراه ـ في محاضرته في الدعوة لإقامة السنة ومحاربة البدع التي ألقاها بالنادي الذي كان للمسامرات بالمدرسة بفاس.

وهؤلاء علماء القرويين العامرة عندما قاموا قومتهم الموفَّقة، ورفعوا عريضة

---

(١) (مخطوط). (منه).

بتأريخ ١٧ المحرم عام ١٣٥٢هـ لجلالة السلطان المعظم سيدي محمد بن يوسف ـ دام علاه ـ بواسطة ممثله بفاس حضرة الباشا؛ أرفقوها بنسخة من هذه الخطبة الجليلة، مستندين عليها، مثنين على منشئها ـ قدس الله روحه ـ، وهي جديرة بكل ذلك وبأكثر منه، رحم الله منشئها، ووفق علماءنا وولاتنا للاقتداء به والسير على منواله في القيام بواجبهم الديني من الدعوة والإرشاد، فيستحقوا إرث الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ويهيئوا الأمة لتكون خير أمة أخرجت للناس قبل أن يحل عليهم الحديث الشريف: «مَن كَتَمَ عِلمًا أَلجَمَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِن نَارٍ»[1]، ويؤدوا الأمانة التي أخذ الله ميثاقهم بتبليغها ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[آل عمران: ١٨٧].

وهذا ما دعانا اليوم للقيام بنشرها رغبة في حصول النفع بها بعد ممات صاحبها، كما فعل بها في حياته، وتسهيلًا على من أراد الحصول عليها ممن يريد الدعوة إلى الله بها، والله ـ سبحانه ـ من وراء القصد.

أ. ني.

ـ نص الخطبة:

الحمد لله الذي تعبدنا بالسمع والطاعة، وأمرنا بالمحافظة على السنة والجماعة،

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» والحاكم وقال: صحيح لا غبار عليه عن عبدالله بن عمر بهذا اللفظ، وروي بألفاظ متقاربة عن جماعة من الصحابة؛ منهم: أبو هريرة وابن عباس وأبو سعيد الخدري وجابر بن عبدالله وأنس بن مالك وعبدالله بن مسعود وعمرو بن عبسة وعلي بن طلق وغيرهم، عند أبي داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والبيهقي والحاكم ـ وقال: على شرطهما ـ وأبي يعلى والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، وغيرهم. (منه).

قلت: خرجته في تعليقي على «الكبائر» (رقم ٢٢٦ ـ التحقيق الثاني)، والحديث صحيح.

وحفظ ملة نبيه الكريم، وصفيه الرؤوف الرحيم من الإضاعـة، إلى قيام الساعة، وجعل التأسي بـه أنفع الوسـائل النافعـة، أحمـده حمـدًا ينتج اعتماد العبد على ربه وانقطاعه، وأشكره شكرًا يقصر عنه لسان البراعة، وأستمد معونته بلسان المذلة والضراعـة، وأصلي على محمد رسولـه المخصـوص بمقـام الشفاعة على العموم والإشاعـة، والرضى عن آله وصحبه الذين اقتدوا بهديه بحسب الاستطاعة، أما بعد:

أيها الناس! شرح الله لقبول النصيحة صدوركم، وأصلح بعنايته أموركم، واستعمل فيما يرضيه آمركم ومأموركم، فإن الله قد استرعانا جماعتكم وأوجب لنـا طـاعتكم، وحـذرنا إضـاعتكم، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾[النساء: ٥٩] سيما فيما أمر الله به ورسوله أو هو محرم بالكتاب والـسنة النبوية وإجماع الأمة المحمدية، ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾[الحج: ٤١].

ولهذا نرثي لغفلتكم أو عدم إحساسكم، ونغار من استيلاء الشيطان بالبدع على أنواعكم وأجناسكم، فألقُوا لأمر الله آذانكم، وأيقظوا من نوم الغفلة أجفانكم، وطهِّروا من دنس البدع إيمانكم، وأخلصوا لله إسراركم وإعلانكم، واعلموا أن الله بفضله أوضح لكم طريق السنة لتسلكوها، وصرح بذم اللهو والشهوات لتملكوها، وكلَّفكـم لينظر عملكم، فاسمعوا قوله في ذلك وأطيعوه، واعرفوا فضله عليكم وعُوهُ، **واتركوا عنكم بدع المواسم التي أنتم بها متلبسون، والبدع التي يزينها أهل الأهواء ويلبسـون، وافترقـوا أوزاعًا، وانتزعوا الأديان والأموال انتزاعًا، فيما هو حرام كتابًا وسنة وإجماعًا، وتسموا فقراء وأحدثوا في دين الله ما استوجبوا به سَقَر،** ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ

صُنْعًا﴾[الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤] وكل ذلك بدعة شنيعة، وفعلة فظيعة، وسُبَّة وضيعة، وسنة مخالفة لأحكام الشريعة، وتلبيس وضلال، وتدليس شيطاني وخبال، زينه الشيطان لأوليائه؛ فوقتوا له أوقاتًا، وأنفقوا في سبيل الطاغوت في ذلك دراهم وأقواتًا، وتصدى له أهل البدع من عيساوة وجلالة، وغيرهم من ذوي البدع والضلالة والحماقة والجهالة، وصاروا يترقبون للهوهم الساعات، وتتزاحم على حبال الشيطان وعصيه منهم الجماعات، وكل ذلك حرام ممنوع، والإنفاق فيه إنفاق في غير مشروع.

فأنشدكم الله عباد الله! هل فعل رسول الله ﷺ لعمه سيد الشهداء موسمًا؟ وهل فعل سيد هذه الأمة أبو بكر لسيد الأرسال ـ صلَّى الله عليه وعلى جميع الصحابة والآل ـ موسمًا؟ وهل تصدى لذلك أحد من التابعين رضي الله عنهم أجمعين ـ؟

ثم أنشدكم الله! هل زخرفت على عهد رسول الله المساجد أو زوقت أضرحة الصحابة والتابعين الأماجد؟! كأني بكم تقولون في نحو هذه المراسم المذكورة، وزخرفة أضرحة الصالحين، وغير ذلك من أنواع الابتداع: حسبنا الاقتداء والاتباع ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[الزخرف: ٢٣]، وهذه المقالة قالها الجاحدون، هيهات هيهات لما توعدون، وقد رد الله مقالهم، ووبخهم وما أقالهم، فالعاقل من اقتدى بآبائه المهتدين وأهل الصلاح والدين؛ «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي...»[1] الحديث، وبالضرورة أنه لن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها؛ فقد قبض رسول الله ﷺ وعَقْد الدين قد سُجِّل، ووَعْدُ الله بإكماله قد عُجِّل: ﴿ٱلْيَوْمَ

---

(١) متفق عليه. (منه).

قلت: أخرجه البخاري (٢٦٥١ و٢٦٥٢ و٣٦٥٠ و٣٦٥١ و٦٤٢٨ و٦٤٢٩ و٦٦٥٨ و٦٦٩٥) ومسلم (٢٥٣٣ و٢٥٣٥).

﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[المائدة: ٣]، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على منبر رسول الله ﷺ بحضرة الصحابة رضي الله عنهم: «أيها الناس! قد سنت[1] لكم السنن، وفرضت الفرائض، وتركتم على الجادة؛ فلا تميلوا بالناس يمينًا ولا شمالًا»[2]، **فليس في دين الله ولا فيما شرع نبي الله أن يُتقرَّب بغناء ولا شطح**، والذكر الذي أمر الله به، وحث عليه، ومدح الذاكرين به؛ هو على الوجه الذي كان يفعله ﷺ، ولم يكن على طريق الجمع ورفع الأصوات على لسان واحد، فهذه سنة السلف، وطريقة صالحي الخلف، فمن قال بغير طريقهم فلا يُستَمع، ومن سلك غير سبيلهم فلا يُتَّبع، ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[النساء: ١١٥]، ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[يوسف: ١٠٨].

فما لكم يا عباد الله ولهذه البدع؟! أأمنًا من مكر الله؟! أم تلبيسًا على عباد الله؟! أم منابذة لمن التواصي بيديه؟! أم غرورًا لمن الرجوع بَعدُ إليه؟! فتوبوا واعتبروا، وغيِّروا المناكر واستغفروا، فقد أخذ الله بذنب المترفين مَنْ دونهم، وعاقب الجمهور لما أغضُّوا عن المنكر عيونهم، وساءت بالغفلة عن الله عُقبى الجميع، ما بين العاصي والمداهن المطيع، أفيز[3] لكم الشيطان وكتاب الله بأيديكم؟! أم كيف يضلكم وسنة نبيكم تناديكم؟! فتوبوا إلى رب الأرباب ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾[الزمر: ٥٤]، ومن أراد منكم التقرب بصدقة أو

---

(١) في الأصل: «سننت».

(٢) انظر تخريجه في: «الاعتصام» (١/ ١٢١ بتحقيقي).

(٣) كذا في الأصل، ولعله: «أفزين».

وُفِّق لمعروفٍ أو إطعام أو نفقة؛ فعلى مَنْ ذكر الله في كتابه، ووعدكم فيهم بجزيل ثوابه؛ كذوي الضرورة الغير الخافية والمرضى الذين لستم بأولى منهم بالعافية، ففي مثل هذا تسد الذرائع وفيه تمتثل أوامر الشرائع، ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ﴾[التوبة: ٦٠].

ولا يتقرب إلى مالك النواصي بالبدع والمعاصي؛ بل بما يتقرب به الأولياء والصالحون والأتقياء المفلحون: أكل الحلال، وقيام الليالي، ومجاهدة النفس في حفظ الأحوال، بالأقوال والأفعال: البطن وما حوى، والرأس وما وعى، وآيات تتلى، وسلوك الطريقة المثلى، وحج وجهاد، ورعاية السنة في المواسم والأعياد، ونصيحة تهتدى، وأمانة تؤدى، وخُلُق على خُلُق القرآن يُحتَدى، وصلاة وصيام واجتناب مواقع الآثام، وبيع النفس والمال من الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ...﴾ الآية [التوبة: ١١١] ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[الأنعام: ١٥٣] الصراط المستقيم: كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، **وليس الصراط المستقيم كثرة الرايات، والاجتماع للبيات، وحضور النساء والأحداث، وتغيير الأحكام الشرعية بالبدع والإحداث، والتصفيق والرقص، وغير ذلك من أوصاف الرذائل والنقص...**، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ﴾[فاطر: ٨]، عن المقداد[1] بن معد يكرب رضي الله عنه:

---

(١) كذا في الأصل المنقول عنه: «المقداد بن معد يكرب»، ولا يوجد في «الإصابة» هذا الاسم؛ إنما الموجود: المقداد بن الأسود، والمقدام بن معدي كرب، ولعله هو الصواب هنا، راجع (ج٣) من «الإصابة» (ص٤٥٤ ـ ٤٥٥)، وبعد؛ فانظر من خرج الحديث وما رتبته فإني لم أقف عليه. (منه).

قلت: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٠٩٩) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ رقم =

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَومَ القِيَامَةِ وَبَينَ يَدَيهِ رَايَةٌ يَحمِلُها؛ وَأُنَاسٌ يَتبَعُونَها، فَيسأل عَنهُمْ وَيَسأَلُونَ عَنهُ...»، ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾[البقرة: ١٦٦ - ١٦٧]، فيجب على من ولاه الله من أمر المسلمين شيئًا من السلطان والخلائف أن يمنعوا هؤلاء الطوائف من الحضور في المساجد وغيرها، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم أو يعينهم على باطلهم، فإياكم ثم إياكم والبدع؛ فإنها تترك مراسم الدين خالية خاوية، والسكوت عن المناكِرِ يحيل رياض الشرائع ذابلة ذاوية، فمن المنقول عن الملل والمشهور في الأواخر والأول: أن المناكِرَ والبدع إذا فشت في قوم أحاط بهم سوء كسبهم وأظلم ما بينهم وبين ربهم، وانقطعت عنهم الرحمات، ووقعت فيهم الـمُثُلات، وشحت السماء، وحلت النقماء، وغيض الماء، واستولت الأعداء، وانتشر الداء، وجفت الضروع، ونقعت بركة الزروع؛ لأن سوء الأدب مع الله يفتح أبواب الشدائد، ويسد طرق الفوائد.

والأدب مع الله ثلاثة: حفظ الحرمة بالاستسلام والاتباع، ورعاية السنة من غير إخلال ولا ابتداع، ومراعاتها في الضيق والاتساع، لا ما يفعله هؤلاء الفقراء؛ فكل ذلك كذب على الله وافتراء، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[آل عمران: ٣١].

عن العرباض[1] بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت

= ٦٥٢، ٦٥٣)، وإسناده ضعيف. فيه محمد بن إسماعيل بن عياش.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم في «المستدرك» باختلاف يسير. (منه). =

منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله! كأن هذه موعظة مودِّع فما تعهد إلينا؟ أو قال: أوصنا. فقال: «**أُوصِيكُم بِتَقوَى الله، وَالسَّمعِ وَالطَّاعَةِ لِمَن وَلِيَ عَلَيكُمْ وَإِن عَبدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ بَعدِي فَسَيَرَى اختِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِن بَعدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ**».

وها نحن عباد الله! أرشدناكم وحذرناكم وأنذرناكم، فمن ذهب بعدُ لهذه المواسم، أو أحدث بدعة في شريعة نبيه أبي القاسم؛ فقد سعى في هلاك نفسه، وجرَّ الوبال عليه وعلى أبناء جنسه، وتلَّهُ الشيطان للجبين، وخسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

* * *

*** تقريظ كتاب «مختصر هدي الخليل»**[1]

تحفة من الشاعر الناثر الأديب العبقري سيدي عبدالله كنون الحسني؛ ألا وهي قصيدة من مشطور الرجز، على طريقة العرب العرباء، قرظ بها الكتاب الذي تفضل الله علي به إذ وفقني لتأليفه؛ وهو: «**مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل**»، وهذا الكتاب انتظم أمورًا أربعة كلها مهمة جدًّا لطالب الحق من الضعفاء أمثالنا:

= **قلت: الحديث صحيح**، انظر تخريجه في: «الاعتصام» (١/ ٦٠ ـ بتحقيقي) و«إعلام الموقعين» (٣/ ٤٧٨ ـ بتحقيقي).

(١) نشرت في مجلة «لسان الدين» التطوانية، السنة الثانية، الجزء الثاني، شوال ١٣٦٦هـ - أغسطس ١٩٤٧م، (ص١٢).

الأول: عقيدة السلف التي أجمعوا عليها.

الثاني: أحكام العبادات مطابقة للأحاديث الثابتة، خالصة بعيدة مِنَ الرأي الوخيم، ومنزهة عن التعصب لمذهب بعينه، مبتدئًا من الطهارة إلى أحكام الأضحية والعقيقة، بغاية التفصيل والسهولة في العبارة.

الثالث: نبذة من توحيد العبادة وتوحيد الإلهية بالأدلة والبراهين.

الرابع: نبذة من كلام الأئمة في إبطال التقليد والتعصب لمذهب معين.

ولقد شعرت بخجل عظيم، وارتعت أيما ارتياع لما جاء في البيتين الأخيرين، فأسأله ـ تعالى ـ أن لا يؤاخذني بما قيل فيَّ مما قصرت عنه، وأن يغفر لي ما لم يعلم إخواني من ذنوبي، ويحقق بفضله ظن هذا السيد الجليل، وهذا من كمال فضله وعلو مقامه ـ زاده الله رفعة وعلاءً ـ.

قال الأستاذ المذكور:

مُخْتَصَرٌ نَاهِيكَ مِنْ دَلِيلِ ... لِمُبْتَغِي عِبَادَةِ الجَلِيلِ

عَلَى هُدًى وَسُنَّةِ الرَّسُولِ ... فِي غَايَةِ الْبَيَانِ وَالتَّحْصِيلِ

أَحْسَنُ مَا يَأْتِيكَ مِنْ خَلِيلِ ... لِأَنَّهُ شَرِيعَةُ الخَلِيلِ

لَيْسَ بِهِ شَيْءٌ مِنَ التَّضْلِيلِ ... وَلَا قِيَاسٌ فَاسِدُ التَّعْلِيلِ

وَلَا تَحَكُّمٌ عَلَى الْأُصُولِ ... بِمَحْضِ قَالٍ بَاطِلٍ وَقِيلِ

أَكْرِمْ بِمُخْتَصِرِهِ النَّبِيلِ ... دُكْتُورِنَا الْمُجَدِّدِ الأَصِيلِ

وَحُجَّةِ اللهِ عَلَى ذَا الجِيلِ

* * *

* تقريظ لكتاب «إنالة الوطر برفع الحرج وإزالة الخطر على من جمع بين الصلاتين في الحضر من غير مرض ولا مطر»(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على خير خلقه محمد سيد المرسلين وإمام المتقين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومَن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فقد اطلعتُ على كتاب «إنالة الوطر برفع الحرج وإزالة الخطر على من جمع بين الصلاتين في الحضر من غير مرض ولا مطر» لمؤلفه العالم الجليل، المحقق الباحث، المتقن الموفق، الداعي بالحق إلى تحقيق الاتباع والاجتهاد، المجاهد في ذلك كل الجهاد(٢) أبي العباس أحمد بن الصديق ـ زاده الله توفيقًا ـ؛ فوجدته على غرار تآليفه الجياد، التي نفع الله بها من شاء من العباد.

وقد جمع هذا الكتاب من الأحاديث الشريفة والمباحث المنيفة ما يبهر العقول من نقول عزَّزتها أسانيدها، وبحوث قامت عليها شواهدها مما جعلها نسيج وحده وفريد عقده.

وقد انتظم هذا السفر مسألة الجمع التي وقع فيها النزاع بجميع أنواعها من التقديم والتأخير والجمع الصوري الذي ادعى وجوده بعض المتكلفين، ومسافة

---

(١) وقفت على ورقتين بخط الشيخ الهلالي ـ رحمه الله ـ، أرسلها إليَّ من طنجة الأخ الباحث النابه بدر العمراني في ١٧ محرم ١٤٢٧هـ، ثم أرسلهما بعد فترة يسيرة الأخ الفاضل زكريا الساطع؛ فجزاهما الله خيرًا، وبارك فيهما وفي جهودهما وأعمارهما.

(٢) كتب إليَّ الأخ العمراني: «أخبرني الشيخ بوخبزة قبل سنوات أنه سمع الشيخ الهلالي بعدما زار أحمد الغماري يثني على علمه، ثم قال: «لكن أفسدته السبحة»».

القصر وحكمه، وبدلائله بل احتج على المنازع بكلام أئمة مذهبه الذي به يدين وإليه يركن وعليه يعول.

ثم قفى على إثر ذلك بذكر الأدلة من الكتاب والسنة، ثم ذكر أقوال أئمة الأمة من جميع المذاهب والطوائف التي لا ينعقد الإجماع بدونها، ولعمر الله! ما يسع الناظر في هذا الكتاب إلا أن يُعجب به كل الإعجاب؛ فكلُّه غُرَر وطُرَف ودُرَر، مع استيفاء المباحث، حتى لم يبقَ فيها زيادة لمستزيد.

مقال كحد السيف وَسْط المحافل   إذ جاء لم يترك مقالة لقائل[1]

ولما سألني المؤلف ـ حفظه الله ـ إبداء رأيي وما أدين الله به في هذه المسألة؛ رأيتُ أن أختم به هذا التقريظ، فأقول:

إني أختار جمع التأخير في السفر والحضر إذا دعَتْ إليه حاجة، ولم يفوِّت جماعة، وقد ذهب إلى جمع التقديم في السفر أئمة مهتدون، معتمدين على أدلة كافية مقنعة، غير أن أدلة جمع التأخير أرجح إلا في عرفة.

وأما جمع التقديم في الحضر؛ ففي النفس منه شيء.

والمؤلف ـ حفظه الله ـ عالم مجتهد، له الحق أن يعمل ويُفتي بما يختاره، ولا سيما إذا كان له سلف صالح ـ كما في هذه المسألة ـ.

نسأل الله أن يُكثِّر العلماء الناصحين على هذا المنوال المحمدي السلفي الشريف، وأن يفتح بهم آذانًا صُمًّا، وعيونًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، وأن يجعلنا منهم بفضله وكرمه، ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

---

(١) البيت لمنذر بن سعيد البلوطي في: «طبقات النحويين» (١/ ٢٩٦) و«نفح الطيب» (١/ ٣٧٢) و«مطمح الأنفس ومسرح التانس» (٩٦) وعجز البيت فيه: «فرقت به ما بين حق وباطل» بدل «إذا جاء لم يترك مقالة لقائل».

إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤]، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه

بثغر طنجة لثماني بقين من رجب الحرام عام ١٣٦٣هـ

الفقير إلى عفو ربه الغني به

محمد تقي الدين الهلالي

وهذه مصوَّرته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على خير خلقه محمد سيد المرسلين
وامام المتقين وعلى آله واصحابه اجمعين ومن اتبعهم باحسان
الى يوم الدين اما بعد فقد اطلعت على كتاب [illegible]
وازالة الخطر على من جمع بين الصلاتين في الحضر بغير مرض ولا مطر لمؤلفه
العالم الجليل المحقق الباحث المتقن الموفق الداعي بالحق الى تحقيق الاتباع
والاجتهاد المجاهد في ذلك كل الجهاد ابي العباس احمد بن الصديق زاده الله
توفيقا. فوجدته على غرار تآليفه الجياد التي نفع الله بها من شاء من
العباد. وقد جمع هذا الكتاب من الاحاديث الشريفة والمباحث المنيفة
ما يبهر العقول من نقول عززها باسانيدها وبحوث قامت عليها شواهدها
[illegible] وحده و[illegible]. وقد انتظم هذا السفر مسألة الجمع
التي وقع فيها النزاع بجميع انواعها من التقديم والتأخير والجمع الصوري الذي
[illegible] بعض المتكلفين [illegible] بما لا مزيد عليه
[illegible] بكلام الائمة [illegible]
ثم تقفى على اثر ذلك بذكر الادلة من الكتاب والسنة ثم ذكر اقوال الائمة الاعلام
من جميع المذاهب والطوائف التي لا يعتد بالاجماع بدونها. ولعمر الله ما
يسع الناظر في هذا الكتاب الا ان يعجب به كل الاعجاب. فكله غرر وطرف
ودرر مع استيفاء المباحث حتى لم يبق فيها زيادة لمستزيد

مقال كحد السيف وسط المحافل اذا جاء لم يترك مقالا لقائل

ولما سالني المؤلف حفظه الله ابداء رايي وما ادين الله به في هذه المسألة
رايت ان اختم به هذا التقريظ فاقول اني اختار جمع التأخير في السفر
والحضر اذا دعت اليه الحاجة ولم يفوت جماعة. وقد ذهب الى جمع التقديم
في السفر ائمة مجتهدون معتمدين على ادلة كافية مقنعة غير ان ادلة
جمع التأخير ارجح الا في عرفة. واما جمع التقديم في الحضر [illegible]
به. والمؤلف حفظه الله عالم مجتهد له الحق ان يعمل ويفتي بما يختار
ولا سيما اذا كان له سلف صالح كما في هذه المسألة. نسأل الله ان يكثر

المحمدي السلفي الشريف وان
العلماء الناسجين على هذا المنوال المحمدي السلفي الشريف وان
يفتح بهم آذانا صما وعيونا عميا وقلوبا غلفا وان يجعلنا منهم بفضله
وكرمه {ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين
اماما} وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين
وكتبه بثغر طنجة لثمان بقين من رجب الحرام عام 1363
الفقير الى عفو ربه الغني به محمد تقي الدين الهلالي

❊ ❊ ❊

* تقريظ كتاب «إزاحة القناع عن مكر أهل الشرك والابتداع» تأليف الشيخ المحقق البارع المدقق عبد الغفور بن محمد إسماعيل[(١)]

الحمد لله الذي يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولهم الويل مما يصفون، وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد الذي نصرته ومن اتبعه بالرعب من مسيرة شهر، وعلى آله وأصحابه الذين رفعوا راية القرآن والحديث، وحاربوا كل مشرك ومبتدع خبيث، وطهروا الإسلام من تأويل الجاهلين وانتحال المبطلين، وجاهدوا في الله حق جهاده، ونصحوا لعباده ولم تأخذهم في الله لومة لائم، ألا وهم أهل الحديث الذين هم أولياء الله حقًّا كما قال الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله ـ[(٢)]، واقتدى به في ذلك جميع أئمة أهل السنة فقالوا: إن لم يكن أهل الحديث أولياء الله؛ فلا ولي لله، وأنشد شاعرهم[(٣)]:

أَهْلُ الحَدِيْثِ عِصَابَةُ الحَقِّ ... فَازُوْا بِدَعْوَةِ سَيِّدِ الخَلْقِ
فَوُجُوْهُهُمْ غَيْرُ مُنْخَرَةٍ ... لَأْلَاؤُهَا كَتَأَلُّقِ البَرْقِ
يَا لَيْتَنِي مَعْهُمْ فَيُدْرِكَنِّي ... مَا أَدْرَكُوْهُ بِهَا مِنَ السَّبْقِ

وقال آخر[(٤)]:

---

(١) طبع في مقدمة كتاب «إزاحة القناع عن مكر أهل الشرك والابتداع» (ص٩ ـ ١٣) طبعة جامعة العلوم الأثرية ببلدة جهلم ـ الباكستان، وفيه ـ أيضًا ـ: تقديم الشيخ محمد بن عبدالله السبيل (إمام الحرم المكي) والشيخ عبد العزيز بن صالح (إمام الحرم النبوي).

(٢) انظر: «شرف أصحاب الحديث» (ص١٥٥ ـ ط اللؤلؤة).

(٣) الأبيات لأبي العباس العزفي في: «نفح الطيب» (٢/ ٣٦) و«أزهار الرياض» (٣/ ٩٥) و«التاج المكلل» (٢٧٢).

(٤) هو أبو عامر الحسن بن محمد بن علي القومسي النسوي الزاهد الشاعر (ت٤٤٩هـ)، =

أهـل الحـديث هـم أهـل النبـي وإن | لم يـصحبوا نفـسه أنفاسـه صـحبوا

وقال آخر:

الْعِلْــمُ قَــالَ اللهُ قَــالَ رَسُــوْلُهُ | قَــالَ الـصَّحَابَةُ لَـيْسَ خُلْـفٌ فِيْـهِ
مَا الْعِلْـمُ نَـصْبَكَ لِلْخِـلَافِ سَـفَاهَةً | بَـيْنَ الرَّسُـوْلِ وَبَـيْنَ قَـوْلِ فَقِيْـهِ[1]

وقال آخر:

دِيْــنُ النَّبِــيِّ مُحَمَّــدٍ آثَــارُ | نِعْـمَ الــمَطِيَّةُ لِلْفَتَـى الْأَخْبَـارُ
لَا تَـرْغَبَنَّ عَـنِ الحَـدِيْثِ وَأَهْلِـهِ | فَــالرَّأْيُ لَيْــلٌ وَالْحَـدِيْثُ نَهَــارُ
وَلَرُبَّمَــا ضَــلَّ الْفَتَـى سُـبْلَ الهُـدَى | وَالــشَّمْسُ بَازِغَــةٌ لَهَــا أَنْــوَارُ[2]

وقال آخر:

= والبيت أسنده عنه ابن المديني في «اللطائف» (٤٧) والسمعاني ـ كما في «طبقات الفقهاء الشافعية» (١/ ٣٥٧) لابن الصلاح ـ وعندهما قبله:

يـا سـادة عنـدهم للمـصطفى نـسب | رفقًا بمن عنـدهم للمـصطفى حـسب

ولابن السمعاني في «ذيل تاريخ بغداد» للدبيثي (٤/ ٢٠٤).

انظر: «الدرر المفيدة» (رقم ٦٠٤ ـ بتحقيقي).

(١) البيتان في: «توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم» (٢/ ٢٧٩) و«إعلام الموقعين» (٢/ ١٤٩) و«لوامع الأنوار» (١/ ٧).

(٢) نسـب الأبيات في «جامع بيـان العلم» (رقم ١٤٥٩) و«إعـلام الموقعين» (١/ ١٤٩ ـ بتحقيقي) للإمام أحمد، ونسبها الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (رقم ١٥٨) لعبدة ابن زياد الأصبهاني، وكان عبد الرحمن بن مهدي يتمثل بها ـ كما عند الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٢/ ١٩٣ ـ ١٩٤) بسنده إليه ـ.

دعـوا كـل قـول غـير قـول محمـد فـما آمـن في دينـه كمخـاطر[1]

وقال آخر[2]:

فـإن أنـتم لم تقنعـوا بمقالـه فـإني بـما قـال النبـي لقـانع

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني في قصيدته[3] التي أرسلها وحيى بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب الذي أحيى الله به دين الحق وأمات به دين الباطل؛ ومطلعها:

سلامي على نجد ومـن حـل في نجـد وإن كان تسليمي مـن البعـد لا يجـدي

ومضى إلى أن قال:

عَـلامَ جَعَلْـتُمْ أَيُّهَـا النَّـاسُ دِيْنَنَـا لِأَرْبَعَـةٍ لَا شَـكَّ فِي فَـضْلِهِمْ عِنْـدِيْ

هُـمُ عُلَمَـاءُ الـدِّيْنِ شَرْقًـا وَمَغْرِبًـا وَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِ الْفَضْلِ وَاسِطَةُ الْعِقْـدِ

---

(١) انظر: «فتح البيان» (٣/ ١٠٥) و«سبيل الرشاد» (٣/ ١٦٣) و«العقد الثمين» (٢/ ٢٩٨).

(٢) هو أسماء بن رئاب الجرمي (ت ١٤١هـ).

انظر: «المؤتلف والمختلف» (٢/ ١٠٥٣) و«تصحيفات المحدثين» (٢/ ٦٦٠) و«الوافي بالوفيات» (٩/ ٣٩) و«الإصابة» (١/ ١٣٤) وفيها: «بقضائه» بدل «بمقاله».

(٣) في «عنوان المجد في تاريخ نجد» (١/ ٥٤ ـ ٥٥) و«الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية» ٨٠ ـ ٨١).

وللهلالي في «ديوانه» (٧٠٦) و«سبيل الرشاد» (٣/ ٨ ـ ٩) قصيدة في الذب عنها في الرد على من نال من دعوة الشيخ الإمام المجدد.

انظر: «الديوان» (٧٠٩) و«إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء» (٧/ ٥٥٢).

وَمَـنْ قَلَّـدَ النُّعْمَـانَ أَصْـبَحَ شَـارِبًا نَبِيْـذًا وَفِيْـهِ الْقَـوْلُ لِلْـبَعْضِ بِالْحَـدِّ

وَهَيْهَـاتَ كُــلٌّ فِي الدِّيَانَــةِ تَــابِعٌ أَبَـاهُ كَـأَنَّ الـدِّيْنَ بِـالْأَبِ وَالْجَـدِّ

وقال في ابن عربي الحاتمي الزنديق[1]:

وَأَكْفَـرُ أَهْـلِ الْأَرْضِ مَـنْ ظَـنَّ أَنَّـهُ إِلَــهٌ تَعَــالَى اللهُ جَـلَّ عَــنِ النِّـدِّ

وَلَكِنَّهُمْ كَالنَّاسِ لَيْسَ كَلَامُهُمْ دَلِـيْلًا وَلَا تَقْلِيْــدُهُمْ فِي غَــدٍ يُجْــدِ

مُـسَمَّاهُ كُــلُّ الْكَائِنَــاتِ بِأَسْرِهَــا مِنَ الْكَلْبِ وَالخِنْزِيْرِ وَالْفَهْـدِ وَالْقِـرْدِ

أما بعد؛ فقد قرأت الكتاب الموسوم بـ «إزاحة القناع عن مكر أهل الشرك والابتداع وكيد أهل الأهواء والخداع» تـأليف الـشيخ العلامـة المحقـق البـارع المدقق عبد الغفور بن محمد إسماعيل، فقد أجاد وأفاد كـشف الغطـاء عـن أهـل الزيغ والإلحاد الذين أخبر النبي ﷺ عنهم بقوله: «**إنما تخلـف مـن بعـدهم خلـوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، من جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومـن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ولـيس وراء ذلـك الإيمان حبة خردل**»[2].

فأبـو محمد عبد الغفـور ـ بارك الله في حياتـه وعمله ـ جاهد بلسانه فأدرك الدرجـة الوسطى من الجهاد، وقد قال النبي ﷺ: «**أفضل الجهاد كلمة الحق عند سلطان جائر**»[3]، وقد بحث ـ بارك الله فيه ـ عن مكايدهم وأباطيلهم وكشف عنها

(١) في «القصيدة الدالية»، ومنها نقل المصنف في «سبيل الرشاد» (٣/ ١٧١ ـ ١٧٢) وزاد عليها.

(٢) أخرجه مسلم (٥٠).

(٣) أخرجه أبـو داود (٤٣٤٤)، والترمـذي (٢١٧٤)، وابن ماجـه (٤٠١١) عـن أبي =

القناع فظهر وجهها المشوه؛ كالعجوز التي قال فيها الشاعر:

عجـوز الـنحس إبلـيس يراهـا ... تعلمـه الخديعـة مـن سـكوت

تقـود مـن الـسياسة ألـف بغـل ... إذا نفـروا بخـيط العنكبـوت[1]

فيا أعداء السنة والقرآن وخدام الشيطان! شاهت وجوهكم وضاع سعيكم وبطل كيدكم بهذا الكتاب المستطاب، الذي هو تحفة لأولي الألباب، السالكين محجة السنة والكتاب لا يزيغ عنها إلا هالك، فيحسن بكل مسلم حنيف يقرأ ويفهم أن تكون عنـده نسخة من هذا الكتاب يتخذهـا حصنًا حصينًا وسلاحًا فاتكًا بأهل الغرور أعداء السنة والكتاب، فجزى الله المؤلف خيرًا كثيرًا، ووفق رئيسنا الجليل صاحب السماحة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز للمساعدة على طبع هذا الكتاب ونشره؛ تنويرًا لعقول أهل الحق وكبتًا لأهل الباطل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل.

حرر بمنزل رئيسنا الجليل صاحب السماحة الأستاذ الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز بمدينة الرياض المحروسة عاصمة الدولة المنصورة بالله، المحافظة على حدود الله وتنفيذ شريعة رسول الله ﷺ؛ وهي الدولة السعودية السعيدة بقيادة صاحب الجلالـة الملك الإمام خالد بن عبد العزيز وولي عهده الهمام سمو الأمير

= سعيد الخدري رضي الله عنه، وهو صحيح.

(١) البيت منسوب لابن الرومي في «التذكرة الحمدونية» (٩/ ٣٩٨) هكذا:

يقـود مـن الفراهـة ألـف بغـلٍ ... بهـا حـرنٌ بخـيط العنكبـوتِ

وهكذا ـ أيضًا ـ بلا نسبة في: «التذكرة الحمدونية» (٤/ ٨٢) و«الدر الفريد» (١١/ ٣٩٦).

وباللفظ المثبت بلا نسبة في «نفح الطيب» (٤/ ١٨٤) وبدل «نفروا»: «حرنت».

الكريم فهد بن عبد العزيز ورجال دولته الأبطال، زادهم الله نصرًا وتوفيقًا وتسديدًا لنشر راية الإسلام على ربوع المعمورة.

آمـــين آمـــين لا أرضى بواحـــدة حتى أضيف لها ألـف ألـف آمـين[1]

وكان ذلك في اليوم الرابع والعشرين من رجب الحرام سنة ١٣٩٧هـ.

إمضاء الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

خريج جامعة برلين سنة ١٩٤٠م

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

* كلمة تقديم للدكتور تقي الدين الهلالي[2]

«مختارات للمطالعة الحرة» اسم تأليف قيم وضعه ـ لسد حاجة طلاب المدارس المغربية إلى كتب المطالعة والقراءة ـ الأستاذ أحمد مدنية[3].

---

(١) سبق توثيقه.

(٢) أرسلها لي الأخ البحاثة بدر العمراني ـ حفظه الله تعالى ـ من طنجة، وكتب ـ جزاه الله خيرًا ـ بعد كلام:

«وأما ما يتعلق بالدكتور تقي الدين الهلالي فسأتحفكم بمقدمة نادرة له صدَّر بها كتابًا مدرسيًّا اسمه «المطالعة الحرة» للأستاذ أحمد مدنية، نشر بتطوان سنة ١٩٤٨م، وتجدون مصورتها رفقة هذه الرسالة».

(٣) في الأصل: «مدينة».

وأحمد مدنية من تلاميذ الهلالي، وهو صهر الأستاذ أحمد هارون سكرتير تحرير مجلة «لسان الدين»، انظر كتابي «رسائل الهلالي» (١/ ٤٠٨).

ولا يخفى على من يعنى بالتعليم والثقافة في بلاد المغرب أن من بين العقبات الكؤود التي يشكو منها المعلمون والمتعلمون معًا: فقدان الكتب المدرسية المناسبة لأحوالهم وزمانهم ومكانهم، وهذا الفقدان يسبب لهم خسارة كبيرة في الأوقات؛ فيقضي الطلبة وقتًا طويلًا في كتابة الدروس، ثم يكتبونها محرفة ويقرؤونها خطأً، فيحتاج المعلم إلى أن يقرأها معهم مرارًا وتكرارًا لتقويم اعوجاج ألسنتهم، ومع ذلك لا يدرك من ذلك إلا بعض مراده، هذا إذا كان المعلم كاملًا وما أقله، ثم إذا غابوا عنه وأخذوا يراجعون وحدهم في بيوتهم أو خارجها؛ ينسون إصلاح المعلم ويعودون ـ بحكم قصورهم ـ إلى اللحن، فيرجعون إلى المدرسة بأخطاء كثيرة.

وهناك خسارة أخرى وهي: أن ما كتبه الطالب بخطه الناقص على عجل تعسر عليه قراءته إذا خلا بنفسه؛ بل يتعذر عليه أن يقرأ بعض الألفاظ فتعتريه السآمة لذلك ويلقي بالدفتر جانبًا، ويستريح من عناء حل ألغازه اللفظية والمعنوية، والواقع أن والديه غير مثقفين فلا يرجو منهما أدنى مساعدة، ولا يجد وجهًا ولا جوابًا يقابل به أسئلة المعلم الفظة المحرجة، فينقطع عن المدرسة.

ولو فرضنا انتفاء جميع ما تقدم في بعض الطلبة؛ فشتان ما بين كتاب مطبوع مهذب مشروح مزين بالتصاوير يغري العين بالنظر والقلب بالفكر، وبين كتابة مشوهة في دفتر لا وضوح فيها ولا جمال ولا زينة.

إذا فهمت ذلك؛ فاعلم أن كتب المطالعة ـ زيادة على قلتها وعدم وجود أكثر من نسخة أو نسختين من كل كتاب منها ـ هي مشحونة بالموضوعات التي لا تناسب الطالب المغربي من وجه أو من وجوه؛ فإما أن تكون فوق مستواه

التحصيلي ـ وإن كانت مؤلفة لمن هو في مثل سنته المدرسية لتأخر التعليم في بلادنا ـ، وإما أن تزيد على ذلك لكون معناها لا يفيد المغربي كثيرًا ولا يستطيع فهمه لتعلقه بمعنى خاص بالبلاد التي ألف ذلك الكتاب لأبنائها؛ بل ربما احتوى ذلك الكتاب على أشياء لا تصلح أن تكون وجهة للناشئ المغربي.

لهذه الأشياء وغيرها كانت مدارسنا في أشد الحاجة إلى كتب مطالعة مختارة من جواهر الأدب العربي بقسميه المنثور والمنظوم.

ونحن لا نستحي أن نقول: إن المؤلفين الذين يحسنون الاختيار في هذا الباب، مع القيام بما يلزم المختارات من شرح الغريب وذكر تراجم الرجال والنساء أرباب تلك القطع المنقولة، أقول: مثل هؤلاء المؤلفين عندنا قليل جدًّا، ولذلك بقيت هذه الطاقة في معرض النتاج العربي المغربي خالية، ما خلا تأليف الأستاذ العبقري المتفنن عبدالله كنون الحسني؛ أعني: المجلد الثاني من «النبوغ المغربي في الأدب العربي»، على أن هذا الجزء لم يهيأ التهيئة الكافية لتلامذة المدارس، وإنما ألف لمطالعة الأدباء عمومًا، على أن هناك عوائق منعت مؤلفه من التأنق في طبعه وإظهاره بالبزة التي يريدها له.

وقد عني الأستاذ أحمد مدنية[1] بتقديم الأهم في المطالعات؛ وهو ما يقبح بالطالب المغربي جهله من منتوجات أدباء بلادنا المغربية والأندلسية ودور آدابهم وفرائد نفثات أقلامهم التي هي زينة الأدب العربي وذروة سنامه وفخره، فمن الغفلة الانصياع والهيام بأخبار المشرق وأوربة، وإهمال كنوز بلادنا وتركها في زوايا النسيان لا يرفعون بها رأسًا، ولا يرون بجهلها بأسًا.

---

(١) في الأصل: «مدينة».

وهذه علة قديمة في الأندلسيين والمغاربة لم ينتبه إليها إلا النادر منهم؛ كابن الخطيب وابن بسام والمقَّري، ومن الواجب الذي لا ريب فيه على كل ناشئ أن يعرف بلاده وأهلها وما فيها من كنوز مادية وأدبية قبل أن يعرف غيرها من البلاد.

ولذلك اقتبس مؤلفنا هذا ـ حفظه الله ـ معظم مختاراته من بنات أفكار المغاربة المتقدمين والمتأخرين، وإذا كان اختيار الرجل يدل على كمال عقله وأدبه أو نقصانهما ـ كما قال الأدباء قديمًا ـ؛ فإن هذا الكتاب يدل على رجاحة عقل الأستاذ أحمد مدنية[1] وكمال لطقه وطرفه وجودة اختياره.

ومن المعلوم عند أهل هذا الفن أن الاختيار أصعب من التأليف؛ ولذلك جعلوه ميزانًا يوزن به عقل صاحبه، وإن طلبت مثلًا لذلك فدونك كتب الحماسة؛ فقد ألف أبو تمام الطائي «حماسته» المشهورة في الشرق والغرب العربي والأوربي، ولما أقبل الناس عليها حفظًا ودرسًا وإنشادًا ثارت لذلك غيرة الأدباء؛ فألف البحتري «حماسة» حاول فيها النسج على منوال أبي تمام فلم ينجح، وحاول ذلك بعده خلق كثير فلم تلق حماستهم قبولًا، وبقيت «حماسة أبي تمام» على ما كانت عليه من الحظوة والمكانة إلى يومنا هذا.

فأهنئ المتأدبين بهذا الكتاب النفيس الذي هم في أشد الحاجة إليه، وأهنئ الأستاذ مدنية[2] بما أحرزه من التوفيق في هذا العمل، راجيًا له اطراد النجاح والتوفيق حتى يبلغ في ذلك فوق ما يتمنى، وعسى أن يقتدي به شبابنا المثقفون فيقضون دَينًا لا يزال في أعناق الأدباء المغاربة منذ زمان طويل، ويعيدون إلى

---

(١) في الأصل: «مدينة».

(٢) في الأصل: «مدينة».

هذه البلاد عهد حياتها وازدهارها وسعادتها.

تقي الدين الهلالي ـ القصر الكبير

٢٠ رجب ١٣٦٦هـ ـ ١٠ يونيو ١٩٤٧م

❊ ❊ ❊

❊ هذه السلسلة في الميزان[1]

بقلم الأستاذ الدكتور تقي الدين الهلالي

سلسلة محكمة الحلقات من تاريخ الأدب المغربي يؤلفها وينشرها الأديب

---

(١) تقديم كتاب «ذكريات مشاهير رجال المغرب في العلم والأدب والسياسة» (١/ ١٣٠ ـ ١٣٣) تأليف العلامة الأديب عبدالله كنون، نشر مركز التراث الثقافي المغربي ودار ابن حزم.

كان الود والتقدير والمحبة هو الذي يتوج العلاقة بين الهلالي وكنون، والعلاقة بينهما عميقة وممتدة، ولها كثير من الآثار الظاهرة، ويتلمس الباحث ذلك من خلال المراسلات بينهما، وسقت ما ظفرت به في هذا الخصوص في كتابي «رسائل الهلالي» (٤/ ١٦٩٣ ـ ١٦٩٤ الفهارس).

لخص الأستاذ عبد القادر الإدريسي في كتابه «عبدالله كنون وموقعه في الفكر الإسلامي السياسي الحديث (رؤية من الداخل)» (ص٢٦٥) العلاقة بين الهلالي وكنون بقوله: «كان بينهما من وشائج الصداقة والزمالة الفكرية».

اطلع الهلالي أول مرة على كتاب صديقه كنون هذا وهو في العراق، في سنة ١٣٦٩هـ، قال لصديقه كنون في ٣٠ رجب منها في رسالة أرسلها من أعظمية بغداد: «قد وصلتني (الأجزاء الستة) التي نشرتموها في «سير أدباء المغرب» زادكم الله توفيقًا وفضلًا، وسأطالعها ـ إن شاء الله ـ؛ إذ الحقيقة تطالع لي فأسمعها ـ بعد انتهاء تصحيح صحائف الامتحان...».

النابغة الأستاذ عبدالله كَنون، وقبل أن أبتدئ في نقد هـذه المؤلفـات وتقريظهـا؛ ينبغي أن أذكر شيئًا من التعريف بالمؤلف ليستفيد من لا يعرفه حـق المعرفـة مـن أهل الشرق وغيرهم من أهل الآفاق البعيدة عن المغرب.

كنت في البلاد الجرمانية في مدينة بُنْ أولًا، ثم في برلين ثانيًا، فكانت الأخبار تترى عليَّ عن عبـدالله كنون، وكان الحاملون لهـا أناسًا مختلفي المشارب والطباع والأذواق من جميع الطبقات، ولكنهم جميعًا اتفقوا على فضله ونبله، فاشتقت إلى الاتصال به لأخبره وأعرفه عن كثب، فقدر لي أن أتوجه إلى المغرب سنة ١٣٦١هـ، ولقيت هذا الرجل في بلده طنجة وفي تطوان، وعرفت حاله حق المعرفة؛ فوجدته أحسن وأجلَّ مما وصفه الواصفون.

كانـت منافَثَـةُ الرُّكْبـان تخـبرني ... عن جعفـر بْـنِ فَـلاح أطيـبَ الخـبر

ثـم التقينـا فـلا والله مـا سـمعت ... أُذْني بأحسن ممـا قـد رأى بـصري[(١)]

فـلا تكاد تلتمس خلـة من خلال النبل ولا خصلة من خصال الفضل إلا وجدته متصفًا بها؛ فقد جمع بين خصال الشيوخ من سعة العلم، والأدب، وكمال العقل، والمروءة، وبُعد النظر، وسداد الرأي، والرزانة، والحلم، والوقار، إلى خلال الشباب من النشاط، والحزم، وفكاهة الحديث، وحسن المحاضرة، وطرافة النكتة، مع صحة العقيدة، والكرم، والشهامة، والوطنية الموزونة بميزان الشرع المحمدي المكتسبة من القرآن وسيرة الرسول، لا من العصبية الجاهلية الأولى ولا الآخرة، متوسط القامة إلى الطول أمْيَل، أبيض، صبيح الوجه، نحيف الجسم، لا يلتزم زيًّا

---

(١) البيتان في: «ديوان ابن هانئ الأندلسي» (ص١٦٥) وفيه: «مساءلة» بدل «منافثة»، و«تخبرنا» بدل «تخبرني».

بعينـه، فصيح اللسان، لـه شِعر يصل فيه أحيانًا إلى حد الإبداع، وله نثر منسجم مرصع بجواهر النكت ولطائف المُلَح، إلا أنه قد يشوبه بالعبارات العصرية التي ينفر منها الأسلوب العربي الخالص، ثم إن ارتكابه لهذه العبارات ناشئ عن اختيار واستحسان لا عن عجز أو جهل بالقواعد اللغوية؛ فإنه فيها نسيج وحده ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[البقرة: ١٤٨]، وبعبـارة أخرى فهـو من الأدباء الذين يذهبون إلى التجديد المطلق، وللناس فيما يعشقون مذاهب.

وله تآليف غزيرة العلم جيدة التأليف حسنة السبك (أَعُدُّ منها ولا أُعَدِّدُها) منها:

«تاريخ المغرب» مختصر للمدارس المغربية، و«شرح الشمقمقية»، و«شرح مَقْصُورة المكودي»، و«تعليق على ديوان ابن زاكور».

وأهمها: كتاب «النبوغ المغربي» الذي جمع فيه ما لا يوجد في كتاب واحـد: من تاريخ الأدب والأدباء والشعر والشعراء، من الإلمام بتاريخ الحوادث العامـة والسياسة، والنقد الصحيح لكل ما يعرض له، وقد قسم هذا الكتاب إلى عصور متباينة، وتوسع ما أمكنه في تراجم المبرزين مـن الأدبـاء والـشعراء، ونـشر هـذا الكتاب في مجلدين من ماله الخاص، لم يساعده على ذلك أحد لا حكومة ولا جماعـة ولا أفراد من الأمة؛ بل وجد هذا الكتاب في أمته من يحاربه، ولكن جهود المحـاربين كانت كالزَّبَد الذي يذهب جفاء، فانتشر الكتاب برغم أنـوفهم، وتـرجم باللغـة الإسبانية ومنحته إحدى الجامعات الإسبانية عليه لقب (دكتور) شرفًـا، وتلقـاه مؤرخ الأدب العربي الأكبر في هذا العصر بلا نزاع الأستاذ كارل بروكلمان الألمـاني؛ تلقاه بالإعجاب والثناء العاطر.

ولما تولى الأستاذ كَنون إدارة المعهد الخليفي للباحثين الذي أسس في تطوان

سنة ١٣٥٦هـ وجد الفرصة سانحة لنشر كتابه «ذكريات مشاهير رجال المغرب»، الذي لا يقل أهمية عن كتاب «النبوغ المغربي»، فبدأ يُخرجه في أجزاء صغيرة، ولكنها أجمل طبعًا، وأكثر تأنقًا، وأدق نظامًا، مُفْرِدًا لكل عالم وكل أديب جزءًا خاصًّا يشتمل على سيرته ومخلَّفاته الأدبية من منظوم ومنثور، مع البحث والتحليل الأدبي والتاريخي الدقيق الذي يقال فيه: (أعط القوسَ بارِيها).

ولا يجب أن يكون مصيبًا في جميع آرائه؛ فتلك صفة استأثر بها كتاب الله، قال الشافعي ـ رحمه الله ـ: «أبى الله أن يسلَم من النقص إلا كتابُه؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[النساء: ٨٢]»[1]، ولكن كل من قرأ هذه السلسلة من أهل الفن الـمُنْصِفين يشهد له بالبراعة في النقد والإصابة في أغلب المسائل، وذلك أقصى ما يطمع فيه البشر، وقد بلغ ما نشر من هذه الأجزاء خمسة عشر؛ فمُلِئتُ إعجابًا بها وأكبرت هذه الهمة الشماء، ولم أكن من قبل أجهَلُها، وإن دنيا الأدب لفي أشد الحاجة إلى بعث هؤلاء النوابغ وإخراج كنوز آدابهم من تحت أنقاض البلى والإهمال في تلك الحلة القشيبة من قرطاس أبيض ناصع وحروف واضحة وطبع متقن، على أن في تصحيحه نقصًا لم يستطع هذا الفاضل أن يتجنبه، ولا أظن أن ذلك ينشأ عن تهاون أو قصور، ولكنه نتيجة انحطاط الثقافة اللغوية في البلاد العربية بأسرها، وقد يتغاضى هذا الأستاذ الناقد ـ أحيانًا ـ عن الخرافات الملتصقة بالأدب المغربي الذي تخدِشُ وجهَه الجميل مع أنه بعيد عن العقائد الخُرافية بُعْدَ الثُّريا من الثرى؛ لأن الجمهور لا يزال يخبط في ظلماتها، ولعله لم يرَ في الإمكان أبدَع مما كان، ثم إنه لم يرتب هذه السلسلة على العصور فيبدأ بالمتقدم فالمتقدم في الزمان أو المتأخر فمن دونه، ولم يرتب أولئك الرجال على درجاتهم في الكمال،

---

(١) انظر: «المقاصد الحسنة» (١٥) للسخاوي.

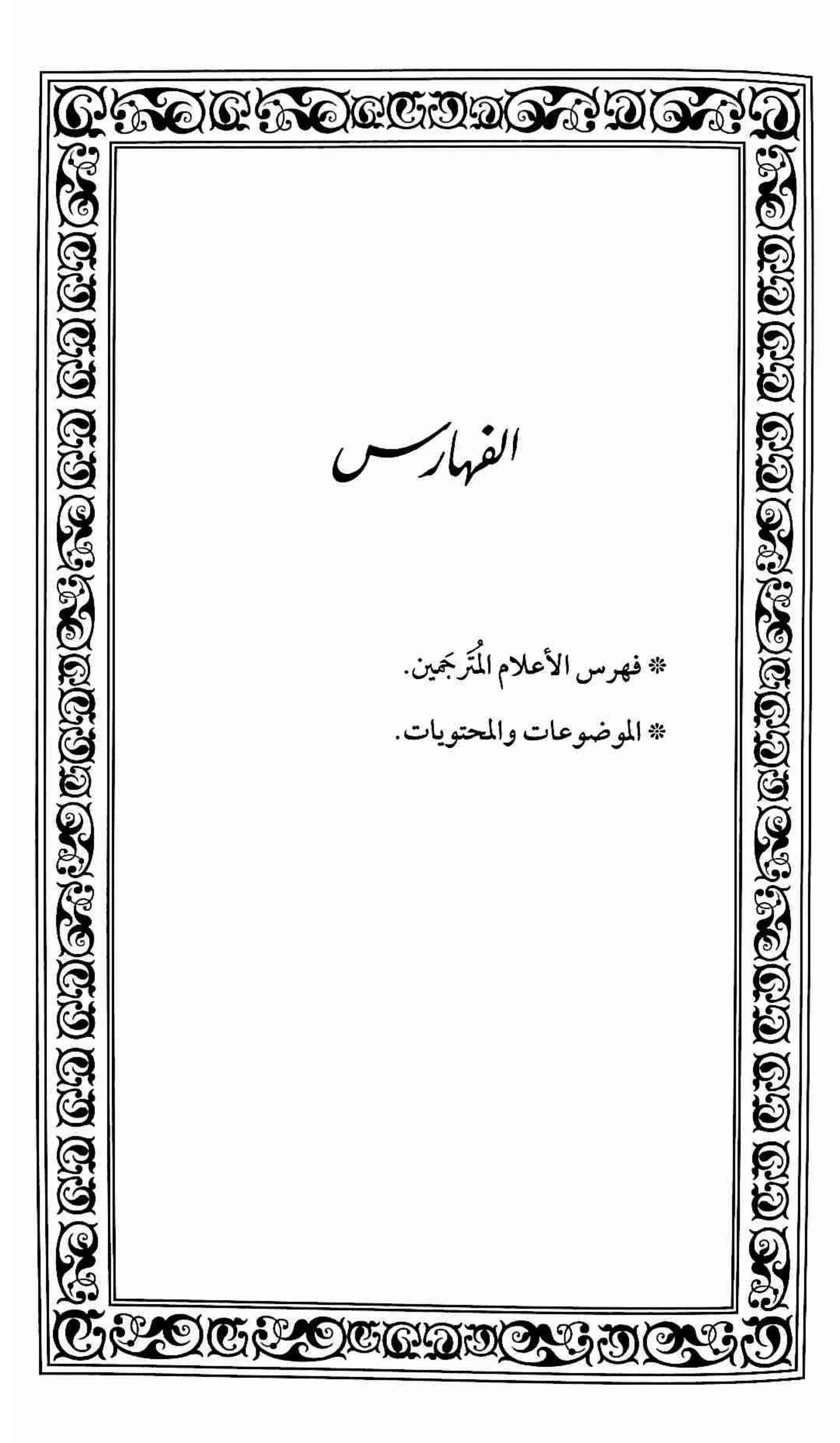
فلا أدري! ماذا قصد في ترتيبهم؟ والخطب في ذلك يسير.

وإني لأهنئ الباحثين في الأدب المغربي وتاريخه بهذا العمل المبرور والسعي المشكور أولًا، ثم أهنئ المؤلف ثانيًا بما أتاح الله لـه مـن خدمـة الأدب والتـاريخ وخصه بهذه المزية دون أبناء جلدته، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[الحديد: ٢١].

بغداد - في العاشر من السادس من ١٣٧١هـ

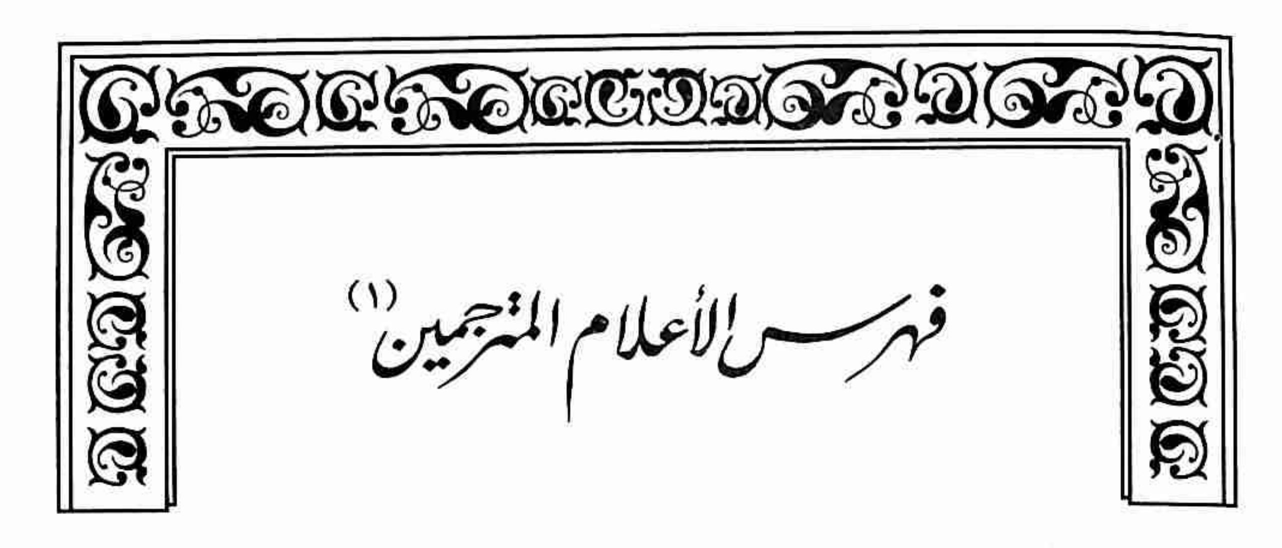
تقي الدين الهلالي

❒ ❒ ❒



الفهارس

* فهرس الأعلام المُتَرجَمين.
* الموضوعات والمحتويات.



فهرس الأعلام المترجمين[1]

اسم العَلَم	الصفحة

حَرْفُ ٱلْهَمْزَة

(١) وضعتُ في الفهرس ـ أيضًا ـ مَن ذكر الهلالي عنهم شيئًا قليلًا في أثناء مقالاته.

اسم العَلَم	الصفحة

حَرْفُ ٱلبَاءِ

حَرْفُ ٱلتَّاءِ

حَرْفُ ٱلجِيمِ

حَرْفُ ٱلحَاءِ

حَرْفُ ٱلخَاءِ

اسم العَلَم	الصفحة

حَرْفُ الغَيْنِ

حَرْفُ الفَاءِ

حَرْفُ القَافِ

حَرْفُ الكَافِ

حَرْفُ ٱللَّامِ

حَرْفُ ٱلمِيمِ

ٱلآبَاء

ٱلأَبْنَاء

ٱلنِّسَاء

❑ ❑ ❑



الموضوعات والمحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني

العلماء والأدباء

الموضوع	الصفحة

القِسْمُ الثَّالِثُ

تراجم معاصرة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

القسم الرابع

مَن ردَّ عليهم الهلالي

القسم الخامس

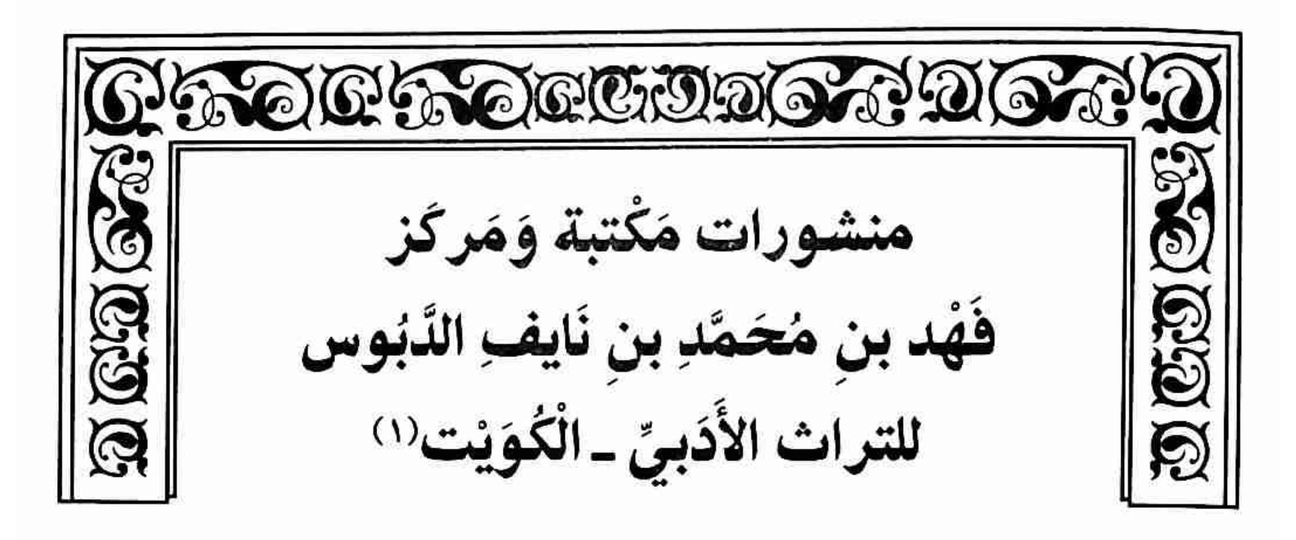
تراجم شخصيات غير عربية

القسم السادس

مقدِّمات الكتب، والتقاريظ لها، وما نشر منها في بطون المجلات

الفهارس

❐❐❐



منشورات مَكْتبة وَمَركَز فَهْد بنِ مُحَمَّدِ بنِ نَايفِ الدَّبُوس للتراث الأَدَبيِّ ـ الْكُوَيْت[1]

١ ـ «حسن حسني باشا الطويراني: أديب موسوعي من القرن التاسع عشر»، تأليف وإعداد: فهد بن محمد بن نايف الدبوس.

٢ ـ «الشيخ علي الليثي: شاعر الخديوي إسماعيل والخديوي توفيق»، إعداد: فهد بن محمد بن نايف الدبوس.

٣ ـ «شعراء من الأمس القريب: الكويت ـ لبنان ـ ليبيا ـ مصر»، إعداد: فهد ابن محمد بن نايف الدبوس.

٤ ـ «في الكتاب وأحواله»، تأليف: أحمد العلاونة (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

٥ ـ «العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم، مع الوثائق»، تأليف: أحمد العلاونة (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

٦ ـ «نَثْر الزهار، فيما وُجِد مكتوباً على القبور من الحِكَم والأشعار»، تأليف: عبد الرحمن يوسف الفرحان، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

---

(١) من العدد (١) إلى (٣) يطلب من المركز في الكويت لمن يريد ذلك. ومن العدد (٤) فما بعده، يطلب من دار البشائر الإسلامية ـ بيروت. والعدد (٣٢) يطلب من دار النوادر ـ بيروت. والعدد (٣٤) يطلب من دار المقتبس ـ بيروت. ومن العدد (٣٢) فما بعده يطلب من مكتبة أهل الأثر ـ الكويت.

٧ ـ «**ذهبية العصر**»، تأليف: شهاب الدِّين أبي العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، تحقيق: إبراهيم صالح، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

٨ ـ «**المجمع المفنن بالمعجم المعنون**»، تأليف: العلاَّمة الشيخ عبد الباسط الملطي، تحقيق: عبدالله محمد الكندري، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

٩ ـ «**من مقالات وديع فلسطين في الأدب والتراجم**»، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١٠ ـ «**رُوَّاد ومُعاصرون**»، تأليف: أحمد حسين الطماوي، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١١ ـ «**حيل الكرام: شرح حديث مُضِيف ضَيْف رسول الله، مع تفسير الآية التي نزلت فيه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ...﴾ وما ورد في ذلك من حِكَم وأخبار وأشعار**»، أعده عبد الرحمن يوسف الفرحان، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١٢ ـ «**فَراش النار: شرح الحديث الشريف: مثلي ومثلكم كمثل رجل أوقد نارًا، وما ورد تمثُّل العرب به في أمثالها وأشعارها**»، أعدَّه: عبد الرحمن يوسف الفرحان، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢).

١٣ ـ «**توشيح كتاب الأعلام للزركلي**»، تأليف: أحمد العلاونة، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢).

١٤ ـ «**كتاب التشبيبات والطلب**»، تأليف: أبي منصور محمد بن سهل ابن المرزبان الكرخي، تحقيق: عمر بن بشير أحمد صدِّيقي، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

١٥ ـ «**الشرق والغرب**»، إبراهيم المُوَيلحي، تحرير وتقديم: أحمد حسن الطماوي، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٢).

١٦ ـ «**عرفت هؤلاء**»، العوضي الوكيل، اعتنى به: فهد بن محمد بن نايف الدبوس، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

١٧ ـ «**المختارات الفائقة من الأشعار الرائقة**»، تأليف: أبي محمد عبد العظيم ابن عبد الواحد بن أبي الإصبع العدواني، تحقيق: أحمد بن عبد العزيز الربعي، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

١٨ ـ «**رسائلهم إليَّ**»، الأستاذ أحمد العلاونة، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

١٩ ـ «**معاني الكرم في ذَمِّ (لا) ومدح (نعم)، وما ورد فيهما من آثار وأخبار وأشعار وأمثال**»، إعداد: عبد الرحمن فرحان، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

٢٠ ـ «**دراسات في تاريخ بيت المقدس**»، **بشير عبد الغني بركات**، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

٢١ ـ «**اللُّغة العربية وأفغانستان في القرن العشرين: دراسة تاريخية، رجال وثقافة، حضارة ونضال**»، تأليف: أبي إدريس عبدالله خاموش الهروي، (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م).

٢٢ ـ «**تأريخ موسم الحج في بيت المقدس**»، **بشير عبد الغني بركات**، (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م).

٢٣ ـ «**خير الدِّين الزركلي: ببلوغرافيا، صور ووثائق، وبعض ما لم ينشر من كتبه**»، **أحمد إبراهيم العلاونة**، (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م).

٢٤ ـ «**كناشة الأوائل والنوادر**»، تأليف: مهنَّا حمد المهنَّا، (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م).

٢٥ ـ «**العلام لخير الدِّين الزركلي: مراجعات وتصحيحات**»، أحمد ابن

إبراهيم العلاونة، (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٥م).

٢٦ ـ **«المقالات النادرة: بحوث العقّاد ومحاضراته في مجمع اللُّغة العربية»**، عباس محمود العقَّاد، جمع وتقديم ودراسة، صلاح حسن رشيد، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م).

٢٧ ـ **«الشيخ الرَّحالة خليل الخالدي المقدسي: حياته، ومجالسه، وأوراقه في الكتب والمخططات»**، اعتنى بها: محمد خالد كلاَّب، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م).

٢٨ ـ **«الإخوة المبدعون الثلاثة»**، أحمد بن إبراهيم العلاونة، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م).

٢٩ ـ **«التعريف بمجموعة من المستشرقين وبجهودهم في الدِّراسات الأدبية واللُّغوية وفي إعداد فهارس المخطوطات العربية»**، تأليف: د. سماء زكي المحاسني، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م).

٣٠ ـ **«كلمات طيبة»**، د. يعقوب يوسف الغنيم، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م).

٣١ ـ **«تاريخ الحنابلة في بيت المقدس»**، بشير عبد الغني بركات، (١٤٣٧هـ ـ ٢٠١٦م).

٣٢ ـ **«ترجمة التراث الأدبي العربي إلى اللُّغات الأخرى بين الماضي والحاضر»**، سماء ذكي المحاسني، (١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م).

٣٣ ـ كويت الأمس في أوائل المقالات، اعتنى بها: **فهد بن محمَّد بن نايف** الدبوس (١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م).

٣٤ ـ **«مقالات السير والتراجم والمناقب»**، تأليف: العلامة تقي الدين الهلالي، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، (١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٩م).

إصدارات أخرى أصدرها المركز:

- دراسات أندلسية، فاضل خلف، ط: ٢٠١٢م.

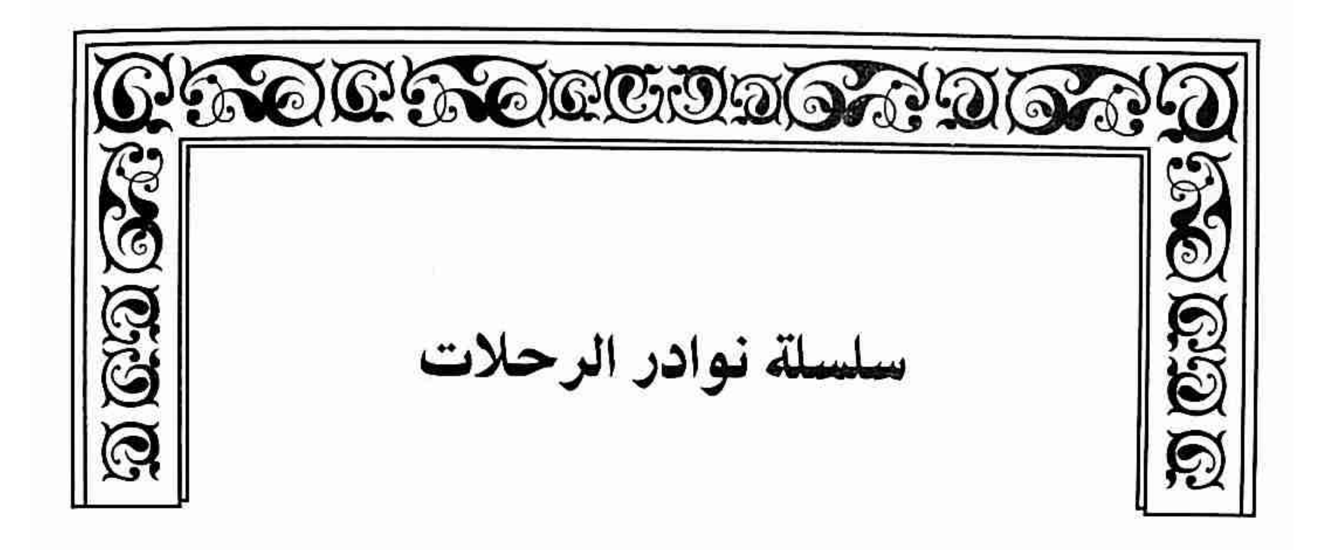
- رحلة أبي الحسن الهروي، الإشَارَاتُ إِلَى مَعْرِفَةِ الزِّيارَاتِ ٦١١هـ- ١٢١٥م، تحقيق: د. نواف الجحمة، ط: ٢٠١٢م.

- شخصيات من تاريخ الكويت، طلال الرميضي، ط: ٢٠١٢م.

- من العامية الفَصيحة في اللهجة الكويتية، خالد سالم محمد، ٢٠١٢م.

- محمد روحي الخالدي (١٨٦٤-١٩١٩م)، ونظرته للإصلاحات العثمانية، طلال الجويعد، ط: ٢٠١٢م.

❐❐❐



سلسلة نوادر الرحلات

١ ـ «رحلة الشيخ علي الليثي ببلاد النمسا وألمانيا»، تأليف علي بن حسن الليثي، اعتنى بها: فهد بن محمد بن نايف الدبوس (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م).

٢ ـ «سياحة في الرُّوسيا (في بداية القرن العشرين)»، بقلم: رشاد بك، (رئيس محكمة مصر سابقاً)، اعتنى بها: فهد بن محمد بن نايف الدبوس، (١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م).

٣ ـ «الرِّحلة الدمشقية الأولى: راحة المستهام في رحلة الشام»، للعلاَّمة المؤرخ أبي المحاسن عثمان بن مصطفى الطباع الدمشقي الغَزِّي، بتحقيق وتعليق: سليم عرفات المبيض، ومحمد خالد كلَّاب، (١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م).

٤ ـ «الرِّحلة الأندلسية: الأمير شكيب أرسلان»، تقديم وجمع وتعليق: فهد بن محمَّد بن نايف الدَّبوس، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م).

❏❏❏